

جواهر اللؤلؤ

في
أدبيات وإنشاء لغة العرب
تأليف
الشيخ أحمد الخارشي

مكتبات
مؤسسة المعارف
بمكة - لبنان



0015752

Bibliotheca Alexandrina

292.701
892.701
3

18/5/56

بحر الألف

أدبيات وإنشاء لغة العرب

892.701

ص ٥٠
ح

تأليف

المرحوم السيد أحمد الهامى



طبعة جديدة محققة ومنقحة

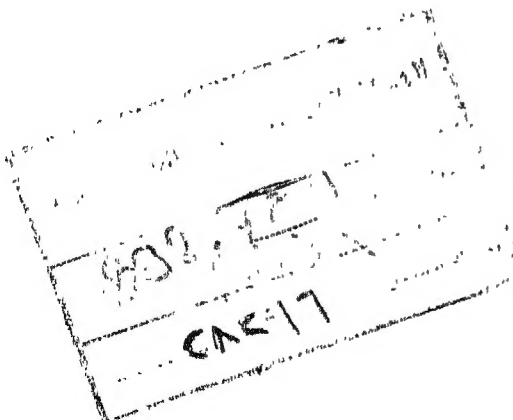
Alexandria Library (GLAL)

أشرفت على تحقيقه وتصحيحه

لجنة من الجامعيين

الجزء الاول

مؤسسة المعارف
بيروت



مقدمة

كان أبرز الأهداف المنشودة من « تأسيس الدار » أن تكرر جهودها لخدمة اللغة العربية ، لغة القرآن ، ما استطاعت الى ذلك سبيلاً . فوقفت طاقتها على تحقيق كنوز التراث العربي القديم ونشر ذخائره ، كلما أمكنتها الفرص ، وساعفتها الظروف . بيد ان مهمة التحقيق بانته عسيرة أول الأمر ، لولا أن ذللتها عقول نيّرة ، وإرادات خبيرة ، وتضحيات كبيرة قام بها رجال أبوا إلا التواضع ، فلم يشأوا حق التنويه بخدماتهم الجليلة ، أو الإشارة بجهودهم المشكورة .

وقد وقفنا في الطبعة الأولى من كتاب « جواهر الأدب » على أخطاء لغوية نزره مصنف الكتاب الجليل عن الوقوع في مثلها ، وعلى أخرى مطبعية لا يجوز أن ترد في كتاب قيّم له مثل هذا المقام الرفيع بين أمهات المنتخبات ومراجع الأدب . وحزّ في نفسنا أن تظل الطبعة المتداولة من هذا السّفر يشينها عدم الضبط في العديد من المواضع ، وتحفل بالعواقب المترتبة على عجلة منضد الحروف في المطبعة ، فاستخرنا الله ، وقررنا الاضطلاع بدفع الكتاب الى لجنة من المحققين الذين حرصوا ، بقدر ما يحرص إنسان ، على الدقة في تحري النصّ ، والتدقيق في إخراج مطبوعاً في حلة زاهية .

والحق ، اننا شعرنا بالخرج من عبء المهمة أول الأمر ، لكن اعتزازنا بالكتاب والنصوص الثمينة التي يحويها بين دفتيه ، واعتبارنا الأدب العربي ملكاً قمين بالاعتراف منه كل ناطق بالضاد ، وما آلىناه على انفسنا من خيرة الله في عدم التفريط بترائنا الغالي - كل ذلك دفعنا الى مواجهة المشكلة عاملين ما استطعنا على أن نتعاشى الأخطاء التي وقع فيها السابقون ، ومعترفين مع ذلك بأن النقص مجبول عليه الانسان ، فالكمال لله وحده .

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحلى ما سبغت به بلابلُ الأقلام ، وأغلى ما انتظمت فيه عقودُ السلاغة
والانسجام ، وأشهى ما ينعت به (جواهر الأدب) حمدُ مولانا الذي شرف
لغة العرب ، وأرسل لنا نبياً عربياً منزهاً عن جميع الرئيب ، سيدنا محمداً ﷺ
وعلى آله ومن صحب .

(أمّا بعد) فهذا كتابٌ سمّيته « جواهر الأدب » ، في أدبيّات لغة
العرب « أودعته ما وقع عليه اختياري ، لا من نثري وأشعاري ، فليس لي
في تأليفه من الافتخار ، أكثر من الاختيار ، واختيارُ المرءِ قطعةً من عقله ،
تدلّ على تخلّقه وفضله ، وفضيلةُ هذا التأليف هي في جمع ما افترق ، مما
تناسب واتسق ، واختيار عيون ، وترتيب فنون ، من أحاديث قبوية ،
ومكاتبات أدبيّة ، وحكم باهية ، وأبيات نادرة ، وأمثال شاردة ، وأخبار
واردة ، ووصايا نافعة ، ومواعظ جامعة ، ومناظرات مستظرفة ، ومقامات
مستظرفة ، وأوصافٍ عليّة ، وخطب اجتماعية ، لينتفع به منقته ،
ويستغني عن غيره الرّاعب فيه ؛ إذ كان أحسن من الزهر والرياح ، والحدائق
والغياض ، والزرجد والمرجان ، والدّر والعقمان ، والأكاليل والتّيجان ،
والنزه والبُستان ، إن دُعي أسرع ، وإن تحدّث أمتع ، وإن سُئل أجاب ،
وإن حكم أصاب ، جليس لصاحبه في الحضر ، وأنيس له في السفر ، نديم
ظريف ، وسمير حصيف ، بالغت في تهذيبه ، وبذلت مجهوداً في حسن ترتيبه ،
وأجزلت التّشحفة ، وانتقيت الطرفة ، وبالله نستعين ، وهو حسبنّا ونعم الوكيل .

المؤلف

السود أحمد الهاشمي

تقريظ

وتقدير العلماء والعظماء لكتاب جواهر الأدب

١ - كتب إليَّ صاحب الفضيلة أستاذي الأكبر شيخ الأزهر الشيخ حسونة النواوي ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على أفصح العرب ، وعلى آله وصحبه الذين انتهجوا منهج الأدب «أما بعد» فقد اطلعت على الكتاب المسمّى «جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب» لمؤلفه الأملعي ولدنا الأستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمي ، فألفيته مشتملاً على فن الإنشاء والأمثال وافياً بالمقصود واسع المجال ، صحيح العبارة واضح الإشارة ، نافعا في بابه ، مفيداً لمطالعيه وطلابه . نفع الله به وبمؤلفه ومحبيه ، يحياه نبيه وآله وصحبه وتابعيه .
كتبه حسونه النواوي

٢ - وكتب إليَّ أستاذي الإمام الحكيم فيلسوف الشرق المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه فوالاه «وبعد» فقد اطلعت على مجموع كتاب (جواهر الأدب) المنتخب من حقائق العرب ، فإذا هو مجموعة لا بأس بها ، وافياً بما تريده الطلبة من الكتابة ووسائلها :

كما أزهرت روضات حسن وأثمرت فأضحت وعُجِم الطّير فيها تغرّد
فقد جمع لهم من عيون الكلام وروائع اللفظ ما يحتذون حذوه ، وينسجون على منواله ، حتى لا تستعصي عليهم الكتابة بل يسلس لهم قيادها ، وبُعِيدَ أن يصل من يحاول (صناعة الإنشاء) إلى ما يرضى منه بدون أن يرد الطرف في كثير من كلام الفصحاء ، ويرد من مناهله كل عذب صاف ، ويحيط بشيء عظيم من أساليب الكتاب حتى يتشبع من كلامهم ، وتنطبع فيه صورة عن مجموع صورهم ،

ولم يكن فيما بين أيديهم من الكتب ما يفي لهم بهذا الغرض ، حتى وفق حضرة ولدنا الأستاذ (الهاشمي) لسدّ هذه الثَّلمة بما كابده من التعليم زمنًا كبيراً - ولا بدع فخير الأطباء من عرف حقيقة الداء ، فيصف له أنجع الدواء . ولقد عرف هذا الأستاذ العصامي حاجة العصر وناشئته إلى كتاب موضوع على أسلوب عصري يلائم أذواق بني العصر من معلمين ومتعلمين ، فإذا حاول أهل العلم والتعليم أن يشكروا له صنيعه فقد حاولوا عظيماً وطلبوا خطيراً ، وحسب العامل أن يقوم بشكره عمله ، فالعمل أعرف شيء بحمिल عامله ، وفقنا الله وإياه ، لما يحبه ويرضاه ، وأسأله أن ينفع به الطلاب ، ويحزل فيه الثواب . محمد عبده

٣ - وكتب شيخ الاسلام صاحب الفضيلة أستاذي الأكبر المرحوم الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنشأ العالم على أبداع مثال ، ونظم أحواله بمعارف أرباب العلوم حتى بلغ حدّ الكمال ، ونثر عجائب المعارف في أرجائه ، وغرائب العوارف في أنحاءة ، والصلاة والسلام على ينبوع العلم و« جواهر الأدب » سيدنا ونبينا محمد أشرف مخلوق في العجم والعرب ، وعلى آله وصحبه ذوي المناصب والرُتب « أما بعد » فقد تناولت كتاب « جواهر الأدب في لغة العرب » كما يتناول الكتاب المرقوم ، وفضضته كما يفض الرحيق المختوم ، واطلعت عليه فوجدته حوى من المباني أدقها ، ومن المعاني أرقها ، ومن النثر أعلاه ، ومن النظم أحلاه ؛ ارتحت لعيانه ، واهتزت لعنوانه ؛ إذ قد جمع فيه الأجناس ومما لا يستحيل الانعكاس ما أدهش قاطبة الناس ، فلو شامه (البهائي) قبل تأليف (مخلاته و كشكوله) لاعترف لهذا المؤلف وارعوى من فضوله ، وهو حضرة العالم الهمام اللودعي ، الإمام ولدنا السيد أحمد الهاشمي - آكثر الله من أمثاله بجاه النبي وآله . كتبه سليم البشري

٤ - وكتب إليّ فضيلة أستاذي المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول بوزارة المعارف العمومية ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

أي بني الجهد التحرير والفنّ العبقري (السيد أحمد الهاشمي) قد تصفّحت مجموعتك المختارة التي أسميتها (جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب) فإذا هي دائرة معارف كبرى لا يستغني عنها أديب، كلها صحاح وعلم صراح:

وما عسى أن يقال في وصف صحاح الجوهري

إي وربّي إنه لكتاب صرّح على المخض زبده، وأسفر عن الأدب، فلم تتلفش بفضل مئزرها دعد، وانقردت سطوره عن فضل اختيار، وتعرى ليل عن بياض نهار، جلاه الفرناس، على صفحات القرطاس.

اختار في كتابه هذا من منتخبات الكتاب والشعراء ما يشفي الغلة، ويروي الصدى، ولقد أتى فيما انتقاه لكتابه الثمين بيوت الكلام من أبوابها، وميز أبكارها من أترابها، وأهدى إلى هؤلاء الشادين كلاماً يلطف كالهواء رقة، ويسيل كالماء عذوبة، يمزج بالنفوس لنفاسه، ويشرب بالقلوب لسلاسته:

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها عن الوشي أو شمت لأغنت عن المسك «وبعد» فإن سنن مؤلفك العظيم القويم، ما مني بشين، فحشيت عليه العين. وما أطيّب الخزامى في قول بعض القدامى:

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين

كيف لا، وقد عرفنا هذا المؤلف النابغة كاتباً مجيداً يفلّ الحز، ويطبّق المفصل، له حلي من البلاغة يتقلّدها، فيكاد السحر يحسدها، يدل عليه بيانه، كما يدل على الجواد عنانه فمن عرفه فقد اكتفى - ومن قصر فلينشد:

قد عرفناك باختيارك إذ كان دليلاً على اللبيب اختياره

فما أجدر كتابه أن يختص بسرعة المجال في المجالس، وخفة المدار في المدارس بل إن (هذا الكتاب يهدي للتي هي أقوم) جرى الله مؤلفه خير الجزاء وأثابه أحسن المثوبة، وأكثر في الأمة من أمثاله، لتبلغ من حسن القول والفعل غاية الكمال.

كتبه الفقير إليه جل شأنه في ليلة ١٢ ربيع الأول سنة ١٣١٨ هـ حمزة فتح الله.

٥ - وكتب إليّ صديقي المرحوم حسن افندي توفيق العدل المدرس بكلية (كبردج) .

عزيزي حضرة الاستاذ الفاضل السيد احمد الهاشمي

تشرفت بكتابك المسمى (جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب) فوجدت بين اسمه ومسامه مناسبة اقتضاها طبعك السليم ، واتصلاً قريباً كاتصال الصديق الحميم . فما أنفست فرائده ، وأثمنت فوائده ، وأفصح مقالته ، وأفصح مجاله . صدر هذا الكتاب عن علم سابق ، وفكر ثاقب ، وذهن رائق ، ونفس صادق ، وروية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق ، فأكرم به من كتاب (جواهر) تكونت من ألفاظ عذاب ، ومواهب لا تدرك بيد اكتساب ، فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب ، إذا تدبّره الأديب أغنته تلك الأفانين ، عن نغمت القوانين وإذا تأمله الأريب نزّه طرفه رياض البساتين ، قد سوّر على كل فنّ من البديع باب ، لا يدخله إلا من خص من البلاغة باللباب ؛ والله تعالى يؤتية الحكمة وفصل الخطاب .

حسن توفيق العدل

المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية بنظارة المعارف العمومية

وقال صاحب الدولة المرحوم سعد باشا زغلول مخاطباً مؤلف هذا الكتاب :

كتابك هذا يا أستاذ « فضل ونعمة » .

« ذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

ولأنه لدائرة معارف أدبية كبرى ، وأنفس كتاب ألف في اللغة العربية وتاريخ آدابها ، صدر عن تجربة وحكمة .

« ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » .

كتبه : سعد زغلول

إليكم معشر الكتاب

أمّا بعد— حَفِظْكُمْ اللهُ يَا أَهْلَ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ وَحَاطْكُمْ وَوَفَّقْكُمْ وَأَرْشِدْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمَكْرُمِينَ أَصْنَافاً وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً، وَصَرَفَهُمْ فِي صُنُوفِ الصَّنَاعَاتِ وَضُرُوبِ الْحَاوِلَاتِ إِلَى أَسْبَابِ مَعَاشِهِمْ وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ. فَجَعَلَ لَكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابَةِ فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْمَرْوَةِ وَالْعِلْمِ وَالرَّوَايَةِ. بِكُمْ تَنْتَظِمُ لِلْخِلَافَةِ مَحَاسِنُهَا، وَتَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا، وَبِنَصَائِحِكُمْ يُصْلِحُ اللَّهُ لِلْخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ، وَيَعْمُرُ بُلْدَانَهُمْ. لَا يَسْتَغْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ، وَلَا يَوْجِدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ. فَمَوْقِعُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعُ أَسْمَاعِهِمُ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ، وَأَبْصَارُهُمُ الَّتِي بِهَا يَبْصُرُونَ، وَالسِّنِّيَّتِهِمُ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ، وَأَيْدِيهِمُ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُونَ^١، فَأَمْتَعَكُمْ^٢ اللَّهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ وَلَا تَزْعِ عَنْكُمْ مَا أَضْفَاهُ^٣ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصَّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَحْوَجَ إِلَى اجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمَحْمُودَةِ وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ.

أَيْهَا الْكِتَابَةُ : إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ، فَإِنَّ الْكِتَابَةَ يَحْتَاجُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَثْقُ بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيماً فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ فَهَيْمًا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ، مِقْدَامًا فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ، مُحْجَاجًا فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ^٤، مُؤَثِّرًا^٥ لِلْعَفَافِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، كَتُومًا لِلْأَسْرَارِ، وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ، عَالِمًا بِمَا يَأْتِي مِنَ التَّنَوُّلِ، يَضَعُ الْأُمُورَ

(١) يدافعون

(٢) أبقاكم

(٣) أفاضد

(٤) التأخر

(٥) مختاراً له

مَوَاضِعِهَا ، وَالطَّوَارِقَ أَمَا كَيْنَهَا قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ
فَإِنْ لَمْ يَحْكَمْهُ أَخَذَ مِنْهُ بِمَقْدَارٍ مَا يَكْتَفِي بِهِ ، يَعْرِفُ بِغَرِيزَةٍ عَقْلِهِ وَحُسْنِ أَدَبِهِ
وَفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ قَبْلَ وَرُودِهِ ، وَعَاقِبَةُ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ ،
فَيُعَدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عُدَّتَهُ^١ وَعَتَادَهُ ، وَيَهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتِهِ وَعَادَتِهِ .
فَتَنَافَسُوا يَا مَعْشَرَ الْكِتَابِ صُنُوفَ الْأَدَابِ ، وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَابْتَدَءُوا بِعِلْمِ كِتَابِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ ، فَإِنَّهَا ثِقَافٌ^٢ أَلَسْنَتَكُمْ ، ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ
فَإِنَّهُ حَلِيَّةٌ كَسْتَبَكُمْ ، وَارْوُوا الْأَشْعَارَ وَاعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَيَّامَ الْعَرَبِ
وَالْعَجَمِ وَأَحَادِيثَهَا وَسِيرَهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هِمَمَكُمْ ، وَلَا
تَضَيِّعُوا النَّظَرَ فِي الْحِسَابِ فَإِنَّهُ قَوَامٌ^٣ كَسْتَابَ الْخَرَاجَ ، وَارْغَبُوا بَأَنْفُسِكُمْ عَنْ
الْمَطَامِعِ سَنِيَّتِهَا^٤ وَدُنْيَاهَا ، وَسَفَسَافِ^٥ الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا فَإِنَّهَا مَزَلَّةٌ لِلرَّقَابِ
مُفْسَدَةٌ لِّلْكِتَابِ ، وَنَزْهُوا صِنَاعَتَكُمْ عَنِ الدَّنَاءَةِ وَأَرْبَأُوا^٦ بَأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ
وَالنَّمِيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ . وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبَرَّ وَالصَّلَفَ وَالْعِظَمَةَ فَإِنَّهَا
عَدَاوَةٌ مُجْتَلِسَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ^٧ وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ وَتَوَاصَوْا
عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْيَقُ بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنَّشِئِلِ^٨ مِنْ سَلَفِكُمْ ، وَإِنْ نَبَأَ^٩
الزَّمَانُ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ فَاعْظَمُوا عَلَيْهِ وَوَأَسَوْهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالَهُ ، وَيَثُوبَ^{١٠}
إِلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَإِنْ أَقْعَدَ أَحَدًا مِنْكُمْ الْكِبَرَ عَنْ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ فَزُورُوهُ
وَعِظَمُوهُ وَشَاوَرُوهُ وَاسْتَظْهَرُوا بِفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ ، وَلْيَكُنِ
الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ اصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ أَحْفَظُ مِنْهُ عَلَى
وَلَدِهِ وَأَخِيهِ ، فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ مُحْمَدَةٌ^{١١} فَلَا يَصْرِفُهَا إِلَّا إِلَى صَاحِبِهِ ، وَإِنْ
عَرَضَتْ مَذْمَةٌ^{١٢} فَيَحْمِلُهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ ، وَلْيَحْذَرْ السَّقَطَةَ وَالزَّلَّةَ وَالْمَلَلَ عِنْدَ

-
- (١) مَا أَعْدَدْتَهُ لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ (٢) الْعِدَّةُ (٣) تَعْدِيلُهَا (٤) نِظَامُ
(٥) رَفِيعُهَا (٦) الرَّدِيءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (٧) أَعْرَضُوا وَفَرَّوْا
(٨) إِضْمَارٌ حَقْدٌ (٩) الرِّفْعَةُ وَالسُّمُو (١٠) قَصْرٌ وَنَفَرٌ (١١) يَرْجِعُ

تغيّر الحال فإن الغيب إليكم معشر الكتّاب أسرع منه إلى الفراء^١ وهو لكم أفسد منه لها ، فقد علمتم أن الرّجل منكم إذا صحّبه الرّجل يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقّه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائيه وشكره ، واحتماله وخيره ونصيحته وكيّان سرّه وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ، ويصدق ذلك فعله له عند الحاجة اليه والاضطرار إلى ما لديه ، فاستشعروا ذلك وفّقكم الله من أنفسكم في حالتي الرّخاء والشّدّة والحرمان والمواساة والإحسان والسرّاء والضّرّاء ، فنعمت الشّيمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصّناعة الشريفة ، وإذا ولي الرّجل منكم أو صيّر اليه من أمر خلق الله أمره فليرقب الله عزّ وجلّ وليؤثر طاعته وليكن على الضّعيف رقيقاً ، وللمظلوم منصفاً فإنّ الخلق عيال الله ، وأحبّهم اليه أرفقهم بعياله ، ثم ليكن بالعدل حاكماً وللأشراف مكرماً وللقيّ^٢ موفّراً وللبلاد عامراً ، وللرعيّة متألّفاً ، وعن أذاهم متخلّفاً . وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً وفي سجلّات خراجها واستقصاء حقوقه دقيقاً ، وإذا صحّب من أحدكم رجلاً فليختبر خلّاقه ، فإذا عرّف حسنّها وقبيحها أعانه على ما يوافقّه الحسّن ، واحتال على صرف عما يهواه من القبيح بالطف حيلة وأجمل وسيلة ، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة أخلاقها ، فإن كانت رموحاً لم يهجنّها إذا ركبها وإن كانت شبوباً اتّقاها من بين يديها وإن خاف منها شروداً توقّأها من ناحية رأسها وإن كانت حروناً قع هواها يرفق في طريقها^٣ فإن استمرّت عطفها يسيراً فيسّاس^٤ له قيادها ، وفي هذا الوصف من السّياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجرّهم وداخلهم .

والكاتب بفضل أدبه وشريف صنّعه ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاول من الناس ويناطره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرّفق بصاحبه ، ومداراته

(١) الجلد ، لأنه سريع العطب

(٢) الغنيمة والخراج

(٣) في مرة من المرات

(٤) وفي نسخة يسلس اي ينقاد ويسهل

وتقويم أوده من سائس البهيمه التي لا تفقه جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً إلا بقدر ما يُصيرها إليه صاحبها الرّاكب عليها ؛ ألا فأمعنوا رَحِمَكُمُ اللهُ في النظر ، واعملوا فيه ما أمكنكم من الرّوية والفكر تأمنوا بإذن الله من صخبِ مَوه النبوة^١ والاستثقال والجفوة وبصير منكم إلى الموافقة وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة إن شاء الله - ولا يجاوزن الرّجل منكم في هيئة مجلسه وملبسِهِ ومركبه ومطعمِهِ ومشربِهِ وخدمِهِ وغير ذلك من فسون أمره قدر حقه ، فإنكم مع ما فضّلكم به الله من شرف صنعكم خدمة^٢ لا تحمّلون في خدمتكم على التقصير وحفظة^٣ لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير - واستعينوا على أفعالكم بالقصد في كلّ ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف^٤ فإنهما يعقبان الفقر ويذلان الرّقاب ويفضحان اهلها ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب ، ولأُمور أشباه^٥ وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتسف^٦ أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة^٧ وأصدقها حاجة^٨ وأحمدوا عاقبة واعلموا ان للتدبير آفة^٩ متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ عمله ورؤيته ، فليقصد^{١٠} الرّجل في مجلسه قصد الكافي من منطقته ، وليؤجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فإن ذلك مصلحة^{١١} لفعله ومدفعة^{١٢} للشاغل من إكثاره .

وليضرع^{١٣} إلى الله في صلة توفيقه وإمداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضرب بدنه وعقله وأدبه فإنه إن ظن منكم ظان^{١٤} أو قال قائل^{١٥} إن الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بظنّه أو مقالته إلى ان يكيله الله عز وجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف .

ولا يقلُّ أحدٌ منكم إنه أبصرُ بالأمور ، وأحلمُ لعباءِ التدبير من مرافقه في صناعتهِ ومُصاحبه في خدمته ، فإنَّ أعقلَ الرجلين عند ذوي الأبواب مَنْ رَمَى بالعُجْبِ وراء ظهره ، ورأى أنَّ صاحبه أعقلُ منه وأجملُ في طريقته .

وعلى كلِّ واحد من الفريقين أن يعرف فضلَ نعم الله عليه جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيرته . وحمدُ الله واجبٌ على الجميع ، وذلك بالتواضع لعظمته ، والتذلل لعزته ، والتحدث بنعمته .

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثلُ (مَنْ تَلَزَمَهُ النَّصِيحَةُ يَلْزَمَهُ الْعَمَلُ) وهو (جواهر) هذا الكتاب وغرّة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عزَّ وجلَّ . فلذلك جعلتهُ آخره وتممتهُ به ؛ تولانا الله وإياكم يا معشر الكتبة بما يتولى به مَنْ سبق علمه بإسعاده وإرشاده ، فإن ذلك إليه وبيده ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الحميد الكاتب المتوفى سنة ١٣٢ هـ

(١) هو عبد الحميد بن يحيى العامري ، كاتب دولة مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين - قتله السفاح ١٣٢ هـ .

تمهيد في مبادئ علم الأدب

الأدب عبارة عن معرفة ما يُختَرَز به من جميع أنواع الخطأ وهو قسبان :
طبعي وكسبي - فالطبعي ما فطر عليه الإنسان من الأخلاق الحسنة والصفات
المحمودة كالكرم والحلم - والكسبي ما اكتسبه بالدرس والحفظ والنظر وهو
المقصود لنا في هذا الكتاب فحينئذ يعرف بأنه علم صناعي تعرف به أساليب
الكلام البليغ في كل حال من أحواله ، وهو المدعو (بعلم الأدب) .
وموضوعه الكلام المنظوم والمنثور من حيث فصاحته وبلاغته .
وغايته الإجابة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ، وتهذيب
العقل ، وتذكية الجنان .

وفائده أنه يعصم صاحبه من زلة الجهل ، وأنه يروّض الأخلاق ويلين
الطباع وأنه يعين على المروءة ، وينهض بالهيم إلى طلب المعالي والأموال الشريفة .
(وأركانها أربعة) الأول : قوى العقل الغريزية ، وهي خمسة :
الذكاء ١ ، والخيال ٢ ، والحافظة ٣ ، والحس ٤ ، والذوق ٥ .
الثاني : معرفة الأصول وهي مجموع قوانين الكتابة ، وفيها تبيان طرق
حسن التأليف وضروب الإنشاء وفنون الخطابة .

(١) الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر وفي كتب اللغة الذكاء عبارة
عن حدة الفؤاد وسرعة الفطنة (٢) قوة باطنة تحفظ صور المحسوسات بعد غيبوبة
المادة وهو من أكبر أسباب النجاح في فن الكتابة (٣) قوة من شأنها حفظ ما يدركه
العقل من المعاني فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت ذاكرة (٤) قوة يتأثر بها الإنسان من
صور المدركات كاللذة والألم وهو من شروط الكتابة إذ يعين الكاتب مما يحدث فيه
من التأثير على رسم صور المحسوسات رسماً محكماً فيقتدر إذ ذاك على تحريك العواطف
واستالة القلوب ، ألا ترى أن الكلام العذب إذا حل في القلب أحدث فيه حركة وهزة
(٥) قوة غريزية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وتحصل
بالمشاركة على الدرس وبالممارسة لكلام البلغاء وتكراره على السمع والتفطن لخواص
معانيه وتراكيبه وبتنزيه العقل والقلب عما يفسد الأخلاق والآداب .

وتنقسم هذه الأصول إلى قسمين: عامة وخاصة، فالعامة (كالتأليف الأدبية من منظوم ومنثور في أغراض شتى (والخاصة) كالتأليف المنفردة بالرسائل أو بالأمثال .

الثالث - مطالعة تصانيف البلغاء بالتأني والتبصر فيها ، ليدّخر الكاتب كل لفظ مؤنق شريف وكل معنى بديع بحيث يتصرف بهما عند الضرورة . وشروطها ثلاثة (الأول) أن يستقل المطالع بعض علماء اللغة وأئمة الأدب فيقتصر على درسهم حتى ينسج على منوالهم . (الثاني) أن يطيل النظر في هذه المطالعة ويردد مراراً ما استحسنة من تصانيفهم كي يروض الذهن في حلبة سباقهم فيثقف على غريب أسلوبهم وعجيب تراكيبيهم (الثالث) أن يلتقي منها شيئاً مما استجاده^٢ من اللفظ الحرّ والتراكيب الصحيحة والمعاني البليغة ذخراً لذاكرته وميماراً^٣ لقريحته

الرابع - الارتياض وهو التدرب بوجوه الإنشاء بأن تتوسّع في شرح بعض المعاني فتبينه بأوجه شتى وتثمنه بأشكال البديع وبأن تجتهد في وضع بعض مواضع وجيزة فتصوغ تارة وصف مدينة أو مدحاً أو تهنية^٤، وأخرى تسرد^٥ مثلاً أو تسبك رواية إلى غير ذلك - وأن تحذو وحذو المتقدمين في أوضاعهم باستعمال ألفاظهم ومعانيهم وبأن تحلّ النظم فتأتي به نثراً أنيقاً، تعقد النثر فتصوغه صوغاً رشيقاً^٥

مقدمة في علم الإنشاء

الإنشاء لغة : الشروع والإيجاد والوضع ، تقول : أنشأ الغلام يمشي إذا شرع في المشي ، وأنشأ الله العالم : أوجدهم ، وأنشأ فلان الحديث : وضعه . واصطلاحاً علم يُعرف به كيفية استنباط المعاني وتأليفها مع التمييز عنها

(١) الميدان (٢) وجده جيداً (٣) حديدة تكون في مؤخر خف الرائد للمهر

(٤) معجباً

(٥) حسناً

بلفظ لا تقي بالمقام وهو مستمد من جميع العلوم. وذلك لأن الكاتب لا يستثنى شيئاً من الكتابة فيخوض في كل المباحث ويتعمد الإنشاء في كل المعارف البشرية. وينحصر المقصود منه في ثلاثة أبواب وخاتمة وملحق.

الباب الأول : في أصول الإنشاء

وهي أربعة : مَوَادَّةٌ وخواصه وطبقاته ومحاسنه.

أما مَوَادَّةٌ فثلاث : الأولى الألفاظ الفصيحة^١ الصريحة^٢، الثانية المعاني^٣، الثالثة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، ومرجعها إلى الفصاحة وعلمي المعاني والبيان

(١) الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها.
(٢) الألفاظ التي تدل على نفس المطلوب بحيث تكون كقالب لمعناها ويتوصل إلى ذلك بمعرفة المترادفات والصفات والأبدال.

(٣) بحيث يكون المعنى واضحاً، أي سهل المأخذ خالياً من اللبس والإشكال كقول الأخطل :

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال
وأن يكون المعنى سديداً أي أن يكون القول مطابقةً للواقع كقول لبيد :
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وأن يكون مطابقاً لمقتضى الحال كقول أبي العتاهية :
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر
ولهذا قال أبو الفتح البستي :
تكلم وسدد ما استطعت فإنما كلامك حي والسكوت جماد
فإن لم تجد قولاً سديداً فقله فصمتك عن غير السداد سداد
والمراد بمقتضى الحال الأمر الذي يقتضيه الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص
الناشئ عن مراعاة أحوال المتكلم والمخاطب ومقام الكلام - والمعنى أما أن
يكون مبتكراً أي مخترعاً كقول ابن النجيب :

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد
وكقول آخر في وصف الشتاء :
والنار فأكبه الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتياً فليصطل

= أو دقيقاً فهو ما لطف مأخذه وبعد مرامه ودل على توقد فهم قائله كقول ابن عنين في فخر الدين الرازي وكانت قد دخلت إلى مجلسه حمامة خلفها صقر يريد صيدها فاستجارت بحجرتة :

جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلمح في جناحي خاطف
من أنبا الورقاء أن محلكم حرم ، وأنك ملجأ للخاطف
أو فطرياً وهو ما أورده الطبع السليم بلا تصنع ولا إعمال روية ودل على
بعض السذاجة في قائله ، كقول أحدهم وقد سئل هلا تسافر بجرأ فأنشد :
لا أركب البحر أخشى عليّ منه المعاطب
طين أنا ، وهو ماء ، والطين في الماء ذائب
وكقول الصياد :

سبحان ربي يعطي ذا ويحرم ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمكة
أو ليناً وهو ما كان لطيف التعبير سلس الألفاظ دالاً على أشياء تطرب
المسامع وتبهج القلب كقوله :

إن السماء إذا لم تبك مقلتها لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر
أو نافذاً وهو ما وصل إلى الفهم بسرعة البرق وأخذ لحدته ومضائه بمجامع
القلب كقول عنتره :

وما دانيت شخص الموت إلا كما يدنو الشجاع من الجبان
أوجامعاً وهو ما أفاد باللفظ القليل المعنى الكثير كقول أبي تمام في المعتصم :
تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
تعود بسط الكف حتى لو أنه أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
وكقول المتنبي :

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنساناً
أو متيناً وهو ما اتسم بالضبط والحزم وتمكن من ذهن سامعه كقول أبي العتاهية :
لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى ذهاب
والموغل والإيفال هو ما فتن بسموه القلب وسبى العقل وبلغ الغاية القصوى
من البلاغة ، كما قال قائل على لسان ربه :
=

وأما خواصه فهي محاسنه السبعة ، وهي ؛ أولاً : الوضوح^١ بأن يختار المفردات البينة الدالة على المقصود أن يعدل عن كثرة العوامل^٢ في الجملة الواحدة ، وأن يتحاشى الالتباس في استعمال الضائر ، وأن يسبك الجمل سبكاً جلياً بدون تعقيد والتباس ، وأن يتحاشى كثرة الجمل الاعتراضية .
وثانياً : الصراحة بأن يكون الإنشاء^٣ سالماً من ضعف التأليف وخرابة التعبير بحيث يكون الكلام حراً مهذباً تناسب ألفاظه المعاني المقصودة كإقيل :
تزين^٤ معانيه ألفاظه وألفاظه زائحات^٥ المعاني
ويكون الكلام صريحاً بانتقاء الألفاظ الفصيحة والمفردات الحرّة الكريمة وكذا بإصابة المعاني وتنقيح العبارات مع جودة مقاطع الكلام وحسن صوغه وتأليفه . وكذا بمراعاة الفصل والوصل وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والاهتمام إلى كيفية إيقاف حروف العطف في مواقعها .
وثالثاً : الضبط وهو حذف فضول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ كقول قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١٢ م :

= سألت عبدي وأنت في كنفي وكل ما قلت قد سمعناه
سلي بلا خشية ولا رهب ولا تخف ، إني أنا الله
واعلم أنه ليس لهذه المعاني مصدر خاص ، وإنما يحصل عليها الأديب من مطالعة كتب البلغاء وإعمال الفكرة الطويلة والتبصر في الموضوع الذي يقصد وصفه ليستخرج منه المعاني اللائقة به ، وإنما يلتجئ إلى هذه المعاني عند مسيس الحاجة وذلك يختلف باختلاف أحوال المتكلم ، ومقام المخاطب ، ومواقع الكلام .
(١) كقوله :

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب
ليس اليتيم الذي قدمته والده بل اليتيم يتيم العلم والحسب
(٢) كقول بعضهم :

* أقسم لا أعود أقوم أخطب فيكم *

أَرَى الْمَوْتَ لَا يَرَعَى عَلَى ذِي قَرَابَةٍ وَإِنْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا عَزِيزًا بِمَقْعَدِهِ
لَسَعْمُكَ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَاةٌ فَمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ مَعْرِفِهَا فَتَزَوَّدْ
ورابعاً : الطَّبَعِيَّةُ بِأَنْ يَخْلُو الْكَلَامُ مِنَ التَّكْلِيفِ وَالتَّصْنُوعِ كَمَا قَالَ فِي
رِثَاءِ ابْنِهِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢١١ هـ :

بِكَيْتِكَ يَا بُنَيَّ بَدَمَعَ عَيْنِي فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئاً
وَكُنْتَ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيًّا
وذلك لِأَنَّ مَنْ تَطَبَّعَ بِغَيْرِ طَبْعِهِ نَزَعَتْهُ الْعَادَةُ حَتَّى تَرُدَّهُ إِلَى طَبْعِهِ كَمَا أَنَّ
الْمَاءَ إِذَا اسْتَخْنَتْهُ وَتَرَكْتَهُ عَادَ إِلَى طَبْعِهِ مِنَ الْبُرُودَةِ وَحِينَئِذٍ فَالطَّبْعُ أَمْلَكُ .
وخامساً : السَّهُولَةُ بِأَنْ يَخْلُصَ الْكَلَامُ مِنَ التَّعَسُّفِ فِي السَّبْكِ وَأَنْ يَخْتَارَ مَا
لَانَ مِنْهَا كَمَا قَالَ فِي الْأَشْوَاقِ تَهَامُ الدِّينِ زُهَيْرِ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٦٥٦ هـ :

شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدٌ كَمَا عَلِمْتَ وَأَزِيدُ
فَكَيْفَ تَنْكَرُ حَبًّا بِهِ ضَمِيرُكَ يَشْهَدُ
وَأَنْ تُهَذَّبَ الْجُمْلُ وَأَنْ يَأْتَلَفَ اللَّفْظُ مَعَ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ
فِي الْوَدَاعِ :

فِي كَنَفِ اللَّهِ ظَاعِنٌ ظَعَنًا أَوْدَعَ قَلْبِي وَدَاعَهُ حَزَنًا
لَا أَبْصَرْتُ مُقْلَقِي مُحَاسِنِهِ إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُ بَعْدَهُ حَسَنًا
قال بعض البلغاء : أَحْذَرُكُمْ مِنَ التَّقْمِيرِ وَالتَّعَمُّقِ فِي الْقَوْلِ وَعَلَيْكُمْ بِمُحَاسِنِ
الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي الْمُسْتَخَفَّةِ الْمُسْتَمْلِحَةِ فَإِنَّ الْمَعْنَى الْمَلِيحَ إِذَا كُسِّيَ لَفْظًا حَسَنًا
وَأَعَارَهُ الْبَلِيعُ مَخْرَجًا سَهْلًا كَانَ فِي قَلْبِ السَّامِعِ أَحْلَى وَلِصَدْرِهِ أَمْلَأُ - قَالَ الْبُسْتِيُّ :
إِذَا انْقَادَ الْكَلَامُ فَقَدَهُ عَفْوًا إِلَى مَا تُشْتَبِهُ مِنَ الْمَعَانِي
وَلَا تُكْرَهُ بَيَانُكَ إِنْ تَأَبَّسَ فَلَا إِكْرَاهَ فِي دِينِ الْبَيَانِ
وسادساً : الاتِّسَاقُ بِأَنْ تَتَنَاسَبَ الْمَعَانِي كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٣٤٦ هـ :

وَمَا زِلْتُ حَتَّى قَادِنِي الشَّوْقُ نَحْوَهُ ١ يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرٌ ٢
وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ ٣ فَلَمَّا التَّقَيْنَا صَغِيرَ الْخَبَرِ الْخُبَيْرِ ٤
وَسَابِعًا : الْجَزَالَةَ وَهِيَ إِبْرَازُ الْمَعَانِي الشَّرِيفَةِ فِي مَعَارِضَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْأَنِيقَةِ ٥
اللسُّطِيفَةِ كَقَوْلِ الصَّابِيِّ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٣٨٤ هـ :
لَكَ فِي الْمَافِلِ مَنْطِقٌ يُشْفِي الْجَوَى ٦ وَيَسُوغُ فِي أُذُنِ الْأَدِيبِ سُلَافُهُ ٧
فَكَأَنَّ لَفْظَكَ 'لَوْ لَوْ' مَسْنَخْلٌ ٨ وَكَأَنَّمَا آذَانُنَا أَصْدَافُهُ
وَأَمَّا عُيُوبُهُ فَسَبْعَةٌ . الْهُجْنَةُ بِأَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ سَخِيفًا وَالْمَعْنَى مُسْتَقْبَحًا كَقَوْلِهِ ،
وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهُ بَصَلًا ٩ غَلَبَ الْمَسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ
وَالْوَحْشِيَّةُ كَوْنُ الْكَلَامِ تَجُّهُ الْأَسْمَاعِ وَتَنْفَرُ مِنْهُ الطَّبَاعُ كَقَوْلِهِ :
وَمَا أَرْضَى لِمَقْلَتِهِ بِحُلْمٍ ١٠ إِذَا انْتَبَهَتْ تَوَهَّمُهُ ابْتِشَاشًا ١١
وَالرَّكَاءُ كَأَيِّ ضَعْفِ التَّأْلِيفِ وَسَخَافَةِ الْعِبَارَةِ كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٣٤٦ هـ :
إِنْ كَانَ مِثْلَكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ ١٢ فَبَرِئْتُ حَيْلُودَ مِنَ الْإِسْلَامِ
وَالسَّهْوُ عِبَارَةٌ عَنْ ضَعْفِ الْبَصَرِ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ يُشَبِّهُهُ بِمَدْوَحِهِ
بِاللَّهِ تَعَالَى (وَهُوَ كَفَرٌ) :
تَتَقَاصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ ١٣ مِثْلُ السَّيِّدِ الْأَفْلَاكِ مِنْهُ وَالْدُّنَى ١٤
وَالْإِسْهَابُ أَيْ الْإِطَالَةُ الزَّائِدَةُ الْمُسْمَلَةُ فِي شَرْحِ الْمَادَّةِ وَالْعُدُولُ إِلَى الْحِشْوِ كَقَوْلِهِ :
وَأَعْنِي فَتَى لَمْ تَذَرِ الشَّمْسَ طَالِعَةً ١٥ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرًّا أَوْ نَفْعًا

(١) خبر زلت يسايرني، والركب جماعة الراكبين، أي ما زلت أسمع ذكره
في كل ركب صحبته حتى قادي الشوق إلى زيارته، والمتنبي يمدح علياً الأنطاكي ؛
ومعنى البيت الثاني : إني ما زلت أستعظم ما يذكر لي من أخباره حتى لقيته
فصغرت عندي تلك الأخبار بالنسبة إليه لأنني وجدته أعظم مما وصفوا . (٢) المعجبة .
(٣) الحرقه . (٤) الحفرة . (٥) مصطفى وختار . (٦) يقول : وإن حدثه حلم
في نومه عن شكري له فلا أرضى به لعله يتوهم كذباً . (٧) الدنيا .

والجفاف والإيجاز والاختصار المحل كقول الحارث بن حليزة المتوفى سنة ٢٣٢هـ :
والعيش خير في ظلال الذوك^١ ممن عاش كدًا^٢
ووحدة السياق التزام أسلوب واحد من التعبير وطريقة واحدة من التركيب
بحيث تكون للأذهان كلاً^٣ وللقلوب مللاً^٤ .

وللكلام عيوب كثيرة منها اللحن ومخالفة القياس الصريح وضعف التأليف
والتعقيد اللفظي والمعنوي والتكرار وتتابع الإضافات إلى غير ذلك من
الأمور التي تكون ثقيلة على اللسان مخالفة للذوق والعرف غريبة على السمع .
وأما طبقاته فثلاث (الأولى الطبقة السفلى) ومرجعها إلى الإنشاء الساذج
وهو ما عرّى عن رقة المعاني وجزّأه الألفاظ والتأني في التعبير فهو بالكلام
العامي أشبه بسهولة مأخذه وقرب مورده ، ويستعمل في المحافل العمومية
ليقرب منال المعاني على جمهور السامعين وفي المقالات والتأليف العلمية لينصرف
الذهن إلى أخذ المعنى وليس دونه حائل من جهة العبارة ، وفي المكاتبات الأهلية
والرحلات والأسفار والأخبار وما شابه ذلك (الثانية الطبقة العليا) ومرجعها إلى
الإنشاء العالي ، وهو ما شُحن بغير الألفاظ ، وتعلق بأهداب الجاز ولطائف
التخييلات وبدائع التشابه فيفتن ببراعته العقول ويستحضر الألباب ويصلح
في الرسائل بين بلغاء الكتّاب وفي المجالس الأدبية وديباجة بعض التصانيف
إلى غير ذلك من المواضع التي من شأنها الزجر وتحريك العواطف والحماسة .

(١) بفتح النون وضما الحلق . (٢) تعباً . (٣) سيئة . (٤) سامة .
(٥) حكى عن الصفي الحلي أن بعض الفضلاء بلغه أنه اطلع على ديوانه وقال
لا عيب فيه سوى أنه خال من الألفاظ الغريبة فأجابه الصفي :

إنما الحيزبون والدردبيس والطخا والنقاخ والعلطيس
لغة تنفر السامع منها حين تروى وتشمئز النفوس
وقبيح أن يسلك النافس الوحشي منها ويترك المأنوس
إن خير الألفاظ ما طرب السامع منه وطاب فيه الجليس .
ولذلك الألفاظ مغناطيس

(الثالثة الطبقة الوسطى) ومرتجعا إلى الإنشاء الأنيق^١ وهو ما توسط بين الإنشاء العالي والساذج فيأخذ من الأول رونقه ورشاقته ومن الثاني جلاءه وسلاسته - ويصلح في مراسلات ذوي المراتب وفي الروايات المنمقة والأوصاف المسهبية ، وفي خطب المحافل وما أشبه ذلك^٢ .
وأما محاسنه فهي أساليب وطرائق معلومة وضعت لتزوين الكلام وتنميقه لغرض أن يتمكن البليغ من ذهن السامع بما يورده من أساليب الكلام المستحسنة فيحرك أهواء النفس ويثير كامن حركاتها ، والغرض أن يكون قوله أشد اتصالاً بالعقل وأقرباً للادراك بتصرفه في فنون البلاغة .

كيفية الشروع في عمل مواضيع الإنشاء

إذا عن^٣ لك أو اقترح عليك إنشاء موضوع فانت منوط^٤ ، إذا بأمرين : التفكير أولاً ، والكتابة ثانياً . فإذا أنعمت الفكر ملياً^٥ في أجزاء الموضوع بعد استيلاء الإحساس بها على قلبك ، وقلبتّها على جميع الأوجه الممكنة فيها تولد في خيالك لكل جزء عدة صور^٦ تتفاوت في تأديته كتفاوت صور المنظوم في الحسن والقبح ، فبعضها يستميل النفوس بتأثيره في الحواس ، وبعضها

(١) المحب .

(٢) الذي اشتهر بالإنشاء الساذج السيوطي والماوردي والغزالي وأبو الفرج الأصبهاني وابن الأثير وأبو الفداء . والذي اشتهر بالإنشاء الأنيق الثعالبي وابن خلكان وابن خلدون والطبري والفخري وابن المعتز والبهاء زهير وابن المقفع والمسعودي . والذي اشتهر بالإنشاء العالي الحريري والهمداني والمعري والأخطل وجريز وأبو تمام والبحري والمنيبي وابن خاقان والعتبي والفارسي . واعلم أن طبقات الإنشاء كثيراً ما تختلط ببعضها فيصعب تعيين طبقتها فرمما جاء في القطعة الواحدة أشياء من الطبقات الثلاث لا يميزها إلا المنتقد البصير .

(٣) عرض . (٤) مازم (٥) ساعة طويلة . (٦) أما إذا تساوت في حسن تأدية الغرض أخذ إحداها فقط ولا يحسن جمعها .

يُوجب نفورَها، بَيْنَ بَيْنٍ، وإذا تَشَخَّصَتِ الصُّورُ في الخيالِ يَتَخَيَّرُ العقلُ منها ما له المكانةُ الرفيعةُ في حُسْنِ تأديةِ الغرضِ المناسبِ للمقامِ، فإن كانَ المقامُ للتَّحريضِ على القتالِ مثلاً انتخبَ الصورةَ المهيَّجةَ للاحساسِ^١، المشجِّعةَ للنفسِ على اقتحامِ الأخطارِ وإن كانَ المقامُ مقامَ فرحٍ وسُرورٍ انتخبَ ما يشرحُ الصُّدُورَ. وبعدَ تشخيصِ الصُّورِ وتخيُّرِ المُناسِبِ منها تعيَّنَ أيُّها المُلثَّى^٢ - بحسْنِ تأليفٍ وترتيبٍ ما تَخَيَّرَتهُ بأن تَجْمَعُ الصورَ المناسبةَ التي يَرْتَبِطُ بعضها ببعضٍ بدونِ تسكُّفٍ بحيث يكونُ منسجماً يُمِيزُ وحدهُ معَ النفسِ دونَ علاجٍ وتعبٍ في فَهْمِ الغرضِ منه وحينئذٍ يُمكنكُ إظهارُ هذه الصورةِ المعقولةِ في صورةٍ محسوسةٍ بواسطةِ القلمِ.

أركان الكناية

اعلم أنَّ للكتابةِ أركاناً لا بُدَّ من إيداعِها في كلِّ كتابٍ بلاغيٍّ ذي شأنٍ؛ أولها: أن يكونَ مَطْلَعُ الكتابِ عليه جدَّةٌ^٣ ورشاقةٌ^٤، فإنَّ الكاتبَ مَنْ أجادَ المَطْلَعِ والمَقْطَعِ، أو يكونَ مَبْنِيًّا على مقصدِ الكتابِ. الثاني أن يكونَ خروجُ الكاتبِ من معنى إلى معنى برابطةٍ لتكونَ رِقَابُ المعاني آخذةً بعضها

(١) الأحزان .

تغبيهِ: يراعى حالَ المخاطبِ ومنزلتهُ فإن ما يحسنُ عندَ الذكي لا يحسنُ عندَ الغبي، وما يناسبُ ذا الجِد لا يناسبُ الهزلي، وما يصلحُ للرئيس لا يصلحُ للعمرءِ وسفخاطبِ كلاً على قدرِ أهْتهُ وجلالتهُ وعلوهُ وارتفاعه وفطنته ونباهته، فزِنِ اللفظةَ قبل أن تخرجها بميزانِ التصريفِ إذا عرِضتْ وعايرِ الكلمةَ بمِيارِها إذا سُنحتْ فكلما احلولى الكلامِ وعذب وراق وسهلتْ مَخارجُه كانَ أسهلَ ولوجاً في الأسماعِ وأشدَّ اتصالاً بالقلوبِ وأخفَ على الأفواهِ، ولا سيما إذا كانَ المعنى البديعَ مترجماً بلفظٍ مؤنقٍ شريفٍ ومعاييرَ بكلامٍ عذبٍ بدونِ تكلفٍ ولا تعقيدٍ، فالمعنى الخفيُّ أشبهُ بالروحِ الخفيِّ واللفظُ الظاهرُ أشبهُ بالجثمانِ الظاهرِ، وإلا تضاءلَ المعنى الحسنُ تحتَ اللفظِ القبيحِ كتضاءلِ الحسناءِ في الأطمارِ الرثةِ .

(٢) صارَ جديداً مبتكراً، وهو نقيضُ الخلقِ الذائبِ .

ببعض ولا تكون مقتضبة. الثالث أن تكون ألفاظ الكتاب غير 'مخلوطة بكثرة الاستعمال' ، ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظاً غريبة فإن ذلك عيبٌ فاحش بل أريد أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكاً غريباً يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس ، وهي مما في أيدي الناس ، وهناك مُعْتَرَك الفصاحة التي تظهر فيه الخواطر براعتها والأقلام شجاعاتها. وهذا الموضع بعيد المنال كثير الإشكال يحتاج إلى لطف ذوق وشهامة خاطر، وليس كل خاطر بَرَّاق إلى هذه الدرجة (ذلك فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ واللهُ ذو الفضل العظيم) ومع هذا فلا تظن -أيها الناظر في كتابي - أني أردت بهذا القول إهمال جانب المعاني بحيث يؤتى باللفظ الموصوف بصفات الحسن والملاحة ، ولا يكون تحته من المعنى ما يماثله ويساويه فإنه إذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة في حسننها إلا أن صاحبها بليد أبله . والمراد أن تكون هذه الألفاظ المشار إليها جسمًا لمعنى شريف ، على أن تحصيل المعاني الشريفة على الوجه الذي أشرت إليه أيسر من تحصيل الألفاظ المشار إليها. ولقد رأيت كثيراً من الجهال الذين هم من السوقة أرباب الحرف والصنائع ، وما منهم إلا من يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره المعنى الدقيق ، ولكنه لا يحسن أن يزوج بين لفظتين . فالعبارة عن المعاني هي التي بها تحلب العقول ، وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون في استخراج المعاني ، فإنه لا يمنع الجاهل الذي لا يعرف علماً من العلوم أن يكون ذكياً بالفطرة .

واستخراج المعاني إنما هو بالذكاء لا بتعلم العلم .

فإذا اسكلت معرفة هذه الأركان وأتيت بها في كل كتاب بلاغي ذي شأن فقد استحققت حينئذ فضيلة التقدم ، ووجب لك أن تسمي نفسك كاتباً .

(عن « المثل السائر » باختصار)

كيفية نظم الكلام

إذا أردت أن تصنع كلاماً فأخطِر معانيه ببالك، وتنق له كرائم اللَّفْظ، واجعلها على ذِكْرِكَ مِنْكَ ليقربَ عليكَ تتأولها ولا يتعبك تطلبها، واعمله ما دُمْتَ في شبابِ نشاطك، فإذا غشيك الفتورُ وتحوّلك الملالُ فأمسك، فإن الكثيرَ مع الملالِ قليلٌ، والنفيسَ مع الضجرِ خسيسٌ، والخواطرَ كالينابيع يُسقى منها شيءٌ بعد شيءٍ، فتجد حاجتك من الرئي، وتنالُ أربك من المنفعة فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها وقسلَ عنك عناؤها. واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومك الأطولُ بالكُدِّ والمطالبةِ والمجاهدةِ والتكثفِ والمعاودة. وإياك والتوَعُّرُ، فإن التوَعُّرَ يسلمك إلى التعقيدِ والتعقيدُ هو الذي يَسْتَهْلِك معانيك ويشينُ ألفاظك.

وَمَنْ أَرَادَ مَعْنَى كَرِيماً فَلْيَلْتَمَسْ لَهُ لَفْظاً كَرِيماً، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ اللَّفْظَ الشَّرِيفَ.

فإذا لم تجدِ اللفظةَ واقعةً موقعها صائرةً إلى مستقرّها حالةً في مركزِها متصلةً بسلكها، بل وجدتها قلقةً في موضعها نافرةً عَنْ مكانها فلا تُكْرِهْهَا على اغتصاب الأماكِنِ والنزولِ في غيرِ أوطانها، فَإِنَّكَ إِن لَمْ تَتَعَاطَ قَرِيضَ الشَّعْرِ المنظومِ وَلَمْ تَتَكَلَّفِ اخْتِيَارَ الْكَلَامِ الْمُنْثَوْرِ، لَمْ يَعْينِكَ بِذَلِكَ أَحَدٌ.

وإن تكلّفتَه ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا مُحْكماً لشأنك بصيراً، عابك من أنت أقل عيباً منه، وزرى عليك من هو دونك.

فإن لم تسمَحْ لك الطَّبِيعَةُ بنظم الكلام في أوّلِ وهلةٍ، وتعصّى عليك بعد إجماله الفكرة، فلا تعجل، ودعه سحابةَ يَوْمِكَ ولا تضجر، وأمهله سَوَادَ لَيْلَتِكَ وعأوده عند نشاطك، فإنك لا تعدّمُ الإجابةَ والمؤااة، فإن تَنَسَّعَ عليك بعد ذلك - مع ترويحِ الخاطرِ وطولِ الإمهال - فتحول

من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك وأخفها عليك : فإنك لم تشتهها إلا وبينكما نسب .
والشيء لا يحن إلا إلى ما شاكله .

وينبغي أن تعرف أقدار المعاني ، فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين وبين أقدار الحالات ، فتجعل لكل طبقة كلاماً ، ولكل حال مقاماً ، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات .
(من « كتاب الصناعتين » باختصار)

الطريق إلى تعلم الكتابة

إن الطريق إلى تعلم الكتابة على ثلاث شعب :

الأولى : أن يتصفح الكاتب كتاب المتقدمين ، ويطالع على أوضاعهم في استعمال الألفاظ والمعاني ، ثم يحدو حدوهم : وهذه أدنى الطبقات عندي .
والثانية : أن يمزج كتاب المتقدمين بما يستجيده لنفسه من زيادة حسنة ، إما في تحسين ألفاظ ، أو في تحسين معاني ، وهذه هي الطبقة الوسطى ، وهي أعلى من التي قبلها .

والثالثة : أن لا يتصفح كتاب المتقدمين ، ولا يطلع على شيء منها ، بل يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم وعدة من دواوين فحول الشعراء ممن غلب على شعره الإجادة في المعاني والألفاظ . ثم يأخذ في الاقتباس ، فيقوم ويقع ويخطئ ، ويصيب ويضل ويهتدي حتى يستقيم على طريقة يفتتحها لنفسه ، وأخلق بتلك الطريق أن تكون مبتدعة غريبة لا شركة لأحد من المتقدمين فيها . وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعد إماماً في فن الكتابة ، إلا أنها مستورة جداً ، ولا يستطيعها إلا من رزقه الله لساناً هجاءاً وخطراً رقماً . ولا أريد بهذه الطريق أن يكون الكاتب مرتباً في كتابته بما يستخرجه من القرآن

الكريم والشعر ، بحيث 'إنه' لا 'ينشئ' كتاباً إلا 'من' ذلك ، بل 'أريد' أنه إذا حفظ القرآن وأكثر من حفظ الأشعار ثم نقب عن ذلك تنقيباً مطّلع على معانيه مفتشاً عن دوائيه وقلبه 'ظهِراً' لبطن عرف حينئذ من أين تؤكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه ، واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية .
(عن « المثل السائر » باختصار)

كيفية تهذيب الكلام وأوقات تأليفه

تهذيب الكلام : عبارة عن تردّد النظر فيه بعد عمله - نظماً كان أو نثراً - وتغيير ما يجب تغييره ، وحذف ما ينبغي حذفه وإصلاح ما يتعين إصلاحه ، وتحرير ما يدق من معانيه ، وإطراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ ألفاظه ، لتشرق شمس التهذيب في سماء بلاغته ، وترشّف الأسماع على الطرب رقيق سلافته ، فإن الكلام إذا كان موصوفاً بالمهذب ، منعوتاً بالمنقّح ، علت رتبته وإن كانت معانيه غير مبتكرة ، وكل كلام قيل فيه : لو كان موضع هذه الكلمة غيرها ، ولو تقدّم هذا المتأخّر وتأخّر هذا المتقدم أو لو تمّ هذا النقص بكذا ، أو لو حذفت هذه اللفظة ، أو لو اتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلب لكان الكلام أحسن والمعنى أبين - كان ذلك الكلام غير منتظم في نوع التهذيب .

وكان زهير بن أبي سلمى معروفاً بالتنقيح والتهذيب ، وله قصائد تعرف بالحوليات - قيل : إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، ويهذبها وينقّحها في أربعة أشهر ، ويعرضها على علماء قبيلته أربعة أشهر ، ولهذا كان الخليفة عمر بن الخطاب - مع جلالته في العلم ، وتقدمه في النقد - يقدمه على سائر الفضول من طبقة .

وما أحسن ما أشار أبو تمام إلى التهذيب بقوله :
خذها ابنة الفكسر المهذب في الدجى والليل أسود رقعة الجلباب

فإنه 'خصّ تهذيب الفكر بالدّجى لكون الليل تهدأ فيه الأصوات وتسكن الحركات ، فيكون الفكر فيه مجتمعاً ومِرآة التهذيب فيه صقيلة ، لخلو الخاطر وصفاء القريحة ، لاسيا وسط الليل .

قال أبو عبادة البُخترى : كنت في حديثي أروي الشّعْر ، وكنت أرجع فيه إلى طبع سليم ، ولم أكن وقفت له على تسهيل مأخذٍ ووُجوهٍ اقتضاب حتى قصدت أبا تمامٍ وانقطعتُ إليه واتسكتُ في تعريفه عليه ، فكان أوّل ما قال لي : يا أبا عبادة ، تخيّر الأوقات وأنت قليلُ الغُموه ، صِفْ من الغُموه .

واعلم أن العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيءٍ أو حفظه أن يختار وقت السحر — وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عليها ثقل الغذاء ؛ واحذر المجهول من المعاني وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الوحشية وناسب بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام ، وكن كأنك خياطٌ 'تقدّر' الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ولا تنظم إلا بشهوة ، فإن الشهوة نعم المعين على حسن النظم ، وجملة الحال : أن تعتبر شعرك بما سلف من أشعار الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبّحوه فاجتنبه .

(عن « خزانة الأدب — وزهر الآداب » باختصار)

محاسن الإنشاء ومعايه

إنّ للنثر محاسن ومعايه ، يجب على المُنشئ أن يفرق بينهما 'محتزاً' استعمال الألفاظ الغريبة ، وما يخلّ بفهم المراد ويوجب صعوبته — ولا بد من أن يحمل الألفاظ تابعة للمعاني دون العكس ، لأن المعاني إذا تركت على سجيّتها

طلبتُ لأنفسها ألفاظاً تليقُ بها فيحسنُ اللفظُ والمعنى جميعاً ، وأما جعلُ الألفاظِ متكلفةً والمعاني تابعةً لها ، فهو شأن من لهم شغفٌ بإيراد شيءٍ من المحسنات اللفظية فيصرفون العناية إليها ، ويجعلون الكلام كأنه غير مسوقٍ لإفادة المعنى ، فلا يُبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعنى .

ومن أعظم ما يليق بمن يتعاطى الإنشاء أن يكتب ما يُراد لا ما يُريد ، كما قيل في الصاحب والصابيء : ان الصابيء يكتب ما يُراد ، والصاحب يكتب ما يُريد .

(عن « آدابُ المثنى » ببعض تصرف)

فصاحة الألفاظ ومطابقتها للمعاني

فصاحة الألفاظ تكون بثلاثة أوجه :

الأول : مجانبةُ الغريب الوحشيِّ حتى لا يمجَّه سَمْعٌ ، ولا ينفر منه طَبْعٌ .
والثاني : تنكبُ اللفظِ المبْتَدَلِ ، والبعد عن الكلام المسترذل حتى لا يستفسطه خاصيُّ ، ولا ينبو عنه فهمٌ عاميُّ ، كما قال الجاحظ في كتابِ البيانِ :
أما أنا فلم أرَ قوماً أمثلَ طريقةً في البلاغةِ من الكتابِ ؛ وذلك أنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً عامياً .

والثالثُ : أن يكونَ بينَ الألفاظِ ومعانيها مُناسبةٌ ومُطابقةٌ .

أما المطابقةُ : فهي أن تكونَ الألفاظُ كالقوالب لمعانيها فلا تزيد عليها ولا تنقصُ عنها .

وأما المناسبةُ : فهي أن يكونَ المعنى يليقُ ببعض الألفاظِ — إما لعُرْفٍ مستعملٍ ، أو لاتِّفاقٍ مستحسنٍ — حتى إذا ذُكرت تلك المعاني بغير تلك

الألفاظ كانت نافرة عنها، وإن كانت أفصح وأوضح لاعتماد ما سواها .
(عن « أدب الدين والدنيا » باختصار)

حقيقة الفصاحة

اعلم أن هذا موضوع متمدّر على الوالج ، ومسلك متوعّر على الناهج ، ولم تزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرّون القول فيه والبحث عنه ، ولم أجِدْ من ذلك ما يعمّل عليه إلا القليل ، وغاية ما يقال في هذا الباب : إن الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي - يقال : أفصح الصبح إذا ظهر ، ثم إنهم يَقِفون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه ، وبهذا القول لا تتبين حقيقة الفصاحة ، لأنه يُعترض عليه بوجوه من الاعتراضات :

أحدها : إذا لم يكن اللفظ ظاهراً بيّناً لم يكن فصيحاً ثم إذا ظهر وتبين صار فصيحاً .

الوجه الثاني ، أنه إذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البيّن فقد صار ذلك بالنسب والإضافات إلى الأشخاص ؛ فإن اللفظ قد يكون ظاهراً لزيد ولا يكون ظاهراً لعمّار ، فهو إذاً فصيح عند هذا ، وغير فصيح عند ذاك ؛ وليس كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الأحوال ولأنه إذا تحقّق حدّ الفصاحة وعُرف ما هي ، لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف .

الوجه الثالث : أنه إذا جيء بلفظ قبيح ينسب عنه السّمع وهو مع ذلك ظاهر بيّن ينبغي أن يكون فصيحاً ، وليس كذلك لأن الفصاحة وصف حسن للفظ لا وصف قبيح .

ولما وقفت على أقوال الناس في هذا الباب ملكتني الحيرة فيها ،

ولم يثبتْ عندي منها ما أُعَوِّلُ عليه ، ولكثرةِ مُلابستي هذا الفنَ ومُعاركتي
إياهُ ، انكشفَ لي السِّرُّ فيه - وسأوضحُه في كتابي هذا وأحققُ القولَ
فيه فأقولُ :

إنَّ الكلامَ الفصيحَ هو الظاهرُ البَيِّنُ ، وأعني بالظاهر البَيِّنُ : أن تكونَ
الفاظه مفهومةً لا يُحتاجُ في فهمها إلى استخراجِ لُغَةٍ .

وانما كانتْ بهذه الصفةِ لأنها تكونُ مألوفةً الاستعمالِ بين أربابِ النظم
والنثر دائرةً في كلامهم ، وانما كانتْ مألوفةً الاستعمالِ دائرةً في الكلامِ دون
غيرها من الألفاظِ لمكانِ حُسْنِها ، وذلك أنَّ أربابَ النظم والنثر غرِبُوا
اللغةَ باعتبارِ ألفاظها ، وسبَرُوا وقَسَمُوا ، فاخترُوا الحسنَ من الألفاظِ
حتى استعملوه وعلموا القبيحَ منها فلم يستعملوه ، فحسنُ الاستعمالِ سببُ استعمالِها
دُونَ غيرها ، واستعمالها دُونَ غيرها - سببُ ظُهورها وبيانها ؛ فالفصيحُ
إذاً مِنَ الألفاظِ هو الحسنُ .

فإن قيلَ : مِن أيِّ وجهٍ علِمَ أربابُ النظم والنثر الحسنَ مِنَ الألفاظِ
حتى استعملوه ، وعلموا القبيحَ منها حتى نَقَوْهُ ، ولم يستعملوه ؟ قلتُ في
الجوابِ : إنَّ هذا من الأمورِ المحسوسة التي شاهدوها من نفسها ؛ لأنَّ
الألفاظَ داخلةً في حيزِ الأصواتِ ، فالذي يستلذه السَّمْعُ منها ويميلُ إليه
هو الحسنُ والذي يكرهه وينفِرُ عنه هو القبيحُ . ألا ترى أنَّ السَّمْعَ
يستلذُّ صَوْتِ البُلْبُلِ من الطيرِ وصَوْتِ الشَّجَرِ ويميلُ إليهما ، ويكرهُ
صَوْتِ الغرابِ وينفِرُ عنه ؟ وكذلك يكرهُ نقيقَ الحِمَارِ ، ولا يجدُ ذلك في
صهيلِ الفرسِ ؟ والألفاظُ جاريةٌ هذا المجرى ، فإنه لا خلافُ في أنَّ
لفظةَ المِزْنَةِ والدَّيْمَةِ حسنةٌ يستلذُّها السَّمْعُ ، وأنَّ لفظةَ البُعَاقِ
قبيحةٌ يكرهها السَّمْعُ ، وهذه اللفظَاتُ من صفةِ المطرِ ، وهي تدلُّ على

معنى واحد ، ومع هذا فإنك ترى لفظي المزنّة والدّيمة وما جرى مجراهما مألوفتي الاستعمال — وترى لفظ البعاق ، وما جرى مجراه متروكاً لا يُستعمل ، وإن استعمل فإنما يستعمله جاهلٌ بحقيقة الفصاحة ، أو مَنْ ذوّقه غير ذوّقٍ سليم .

ولا جرم أنه ذمّ وقُدح فيه ولم يلتفت اليه وكان عربياً محضاً من الجاهلية الأقدمين ؛ فإن حقيقة الشيء إذا عُلِمَتْ وجب الوقوفُ عندها ولم يُعرّج على ما خرج عنها .

(عن « ابن الأثير » باختصار)

الانسجام

الانسجام لغة : جريان الماء ، وعند أهل البلاغة هو أن يأتي النساظمُ أو النثر بكلامٍ خالٍ من التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي بسيطاً مفهوماً دقيقاً الألفاظِ جليلاً المعنى ، لا تكلف ولا تعسف فيه ، يتحدّرُ كتحدّرِ الماء المنسّجِم ، فيكادُ لسهولة تركيبه ، وعذوبة ألفاظه ، أن يسيل رقةً .

ولا يكونُ ذلك إلا في مَنْ هو مطبوعٌ على سلامة الذّوق ، وتوقّد الفكرة وبراعة الإنشاء وحُسْن الأساليب .

وإنّ فحول هذا الميدانِ ما أنقلوا كاهل سهولته بنوعٍ من أنواعِ البديعِ ، اللهم إلا أن يأتي عفواً من غير قصد .

وعلى هذا أجمع علماءُ البديع في حدّ هذا النوع ، فإنهم قرروا أن يكون بعيداً عن التصنع ، خالياً من الأنواعِ البديعيةِ إلا أن يأتي في ضمنِ السّهولة من غير قصدٍ ، فإن كان الانسجامُ في النثر تكونُ أغلب فقراته موزونةً من غير

قصدي ، وإن كان في النظم فتكاد الأبيات أن تسيل رقةً وعدوبةً ورُبما دخلت في المُطَرِّب المرقص .

(عن « بديعة العميان وبديعة الحموي »)

حلُّ الشعر

حلُّ الأبيات الشعريَّة إلى ثلاثة أقسام :

الأوَّل منها وهو أدناها مرتبةً أن يأخذ الناثر بيتاً من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة ، وهذا عيبٌ فاحشٌ . ومثاله كمن أخذ عقداً قد اتقنَ نظمهُ وأحسنَ تأليفهُ فأواههُ وبدَّدهُ ، وكان يقوم عذرُهُ في ذلك أن لو نقلته عن كونه عقداً إلى صورة أخرى مثله أو أحسنَ منه ، وأيضاً فإنه إذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السُرقة ، فيقال هذا شعرُ فلان بعينه : لكون ألفاظه باقيةً لم يتغير منها شيء . وقد سلكَ هذا المسلكَ بعض العراقيين فجاء مُستَهجنًا ، كقوله في بعض أبيات الحماسة :

وَأَلَدُّ ذِي حَنْقٍ عَلِيٌّ كَأَنَّا تَغْلِي عداوةَ صدرِهِ في مرَّجَلٍ
أَزْجِيَّتُهُ عَنِّي فَأَبْصُرْ قصْدَهُ وكُوَيْتُهُ فَوْقَ النَوَاطِرِ مِنْ عَلٍ

فقال في نثر هذين البيتين : « فكَم لقي ألدُّ ذا حَنْقٍ كأنه ينظر إلى الكواكب من عَلٍ ، وتغلي عداوة صدره في مرَّجَلٍ ، فكواه فوق ناظريه وأكبهُ لغمه ويديه » . فلم يزد هذا الناثرُ على أن أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير .

ومن هذا القسم ضربٌ محمودٌ لا عيبَ فيه : وهو أن يكون البيتُ من الشعر قد تضمَّن شيئاً لا يمكن تغيير لفظه فحينئذٍ يُعذرُ ناثره إذا أتى بذلك اللفظ وكذلك الأمثالُ السائرةُ فإنه لا بدُّ من ذكرها على ما جاءت في الشعر .

وأما القسم الثاني - وهو وسط بين الأول والثالث في المرتبة - فهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ، ويعبر عن البعض بألفاظ آخر - وهناك تظهر الصنعة في المماثلة والمشابهة ، ومؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المترجلة . فإنه إذا أخذ لفظاً لشاعر مجيد ، قد نقشه وصححه فقرنه بما لا يلائمه ، كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة ، ولا خفاء بما في ذلك من الانتصاب للقدح والاستهفاف للطعن . والطريق السلوك إلى هذا القسم : أن تأخذ بعض بيت من الأبيات الشعرية هو أحسن ما فيه ثم تماثله .

وسأورد هنا مثالا واحداً - ليكون قدوة للمتعلم - فأقول : قد ورد هذا البيت من شعر أبي تمام في وصف قصيدة له :

خذاء تملأ كل أذن حكمةً وبلاغةً وتدر كل ويريد

فقله (تملأ كل أذن حكمةً) من الكلام الحسن ، وهو أحسن ما في البيت فإذا أردت أن تنثر هذا المعنى فلا بد من استعمال لفظه بعينه ، لأنه في الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة . فعليك حينئذ أن تؤاخيه بمثله .

وهذا عسير جداً ، وهو عندي أصعب منالاً من نثر الشعر بغير لفظه ، لأنه مسلك ضيق لما فيه من التعرض للمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة . وأما نثر الشعر بغير لفظه فذلك يتصرف فيه فائز على حسب ما يراه ، ولا يكون مقيداً فيه بمثل يضطر إلى مؤاخاته . وقد نثرت هذه الكلمات المشار إليها وأتيت بها في جملة كتاب فقلت : وكلامي قد عرف بين الناس واشتهر ، وفاق مسير الشمس والقمر ، وإذا عرف الكلام صارت المعرفة له علامة وأمين من سرقة إذ لو سرق لدلت عليه الوسامة - ومن خصائص صفاته أن يملأ كل أذن حكمةً ، ويجعل فصاحة كل لسان عجمة . وإذا جرت نفثاته في الأفهام ، قالت : أهذه بنت فكرة أم بنت كرمية ؟

فانظر كيف فعلت في هذا الموضع، فلاني [حين] أخذت تلك الكلمات من البيت الشعري التزمت بأن أواخيها بما هو مثلها أو أحسن منها، فبحث بهذا الفصل كما تراه، وكذلك ينبغي أن يفعل في ما هذا سبيله.

وأما القسم الثالث - وهو أعلى من القسمين الأولين - فهو أن يأخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه. ومن ثم يتبين حذق الصائغ في صياغته ويعلم مقدار تصرفه في صناعته، فإن استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية، وإلا أحسن التصرف وأتقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول.

واعلم أن من أبيات الشعر ما يتسع المجال لناثره فيؤرد به بضروب من العبارات، وذلك عندي شبيه بالمسائل السئلة في الحساب التي يجاوز عنها بعدة من الأجوبة. ومن الأبيات ما يضيق فيه المجال حتى يكاد الماهر في هذه الصناعة أن لا يخرج من ذلك اللفظ، وإنما يكون هذا لعدم النظير. فأما ما يتسع المجال في نثره فكقول أبي الطيب المتنبي:

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه

وقد نثرت هذا المعنى، فمن ذلك قولي: لا تعذل المحب في ما يهواه حتى تطوي القلب على ما طواه. ومن ذلك وجه آخر، وهو: إذا اختلفت العينان في النظر فالعذل ضرب من الهذر، وأما ما يضيق فيه المجال فيعسر على الناثر تبديل ألفاظه - كقول أبي تمام:

تردي ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر

قصد أبو تمام: المؤاخاة في ذكر لوني الثياب من الأحمر والأخضر، وجاء ذلك واقعاً على المعنى الذي أراده من لون ثياب القتل وثياب الجنة، وهذا البيت لا يمكن تبديل ألفاظه - وهو وأمثاله - مما يجب على الناثر أن يحسن

الصنعة في فكّ نظامه لأنه يتصدّى لنثره بألفاظه ، فإن كان عنده قوة تصرفٍ ، وبسطة عبارةٍ ، فإنه يأتي به حسناً رائعاً .

وقد قلت في نثره : لم تكنسه المنايا نسج شفاها حتى كسته الجنة نسج شعارها فبدل أحمر ثوبه بأخضره ، وبكأس حمامه بكأس كوثره .

وإذا انتهى بنا الكلام إلى ههنا في التنبيه على نثر الشعر ، وكيفية نثره ، وذكر ما يسهل منه ، وما يعسر ، فلننتبع ذلك بقول كُتبي في هذا الباب فنقول :

من أحب أن يكون كاتباً أو كان عنده طبعٌ مجيبٌ ، فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ، ولا يقنع بالقليل من ذلك ، ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته .

وطريقه أن يبتدىء فيأخذ قصيداً من القصائد فينثره بيتاً بيتاً على التوالي . ولا يستنكف في الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها فإنه لا يستطيع إلا ذلك .

وإذا مرنت نفسه ، وتدرّب خاطره ، ارتفع عن هذه الدرجة ، وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ، ثم يرتفع عن ذلك فيكسوه ضرباً من العبارات المختلفة ، وحينئذ يحصل لخاطره بباهرة المعاني لِقاحٌ فيستنتج منها معاني غير تلك المعاني .

وسيله : أن يكثر الإدمان ليلاً ونهاراً ، ولا يزال على ذلك مدة طويلة حتى يصير له ملكة ؛ فإذا كتب كتاباً أو خطب خطبة تدفقت المعاني في أثناء كلامه وجاءت ألفاظه معسولة ، وكان عليها جدّة حتى تكاد ترقص رقصاً - وهذا شيء خبرته بالتجربة ، ولا ينبغي شك مثله خير .

(عن « المثل السائر » باختصار)

التخلص والاقتضاب في مواضيع الإنشاء

التخلص : هو أن يأخذَ مؤلف الكلام في معنىٍّ من المعاني ، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الأول سبباً إليه ، فيكونُ بعضُهُ آخذاً برقاب بعض من غير أن يقطعَ كلامه ، ويستأنف كلاماً آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً ، وذلك بما يدلُّ على حذق الشاعر وقوّة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ، ويكون متبّعاً للوزن والقافية ، تتوابعه الألفاظ على حسب إرادته .

وأما النثر فإنه مطلق العنان يمضي حيث شاء ، فلذلك يشقُّ التخلصُ على الشاعر أكثر مما يشق على النثر ، ومما جاء من التخلصات الحسنة قول المتنبي المتوفى سنة ٣٤٤ هـ :

خليليّ إنّي لا أرى غير شاعري فليمّ منهم الدعوى ومني القصائدُ
فلا تعجبا ؛ إن السيوف كثيرة ، ولكنّ سيف الدولة اليوم واحدٌ

وهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض ، ألا ترى أن الخروج إلى مدح الممدوح في هذه الأبيات كأنه أفرغ في قالب واحد ؟

والاقتضاب : أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ، ويستأنف كلاماً آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون للثاني علاقة بالأول : كقول أبي نواس - المتوفى سنة ١٩٨ هـ - في قصيدته الثنوية التي لم يكملَ حسنّها بالتخلص من الغزل إلى المديح ، بل اقتضبه اقتضاباً ؛ فبينما هو يصف الخمر يقول :

فاسقني كأساً على عدلٍ	كرهتُ مسموعه أذني
من كُميتِ اللّون صافية	خير ما سَلستَ في بدني
ما استقرت في فؤاد فتى	فَدَرى ما لوعة الحزن

حتى قال :

تَضَحُّكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْآثَارِ وَالسُّنَنِ
سَنَ لِلنَّاسِ النَّسْدَى فَنَدَوَا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ

وإذا لم يحسن التخلص ، بأن كان قبيحاً ممسوخاً فلا اقتضاب أولى منه .
فينبغي لسالك هذه الطريقة أن ينظر إلى ما يصوغه ، فإن أتاها التخلص
حسناً كما ينبغي ، وإلا فليدعه ولا يستكرهه ، حتى يكون مثل هذا .
واعلم أن التخلص غير ممكن في كل الأحوال ، وهو من مستصعبات علم
البيان فليتدبر الشاعر ذلك .

(عن « المثل السائر » بتصرف)

كيفية افتتاح مواضيع الإنشاء وختمها

الافتتاح أن تجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرّسائل دالاً على المعنى المقصود
من ذلك الكلام : إن كان فتحاً ففتحاً ، وإن كان هناءً فهناءً ، أو كان عزاءً
فغزاءً وهكذا ، وفائدته أن يُعرف من مبدأ الكلام ما المراد منه ، فإذا نظم
الشاعر قصيدة — فإن كانت مديحاً صرفاً لا يختص بحادثة من الحوادث ، فهو
خير بين أن يفتتحها بغزل ، وبين أن يرتجل المديح ارتجالاً من أولها — كقول
القائل :

إِنْ حَارَتْ الْأَبَابُ كَيْفَ تَقُولُ فِي ذَا الْمَقَامِ فَعُذْرُهُمَا مَقْبُولُ
سَامِحٌ بِفَضْلِكَ مَا دَحِيكَ فَمَا لَمْ أَبْدَأْ إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَالْمُحْسِنُونَ إِذَنْ لَدَيْكَ قَلِيلُ

وأما إذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح مقفل ، أو هزيمة جيش
أو غير ذلك ، فإنه لا ينبغي أن يبدأ فيه بغزل ، ومن أدب هذا النوع أن لا يذكر
الشاعر في افتتاح قصيدة المديح ما يُتطير منه ، أو يُستقبح لاسيما إذا كان في التهنائي ،

فإنه يكون أشد قبجحا، وإنما يُستعمل في الخطوب النازلة، والنوائب الحادثة، ومق كان الكلام في المديح مفتتحا بشيء من ذلك، تَطْيِيرُ منه سامعه، وإنما خُصَّتْ الابتداءات بالاختيار لأنها أوّل ما يَطْرُقُ السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استعماله، والختام: أن يكون الكلام مؤذنا بتمامه، بحيث يكون واقعا على آخر المعنى، فلا ينتظر السامع شيئا بعده؛ فعلى الشاعر والناثر أن يتأنقا فيه غاية التأنق، ويؤجودا فيه ما استطاعا لأنه آخر ما ينتهي إلى السمع، ويترددُ صدهُ في الأذن، ويعلقُ بجواشي الذّكر فهو كقطع الشراب، يكون آخر ما يمرّ بالقلم، ويُعرَضُ على الذّوق، فيتشعرُ منه بما لا يشعرُ من سواه، ولذلك ينبغي أن يكون الختام مميّزا عن سائر الكلام قبله بنكتة لطيفة أو أسلوب رشيق أو معنى بليغ، ويختار له من اللفظ الرقيق الحاشية، الخفيف الحمل على السمع والسهل الورود على الطّبع، ويتجافى به عن الإسهاب والتعقيد والثقل، وغير ذلك، وحكم الختام كما سبق أن يكون مؤذنا بتمام الكلام بحيث يكون واقعا على آخر المعنى فلا ينتظر السامع شيئا بعده، وإذا لم يكن المعنى دالّا بنفسه على الختام حسن أن يُدَلَّ عليه بكلام آخر، يُذكر عقيب الفراغ من سياقه الأغراض السابقة، وحكمه أن يكون منزعجا مما سبقه فيُفتى به تقريراً لشيء من الأغراض أو إجمالاً ليفصلها، مُورداً على وجه من وجوه البلاغة، أو الكلام الجامع، أو نخرج المثل، أو الحكمة، أو ما شاكل ذلك، بما تعلقه الخواطر وثقيده الأذهان، كقول المتنبي المتوفى سنة ٣٤٤ هـ:

وما أخُصُّكَ في بُرٍّ بِتَهْنِئَةٍ إِذْ اسَلَمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وكقول الزّخشي المتوفى سنة ٥٢٨ هـ في ختام إحدى مقالاته: «إن الطيش في الكلام يُترجم عن خيفة الأحلام، وما دخل الرّفق شيئا إلا زانه، وما زان المتكلم إلا الرّزّانة».

وأما في غير ذلك، فالأكثر فيه أن يُضْمَنَ غرضاً آخر من الدعاء، أو عَرَض النفس على خدمة المكتوب إليه، أو توقُّع الجواب منه، أو غير ذلك ممَّا تحتمله مقامات الكلام، وتقتضيه دواعي الحال.

وأكثر ما يختمونها في النثر بعد الأغراض المذكورة بقولهم: «إن شاء الله» أو «بِنَّ الله وفضله» وما أشبه ذلك.

وكثيراً ما يختم النثر بقوله: «والسلام» أو «بلا حول ولا قوة إلا بالله» أو بقوله: «والله المستعان» أو بقوله: «والحمد لله أولاً وآخراً، باطناً وظاهراً» أو بقوله: «والله أعلم» أو غير ذلك.

وربما ختم بمَثَلٍ، كختم الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ رسالته بقوله: «ولقد سلك الأمير من الكرم طريقاً يستوحش فيها لقلبة سالكها، ويتيه في قفارها لدروس آثارها، وانهدام منازلها، أعانه الله على صعوبة الطريق، وقلبة الرفيق، وألمه صبراً يهون عليه احتمال المغارم، ويقرّب عليه مسافة المكارم».

فبالصبر تنال العلا، وعند الصباح يُحمد السرى.

ومن أمثلته في الشعر قول ابن الوردي المتوفى سنة ٥٧٤٩ هـ:

سلامٌ عليكم ما أحبّ وصالكم وغايةُ مجهودِ المقلِّ سلام

تقسيم الإنشاء إلى فني النظم والنثر

اعلم أن لسان العرب وكلامهم يدور على فنين: فن الشعر المنظوم، وهو الكلام المُقَفَّى الموزون بأوزان مخصوصة، وفن النثر، وهو الكلام غير الموزون، فأما الشعر فنه المدح والهجاء، والرثاء، وأما النثر فنه ما يؤتى به قطعاً، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة، ويسمى سجعاً، وهو ثلاثة أقسام: القسم الأول: أن يكون

الفصلان 'متساويين' ، لا يزيد أحدهما على الآخر ؛ كقوله تعالى : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ » ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ » ، وهو أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه ، والقسم الثاني أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول ، لا طويلاً يخرج به عن الاعتدال خروجاً كبيراً ، فإنه يفسح عند ذلك ، ويستكره ، ويعد عيباً . فمما جاء من ذلك قوله تعالى : « بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَوْهُمُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهُمْ تَغَيِّطًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَا لَكَ ثُبُورًا »^١ ، فالفصل الأول ثمان لفظات ، والثاني والثالث تسع تسع . ويستثنى من هذا القسم : ما كان من السجع على ثلاث فقر ؛ فإن الفقرتين الأولتين تحسبان في عدة واحدة ، ثم تأتي الثالثة ، فينبغي أن تكون طويلة طويلاً يزيد عليها ، وقد تكون الثلاث متساويات ، كقوله تعالى : « فِي سِدْرٍ^٢ مَخْضُودٍ^٣ وَطَلْحٍ^٤ مَنْضُودٍ^٥ وَظِلٍّ^٦ مَمْدُودٍ^٧ . » . والقسم الثالث أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول وهو عيب فاحش^٨ . وأما النثر المرسل^٩ ، فهو ما يؤتى به قطعاً من غير تقيّد بقافية ولا غيرها ، وهو الذي يُطلَقُ فيه الكلام إطلاقاً ، ولا يُقَطَّعُ أجزاءً ، بل يُرْسَلُ إرسالاً من غير تقيّد بقافية .

(من « المثل السائر » باختصار)

(١) ويلا . (٢) شجر النبق .

(٣) مقطوع شوكة . (٤) الموز .

(٥) متراكم بعضه فوق بعض .

(٦) للسجع أربعة شروط : اختيار المفردات الفصيحة واختيار التأليف

الفصيح وكون اللفظ تابعاً للمعنى لا عكسه — وكون كل واحدة من الفقرتين أو

الفقر دالة على معنى لئلا يصبح الكلام طويلاً معيباً .

كيفية عمل الشعر

اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته 'شروطاً :

أولها : الحفظ^١ من جنسه - أي من جنس شعر العرب - حتى تنشأ في النفس ملكة يندرج على متوالها ، ويُتخيرُ المحفوظُ من 'الحُرِّ النقي الكثير الأساليب' ، وهذا المحفوظ المختارُ أقلُّ ما يكفي فيه شعرُ شاعر من فحول الإسلام ، مثل : ابن أبي ربيعة^٢ ، وكثير ، وذو الرمة ، وجري ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري ، والشريف الرضي ، وأبي فراس ، وأكثره شعرُ « كتاب الأغاني » ، لأنه جمع شعرَ أهل الطبقة الإسلامية كله ، والمختار من شعر الجاهلية .

ثم لا بُدَّ له من الخلوة واستجادة المكان المنظوم فيه ، بإشتماله على مثل المياه والأزهار ، وكذا استجادة المسموع ، لاستنارة القريحة باستجماعها ، وتنشيطها بملادة السُرور . ثم مع هذا كله ، فشرطه أن يكون على جام^٣ ، ونشاط ، فذلك أجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي يساعد في حفظه ، قالوا : وخيرُ الأوقات لذلك أوقات البُكر^٤ عند الهبوب من النوم ، وفراغ المعدة ، ونشاط الفكر ، وربما يكون من بواعثه العشق

(١) ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر رديء - ولا يعطيه الرونق والخلوة إلا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعرواً إنما هو نظم ساقط . واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ . ثم بعد الامتلاء من الحفظ ، وشحذ القريحة للنسج على المنوال ، يقبل على النظم وبالإكثار منه تستحكم الملكة وترسخ . وربما يقال : إن من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحي رسومه الحرفية الظاهرة ، إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها . فإذا نسيها ، وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب فيها كأنه منوال يأخذ في النسيج عليه بمثلها من كلمات أخرى ضرورة .

(٢) الراحة . (٣) جمع بكرة وهو الصباح ووزانه غرفة وغرف

والانتشاء. قالوا: فإن استصعب عليه بعد هذا كله، فليتركه إلى وقت آخر، ولا يُكره نفسه عليه، وليكن بناء البيت على القافية من أول صوغه ونسجه، ينضعها ويبني الكلام عليها إلى آخره، لأنه إن غفل عن بناء البيت على القافية صعبَ وضعها في محلها، فربما تجيء نافرة قلقة. وإذا سمحَ الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده، فليتركه إلى موضعه الأليق به، فإن كل بيت مستقل بنفسه، ولم تبق إلا المناسبة، فليتخير فيها كما يشاء، والسيراجع شعره بعد الخلاص منه، بالتنقيح^١ والتنقيد، ولا يضمن^٢ به على الترتيب إذ لم يبلغ الإجابة، فإن الإنسان مفتونٌ بشعره، إذ هو بنات فكره، واختراع قريحته، ولا يستعمل فيه الكلام إلا الأوضح من التراكيب، والخالص من الضرورات اللسانية، فليتهجرها فإنها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة، وقد حظرت أئمة اللسان على المولد^٣ ارتكاب الضرورة، إذ هو في سعة منها بالعدول عنها إلى الطريقة المثلى من الملكة، ويحتنب أيضاً المعقّد من التراكيب جهده، بحيث تكون ألفاظه على طبق معانيه تسابق ألفاظه إلى الفهم، ويحتنب أيضاً الحواشي من الألفاظ، والمقصر، وكذلك السوقى^٤ المبتذل، فإنه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً، فيصير مبتذلاً، ويقرب من عدم الإفادة، وفي هذا القدر كفاية^٥ لمتعاطي صناعة الإنشاء.

(عن « ابن خلدون » باختصار)

(١) بالتهذيب .

(٢) بفتح الضاد وكسرهما لا يبخل .

(٣) هو من وجد بعد اختلاط المعجم بالعرب كالعباس بن الأحنف ومن بعده .

فنون الإنشاء

'فنون الإنشاء سبعة' وهي : 'المكاتبات' ، و'المناظرات' ، و'الأمثال' ،
'الأوصاف' ، و'المقامات' ، و'الروايات' ، و'التاريخ'

الفن الأول

في المكاتبات والمراسلات

المكاتبة ، وتُعرف أيضاً بالمراسلة ، هي مخاطبة الغائب بلسان القلم. وفائدتها
أوسع من أن تُختصر من حيث أنها تُرجحانُ الجنان ، ونائب الغائب في قضاء
أوطاره ^١ ، ورباطُ الوداد مع تباعد البلاد . وطريقة المكاتبة هي طريقة
المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما ^٢ ،
وخواتمها خمس : السذاجة ، والجلاء ، والإيجاز ، والملاءمة ، والطلاوة ^٣ .
فالسذاجة : تجعلُ الكلامَ فطرياً سليماً من شوائب التكلف ، مُنزهاً عن
زخرف القول ، بعيداً عن بهرجة الكلام . والجلاء : هو العدولُ عن
الكلام المُغلق ، والتشابه المستبعد ، والتركيب الملتبس إلى الكلام
المهذب الصريح . والإيجاز : تنقيحُ الرسالة من حشو الكلام ، وتطويل
المجل ، فيبرزها وافيةً الدلالة على المقصود ، مقتصرةً على المحسنات القريبة

- (١) الحاجات . (٢) قال إبراهيم بن محمد الشيباني : إذا احتجت إلى مخاطبة
أعيان الناس أو أوساطهم أو سوقهم فخطب كلا على قدر أهله وجلالته وعلو مكانته
وانتباهه وفطنته . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن
ترعاها في مراسلتك . فلا تكتب لمن أصيب في ماله أو في عياله كما تكتب لمن فرغ به
ووفر ماله . وقال آخر : ان بلاغة الرسالة تستفاد من ملاحظة مقامات الكلام وأوقاته
ومراعاة أحوال المخاطبين بالنسبة إلى المتكلم - واعلم أن لكل مقام مقالاً .
(٣) بثلاث الطاء . (٤) مزوره . (٥) العدول عن الجادة المقصودة .

المنال^١، والملاءمة، تنزل الألفاظ والمعاني على قدر الكاتب والمكتوب إليه، فلا تعطى خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس خسيس الكلام، على أنها تجعل الرسالة وتعايرها مستعذبة الأوضاع، حسنة الارتباط، يأخذ بعضها بأزمة بعض، والطلاوة: تكسب الكلام رونقاً وإشراقاً بجودة العبارة، وسلامة المعاني، وسلاسة الألفاظ^٢، وتجعله بذلك أحسن موقعاً عند سامعه.

أبواب الرسائل

تنقسم الرسائل باعتبار موضوعها إلى ثلاثة أقسام: الأول 'الرسائل الأهلية' والثاني 'الرسائل المتداولة'، والثالث 'الرسائل العلمية'.

الكلام على الرسائل الأهلية

الرسائل الأهلية — وتعرف برسائل الأشواق — هي ما دارت بين الأقارب والأصدقاء، وأسفرت^٣ عن مكنون، الوداد، وسرائر الفؤاد، ولا حرج على الكاتب إذا بسط فيها الكلام على أحواله، وأخفى السؤال في أحوال أصحابه. وتتفرد هذه الرسائل بأن يطلق الكاتب فيها العنان للأقلام، ويتجافى عن الكلفة، ويمدح عن الانقباض. وقد قيل: «الأنس يذهب المهابة، والانقباض يضيّع المودة». هذا، ولا بد من مراعاة مقتضى الحال، والاعتصام بركن الفطنة أخذاً بقول أبي الأسود الدؤلي:

لا ترسلن رسالة مشورة لا تستطيع إذا مضت إدراكها

(١) ولا يعد مناقضاً للإيجاز ما يستدعيه المقام من البسط في الموضوع: إما تعزيراً للمعنى وإما حذراً من الإبهام، أو دلالة على عواطف القلب، أو رغبة في تفكيكه الخواطر، قال الأقدمون: «خير الكلام ما قل ودل»، ولم يطل فيعمل.

(٢) سهولتها. (٣) كشف. (٤) مستور.

وإلى هذا الباب ترجع مكاتبات الشوق ، والتعارف قبل اللقاء ، والهدايا ، والاستعطاف ، والاعتذار وغير ذلك ولنذكر شذرات من أقوال الكتاب^١ .

الفصل الأول في الشوق

كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :

شوقي إليك رهين قلبي ، وقرين صدري ، والزعيم^٢ بتعليق فكري ،
وتفريق صبري ، وسيمير^٣ ذكرى ، وفنديم^٤ فكري ، زادي في سفري ، وعيتادي^٥
في حضري ، لا يستقل به صدري ولا يقوى عليه صبري ، يكاد يكون لزاماً
ويعد غراماً لا يرحل مقيمته ، ولا يصرف غريمه ، استخف نفسي واستفزها ،
وحرّك جوانحي وهزها ، شوقي أخذ بسمع خاطري وبصره ، وحال بين مؤرد^٦
قلبه ومصدره^٧ شوق قد استنفد جلدي^٨ وملك خلدي^٩ ، شوق براني برني
الخلال^{١٠} ، ومحقني بحق الهلال ، شوق تركني حرصاً^{١١} ، وأوسعني مضضاً^{١٢}
أراني الصبر حسرة ، والوجدينة ويسرة ، شوق يزيد الأيام^{١٣} توقداً وتأججاً ،
وتضرماً وتوهجاً ، نار الشوق حشو ضلوعي ، وماء الصبابة ملء جفوني ، أنا من
لواعج الشوق بين غنائم ؛ لا تقطر إلا صواعق وسائم^{١٤} ، قد قدبحت كبدي
من الحرقه بهذه الفرقة ، ما يفوت أيسره حد الشكاية ، ويجوز أضعفه كئنه
الكتابة ، شوق الروض الماحل^{١٥} إلى الغيث الهاطل .

-
- (١) قد أفردنا للرسائل الأهلية كتاباً خاصاً أسميناه (إنشاء المكاتبات العصرية والمراسلات العربية) وطبعناه عدة طبعات متوالية ، فارجع إليه إذا شئت ولهذا نختصر في هذا الكتاب أبواب الرسائل ونذكر ما تمس إليه الحاجة فقط (٢) الرئيس (٣) ما أعددت له حوادث الدهر (٤) موضع الورود (٥) الرجوع (٦) القوة (٧) القلب (٨) الضعف (٩) مريضاً (١٠) وجعا (١١) بضم الهمزة وكسرهما الدخان (١٢) الرياح الحارة (١٣) المجدب

وكتب في تشبيه الشوق :

ما الأعرابية حنّنتُ إلى نجد ، وأنّنتُ من وجد ، بأشدّ مني كلفاً^١ ،
وأتم منّي شغفاً ، أنا في شدة الشوق إليك كالعطشان كُشِفَ له عن ماءٍ عذب ،
ومُنِع منه بمنع صعب ، شوق لو فرّق على القلوب الخالية لاشتغلت ، ولو قُسّم
على الأكباد الباردة لاشتغلت ، أنا أشتاقك مع كلّ صباح طالع ، وضياء شارق
ونجم طارق^٢ .

وكتب في أثر الفراق :

وَجَدْتُ يَتَكَرَّرُ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ^٣ ، وَيَسْتَفِرُقُ سَاعَاتِ الْمَوَاقِينِ^٤ ، قَدْ تَحَمَّلْتُ
مَعَ يَسِيرِ الْفُرْقَةِ عَظِيمِ الْحَرْقَةِ ، وَمَعَ قَلِيلِ الْبُعْدِ ، كَثِيرَ الْوَجْدِ ، قَدْ انْتَشَيْتُ
بِحَسَمِ نَاحِلٍ ، وَصِرْتُ مِنْ صَبْرِي عَلَى مَرَاكِحٍ ، فَأَرْقُتَنِي^٥ وَفَرَقْتَ جَمِيعَ صَبْرِي
وَاسْتَصْحَبْتَ فَرِيقاً مِنْ قَلْبِي ، فَرَقْتَ بَيْنَ عَيْنِي وَالرُّقَادِ^٦ وَجَنِي وَالْمِهَادِ^٧ ، مَا أَعُولُ^٨
إِلَّا عَلَى الْعَوِيلِ^٩ لَوْ كَانَ يُغْنِي ، وَلَا أَسْتَنْصِرُ غَيْرَ الْوَجْدِ لَوْ كَانَ يُجِدِّي^{١٠} ، يَدَيَّ
لَا تُسَاعِدَنِي ، وَخَطَّتِي لَا يُشْبِهُ فِي الدَّقَّةِ إِلَّا بَدَنِي ، لَوْلَا حَصَانَةُ^{١١} الْأَجَلِ ،
لَخَرَجْتُ رُوحِي عَلَى عَجَلٍ ؛ فَأَرْقُتَنِي فَتَفَرَّقَ عَنِّي شَمْلُ^{١٢} أَنْسٍ مُنْتَظَمٍ ؛ وَتَمَكَّنَ مِنِّي
بَرَحُ شَوْقٍ مُضْطَرِّمٍ ؛ فَأَرْقُتَنِي فَفَرَقْتَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ ، وَتَرَكْتَنِي وَالنِّزَاعَ فِي
قَرْنِ^{١٣} ، قَدْ صِرْتُ حَلِيفَ وَحْشَةٍ وَإِنْ كُنْتَ ثَاوِيّاً^{١٤} فِي وَطْنٍ ، وَقَرِينَ كَرْبَةٍ
وَإِنْ كُنْتَ بَيْنَ جِوَرَةٍ وَسَكَنٍ .

عسى الدهر يُدْنِينَا وَيَدِينِي دِيَارَكُمْ^{١٥} وَيَجْمَعُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَالشَّمْلَا

-
- (١) كلفاً مصدر كلف من باب فرح: التغير (٢) الآتي ليلاً (٣) الليل والنهار
(٤) الليل والنهار أيضاً (٥) أسهرتني (٦) النوم (٧) مكان النوم
(٨) رفع الصوت بالبكاء (٩) ينفع (١٠) حفظ وهو مصدر
(١١) قرن وقرن من باب فرح التقى (١٢) مقياً .

فأشكوت باريح الغرام إليكُمُو وحرّ جوى 'يُبلي عِظامي وما يبلى

وكتب البسطامي المتوفى سنة ٣٣٢ هـ .

فَلَيْبِي بِنَارِ الْهَوَى 'مَعْدَبُ' شَوْقًا إِلَى حَضْرَةِ الْهَذَبُ

شَوْقًا إِلَى مَا جِدَّ كَرِيمٍ يَخْطُرُ لِي ذِكْرُهُ فَأُطْرَبُ

وبعدُ فالعبدُ ينهى من لَوَاقِحِ شَوْقِهِ ، وَلَوْ أَفْحَ ٢ تَوَقُّعِهِ ٣ ، إِلَى شُهُودِ
ذَاتِكُمُ الْجَمِيلَةِ ، وَمُسَاهَدَةِ صِفَاتِكُمُ الْجَلِيلَةِ ، لِيَنْشَقَّ عَرْفُكُمُ الْفَائِحِ ، وَيَجُورَ
عَرْفُكُمُ الْفَاتِحِ ، مَدَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ظِلُّكُمْ ، وَأَدَّرَ وَبَلِكُمْ ٤ وَطَلَّكُمْ ٥ .

أَحِبُّ الْوَعْدَ مِنْكَ وَإِنْ تَمَادَى وَأَقْنَعُ بِالْخَيَالِ إِذَا أَلَمَّا
عَسَى الْأَيَّامُ تَسْمَحُ لِي بِوَصْلِ وَتَأْخُذُ لِي مِنْ الْهَجَرِ أَنْ سَلَمَّا
وَالْجَنَابُ مِنْذُ طَوَى عَنَّا أَبْوَابَ مُلَاقَاتِهِ ، وَزَوَى مِنَّا أَطْيَابَ أَوْقَاتِهِ ،
قَبْضُ الْعَبْدُ عَنَّا مَقَالَهُ وَخَفَضَ لِسَانَ حَالِهِ :

شَكُوتُ وَمَا الشُّكُوتُ بِثَلِي عَادَةً ٦ وَلَكِنْ تَفِيضُ الْعَيْنِ عِنْدَ امْتِلَائِهَا

فَجَلَسَ الْفِرَاقُ بِعَظِيمِ حِجَابِهِ ، وَأَلِيمِ عَذَابِهِ ، عَلَى ذُرْوَةِ ٧ عَرْشِهِ ،
وَافْتَرَسَ بِقُوَّةِ بَطْشِهِ ، وَصَارَ لِلسَّرِّ جَارًا ، وَأَوْقَدَ لِلْحَرْبِ نَارًا جَهَارًا :

طَوْعًا لِقَاضٍ أَتَى فِي حَكْمِهِ عَجَبًا أَفْتَقَى بِسَقْفِكَ دَمِي فِي الْحُلِّ وَالْحَرَمِ

وهذه حالته ، المفصح عنها مقالته :

إِنْ الْأُمُورَ إِذَا التَّوَتْ ٨ وَتَعَقَّدَتْ جَاءَ الْقَضَاءُ مِنَ الْكَرِيمِ فَحَلَّهَا

(١) الرياح (٢) الرياح الحارة (٣) الشوق الطيب

(٤) الريح الطيبة (٥) نبت يقال له النام طيب الرائحة

(٦) المطر الكثير (٧) الندى (٨) بضم الذال وكسرهما أعلاه .

فلعلَّ يُسرّاً بعد عُسرٍ علَّها ولعلَّ مَنْ عَقَدَ العقودَ يحلَّها
فلعلَّ غروس التَّمَنِّي قد أثمرتْ ، وليالي الحظَّ قد أقمرتْ .
سألتُ أحبَّتي ما كان ذَنْبي أجابوني وأحشائي تَذُوبُ
إذا كان المُحِبُّ قليلَ حظٍّ فما حَسَنَاتُهُ إِلَّا ذُنُوبُ

فرعى الله أياماً لاحت^١ فيها أقنمار^٢ غُرُوزها وفاحت فيها أطراز
طرُوزها ، من بهاء سماءها ، على منار ضيائها ، من ذات جلالها ، وصفات دلالها ،
في جنَّات عواطفها وحنَّات تعاطفها .

فإن كنتُ لا أطرقُ^٣ رَحْبَ ، فِنائكم^٤ ، فقد أطرقُ بابَ ثنائكم :
لئن غيبتني عن ذُرَاكَ حَواثِ فليس ثنائِي عن فِناكَ بغائبٍ
وكتب عبد الرحمن محمد بن طاهر المتوفى سنة ٩٣١ هـ :

كتبْت - أعزُّكَ اللهُ - عن ضمير اندمَجَ^٥ على سِرِّ اعتقادك دُرُّهُ ،
وتبلجَ^٦ في أفق ودادك بدُرُّهُ ، وسالَ على صَفحات ثنائك مسكهُ ، و صار
في راحتي سنائك^٨ ملكهُ . ولما ظفرت بفلان حملته من تحتي زهراً جنيّاً ،
يوافيك عَرَفُهُ ذِكْياً ، ويؤاليك أنسه نجيّاً^٩ ، ويقضي من حقِّكَ فرضاً
مأتياً^{١٠} . على أن شخص جلالك لي مائل^{١١} ، وبين ضلوعي نازل^{١٢} ، لا يملِّسه
خاطر ولا يمسّه عرض دائر^{١٢} ، إن شاء الله عزَّ وجلَّ .

وكتب أبو الفضل بن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .^{١٣}
قد قرُبَ (أيدك اللهُ) بحلِّكَ على تراخيه ، وتَصاقَبَ مُستَقَرُّكَ على

(١) ظهرت (٢) مراده ما تخرجه الأغصان من النوار (٣) آتي ليلاً
(٤) المتسع (٥) بكسر الفاء متسع البيت (٦) خفي واستتر (٧) أضاء
(٨) رفعتك (٩) مناجيا (١٠) آتياً (١١) متمثل (١٢) هالك .
(١٣) حاذي وجاور .
(٤ - جواهر الأدب ١)

تنائييه ، لأنَّ الشَّوْقَ يُثَلِّكُ ، والذِّكْرُ يُخَيِّلُكَ ، فنحنُ في الظَّاهِرِ على افتراق ، وفي الباطنِ على تلاقٍ ، وفي النَّسَبَةِ مُتَبَايِنُونَ ، وفي المعنى متواصلون ، ولئن تَفَارَقَتِ الْأَشْبَاحُ لَقَدْ تَعَانَقَتِ الْأَرْوَاحُ .

وكتب بديع الزَّمانِ الهَمْدَانِي المتوفى سنة ٥٣٩٨ هـ :

بِعِزِّهِ عَلِيٍّ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ - أَنْ يَنْوِبَ فِي خِدْمَتِهِ قَلَمِي عَنْ قَدَمِي ، وَيَسْعِدَ بِرُؤْيَيْهِ رَسُولِي دُونَ وَصُولِي ، وَيَرِدَ مَشْرَعَةَ الْأَنْسِ بِهِ كِتَابِي : قَبْلَ رَكَابِي وَلَكِنْ ، مَا الْحِيلَةُ وَالْعَوَاقِقُ جَمَّةٌ !!

* وَعَلِيٌّ أَنْ أَسْمَى وَلَيْسَ عَلِيٌّ إِدْرَاكُ النِّجَاحِ *

وقد حضرتُ دارَهُ ، وَقَبَّلْتُ جِدَارَهُ ، وَمَا بِي حُبُّ الْحَيَّطَانِ ، وَلَكِنْ شَفَقًا بِالْقُطَّانِ ، وَلَا عِشْقُ الْجَدْرَانِ وَلَكِنْ شَوْقًا إِلَى السَّكَّانِ :

أَمْرُهُ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ سَلَمَى أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارَا
وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفَن قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

وَحِينَ عَدْتُ الْعَوَادِي عَنْهُ ، أَمْلَيْتُ ضَمِيرَ الشَّوْقِ عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ ، مَعْتَذِرًا إِلَى مَوْلَايَ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرِ وَقَع ، وَفُتُورِ فِي الْخِدْمَةِ عَرَضَ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ :

إِنْ يَكُنْ تَرْكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكَفَى أَنْ لَا أَرَاكَ عَقَابًا

وكتب أبو محمد عبد الله البَطْنَلِيُّ سَيِّدُ المتوفى سنة ٥٦٢٧ هـ :

يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى ، وَعِمَادِي الْأَسْنَى ، وَحَسَنَةَ الدَّهْرِ الْحَسَنَى ، الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ وَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ ذِكْرُهُ ، وَمَنْ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، لِفَضْلِ يُعْلِي مَنَارَهُ ، وَعَلِمَهُ يُحْيِي آثَارَهُ - نَحْنُ (أَعَزُّكَ اللَّهُ) نَسْتَدَانِي إِخْلَاصًا ، وَإِنْ تَنَاءَيْنَا أَشْخَاصًا ، وَيَجْمَعُنَا الْأَدَبُ ، وَإِنْ فَرَّقَنَا النَّسَبُ ، فَالْأَشْكَالُ أَقَارِبُ ، وَالْآدَابُ مَنَاسِبُ ، وَلَيْسَ يَضُرُّ تَنَائِي الْأَشْبَاحِ ، إِذَا تَقَارَبَتِ الْأَرْوَاحُ :

نَسِيبِي فِي رَأْيِي وَعِلْمِي وَمَذْهَبِي وَإِنْ بَاعَدَتْ نَسْنَا فِي الْأَصُولِ الْمَنَاسِبُ

وكتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٥٣٩٨ هـ :

أراني أذكرُ « مولاي » إذا طلعت الشمس ، أو هبت الريح ، أو نجمَ
النجم أو لمع البرق ، أو عرض الغيث ، أو ذُكرَ اللّيثُ ، أو ضحك
الروض ، وأنسى^١ للشمسُ حياه^٢ وللريح رِياد^٣ ، وللنجم حُلاه وعُلاه ،
وللبرق سناؤه^٤ ، وسناه^٥ وللغيث نِداءه^٦ ونِداءه^٧ ، وفي كلِّ صالحة ذكره ،
وفي كلِّ حادثة أراه ، فحق أنساه ؟ واشِدَّة شوقه ، عسى الله أن يجمعني وإياه .

وكتب الشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ :

ما زالتُ أدافعُ النفسَ عما تتقاضاني من شكوى أشواقها ، وفي
الشكوى شفاءً ، واستزال أثره من لدنك تتعللُ به مسافةُ البين^٨ ، إلى أن
يُنَّ الله باللقاء ، ومن دون إجابتها مشاده^٩ قد شغلت الذرع^{١٠} ، وشواغلُ
قد أفرغ من دونها الوسع ، إلى أن غلب جيش الوجد على معاقل الصبر ،
وزاحم مناكب العداة حتى ضرب أطنابه^{١١} بين الحجاب^{١٢} والصدر ،
فاتخذت هذه الرقعة أزعجها^{١٣} إليك ، وفيها من وقر^{١٤} الشوق ما ينوء^{١٥}
برسولها ، ومن رقّة الصبابة ما يكاد يطيرُ بها ، أو يخلُفها فيصافحُ الاعتبار
قبل وصولها ، راجياً لها أن تتلصقني بما عهد في سيدي من الطلاقة والبشر ،
وأن لا يضمن^{١٦} عليها بما عودني من تمهيد العذر ، ويصلني من بعدها بأنبائه^{١٧}
الطيبة ، عائدة عنه بما يكون للناظر قرّة ، وللخاطر مسرّة ، إن شاء الله
تعالى بمنّته وكرمه .

-
- (١) أي من أين (٢) وجهه (٣) رائحة طيبة (٤) الرفعة
(٥) بالقصر الضوء (٦) بضم النون وكسرها أشهر الصوت (٧) العطاء
(٨) البعد (٩) مشاغل (١٠) بسط اليد (١١) الحبل يشد به سرادق البيت
(١٢) لحمة رقبة بين الجنين (١٣) ارفعها (١٤) بكسر الواو الحبل الثقيل
(١٥) يثقل به (١٦) أي لا يبخل (١٧) أخباره .

وكتب أيضاً :

واقاني كتابك العزيز - فأهلاً بأكرم رسول : جاء بديّنات الإخلاص
والوفاء ، مصدّقاً لما بين يديه من ذمّة الوداد والإخاء ، يتلو عليّ من حديث
الشّوق ، ما شهد بصحته سقمي ، وهتف مؤذنه في كل مفصل من جسمي ،
وينكرني من عهدك ، ما طالما أذكرني البرق إذا لمع ، والبدر إذا طلع ،
والقمرري^١ إذا سجع ، وإنما عداني عنك : ما أنا فيه من مجاذبة الشواغل ،
ومساوره^٢ البلبال^٣ :

وفي القلب ما في القلب من شجن الهوى تبدلت الحالات وهو مقيم
وأنا - (على ما بي من غلّ البنان^٤ ، وشغل الجنان^٥) - ما زالت
أنباؤك^٦ عندي ، لا يخطئني بريدها ، ولا ينقطع عني ورودها ، أهنيء
النفس منها بما تتمنّى لك من سلامة لا يرث^٧ لها شعار^٨ ، وإقبال لا يعترضه
بإذن الله إدار^٩ .

وقصارى المأمول في كرمك : أن تعاملني بما سبق لك من جميل الصلة ،
إلى أن يمن الله بالاجتماع ، ويغني بالعيان عن السماع ، وما ذلك على الله بعزيز .
وكتب أبو العباس الغساني المتوفى سنة ٤٩٨ هـ :

سرّ إلى مجلس يكاد يسير شوقاً ، وبطير بأجنحة من جواه^{١٠} حق يحل
بين يديك ، فله در^{١١} كاله : إن طلعت بدرأ بأعلاه ، وجماله : إن ظهرت
غرّة بمحيّاه ، فهو أفق قد حوى نجومنا فتشوق^{١٢} إلى طلوع بدورها ،
وقطر قد اشتمل على أنهار فتشوق^{١٣} إلى بحرها ، لنستعيد منها - إن
مننت بالحضور ، وإلا فيا خيبة السرور .

(١) طير من جنس الحمام يقال لأثناه قرية ، ولذا ذكر ساق أحر .

(٢) ملابس (٣) الأحزان (٤) الأصابع (٥) القلب

(٦) أخبارك (٧) لا يبلى (٨) كلمة تعجب

وكتب صاحب إسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ :
 مجلسنا يا سيدي مفتقرٌ إليك ، مَعولٌ في شوقه عليك ، ولقد تورّدت
 خُدودٌ بِنَفْسِجِه ، وفَتَقَتْ فأرة^١ نارنج^٢ ، وانطلقت ألسُنُ الأوتار ، وقامت
 خطباءُ الأطيّار ، وهبتْ رِيّاحُ الأقداح ، ونَفَقَتْ^٣ سُوقُ الأُنسِ والأفراح .
 وقد أبَتْ راحته أن تصفو إلا أن تكتنازها يَنالك ، وأقسم غناؤُه لا طيبَ
 حقٍّ تَعِيَهْ أذُنَاكَ ، ووجنات أترُجّه قد احمرّت خجلًا لإبطائك ، وعُيونُ
 نرجسِيه قد حدَقَتْ^٤ ، تأمِيلاً للقائك ، ونحن لغيبتك كعقد ذَهَبٍ
 واسطته^٥ ، وشباب قد أخذتْ جُدَّتَه^٦ ، وإذا غابت شمسُ السماء عنا ، فلا
 أن تدنو شمسُ الأرض منّا . فإن رأيتَ أنْ تحضر لتتصل الواسطة بالعقدِ ،
 ونحصلَ بك في جنّة الخُلد . فكن إلينا أسرع من السهم في ممرّه ، والماء إلى
 مقرّه ، لئلا يخبث منْ يومي ما طابَ ، ويعود منْ نومي ما طار .

وكتب أبو بكر الخوارزمي - المتوفى سنة ٣٨٣ هـ :

كتّابي : وأنا بما يبلُغني من صالح أخبار (السيد) مُغْتَبِطٌ مسرورٌ ، وبما
 يعرفُه الزمانُ وأهله من اعتضادي^٧ به مَصُونٌ موفورٌ ، والله على الأولي محمودٌ ،
 وعلى الأخرى مشكورٌ ؛ التَّطَفُّلُ وإن كان محظوراً في غير مَوَاطِنِه ؛ فإنه
 مباحٌ في أماكنه . وهو وإن كان في بعض الأحوال يجمع عاراً ووزراً ، فإنه في
 بعضها يجمع فخراً وذخراً ، وربّ فعلٍ يصاب بهِ وقته فيكونُ سُنَّةً ، وهو
 في غير وقته بدعةٌ ، وقد تطفّلت على « السيد » بهذه الأحرف ، أخطب بها
 مَوَدَّتَه إليه ، وأعرض فيها مَوَدَّتِي عليه وأسأله أن يرسم لي في لساني وقلبي
 رَسْمًا ، ويختم عليها ختمًا ، فقد جعلتها باسمه وقصرتها على حكمه ، وأسأعها

- | | | |
|----------------|------------------------------------|----------|
| (١) فجأت المسك | (٢) ثمر ، معرب بربك | (٣) راجت |
| (٤) ناقت | (٥) الجوهرة التي في وسطه وهي أجوده | |
| (٦) الطريقة | (٧) استعاني . | |

تحت ختمه ، وبرئت إليه منها ، وصيرت وكيه فيها ، فسهلها على غيره حمى^١
لا يقرب ، و'بجيرة'^٢ لا تحلب ، ولا تركب . ولما نظرت إلى آثار السيد على
الأحرار ، ونشيت طيراز محاسنه من أيدي القاصدين والزوار ، ورأيت
نفسي غفلاً^٣ من سمة^٤ مودته ، وعطلاً^٥ من جمال عشرته حميت^٦ها من أن
يحمي عليها ورد مؤرود ، ويحسر^٧ عنها ظل^٨ على الجميع ممدود ، وعجبت
من :

سحاب خطاني جوده^٩ وهو صيب^{١٠} . وبجر عدايني سيله وهو مفعم^{١١}
وبدر أضاء الأرض شرقاً وغرباً . وموضع رجلي منه أسود مظلم
كتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ :

مولاي : أمّا الشوق إلى رؤيتك فشديد ، وسل فؤادك عن صديق حميم^{١٢}
ورود صميم^{١٣} ، وخلة لا يزيد لها تعاقب الملوين^{١٤} . وتألق^{١٥} النيرين^{١٦} إلا
وثوقاً في العرى ، وإحكاماً في البناء ، ونماء في الغراس وتشبيهاً في الدعائم^{١٧}
ولا يظن سيدي أن عدم ازدياري^{١٨} ساحت^{١٩} الشريفة واجتلائي طلعه المنيعة
لتقاعس^{٢٠} أو تقصير ، فإن لي في ذلك معذرة اقتضت التأخير ، والسيد
(أطال الله بقاءه) أجدر^{٢١} من قبل معذرة صديقه وأغضى عن ريث^{٢٢}
استدعته الضرورة .

١ (وبعد) فرجائي من مقامكم السامي أن لا تكون معذرتي هذه عائقاً لكم
عن زيارتي فلآكم^{٢٣} منناً طوقتمونيها ، ولكم فيها فضل البداة ، وعلي
دوام الشكران . والسلام .

- (١) محظور (٢) الشاة التي إذا نتجت عشرة أبطن شقوا أذنها فكانت
حراماً لحما ولبنها وركوبها (٣) من لا علامة عليه (٤) العلامة (٥) من لا حل
عليها (٦) يكشف (٧) المطر الشديد (٨) ذو المطر (٩) المتلى
(١٠) القريب الذي يهتم لأمره (١١) الخالص (١٢) الليل والنهار
(١٣) المعان (١٤) الشمس والقمر (١٥) الأركان (١٦) زيارتي
(١٧) التأخير (١٨) أحق (١٩) البطء .

وكتب المرحوم محمد بك دياب المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ :
 كتابي إليك : وقد طال بي الانتظار ، وشوقي يحلُّ عن الكيف والانحصار
 فشخصك دائم المثل ١ أمام إنساني ٢ ، وعن سواك من الأخلاء الهاني
 وأنساني . فله أيام قضيناها ، وليالي من الدهر اختلسناها ٣ ، كان السرور فيها
 ضارباً خيامه ، والأنس ناشرأ أعلامه — طُوي بساطها ، وكانت الأمور ما
 كان غير أنها زرععت بفؤادي شجرة الأشجان ٤ ، لكن عودها حليف
 أو بتك ٥ وتجدها رهين إشارتك . فمق يقرب المزار ، وتنجلي سحب
 الأكدار ، فاضرب لعودك أجلاً ، فالعود لاشك أحمد ، واكتب بقربك وصلاً
 فالوصل أضمن للعهد ، وعهدي من خلقتك الوفاء ، وحسن الولاء ، فلا تجعل
 صفقة ٦ شوقي إليك خسرأ بل هبني بعد العسر يسراً .

وكتب وفاء أفندي محمد المتوفى سنة ١٣١٩ هـ :

أما بعد سلامي عليك ، فهذا كتابي إليك ، 'ينبشك' ٧ عني وعن شوقي وعن
 ودّي ٨ ولا أزيدك علماً أني ما كتبت من دواء ، ولا أجريت عليه قلماً ،
 ولكنها دموع وشوق سالت على القرطاس ، وجرت على حركات الخواطر
 والأنفاس وهبت عليه حرارة كبدي بالأشواق ، ووجدني بالفراق ، فبينما هي
 عقيقة حمراء ، إذ صارت فحمة سوداء ! ألا وإن كتابي هو قلبي ولساني . أما
 تراه على رقته ، ولطف عبارته ، وصدق طويته ، بين يديك مقبلاً عليك ؟
 ينشره الشوق ويطويه ، لا يخفي عليك أمراً ولا يكتتم عنك سرأ ، وتلك
 صفات لساني وقلبي معك . فما الذي أبتغيته بعد ؟ ! وقد بعثت إليك بالأصغر ٩ !
 وما أنا إلا بهذين ! نعم أرجو بقاءك ، ممتعاً بنعمك ، لا كون على الدوام محلاً

-
- (١) القيام منتصباً (٢) إنسان عيني وهو ما يرى في السواد (٣) انتهزنا فرصتها
 (٤) الأحزان (٥) رجوعك (٦) أصلها لعقد البيع
 (٧) يخبرك (٨) بتثليث فائه (٩) القلب واللسان .

نظرك والسلام .

وكتب مؤلف هذا الكتاب :

كتابي لديك ، يصفُ شوقي إليك ، ولا يخفى عليك ، فمُذ فارقتني فرقت
بينَ أنسي ونفسي ، بلُ بين رُوحِي وجسمي . ولا تعجب إذا كنتُ أغدو
وأرواحُ فالطيرُ يمشي منَ الألم وهو مذبوح ، وإنسي أشكو إليك من ألم الوحشة
غراماً لا يشعر به إلا من ذاق أنسك وعرفَ مقدارَ نفسك وشاهدَ جمال
لُطفك ، ورأى كمالَ أدبك وظرفك . ولقد أودع الله في شخصك نوراً
لعيني ، وفي حديثك سروراً لفؤادي ، وفي صفاتك ترويحاً لروحي ، وفي كرم
خلُقك تفريحاً لنفسي :

وإذا وصف الناسُ أشواقهمُ فشوقي لوجهك لا يوصفُ

فعندي لك منَ المحبةِ والشوقِ ، والتلهفِ والتوقِ ، ما لا يصفه الواصفون
ولا يُعبّر عن حقيقته العارفون :

الشوق فوق الذي أشكو إليك وهل تخفى عليك صباي وأشواقي ؟

فيا شوقي لي لُغتيك ا ووالهفي على جمال 'محيّاك ا قيّدت أُملي عن
سواك وهرّت ناظري بنظرة سناك وكسرت جيش قراري ؛ وتركتني لا
أُفرّق بين ليلي ونهاري :

فؤادي والهوى سلّمٌ وحرب وسلواني أقامَ على الحيّادِ
وشوقي كاملٌ ما فيه نقصٌ فلستُ عليه أطمع في الزيادة

فليت شعري ، ماذا أصنع في شوقي أنا مدفوعٌ إليه من صادق حي ،
بعوامل صادفت منى قلباً خالياً ، فتمكّنت بالتعارف ، ولم تدع للسؤل أن
سبيلا ؟

عرفت هواء قبل أن أعرف الهوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكّنا

إي ورربي ، إن شوقي إليك شوقُ الظمآن إلى برْد الشراب ، وحنيني لك
حنينُ الشيخ إلى زمن الشباب ، فما الإبلُ وقد حنّست إلى أعطانها ، والغرباءُ وقد
أنّست إلى أوطانها ، بأعظم منّي حنيناً ، ولا أكثر أُنيناً

ولكنّ التفريق طال حتى توقّد في الضلوع له حريق

فكلاً تخطرُ ببالي ، في أي وقتٍ من الأوقات ، يثّلُ لي التذكّرُ منك
منك محاسنَ ولطائفَ ، تجذبني مَيْلاً إليك ، وتطربني شغفاً بك واغتياباً
بإخائك ، فلا عجب أن كان شوقي لرؤيتك عظيماً ، لأنه كما قيل « من كرم
الرّجل حنينه إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه » :

يا خلاصَ الأسير يا صِحَّةَ المُدِّف يا زوَرَةَ على غيرِ وعدٍ
يا نَجاةَ الفَرِيقِ يا فرحةَ الأوْبَةِ يا قفلةَ أنْتِ بعدُ بعدُ
إرض عني فدتك نفسي إني لك عبدٌ أذلُّ من كلِّ عبد

ناشدتُك الله أن ترفقَ بحالي ، وتعيدَ وصالي ؛ وارْع الودَّ القديم ، وأبدلْ
شقاءَ محبّتك بالنعيم ؛ وأغمد سيفَ ظلمات القطيعة المسلول ، وأوف بالعهدِ إن
العهد كان مسئولاً .

الفصل الثاني في التعارف قبل اللقاء

كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :

نحن في الظّاهرِ على افتراق ، وفي الباطن على تلاق ، نحن نتناجى
بالضائِر وتخطبُ بالسرائِر ، إذا حصلَ القُرْبُ بالإخلاص ، لم يضر البُعدُ
بالأشخاص ، أنا أناجيكَ بخواطرِ قلبي ، وإن كان قد غاب شخصُك عني ، إن
أخطأتُك يدي بالمكاتبة ، ناجاك سرّي بالمواصلة ، رُبَّ غائبٍ بشخصه حاضرٌ

بخلوص نفسه . إن تراخى اللقاء ، فإننا نتلاقى على البعاد ، ونتلافى^١ نظر العين بالفؤاد .

وكتب أيضاً :

أنا أشتاقك كما تشتاق الجنان ، وإن لم تتقدم لها العينان ، أنا وإن كنت ممن لا يسمع بلقائك ، فقد اشتمل عليّ الأنس ببقائك ، والشوق إلى محاسنك التي سارت أخبارها ، ولاحت آثارها ، لا زالت الأيام تكشف لي من فضلك ، والأخبار تعرض عليّ من عقلك ، ما يشوقني إليك ، وإن لم أرك ، ويزيدني رغبة في ودك وقد سمعت خبرك .

وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ :

كما أن شغف^٢ الجنان^٣ بالحسن والإحسان ، تكون داعيته المشاهدة وتسريح الأنظار ، في محيّا الكمال ، ومجتلى الجمال ، فتري العين من تلك الفرّة ، ما يملؤها قيرة ، فكذلك السماع يستدعي هذا الشغف ؛ فيتأثر الفؤاد بما يشغف^٤ الأذن ، مما تهديه إليه طرائف^٥ الأخبار ، حتى كأن حاسني السمع والبصر في ذلك صنوان^٦ ، بل أخوان في هيكل هذا الجثمان^٧ . وقد يعلم السيد (أطال الله بقاءه وأدام ارتقاءه) أن ذلك الأمر (أي الشغف بالسماع) ليس بالحديث العهد ، ولا القريب الجدة^٨ ، بل هو أمر عرّف قديماً أن يهدي السماع إلى سويداء القلب لاعج^٩ الحب سمره^{١٠} من الأنباء^{١١} عرّف^{١٢} شميم^{١٣} فتهم^{١٤} بمجرد استنشاق ذلك الشميم^{١٥} حتى يقول الشاعر العربي :

* والأذن تعشق قبل العين أحياناً *

- (١) نتدارك (٢) دخول الحب في غلاف القلب (٣) القلب
(٤) يزين (٥) المستملحة (٦) هافرعا الذخلة (٧) بالثناء والسين والجسم
(٨) الخطوة (٩) المتردد (١٠) أوقده (١١) الأخبار
(١٢) الريح الطيبة (١٣) مشموم (١٤) تذهب (١٥) المرتفع .

أَجَلٌ ١١ والقُدْرَةُ في هذا المعنى ، والأس ٢ لذلك المَبْنَى ، قوله صلى الله عليه وسلم : « إني لأشتمُّ نفسَ ٣ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ ، لما أَمَلَّتْهُ العِناية الرَّبَّانِيَّةُ ، والمَلِكُ الرَّوْحَانِي ، على قلبه الشَّريف من نَبَأ ٤ القرني ٥ أُويس ٦ ، ولم يكن رآه بعدُ .

ألا وإن محاسن السيد الأجل ، لما سارت بها الركبان ، وأثنى عليها كلِّ لسان ، ما بين أخلاق أبيه من الرِّوض النُّضِير ٧ ، وأعرّاق أشهى من عذيب النَّمِير ٨ قد احتلت من فؤادي ، لا أقول منزلاً رحيباً ، ولا وادياً خصبياً ، بل منزلة شماء ٩ ، ودائرة ١٠ علياء ، وأوجاً ١١ بطوالها السَّعيدة يُسعدُ ، ويلوح بها من ذكرها كلِّ حين فَرَقْد ١٢ فلم أنشُب ١٣ أن قدّمت كتابي هذا لمولاي بين يدي اللِّقَاءِ علته أن يسمحَ بِهِ الزَّمانُ ، وتُسْفِر ١٤ عنه الليالي والأيام لِيُتَاحَ ١٥ لي رِيَّ الفؤاد بما أرويه من حديث زيد الخيل ، الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وقال له : « ما وُصِفَ لي أحدٌ فرأيتُهُ إلا وجدتهُ دونَ ما وصف لي سِوَاكَ ، وإن فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ : الحلم ، والأناة » . مقتدياً بالإمام (محمود جارِ الله) في تقديم هذا الحديث الشريف ، على ما أنشدهُ إياه (الشريف بن الشَّجَرِي) أوّل ما لقيه ، وكان قد تحبّأ بالسَّماع :

كانت مُسَاءَلَةُ الرُّكبان تُخبرنا عن جابر بن رباحٍ أَطيبَ الخَبَرِ
حتى اجتمعنا فلا والله ما سَمِعْت أذُنِي بأحسنَ مما قد رأى بَصْرِي

-
- (١) حرف جواب مثل نعم (٢) الأصل (٣) كناية عن الوحي (٤) الخبر (٥) نسبة إلى قرن وهي قبيلة (٦) هو سيد التابعين أويس بن عامر قتل في واقعة صفين مع علي كرم الله وجهه وخبره قوله صلى الله عليه وسلم يأتاكم أويس بن عامر مع أعداد اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم وله والدته هو بها بار ولو أقسم على الله لأبره (٧) الحسن (٨) الماء الزاكي (٩) مرتفعة (١٠) دارا (١١) علوا (١٢) النجم (١٣) لم تزل (١٤) تكشف (١٥) يعطي .

وكتب حفني بك ناصف المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م :

يعلم الله ما عندي من الشوق إلى لقاء السيد ، وإن لم يرَ البصر ، والشوق إلى شهوده ، وإن لم يكتحل بإئتمد^١ محاسنه النظر ، والشفق بسماع الحديث منه ، كما سمعته عنه ، فقد سبقت ذكرى محاسنه إلى السمع ، ووصل خبره لسطائفه إلى النفس (وما المرء إلا ذكره ومآثره) وحسدت العين عليه الأذن وودت لو أنها السابقة إلى اجتلاء رقائقه ، وشهود حقائقه

* فللعين عشق مثل ما يعشق السمع *

لا جرم أن ما تعارف من الأرواح ائتلف ، وما تناكر منها ، كما قيل ، اختلف ، ونحن - وإن بعُدت بيننا الشقة^٢ ، ولم يسبق لنا باللقاء عهد - فلا حمة^٣ الأدب تجمعنا ، ووحدة الوجهة تضمنا ، ولحمة الأدب أقوى من لحمة النسب ، وجامعة الوجهة فوق اجتماع الوجوه ؛ وقد رأيت أن أزدلف إليك بالمكاتبة ، وأتوسل إلى شرف التعرف بالمراسلة ، حتى لم يبق في الصبر على الافتراق مسكة^٤ ، ولبي الجسم دعوة الروح ، فاندفع إلى طلب الاجتماع ، أكون قد مهدت له سبيلا ، ووطأت له طريقا ، فلا تبهري^٥ فرحة اللقاء ، ولا يغري^٦ ظفر^٧ فين فرح النفس ما يقتل^٨ ، ومن نشوة^٩ الراح^{١٠} ما يزهيق الأرواح .

فإن رأى السيد أن يكاتب عبده ، ويعتقه من رقّ الفرقة ، عجل بجواب هذا الكتاب ، ليعلم العبد أن نيقته صادفت^{١١} قبولا ، وأن وسلته

-
- (١) كحل بالحجاز (٢) بالضم والكسر الناحية (٣) قرابته (٤) أتقرب (٥) قوة أو عقد (٦) بالتخفيف والتشديد هيأت (٧) لا تغلبنى (٨) لا يعلوني (٩) بفتح النون وكسرها السكر (١٠) الحجر (١١) وجدت

اتخذتُ إلى سَيِّدِهِ سَبِيلاً ، قَرَّبَ اللَّهُ زَمَنَ اللَّقَاءِ وَقَصَّرَ أَمَدَ النَّوَى ^١ ،
حتى أنشيد في الحتام :

تطابقَ الخُبْرُ في عليكِ والخَبَرُ وصدقَ السَّمْعُ في أوَصافِكَ البَصَرُ
وكتب أحمد أفندي سمير المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ :

يعلم سيدي أن المودة لا تباع ولا تشرى ، وإنما هي نتيجة الاجتماع
والتعارف ، وقد خُلِقَ الإنسان مضطراً إليهما ، لأن انتظام العمران
عليهما موقوف ، ولهذا شهد العيان بأن المنفرد بأعماله المستبد بآرائه ، عرضة
للخطأ ، مظنة لعدم الثقة ، بخلاف ما إذا كان الاشتراك في الفكر قاعدة
للعمل فلا بد أن الصواب يتمحض منه ، لضعف التفرد وقوة الاجتماع ، إذ لا
جرم أن المرء كما قيل : « قليل بنفسه كثير بإخوانه » .

وقد سمعتُ عن السيد ، وقرأت من آثاره الماثورة ما حَبَّبَهُ إليّ ، وشافني
للتعرّف به ، لنستترك في منفعة تبادل الأفكار ، فلاني لا أكتفي بمجرد
السماع ولا أقول : « أن الأذن تَعشَقُ قبل العين ، وإنما هي جارحة صغيرة -
ولكن كلي ميلٌ إليه ، محبٌ لاستجلاء مرآه » ، عالمٌ أني إذا دخلتُ إلى
موكبته من باب التلاقي ، لا أجد دهري

يقرب مِنِّي كل شخصٍ كرهته ويبعد عني مَنْ إِلَيْهِ أُمِيلُ
فإن لم يتيسر أن يراني أو أراه . فليسعدني ببضعة أسطر تضمن لي رضا
عن هذه المعرفة الترسلية . لنترأى بأعين الطروس ^٢ ، قبل أعين الرؤوس ،
وتتجاذب أحاديث المراسلة ، إن عزّت المقابلة ، وقد وقفت عليه خالص
وُدِّي ، واختبرته من بين رجال العصر ، سعياً لكسب المعالي بمعرفته . فكلُّ

امرىء بما كَسَّبَ رَهين^١ ، وأن لَيْسَ لِلانسانِ إلّا ما سَعَى
عن المرء لا تسألْ وَّسَلْ عن قَرينِه فكل قرين بالمُقارن يقتدي
وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ :

لم أكن فيما أكتبه لك إلا سارياً في ليل التعارف على ضياء خِلالك^٢ ، التي
أملأها عليّ لسانُ المدح ، الذي شرّق وغرّب ، وطبقَ الأرضَ صيته ، وإني
وإن لم أكن أُسْعِدْتُ من قبل باجتلاء طلعتك الزّاهرة ، واجتناء مُهاكمتِك
الفضّة^٣ ، فقد دلّني على الليث زئيره^٤ ، وعلى البحر خربه^٥ ، وعلى العقل
أثره ، وعلى السيف أثره^٦ . ولئن لم تجمعنا لحمة^٧ النسب ، فقد جمعنا حرفة^٨
الأدب ، أو لم يضمنا قبلُ مصيفٌ ومُرتبِعٌ ، فالطيور على أشكالها تقع ، وشبه
الشيء مُنجذبٌ إليه ، وأخو الفضائل هو المُعوّل عليه .

وهذه الرّفعة وإن وصفت لك بعضَ ما أنا مطوي عليه من التهافُتِ على
رؤيتك ، والليل إلى صداقتك ، فقلّما تنوب عن المشافهة ، أو تقضي حاجات
في النفس طالما تردد صداها . وفي ظنّي أن (سيدي) يودّ ما أودّه . وعا
قليل يُسفر صبحُ اللقاء ، ونتجاذبُ أهداب المعرفة ، وأرى من (سيدي)
فوق ما توسمته وسمعتة ، ويرى مني ما يرضيه والسلام .

وكتب الشيخ طه محمود المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ :

أيها (السيد) العزيز الجنب ، الغزير الآداب :

قد علمت - ولا أزيدك علماً ، زادك الله ولا نقصك - أن الإنسان كما اشتق
اسمه من الأُنس ، كذلك جُبل عليه مسماه ، وأن المجتمع الإنساني عقد يتحلى

(١) مرهون (٢) مصادقتك وإخائك (٣) اللينة (٤) صوته
(٥) صوته أيضاً (٦) جوهره (٧) القرابة .

به صدر الزمان ، نظامه متآلف ، ووساطته^١ التعارف ، فهذان الأمران هما قطب المدار في هذه الدار ، لهذا العالم ، من لدن آدم ، وليس إلا بهما يحسنُ الحال وينعم البال ، وتدرّ ضرور المنافع ، وتنفجرُ عيون الفوائد ، ومن ثم كان أوفر الناس حظاً من مغنم الإنسانية ، من يآلف ويؤلف ، ولا خير فيمن لا ... ولا ، وناهيك بخلق امتن الله به على عباده ، إذ قال عز من قائل : « وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » .

ذلك - (أيها السيد) هو الذي بعثني أن أكتب إليك ، أستفتح باب مودتك بفتح الترسل واستصبح في سبيل صحبتك بمصباح التوسل ، لا أبالي بما ينسب إلي ويُنْتَقَمُ عليّ ، ممن عسى أن يقول : مالك ولهذا الفضول ! وكيف تتطفل على مأدبة أدبية لم تدع إليها !! وهل هذا منك ألا أشبه بالتبرج^٢ لغير خاطب ؟

أيها المنتقد : هون عليك ما تجد ، فلو علمت أن ظل الآداب شامل ، ودعوة المودة الجفلى^٣ لا يذاد^٤ عنها واغِل^٥ : لأسرعت معي الى الوغول^٦ ، ولم تر في التودد إلى أهل الفضل من فضول . وأي عيب على النكرة في التحلي بجميلة المعرفة ؟ ومصاحبه الأعلام ؟! أما سمعت قول القائل :

بصُحْبَتِكَ الكرام تعدُّ منهم وتأمين من مُلَمَّات الزمان !

وكيف أضع نفسي بحيث يقول الأول :

دع المكارم لا ترحل لبُعْثِيتها^٧ واقعد فإنك أنت الطَّاعِمُ الكاسي !

وشتان ما بين الرجلين : رجل يهوى المكارم وبقيها ، ويبتغي المناقب

(١) الجوهرة التي في وسط العقد وهي أجوده (٢) إظهار المرأة زينتها

للرجال (٣) العامة للجماعة (٤) لا يطرده (٥) المتطفل

(٦) المتطفل (٧) بكسر الباء الطاب وبضمها الحاجة .

وذَوِّبِهَا ، وَيَقِيفُ نَفْسُهُ عَلَى مَسْأَلَةِ يَعْلَمُهَا ، وَفَضِيلَةُ يَتَحَلَّى بِهَا ، وَآخِرُ يَبْذُلُ وَجْهَهُ الْمَصُونُ ، فِي مِلءِ الْحَقَائِبِ ١ وَالْبَطُونِ ٢ !

هذا : وقد رجوت أن أكون الرجل الأول بصحبتك « أيها السيد » فسكن رُوِيَ لَنَا مِنْ أَحَادِيثِ فُضَائِلِكَ الصَّحَّاحِ ، وَتَلَى عَلَيْنَا مِنْ آيَاتِ فُضَائِلِكَ الْحَسَّانِ ، مَا ٣ أَشْخَصَ إِلَيْكَ الْقُلُوبَ قَبْلَ قَوْلِهَا وَأَوْفَدَ عَلَيْكَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ أَشْبَاحِهَا ، وَأَعْجَلَنِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ بِهَذَا الرَّقِيمِ ، التَّمَسُّ بِالتَّعَرُّفِ إِلَى جَنَابِكَ الْكَرِيمِ ، مَا التَّمَسُّ الْكَلِمَ مِنْ صَحْبَةِ ذِي الْوَجْهِ النَّضْرِ ٤ ، أَيْ الْعِبَاسِ الْخَضِرِ . وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ آمَنُوا بِالْغَيْبِ ، وَلَيْسَ عِنْدِي فِي صَدَقِ هَذِهِ الْآيَاتِ مَرِيَّةٌ ، وَلَا رَيْبٌ ، بَيِّنَةٌ ٥ أَنْ لِلصَّحْبَةِ فَضْلًا لَا يَنْكُرُ ، وَلِلْمُؤَاخَاةِ مَزِيَّةٌ لَا يَتَارَى ٦ فِيهَا اثْنَانِ :

فَإِذَا وَرَدَ عَلَى السَّيِّدِ كِتَابِي هَذَا : وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ - شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ - إِلَى إِجَابَةِ سُؤْلِي ، وَارْتَاخَتْ نَفْسُهُ إِلَى اصْطِنَاعِي كَتَبَ إِلَى عَبْدِهِ بِمَا يَكُونُ آيَةً جَلِيَّةً عَلَى ارْتِيَاخِهِ ، لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْأَمْنِيَّةِ

حَتَّى أَقُولَ لَوْجُهُ آمَالِي ابْتِهَاجٌ ٧ لِأَوْلَيْتَيْكَ قِبَلَةً ٨ قَرَضَاهَا

وَكَتَبَ الْمَرْحُومُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي النُّصْرِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٩٣٠ م :

إِنْسَانُ الْعَيْنِ ، وَعَيْنُ الْإِنْسَانِ :

الْمُودَةُ - وَصَلَ اللَّهُ بِأَجْفَانِ الْأَشْوَاقِ أَهْدَابَهَا ، وَفَتَحَ لَنَا أَبْوْلَهَا - أَمْرُ عَزِيزِ الْمُرْتَقَى ، عَلَى مَنْ يَصْطَفِي صَدِيقَهُ ، وَيَرْعَى حَقُوقَهُ ، وَإِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي هَذِهِ ، وَعَهْدِي بِكَرَمِ سَجَايَاكَ أَنْ تَصَافِحَهَا بِرَاحَةِ الْقَبُولِ ، وَتَتَّخِذَهَا فَاتِحَةً وَدَّ طَارَتْ بِهِ إِلَيْكَ رِيَّاحُ فَضْلِكَ ، بَعْدَمَا مَثَلَتْ آيَاتُهُ لَكَ فِي الْقُلُوبِ مَعْنَى ظَهَرَتْ فِي مَرَاةِ الْأَعْيُنِ صُورَتَهُ .

(١) الزكائب (٢) ما : فاعل روى (٣) الحسن (٤) شك (٥) غير (٦) لا يختلف

فإن أبیت ودادي غير مكثرث فعنك ما دُمت حياً لا أرى بدلا

وحاشاك عن مثل ذلك الإباء، ونحن وإن لم نحفظ أشباحنا باللقاء، فأرواحنا من قبل جنود، وأعيننا شهود، فإن أنت منحتني ولاء خالصاً، وإخاء صادقاً، (وإلا فهبني أمره أهالكاً) ولا إخالك رضاه، وإن كنت المتطفل على مائدة مودتك، فلي نفس أديب لا ترى العز إلا في الترامي على ذرى الكمال، لا رلت على مرقي الجلال، والسلام .

وكتب الفاضل السيد محمد البيلوي :

سيدي : إن مكارم الأخلاق ومعالي الهيم مما تسترق القلوب، وتسرَق العقول، وتمتلك الأرواح، وإن لم تتلاق الأشباح، فإني منذ سرى إلي النسيم بأخلاقكم الغراء، وابتسم لي ثغر هذا العصر عن آثاركم الزهراء، وتواترت الأخبار بجميلكم للفضل وأهله، وارتياحكم للعلم وذويه، وأنا مشغوف الفؤاد بالتعرف بسيادتكم، مشغول البال بالتوسل إلى رياض مودتكم . ولعلمي أن للصدقة حقوقاً، وللمصاحبة شروطاً، ربما صعبت على من حولها، وعزّت على من أراد الوفاء بها، كنت أرى الوحدة لي أولى، والانفراد بي أسلم، ولكن ما زالت تنمي إلي أحاسن شمائلكم المشرقة، وتواردني على مسامعي بحاسن سيركم المطهرة؛ فينمو الوجد ويزداد الشوق « والأذن تعشق قبل العين أحياناً، وما كنت أجد سبيلاً للتعرف ولا سبباً للتودد، ولا تجسر نفسي على المراسلة ابتداءً : إلى أن رأيت سيدي قد اهتم للأدب فأعلى مناره، ونظر للإنشاء فرفع مقداره : ونصر دولته وأحيا صولته، وأعاد شبابه، وفتح لأدباء هذا العصر باباً فعملت أن الدهر قد ساعدني، والفرصة قد امكنتني من مضافتي ما ملئت ومضافة ما أردت، من اجتناء ثمار مودة سيدي، والتعرف به

(١) تزيد .

(هـ - جواهر الأدب ١)

والتمسك بأهداب فضائله والتزوّد من آدابه، فإن الأدب أحسن ما يُستَصْبَحُ
بأنواره^١، وأشرف ما يُتَسَبَّقُ لاقتطاف أثماره^٢، ويُحَمَّدُ التطفّلُ على
موائده، ويُمدح التنافس في التيقاط فوائده، فجعلت طلب الانتظام في سلك
أرباب الأعلام وسيلةً لوُرُودِ عَذْبِ وِدَادِهِ، ونمير^٣ التعرف به، فإن رأى
سيدي أن يَعمُدَ نفسَ حُرٍّ في عِدَادِ معارفه، ويُقابِلَ رسالتَهُ بما اشتهر من
لطائفه حتى تتمتع بالرؤية الأبصار، كما تمتعت المسامعُ بِطبيب الأخبار، كنتُ
مُديمَ الشكر لأفضاله، مُستمرّ الثناء على كماله.

وكتب الشيخ عبد الكريم سلمان المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ :

أما بعد - فهذه رسالة أكتبها إلى من لم تكن لي به جامعة جسمية، ولم
تضمني رايه حِفْلةُ تعارف شخصية، وهي وإن كانت في عُرْفٍ غيري تعدّ
هَجُوماً، أو تحسّ بفضولاً، إلا أني أعتقِد أنها أوفِدَتْ على كريم يُكرم وفادتها
ويتقبّل ما تهديه إليه من زعيم تحية وجيل إجلال، ويحتلي من خيالاتها إرادةً
ودّي، ورجاءً ولائاً وبُعْثيةً فضل ورغبة في إسخاء، فيُحلّ محلّ القبول ويدرأ،
عنها وصمة الفضول. إن لسيدي آثاراً شاهداها، فاستفدناها، ومآثر سمعناها،
فرويناها أو تناقلناها، ولا مِروية^٤ في أن ما غاب عنا منها، أكثر مما وعينا،
وأوفى مما سمعنا، ونحن - والله يعلم - طلابُ كمالٍ، ومنتهجو أفضال^٥،
ورواد^٦ ما خصب من فيحاء العلوم. وقد توّسمنا^٧ في السيد - أطال الله
بقائه - طِلبَتَنَا، ووجدنا لديه ضالتنا، فحشّنا إلى رحابه مطيّة المكاتبة، ولنا
أمل كبير في نوال المأمول لعلّه يمنح^٨ إلى مُقابلة المثل بالمِثْل فيكتب

(١) أضوائه . (٢) أزهاره . (٣) الزاكي . (٤) يدفع .

(٥) العار . (٦) بضم الميم وكسرهما الشك . (٧) طالبو معروف .

(٨) طالبون له . (٩) تفرسنا . (١٠) بتثليث النون : يميل .

لأخيه بعضَ كُلِّ سَيِّمَاتٍ ، يعرف منها أنه قَبِيلَ الإِخاءِ ، ومال إلى مقتضى طبعه من الوفاء ، ولا أظن ذلك إلا وقد كان أقرب ما يكون من الزمان ، فإن الأرواح ما تعارف منها اتلف ، كما برهنه الأصحاب في معاشراتهم خلفاً عن خلف .

وكتب مؤلف هذا الكتاب :

لقد سَمِعْنَا بأوصافٍ لكم كُملتْ كَسَرْنَا ما سَمِعْنَا وأحيانا
من قِلمِ رؤُوسكم نَلْنَا محبَّتكم وَالْأُذُنُ تُعَشِّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أحيانا

سيدي ومولاي :

لقد بلغني عنك في وفائك وفضلك ، ما يدعوني لخطب ودك ؛ ویرَغَّبَنِي في إِيَّاكَ ، ويحببني في التوسل إلى معرفة جنابك ، وإن لم تجمعنا جامعة شخصية ، ولم تضمَّنَا حفلة تعارف ذاتية ، إلا أن أحاديث فضائلك الصراح ، أو فدت عليك الأرواح قبل الأشباح ، والولاء والإخلاص ، قبل الأجسام والأشخاص ، ولا غرابة في ذلك ، فإن من سنة الله في خلقه : أن يُؤَلِّفَ بين الأرواح وأمثالها ، وإنَّ لله ملائكة ، يسوقون الأشكال إلى أشكالها ، وشبه الشيء 'منجذب' إليه ، وأخو الفضائل هو المعول عليه .

إِنَّ الْقُلُوبَ لِأَجْنَادٍ مُجَنَّدَةٍ اللهُ فِي الْأَرْضِ بِالْأَهْوَاءِ تَعْرِفُ
فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهُوَ مُؤْتَلَفٌ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا فَهُوَ مُخْتَلَفٌ

فلذا اصطفتك لنفسي ، واخترتك لمودتي وأنسي ، نَتَنَاجَى بِالضَمَائِرِ وَتَتَخَاطَبُ بِالسَّرَائِرِ ، وإن بَعُدْنَا فِي الظَّاهِرِ قَرُبَ غَائِبٍ بِنَفْسِهِ ، حَاضِرٌ بِخُلُوصِ نَفْسِهِ .

فإن أَبِينْتَ ودادي غيرَ مَكْتَرِثٍ فَعَنكَ مَا دُمْتَ حَيًّا لَا أَرَى بَدَلًا

وحاشاك عن مثل هذا الإباء ، والهجر والجفاء .

لكل امرئٍ شكلٌ من الناسِ وكلُّ امرئٍ يَهْوَى إلى من يشاكله
 ناشدتك الله أن تقبلَ مِنِّي الإخاءَ ، وتضمنَ لي الوفاءَ ، وأنا أرضى بك
 من الدنيا نصيباً ، وأختارك من العالمين حبيباً .

الفصل الثالث في رسائل الهدايا

وكتب سعيد بن حميد المتوفى سنة ١٠٥ هـ يوم النيروز إلى بعض أهل
 السلطان :

أيها الشريف :
 عِشْتَ أطولَ الأعمار بزيادةٍ من العمر ، مَوْصُولَةً بفرائضها من الشكر ،
 لا ينقضي حقُّ نِعْمَةٍ حتى يحدِّدَ لك أخرى ، ولا يمر بك يوم إلا كان مُقَصِّراً
 عما بعده ، موفياً عما قبله .

إني تصفحت أحوال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السادة ، والتمست
 التأسي بهم في الإهداء وإن قَصُرَتْ بي الحال عن الواجب - فوجدت
 أني إن أهديت نفسي فهي ملكٌ لك ، لا حظَّ فيها لغيرك ، ورميت
 بطرفي إلى كرائم مالي ، فوجدتها منك ، فإن كنتُ أهديتُ منها شيئاً ،
 فإني لسمُهدٍ مالِكُ إليك ، ونزعتُ إلى مودَّتِي ، فوجدتها خالصةً لك قديمةً
 غير مُستحدثةٍ ، فرأيت إن جعلتها هديتي ، أني لم أجدد لهذا اليوم الجديد
 برّاً ولا لطفاً ، ولم أُمَيِّزْ منزلةً من شكري بمنزلةٍ من نعمتك ، إلا كان الشكر
 مُقَصِّراً عن الحقِّ ، والنعمة زائدة على ما تباغته الطساقة ، فجعلتُ الاعترافَ
 بالتقصير عن حقِّك ، هديةً إليك ، والإقرار بالتقصير عما يجبُ لك ، برّاً
 أتوسَّلُ به إليك ، وقلْتُ في ذلك :

إن أهد مالا فهو وأهيبهُ وهو الحقيقُ عليه بالشكر
 أو أهد شكري فهو مُرْتَهَنٌ يجمِّلُ فِعْلَكَ آخرَ الدهرِ

والشمس تستغي إذا طلعت أن تستضيء بسنة^١ الدهر
وكتب حفني بك ناصف المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م :
الهدية في نظر الأصفياء جليلة^٢ ، وإن كانت في نفسها قليلة^٣ ، ومكانتها
خطيرة^٤ وإن كانت يسيرة^٥ ، وسنة حسنة^٦ اجتمعت على فضلها الألسنة
مضت الدهور وأمرها مستحسن^٧ وتعاقبت بمديحها الأيام
اللتهم إلا إن لبست جلباب^٨ الرياء ، ورأيت^٩ أبواب الارتشاء ،
ولا مراء^{١٠} ، إن الأوداء من ذلك براء^{١١} .
وما زالت الهدية شعار الأصدقاء ، وعنوان تذكارات الولاء ، ولم جدت^{١٢}
بين الأصحاب عهود التشاب
وتعهدت ووداً فعاد شقيقته^{١٣} ولشملة^{١٤} بعد البداد^{١٥} نظام^{١٦}
قد وصلتني بدو العصا فحمدا الإهداء ، وأهلا بتلك اليد البيضاء ، وليست
هذه أول أياذك علي^{١٧} ، ولا أكبر عارفة جاءت من فاديك إلي^{١٨} ، أمينت بها
النوب^{١٩} واعتضدت بها^{٢٠} على تفريق شمل الكرب^{٢١} .
فإذا طفا^{٢٢} بحر الهوم ضربته^{٢٣} بعصاي^{٢٤} فاجتازت^{٢٥} به الأقدام
تنفلق بها الأيام صخور^{٢٦} ، فتنبجس^{٢٧} منها عيون الشرور^{٢٨} ، وتلقف^{٢٩}
ما يصنع الأعداء ، فتذهب بسحر البهائم^{٣٠} ، وإذا اشتد هجير^{٣١} الوحشة^{٣٢} ،
نشرت ظلال أنسها^{٣٣} ، أو عصى فرعون^{٣٤} الدهر^{٣٥} ، راعته^{٣٦} ببأسها^{٣٧} .

(١) الوجه (٢) القميص (٣) دخلت (٤) جدال (٥) التفريق
(٦) جمع نائبة : مصيبة (٧) استعنت (٨) علا (٩) سلكت
(١٠) تنفجر (١١) حرها (١٢) أزعجته (١٣) بشدتها

فكأنما أوصى الكلم^١ لنا بها حق يرى آيات^٢ه الأفوام^٣
وقد فكرت^٤ ماذا أقابل^٥ به 'طرقتك' ، وأتلقى^٦ به تحف^٧تك ، إلى أن هداني
الله ، أن^٨ يد المنعم إنما تقابل^٩ بالأفواه ليُعزز القبول^{١٠} بالقبول^{١١} ، ويؤدي الرسم^{١٢}
باللثم^{١٣} . فأرسلت لك فم سيجارة^{١٤} ، وجعلته لهذا المعنى إشارة^{١٥} ، وقلت :
مولاي كم فاضت يمينك بالندى^{١٦} حق غدوت غريق^{١٧} بحر^{١٨} الأنعم^{١٩}
والشكر^{٢٠} أو جب^{٢١} أن أقبل^{٢٢} راحها^{٢٣} فكنت عن هذا بإهداء الفهم^{٢٤}
وقد علمت أن المنظر^{٢٥} البهيج^{٢٦} ، يتم^{٢٧} بالتدبيج^{٢٨} ، فاخترت^{٢٩} أن يكون مبدأه^{٣٠}
كاللؤلؤ إذا عسّس^{٣١} ، ومُنْتَهَاهُ كالصبح إذا تنفس^{٣٢} ، إيداناً^{٣٣} بزوال الشرور^{٣٤}
بالسرور^{٣٥} ، ورمزاً إلى الخروج من الظلمات إلى النور .
وكتب المرحوم محمود بك أبو النصر :

يا أيها المولى الذي عمت أياديهِ الجميلة^١
إقبل^٢ هدية^٣ من يرى في حقك الدنيا قليلة^٤
غرة^٥ وجه السعود وقرة عين الوجود - الأمير الجليل .

يا جليل الفضائل - إليك توجه الآمال ، ويا جميل الشرائع بساحتك تحط
الرحال ، تلك هي الساحة الفيحاء^١ ، والشئمة^٢ الحسنة^٣ ، والهمة^٤ العليا^٥ ، واليد
البيضاء ، والأعمال التي تضرب بها الأمثال ، كم من نعم أسديتها^٦ ، ومكارم^٧
أوليتها^٨ وعلوم^٩ أحبيتها^{١٠} ، فأنت المصدر^{١١} والمورد^{١٢} ، والمقصود^{١٣} والموعود^{١٤} ، إليك
أقدم^{١٥} تلك الهدية^{١٦} المرضية^{١٧} ، وأرفع^{١٨} ذلك الكتاب^{١٩} المستطاب^{٢٠} ، مشفّعاً في قبوله^{٢١}
كرم^{٢٢} سجاياك^{٢٣} ، وعظّم^{٢٤} مزاياك^{٢٥} وإن كنت أعلم أن مقامك العليّ يحيل^{٢٦} عن
أن يرفع^{٢٧} إليه مثله^{٢٨} ، فقد عرفناك^{٢٩} ، متواضعاً في علاك^{٣٠} ، قريباً مع اعتلاك^{٣١} .

(١) سيدنا موسى عليه السلام (٢) إحسانك (٣) العطاء (٤) التزين
(٥) أقبل بظلامه (٦) أضاء (٧) إعلاماً (٨) الواسعة (٩) الخلق (١٠) أعطيتها .

دَنُوتٌ تَوَاضَعًا وَعُلُوتٌ مَجْدًا فَشَأْنُكَ انْخِفَاضٌ وَارْتِفَاعٌ
كَذَلِكَ لِلشَّمْسِ يَتَبَعُ أَنْ تُسَامِيَ ^١ وَيَدْنُو الضُّوْءُ مِنْهَا وَالشَّمْعَانِ

وَحَاشَاكَ أَنْ أَهْدِيََ لِلْقَمَرِ نَوْرًا ، أَوْ لِلشَّمْسِ ضِيَاءً ، أَوْ أُبْعَثَ بِبُيُوتِ
الْقَطْرِ ^٢ إِلَى ذَلِكَ الْبَحْرِ ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَحْطَى بِلِثْمٍ بِنَانِكَ ^٣ ، وَيَنَالَ مِنْ
كَرَمِكَ وَإِحْسَانِكَ ، وَقَدْ عَهَدْنَاكَ تَهَنُّزًا لِلْمَكَارِمِ اهْتِزَازَ الصَّارِمِ ^٤ ، وَتَرْتَاخَ لِإِسْدَاءِ
الْجَمِيلِ ، كَمَا يَرْتَاخُ لِلْكَرَمِ النَّزِيلُ ، وَلِلشِّفَاءِ الْعَلِيلُ ، وَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ نَوْرِ فِكْرِكَ
مُقْتَبَسٌ ^٥ فَعَسَاهُ يَحْطَى بِالْقَبُولِ ، فَأَبْلُغْ غَايَةَ الْمَأْمُولِ وَالسَّلَامِ .

وكتب الأستاذ عبد الله بك الأنصاري المتوفى سنة ١٩٣٢ م :

المولى - أدام الله وجوده متمتعاً بهدايا الأيام ، وتحف الأعوام - طالما أوفدت
من الرِّفْدِ ^٦ إِلَيَّ ، وَوَجَّهَ مِنْ الْخَيْرَاتِ مَا أَفْعَمَ ^٧ يَدَيَّ ، حَتَّى أَصْبَحْتُ - وَلَهُ
الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ - أَجْرُ ذِيولِ النِّعَمَاءِ ^٨ عَلَى غِبْرَاءِ ^٩ الْبِئْسَاءِ ^{١٠} وَأُجْتَلِي ^{١١}
مَعَارِفَ السَّرَّاءِ بِعَوَارِفِ الْبِئْسَاءِ ، الَّتِي لَا يَوَازِيهَا ثَنَاءٌ وَحَمْدٌ ، وَلَا يَوَازِيهَا
عَطَاءٌ وَرِفْدٌ ، وَلَا يَطَاوِلُهَا سَمَاءٌ وَبَحْرٌ ، وَلَا يَغَالِبُهَا بَوْسٌ وَفَقْرٌ ، وَإِنْ لِي مِنْ
آلَاءِ ^{١٢} السَّيِّدِ - حَفَظَهُ اللَّهُ وَأَدَامَ عِلَّاهُ - مَا أَيْنَعُ وَأَزْهَرُ ، وَأَوْزَقُ وَأَثْمَرُ ،
حَدَائِقَ قَامَتْ لِشُكْرِهِ عِيدَانُهَا ، وَسَجَدَتْ لِفَضْلِهِ أَغْصَانُهَا ، وَتَرَنَّمَتْ طَرِبَاءُ ،
وَتَمَايَلَتْ عَجَبًا بِنَفَحَاتِ هِيَ عَرَفْنَاهُ ^{١٣} ، وَبَرَكَاتِ هِيَ عَرَفْنَاهُ ، وَلِي أَمَلٌ فِي جَنَابِهِ
- وَأَنَا سَلِيلُ ^{١٤} نِعْمَتِهِ - وَعَهْدِي بِأَخْلَاقِهِ - وَأَنَا ابْنُ مَوَدَّتِهِ أَنْ يَمُنَّ بِقَبُولِ
مَا أَهْدَيْتُهُ ، وَهُوَ مِنْ مَالِ نَفْسِهِ ، وَثَمَرَةُ غَرْسِهِ ، (بَاكُورَةٌ تَفْتَاحٍ) يَرْفَعُهَا
إِجْلَالٌ وَإِعْظَامٌ ، وَتَصَحُّبُهَا تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ .

-
- (١) تَفَاخُرُ (٢) الْمَطَرُ (٣) الْأَصَابِعُ (٤) السَّيْفُ الْقَاطِعُ
(٥) مَأْخُودٌ (٦) أُرْسِلُ (٧) الْعَطَاءُ وَالصَّلَاةُ (٨) مَلَأَهَا
(٩) بِالْفَتْحِ النِّعْمَةُ (١٠) الْأَرْضُ (١١) الدَّامِيَّةُ (١٢) أَنْظَرَ إِلَيْهَا مَجْلُوءَةٌ
(١٣) نَعَمْ (١٤) بِالْفَتْحِ الرِّيحُ الطَّيْبَةُ (١٥) ابْنُ نِعْمَتِهِ .

وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ :

الهدية - غمرك الله بالمعروف - تَبَسَّطُ يد المودَّة ، وتَدْرُّ بها أخلاف^١ القرب
وتغرس بين المتحابين من الائتلاف ، بقدر ما تقطع بينهما من شجر الخلاف ، وما
أنا فيما أهديه إليك إلا كمتبضع^٢ تقرأ الى أرض خبير^٣ ، أو كالواهب الماء
للبحر ، والضوء للبدر ، والملئك لسليمان^٤ ، والمال لقارون^٥ ، والحلم
لأحنف^٦ ، والذكاء لإياس^٧ ، والتفسير لابن عباس^٨ ، وما ذاك إلا كتاب^٩
كما تراه ضَرْبَ في الأحكام بسهم^{١٠} ، ووعى من الأحكام ، ما خلت منه
مفصلات^{١١} الأسفار^{١٢} ، وموجزات الرسائل ، فهو كما قيل : « كل الصيد في
جوف الفرا »^{١٣}

تزين معانيه ألفاظه ، وألفاظه زائنات المعاني

على أي وإن تطفلت عليك ، وسقت لك هذا الكتاب مُزْدلفاً^{١٤} إلى
جناحك الرَّحْب ، ومقاميك الأسنى ، فقد أصبت كبد الصَّواب ، ووضعته
حيث يعرفه اهله ، ويتقبله من باذله عالموه ، علماً بأنك عماد العلوم ، وأساس
الفضائل ، لا تغادر^{١٥} شاردة إلا وعيتها ، ولا نادرة إلا رويتها ، ولا

-
- (١) جمع خلف بالكسر الضرع (٢) جاعله بضاعة (٣) موضع بالحجاز
(٤) ابن داود النبي عليهما الصلاة والسلام (٥) من قوم موسى عليه السلام أعطاه
الله من الكنوز ما لم يعطه لغيره (٦) هو أبو بحر صخر بن قيس تابعي كبير
يضرب به المثل في الحلم توفي سنة ٦٧ هـ (٧) هو أبو وائلة بن معاوية بن مرة المزني
يضرب به المثل في الذكاء توفي سنة ١٢٢ هـ (٨) هو أبو العباس عبد الله بن عباس
ابن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ صحابي جليل
يلقب ترجمان القرآن توفي سنة ٩٨ هـ (٩) مملوآت (١٠) الكتب (١١) حمار
الوحش ، ومعناه - كل ما عداه دونه . قاله النبي عليه الصلاة والسلام تطيناً
لرجل خرج يصطاد مع أصحابه فلم يصب غير الحمار الوحشي (١٢) متقرباً
(١٣) لا تترك .

لو كان يُهدى على قدري وقدركم لَكُنْتُ أَهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
وكتب مؤلف هذا الكتاب إلى أستاذه الحكيم الشيخ محمد عبده :
سيدي ومولاي - أطل الله بقاءك ، ورفع في الدارين علالك - الهدية
مفتاح باب المودة ، وعنوان تذكّار المحبة ، يتسابق إليها كرام السجّايا^١ ،
ويتسارع إلى إحياء شعائرها عشاق المزايا حرصاً على حفظ عهد الوِدَاد
والتّألف ، وإذهاباً لوحشة التقاطع والتّجّالّف :

هدايا الناس بعضهم لبعض
وتزرع في القلوب هوّى وودّاً
وتكسوك المهابة والجلالا
تولّد في قلوبهم الوصالا

ولقد وجدتك إماماً حكيماً ، وفيلسوفاً عليماً ، تقدّر الأعمال حق
قدرها ، وتضع الأشياء في مواضعها ، سباقاً إلى نشر العلوم والمعارف ، في
المشارك والمغارب :

يبقى التّنساء وتنفّد الأموال * لكلّ دهرٍ دولة ورجال
مانال محمّدة الرّجال وشكرهم إلا الصّبور عليهم المفضال

فلذا أهديك كتابي (جواهر الأدب ، في أدبيات لغة العرب) جمع فأوعى
من الآداب والحكم . ما خلت منه الأسفار^٢ ، فهو بلا شك ولا مِرّاً ، كلّ
الصيد في جوف القرأ :

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائنت المعاني

(١) الأخلاق .
(٢) الكتب الكبيرة . * والأصح من لكل دهر دهر .. ، ولكل دهر ..

على أني - وإن تطفّلت عليك ، ووضعت كتابي هذا بين يديك - فقد ولجت الأمور من الأبواب وأصبت كبدا الصواب ، حيث يعرف الفضل من الناس ذووه ، ويتقبله بقبول حسن عالموه :

شكراً وحمداً إن قبلتَ هديتي وجعلت لي فضلاً على أقراني

فتنازلك بقبوله يكون الإقبال عليه جليلاً ، ويمعجز لساني على أن اشكرك شكراً جزيلاً ، والسلام .

وكتب مؤلف هذا الكتاب إلى المرحوم (سعد باشا زغلول) 'يهديه كتابه « جواهر الأدب » في أذبيات وإنشاء لغة العرب » :

مولاي، أطالَ الله بقاءك في أهنأ عيشة وأرغدها، وأتم نعمه وأسعدِها ، وأعم عافية وأزيدِها ، وأولاك من الآلاء بأمدّها مزيداً ، ومن السلامة بأسبيلها سترأ ، ومن السرور بأوفره حظاً ، ومن العزّ بأشده ركنأ ، والعمر بأبعده مدى ، وتولاك المولى بحفظه وحياطته ، وحرسك تحت جناح السلامة بكلائته ورعايته .

إن الله تعالى قد خصك بالعزّ المنيع ، والشرف الرفيع ، والخلق السنيّ ، والفخر البهيّ ، والرأي الحزم ، والبلاغة والفهم ، والبراعة والكمال ، والبذل والنموال ، والجود والإفضال ، والحمد والثناء ، والكرم والوفاء ، والمذهب الجميل ، والقدر الجليل .

فأنت - أدام الله كرامتك ، وأكرم حياطتك - معدن الفضائل وزين المحافل غياث اللاجئ ، إليك ، وسند المعول عليك ، لا يُجحد فضلك ولا يُلْسَى ذِكرك ، عرفتُك شائع ، وجودك واسع ، ومعروفك ذائع ، وفضلُك شامل ، ولُبُّك كامل ، سلّم لأوليائك ، وحرب لأعدائك ، سحائب كفتيك

تُسَطر دَمِيمَ الإنعام ، وشَايِبُ يَدِيكَ تفوق أفعال الكرام ، زَادَكَ اللهُ أَيُّهَا
الرئيسُ عقلًا إلى عقلك ، وفخرًا إلى فخرِكَ ، وفضلًا إلى فضلك ، وطولًا إلى
طولِكَ ، وسُودَدَا إلى سُودَدِكَ ، إنه لطيف كريم .

لَمَّا رَأَيْتُكَ - أدام الله علوكَ ، وأجزَلَ من كلِّ خيرٍ حظك وقسمك -
تفني عن التوسُّل إليك بكرم أخلاقك ، وشريف أَعْرَاقِكَ ، جعلتُ كَرَمَكَ
فَرِيْعِي إِلَيْكَ ، لِمَا دَلَنِي من فضلك عليك ، وكفى بِدِي عن اللبيبِ شَاهِدًا ،
وإلى الكريمِ قَائِدًا ، فَأَطْمَعَنِي فِيكَ مَا رَأَيْتُ من جودِكَ وسماحتك ، وحُسنِ
بِشْرِكَ وطلاقتك ، ولئن أُمِّلْتُكَ عند الشدائد ، ودفعتُ بِكَ صَوْلَةَ النوائبِ
ورَجَوْتُكَ لكشف الملمات ، والحوادث الطَّارِقات ، واستعثتُ بِسَيِّبِكَ
وجدواكَ على غير شافع ، أطمعُ في شفاعته إِلَيْكَ ، أو مُتَوَسِّلُ في ما لَدَيْكَ ،
فإني أقول كما قال الشاعر :

من غير ما سبب يُدْنِي كفى سبباً للحرِّ أن يَحْتَدِي حَرًّا بلا سببٍ

ولما كانت الوسيلة إلى السادات ، وأهل الأخطار والمروءات ، إنما هي
وكيد حُرْمَةٍ أو قديم خدمة : وكنتُ صَفْرًا من ذلك كُلِّهِ ، غير داخل في
جملة أهله توسلتُ بكتابي « جواهر الادب » في أدبيات وإنشاء لغة العرب ،
إذ كان المتوسِّل بها على ثقة من عَرف قدرها ، لأن الآداب عند ذوي الكرم ،
أعطفُ من صلة الرَّحِم ، وهو سببُ بين الكرام موصول ينزعون إليه ، وحق
يتعاطفون عليه ، وفيه قال الشاعر :

أدبٌ بَيْنُنَا تَوَلَّدَ مِنْهُ نَسَبٌ وَالْأَدِيبُ صِنُوُ الْأَدِيبِ

وقال الآخر :

حقُّ الْأَدِيبِ وَإِنْ لَمْ يُدْنِهِ نَسَبٌ فَرَضَ عَلَى كُلِّ مَنْ أَمْسَى لَهُ أَدَبٌ .

وقد ضمنتُ كتابي هذا من الآداب أظرفها ، وَمِنْ الْأَشْعَارِ أَفْضَلَهَا وَأَجْمَلَهَا

وجعلته سبباً أمّته به إليك ، وهدية أضعتها بين يديك . فتنازل دولتك بشرف القبول ، يكون غاية مطلوبي ، ونهاية المأمول .

الفصل الرابع في رسائل الاستعطاف والاعتذار

كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :

الكريم إذا قدّر غفر ، وإذا أوثّق أطلق ، وإذا أسرّ أعتق ، قد هربت منك إليك ، واستعنتُ بعفوكَ عليك ، فأذقني حلاوة رضاك عني ، كما أذقتني مرارة انتقامك مني ، الحرُّ كزيم الظُّفر ، إذا نال أقسال ، واللّثيم إذا نال استطال ^٢ قد هابك من استتر ، ولم يُذنب من اعتذر ، تكلف الاعتذار بلا زلة ^٣ ، كتكلف الدواء بلا علة ، مولاي يوجب الصفح عند الزلة ^٤ ، كما يلتزم البذل عند الحلة ^٥ مولاي يوليني صفيحة ^٦ صفحة ، ويؤتيني العفو من عموه ، زلت وقد يزل العالم الذي لا أساويه ، وعثرت وقد يعثر الجواد الذي لا أجاريه ، لا تضيقن عني سعة خلقك ، ولا تكدرن عليّ صفو ودك ، مالي ذنب يضيق عنه عفوك ، ولا جرّم يتجافى تجاوزك وصفحك . والسلام .

وكتب عبدالله بن معاوية المتوفى سنة ١٣٤ هـ إلى أبي مسلم :

من الأسير في يديه ، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه . (أما بعد) فقد آتاك الله حفظ الوصية ، ومنحك نصيحة الرعية ، وألهمك عدل القضية فإنك مستودع الودائع ، ومولى الصنائع ، فاحفظ ودائعك ، بحسن صنائعك ، فالودائع عارية ، والصنائع مرعية ، وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها ، ولا بمبلوغ مداها . فنبه للتفكير قلبك ، واتسّق الله ربك وأعط من

(١) ترك (٢) تملك وتمسك (٣) بالفتح السقطة (٤) بالفتح الغلظة

(٥) بفتح الحاء الحاجة والفقر (٦) صفيحة - عريضة. أي عظيم صفحه .

نفسك من هو تحتك ، ما تحب أن يعطيك من فوقك - من العدل والرأفة ، والأمن من المخافة ، فقد أنعم الله عليك ، بأن فوّض أمرنا إليك . فاعرف لنا لين شكر المودّة ، واغتفار مسّ الشدة ، والرّضا بما رضى والقناعة بما هوّيت ، فإن علينا من سملك الحديد وثقله أذى شديداً ، مع معالجة الأغلال ، وقلة رحمة العمال ، الذين تسهيلهم الغلظة ، وتيسيرهم الفظاظة ، وإيرادهم علينا الغموم ، وتوجيههم إلينا الهموم ، زيارتهم الحراسة ، وبشارتهم الإياسة ! فأليك - بعد الله - نرفع كربة الشكوى ، ونشكو شدة البلوى ، فتق 'تقل' إلينا طرفاً ، وتولّ لنا منك عطفاً تجد عندنا نصحاً صريحاً وودّاً صحيحاً ، لا يضيّع مثلك مثله ، ولا ينفي مثلك أهله ، فارح حرمة من أدركت بحرمة ، واعرف حجة من فليجت بحجته ^١ فإن الناس من حوضك رواء ، ونحن منه ظيما ، يشون في الأبراد ، ونحن نحجل في الأقياد ، بعد الخير والسعة ، والحفض والدعة ؛ والله المستعان ، وعليه التكلان .

وكتب بدر محمد بن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٩٩ هـ :

رفقا بن ملك الوجد قياده ، وعطفاً على من أذاب الشوق فؤاده ، متّيم ^٢ أقلقه فرط صدودك ، ومفرم أغراه بحبك قول حسودك ، وسقيم لا شفاه له دون مزارك ، ومقيم على عهدك ولو طالّت مدة نفارك : إلام هذا التناهي ^٣ والنفور ؟ وعلام يادا القد العادل تجور ؟! لقد تضاعف الأسف والأنى ، وتطاول التعلل بلعل ، وعسى

هيني تخطيت ، بل زلّة ولم أكُنْ أذنبتُ فيما مضى
أليس لي من بعدها حرمة ؟ ^٤ توجب لي منك جميل الرضا
ولست ألوذ إلا بباب نعمك ، ولا أعتد في محو الإساءة إلا على حلمك
وكرمك ، وما جلّ ^٥ ذنب يضاف إلى صفحك ولا عظم جرم ^٥ يسند إلى

(١) فليج بحجته - أثبتها (٢) مستعبد ذليل

(٣) التباعد (٤) ما عظم (٥) ذنب .

عفوك . ومثلك من يقلل العثرات ، ويتجاوز عن الهفوات :

وكننت أظن أن جبال رضوى^١ تزول وأن ودك لا يزول
ولكن القلوب لها انقلاب^٢ وحالات ابن آدم تستحيل
طلما آذنتني بقربك ، ودنوت مني مفارقاً ظباء سربك ، وأنجزت
وعودي وأطلعت نجوم سعودي :

وكننت إذا ما جئت أدنيت مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرة^٣ الي بها في سالف الدهر تنظر
قيدت أملي عن سواك ، وهبرت ناظري بنظرة سناك^٤ ، وكسرت جيش
قراري ، وتركتني لا أفرق بين ليلى ونهاري ، أحوم حول الديار ، وأعوم في
بحر الأفكار ، وأتمسك بعطف عطفك ، وأتعلق بأذيال مكارمك ولطفك ،
أما علمت أن الكريم إذا قدر غفر ؟ وإذا صدرت من عبده زلة أسبل عليها
رداء العفو وستر ؟ وأن شفيح المذنب لإقراره ؟ ورفض خطيئته عند مولاه
استغفاره ؟

ومن كان ذا عذر لديك وحجة فعذري لإقراره بأن ليس لي عذر
لهفي على عيش بسلان^٥ حديثك سلف ! وأوقات حلت ، ثم خلت
وأورثت التلّف ! وآها أيام بطيب أنسك مضت ! وبروق ليالٍ لولا قربك
ما أرمضت ؛

قد كنت أعرف في الهوى مقدارها رحلت وبالأسف المبرح عوَضت
كيف السبيل إلى إعادة مثلها وهي التي بالبعد قلبي أمرضت
فجُدد بالتداني ، واسمح بنيل الأمان ، وألن قلبك القاسي ، وعد عن التنائي

(١) جبل بالمدينة (٢) ضوئك (٣) الخمر (٤) ما لمعت .

والتناسي ، وارعَ الود القديم ، وأبدلْ شقاءَ 'محبِّكَ' بالنعيم ولا تعدِّلْ عن منهاجِ المَعْدَلَةِ ، وسلِّمْ فقد أخذتْ حقها المسألة ، وأغمدْ سيفَ 'حيف' صيرته مسلولا وأوفِ بالعَهْدِ إن العهد كانَ مَسْئُولاً .

وكتب أبو عثمان عمرو بن الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ :

ليسَ عندي - أعزَّكَ اللهُ - سببٌ ولا أقدرُ على شفيِعٍ ، إلا ما طبعك اللهُ عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذي لا يكون إلا من نَسَاجِحِ حُسْنِ الظَّنِّ ، وإثبات الفضل بحال المأمول ، وأرجو أن أكونَ منَ الشَّاكِرِينَ ، فتكونَ خيرَ مُعْتَبٍ^٢ ، وأكونَ أفضلَ شَّاكِرٍ ، ولعلَّ اللهُ يجعلُ هذا الأمرَ سبباً لهذا الإِنْعَامِ ، وهذا الإِنْعَامُ سبباً للانقطاع إليكم ، والكونَ تحتَ أجنحتكم^٣ ، فيكونَ لا أعظمَ بركةٍ ولا أنمى بقيةٍ من ذنبٍ أصبحت فيه ، وبمثلِكَ (جُعِلَتْ فِدَاكَ) عاد الذَّنْبُ وسيلةً والسَّيِّئَةُ حسنةً^٤ ، ومثلِكَ من انقلبَ به الشرُّ خيراً ، والغُرمُ غنماً^٥ .

من عاقب فقد أخذ حفظه وإنما الأجر في الآخرة ، وطيب الذِّكْرُ في الدنيا ، على قدر الاحتمال ، وتجرع المرائر . وأرجو أن لا أضيع (وأهْلِكَ) فيما بين كرمك وعقلك ، وما أكثر من يعفو عن صغر ذنبه ، وعظم حقه ، وإنما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ، ضعيف الحرمة ، وإن كان العفو العظيم مستطرفاً^٦ من غيركم فهو تلاد^٧ فيكم ، حتى ربما دعا ذلك كثيراً من الناس إلى مخالفة أمركم ، فلا أنتم عن ذلك تنكفون^٨ ، ولا على سالف إحسانكم تندمون^٩ ، ولا مثلكم إلا كمثل عيسى بن مريم ؛ حين كان لا يمر ببلأ من بني إسرائيل إلا أسمعوه شرّاً ، وأسمعهم خيراً ؛ فقال له (شمعون الصفا)^٩ : ما رأيت كاليوم !

-
- (١) الجور (٢) مسر بعد إساءة (٣) حمايتكم (٤) ما يلزم أداؤه
(٥) الغنيمة (٦) مستحدثا (٧) المال القديم (٨) ترجعوا
(٩) شمعون الصفا : هو أحد حواربي عيسى عليه السلام .

كلما أسمعوك شراً ، أسمعتمهم خيراً ؟ فقال : « كلُّ امرئٍ يُنفقُ مما عنده ، وليس عندكم إلا الخير » ، ولا في أوعيتكم إلا الرحمة ، وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح .

وكتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء :

نَبَّهْتُ^١ بي غرّةُ الحداثة ، فردتني إليك التجربة ، وأفادتني الضرورة ، ثِقَّةُ بإسراعك اليّ ، وإنْ أبطأت عنك ، وقبولك لعذري وإن قصّرت عن واجبك . وإن كنت ذنوبي سدّت عليّ مسالك الصّبح عني ، فراجع في مجدك وسؤدّدك^٢ ، وإني لا أعرفُ موقفاً أذل من موقفي ، لو لا أنّ المخاطبة فيه لك ، ولا خطة أدنا مِنْ خطّتي ، لو لا أنها في طلب رضاك - والسلام .

وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٥٧٤٠ هـ :

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصّان بالماء اعتصاري

كيف يقدر (يقي الله السيد) على الدوام ، من لا يهتدي إلى أوجه الداء ، وكيف يداري أعداءه ؟ من لا يعرف الأصدقاء من الأعداء ! وكيف يعالج علة القرحة العمياء ؟ أم كيف يسري بلا دليل في الظلمات ؟ أم كيف يخرج الهارب من الأرض والسماء ؟ الكرم إذا قدر غفر ، وإذا أوثق أطلق ، وإذا أسرّ أعتق ، ولقد هربت من السيد إليه ، وتسلمت^٣ بعفوه عليه ، وألقيت رِبْقَةً^٤ حياتي ومماتي بيديه ، فليذقني حلاوة رضاه عني كما أذاقني مرارة انتقامه مني ، ولتُلْجِ^٥ على حالي غرة عفوهِ ؛ كما لاحت عليها مواسم^٦ غضبه وسطوره ؛ وليعلم أنّ الحر كريم الظفر ، إذا نال أقال ؛ وأن اللّثيم^٧ الظفر إذا نال استطال ، وليغم التجاور عن

(١) أبعدتني (٢) السيادة (٣) استمنت

(٤) العروة التي يربط بها والمراد بها الزمام (٥) تظهر (٦) العلامات

عثرات الأحرار ، وليستهمز^١ 'فرص' الاقتدار ، وليحمد الله الذي أقامه مقام من يرتجى ويخشى ، وركب نصابه في رتبة شاب الزمان ومجدها فتي^٢ ، وأخلق العالم وذكرها طري^٣ ، وليعتقد أنه قد هابه من استتر ، ولم يذنب إليه من اعتذر^٤ ، وأن من رد عليه عذره ، فقد أخرج إلى الشجاعة بعد الجبن وأخرج ذنبه إلى صحن اليقين من ستره الظن . وفق الله السيد لما يحفظ عليه قلوب أوليائه ، وعصمه مما يزيد في عدد جاحم أعدائه .

وكتب بعضهم إلى رئيسه :

وجدت استصغارك لعظيم ذنبي أعظم بقدر تجاوزك عني ، ولعمري ! ما جل ذنب يُقاس إلى فضلك ، ولا عظم جرّم يضاف إلى صفحك ، ويعوّل فيه على كرم عفوك ، وإن كان قد وسعه حلمك فأصبح جليله عندك محتقراً ، وعظيمه لديك مستصغراً ، إنه عندي لفي أقبح سور الذنوب ، وأعلى رتب العيوب . غير أنه لو لا بواد^٥ السفهاء ، لم تعرف فضائل العلماء ، ولو لا ظهور نقص بعض الأتباع ، لم يبن جمال الرؤساء ، ولو لا إمام الملتين بالذنب ، لبطل تطوّل المتطولين بالصفح . وإني لأرجو أن ينحك الله السلامة بطلبك لها ، ويقلبك العثرات بإقالتك أهلها ، وما علمت أني وقفت منك على نعمة أندبرها ، إلا وجدتها تشتمل على فائدة فضل ، تتبعها عائدة عقل .

وكتب فقيه اللغة الشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ :

بم يعتذر إليك من لا يرى لنفسه عذراً^١ ؟ وكيف يستتر من عتبك من لا يستطيع لذنبه ستر^٢ ؟ بل كفاني من العتب : تعنيف نفسي على ما ألفت عليها من تبعه تقصيري ، وما حلت به من التفريط بينها وبين معاذيري ، والله

(١) ليغتم (٢) جمع بادرة : وهي الحدة عند الغضب .

(٣) تطوّل المتطولين : فضلهم .

(٦ - جواهر الأدب ١)

يعلم ما كان تقصيري شيئاً أردته وكان تقريظي أراً قصدته ، ولكنها الأيام !
إن صاحبها لم تصحب ، وإن عاتبتها لم تعتب فلقد عبرت بي هذه البرهة كلها ،
وأنا بين شواغل لا يشغلها عني شاغل ، وبلايل^١ قد اختلط حابليها بالنابيل ،
فتنازعته هذه النهضة^٢ اليسيرة ، أجدد فيها التذكرة^٣ ، إلى أن ين الله بصلة
الحبل واجتماع الشمل ، وأستزل أحرفاً من خطك يكتحل بها الناظر ،
ويأنس إليها الخاطر ، متوقفاً بعد ذلك أن أبقى بين يدي مودتك مذكوراً ،
وإلا يكون عجزي لديك شيئاً منظوراً ، وأن تجري بي على عادة حليك ، إلى
أن يجمع الله الشيتين ويغني العين^٤ عن الأثر بالعين ، إن شاء الله تعالى - والسلام .
وكتب أيضاً :

وافاني كتابك العزيز ، والنفس نازعة * إلى ما يزيل نيفارها ، والقريحة^٥
ثائقة^٦ إلى ما يشهد^٧ غرارها^٨ ، فكان روضة^٩ باسمه^{١٠} الكائم^{١١} فاتحة
النسائم ، وقد ردت على النفس انبساطها وأحيت البادرة فاستأنفت نشاطها
فأنا منه ما بين وشي^{١٢} يخجل طراز العبقرية^{١٣} وزخرف^{١٤} دونه نضرة^{١٥}
السابرية^{١٦} تناجيني منه رشاقة^{١٧} ألقاظ تفضح قدود^{١٨} الحسان ،
وغضاضة^{١٩} أنفاس ينفار منها ورْد الجنان ، ورقة خطاب يشف^{٢٠}

(١) موم ، والحابل : قيل ناصب الحبال للصيد ، وقيل : سدى الثوب
والنابل : صاحب النبال ، وقيل : لحم الثوب ولفظ المثل ، اختلط الحابل بالنابل ،
وهو مثل يضرب في ارتباك الأمر (٢) بضم النون الفرصة (٣) الباصرة (٤) الذات
(٥) مشتاقة (٦) الملكة التي يقتدر بها على استنباط العلم بمجدة الطبع (٧) مشتاقة
(٨) يحد ، وأصله السكين (٩) بكسر الغين والمراد أن الملكة مشتاقة إلى ما
يجعلها قوية مصيبة (١٠) ضاحكة (١١) الزهر (١٢) نقش الثوب (١٣) ثياب
تبلغ الغاية في الحسن (١٤) كمال الحسن (١٥) الحسن (١٦) ثياب رقيقة جيدة
وأصلها للدرع السابرية نسبة إلى سابور كورة بفارس بينها وبين شيراز ستة
عشر فرسخاً (١٧) لطافة (١٨) جمع قد وهو القامة الرشيق (١٩) الحسن
(٢٠) يحكى .

عن ودّ صفيّ^١، ولطف خفيّ^٢، وكرم وفيّ^٣، وعتبٍ أعذبَ من الماء القراح^٤ وأرقّ من نسبات الصبا في الصُّباح، حتى لقد حبَّب إليّ تقصيري، وشفّع عند نفسي في قبول معاذيري؛ على أن ما عندي من الولاء لا يعتريه - معاذ الله! - وهنّ^٥، ولا يُخلقه^٦ تمادي زَمَن، أو ترامي وطن. ولكنَّ صُرُوفَ الأحداث^٧ قد قصّرت الجهد^٨ وصرفت جواد العزيمة عن القصد، والله يعلم أني لو نزلت على حكم نوازل الدهر، ولم أدافع طلائعها بما بقي من ساقية^٩ الصبر، لما كان في هِمَمتي إلا كسر اليراع^{١٠} وهجرُ المحابر والرقاع^{١١}، وحسبي من العذر ما أعرفه من حلك المألوف، وما ألفتَه من كَرَمِكَ المعروف.

والله أسأل أن يبقيك لي من الدهر نصيباً، ويمتعي بلقائك قريباً، بمنه وكرمه.

وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ :

أما بعدُ : فنعم البديل من الزلة والاعتذار، وبئس العِوض من التوبة الإصرار، فإنه لا عِوض من إخائك ولا خلف من حُسن رأيك، وقد انتقم مني في زلتي يجفائك، فأطلق أسيرَ تشوّقي إلى لقائك، فإنني بمعرفتي بمبلغ حلك وغاية عفوك، ضمنتُ لنفسي العفو من زلتها عندك، وقسّد مسني من الألم ما لم يشفيه غير مواصلتك.

وكتبت زبيدة زوجة الرشيد المتوفاة سنة ٢١٦ هـ إلى المأمون :

كلُّ ذنب - يا أمير المؤمنين - وإن عظم صغير في جنب عفوك، وكلُّ إساءة

(١) ظاهر فهو من الأضداد (٢) بفتح القاف الخالص (٣) ضعف (٤) لا يبليه (٥) كلاهما مصائب الدهر (٦) بفتح الجيم وضمها أي الطاقة (٧) آخره (٨) الأفلام (٩) الرقاع بكسر الراء مفردة رقعة وبضمها القطعة من الورق التي تكتب .

وإن جلت يسيرة لدى حلمك ، وذلك الذي عودك الله أطال مدتك ، وتمم نعمتك وأدام بك الخير ، ودفع عنك الشر والضير .

وبعد : فهذه رقة الولهي - التي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر ، وفي المات لجمل الذكر - فإن رأيت أن ترحم ضعفي واستكانتي وقلة حيلتي ، وأن تصل رحي ، وتحسب فيما جعلك الله له طالباً ، وفيه راعياً - فافعل وتذكر من لو كان حياً لكان شفيعي إليك .

وكتب إليها المأمون جواب المواساة الآتي :

وصلت رقتك يا أماء - أحاطك الله وتولاك بالرعاية^١ - ووقعت عليها وساءني - شهد الله^٢ جميع ما أوضحت فيها ، لكن الأقدار نافذة^٣ والأحكام جارية ، والأمور متصرفة^٤ ، والخلقون في قبضتها ، لا يقدر على دفاعها^٥ ، والدنيا كلها إلى شتات^٥ وكل حي إلى ممات ، والغدر والبغي حنف الإنسان^٦ والمكر راجع إلى صاحبه .

وقد أمرت برّد جميع ما أخذ لك ، ولم تفقدي ممن مضى إلى رحمة الله إلا وجهه ، وأنا بعد ذلك على أكثر مما تختارين^٧ والسلام .

وكتب بعضهم :

إني وإن جنيت على نفسي ، وخرجت عن حد الأدب ، فيما يجب على العبد لسيّده - فإني عبد نعمتك وصنيع إحسانك ، وذنبني وإن عظم ، وضاق باب التوبة عن قبول المعذرة ، فالعفو عنه بعض حسناتك ، التي فطّرت عليها والإغضاء عني سر من أسرارك التي تميل إليها ، فاجعل العفو عني قربة إلى

(١) يعني حفظك الله وصانك برعايته (٢) جملة معترضة يقصد بها تأكيد ما يقول (٣) يعني ما قدره الله لا بد أن يكون (٤) يعني أن الخلقونات مستسلمة لأحكام الله وأقداره (٥) مآلها التفرق (٦) يعني أن البغي فيه هلاك الباغي (٧) يعني أقوم لك بجميع ما تحبين وزيادة .

مولى الموالي ، واترك العبدَ عتيق مكارم الأخلاق ، وإلا فَضَعُ سيفَ نَقْمَتِكَ ،
 في نحر عبدِ نَعْمَتِكَ ، وَأَنْتَ حِلٌّ مِنْ دَمِ أَرَاقِهِ أَهْلُهُ ، أَوْ آلَ أَمْرِهِ إِلَى وَارِثِ
 لَا يَسَعُهُ إِلَّا النَّزُولُ عَنْ الْمَطَالِبَةِ بِهِ ، آلا وَهُوَ مَقَامُ جَلَالَتِكَ السَّامِي .
 وحاشاك أَنْ تُعَدِمَ الصَّادِقَ فِي خِدْمَتِكَ بِهَفْوَةٍ لَمْ يَقْصِدْهَا ، وَذَنْبَ أَقْلَعِ
 عَنْهُ . وَعَلَى كُلِّ فَالْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَأَمْرُهُ مِنْكَ وَإِلَيْكَ ، فَقَدْ أَلْقَى إِلَيْكَ مَقَالِيدَ
 الْأَجْلِ ، فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ ، وَاتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

استعطاف أم جعفر^١ بن يحيى الرشيد لأجل يحيى زوجها

قال سهل بن هارون :

كانت أم جعفر بن يحيى أرضعت الرشيد مع جعفر^٢ وربته في حجرها وغذته
 برسولها^٣ وكان الرشيد يشاورها مظهرًا لإكرامها ، والتبرك برأيها . وكان آلى
 وهو في كفالتها ألا ينجسها ولا يستشفعته لأحد إلا شفعمها وألت أم جعفر أن
 لا دخلت عليه إلا مأذونًا لها ، ولا شَفَعَتْ لأحد مقترف ذنبًا ؛ فكم أسير
 فكنت^٤ ، ومُبهَمٌ عنده فتحت ، ومُسْتَفْلِقٌ^٥ منه فرجحت فلما قتل ابنها جعفرًا
 وحبس يحيى زوجها وسائر أهل بيته طلبت الإذن عليه ، ومَتَتْ بوسائلها
 إليه ، فلم يأذن لها ولا أمر بشيء فيها ؛ فلما طال بها خرجت كاشفة وجهها ،
 راضعة لثامها^٦ تحتفية في مشيتها ، حتى صارت بباب قصر الرشيد ، فدخل عبد

(١) ذكر صاحب العقد أن اسمها فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة ،
 وذكر الطبري أن اسمها زينب بنت منير ، وذكر ابن خلكان أن اسمها عتابة
 وكذا صاحب نجباء الأبناء ، وذكر بعضهم أن اسمها عادة والله أعلم (٢)
 ذكر صاحب العقد وقال الطبري إنها أرضعته مع الفضل ويؤيده قول سليمان
 الأعمى يرثي جعفرًا ويستعطف الرشيد للفضل :

أمين الله في الفضل بن يحيى رضيعك ، والرضيع له ذمام
 (٣) الرسل : اللبن (٤) المستفلق (٥) مت إليه : توسل بقربة أو نحوها

الملك بن الفضل الحاجب فقال: ظنر^١ أمير المؤمنين بالباب، في حالة تقلب شماتة الحاسد، إلى شفقة أم الواحد. فقال الرشيد. ويحك يا عبد الملك. أو ساعية؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، حافية. قال: أدخلها يا عبد الملك فرب كبدي غزتها، وكربة فرجتها، وعورة سترتها. فدخلت، فلما نظر الرشيد إليها داخلية محتفية قام محتفياً حتى تلقاها بين عمدة المجلس وأكسب على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها ثم أجلسها معه فقالت: يا أمير المؤمنين أيعمدو علينا الزمان؟ ويحفونا خوفاً لك الأعوان؟ ويخبروك^٢ علينا البهتان، وقد ربيتك في حجر جري، وأخذت برضاعك الأمان من عدوي ودمري؟ فقال لها: وما ذلك يا أم الرشيد؟ فقالت: ظنرك يحى وأبوك بعد أبيك، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته وإشفاقه عليه وتعرضه للحتف في شأن موسى أخيه^٣، فقال لها: يا أم الرشيد أمر سبى وقضاء حم^٤، وغضب من الله نفذ، قالت: يا أمير المؤمنين «يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»^٥. قال: صدقت، فهذا مما لم يمنحه الله. فقالت: الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين؟ فأطرق الرشيد ملياً ثم قال:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميم لا تنفع^٦

فقالت بغير روية: ما أنا ليحيى بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قال الأول:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قول الله عز وجل «والسكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله

يحب المحسنين»، فأطرق ملياً ثم قال: يا أم الرشيد أقول:

(١) الظنر: المرصعة (٢) أحرده: أغضبه (٣) تشير إلى ما كان أراد

الهادي وموسى بن المهدي من حرمان أخيه الرشيد الخلافة من بعده ونقلها

إلى ولده واحتيال يحيى بن خالد في رد الهادي عن عزمه باذلاً في ذلك جهده

(٤) حم الأمر: قضى ونفذ (٥) أم الكتاب أصله أو اللوح المحفوظ.

(٦) التميمية: ما يعلق للأولاد من كتابة أو غيرها دفعاً للعين أو للمرض.

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذب إليه بوجه آخر 'تقبيل'
فقلت : يا أمير المؤمنين وأقول

سَتَقْطَعُ في الدنيا إذا ما قطعني يمينك فانظر أي كف تَبَدَّل^١

قال هارون : رَضِيتُ ، قالت : فيه لي يا أمير المؤمنين فلقد قال رسول الله ﷺ : « من ترك شيئاً لله لم يُوجدْهُ^٢ الله لفقده » فأكب هارون مكيّاً ثم رفع رأسه يقول : « لله الأمرُ من قبلُ ومن بعد » . قالت : يا أمير المؤمنين « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » واذكر يا أمير المؤمنين أليتك^٣ : ما استشفعتك إلا شَفَعْتَنِي . قال : واذكري يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لمقترب ذنباً فلما رأتَه صرح بمنعها ، ولاذ^٤ عن مَطْلَبِهَا أخرجت حقاً من زمرُود^٥ خضراء فوضعتَه بين يديه . فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه قفلاً من ذهب ، فأخرجت منه خَفِضَته وذوائبه وثناياه قد غَمَسَتْ جميع ذلك في المسك . فقلت : يا أمير المؤمنين أستمسك إليك ، وأستعين بالله عليك وبما صار معي من كريم جسدك ، وطيب جوارحك ليحيى عبدك . فأخذ هارون ذلك فَلَئْسَهُ ثم استعبر^٦ وبكى بكاءً شديداً وبكى أهل المجلس . فلما أفاق رمى جميع ذلك في الحق وقال لها : لحسن ما^٧ حفظت الودعة ، فقلت : وأهل للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين . فسكت وأقبل الحق ودفعه إليها وقال : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » قالت : والله يقول : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » . ويقول : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت لي

(١) البيتان من قصيدة معن بن أوس الآتية في باب العتاب .

(٢) أوجده : أحزنه . (٣) الألية : الحلف .

(٤) لا ذئلوذ : راغ وانحرف . (٥) الزمرد : من الأحجار النفيسة .

(٦) استعبر : جرت عبرته وهي الدمعة قبل أن تفيض . (٧) ما مصدرية .

أن لا تحجبني ولا تمتسني^١؟ قال : أحب يا أم الرشيد أن تشتريه 'مَحْكَمَةً'^٢ فيه . قالت : أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير 'مُسْتَقْبَلَةٍ' لك ولا راجعة عنك . قال : بكم ؟ قالت : برضاك عن لم يُسْخِطْكَ . قال : يا أم الرشيد أمالي عليك من الحق مثل الذي لهم ؟ قالت : بلى يا أمير المؤمنين أنت أعز عليّ ، وهم أحب إليّ . قال : فَتَحْكَمِي في تَمْشِيَةٍ^٣ بغيرهم . قالت : كلا . قد وهبتكه وجعلتك في حِلٍّ منه وقامت عنه وبقيَ مَبْهُوتًا ما 'يُجِيرُ' : لفظة .
قال سهل بن هارون : وخَرَجَتْ فلم تعد ، ولا والله ما رأيت لها عَبرَةً ، ولا سمعت لها أنَّةً

استعطاف إبراهيم بن المهدي للمأمون

أمر المأمون بإبراهيم بن المهدي فأدخل عليه فلما وقف بين يديه قال : هيه يا إبراهيم ! فقال : يا أمير المؤمنين وليّ الثأر 'مَحْكَمٌ' في القصاص 'والعفو' أقرب 'للتقوى' ، ومن تناوله الاغترار بما مُدَّ له من أسباب الشفاء أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كلّ ذي ذنب ، كما جعل كلّ ذي ذنب دونك فإن أخذتَ فَبِحَقِّكَ ، وإن عفوتَ بِفَضْلِكَ . ثم قال :

ذني إليك عظيمُ وأنتَ أعظمُ منه
فخذْ بِحَقِّكَ أو لا فاصفح بِفَضْلِكَ عنه
إن لم أكنْ في فعالي من الكرام فكُنْهُ

- (١) امتنه : ابتذله وأهانته (٢) يقول أحب أن تطلي ما تشائين إزاء هذا القسم (٣) التمنية والمنية : بمعنى واحد (٤) يقال : هو لا يحير جواباً أي لا يرد .
- (٥) كان إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد لأبيه قد ادعى الخلافة بعد قتل الأمين وقبل عودة المأمون من خراسان إلى بغداد وأعانه على ذلك كثير من أهل بغداد ثم خلع وغلب على أمره فاختلفى حتى ظفر به المأمون . وكان إبراهيم بارعاً في الأدب حسن الغناء جيد الشعر توفي سنة ٢٤٢ هـ في خلافة أخيه المعتصم .
- (٦) هيه مثل إيه للاستزادة أو للاستنطاق فهي اسم فعل .

فقال المأمون : شاورت أبا إسحاق^١ والعباس في قتلِكَ فأشارا به ، فقال :
 أما قُلْتَ لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال المأمون : قلتُ لهما تَبْدُوهُ بإحسان ،
 وَنَسْتَأمره^٢ فيه ، فإن غيّر ، فالله يُغيّر ما ربه . قال : أمّا أنا فكونا قد
 نصحا في عظيم بما جرت عليه السّياسة ، فقد فعلا وبلغنا ما يلزمهما وهو الرأي
 السّديد ، ولكنك أبيت أن تستجلب النصر إلّا من حيث عوّدكَ الله ، ثم
 استعبرَ باكياً . فقال له المأمون : ما يُبكيك ؟ قال : جدلاً إذ كان ذنبي إلى
 من هذه صفته في الإنعام ، ثم قال : إنه وإن كان قد بلغُ جُرْمي إستحلالَ دمي
 فحلم أمير المؤمنين وفضله ببلغاني عفوهُ ، ولي بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب ،
 وحقّ الأبوة بعد الأب . فقال المأمون : يا إبراهيم لقد حُبّبَ إليّ العفو حتّى
 خفتُ أن لا أوجر عليه . أما لو علم الناس ما لنا في العفو من اللذة لتقربوا إلينا
 بالجنّيات . لا تثريب^٣ عليك ، يغفر الله لك ، ولو لم يكن حقّ نسبِكَ ما يُبْلَغُ
 الصّفح عن جرمك لبَلّغَكَ ما أملت حسنَ تنصّلِكَ ، ولطفَ تَوَصّلِكَ . ثم
 أمر برَدّ ضياعه وأمواله . فقال إبراهيم :

رددت مالي ولم تبخل عليّ به	وقبل ردّك مالي قد حقّنت دمي
وقام عِلمُكَ بي فاحتجّ عندك لي	مقامَ شاهد عدل غير متهم
فلو بذلت دمي أبغي رضاك به	والمال حتّى أسأل النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عارية سلفت	لو لم تهبّها لكنت اليوم لم تلم

(١) أبو إسحاق هو المعتصم بن الرشيد ، والعباس هو ابن المأمون ولقد أحسن
 إبراهيم في تصويب رأيها لأن ذلك أنجح في طلب الرضا وأبلغ في دفع المكروه
 من الازدراء عليهما في رأيها . (٢) أصل الاستئثار : المشاورة . والمراد هنا التجربة
 (٣) التثريب : اللوم والتعير بالذنب . (٤) حقن الدم : صانه

استعطاف إسحاق بن العباس للمأمون

قال المأمون لإسحاق بن العباس: *تَحْسِبَنِي أَغْفَلْتُ أَمْرَ ابْنِ الْمَهْدِيِّ وَتَأْيِيدَكَ لَهُ وَإِيقَادَكَ لِنَارِهِ؟* فقال: *وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَجْرَامِ قَرِيشٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمَ مِنْ جُرْمِي إِلَيْكَ ، وَلِرَجْمِي بِكَ أَمْتَنَ مِنْ أَرْحَامِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ - عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِإِخْوَتِهِ: « لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ وَارِثَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي الطَّوْلِ ، وَنُمُتِّلُ^١ لِحَالِ الْعَفْوِ وَالْفَضْلِ .*

قال : *مِهْيَات ! تِلْكَ أَجْرَامُ جَاهِلِيَّةٍ عَفَا عَنْهَا الْإِسْلَامُ وَجُرْمُكَ جُرْمٌ فِي أَسْلَافِكَ وَفِي دَارِ خِلَافَتِكَ .*

قال : *يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ لِلْمُسْلِمِ أَحَقُّ بِإِقَالَةِ الْعَثْرَةِ وَغَفْرَانِ الذَّنْبِ مِنَ الْكَافِرِ وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِذْ يَقُولُ : « سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » وَالنَّاسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسَبَةٌ دَخَلَ فِيهَا الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ وَالشَّرِيفُ وَالْمَشْرُوفُ .*

قال ، *صَدَقْتَ ، وَرَتَّ^٢ بِكَ زِنَادِي ، وَلَا بَرَحْتُ أُرَى مِنْ أَهْلِكَ أَمْثَالَكَ .*

(١) امثل طريقته : تبعا فلم يعدها .

(٢) ورت بك زنادي ووقدت بك زنادي مثلان يقالان لمن أنجدك أو أرسدك والمراد بهما الدعاء .

استعطاف الفضل^١ بن الربيع للمأمون

قال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ، أكان من حقي عليك
وحق آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك أن تتلبنى^٢ وتُسبني وتحرض^٣ على
دمي ؟ أأحب أن أفعل بك ما فعلته بي ؟
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عذري ليحقدك إذا كان واضحاً جميلاً ، فكيف
إذا أخففته العيوب ! وقسبتته الذنوب ! فلا يضيق عني من عفوك ما وسع
غيري منك ، فأنت كما قال الشاعر^٤ فيك :

صَفُوحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَانَتْهُ مِنْ الْعُفُوفِ لَا يَعْرِفُ مِنَ النَّاسِ مَجْرَمًا
وَلَيْسَ يَبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَغْشَ بِالْكَرهِ مَسْلَمًا

استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كان تميم بن جميل السدوسي^٥ قد خرج بشاطئ الفرات ، واجتمع إليه
كثير من الأعراب ، فعظم أمره ، وبعد ذكره ، ثم ظفّر به ، وحمل موثقاً
إلى باب المعتصم ، فقال أحمد بن أبي دؤاد : ما رأيت رجلاً عاين الموت ، فما
هاله^٥ ولا شغله عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل ، فإنه لما مَثُلَ

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس حاجب الرشيد ثم وزيره بعد نكبة
البرامكة ثم وزير الأمين في خلافته . ويقال : إنه هو الذي أوغر صدر الرشيد
على البرامكة حسداً لهم على منزلتهم وفيه يقول أبو نواس :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

توفي الفضل سنة ٢٠٨ هـ . (٢) ثلّبه ، تنقصه وصرح بعيبه . قال الشاعر :

* لا يحسن التعريض إلا ثلّبا *

(٣) القائل هو الحسن بن رجاء (٤) سدوس : بطن من بني شيبان ثم من بني

بكر . (٥) هاله : أفزعه .

بين يدي المعتصم ، فأحضرَ السيفَ والنَّطْعَ^١ ، وأوقف بينهما ، تأمله المعتصم — وكان جليلاً وسيماً - فأحسب^٢ أن يعلم أين لسانه وجَنَانُهُ من منظره ، فقال : تكلم يا تميم . فقال : أمّا إذا أذِنتَ يا أمير المؤمنين فأنا أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين ، جبر بك صدع^٣ الدين ، وكلم بك شعث^٤ المسلمين ، وأوضح بك سبل الحق ، واتخذ بك شهاب الباطل . إن الذنوب تُخْرِسُ الألسنة الفصيحة وتُعْيِي الأفتدة الصحيحة ، ولقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة ، وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربها منك وأسرعها إليّ أشبهها بك وأولاهما بكرمك ، ثم قال - على البديهة - :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً^٥ يلاحظني من حيثما أتلفت وأكبرُ ظلي أنك اليوم قاتلي وأي امرئ مما قضى الله يُفْلِتُ؟^٦ وأي امرئ يأتي بعذر وحُجَّةٍ وسيف المنايا بين عينيه مُصَلَّتٌ وما جزعي من أن أموت وإنني لأعلم أن الموت شيء موقت ولكن خلفي صبيحة قد تركتهم كأي أراهم حين أنعى إليهم وقد تخشعوا^٧ تلك الوجوه وصوتوا فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة أذود الردى عنهم وإن مت موتوا^٨ وكم قائل لا يُبْعِدُ اللهُ رُوحَه وآخر جدلان^٩ يُسرُّ ويشمت

فتبسم المعتصم وقال : كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العدال ، قد وهبتك

-
- (١) النطع : بساط من الجلد يفرش تحت من يراد قتله حتى لا يسقط دمه على الأرض
(٢) احسب : انتشر الأمر والأشياء المتطرفة
(٣) الصدع الشق في الحائط ونحوه
(٤) الشعث : انتشار الأمر والأشياء المتطرفة
(٥) أفلت : تخلص ونجا .
(٦) أصلت السيف : استله من غمده .
(٧) تخشعوا : كثروا في الموت
(٨) خمس وجهه : لطمه وهو من باب ضرب ونصر .
(٩) جدلان : كثروا في الموت

للصبيبة ، وغفرت لك الصبوة . ثم أمر بفك قيوده وخلع^٢ عليه .
وكتب الجاحظ إلى ابن الزيات يستعطفه وكان قد تنكر^٣ له وتلون^٤ عليه :
أعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرف^٥ الهوى ، وصرف^٦
ما أعادك من القوة إلى حب الإنصاف ، ورَجَّحَ في قلبك إيشار الأناة^٥ فقد
خفت - أيدك الله ! - أن أكون عندك من المنسوبين إلى نزق^٦ السفهاء ،
ومجانبة سبل الحكماء ، وبعد فقد قال عبد الرحمن^٧ بن حسان بن ثابت :
وإن أمرء أ أمسى وأصبح سألما من الناس إلا ما جنى لسعيد
وقال الآخر^٨ :

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل
فإن كنتُ اجتُرأت - أصلحك الله ! - فلم أجترئ إلا لأن دوام تغافلِكَ
عني شبيه بالإمال الذي يورث الإغفال ، والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة ولذلك
قال عيسنة^٩ بن حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله عمر كان خيراً لي منك ؛ أُرهبني
فأتقاني^{١٠} وأعطاني فأغواني ، فإن كنت لا تهيب عقابي - أيدك الله ! - لحدمة
فهبه لأيديك عندي ، فإن النعمة تشفع في النعمة ، وإلا تفعل ذلك فعد إلى حسن
العامة ، وإلا فافعل ذلك لحسن الأحدثة^{١١} ، وإلا فأت ما أنت أهلُه من العفو
دون ما أنا أهلُه من استحقاق العقوبة ، فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد

(١) الصبوة : الزلة وجهلة الشباب (٢) خلع عليه خلعة : منحه بعض ثيابه
وقد يراد به مطلق العطاء (٣) تنكر له : تغير (٤) السرف : مجاوزة الحد (٥) الأناة :
الحلم والوقار (٦) النزق : الخفة والطيش (٧) هكذا يقول الجاحظ وغيره ينسب
البيت لحسان نفسه ؛ راجع الأغاني (٨) من الناس من يروي هذا البيت في جملة
أبيات لكرم بن زهير ، ومنهم من يرويه لمحمد بن حازم الباهلي ؛ راجع الأغاني .
(٩) هو سيد بني ذبيان في صدر الإسلام وهي سلالة حذيفة بن بدر الفزاري الذي
كان السبب في حرب داحس والغبراء (١٠) أتقاه : صيره تقياً . (١١) الأحدثة :
الحديث والسيرة ، جمعها أحاديث .

وَتَتَجَافَى^١ عَنْ عِقَابِ الْمَصِيرِ^٢ حَتَّى إِذَا صُرْتَ إِلَى مِنْ هَفُوتِ ذِكْرِهِ^٣ ، وَذَنْبِهِ نَسِيَانٍ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشُّكْرَ إِلَّا لَكَ وَالْإِنْعَامَ إِلَّا مِنْكَ هَجَسَتْ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ . وَاعْلَمْ - أَيْدِكَ اللَّهُ ! - أَنَّ شَيْنَ غَضَبِكَ عَلَى كَرِيْمٍ صَفْحَكَ عَنِّي ، وَأَنْ مَوْتَ ذِكْرِي مَعَ انْقِطَاعِ سَبِيي مِنْكَ كَحَيَاةِ ذِكْرِي مَعَ اتِّصَالِ سَبِيي بِكَ^٤ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ فِطْنَةً عَلَيَّ وَغَفْلَةً كَرِيْمٍ وَالسَّلَامَ .

استعطاف رجل من أهل الشام للمنصور

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ انْتَقَمَ فَقَدْ شَفَى غَيْظَهُ وَانْتَصَفَ ، وَمَنْ عَفَا تَفَضَّلَ ، وَمَنْ أَخَذَ حَقَّهُ لَمْ يَجِبْ شُكْرَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ فَضْلَهُ ، وَكَظَمَ الْغَيْظَ حِلْمٌ وَالتَّشْفَى طَرَفٌ مِنْ الْجَزَعِ ، وَلَمْ يَمْدَحْ أَهْلَ التَّقْوَى وَالنَّهْيِ مَنْ كَانَ حَلِيمًا بِشِدَّةِ الْعِقَابِ وَلَكِنْ بِحَسَنِ الصَّفْحِ وَالْإِعْتِقَادِ وَشِدَّةِ التَّعَاظُلِ . وَبَعْدُ : فَالْمَعَاظِبُ مُسْتَوْدَعٌ لِعِدَاوَةِ أَوْلِيَاءِ الْمَذْنِبِ ، وَالْعَافِي مُسْتَدْعٍ لَشُكْرِهِمْ بِأَمْنٍ مِنْ مَكَافَأَتِهِمْ ، وَلِئِنْ يُثْنَى عَلَيْكَ بِاتِّسَاعِ الصَّدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُوصَفَ بِضَيِّقِهِ ، عَلَى أَنْ إِقَالَتِكَ عَثَرَاتِ عِبَادِ اللَّهِ مُوجِبَةً لِإِقَالَةِ عَثَرَتِكَ مِنْ رِجْلِهِمْ مُوصُولَةً بِعَفْوِهِ ، وَعِقَابِكَ إِيَّاهُمْ مُوصُولٌ بِعِقَابِهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَزَّ وَجَلَّ : « خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

روح بن زنباع يستعطف معاوية

أَرَادَ مَعَاوِيَةَ مَعَاظِبَةَ رَوْحِ بْنِ زَنْبَاعٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْشُدْكَ اللَّهَ تَعَالَى

(١) تَتَجَافَى : تَتَبَاعَدُ (٢) أَصْرَ عَلَى الذَّنْبِ اسْتَمَرَّ (٣) يَقُولُ : هَفُوتُهُ هِيَ تَذَكُّرُ الْهَفُوتَةِ أَوْ جَرِيهَا عَلَى لِسَانِهِ (٤) التَّشْبِيهِ فِي هَاتَيْنِ الْفَقْرَتَيْنِ مِنْ قَبِيلِ قَوْلِهِمْ فِي التَّفْضِيلِ : الْمَسْلُ أَحْلَى مِنَ الْحُلِّ . يَقُولُ : إِنْ مَقْدَارُ قَبْحِ الْغَضَبِ كَمَقْدَارِ حَسَنِ الصَّفْحِ وَإِنْ مَقْدَارُ مَوْتَ الذِّكْرِ عِنْدَ الْإِنْقِطَاعِ مِثْلُ مَقْدَارِ حَيَاتِهِ عِنْدَ الْإِتِّصَالِ .
(٥) الْأَوْلِيَاءُ : الْأَهْلُ وَالْأَقَارِبُ .

الآن تضع مني خسيصة أنت رفعتها أو تنقص مني مريرة^١ أنت أبرمتها^٢ تشمت بي عدوا أنت كبتته^٣، وحاسدا بك وقمتته^٤، وأسألك بالله إلا أربى حيلك على خطئي وصفحك على جهلي. فقال معاوية: إذا الله سنسى^٥ عقد شيء تيسرا؛ وعفا عنه .

وقد ألم المتنبى بقول رَوْحٍ إذ يقول :
أزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكَبَبَتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسُودًا
إِذَا شِدَّ زَيْنُدِي حُسْنَ رَأْيِكَ فِي يَدِي ضَرِبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مَغْمَدًا

ابن الرومي يستعطف القاسم^٥ بن عبيد الله

كتب ابن الرومي يستعطف القاسم بن عبيد الله :
تَرَفَّعَ عَن ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا ، وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا ، فَوَاللَّهِ إِنِّي
لَأُطْلَبُ عَفْوًا ذَنْبٌ لَمْ أَجْنِهِ ، وَأَلْتَمَسُ الْإِقَالَةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ ، لِتَزْدَادَ تَطَوُّلًا^٧
وَأَزْدَادًا تَذَلُّلًا . وَأَنَا أَعِذُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا ، وَأُخْرِسُهَا
بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُحَاوِلُ إِفْسَادَهَا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ بِقَدَرِ وَدِّي
لَكَ ، وَتَحْصِلِي مِنْ رَجَائِكَ بِحَيْثُ أَسْتَحِقُّ مِنْكَ . وَالسَّلَامُ .

(١) المريرة: الحبل الشديد الفتل (٢) أبرم الحبل: أجاد قتله، والأمر: أحكه

(٣) كبتته : أذله وغازله وصرعه لوجهه . (٤) وقته : قهره

(٥) سنسى الشيء: فتحه وسهله ، وهذا شطربيت وهو :

وأعلم علماً ليس بالظن أنه إذا الله سنسى عقد شيء تيسرا

(٦) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وبنيته بيت وزارة وكتابة وأدب فقد كان وزيراً وابن وزير أما الكتابة فهو فيها معرق لأنه يرثها عن ثمانية آباء متعاقبين منذ خلافة يزيد بن معاوية وكان عظيم الهيبة شديد الإقدام سفاكاً للدماء وهو الذي دس لابن الرومي السم في الطعام خوفاً من لسانه ، توفي سنة ٢٩١ هـ وعمره نيف وثلاثون . (٧) التطول : الإنعام.

وكتب إليه :

لو كان في الصمت موضع يسعُ حالي لَخَفَفْتُ عَنْ سَمْعِ الوزيرِ ونظره ،
ولم أَشْغَلْ وجهاً من فكره ، وما زالت الشكوى تُعَرِّبُ عن لسانِ البَلَوَى .
ومن اخْتَلَّتْ حالتهُ كان في الصمت هَلَكْتُهُ ، وقد كان الصبر يَنْصُرُنِي على
سترِ أمري حتى خَذَلَنِي .

استعطاف للخوارزمي

لو بغير الماء حَلَقِي شَرَق كُنْتُ كَالْفَصَّانِ ، بِالماءِ اعْتَصَارِي^٢
كيف يَقْدِرُ - أبقى الله السيد - عَلَى الدَّوَاءِ ، مَنْ لَا يَهْتَدِي إِلَى أَوْجِه الدَّاءِ ؟
وكيف يُدَارِي أعداءه مَنْ لَا يَعْرِفُ الأعداءَ مِنَ الأَصْدِقَاءِ ؟ أم كيف يَسْهَرِي
بلا دليل في الظلماء ؟ أم كيف يَخْرُجُ الهاربُ مِنْ بَيْنِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ؟ الْكَرِيمُ
- أَبَدَ اللهُ مَوْلَايَ ! - إِذَا قَدَّرَ غَفْرٌ ، وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلَقَ ، وَإِذَا أَسْرَأَ عَتَقَ . وَلَقَدْ
هَرَبْتُ مِنَ الشَّيْخِ إِلَيْهِ ، وَتَسَلَّحْتُ بِعَفْوِهِ عَلَيْهِ ، وَأَلْقَيْتُ رِبْقَةً^٣ حَيَاتِي وَمَمَاتِي
بِيَدَيْهِ ، فَلَسِيذِقْنِي حَلَاوَةَ رِضَاهِ عَنِي كَمَا أَذَاقَنِي مَرَارَةَ انتِقَامِهِ مِنِّي ، وَلَنُلَحْ عَلَى
حَالِي غَرَّةً^٤ عَفْوُهُ كَمَا لَاحَتْ عَلَيْهَا مَوَاسِمُ غَضَبِهِ وَسُطُوهُ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْحَرَّ
كَرِيمَ الظَّفَرِ ، إِذَا نَالَ أَقَالَ ، وَأَنَّ اللَّئِيمَ لَثِيمَ الظَّفَرِ إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ^٥ ، وَلِيَعْتَمِ
التَّجَاوُزُ عَنْ عَثَرَاتِ الأَحْرَارِ ، وَلِيَنْتَهِزَ فُرْصَ الاقْتِدَارِ ، وَلِيَحْمَدَ الَّذِي أَقَامَهُ
مَقَامَ مَنْ يَرْتَجَى وَيَخْشَى ، وَرَكِبَ نَصَابِهِ فِي رَتَبَةِ شَابِ الزَّمَانِ وَمَجْدَهَا فِي ،

(١) الهلكة الهلاك (٢) الشرق بالماء كالغصة بالطعام والاعتصار معالجة الغصص
بشرب الماء قليلاً قليلاً ، والبيت لعدي بن زيد العبادي الشاعر الجاهلي من قصيدة
يستعطف بها النعمان بن المنذر يقول إن الإنسان إذا غص بالطعام عاجله بالماء فماذا
يصنع إذا كانت غصته بالماء نفسه ! (٣) الربة العروة التي يربط بها ويراد بها الزمام
(٤) لاح ظهر (٥) الغرة بياض في وجه الحيوان والمراد هنا الأثر (٦) المواسم :
العلامات . (٧) استطال : تطاول واعتدى .

وأخلقَ الْعَالَمَ وذكرُها طريٌّ ، وليعتقد أنه قد هابه من استتر ، ولم يذنب إليه من اعتذر . وفق الله تعالى الشيخ لما يحفظ عليه قلوب أوليائه ، وعصمه مما يزيد به في جاحم أعدائه .

اعتذار لسعيد بن حميد

كتب سعيد^١ بن حميد يعتذر :

أنا من لا يحاجُّكَ عن نفسه ، ولا يُغالطُكَ عن جُرْمِهِ ، ولا يلتبس رضاكَ إلا من جهته ، ولا يستدعي برَّكَ إلا من طريقته ، ولا يستعطفكَ إلا بالإقرار بالذنب ، ولا يستميلكَ إلا بالاعتراف بالجرم . نَبَتُ بي عنكَ غيرةُ الحدائث ، وردتني إليك الحُنْكَ^٢ ، وباعدتني منك الثقة بالأيام ، وقادتني إليك الضرورة ، فإن رأيت أن تستقبل الصَّنِيعَةَ بقبول العذر ، وتجِدَّ النعمة باطرَّاح الحقد ، فإن قديم الحرمة وحديث التوبة يحقان ما بينهما من الإساءة ، وإن أيام الحياة وإن طالت قصيرة ، والمُتعة بها وإن كثرت قليلة .

اعتذار لأبي علي البصير

كتب أبو علي البصير يعتذر :

أنا أحد مَنْ أَسْكَنْتَهُ ظِلَّكَ ، وأَعْلَقْتَهُ حَبْلُكَ^٣ ، وحبوته بلطفِ برِّكَ وخاص عنايةكَ ، وانتصف بك [من] الزمان ، واستغني بإخائك عن الإخوان ، فهو لا يرغب إلا إليك ، ولا يعتمد إلا عليك ، ولا يستنجح^٤ طلبه إلا بك ، وقد كانت كَفَرَطُ مِئْسِي قول إن نَأْوَلْتَهُ^٥ لي أراك وجه عذري وقام عندك

(١) هو من أولاد الدهاقين ، كاتب شاعر مترسل حسن الكلام فصيح ، أخذ عن الإمام الأعرابي ويؤخذ عليه أنه كثير الأخذ بالكلام غيره .

(٢) الحنكة : خبرة التجارب . (٣) وصلته وقيدته بزمام مودتك .

(٤) استنجح حاجته وتنجحها تنجزها وطلب نجحها (٥) أول الكلام

وتأوله : فسرّه .

بمحبتتي فأغنائني عن توكيد الأيمان على حُسن نيتي ، وإن تأولته عليّ أحاق^١ بي
لائمتك^٢ وحسبني على أسوأ حال عندك . وقد أتيتك معترفاً بالزلة ، مُستكيناً^٣
للمواعدة^٤ ، عائذاً بالصفح والإقامة ، فإن رأيت [أن] تُقِرَّ عَيْنُنا قررت
بنعمتك عندي ، ولا تسلبني ما ألبستني ، وأن تقتصر من عقوبي على المكروه
الذي نالني بسبب عتبك عليّ ، ونأمر بتعريفي رأيك بما يُطامن^٥ هلمي
وتسكُنْ إليه نفسي ويأمنُ به روعي^٦ « فعلت » إن شاء الله .

كتب البديع إلى القاسم الكرخي يعتذر :

يعزّ عليّ - أطل الله بقاء الرئيس ! - أن ينوب في خدمتك قلبي ، عن
قدمي ، ويسعد برؤيته رسولي ، دون وصولي - ويرد شرعة^٧ الأنس به
كتابي قبل ريكلي ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمة :

وعليّ أن أسعى وليس عليّ إدراك النَّجَاح

وقد حضرت داره ، وقبّلت جداره ، وما بي حب الجدران ، ولكن شغفاً
بالقُطّان ، ولا عشق الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان^٨ ، وحين عدت^٩
العوادي عنك أملت ضمير الشوق على لسان القلم معترداً إلى مولاي عن تقصير
وقع ، وفُتور في الخدمة عرّض ، ولكنني أقول :

إن يكن تركي لقصدك ذنباً فكفى أن لا أراك عقاباً

(١) أحاق : أنزل (٢) اللائمة : اللوم (٣) استكان : خضع ، وهو من
الكون فوزنه افتعال بزيادة الألف للإشباع كما قالوا في انظر (انظور) ويرى
بعض الناس أنه من الكون وليس بوجيه لأن المعنى لا يعنيه . (٤) المودة :
الغضب . (٥) يطامن : يخفض ويخفف (٦) الروح القلب وهو أيضاً الفزع
والخوف (٧) الشريعة والشرعة والمشرعة مورد الشاربة من الماء (٨) ألم البديع
هنا يقول الشاعر :

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

(٩) منعت الموانع .

الباب الثاني

الفصل الثاني في رسائل حسن التقاضي والطلب

كتب عبدالله بن سليمان أبو العيناء المتوفي سنة ٢٨٢ هـ :
أنا - أعزك الله ! - وعيالي ررع من زرعك ، إن أسقيته راع^٢ وزكا ،
وإن جفوتته ذبل وذوى^٣ ، وقد مسني منك جفاء بعد بر ، وإغفال بعد
تعاهد ، حتى تكلم عدو^٤ ، وشميت حاسد^٥ ، ولعبت بي ظنون رجال كنت لهم
لاعباً ، ولهم مخبراً

لا تهني بعد أن أكرمتني وشديت عادة^٦ مستزعة

وكتب المرحوم عبد الخالق ناشا ثروت :

إليك (يا من قد استأسر النفوس بكرمه ، واسترق الأحرار بحميل
صنعه ، وأولى النعم والخيرات ، وأسدي المعروف والمبرات) أرفع كتاباً ،
تبعته إلى ناديك العالي عوامل الحاجة ، وتزجيه : إلى ساحتك دواعي الشدة ،
أمل أن يكون تذكرة بأمرى (والذكرة تنفع المؤمنين) وتذكرة بحالي
(والله لا يصيح أجراً الحسين) فقد كان سيدي رفع الله قدره ، وأعلى
مرتبته ، وعدني (ومثله من يتمسك من الوفاء بالعروة الوثقى ، ويقطع جبل
الإخلاف بسيف الوفاء ، ويطرز خلعة الوعد بوشى العطاء) أن يرسل إليّ
من خيراته ويؤليني من آلائه وحسناته ، ويضاعف لي من منّيه ، ويزيدني
من عطائه ما أشد به أزرى^٦ على الزمان ، وأطاول به بوائب الحدان^٧ ،

-
- (١) والفصل الأول في الرسائل التجارية التي أغفلناها في كتابنا هذا لأن لها
مؤلفات خاصة بها فارجع إليها إذا شئت . (٢) نما وزاد . (٣) ذبل .
(٤) تدفبه . (٥) من الحبل الوثيق المحكم . (٦) ظهري .
(٧) بفتح الحاء والذال أو بكسر الحاء وسكون الذال حوادث الدهر .

فقد بارزني الدهر بسيوفه ، ورماني بسهامه ، وأناخ^١ عليّ بكلا كليله^٢ ، وقد طال الأمد^٣ علي حاجتي عند سيدي - أطال الله بقاءه ! - حتى شاب غراب شبابه ، وصاح بجانب ليلا ، فخفت أن تكون هبت عليها ريح^٤ اللّٰسّيان ، وعصفت^٥ بها عاصفة^٥ النّجّدان^٦ ، فكتبت^٦ إلى سيدي ومولاي تلك الرقعة ، أستعجل^٧ بها برّه^٧ ، وأستدّر^٨ بها ضرّع^٨ عطائه^٨ ، علماً بأن التعجيل يكسّر^٩ العطية ، وإن كانت صغيرة ، ويكثرها ، وإن كانت يسيرة ، فمعي أن يكون قد لاح^٩ نجم النّجاح ، وهب^٩ نسيم الفلاح ، فيُرسل^٩ إلى سيدي سحاب كرمه ، ويمطر^٩ني من غياث فضله فتعرف^٩ غصون آمالي بعد دُلوها ، وتضحك^٩ وجوه مطالي بعد عبوسها ، وأمل^٩ في ذلك فسيح^٩ ، فإن سيدي من أكرم الناس نسباً وأشرّ فمهم حسباً ، ومثلّه جدير^٩ بحفظ العهد ، وإنجاز الوعد . فإن رأى سيدي أن يخفف ثقل الحاجة عنّي ، ويرُدّ ما سلبه الدهر مِنّي بقطرة من بحر عطائه ، ومنّة^٩ من بعض آلائه^٩ ، ويجبر^٩ ما كسره^٩ الفقر من جناحي ، ويرُدّ^٩ عني التوائب التي لا تفتأ^٩ تتولاني ، عقدت^٩ لساي على مدحه ، ووقفت^٩ نفسي على شكره ، فيسخر^٩ من الله أجراً جزيلاً ، ومنّي شكراً جزيلاً ، إن شاء الله بمنّته وكرمه .

وكتب المرحوم أحمد بك رَأَفَت :

السيد الكامل - أدام الله علاّه^{١٠} ، وأطال بقاءه^{١٠} ، وجعله مَوْئِل^{١٠} الكرم ، ومُسْدِي النعم - قد غمرني بنعمائه ، وطوقني بآلائه^{١٠} ، حتى قصرت^{١٠} حمدي عليه ، وأمسكت^{١٠} لساني عن الشكر إلا إليه ، وكان من منّته^{١٠} عَلَيّ وأياديه

-
- (١) مال . (٢) مصائب (٣) الغاية (٤) اشتدت .
 (٥) الريح . (٦) حوادث الدهر . (٧) تتلأأ . (٨) حقيق .
 (٩) نعمة . (١٠) آلائه : أفضاله . (١١) تستمر . (١٢) ملجأ .

البيضاء لديّ أن وعدني يُقلِّدني في أول العام وظيفّةً عاليةً، ومرتبة سامية ،
فاخضل^١ رَوْضُ الأمل بعد ذبوله ، وبزغ^٢ كوكبه بعد أفوله^٣ واتسع
نطاقه^٤ ، واستبشر القلبُ بنيل أمنيّته ، والحصول على طلبته . واشتدّ
أرْزي^٥ على مقارعة كئائب^٦ الزمان ، وقسوي جناني على صد جيوش الحِداث
وما زالت بي الأيام حتى حان أوّلُ العام ، وما تحقّق الوعدُ ، أو أوفي العهدُ .
ومثلُ السّيد من إذا وعد وفى ، أو تعهد أوفى :

أوفى دين ذي المعروف يحملُ أنثي تنوءُ بي البؤسى ويثقلُني العُسرُ
وأنتَ الذي أعطى المكارم حقها ولم يحكْ جَدَّ والكِالسَّحابُ ولا البَحْرُ
فمَجَلَّ فخيرُ البرِّ يُحمد عاجلاً وأوف فوعد الحرِّ دين به الحر

هذا ؛ ولكنني رجعت وحكمت العقل ، فعذرتُ السيد ، وحملت ذلك على
أنه إنما لم يعجّل بإنجاز وعده ، وإيفاء عهده ، إلا لتقليد عبده وظيفّةً أسمى
ومرتبةً أعلى ، علّه يستدرّك ما فات ، ويُحسنُ إلى عبده فيما هو آت .

وكتب الفاضل عبد العزيز بك محمد :

عهدي بالسيد الجليل — أدامه الله مصدراً للمكارم تُشْتَقُّ منه صفاتها ،
ومظهراً للفضائل تتجلى فيه آياتها — سباقاً إلى غايات المجد درأكاً لمطالب الحمد ،
أريحياً^٧ لا يصبو^٨ إلا إلى إسداء المِنَّن^٩ ، جواداً لا يطمعُ طرفه في بث
عوارفه إلى ثمن . ما أمّه^{١٠} أسيرُ فاقة^{١١} إلا والنَّفى^{١٢} لديه كهفاً منيعاً ؛
وجاهاً رفيعاً ، وما قصده ذو حاجةٍ إلا وصدر^{١٣} عن مورد^{١٤} فضله

(١) صار ندياً . (٢) طلع . (٣) غيبته . (٤) ثوبه . (٥) ظهري .

(٦) الجيوش . (٧) يرتاح للعطاء . (٨) لا يميل . (٩) إحسان .

(١٠) قصد . (١١) فقر . (١٢) وجد . (١٣) رجع . (١٤) مكان الورود .

شادياً^١ بثنائه ، معلناً بولائه وإن لي إلى السيد حاجة^٢ إن لم يُسمف بقضائها
فيا حسرة نفسي وطول شقامها . وليست هذه بأول مرة استمحت^٣ فيها علي
سرورته ، واستمطرت صيب^٤ همته ، فإنه طالما طوّفتي قلائد نعمه ، وأرسل
عليّ مدرار^٥ كرمه ، فليجر في هذه أيضاً عادته ويقابلني بما عودني من
كرامته . ومعاذ الله أن أسأله ما ليس في وسعه ، أو أن أستقصيه شيئاً يحرص
عليّ منعه . ولكنني :

أريدُ بسطةَ كفّ أستعين بها
على قضاءِ حقوقِ لأملي رِبَسلي

والذي يكفل لي البسطة : أن يقلدني سيدي وظيفة مناسبة لحالتي ، حتى
تكون لي درعاً أتقي بها مهانة الفقر ، وسيفاً أكفّ به عوادي الدهر ، ومالي
والإقسام عليه في إنالتي هذه البغية ، بنفيس وقت قضيته في خدمة العلم ، واقتناء
أبكاره ، وطويل عناء تحملته في مزاولة^٦ الأدب واكتشاف أسرارهِ ، ونفَس
ارتاضت^٧ بالفضل ، وآثرت^٨ غصة الفقر على منة البذل ، وله من سنيات^٩
الفضائل^{١٠} وعليات الفواضل^{١١} وجليلات المآثر ، وجليلات المناخر ، ما لو أقسم
به عليه في إنالة أعز المطالب ، لألزمه كرم سجاياه برّ ذلك القسم ، وإجابة
دواعي الهمم ، وإنك لفاعل إن شاء الله تعالى .

وكتب فقيد الأدب حسن افندي توفيق العدل المتوفى بلندن سنة ١٣٢٢هـ :

كتابي إلى ربّ النعماء ، واليدِ البيضاء ، وقد أصبحتُ كما قال : الحريري :

- | | | | |
|------------------------------|---------------------------------------|------------|-------------------|
| (١) مترنماً | (٢) سأله العطاء | (٣) السحاب | (٤) ما يدر بالمطر |
| (٥) معاناته | (٦) تمرنت | (٧) اخترت | (٨) عاليات |
| (٩) جمع فضيلة ، وهي الدرجة . | (١٠) جمع فاضلة ، وهي النعمة الجليلة . | | |

« خاوي^١ الوفاض^٢ بادي^٣ الإنفاض^٤ ، لا أملك بُلغة^٥ ، ولا أجد في
جراي مضاغة^٦ - قد التوى عليّ أمري ، وثقل من حاجتي ظهري ومدّ
الاحتياج^٧ إليّ أطنا به^٨ ، وسرّ بلي^٩ الافتقار إهابه^{١٠} والدنيا مكدّرة بأحداثها^{١١}
وقصورها منغصة^{١٢} بأحداثها^{١٣} نعيمها يصفو^{١٤} ولكن لا يصفو . وأنت - كما
أعلم - مفرّج كُرْبتي ، ومُنقذ من شدي ، بطرفة^{١٥} من طرف رِفْدك^{١٦}
ولحة من لحات برّك^{١٧} فإن استدررت^{١٨} حلوبة^{١٩} مالك ، فقد لاذ غيري
بجاهك . ما يمت^{٢٠} غيرك . وكيف يقصد النهر ، من جاور البحر ، ويحتاج^{٢١}
إلى النجم من يسري في ضوء البدر؟ فاستهز عطف^{٢٢} جودك وأستمطر^{٢٣} سحاب
كرمك . كيف لا وأنت قبلة المعروف ! وملاذ الملهوف ! إليك تشد الرّحال ،
وبك تُنَاط الآمال ، أولياؤك منك في ظل ممدود ، وهناء وسعود . أفأنت
الشمس سمّت بالإشراق^{٢٤} ! أو الغيث والى الاندفاق^{٢٥} ! - لكن :

مَنْ قاسَ جدواك يوماً بالسحب أخطأ مدحك
فالسحبُ تعطي وتبكي وأنت تعطي وتضحك

نسب الكرم بك عريق ، وروض المجد أنيق ، أصل راسخ ، وفرع
شامخ ، تهتز للسكرام اهتزاز الحسام ، وثبت أمام الشدائد بشعر بسم :
تراه إذا ما جثته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

حكمت الآمال في أموالك ، واستعبدت الأحرار بفعالك ، ينابيع
الجود من أملك تتفجر ، وربيع السباح بك ضاحك لا يضجر ، فلا زلت

-
- (١) خالي (٢) بكسر الواو جراب الزاد (٣) ظاهر (٤) فناء الزاد
والمال (٥) بضم الباء المؤنثة القليلة (٦) انتهى كلام الحريري (٧) حبال الخيمة
(٨) ألبسني قميصاً (٩) جلده (١٠) مصائبها (١١) يكسر
(١٢) بنعمة (١٣) عطائك (١٤) إحسانك
(١٥) استحلّبت (١٦) ما تحلت (١٧) ما قصدت (١٨) جانب.

مولاي ممتعاً بشرف سجايك وشيمك ، مستمدّاً الشكر غيراس نعمك ، ولا زالت الأنام تذتفع بتلك الشيم وتجنّي ثمار ذلك الكرم ، ودمت للمكارم بدرّ يتمّ لا يناله خسوف ، وشمس فضل لا يلحقها كسوف ، اطال الله لك البقاء ، كتطول يديك بالمعطاء ، آمين .

استمناح رجل لعبد الملك بن مروان

وفدّ رجلٌ من بني ضبّة على عبد الملك بن مروان فقال :
والله ما نندري إذا ما فاتنا طلبُ إليك من الذي تتطلّب؟
فلقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك إلى المكارم ينسبُ
فأصبر لعاداتنا التي عودتنا أو لا ، فأرشدنا إلى من نذهب ؟
فقال عبد الملك : إلى ! إلى ! وأمر له بألف دينار ، ثم اتاه في العام المقبل فقال :

يُربُّ^٢ الذي يأتي من الخير أنه إذا فعل المعروف زاد وتمّما
وليس كان حين تمّ بناؤه تتبّعه بالنقض حتى تهدّما
فأعطاه ألفي دينار . ثم اتاه في العام الثالث فقال :
إذا استمطروا كانوا مغازير في الندى يهودون بالمعروفِ عوداً على بدءٍ
فأعطاه ثلاثة آلاف دينار .

(١) ضرب في الأرض سافر (٢) رب : زاد وأصلح
(٣) أغزر المعروف جعله غزيراً . والمغازير لا يكون إلا جمعاً لمغزار أو مغزير من صيغ المبالغة ولم أجدهما في اللسان والقاموس ، وفي الخصوص سحابة مغزار : غزيرة فيكون جمعاً لمغزار .

استمناح العتابي لأحد أصدقائه

كتب كلثوم^١ بن عمرو العتابي إلى صديق له :

أمّا بعدُ - أطل الله بقاءك ، وجعله يمتد بك إلى رضوانه والجنة - فإنك كنت عندنا روضةً من رياض الكرم ، تبتهج النفوس بها ، وتستريح القلوب إليها ، وكُنّا نعيمها من الشجعة^٢ استتماماً لزهرتها ، وشفقة على خضرتها ، وادخاراً لثمرتها ، حتى أصابتنا سنةٌ كانت عندي قطعةً من سيني يوسف ، واشتد علينا كلبها^٣ ، وغابت قِطْطُها وكذبتنا غيومُها ، وأخلفتنا بروقُها ، وفقدنا صالح الإخوان فيها ، فانتجعتك ، وأنا بانتجاعي إليك شديد الشفقة عليك ، مع علمي بأنك موضع الرائد^٤ ، وأنتك تُفطّني عين الحاسد ، والله يعلم أني ما أعدُّك إلا في حومة^٥ الأهل ، واعلم أن الكريم إذا استحميا من إعطاء القليل ولم يمكنه الكثير لم يُعرف جوده ولم تظهر همته . وأنا أقول في ذلك^٦

إذا تَكَرَّمت عن بذل القليل ولم تُقَدِّر على سعةٍ لم يَظْهَر الجودُ
بُثَّ النِّوال ولا تَمْنَعَكَ قِلَّتُهُ فكلَّ ما سَدَّ فقراً فهو محمود
قيل : فشاطره جميع ماله .

(١) من سلالة عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة ، وكان شاعراً مترسلاً بليغاً مطبوعاً متصرفاً في فنون الشعر من شعراء الدولة العباسية ومن شعره في الشكر :
فلو كان للشكر شخص يبين إذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه لتعلم أني أمرؤ شاكر
وله مع الرشيد والمأمون والبرامكة أخبار ونوادر .

(٢) النجمة طلب الكلأ في موضعه (٣) الكلب القحط وبلاء الشتاء ومرض يصيب الكلاب (٤) الرائد الطالب (٥) الحومة هنا الجماعة والطائفة (٦) كذا ذكر القالي في أماليه وقد حذفنا من روايته ثلاثة أبيات قليلة الاتصال بالغرض . هذا والمعروف أن هذه الأبيات لشاعر يسمى حماد عجرد أو لبشار بن برد لا للعتابي وتبعا هذا على القالي .

استمناح اعرابية لعبدالله بن ابي بكرة

دخلت أعرابية على عبدالله^١ بن أبي بكرة بالبصرة ، فوقفت بين السَّماطين^٢ ، فقالت : أصلح الله الأمير وأمتنع به - حَدَرَتْنا إِلَيْكَ سِنَّةٌ اشْتَدَّ بِلَاؤُهَا ، وانكشف غِطاؤُها ، أقودُ صَبِيَّةً صَغَاراً ، وآخرين كباراً ، في بلدة شاسعة ، تخفِضُنَا خافضةً ، وترْفَعُنَا رافعةً ، لِمَلَأَتْ من الدَّهْرِ أَذْهَنَ لَحْيِي وَبَرْنَ عَظْمِي وَتَرَكَتْنِي وَالْهَمَّةُ^٣ أَدُورُ بِالْخَضِيزِ ، وقد ضاق بي البلدُ العريض فسألتُ في أحياء العرب ، مَنْ الكاملةُ فضائلُ ، الْمُعْطِي سائله ، السَّكافي نائله ؟ فذَلَّلْتُ عَلَيْكَ - أصلحك الله تعالى - وأَنَا امرأةٌ من هَوازِنَ ، قد مات الوالد ، وغاب الرافِدُ وأنستَ بعد الله غِيائِي ومنتَهَى أَمَلِي ، فاصنع بي إحدى ثلاث خصال : إمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي ، أو تُحْسِنَ صَفْدِي^٤ ، أو تُقِيمَ أَوْدِي^٥ . فقال : بل أَجْمَعُهُنَّ لَكَ ، ولم يزل يُجْزِي عليها كما يُجْزِي على عياله حتى ماتت !

استمناح حكيم فارسي للمهلب

قال الهيثم بن عدي : قدم حَكِيمٌ من حُكَّاءِ أهل فارس على المهلب فقال : - أصلح الله الأمير ! - ما أَشْخَصْتَنِي الْحَاجَّةُ ، وما قَنَعْتُ بِالْمَقَامِ ، ولا أَرْضَى مِنْكَ بِالنَّصْفِ إذ قمتُ هذا المقام . قال : ولمَ ذلك ؟ قال : لأنَّ الناسَ ثلاثة : غَنِيٌّ وفقيرٌ ومُسْتَزِيدٌ ؛ فالغَنِيُّ مَنْ أُعْطِيَ ما يَسْتَحِقُّه ، والفقيرُ مَنْ مُنِعَ حَقُّه ، والمُسْتَزِيدُ الذي يطلب الفضل بعد الغِنْيِ ، وإني نظرت

(١) هو ابن أخيه زياد ابن أبيه (٢) السماط الصف (٣) الواهة والوهى الشديد الحزن (٤) هوازن قسم من قيس وعبدالله بن أبي بكرة نسبة في ثقيف وهم من هوازن فهي تريد أن تمله بماطفة القرابة (٥) الصغد : العطاء (٦) الأود : الاعوجاج

في أمرك فرأيت أنك قد أدّيت إليّ حقي ، فتاقت نفسي إلى استزادتك ،
فإن منعتني فقد أنصفتني وإن زدّنتني زادت نعمتك عليّ . فأعجب المهلب
كلامه وقضى حوائجه .

تلطف رجل من اهل الشام في استمناح المنصور

قدم رجل من أهل الشام على أبي جعفر المنصور فتكلم معه كلاماً حسناً ،
فقال له أبو جعفر : حاجتك ؟ فقال : 'يُمْلِكُ الله يا أمير المؤمنين . قال :
حاجتك ، فإنه ليس كلّ ساعة يمكنك هذا ولا تؤمر به . فقال : والله ما
أستقصر عمرك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتني مالك ، وإن سؤالك لشرف ،
وإن عطاءك لزين ، وما بامرئ بذل وجهه إليك نقص ولا شين . فأمر له
المنصور بمنحة سنّية .

وقد أُلِّمَ الرجل في أكثر معانيه بقول أمية بن أبي الصلت يستمنح عبدالله
ابن جدعان القرشي :

عطاؤك زين لامرئ وإن حبوته ببذل وما كلّ العطاء يزين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه إليك كما بعض السُّؤال يشين



ومن أَلَفَ الاستمناح قول أمية يخاطب ابن جدعان أيضاً :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حباؤك إن شيمتك الحباء
وعلمك بالأمور وأنت قَرم لك الحسب المهذب والسَّناء^٢
كريم لا يُغيّره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء

-
- (١) عبد الله بن جدعان من تميم رهط سيدنا أبي بكر الصديق وهو جواد مشهور . وكان أمية مداحاً له منقطعاً إليه توفي أمية بين يدي الإسلام .
(٢) القرم : الفحل والسيد ، والسناء : الشرف ، والسناء : الضوء .

'تَبَارِي الرِّيحَ مَكْرُومَةً وَمَجْنَدًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجْحَرَهُ الشِّتَاءُ' ^١
إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّاءُ' ^٢

استمناح عبد العزيز بن زرارعة لمعاوية

قال العتبي : وفد عبد العزيز بن زرارعة على معاوية ، فلما أذن له وقف بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين ! لم أزل أُرْزَأُ ذَوَائِبَ ^٣ الرِّحَالِ إِلَيْكَ ، إذ لم أجد مُعَوَّلًا ^٤ إلا عليك ، أُمْتَطِي اللَّيْلَ بَعْدَ النَّهَارِ ، وَأَسْمُ ^٥ الْجَاهِلِ بِالْآثَارِ يَقْدُودُ فِي إِلَيْكَ أَمَلٌ وَتَسُوقُنِي بَلَوَى ^٦ ، وَالْمُجْتَهِدُ يَعْذَرُ ، وَإِذْ قَدْ بَلَغْتَكَ فَقَطْنِي ^٧ . فقال معاوية : أَحْطُطُ عَنْ رَاحِلَتِكَ .

★

ولما ولى الخليفة 'المهتدي' سليمان ^٨ بن وهب وزارته قام إليه رجل من ذوي 'حرمة' فقال : أعزَّ الله الوزير ! - أنا خادمك المؤمل لدولتك ، السعيد بأيامك ، المنطوي القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر :

وَفَيْتُ كُلَّ صَدِيقٍ وَدَّعَيْتُ ثَمَنًا إِلَّا مُؤَمِّلَ دَوْلَاتِي وَأَيَّامِي
فَإِنِّي ضَامِنٌ أَنْ لَا أَكْفُتَهُ إِلَّا بِتَسْوِيفِهِ فَضْلِي وَإِنْعَامِي ^٩
وَإِنِّي لَكَمَا قَالَ الْقَيْسِيُّ ^{١٠} : مَا زِلْتُ أُمْتَطِي النَّهَارَ إِلَيْكَ وَاسْتَدَلْتُ بِفَضْلِكَ

(١) أجحره : ألجأه (٢) يقول : انك لا تجشم المحتاج مؤونة السؤال لأنك تستغني بثنائه عن استجدائه (٣) الذوائب : ذوائبه وهي الجلدة المعلقة على آخرة الرجل . (٤) واسم الأرض كوعد ترك فيها أثراً (٥) قطني اسم الفعل بمعنى يكفيني ومثلها قطني (٦) سليمان بن وهب من كبار وزراء الدولة العباسية ، وقد تقدم ذكر ابنه عبيد الله وحفيد القاسم . توفي سليمان سنة ٢٧٢ هـ (٧) سوغه : أقاله . (٨) يريد بالقيسي سوغه عبد العزيز بن زرارعة المتقدم لأنه من بني عامر ثم من قيس . وقد ذكر عبارته بمعناها لا بلفظها .

عليك ، حتى إذا اجتن الليل فغض البصر ، ومحا الأثر ، قام الرجاء يديني سائر أملي والنفس راغبة والاجتهاد عاذر وإذ قد بلغتك فقدني . فقال سليمان : لا عليك فأني عارف بوسيلتك محتاج إلى اصطناعك وكفايتك ، ولست أؤخر عن يومي هذا توليتك ما يحسن عليك أثره ، ويطيب لك خبره .

وكتب رجل من أهل البصرة إلى أخ له :

أما بعد فإنه يسهّل عليّ طلب الحاجة أمران فيك ، وأمران لي ، وأمر من قبل الله وبه تمامها ، فأما اللذان فيك فاجتهادك في النجح ، ومبـالغتك في الاعتذار ، وأما اللذان لي فأني أضيق عليك بعذري ، ولا أصون عنك شكري ، وأما الذي من قبل الله عز وجل فأيماني بأن كل مقدر كائن والسلام .

وكتب المرحوم السيد مصطفى لطفی المنفلوطي :

أنا إن سألتك حاجتي - أعزك الله! - وبسطت إليك يد رجائي فقد طرقت باب المكارم ، واستمطرت غيث المراحم ، ورجوت واحد الدهر همه وحزماً ، ونادرة الوجود كرمًا وفضلًا . فإن أنجزتها فليست أولى الهمم ، ولا واحدة النعم ، فلکم سبقت إليّ منك أياد تخرس دونها ألسنة الشكر ، وتضيق بها جرائد الحصر ولقد مثلت - أيدك الله ! - بين [أن] استشفع إليك بذوي الجاه عندك ، والزلفى^٢ لديك ، وبين^٣ أن أكمل ذلك إلى كرمك وفضلك وما طبعته عليه نفسك الشريفة من خلال الخير وسجايا البر ، فرأيت أن الثانية بك أخرى وبفضلك أجدر والسلام .

(١) الجرائد: جمع جريدة وهي السعفة وكان يكتب فيها، فالمراد الصحائف.

(٢) الزلفى: القرينة والمنزلة . (٣) كرر الكاتب بين توكيدا ، وهو

جائز مسموع وأنا أستحسنه إذا طال ما قبل المعطوف كما هنا .

استمناح الصابي لبعض الرؤساء

وكتب أبو إسحاق^١ الصابي إلى بعض الرؤساء :

قد جرت العادة - أطال الله بقاء الأمير ! - بالتمهيد للحاجة قبل موردها وإسلاف^٢ الظنون الداعية إلى نجاحها. وسالك هذه السبيل يسيء الظن بالمستول، فهو لا يلتبس فضله إلا جزاء^٣، ولا يستدعي طوؤه إلا قضاء. والأمير بكرمه الغريب ومذهبه البديع، يؤثر أن يكون السلف له، والابتداء منه، ويوجب على المهاجم برغبته إليه حق الثقة به. فالحمد لله الذي أفردته بالطرائق الشريفة، ووحده بالخلال المنيفة، وجعله عين زمانه البصيرة، ولمعته^٤ الباقية المنيرة.

★

وكتب محمد بن عبيد الله إلى جعفر بن محمد وزير المعتز وكان يتقرب إليه :
ما زلت - أيدك الله تعالى ! - أذم الدهر بدمك إياه، وانتظر لنفسك ولك عقباه، واتمنى زوال من لا دنب له، إلى عاقبة محمودة تكون بزوال حاله، وأترك الإغذار^٥ في الطلب على الاختلال^٦ الشديد ضناً بالمعروف عندي إلا عن أهله، وحباً لرجائي إلا عن مستحقه.

★

ومن أرق الاستمحة^٧ ما كتبه عبيد الله بن طاهر إلى سليمان بن وهب :
أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

(١) الصابي: هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال كاتب ديوان الإنشاء عن الخليفة وعن عز الدولة بن بويه وهو معدود من رجالات الكتابة توفي سنة ٥٣٨٤ هـ.
(٢) الإسلاف: التقديم.
(٣) اللعة: البقعة والقطعة من الجسد تبرق.
(٤) أعذر: بالغ (٥) الاختلال: الاحتياج (٦) الاستمحة: الاستمناح

فقلتُ له : 'نعماك فيها أتمها ودعْ أمرنا إن المهيم المقدّم'
 فأعجب سليمان بلطف طلبه في تهنئته وقضى حوائجه .
 وقال أعرابي لرجل : ما اتهمت حسن ظني بك ، منذ توجه رجائي نحوك ،
 ولا قعدت يجد قائل^١ باعتمادي عليك ، ولا استدعتني رغبة عنك إلى من سواك
 ولا أراني الاختيار غيرك عوضاً منك .
 وكتب المديع الهذاني في بابه إلى بعض أصحابه :
 لك - أعزك الله ! - عادة فضل ، في كل فضل ، ولنا شبه مقمت ، في كل وقت ،
 ولعمري أن دا الحاجة مقيد^٢ الطلبة ، ثقیل الوطأة ، ولكن ليسوا سواء .

الفصل الثالث في رسائل الشكر

كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :
 الشكر ترحمان النية ، ولسان الطوية ، وشاهد الإخلاص ، وعنوان الاختصاص ،
 عندي من إنعامه ، وخاض بره وعامته ، ما يستغرق منه الشكر ، ويستنفد قوة
 النشر ، شكر الأسير لمن أطلقه والمملوك لمن أعتقه ؛ شكر كأنفاس الأحرار ، أو
 أنفاس الرياض غيب^٣ الأمطار .

وكتب الحسن بن وهب المتوفى سنة ٤٨٢ هـ :
 من شكرك على درجة رفعتك إليها ، أو ثروة أقدرته عليها فإن شكركي لك على
 مهجة أحيتها ، وحشاشة أبقيتها ؛ ورمق أمسكت به ؛ وقت بين التلف وبينه .
 فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهي إليه ؛ ومدى تقف عنده ، وغاية من
 الشكر لا يسمو إليها الطرف ؛ خلا هذه النعمة التي فاقت الوصف ، وأطالت
 الشكر وتجاوزت قدره . وأنت من وراء كل غاية ؛ رددت عنا كيد العدو وأرغمت

(١) الجذ : الحظ . والقاتل المخطئ . (٢) المقيت والمقرت : البغيض والمكروه

أنف الحسود ، فنحن نلجأ منك إلى ظل ظليل ، وكنف^١ كريم ، فكيف يشكر
يشكر الشاكر ؟ وأين يبلغ المجتهد ؟!

وكتب الأمير أبو الفضل الميكالي المتوفى سنة ١٢٦٤ هـ :

فأما الشكر الذي أعارني رداءه ، وقلدني طوقه وسناه^٢ فبهيات أن ينتسب إلا
إلى عادات فضله وإفضاله ! أو يسير إلا تحت رايات عرفه^٣ وبواله^٤ أو هو ثوب لا
يحلى إلا بذكر طرازه ، واسم حقيقته ، ولسواه مجازه ، ولو أنه (حين ملك رقي^٥
بأيديه ، وأعجز وسعى عن حقوق مكارمه ومساغيه) خلّس لي مذهب الشكر
وميدانه ولم يحاذيني زمامه وعنانه — لتعلقت في بلوغ بعض الواجب بعروة طمع ،
ونفضت فيه ولوعلى وهن وظلم^٦ ولكنه يابى إلا أن يستولي على أمد الفضائل ،
ويتسم^٧ ذرى^٨ الفوارب^٩ منها والكواهل^{١٠} ، فلا يدع في المجد غاية إلا سبق إليها
فارتطأ^{١١} ، وتحلف سواء عنها حسير^{١٢} ساقطاً ، لتكون المعالي بأسرها مجموعة في
ملكه ، منظومة في سلكه ، خالصة له من دعوى القسم وشركه^{١٣} .

وكتب أستاذي الشيخ محمد عبده^{١٤} يشكر للمرحوم حافظ إبراهيم تعريبه
كتاب البؤساء :

لو كان لي أن أشكرك لظن بالغت في تحسيه ، أو أحمذك لرأي لك فينسا

(١) جانب (٢) رفعته (٣) معرفة (٤) عطائه (٥) ريق
(٦) كلاهما الضعف (٧) يعلو (٨) أعالي (٩) جمع غارب ما بين الظهر والعنق
(١٠) جمع كاهل ما بين الكتفين (١١) سابقاً (١٢) قليلاً (١٣) مشاركته
(١٤) هو الأستاذ الإمام مفتي الديار المصرية سابقاً ولد سنة ١٢٥٨ هـ وتوفي
سنة ١٣٢٣ هـ وكتب هذا المكتوب شكراً المترجم كتاب البؤساء وقد نظم
قصيدة أثناء مرضه ومنها :

ولست أبالي أن يقال محمد أبل أو اكتظت عليه العمام
ولكن ديننا قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمام

أبدعتَ في تزيينه - لكان لقلبي مطمعٌ أن يدنو من الوفاء بما 'يوجبهُ' حقُّك ، ويجري في الشكر إلى الغاية كما يطلبهُ 'فضلُك'. لكنك لم تَقف بعُرفك^١ عندنا ، بل عرّمت به من حولنا ، وبسطته على القريب والبعيد من أبناء 'لفتنا'. زففت إلى أهل اللغة العربية عذراء من بنات الحكمة الغربية ، سحرت قومها وملكت فيهم يومها ، ولا تزال تُنبئهم خامداً وتهزُّ فيهم جامداً ، بل لا تنفك 'تحبي' من قلوبهم ما أماتته القسوة ، وتقوّم من نفوسهم ما أعوزت فيه الأسوة^٢ حكمة أفاضها الله على رجلٍ منهم ، فهدى إلى التقاطها رجلاً مما . فجردها من ثوبها الغريب ، وكساها حلة من نسج الأديب ، وجلاها للناظر ، وحلاها للطالب ، بعدما أصلح من تخلقها وزان من معارفها . حتى ظهرت 'محبّبة' إلى القسُلوب ، رشيقة^٣ إلى مؤانسة البصائر ، تهشُّ^٤ للهمم وتبشُّ^٥ للطف والذوق - وتسابق الفكرَ إلى موطن العلم ، فلا يكاد يلحظها الوهم ، إلا وهي من النفس في مكان الإلهام .

حاول قومٌ من قبلك أن يبلغُوا من ترجمة الأعجم مبلغك فوقفَ العجز بأغلبهم عند مبتدئ الطريق ، ووصل منهم فريق إلى ما يحبُّ من مقصده ، ولكنه لم يُعْمَ بأن يعيد إلى اللغة العربية ما فقدت من أساليبها ، ويردّها إليها ما سلبهُ المعتدون عليها من متانة التأليف ، وحسن الصياغة ، وارتفاع البيان فيها إلى أعلى مراتبه .

أما أنت ، فقد وفيت من ذلك ما لا غاية لمزيد بعده ، ولا مَطْمَع لطالب أن يبلغ حدّه. ولو كنتُ ممن يقول بالتّسنّسخ، لذهبتُ إلى أن روح 'ابن المقفّع' كانت من طيّبات الأرواح ، فظهرت لك اليوم في صورةٍ أبدع ، ومعنى أنفع . ولعلك قد سننت بطريقتك في التّعريب سنة يعمل عليها من يحاوله بعد ظهور

(١) المعروف (٢) بالكسر والضم : القدوة (٣) لطيفة

(٤) بفتح التاء : تصل إليه بسهولة (٥) بفتح الباء : من البشاشة .

(٨ - جواهر الأدب ١)

كتابك ويحملها الزمان إلى أبناء ما يُستقبل منه . فتكون قد أحسنت إلى الأبناء كما أجملت في الصنيع إلى الآباء ، وحكمت للغة العربية أن لا يدخلها بعد من العُجْمة سيوًى ما هو في أسماء (أسماء الأماكن والأشخاص ، لا أسماء المعاني والأجناس) ومثلى من يعرف قدر الإحسان إذا عمّ ، ويعلي مكان المعروف إذا شمل ، ويتمثل في رأيه الحكيم العربي أبي العلاء المعري :

ولو أني حُبِيتُ الخلد فرداً لما أُحِبْتُ بالخلد انفراداً
فلا هَطَلْتُ عليّ ولا بأرضي سحائبُ ليس تنتظم البلاداً

فما أعجز قلبي عن الشكر لك ! وما أحقك بأن ترضى من الوفاء باللقاء !
وكتب أيضاً في الشكر مع توثيق المودة إلى أصحابه :

لك في قلوبنا من المودة ما يزيك سناؤك ، وفي مناطقنا من الحمد ما يوجبك
كالك ، وفي صدورنا من الإجلال ما يرفعه بهاؤك !

وما بيننا من المودة لا تحده مدة ، ولا تخلق له جِدّة ، نعيذه من حاجة
للتجديد واستدعاء للمزيد ، فلا المواصلة 'تربيه' ، ولا المجاهدة 'توهيه' - نعم إن
ما يحفظ لك في الأنفس هو تجلي فضلك ، ومثال علانك ونبلك ، وذلك الخالد
بخلود الأرواح والباقي في تفاني الأشباح .

وبعد - فقد تلقيت منك كتاباً يبوح بسرّ المحبة ، وينشر طيّ الصداقة ،
فيه تبيان وجدانك مما وجدنا ، وتأثرنا على ما فقدنا ، فكان نبأ عمنا نعم ،
وقضاء بما نحكم ، ولكن شكرنا لك فضل المراسلة ، وأريحية المجاملة ، والله
يتولى إيفاءك ، مثوبة تكافئ وفاءك .

وكتب أيضاً في الشكر لآخر :

لو كان في الثناء ، وملازمة الدعاء ، وحفظ الجليل ، والقيام بالخدمة جهد

المستطيع ما يفني بشكر من يفتح باب المحبة ، ويبدأ بصنائع المعروف ، لكنت والحمد لله من أقدر الناس عليه ولكن أنى يكون في ذلك وفاء ؟ والمحبة سر نظام الأكوان ! والإحسان قوام عالم الإمكان ! والقائم على كنهه جميعه قيوم السموات والأرض ! والمفتتحون لأبواب العرف على هذه النسبة الجليلة منه فليس لي إلا أن أُلجأ إلى الله في مكافأة فضيلتكم ، على ما كان منكم أيام الإقامة بينكم ، ثم أسلي نفسي عن عجزى بما أتخيل أن أكرمكم سيروي :

سيكفي الكريم إخوانه الكريم ويقنع بالود منه نوالا
وبعد هذا أرجو عفوكم عن التقصير في المبادرة إلى المكاتبة ، لأنى شغلت بما شغلني عن نفسي . ولكن زالت العوارض (والحمد لله) وفاتني لهذا العذر تهنئتم بالعيد . وإنما للمؤمن في كل يوم بربه عيد ، فنهنتكم برضاء الله عنكم وتقبله صالح الأعمال منكم . وسلامي على نجلكم ومن ينتمي إليكم .

الفصل الرابع في رسائل النصح والمشورة

كتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ :

اسمع نصيحة ناصح . جمع النصيحة والنصيحة^١
إياك واحذر أن تكو ن من الثقات على ثقته

صدق الشاعر وأجاد ، وللثقات خيانة في بعض الأوقات : هذه العين تريك السراب^٢ شراباً ، وهذه الأذن تستمعك الخطأ صواباً . فلست بمعذور إن وثقت بمعذور ، وهذه حالة' الواثق بعينه ، السامع بأذنه .

وأرى فلاناً يكثر غشيانك^٣ وهو الدينيء دخلته^٤ ، الرديء جعلته^٥ ، السيء وصلته^٦ ، الخبيث كلمته ، وقد قاسمته في زرك^٧ ، وجعلته موضع سرك^٨ ،

(١) المحبة . (٢) ما تراه نصف النهار عند اشتداد الحر كالماء يلصق بالأرض وهو مثل في الخادع الكاذب (٣) إتيانك (٤) بتثليث الدال: نيته (٥) قوام القلب .

فأرني موضع غلطك فيه ، حتى أريك موضع تلافيه ^١ : أظاهره غرك ؟ أم باطنه سرّك ؟؟

يا مولاي : 'بورِ دك' ^٢ ثم لا يُصدرُك ^٣ ويُوقعُك ثم لا يعذرُك . فاجتنبه ولا تقربه ، وإن حضر بابك ، فاكنُسْ جنابك ^٤ . وإن مَسَّ ثوبُك فاغسل ثيابك ، وإن لَصِقَ بجلدك ، فاسلُخْ إهابك . ثم افتتح الصلاة بلمنِه ، وإذا استعذت باثْم من الشيطان فاعنْه ^٥ .

وكتب الإسكندر المقدوني إلى أستاذه الحكيم أرسطو يستشيرُه فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم :

عليك أيها الحكيم منا السلام . أما بعدُ فإن الأملاك الدائرة والعلل السماوية وإن كانت أسعدتنا بالأمور التي أصبحَ الناس لنا بها دائنين — فلما مضطرون إلى حكمتك ، غيرُ جاحدين لفضلك والاجتناب ^٦ لرأيك ، لما بلونا من إجداء ^٧ ذلك علينا ، وَذُقْنَا مِنْ جَنَى ^٨ منفعته ، حتى صار ذلك بنَجْوَعِه ^٩ فينا ، وترسخه في أذهاننا ، كالغذاء ^{١٠} لنا . فما ننفعك نعوّل عليه ، ونستمد منه استمداد الجداول من البحار ، وقد كان مما سَبَقَ إلينا النَّصْر ، وبلغنا من النكاية في العدو ما يعجزُ القولُ عن وصفه ، والشكرُ على الإنعام به ، وكان من ذلك أنا جاوزنا أرض سورية والجزيرة ، إلى أرض بابل وفارس ، فلما نزلنا بأهلها ، لم يكن إلّا ريثما ^{١١} تلقانا نفرٌ منهم برأس ملكهم هدية ، وطلباً للحظوة عندنا ،

(١) تداركه (٢) يوصلك إلى مكان ورد الماء (٣) لا يرجعك

(٤) الفناء والناحية (٥) اقصدّه (٦) الاختيار (٧) إعطاء

(٨) ما يجنى ويؤخذ من الثمر (٩) بتأثيره (١٠) بكسر الغين ما

يتغذى به ، (١١) مقدار ما .

فأمرنا بصلب من جاء به وشهرته ، لسوء بلائه ، وقلة ارعوائه ووفائه ، ثم أمرنا
بجمع من كان هنالك من أولاد ملوكهم وأحرارهم ، وذوي الشرف منهم ،
فرأينا رجالاً عظيمَةً أجسامُهُم وأحلامُهُم^١ ، حاضرة الباهيم وأذهانهم ، رائقة^٢
مناظرهم ومناطيقُهُم^٣ ، دليلاً على أن وراء ذلك ما لم يكن معه سبيلٌ إلى
غلبتهم ، لولا أن القضاء أداننا^٤ منهم ، وأظهرنا عليهم ، ولم نرَ بعيداً من
الرأي في أمرهم أن نستأصل^٥ شأفتهم^٦ ، ونجث^٧ أصلهم ، ونلحقهم^٨ بمن
مضى من أسلافهم لتسكن القلوب بذلك إلى الأمن من جرائمهم^٩ وبوائقهم^{١٠} ،
فرأينا أن لا نعجل ببادرة^{١١} الرأي في قتلهم ، دون الاستظهار بمشورتك فيهم .
فأرفع إلينا رأيك في ما استشرناك فيه بعد صحته عندك ، وتقليبك إياه ليحلي
نظرك .

والسلام على أهل السلام ، فليكن علينا وعليك .

فكتب أرسطو المتوفى قبل الميلاد إلى الإسكندر المقدوني :

إن لكل 'تربة' (ولا محالة) قسماً من كل فضيلة ، وإنّ لفارس قسماً منها من
النجدة والقوة ، وإنّك إن تقتل أشرافهم ، تخلف الوُضعاء منهم على أعقابهم
وتورث سفلتهم^{١٢} ، منازل عليتهم ، وتغلب أدنياءهم ، على مراتب ذوي
أخطارهم ، ولم تبطل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم من غلبة السفلة وذلك
الوجوه ، واحذر الحذر كله أن تمكث تلك الطبقة من الغلبة ، فإنهم إن نجم

(١) جمع حلم بكسر الحاء المعقل وبضمها المنام ليلاً (الرؤيا) (٢) زائدة

(٣) جعل لنا الكرة عليهم (٤) نقطع (٥) عداوتهم (٦) نقتلع

(٧) كناية عن ضرورهم (٨) الدواهي (٩) ما يظهر عند الغضب

(١٠) بفتح السين وكسر الفاء السقاط من الناس ، وبعض العرب يخفف فينقل

كسرة الفاء إلى السين .

منهم ناجيمٌ على جُنْدِكَ وأهل بلادك ، دهمهم ما لا رَوية فيه ، ولا منفعة معه -
فانصرف عن هذا الرأي إلى غيره ، واعمد إلى من قبلك من العظماء والأحرار ،
فوزع بينهم مملكتهم ، وألزم اسم الملك كل من وَلِيَّتِهِ منهم فاحية ، واعقد
التساج على رأسه ، وإن صغر ملكه ، فإن التمسَّتي بالملك لازمٌ لاسمه ،
والمعقود له التاج لا يخضع لغيره ، ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم
وصاحبه ، تدابرًا وتغالبا على الملك وتفاخرًا بالمال والجند ، حتى ينسوا بذلك
أصغائهم عليك ، وتعود بذلك حربهم لك حربًا بينهم ، ثم لا يزدادون بذلك
بصيرة إلاَّ أحدثوا هنالك استقامة لك فإن دنوت منهم كانوا لك ، وإن نأيت
عنهم تمزَّزوا بك ، حتى يثب كل منهم على جاره باسمك ، وفي ذلك شاغلٌ
لهم عنك ، وأمانٌ لأحداثهم بعدك ، (وإن كان لأمان للدُّهر) وقد أدَّيت
للك ما رأيته حَظًا ، وعليَّ حَقًّا ، والملك أبعدُ روية ، وأعلى عينًا في ما
استعان بي عليه .

والسلام الذي لا انقضاء له ولا انتهاء ولا غاية ولا فناء ، فليكن على الملك .

ومن رسالة للإمام عليّ المتوفى سنة ٤٠ هـ كرم الله وجهه :

دَعِ الإسْرَافَ مقتصدًا ، واذكر في اليَوْمِ غداً ، وأمسك من المال بقدر
ضرورتك ، وقسِّم الفضل^١ ليَوْمِ حاجتك ، أترَجُّو أن يُعْطِيكَ الله أجر
المُتَوَاضِعِينَ وأنت عنده من المتكَبِّرِينَ ؟ أو تَطْمَعُ وأنت مُتَمَرِّغٌ في نعيم
تمنعه الضَّعِيفُ والأرْمَلَةُ ، أن يوجب^٢ لك ثواب المتصدِّقين ؟ وإنَّها المرءُ
مجزى بما أسلف^٣ وقادمٌ على ما قدَّم ، والسلام .

(١) ما فضل عندك من مال وأعمال فقدمه .

(٢) أن ومدخولها مجرور بحرف جر محذوف متعلق بتطمع .

(٣) قدمه في سالف أيامه .

وكتب أيضاً كرم الله وجهه إلى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما :

أما بعدُ - فإن المرءَ قد يسرُّه درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت ما لم يكن ليُدركه . فليكن سرُّ ورُّك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفُّك على ما فات منها . وما نلت من دنياك فلا تُكثِر فيه فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأسف عليه جزعاً ، وليكن همُّك فيما بعد الموت .

وكتب بطل الوطنية السيد عبدالله النديم المتوفى ١٣١٤ هـ :

لا حولَ ولا قوَّةَ إلا (بالله) اشتبه المراقبُ باللالة^١ ، واستُبدلَ السُّحلُو بالمرءِ ، وقُدِّمَ الرقيقُ على النحرِ ! وبِيعَ الدرُّ بالخزفِ ! والخزفُ بالخشفِ^٢ ، وأظهر كلُّ لئيمٍ كبره ! إن في ذلك لَعِبْرَةٌ ! سَمِعاً سَمِعاً ، فالوشاةُ إن سَعَوْا لا يعقلون ، ويُحِبُّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا ، فكيف تشترون منهم القار^٣ في صفة العنبر ؟ وقد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ! وكيف تسمعُ الأحبابُ لمن نهى منهم ورَجَرَ ؟ ولقد جاءهم من الأنبياء^٤ ما فيه مُزْدَجَر ! عَجِبْتَ لهم وقد دخلوا دارنا وهم عنها معرضون ! فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ! فقابلوهم بنبال الطرْد في الأعناق ، حتى إذا أَثْنَحْتُمُوهُمْ^٥ فشدُّوا الوثاق^٦ ، أيدخلون بنا لا ينفع ، في بيوتِ أذن الله أن ترفع ! سيعلمون مقام الهبوط والعروج^٧ ، يوم يسمعون الصيحة بالحق ؛ ذلك يومُ الخروج « ويقولون إذا لم يجدوا ملاذاً يأوئِلنا قد كننا في غفلة من هذا ! فإنهم عزموا على الإقامة مدَّة ، ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة^٨ ، وأنت عزيز العليا ، ووحيد الدنيا قد

-
- (١) باللاهي الذي يكون ملهياً - وغالباً الشيطان (٢) بفتح الحاء أو بضمها الرديء من الصوف (٣) الزفت (٤) ظهرت (٥) الأخبار (٦) النهي بشدة (٧) أكثرتم القتل فيهم (٨) ما يربط به (٩) الطلوع (١٠) ما أعده الإنسان لحادث الدهر من المال والسلاح .

بينت لك فعلهم ، فبما^١ رحمة من الله لئن ت لهم ، ولكنهم طمعوا في عميم
طولك^٢ ، ولو كنت فظاً^٣ عليظ القلب^٤ لانقضوا^٥ من حولك . أترأهم يعقلون
كلامك أم يفهمون ، لتعمرك^٦ إنهم لفي سكرتهم يعمهون^٧ لهم قلوب لا
يدرؤن بها للحسد قراراً ، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ، وإني قد
شئت^٨ لك بقلبي حصناً^٩ صعباً^{١٠} ما استطاعوا أن يظهروه^{١١} وما استطاعوا
له نقباً^{١٢} نسيت بالعاذل^{١٣} جميل الصوت^{١٤} ، وأنكره ، وما أنسانيه إلا
الشیطان أن أذكره^{١٥} رُميت أيها العاذل بسيف الغدر في نحر ك ! أجتئنا
لنُخرجنك من أرضنا بسحرك ، فإن لم ترجع عن السحر وفعله ، قلنا تدينك
بسحري مثله ، كيف يسعى العاذل بين النديم وإلفه ، وقد خلكت النذر
من بين يديه ومن خلفه ! فيا سادتي دعوني من المعجب والمطرب ! ليس البر
أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . واجعلوا سيف ثباتكم
للعدال مسلولا ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا . فإنهم إن قالوا كذب
النديم أو بطر ، سيعلمون غداً من الكذاب الأثير^{١٦} . وها قد صار أمر
الحزبين عندك جلياً ، فأبي^{١٧} الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً !^{١٨}
أتظن عهد العاذل عند غضبك لا ينكث^{١٩} مثله كمثل الكلب إن تحمل

(١) فبرحمة وما للتوكيد والدلالة على أن لينه ما كان إلا برحمة من الله

(٢) إحسانك (٣) سبى الخلق (٤) قاسيه (٥) لتفروا

(٦) لحياتك واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف تقديره قسمي

(٧) يتحيرون (٨) زينت (٩) موضعاً حصيناً (١٠) لا يقدر أحد

أن يدخله والمراد المبالغة في تحصين المحبة (١١) لا يقدر أن يعملوا ظهره

لارتفاعه ونعمته (١٢) خرقاً لصلابته وسمكه (١٣) اللائم

(١٤) الذكر الجميل ولا يستعمل الصوت بهذا المعنى إلا في الجميل

(١٥) أنساني ذكره (١٦) المتكبر (١٧) مجلس القوم (١٨) لا ينقض .

عليه يلهث ؛ إنه لكم عدوٌ كبير ، ففرُّوا إلى الله إني لكم منه نذير ، فإنه جمع لقتالك الأولاد ، والأحفاد^١ وآخرين مُقَرَّنِينَ^٢ في الأصْفَادِ^٣ ، تركوا أمر الله واشتغلوا بما يرضونه ، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه ، وظنني إن وصل إليك كتابي ، أنهم يُطردون ويُردَّعون ، وحرامٌ على قريةٍ أهلكناها أنهم لا يرجعون ، أيعجبُكَ إذا مشى هذا اللاتِرُ^٤ ، ثاني عطفه^٥ ليُضِلَّ عن سبيلِ^٦ الله .

وإنك وإن فرحت بعلم ما يجنِّهون ، قد علم أنه لينحزُنكَ الذي يقولون . فإن قلتَ إن اجتماعي بهم لأجل الصدقة أو شيء من هذا القبيل ، إنما الصدقاتُ للفقراءِ والمساكين والعاملين^٦ عليها والمؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ^٧ ، وفي الرُّقَابِ^٨ ، والغارمين^٩ ، وفي سبيل الله^{١٠} وابن السبيل^{١١} ؛ على أنه لا تحلُّ الصدقةُ لذميم^{١٢} مازي^{١٣} مشاءٍ بينمِمْ^{١٤} ، وطباعهم كما تعلمُ منكِّرةٌ مُستَقْدرةٌ^{١٥} ، كأنهم حرٌّ^{١٥} مستنْفِرةٌ^{١٦} فرتْ من قَسْوَرةٍ^{١٧} .

وقد قال وفائي : خاطب عزيزك هذه المرة ، وإن لم يعمل فيك فكراً ، وما يُدريكَ لعلَّه يَزْكِي^{١٨} ، أو يَذْكُرَ فتَنفَعُهُ الذِّكْرُ .

فقال لساني : إنَّ الوُدَّ هوَ الرِّسُولُ المأمون ، فأرسلهُ معي رِذْءاً^{١٩} يصدِّقني إني أخاف أن يكذبون . فقلت : سيرُوا مع المحبَّة ذات

-
- (١) أولاد الأبناء (٢) مشدودين (٣) القيود (٤) لاوي عنقه تكبرا
(٥) عن دين الله (٦) السعاة الذين يقبضون الصدقات بأمر الحاكم (٧) أشرف من العرب كان النبي ﷺ يستألفهم للإسلام (٨) المكاتبون من العبيد (٩) من تحملوا الدين (١٠) الفقراء في الجهاد (١١) المسافر والمنقطع عن ماله (١٢) القبيح والمراد قبيح الفعل ذميم الخصال (١٣) عياب يعيب الناس (١٤) ساع بالنميمة والفساد (١٥) جمع حمار (١٦) نافرة (١٧) الأسد (١٨) يتطهر من الذنوب (١٩) معينا .

الْعُتُوَّةُ^١ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة ، وقولوا له عند الغاية قد جئناك بآية . ولا تهابوا الجيش وإن كبر ، سبهزم^٢ الجمع ويولون الدُّبُرَ^٣ ولا تظنُّوا من ظاهر الأمر حلول البلوى ، إذ أنتم بالعدوَّةِ^٤ الدنيا^٥ وهم بالعدوَّةِ القصوى^٦ ، بل قاتلوهم قتالَ المستشهدين ، وليجِدُوا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين .

وإذا اشتبك القتال فليذب كل منكم عن مولاه^٧ ، وإن جنحوا^٨ للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، فسيروا ودعوا الأولادَ والمُجَنَّةَ^٩ ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنته ، ولا تسألوا عن الميرة^{١٠} من أصله ، وإن خفتم عيلة^{١١} فسوف يغنيكم الله من فضله ، فإن الله قد أثاركم^{١٢} لقتال العدال العائنين ، ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم^{١٣} ، فينقلبوا خائبين .

واحملوا عليهم فإنهم متى طعنوا في جنوبهم رَضُوا أن يكونوا مع الخوَلَفِ^{١٤} وطبع^{١٥} الله على قلوبهم ؛ ولا تدبروا إذا رأيتموهم قدامكم^{١٦} ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

وإن أخذتم أسرى فقاتلوا أنصارها ، فإما منّا^{١٧} بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها^{١٨} فإن أطعتم رفعت وأصلح الله بالكم ، وإن تتوكلوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم .

-
- (١) الكرم والتسامح (٢) الظهر (٣) بضم العين وكسرهما جانب الوادي
(٤) القرية (٥) البعيدة (٦) صاحبه (٧) مالوا (٨) الصلح (٩) المراد بها هنا النساء وأصلها لما تغطي بها المرأة وجهها (١٠) جلب الطعام (١١) فقراً
(١٢) شركهم (١٣) يصرفهم ويذلهم (١٤) النساء (١٥) كناية عن إعاء بصائرهم
(١٦) سابقكم (١٧) تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء (١٨) أهل الحرب
(١٩) أثقالها من سلاح وغيره .

وسأتلو في خطبتكم عند قدومكم سالمين : فقُطِع دابر^١ القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين .



وكتب أستاذنا الإمام الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٣٣هـ :
عرض لي ما منعي من قراءة الجرائد نحو أسبوع ، وكنت أسمع فيه مجادنة
(ميت غمر) من بعض الأفواه ، أظنها من الحوادث المعتاد وقوعها ، حتى تمكنت
من مراجعة الجرائد ليلة الخميس الماضي ، فإذا لهب ذلك الحريق يأكل قلبي
أكله 'جسوم' أولئك المساكين : سكان (ميت غمر) . ويصهر^٢ أ من فؤادي ما
يصهره من 'لحومهم' ، حتى أرقى^٣ تلك الليلة ، ولم تغمض عينايا إلا قليلا .
وكيف ينأى من بيت يتقلب في نعم الله ، وله هذا العدد الجم من إخوة وأخوات
يتقلبون في شدة البأساء ؟^٤ فأردت أن أبادر بما أستطيع من المعونة (وما
أستطيعه قليل) لا يغني من الحاجة ولا يكشف البلاء) ثم رأيت أن أدعو
جمعا من أعيان العاصمة ليشاركوني في أفضل أعمال البر في أقرب وقت ، وكان
ذلك يوم السبت فحضر منهم سابقون ، وتأخر آخرون ، وكتب بعضهم
يعتذرون ، فشكر الله سعي من حضر ، وجزى خيرا من اعتذر ، وغفر
لمن تأخر ، على أنه ليس الحادث بندي الخطب اليسير ، فالمصابون خمسة آلاف
وبضع^٥ مئتين منهم الأطفال الذين فقدوا عائلتهم^٦ والتجار والصناع الذين
هلكت آلاتهم ورؤوس أموالهم ، ويعتذر عليهم أن يبتدئوا الحياة مرة
أخرى إلا بمعونة من إخوانهم ، وإلا أصبحوا متلصطين أو سائلين ، والذين

(١) أهلكوا عن آخرهم (٢) يذيب (٣) سهرت (٤) الضرر والفقر

(٥) بكسر التاء أو بفتحها ما بين الثلاث إلى التسع - وبالضم الفرج .

(٦) من ينفقون .

فقدوا بيوتهم ولا يجدون ما يأوون إليه ، ولا مال لهم يقيمون ما يؤويهم من مثل بيوتهم المتخربة - لهذا رأيتُ ورأى كلُّ من تفكر في الأمر ، أن يُجمع مبلغٌ وافرٌ يتمكن به من تخفيف المصاب عن جميع أولئك المصابين .
وكتب أيضاً في الغرض المذكور :

قد بلغكم (ولا ريب) من أخبار الجرائد ، ما عليه أهلُ (ميت غمر) بعد الحريق الذي أصاب مدينتهم ، فهم بلا قوتٍ ولا ساترٍ ولا مأوى ، فليتصور أحدكم أن الأمر نزل بساحته ، أفما كان يتمنى أن يكون جميع الناس في معونته ؟ فليطالب الآن كلُّ منا نفسه بما كان يطالب به الناس ، لو نزل به ما نزل بهم ، وليتفق مما له ما يدفع الله به عنه مكروه الدهر ... فأرجو من همكم أن تدفعوا شيئاً من مالكم في مساعدة إخوانكم ، وأن تذللوا ما في وسعكم لحث من عندهم على مشاركتكم في هذا العمل المبرور والسلام .

الفصل الخامس في رسائل الملامة والعتاب

كتب بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٧ هـ :

لئن ساء لي أن يلتنى بمساءةٍ لقد سررتُني أي خطرٍ يباليك^١ الأمير أطال الله بقاءه^٢ ، في حالتي برّه وجفائه متفضل ، وفي يوممي^٣ إدائه وإبعاده متطوّل ، ومنيئاً له من حماة من يحلّه^٤ ، ومن عرانا ما يحلّه^٥ ومن أعراضنا ما يستعجله .
بلغني أنه - أدام الله عزّه ! - استزاد صنيعه^٥ ، فكنت ظننني

(١) هذا البيت لعبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر المشهور بابن الدمينه من قصيدة والخطاب الملوّن (٢) ينزل فيه (٣) يفكه (٤) زاد (٥) معروفه وإحسانه .

مجنياً^١ عليه مساء إليه ، فإذا أنا في قرارة الذنب ، ومثارة^٢ العتب ، ولست شعري^٣ أي محظوري^٤ في المشرة حضرته ، أو مفروض من الخدمة رفضته^٥ ، أو واحب في الزيارة أهملته ، وهل كنت إلا ضيفاً أهداه منزع^٦ شاسع^٧ وأداءه أمل واسع ، وحداه^٨ فضل وإن قل ، وهده رأي^٩ وإن ضل ، ثم لم يلق إلا في آل ميكال رحله^{١٠} ولم يصل إلا بهم حبله ، ولم ينظم إلا فيهم شعره ، ولم يقف إلا عليهم شكره .

ثم ما بعدت صحبة^{١١} إلا دنت مهانة ، ولا زادت حرمة^{١٢} إلا نقصت صيانة ، ولا تضاعفت منة^{١٣} إلا تراجعت منزلة ، ولم تزل الصفة بناحق صار وأبل^{١٤} الإظام قطرة ، وعاد قيض القيام صدره^{١٥} ، ودخلت مجلسه وحوله من الأعداء كتيبة^{١٦} ، فصار ذلك التقريب ازوراراً^{١٧} ، وذلك السلام اختصاراً ، والاهتزاز إيماءً ، والعبارة إشارة ، وحين عاتبته أمل أعتابه^{١٨} ، وكاتبته أنتظر جوابه ، وسألته أرجو إيجابه ، أجاب بالسكوت فما ازدادت له إلا ولاء ، وعليه ثناء ، ولا جرم^{١٩} أنى اليوم أبيض وجه العهد ، واضح حنجة^{٢٠} الود ، طويل لسان القول ، رفيع حكم العذر . وقد حملت فلاناً من الرسالة ما تجافى القلم عنه .

والأمير الرئيس — أطل الله بقاءه ! يُنعم بالإصغاء لما يورده مؤلفاً إن شاء الله تعالى .

(١) المؤاخذة بجنائته (٢) مكان الثوران (٣) ليتني أشعر وأخبر بالحقيقة والواقع (٤) ممنوع (٥) أبطلته (٦) مصدر ميمي بمعنى البعد (٧) بعيد (٨) ساقه ودفعه (٩) ما يأخذه المسافر من الأثاث وحوائج السفر (١٠) المراد به الكثير من الأنعام وأصله المطر (١١) ثوب يلبس فيفطي الصدر (١٢) جماعة (١٣) انحرافاً (١٤) إزالة عنه وملامته (١٥) كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنزلة حقاً

وكتب أيضاً إلى القاسم الكرجي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ :
 أنا - وإن لم ألقَ تطاول الإخوان إلا بالتطوُّل ، وتحاملَ الأحرار إلا
 بالتحمُّل - أحاسبُ مولاي - أيده الله ! - على أخلاقه ، ضناً^١ بما
 عقدتُ يدي عليه من الظن به ، والتقدير في مذهبه ، ولو لا ذلك ، لقلتُ في
 الأرض مجالاً^٢ ، إن ضاقت ظلالُك^٣ ، وفي الناس واصل^٤ ، إن رثتُ^٥
 حبالك ، وآخذهُ بأفعاله .

فإن أعارني أذنًا واعية ، ونفساً مراعية ، وقلباً مُتَمِطاً ، ورجوعاً عن
 ذهابه ونزوعاً^٦ عن هذا الباب الذي يقرعه^٧ ، ونزولاً عن الصعود الذي
 يفرعه^٨ . فرشتُ لودته خوان^٩ صدري ، وعقدتُ عليه جوامعَ خصري ،
 ومجامعَ عمري^{١٠} ، وإن ركب من التَّعالي غير مركبه^{١١} ، وذهب من التَّغالي في غير
 مذهبه^{١٢} ، أقطعته خُطَّة^{١٣} أخلاقه ، وَلَسَّيْتُه جانبَ إعراضه

لا أذودُ^{١٤} الطَّيْرَ عن شجرٍ قد بلوتُ المُرَّ من ثمره

فلني وإن كنتُ في مقبل السنِّ والعمر ، قد حلبتُ شطري الدهر^{١٥}
 وركبتُ ظهري البرِّ والبحر^{١٦} ، ولقيتُ وفدي^{١٧} الخير والشرِّ ،
 وصافحتُ يدي النفع والضرَّ ، وضربتُ إبطي العُسرَ واليُسْرَ ، وبلوتُ

(١) بكسر الضاد وفتحها حرصاً (٢) أما كن الظل (٣) بليت وذابت
 (٤) انتهاء وتركاً (٥) يدقه بيده ليفتح له (٦) يصعده ويعلوه (٧) بضم الخاء أو
 بكسرها ما يؤكل عليه الطعام ومراده تمكين مودته من صدره (٨) مراده
 التمسك بمودته مدة حياته (٩) مراده وإن تكبر (١٠) طريقه (١١) بضم الخاء
 الطريقة ، مراده أنه يتركه وإن أخذ في غير طريق طباعه (١٢) لا أطرده
 (١٣) مراده مر به من خيره وشره وجرب نفعه وضره (١٤) مراده أنه جرب
 الأمور في البر والبحر (١٥) الوفد الجماعة التي ترد على الأمير أو غيره ، ومراده
 أنه عرف الخير والشر .

طعمي الحلو والمر ، وَرَضَعْتُ ضَرْعِي العُرْفَ والنكر ^١ ، فما تكاد الأيام تريني من أفعالها غريباً وتسمِعني من أحوالها عجيباً ، ولقيتُ الأفراد ، وَطَرَحْتُ الآحاد ^٢ ، فما رأيتُ أحداً إلا ملأتُ حافتي ^٣ سمعه وبصره ، وشغلتُ حِيزِي ^٤ ، فكبره ونظره وأثقلتُ كتفه في الحزن ، وكفته في الوزن . وودَّ لو بادر القرن ^٥ صحيفتي ^٦ أو لقي صفحتي ^٧ فمالى صغرت هذا الصغر في عينه ، وما الذي أزرى ^٨ بي عنده حتى احتجب وقد قصدته ، ولزم أرضه وقد حضرته . وأنا أحاشيه ^٩ أن يحهل قدر الفضل ، أو يحدد فضل العلم ، أو يمتطي ^{١٠} ظهر التيه ^{١١} على أهليه ، وأسأله أن يختصني من بينهم بفضل إعظام ، إن زلت بي مرة قدم في قصده . وكأني به وقد غضب لهذه المخاطبة المجحفة ^{١٢} والرتبة المتحيفة ^{١٣} وهو في جنب جفائه يسير ، فإن أقلق ^{١٤} عن عادته وترع عن شيمته ^{١٥} في الجفاء ، فأطال الله بقاء الأستاذ الفاضل ، وأدام عزه وتأيبده .

وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ :

والله يا قليب : لولا أن كبدي في هواك مقروحة ^{١٦} ، وروحي مجروحة لساجلتك ^{١٧} هذه القطيعة وماددتك حبل المصارمة ^{١٨} وأرجو أن الله تعالى يديل ^{١٩} لصبري من جفائك ، فيردك إلى مودتي وأنف القلى ^{٢٠} راغم .

-
- (١) المعروف والمنكر ضده (٢) هذا والذي قبله كله بمعنى أنه جرب الأيام واختبرها من أول نشأته (٣) جانبي (٤) ناحيتي (٥) المقارن الكف، عند ملاقات الأبطال (٦) كتابي (٧) وجهي معناه تمنى لقائي (٨) حط من قدري وشأني (٩) أنزعه (١٠) يركب (٢١) الكبر والعجب (١٢) من الإجحاف وهو الذهاب بالشيء (١٣) من التحيف وهو الظلم والجور (١٤) رجع (١٥) خلقه (١٦) مجروحة (١٧) معناه لقابلتك (١٨) المقاطعة (١٩) الغلبة والنصر (٢٠) أنف صاحب البغض .

فقد طال العهد بالاجتماع حتى كِدنا نتناكر عند اللقاء والسلام .

وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ إلى تلميذه :

كتابي ، وقد خرجت من البلاء خروج السيف من الجلاء^١ ، وبروز البدر من الظلماء ، وقد فارقتني المحنة ، وهي مُفارقٌ لا يشاق اليه ، وودعتني وهي مودع لا يبكي عليه . والحمد لله تعالى على مِحنةٍ يحلّيها ، ونعمةٍ ينيلها ويوليها ، كنت أتوقع أمس كتاب مولاي بالتسليّة ، واليوم بالتهنية ، فلم يكاتبني في أيام البرحاء^٢ بأنها غمته ، ولا في أيام الرخاء بأنها سرته ! وقد اعتذرت عنه إلى نفسي وجادلت عنه قلبي . فقلت : أما إخلاله بالأولى ، فلأنه شغله الاهتمام بها عن الكلام فيها . وأما تغافله عن الأخرى فلأنه أحب أن يوفّر عليّ مرتبة السابق إلى الابتداء ، ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء ، لتكون نعم الله سبحانه عليّ موفورة من كل جهة ومحفوفة بي من كل رتبة ، فإن كنت أحسنت الاعتذار عن سيدي ، فليعرف لي حق الإحسان ، وليكتب إليّ بالاستحسان ، وإن كنت أسأت . فليخبرني بعذره ، فإنه أعرف مني بسرده ويرض مني بأني حاربت عنه قلبي ، واعتذرت عن ذنبي ، حتى كأنه ذنبي ، وقلت يا نفس اعذري أخاك ، وكفاك منه ما أعطاك ، فع اليوم غد — والعود أحمد .

وكتب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر المتوفى سنة ٨٠ هـ :

أما بعد : فقد عاقني الشك في أمرك ، عن عزيمة الرأي فيك ، وذلك أنك ابتدأتني بلطفك عن غير خيرة ، ثم أعقبته جفاء من غير ذنب فأطمعني أو لك

(١) صقله بإزالة ما عليه حتى يرى له لمعان .

(٢) البلية .

(٣) شدة الأذى .

في إخائك ، وأبأسني آخرك من وفائك . فسبحان من لو شاء لكشف بإيضاح الرأي في أمرك عن عزيمة الشك فيك ، فاجتمعنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف والسلام .

وكتب صديقي زعيم الوطنية المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش :
سيدي — مالي أراك كمن نسي الخليط^١ وتجرد في الصحبة على المحيط والمحيط فإذا ما صادفتك^٢ صدفت^٣ أو أنصفتك ما نصفت^٤ أنظن أني قعيدة بيتك^٥ ، أو رهين كبتك وذيتك^٦ فوحقتك إذا آنتست^٧ من يدي مللا ، أو من قدمي ككلا^٨ ؛ لنجيزتها^٩ البتات^{١٠} وكلت بنقضها الذات . ولو أني آنتست من الزاد فترة^{١١} أو من الشراب عُسرة ، لطعمت الطوى^{١٢} واستقيت الجوى^{١٣} فكيف أداعب^{١٤} ؟ وتصابع^{١٥} ؟ وأحالف وتحالف^{١٦} ؟ وأواصل وتفاصل^{١٧} ؟ وأجالب وتجانب^{١٨} ؟ لبثت مطيتك التي اقتدعت^{١٩} وشرعتك^{٢٠} التي شرعت^{٢١} فوالله لولا أن الحب حادث لا يتقى بالتروس ، ومعنى لا يدب^{٢٢} إلا في النفوس ، وسهام^{٢٣} لا ترمى إلا من قسي^{٢٤} الحواجب ونحو أوله المعية^{٢٥} وآخره الجوازم ، لما افترست الأطباء الصيد^{٢٦} الأسود ولا ملكت الأحرار العبيد . ولولا أني كَرَعْتُ^{٢٧} من صَابِيهِ^{٢٨} والتحففت ببردة أوصابه^{٢٩} لتعوذت منك بسورة الفلق ونبذتك^{٣٠} نبذ الرءاء الخلق^{٣١} ولهان هلي^{٣٢} أن أدعك أو أسمعك .

- (١) صاحب (٢) وجدتكَ (٣) أعرضت (٤) كلاهما بمعنى ساعدتك (٥) المرأة التي في البيت (٦) كلاهما بمعنى كذا وكذا والمراد أني لست رهين قولك أفعل كذا وكذا (٧) علمت (٨) إعياء وضعفا (٩) قضيتها (١٠) القطع المستأصل (١١) ضعفا وقلة (١٢) الجوع (١٣) الحرقه (١٤) أمازح (١٥) دفعت (١٦) مكان الماء (١٧) دخلت (١٨) المترفعة (١٩) بكسر الراء وفتحها شربت بقمي (٢٠) مائه المر وأصله عصارة شجر مر (٢١) أمراضه (٢٢) رميتك (٢٣) القديم البالي . (٢٤) هان : صار من الهوان . (٢٥) جوامع الأدب (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢)

تمرُّون على الديار ولن تمَّوجوا^١ كلامكم عليّ إذا حرامٌ
غير أن لي نفساً شُبَّت على الحب فلم أفطمها وتقادت^٢ على ناره فلم أعصمها .
حق بلغ السيل الزبى^٣ وتبددت النفس أيدي سباً إلا حُشاشة غفل عنها
الوجد ، وبقية رمق ألفيتها^٤ من بعد . وكلما رأيت منك الشطط^٥ واعتساف
الخطط^٦ عمدت إلى أن اثني^٧ من رسنها^٨ وأذود^٩ عن عطنها^{١٠} وشخصت
إلى المكافأة والمكافأة ، وأن لا أكيلك إلا مثلاً ، ولا أسقيك إلا وشلاً^{١١} ولا
أزيدك إلا فشلاً .

ولست أجزيك الجزاء الذي على وفاء الصنع لا بخسه
وليس يبكي صاحباً من إذا أهين لا يبكي على نفسه

على أني بالرغم أصبح في نهار أحلك^{١٢} من ليل ، وأمسي في ليل أشق على
النفس من ويل .

وليل كوج البحر أرخى سُدُولَه^{١٣} عليّ بأنواع الهموم ليبتلي^{١٤}

فإن تخلصت من لفائك ، فإلى الشقاء ، وإذا لجأت من عسفك ، فإلى العناء ،
وإذا استجرت بفراقك ، فقد استجرت من الرمضاء^{١٥} ، وكأنك لم تدر أن دولة
الحسن سريعة التقويض^{١٦} وأنه لا بد من هبوط القمر إلى الحضيض ولسوف تبلى

(١) لن تقيموا (٢) تسابقت (٣) مثل يضرب لما جاوز الحد (٤) ذهبت
(٥) هو مثل يقال ، وتبددوا أيدي سباً معناه ذهبوا متفرقين ، وأصله في الذين
ذهبت جناتهم وغرق مكانهم وقد ذكرهم الله في القرآن قال «لقد كان لسباً ، إلى
آخر الآيات (٦) وجدتهم (٧) تجاوز الحد (٨) الميل عن الطريق المألوف
(٩) الأمور (١٠) أرد (١١) زمامها (١٢) أمني (١٣) مكانها (١٤) المساء
القليل في هذا الموضع والماء الكثير في غيره (١٥) أشد سواداً (١٦) أستاره
(١٧) لتختبرني (١٨) الأرض الحارة (١٩) التفرق .

بعارض^١ بيد^٢ أنه غير ممطر، وبساعة مقبلتك فيها مدبر، وستصبح عما قريب قد عفت^٣ رسومك^٤، ولم تجد في سوق الصحبة من يسومك. والعاقِل من لا يختال بنفسه، ولا يبني على غير أسسه^٥ فإنك ما نضت^٦ لؤلؤه مبسميك، ولا نصرت^٧ صورة معصمك^٨، ولا شئت فخلقت كما تشاء ولا اتخذت عند الله عهداً وهذا الوفاء. ولكن مثلك من أفرغه الله في القلب الذي اختار، وجعله مرتع النفوس ومسرح الأبصار، وإني أيها العزيز قد تقدمت إليك :

ولي أمل قطعت به الليالي أراني قد فنيت به وداما

فلا تحرمني من سائح العفو وسابغه، ولا تجعلني كباسط كفيه إلى الماء ليلبلغ فاه وما هو ببالغاه :

فأشد ما لقيت من ألم الجوى^٩ قرب الحبيب وما إليه وُصول^{١٠}
كالعيس^{١١} في البيداء يقتلها الظما^{١٢} والماء فوق ظهورها محمول

فاعمل في يومك لغدك، واستعجز غيرك ببسط يدك، ولا تأخذني يحرم الجاني المتلبس، ولا تبتغ مني صحيفة المتلمس^{١٣} بيد أني أنشدك الذي بلى العاشق بالمعشوق، وكلفه في الحب بيض الأنوق^{١٤} وسهد^{١٥} طرفه بنواعس العيون، وخوّل^{١٦} للحسن إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، كما قرن الهوى بالنوى^{١٧}، والقلب بالجوى^{١٨} وقضى على الحب، وبشر العشق فلم يحتجب، ما الذي أغرى بك إلى الاعتساف، وعدم الإنصاف ؟

-
- (١) السحاب الذي يعترض في الأفق (٢) غير أنه (٣) درست وذهبت
(٤) آثارك (٥) أساسه (٦) ما ظهرت (٧) ولا حسنت (٨) موضع السوار
من اليد (٩) الحزن (١٠) الإبل البيض يخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفية
(١١) العطش (١٢) الطالب مرة بعد أخرى (١٣) الأنوق العقاب، ولفظ
المثل : هو أعز من بيض الأنوق، وهو مثل يضرب للمحال أو لما لا سبيل إليه
(١٤) أسهره (١٥) ملكه (١٦) البعد (١٧) الحرقه .

أَلَيْنُ الْأَعْطَافُ ! أَمْ 'فَتُور' ١ الْأَجْفَانُ ؟ أَمْ تَكْثُرُ الْكَلَامُ ؟ أَمْ هَيْفُ الْقَتَوَامِ ! ؟ لَقَدْ شَدَدَتْ أَزْرَكَ ٢ (وَاللَّهِ) بَضْعَافٍ ! وَاسْتَسَمَنْتَ تِلْكَ الْعِجَافَ ، وَهَلْ حَدَا ٣ إِلَى قَطِيعَتِي بِكَ ! أُنِي خَشِنُ الْمَمَسِّ ؟ رِثْتُ الْمَلْبَسِ ؟ وَلَمْ أُمْنَحْ ٤ ، كَمَا مُنِّحَتْ نَضْرَةٌ ، وَلَمْ أَلْبَسْ 'بُرْقَعَ الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ' ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ نَظَرْتَنِي بَعَيْنِ الرِّضَا ٥ ، وَرَحِمْتَ فَوَّادًا يَتَقَلَّبُ مِنْكَ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا ٦ فَسَتَجِدُنِي صَدِيقَكَ الَّذِي لَا يَبْطُرُهُ الْوَفَاءُ ، وَلَا يَشْنِيهِ الْجَفَاءُ ، أَمْلِكُ لَكَ مِنْ لِسَانٍ ، وَأَطْوَعُ لِأَمْرِكَ مِنْ بَنَانٍ :

أَكْتُبُ ، فَأَيْنَ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ الْكَاتِبِ قَلَمِي ؟ وَأَشْعُرُ ، فَأَيْنَ الشُّعْرَاءِ إِلَّا تَحْتَ عِلْمِي ؟ وَأَبْذُلُ ، فَأَيْنَ حَاتِمٍ ٧ مِنْ كَرَمِي ؟ وَأَحْلُمُ ، فَأَيْنَ أَحْنَفٍ ٨ مِنْ حِلْمِي ؟

وَحَسْبُكَ فَخْرًا أَنْ يَجُودَ بِنَفْسِهِ عَلَى رَغَسٍ مِنْ لَيْسَ بِأَمَلٍ فِي الشُّكْرِ وَمَنْ يَحْتَمِلُ فِي الْحُبِّ مَا فَوْقَ كَاهِلِي ٩ فَحَسْبُكَ حِلْمًا أَنْ يَقِيمَ عَلَى الْهَجْرِ فَإِنْ أَصَحَّخْتُ ١٠ إِلَى الدَّاعِيَةِ ١١ وَوَعَيْتَ كَلِمَاتٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةِ ١٢ ، فَلِمَ لِيكَ الْجَزَاءُ وَعِلِّيَّ الْوَفَاءُ ، وَإِلَّا فَالْفِرَارُ إِلَى الْمَوْتِ أَمْرٌ يُسِيرُ ، وَالْقَبْرِ لِلْعِشَاقِ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ .

وَكُتِبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ يَوْئِبَهُ وَيَعَاتِبَهُ :
أَمَّا بَعْدَ فَقَدْ أَدَّتْ أَلْسِنَةُ التَّصْرِيحِ إِلَى أُذُنِ الْعَنَاءِ بِكَ ، مَا فَجَّعَ الْأَمَلَ فِيكَ وَبَاعَدَ الرَّجَاءَ مِنْكَ ، إِذْ مَلَأْتَ الْعَيُونَ بِهَجَّةٍ ، وَالْقُلُوبَ هَيْبَةً ، وَتَرَامْتَ إِلَيْكَ آمَالَ

(١) ذَبُولُهَا (٢) ظَهْرُكَ (٣) سَاقٌ إِلَى (٤) أُعْطِيَ (٥) حَسَنًا (٦) شَجَرٌ خَشَبُهُ فِيهِ صَلَابَةٌ (٧) أَبُو عَدِي حَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي وَبِهِ يَضْرِبُ الْمَثَلَ فِي الْكُرَمِ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَةِ (٨) الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْحِلْمِ (٩) مَا بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ (١٠) اسْتَمَعْتُ (١١) مَرَّادُهُ بِهِ الْوَأَشِي الْعَاذِلُ (١٢) اللَّفْوُ مِنَ الْكَلَامِ .

الراغبين، وهم المنافسين . فسخت بك فتیان قريش، و كحول أهلك ، فما يسوغ لهم ذكرك إلا على الجيرة المهووعة ^١ ، والكظ الحش ^٢ . اقتحمت البوائق ^٣ وانقدت إلى المعابر ، واعتضتها من سمو الفصل ، ورفيع القدر . فليتك -يزيد- إذا كنت لم تكن ، سررت يافعا ناشئا وأثقلت كهلا ضائعا ^٤ ، فواحرنا عليك يزيد ! وياحر صدر المشكل بك . ما أشمت فتیان بني هاشم ! وأذل فتیان بني عبد شمس عند تفاوض المفاخر ودراسة المناقب ! فمن لصالح ما أفسدت ورتق ما فتقت ؟ هيهات . خمشت ^٥ الدربة ^٦ وجه التصبر بك ، وأبت الجناية إلا تحمداً على الألسن ، وحلاوة على المناطق ، ما أربح فائدة نالوها ، وفرصة انتهبوها ! انتبه يزيد للعظة ، وشاور الفكرة ولا تكن إلى سمعك أسرع منها إلى عقلك ، واعلم أن الذي وطأك وسوسة الشيطان ، وزخرفة السلطان مما حسن قبجه واحلولى عندك مره ^٧ ، أمر ^٨ شرّكك فيه السواد ^٩ ونافسكه الأعباد ، فأضمت به من قدرك ، وأمكنك به من نفسك - فمن لهذا كله ؟

واعلم يا يزيد أنك طريد الموت ، وأسير الحياة ، بلغني أنك اتخذت المصانع والمجالس للملاهي والمزامير كما قال تعالى : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلّدون ^{١٠}) ، وأجهرت الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهرأ .

اعلم يا يزيد أن أول ما سلبك الكرم معرفة مواطن الشكر لله

(١) الجرة : ما يفيض به البعير فيأكله ثانية ، وكذا غيره من النعم .
 والمهوعة : من هوعه أي قياه وهذا تمثيل ، أي أنهم يستقلون ذكرك (٢) الكظ : الامتلاء من الطعام ، والحش : الكثير وهذا تمثيل أيضاً (٣) البوائق : جمع بائقة وهي الداهية (٤) الضائع والضليع : القوي (٥) خمش : لطم
 (٦) الدربة : التجربة (٧) السواد : العامة (٨) تقدم شرح غريب الآية في خطبة قطري .

تعالى على نعمه المتظاهرة وآلائه المتواترة ، وهي الجرححة العظمى ، والفجعة الكبرى ترك الصلوات المفروضات في أوقاتها ، وهي من أعظم ما يحدث من آفاتهما ، ثم استحسان العيوب ، وركوب الذنوب ، وإظهار العورة وإباحة السر ، فلا تأمن نفسك على شرك ، ولا تعقد^١ على فعلك ، فما خير لذة تعقب الندم ، وتعفي^٢ الكرم ؟ وقد توقف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك لما يترقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة ، فكان الحاكم على نفسك ، واجعل المحكوم عليه ذهنك ترشد إن شاء الله تعالى ، وليبلغ أمير المؤمنين ما يرد شارداً من نومه ، فقد أصبح نصب^٣ الاعتزال من كل مؤانس ودرية^٤ الألسن الشامتة ، وفلك الله فأحسن .

وكتب أعرابي لابنه وسمعه يكذب :

يا بني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه ، وإنما يدل على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه : فالأثم له عادة ، والأخبار عنه متضادة ، إن قال حقاً لم يصدق ، وإن أراد خيراً لم يوفق ، فهو الجاني على نفسه بفعاله ، والدال على فضيحه ببقائه ، فما صح من صدقه نسب إلى غيره ، وما صح من كذب غيره نسب إليه . فهو كما قال الشاعر :

حَسْبُ الكذوب من المها نة بعض ما يُحْكِي عليه
فلإذا سمعت بكذبته من غيره نُسِبت إليه

وكتب المرحوم حفي بك ناصف إلى سماحة السيد توفيق البكري :^١
كيتابي إلى السيد السند ؛ ولا أجسّمه^٥ الجواب عنه ! فذلك ما لا أنتظره منه ، وإنما أسأله أن ينشط إلى قراءته ، ويتنزل إلى مطالعته ،

(١) يقول : تفقد بالشراب الإرادة والعزيمة

(٢) تعفي : تذهب

(٣) النصب هنا : الغرض والهدف

(٤) الدرية : التي يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها . (٥) لا أكلفه .

وله الرأيُ بعد ذلك أن يحاسب نفسه أو يزيكها ، ويحكم عليها أو لَهَا :

فقد تنفعُ الذكرى إذا كان هجرُهم دلالاً فأما إن مَللاً فلا نفعا

زُرْتُ (السيد) ويعلم الله أن شوقي إلى لقائه كحُرصي على بقاءه ، وكلَّفتي بشهُوده ، كشغفي بوجوده ، فقد بَعُدَ (والله) عهدُ هذا التلاق ، وطالَ أمدُ الفراق وتصرَّم الزَّمان ، وأنا من رؤيته في حرمان . فسألتُ عنه ، فقبل لي : إنه خرَجَ لتشيع^١ زائر ، وهو عما قليل حاضر ، فانتظرت رجوعه ، وترقبت طُلوعه ولم أزل أَعِدُّ اللحظات وأستطيل الأوقات ، حتى بزَعَتِ الأنوار ، وارتجَّ صَحْنُ الدَّار ، وظهر الاستبشار على وجوه الزُّوَّار ، وجاء السيدُ في موكبِه ، وجلالة تحنُّده^٢ ومنصبِه ، فقُمنا لاستقباله ، وهينما^٣ بكَماله . فمرَّ يتعرَّف وجُوه القوم حتى حازاني وكبَّرَ على عينه أن يراني ، فتَغَادَرَنِي^٤ ومنَّ على يساري ، وأخذ في السلام على جاري وجرت السلام الكلام ، وتكرر القعود والقيام ، وأنا في هذه الحال أوم جاري أني في داري ، وأظهر للناس أن شدة الألفة ، تسقط الكلفة ، ومرَّ السيد بعد ذلك من أمامي ثلاث مرات ، ومن الغريب أنه لم يستدرك ما فات :

تمرُّون على الدِّيارَ ولنَّ تعُوجُوا كلامكمُ عليَّ إذَنْ حرامُ

وكنْتُ أظنُّ أن مكاني عند السيد لا تنكر ، وأن عهدي لديه لا يخفِّرُ فإذا أنا لستُ في العير^٥ ، ولا في النِّفير^٦ ، وغيري عند السيد كثيرٌ ، وذهاب صاحب أو أكثر عليه يسير

وَمَن مدَّت العُلُيا إليه يمينها فأكبرُ إنسان لديه صغير

(١) لتوديع (٢) أصله من جهة النسب (٣) تكلمنا بصوت خفي (٤) تركني (٥) لا ينقض (٦) الجماعة (٧) الجماعة أيضاً .

ولا أدعي أنني أوازي السيد (صانه الله) في علوِّ حُسنه ، أو أدانيه في علمه وأدبه ، أو أقاربه في مناصبه ورُتبته ، أو أكثره في فضته وذممه ، وإنما أقول : ينبغي للسيد أن يُميّز بين من يزوره لسماع الأغاني والأذكار ، وشهود الأواني على مائدة الإفطار ، وبين من يزوره للسلام ، وتأيد جامعة الإسلام ، وأن يُفرّق بين من يتردّد عليه استخلاصاً للخلاص ، ومن يتردد إجابةً لدعوة الإخلاص . وأن لا يشتبه عليه طُلّاب الفوائد بطلاب العوائد ، وقناص^١ الشوارد^٢ . بنقباء الموالد ، ورؤاد الطُرف^٣ ، بأرباب الحرف : فما كلُّ من لقيتَ صاحبَ حاجةٍ ولا كلُّ من قابلتَ سائلَك العُرفاءَ فإنَّ حَسَنَ عند السيّد أن يُغضي عن بعض الأجناس ، فلا يحسن أن يغضيَ عن جميع الناس وإلا فلماذا يطوف على الضيُوف ، ويحييهم بصُوف من المعروف ويتخطى^٤ الرّقاب^٥ لصرُوف^٦ ! ويخترق لأجله الصُّوف ؟ فإن زعم السيّد أنه أعلم بتصريف الأقلام ، فليس بأقدم هجرة في الإسلام وإن رأى أنه أقدر مني على إطرائه^٧ ، فليس بممكن أن يتّخذهُ من أوليائه ! ولا أرومُ بحمد الله منزلةً غيري أحقُّ بها منّي إذا راماً وإنما أصونُ نفسي عن المهانة والضعفة ، وأن أعرضها للضيّق وفي الدنيا سعة : وأكرمُ نفسي إنني إن أهنتُها وحقّك لم تكرم على أحدٍ بعدي فلا يُصمّر^٨ السيّد من خدّه ، فقد رَضيتُ بما ألزمني من بعده ، ولا يَغضُر^٩ عني عيبه ، فهذا فراق بيني وبينه ، وليتخذني صاحباً من بعيد ، ولا يكلّمني إلى يوم الوعيد .

- (١) جمع قانص بفتح القاف :الصائد (٢) المتفرقات والمراد طالبو متفرقات العلوم (٣) جمع طرفة : وهي ما ترى مليحة ، والمراد أهل المراتب العالية (٤) المعروف (٥) يتجاوز (٦) هو الدكتور يعقوب صروف المتوفى في آخر بوليه سنة ١٩٢٧ م وهو أحد أصحاب مجلة المقتطف وجريدة المقطم اليومية (٧) الثناء عليه . (٨) لا يميل خدّه كبراً وخيلاء (٩) لا يغمض .

كِلاَنَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَفَانِيَا

ومني على السيد السَّلام على الدَّوَام، ومُباركٌ إذا لبسَ جديداً، وكلُّ عامٍ وهو بخيرٍ إذا استقبلَ عيداً، ومرحى¹ إذا أصاب، وشيعة² السلامة إذا غاب، وقدوماً مباركاً إذا آب³، وبالرفاء والبنين⁴ إذا أعزّس⁵، وبالطالع المسعود إذا أنجب⁶، ورحمه الله إذا عطس، ونوم العافية إذا نعس، وصحَّ نومه إذا استيقظ وهنيئاً إذا شرب، وما شاء الله إذا ركب، ونعيم صباحه إذا انفجر فجر الفجر، وسعد مسأؤه إذا أذن العصر، وبخ بخير⁷ إذا نثر، ولا فض⁸ فوه⁹ إذا شعر¹⁰، وأجاد وأفاد إذا خطب¹¹، وأطرب وأغرب¹² إذا كتب، وإذا حج البيت فحجاً مبروراً، وإذا شيع جنازتي فسعيًا مشكوراً والسلام

وكتب القاضي الفاضل إلى أخيه عبد الكريم يؤنِّبه على إيذائه علم الدين

ابن النحاس :

سبب إصدار هذه المكاتبة إلى الأخ - أصلحه الله ! - لإعلامه ما صح عندي

من الأحوال التي أخفاها، والله مبدئها، في حق علم الدين

وبالله أقسم لئن لم تداو ما جرحت وتستدرك ما فعلت، وتمح ما أثبتت، وتستأنف ضد القبيح الذي كتبتك به وشافهت، وتعتذر بالجميل فيما قاطعت الله به وبارزت، ليكون الحديث مني بغير الكتاب، ولأزيلن السبب الذي قدرت به على مضرة الأصحاب، وما أشد معرفتي بأن الطباع لا تتغير، وبأنك ستجوجني بعد هذا الكتاب إلى ما لا يتأخر، وبالجملة فاستدرك بفعلك لا بإيمائك لي وتنصلك إلي

(١) كلمة تقال عند الإصابة في الرمي مَدْحاً للمصيب (٢) ودعته (٣) رجع .

(٤) كلمة تقال لمن تزوج ومعناه بالالتئام وجمع الشمل (٥) تزوج (٦) ولد له

(٧) كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو عند الفخر والمدح وكررها

للمبالغة (٨) لا كسرت أسنانه (٩) قال الشعر .

* فالدم في النصل شاهد عجب *

رويل لمن كانت غنيمة من الأيام عقد القلوب على البغضاء ، وإطلاق الألسنة بالذام ، ولولا أنني شريكك في كل ما تستوجه من الناس ، لألقيت حبلك على غاربك وتركتك ، وما اخترت لنفسك ، ولكن كيف بمن يرمي وليس برام ؟

ولكن سكوت الناس عن قبيحك مقابلة لجمل كثير مني ، فإذا انت لا تنفق إلا من كيسي . فأشقى على نفسك ، إن كنت تنظر في غد ، وعلى بيتك ، إن كنت تنظر في أمس ، وعلى مكانك مني ، إن كنت لا تنظر إلا في اليوم ، ولا تجاوبني إلا بلسان الرجل شاكر أ لك ، فإنه وإن كان (والله) ما ذمك فقد ذمته به عنه وما أظن أنك تذكر أنني كتبت إليك كتاباً ، ولا كنت أوثره ، ولولا حافظ غليظ ما كتبت ، ولولا علمي أن الكثير مما قيل عنك في أمر الرجل هو القليل مما فعلته لأضربت عن هذا كما أضربت عن غيره وستعرفك الأيام ما كنت تجهل . والله يأخذ بناصيتك إلى رضاه ويغمد سيف جليلتك عن مقلتك ، والسلام .

الفصل السادس في رسائل الشكوى

كتب الأمير أبو الفضل الميكالي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ :

إنما أشكو إليك زماناً سلب ضعف ما وهب ، وفجع بأكثر مما متع ، وأوحش فوق ما آنس ، وعنف في نزع ما ألبس ، فإنه لم يذقنا حلاوة الاجتماع حتى جرعنا مرارة الفراق ، ولم يمتعنا بأنس الالتقاء ، حتى غادرنا رهن التلف ، والاشتياق .

(والحمد لله تعالى على كل حال) يسوء ويسر ، ويحلو ويمر ، ولا أياس من روع

الله في إباحة صنع^١ يجعل رّبعه^٢ 'مناخي'^٣ ، ويقصر مدة البعاد والتراخي ،
فألاحظ الزمان بعين راض ، ويقبل إليّ حظي بعد إعراض ، وأستأنف^٤ بعزته
عيشاً عذب الموارد^٥ والمناهل^٦ ، مأمون الآفات والفوائل^٧ .

وكتب عبد الحميد بن يحيى المقتول سنة ١٣٢ هـ إلى أهله وهو منهزم مع
مروان^٨ :

أما بعد : فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور ، فمن ساعده
الحظ فيها سكن إليها ، ومن عضته^٩ بناها ذمها ساخطاً عليها ، وشكاها
مستزيداً لها .

وقد كانت أذاقنا أفاويق^{١٠} استحليناها ، ثم جمحت^{١١} بنا نافرة ورمحتنا^{١٢}
مولية ، فملح عذبا ، وخشن لينها ، فأبعدتنا من الأوطان وفرقتنا عن الإخوان ،
فالدّار نازحة^{١٣} ، والطير بارحة^{١٤} ، وقد كتبت^{١٥} الأيام تزيدنا منكم بعداً ، وإليكم
وجداً ، فإن تتمّ البليّة إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وإن يلحقنا ظفر^{١٦}
جارج من أظفار من يليكم ، نرجع إليكم بسدل الإسار^{١٧} ، والذلّ شرّ جار .

(١) المعروف (٢) دار (٣) مكان النوم ومراده أنه لا يئأس من معروف يحظى
به مدة حياته (٤) أجدد (٥) أمكنة إتيان الماء (٦) المواضع التي فيها والمراد أنه
يجدد عيشاً هنيئاً لا حزن معه (٧) الدواهي (٨) هو مروان بن محمد بن الحكم بن
أبي العاص الأموي آخر ملوك بني أمية المعروف بالجمعدي قتل سنة ١٣٢ هـ (٩) كناية
عن تسلطها عليه بنوائبها ومصائبها (١٠) ألبانها والمراد نعيمها وخيراتها
(١١) أسرع غالبة إيانا (١٢) طعننا برمحها والمراد مصائبها (١٣) بعيدة .
(١٤) البارح من الطير ما يمر من اليمين إلى الشمال والعرب تتشام به وذلك أنه
كان من عاداتهم إذا أرادوا أمراً عمدوا إلى الطير فأطاروها فإن طارت شمالاً
يتشامون ويرجعون وتسمى بارحات وإن طارت يميناً تفاءلوا باليمين ومضوا في
أمرهم وتسمى سافحات (١٥) الأسر هو القبض على الرجل وأخذه أسيراً .

نسأل الله الذي يُعز من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة ، تجمع سلامة الأبدان ، والأديان ، فإنه رب العالمين ، وأرحم الراحمين .

وكتب أستاذنا الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده ، وهو مسجون بسبب الحوادث العربية :

تقلدني الليالي وهي مُدْبِرَةٌ
كأنني صَارِمٌ في كَفٍّ مُنْهَزِمٍ

عزيزي (هذه حالي) اشتد ظلام الفنن حتى تجسّم بل تحجّر ، فأخذت صخوره من مركز ^١ الأرض إلى المحيط ^٢ الأعلى ، واعتضت ما بين المشرق والمغرب وامتدت إلى القطبين ^٣ فاستحجرت في طبقاتها طباع الناس إذ تغلبت طبيعتها وامتدت على المواد الحيوانية أو الإنسانية ، فأصبحت قلوب الثقلين كالخجارة أو أشد قسوة ، فتبارك الله أقدر الخالقين ، انتشرت نجوم الهدى وتدهورت ^٤ الشموس والأقمار ، وتغيّبت الثوابت النيرة ، وفر كل مضيء منهزماً من عالم الظلام ، ودارت الأفلاك دورة العكس ، ذاهبة بنيرانها إلى عوالم غير عالمنا هذا ، فولى معه ^٥ آلهة الخير أجمعين وتمحضت السلطة لآلهة الشر فقلبوا الطباع ، وبدّلوا الخلق ، وغيروا خلق الله ، وكانوا على ذلك قادرين .

رأيت نفسي اليوم في مَهْمَةٍ ^٦ لا يأتى البصر على أطرافه ، في ليلة

(١) وسط دائرتها (٢) الدائرة المحيطة بالكرة الأرضية (٣) الشمالي والجنوبي وهما طرفا محور الأرض والمحور هو القطر الوهمي الذي تدور عليه الأرض من المغرب إلى المشرق أثناء حركتها (٤) الإنس والجن (٥) أدبرت (٦) مفازة واسعة .

داجية^١ غطّيَ فيها وجه السماء بغمام سوء فتكاثف^٢ رُكاماً ركاماً^٣ لا أرى
إنساناً ولا أسمع ناطقاً^٤ ولا أأنهم مجيباً^٥ ! أسمع ذئاباً تعوي ! وسباعاً تزارأ^٦ ،
وكلاباً تنبح !^٧ كلها يطلب فريسة واحدة ، هي ذات الكاتب ، والتفّ على
رجلي تينينان^٨ عظيمان ، وقد خوّيت^٩ بطون الكل^{١٠} ، وتحكم فيها سلطان
الجوع ، ومن كانت هذه حاله ، فهو لا ريب من الهالكين .

تقطع الأمل ، وانفصمت^{١١} عروة الرجاء ، وانحلت الثقة بالأولياء ،
وضل الاعتقاد بالأصفياء ، وبطل القول بإجابة الدعاء ، وانفطر^{١٢} من صدمة
الباطل كبيد السماء ، وحققت على أهل الأرض لعنة الله والملائكة والأنبياء
وجميع العالمين .

سقطت الهمم ، وخربت الذمم ، وغاض^{١٣} ماء الوفاء ، وطمست معالم
الحق ، وحرفت الشرائع ، وبدلت القوانين ، ولم يبق إلا هوى يتحكم ، وشهوات
تقضى ، وغىظ يحتدم^{١٤} وخشونة تنفذ (تلك سنة القدر) والله لا يهدي كيد
الخائنين .

ذهب ذوو السلطة في 'مَجُورِ الحوادث الماضية ، يغوصون لطلب أصداف من
الشُبّه ، ومقذوفات من التهم ، وسواقط من المم^{١٥} ليُمَوّوها^{١٦} بمياه السفسطة
ويغشوها بأغشية من معادن القوة ، ليبرزوها في معرض السطوة ويغشوا بها أعين
الناظرين ، لا يطلبون ذلك لغامض يبينونه ، أو لمستور يكشفونه ، أو لحق خفيّ

(١) مظلمة (٢) كثر وتراكم (٣) السحاب المتراكم (٤) بفتح عينه أو بكسرهما
تصوت (٥) بفتح عينه أو بكسرهما تصوت (٦) نشمية تدين وهو الحية العظيمة .
(٧) خلت (٨) انقطعت (٩) انشق (١٠) ذهب (١١) يتحرك ويشد (١٢) المتقارب
من الذنوب ، والمم أيضاً طرف من الجنون (١٣) من التمويه وهو التلبيس .

فيظهر^١ونه، أو خرق بدا فيرقعونه، أو نظام فاسد فيُصلحونه ! كلاً، بل ليثبتوا أنهم في حبس من حبسوا غير مخطئين، وقد وجدوا لذلك أعواناً من حلفاء الدناءة وأعداء المروءة، وفاسدي الأخلاق، وخبثاء الأعراق^٢، رضوا لأنفسهم قول الزور، وافتراء البهتان، واختلاق الإفك^٣، وقد تقدموا إلى مجلس التحقيق بتقارير محشوة من الأباطيل ليكونوا بها علينا من الشاهدين .

كل ذلك لم تأخذني فيه دهشة، ولم تحل قلبي وحشة، بل أنا على أتم أوصافي التي تعلمها، غير مبال بما يصدر به الحكم أو يبرمه القضاء، عالماً بأن كل ما يسوقه القدر، وما ساقه من البلاء فهو نتيجة ظلم لا شبهة للحق فيه، لأن الله تعالى يعلم كما أنت تعلم أنني بريء من كل ما رموني به ولو اطلعت عليه لوليت منه رعباً، وكنت من الضاحكين .

نعم خنقني الغم، وأحى فؤادي الهم، وفارقني النوم ليلة كاملة عندما رأيت اسمك الكريم، واسم بقية الأبناء والإخوان، تنسب إليهم أعمال لم تكن، وأقوال لم تصدر عنهم، لقصد زجهم في المسجونين .

لكن اطمأن قلبي، وسكن جأشي^٤ عندما رأيت تواريخ التقارير متقدمة ومع ذلك لم يصلكم شرر الشر فرجوت أن الحكومة لم تُرد أن تفتح باباً لا يذر، الأحياء ولا الميتين .

قدّم فلان وفلان تقريرين، جملا فيهما تبعات الحوادث الماضية على عنقي ولم يتركاً شيئاً من التخريف إلا قالاه، وذكرنا أسماءكم في أمور أنتم جميعاً أبعد الناس عنها، لكن لا حرج عليهما؛ فإني أراهما من المجانين؛ ولم أتعجب من

(١) الأخلاق (٢) الكذب (٣) اضطراب القلب عند الفزع (٤) لا يدع ولا يترك .

هذين الشيخين إذ يعملان مثل ذلك الذنب القبيح ، ويرتكبان هذا الجرم الشنيع ! ولكن أخذني العجبُ (كلُّ العجب غاية العجب بالغ ما شئت في عجيبي) إذ أخبرني المدافع عني بتقرير قدمه فلان ، الذي أرسلت إليه السلام ، وأبلغته سروري عند ما سمعت باستخدامه ، وأنا في هذا الحبس رهين .

إلى هذا الوقت لم يصلني التقرير ، ولكن سيصل إليّ ، إنما فيما بلغني أنه شهادة بأقبح شيء ، لا يشهد به إلا عدوٌّ مبین .

هذا اللثم الذي كنت أظن أنه يالم لألمي ، ويأخذني الأسف الجالي ، ويبذل وُسعه إن أمكنه في المدافعة عني ! فكم قدمت له نفعاً ، ورفعت له ذكراً ، وجعلت له منزلة في قلوب الحاكمين ! كم سمعني أقاوم هجاء الجرائد ؟ ! وأوسع محرّريها لوماً وتقريعاً ؟ ! وأهزأ بتلك الحركات الجنونية ، وكان هو عليّ في بعض أفكاره هذه من اللاتمين ! كان ينسب فلاناً لسوء القصد اتباعاً لرأي فلان ، وأعارضه أشد المعارضة . ثم لم أنقض له عهداً ولم أنجس له وُدّاً ، وحقيقة كنت مسروراً لوجوده موظفاً فما باله أصبح من الناكثين ؟ !

آه ما أطيب هذا القلب الذي يُعيلي هذه الأحرف ! ما أشدّ حفظه للولاء ، ما أغیره على حقوق الأولياء ! ما أثبتته على الوفاء ! ما أرقّته على الضعفاء ! ما أشدّ اهتمامه بشئون الأصدقاء ! ما أعظم أسفه لمصائب مَنْ بينهم وبينه أدنى مودة وإن كانوا فيها غير صادقين ! ما أبعد هذا القلب من الإيذاء ولو للأعداء ! ما أشدّه محافظة على العهد ! ما أعظم حِذره مِنْ كل ما تُؤبّخ عليه الذمم الطاهرة ! ما أقواه على العمل الحق ، والقول الحق لا يطلب عليه جزاء ! وكم اهتم بمصالح قوم وكانوا عنها غافلين ؟ ! هذا القلب الذي يؤلمونه بأكاذيبهم ، هو الذي سرّ قلوبهم بالترقية ، وملاًها فرحاً بالتقدم

ولطّف خواطرهم بحُسن المُعاملة وشرّجَ صدورهم بلطيف الحاملة ودافع عنهم
أزماناً خصوصاً هذا اللثم !

أفلشرحُ الصدور وهم يُخْرِجُونَ ؟ ونشفي القلوب وهم يُؤْلُونَ ؟ ونفرحها
وهم يحزنون ؟ . تالله قد أضلوا وما كانوا مُهتدين . هذا القلب ذآبٌ مُعْظَمُهُ من
الأسف على ما يُلْمُ بالهيئة العمومية من مصائب هذه التقلبات ، وما ينشأ عنها من
فساد الطباع الذي يجعل العموم في قلق مستديم وما بَقِيَ من هذا القلب فهو في
خوف على من يعرفهم على عهد مودته فإن تسللوا جميعاً بمثل هذه الاعمال أصبحوا
من مودته خالين . واتخذوه وقاية لهم من المضرة ، وجعلوه ترساً يُعَرِّضُونَهُ
لتلقي سهام النوايب التي يتوهمون تَقْوِيَقَهَا إليهم ، كما اتخذوه قبل ذلك سهماً
يصيبون به أغراضهم فينالون منها حظوظهم - فقد أراحوا تلك البقية من
الفكر فيهم ، والله يتولى حسابهم وهو أسرع الحاسبين .

آه - ما أظن أن تلك البقية تستريح من شاغل الفكر في شؤون الأحبة وإن
جاروا في تصرفهم .

إن طبيعة هذا القلب لطبيعة ناعم الخبز إذا اتصل بذى الود (وإن كلف
خشناً) فَصَعْبٌ أن ينفصل ولو مزقته خشونته ، وإن هذا القلب في علاقة مع
الأوداء كالضياء مع الحرارة ، أيما حادث يحدث ، وأيما كياوي بدقق ، لا يجد
للتحليل بينها سبيلاً . وأظنك في العلم بثبوت تلك الطبيعة فيه كنت من المتحققين .

وكتب المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم^١ إلى الاستاذ الإمام الحكيم الشيخ
محمد عبده :

كتابي إلى سيدي : وأنا من وعده بين الجنة والسلسبيل^٢ ، ومن

(١) يشكو إليه حاله وهو ضابط بالسودان .

(٢) عين في الجنة وهو الشراب السهل في الخلق .

تبيي^١ به فوق النشيرة^٢ والإكليل^٣ وقد تعجلت السرور^٤ ، وتسلفت^٥
الشحور^٦ ، وقطعت بيني وبين النوائب

وبشّرت^٧ أهلي بالذي قد سمعته^٨ فما محنتي^٩ إلا ليالي قلائل
وقلت لهم للشيخ فينسا مشيئة^{١٠} فليس لنا من دهرنا ما ننازل^{١١}
وجمعت فيه بين ثقة الزبيدي^{١٢} بالصنصامة^{١٣} ، والحارث بالنعامة^{١٤} ، فلم
أقل فيه ما قال الهذلي^{١٥} لصاحبه^{١٦} ، حين نسي وعده^{١٧} وحجب رّفده^{١٨} :
(يا دار عاتكة التي أتغزل^{١٩}) بل أناديه نداء الأخيذة^{٢٠} في سمور^{٢١} ربة^{٢٢}
شجاع الدولة العباسية^{٢٣} ، وأمدّ صوتي بذكر إحسانه^{٢٤} ، مدّ المؤذن صوته^{٢٥} في
أذانه وأعتمد^{٢٦} عليه في البعد والقرب^{٢٧} ، اعتماد الملاح^{٢٨} على نجمة القطب^{٢٩} .
وقال أضحياي هالني النوى^{٣٠} وهالهم أمري متى أنت قافل^{٣١}
فقلت^{٣٢} إذا شاء الإمام^{٣٣} فأوبتي^{٣٤} قريب^{٣٥} ورّبعي^{٣٦} بالسعادة أهل

(١) عجيبي (٢) كو كبان متقاربان بينهما قدر شبر وفيهما لطنخ بياض كأنه قطعة
سحاب (٣) من منازل القمر أربعة أنجم مصطفة (٤) الفرح ومعنى تسلق تسورأي
أتى الفرح من غير بابيه ويروى تسلفت بالفاء (٥) محنتي : بليتي (٦) نضارب لأن
الشيخ كفانا صدمات الدهر (٧) أبو ربيعة عمرو بن معدي كرب ينتهي نسبه إلى
قحطان صحابي من شجعان الجاهلية والإسلام وزبيدي نسبة إلى زبيد بضم الزاي قوم
من اليمن (٨) اسم سيف عمرو (٩) اسم فرس للحارث بن عباد البكري شيخ من
العرب (١٠) نديم الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي كان لا يكلم الخليفة إلا جوابا
(١١) وعده ولم يوف ولما مرا على دار عاتكة بنت عوف قال الهذلي هذه دار
عاتكة التي قال فيها الشاعر - يا دار عاتكة الخ فعجب الخليفة كيف بدأه بالكلام على
غير عادة ثم نظر الملك في قصيدة الشاعر فوجد فيها « وأراك تفعل ما تقول » فتذكر
الخليفة الوعد (١٢) عطاء (١٣) الأسيرة ويريد بها امرأة من بني هاشم أسرها الروم
فنادت وامتنع صامد تعني المعتصم من خلفاء بني العباس فوصل الخبر إلى المعتصم فقال : لبيك !
لبيك ! وهم فحاربهم وخلصها (١٤) بلدة من بلاد الروم (١٥) صاحب السفينة
(١٦) كو كب في السماء تدور عليه الكواكب وهو ثابت مكانه ينظر إليه صاحب السفينة
فيمعرف الجهة التي هو قاصدها (١٧) العبد (١٨) راجع (١٩) رجعتي (٢٠) داربي .
(١٠ - جواهر الأدب ١)

وها أنا متماسكٌ حتى تنحسر^١ هذه الغمرة^٢ وينطوي^٣ أجل^٤ تلك الفترة^٥
وينظر إليّ سيدي نظرةً ترفعني من ذات^٦ الصدع^٧ إلى ذات^٨ الرجس^٩
وتودني إلى وكري^{١٠} الذي فيه درجت^{١١} ، ردّ الشمس قطرة المزن^{١٢} إلى
أصلها ، ورد الوفي الأمانة إلى أهلها

فإن شاء فالقرب^{١٣} الذي قد رجوته وإن شاء فالعز الذي أنا آميل
وإلا فإني قاف^{١٤} رؤوبة^{١٥} لم أزل بقميد النوى حتّى تقول الغوائل^{١٦}
فقد حللت^{١٧} السودان حلول^{١٨} الكلم^{١٩} في التابوت^{٢٠} ، والمغاضيب^{٢١} في
جوف^{٢٢} النحوت^{٢٣} ، بين الضيق^{٢٤} والشدة^{٢٥} ، والوحشة^{٢٦} والوحدة^{٢٧} ، لابل حلول^{٢٨} الوزير^{٢٩}
في تنور العذاب ، والكافر في موقف^{٣٠} الحساب ، بين نارين^{٣١} : نار القيظ^{٣٢} ونار الغيظ^{٣٣}
فناديت^{٣٤} باسم الشيخ والقيظ^{٣٥} بحجرة^{٣٦} تذيب دماغ الضب^{٣٧} والعقل^{٣٨} ذاهل
فصيرت^{٣٩} كافي^{٤٠} بين روض^{٤١} ومنهل^{٤٢} تهب^{٤٣} الصبا فيه وتشدو البلابل^{٤٤}
واليوم أكتب إليه وقد قعدت^{٤٥} همة النجمين ، وقصرت^{٤٦} يدا الجديدين^{٤٧} عن
إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد ، فلقد نمت^{٤٨} ضب^{٤٩} ضغنه^{٥٠} عليّ ، وبدرت^{٥١}
يوارد^{٥٢} منه^{٥٣} إليّ ، فأصبحت^{٥٤} كما سر العدو وساء^{٥٥} الحميم^{٥٦} وآلامي كأنها
جلود أهل الجحيم ، كلما نضج^{٥٧} منها أديم^{٥٨} تجدد^{٥٩} أديم^{٦٠} وأمسيت^{٦١} ومثلك^{٦٢} آمالي إلى
الزوال ، أسرع^{٦٣} من أثر^{٦٤} الشهاب في السماء ، ودولة صبري إلى الاضمحلال ،

- (١) تنكشف (٢) الشدة (٣) يريد المدة بينها (٤) الأرض (٥) الشق
(٦) السماء (٧) صوت الرعد (٨) يريد وطنه وأصله عش الطائر (٩) مشيت
(١٠) المطر (١١) رجل من العرب كان أكثر روي أراجيزه على القاف الساكنة
(١٢) سيدنا موسى عليه السلام (١٣) الذي وضعته أمه فيه وألقته في البحر
(١٤) سيدنا يونس بن متى عليه السلام (١٥) محمد الزيات وزير الخليفة مروان
الحمير أدخله تنور العذاب الذي اصطنعه لتعذيب من يأمر بتعذيبه (١٦) شدة الحر
(١٧) الليل والنهار (١٨) بكسر الضاد الغيظ (١٩) حقه (٢٠) أسرع
(٢١) جمع بادرة الحدة عند الغضب (٢٢) القريب الذي يهتم لأمره (٢٣) الجلد.

أحث^١ من حجاب^٢ الماء ، فنظرت^٣ في وجوه تلك العباد ، وإني لفارس^٤ العين والفؤاد ، فلم تقف في رأسي على غير بابك .
 وإني أهديك^٥ سلاماً لو امتزج بالسحاب ، واختلط^٦ منه باللعب ، لأصحت^٧ تنهادي^٨ بقطره الأكاسرة^٩ ، وأمست^{١٠} تدخر معه الرهبان في الأديرة^{١١} ، ولأغنى^{١٢} ذات الحجاب ، عن الغالية^{١٣} والملاب^{١٤} .
 ولا بد^{١٥} إذا جاد السيد بالرد^{١٦} ، فقد يرى وجه المليك في المرأة ، وخيال القمر في الإضاءة ، وإن حال حائل^{١٧} ، دون أمنية هذا السائل ، فهو لا يذم يومك ، ولا يياس^{١٨} من غدك ، فأنت خير^{١٩} ما تكون حين لا تظن^{٢٠} نفس^{٢١} بنفس خيراً ، والسلام .

الفصل السابع في رسائل العيادة

كتب ابن الرُّومي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ إلى بعضهم :
 أذن^١ الله في شفائك ، وتلقى داءك بدوائك ، ومسح^٢ بيد العافية عليك ، ووجه وفد السلامة إليك ، وجعل^٣ علثك^٤ ماحية^٥ لذنوبك مضاعفة^٦ لثوابك .
 وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ :
 وصل كتابك يا سيدي ، فسرني نظري إليه ثم غني^١ اطلاعي عليه ، لما تضمنته^٢ من ذكر^٣ علثك ، جعل^٤ الله أولها كفارة^٥ ، وآخرها عافية^٦ ، ولا أعدمك^٧ على الأولى أجراً ، وعلى الأخرى شكر^٨ .
 وبودي لو قرُب^٩ عليّ متناول^{١٠} عيادتك ، فاحتملت^{١١} عنك بالتعمد^{١٢} والمساعدة بعض^{١٣} أعباء^{١٤} علثك ، فلقد خصني من هذه العلة^{١٥} قسم^{١٦} كقسميك^{١٧} ، ومرض قلبي^{١٨} فيك لمرض جسمك^{١٩} ، وأظن^{٢٠} أني لو لقيتك^{٢١} عليلاً ، لانصرفت^{٢٢} عنك ، وأنا أعل^{٢٣} منك^{٢٤} فياني بحمد الله جلد^{٢٥} على أوجاع أعضائي^{٢٦} ، غير جلد على أوجاع أصدقائي^{٢٧} - شفاك الله وعافاك .

(١) أسرع (٢) ما يرى على وجه الماء من الفقاقيع (٣) تجعله هدية
 (٤) الملوك (٥) الطبيب (٦) الزعفران (٧) جمع عبء (٨) شديد

الفصل الثامن في رسائل التهاني

كتب في التهنية بيلاد الأولاد أبو منصور الشعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :
 أهلا وسهلا بمقيلة النساء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار
 ولو كانت النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال
 فما التأنيت لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال
 والله يُعرفك البركة في مطلقها ، والسعادة بموقعها ، فالدنيا مؤنثة ، والناس
 يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها
 كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة ، وقصد زينت بالكواكب ، وحللت بالنجوم
 لثواب^٢ والنفس مؤنثة ، وهي قوام الأبدان ، وملاك الحيوان ، والحياة مؤنثة
 ولولاها لم تتصرف الأجسام ولا تحرك الأنام ، والجنة مؤنثة ، وبها وعِد المتقون
 وفيها تنعم المرسلون فهنيئا هنيئا ما أوليت وأوزعك^٣ الله شكر ما أعطيت ،
 وأطال بقاءك ما عُرِف النسل وبقي الأبد .

وكتب بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ إلى الداوردي يهنئه بمولود:
 حقا لقد أنجز الإقبال وعده ، ووافق الطالع سعده ، وإن الشأن لفيما بعده .
 وحبذا الأصل وفرعه ، وبورك الغيث وصوبه ، وأينع الروض ونوره ،
 وحبذا سماء أطلعت فرقدًا ، وغابة^٤ أبرزت أسداً ، وظهر وفاق سنداً ،
 وذكري يبقى أبداً ، ومجد يُسمى ولداً ، وشرف^٥ لجة وسدى^٦ .
 أنجب^٧ كل من والديه به إذا نجلاه فنعم ما أنجلا
 فالفياه^٨ شهاب ذكاء ، وبدر علاء .

(١) كريمتهن (٢) المضيئات (٣) أقدرك (٤) مطرده وهنا كناية عن
 الولد (٥) زهرة الشجر وهو كناية عن الولد أيضاً (٦) موضع الأسد الذي
 يألفه والمراد أصوله (٧) كلاهما من لجة الثوب وسداه وهو كناية عن الصرف
 وظاهره وأباطنا (٨) ولداه كريما (٩) وجداه .

وَوَجَدَاهُ ابْنِ جِلَا ١ أَبْيَضَ ٢ يُدْعَى الْجَفَلَى ٣
لَمَثَلُهُ أُولَى فَلَا إِذَا النَّدَى ٤ احْتَفَلَا

وكتب في التهئة بالقدوم أبو منصور الشعالي المتوفى سنة ٥٤٢٩ هـ :
أهنيء سيدي ، ونفسي تطيب بما يسر الله من قدومه سالماً ، وأشكر
الله على ذلك شكراً دائماً . جمل الله قدمك مقروناً بالخيرة التامة العامة ،
والكفاية الشاملة الكاملة .

غيبة المكارم مقرونة بغيبتك ، وأوبة النعم موصولة بأوبتك ، فوصل الله
قدمك من الكرامة ، بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة ، وهنالك بإيابك ،
وبلغك غاية محابك ، ما زلت بالنية معك مسافراً ، وباتصال الذكر والفكر
ملاقياً إلى أن شمل سروري بأوبتك وسكن نافر قلبي بعودتك .

وكتب أيضاً في التهئة برمضان :

ساق الله إليك سعادة إلهاله ، وعرفك بركة كاله ، لقاءك فيه ما ترجو
ورقاك إلى ما تحب في ما تتلوه ، جعل الله ما يطول من هذا الصوم مقروناً بأفضل
القبول ، مؤذناً بدرك البقية ونجح المأمول . ولا أخلاك من بر مرفوع ، ودعاء
مسموع ، قابل الله بالقبول صيامك ، وبمعظم المثوبة تهجدك وقيامك ، أعاد الله
إلى مولاي أمثاله ، وتقبل فيه أعماله ، وأصح في الدين والدنيا أحواله وبلغه منها
آماله . أسعد الله مولاي بهذا الشهر ، ووفاه فيه أبجزل المثوبة والأجر .

وكتب أبو الفرج البغواء المتوفى سنة ٥٣٩٨ هـ تهئة :

سيدي - أيده الله ! - أرفع قدراً ، وأنبه ذكراً ، وأعظم نبلاً ، وأشهر

(١) واضح الأمر (٢) نقي العرض شريفاً (٣) دعاهم بجماعتهم وعامتهم
(٤) مكان اجتماع الناس والاحتفال هو التجمع : أي ، لمثله نصوغ التهاني أولى
فلا يحسن أن تصاغ لغيره :

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلاصعدا

فضلاً - من أن نهنشه بولاية ، وإن جلّ خطرهما ، وعظم قدرهما ، لأن الواجب تهنئة الأعمال بفائض عدله ، والرعية بمحمود فعله ، والأقاليم بآثار سياسته ، والولايات بسماط سياسته ، فعرّفه الله يُننّ ما تولاه ورعاه في سائر ما استرعاه ، ولا أخلاه من التوفيق فيما يعاينه ، والتسديد فيما يبرمه ويمضيه .

وكتب أستاذنا المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٥ هـ :
أي جهابذة^١ الكنانة^٢ نبأ الجئانة^٣ مياه الإجانة^٤ أبناء تلك اللغى ،
صناديد هذه الوغى ، إليكم يساق الحديث ، في القديم والحديث ، عن هذا النبأ العظيم ، والمجد الصميم ، مالي أرى في لغتنا الشريفة ، ويعلم أولو النهى أية من اللغات أحق بهذا النبر ، أن يُصرّف إليها عند الإطلاق ، هُبوباً غيب خمول ، وترّة^٥ بعد نحول ، ونوراً عقيب أفول ، ونوراً إثر ذبول ، وصباً ورّاء قبول ، وعدلاً ولا حيف^٦ وقوة ولا ضعف ، وما يشاء المطري^٧ في هذا القبيل من العطف آمنت بالقدر المقدور ، والبعث والنشور ، كذلك يحبي الله الموتى .
أليس رجل واحد أسفرت^٨ عنه عناية التوفيق ، فألقت إليه المقاليد^٩ بلى^{١٠} ولكنّه الواحد الذي يقول في مثله صاحب بني ميكال :

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر^{١١}

أي^{١٢} وربّ تلك البنيّة^{١٣} ، باري^{١٤} ، نسّم البرية ، إنه لرجل البلاد رجل الخزم والسّداد : ألم نرّ جنانه^{١٥} ، وحنانه^{١٦} ، وبنانه^{١٧} ، وبيانه ، عوامل لهذه اللغة : لغة الفرقان^{١٨} ، لغة الأوطان ! لا - بل أمضى من العوامل حتى

-
- (١) الحذاق ذوو النقد (٢) ما يوضع فيها السهام والمراد أنهم نقادون للمسائل
(٣) بضم الجيم الترس التي يتقى بها (٤) الإجانة بالكسر إناء تغلي فيه الشياح
وما حول الغراس شبه الأحواض والجمع أجاجين (٥) اللقب الرفيع (٦) امتلاء
الجسم من (٧) الظلم والجور (٨) المدح (٩) ظهرت (١٠) المفاتيح
(١١) حرف جواب تثبت المنفى (١٢) أهم الناس وأقلهم (١٣) حرف جواب
مثل نعم (١٤) بفتح الباء وزن غنية الكعبة (١٥) خالق (١٦) قلبه
(١٧) أنامل أصابعه (١٨) لغة القرآن الكريم .

ظلت (آدابها) فرائض ، وقد كانت وما بالعمد من قديم (نوافل) وما حُلِيَّتها
أجباد^١ اللهمجات عواطل . اللهم إلا بقية ثمد ، قد منيت^٢ صُحُفها الأود^٣ ،
ففقدت الجلد والجلد^٤ ، وبعد أن راج سوق الرطانة^٥ ونضيب^٦ ماء الإبانة ،
وخبت^٧ أنوار البلاغة ، وذوت^٨ أنوار^٩ النباعة ، وكسد البيان ،
وقوض^{١٠} منه^{١١} البنيان ، وأصبحت العربية لُفَى^{١٢} ملقاة ، وبضاعة مزجاة^{١٣} ،
فأي هذا اليراع^{١٤} لا أقل من نفثات في صوغ كُليات تقدر هذه النعمة قدرها ،
وتنحها^{١٥} شكرها .

وَيَحْكُكَ ! ١٥ هُب ١٦ من سِنَتِكَ ١٧ ، في حلية مقتك ١٨ ، وانض ١٩
حسامك ٢٠ ، واشخذ كهامك ٢١ ، واثل ٢٢ كنانتك ٢٣ ، واعمل بنانتك ٢٤
وصنع إن استطعت تهاني غمراً ، بل عقوداً دُرّاً ، بل أنجماً زهراً ، مشتاراً^{٢٥}
من خلايا ذلك الأري ٢٦ الشَّهي ٢٧ الندي الذي ، ما جرس ٢٨ نخله الشَّيح ٢٩
والخزامي ٣٠ وأطايب الثمار ، وأزاهي الأزهار تهدين أولئك المصافع ٣١
شكراً لتلك النعم ، تجميعاً لشواردها وتقييداً لأوابدها ٣٢

(١) الأعناق (٢) اختبرت (٣) الأود الكد والتعب ومراده اعتنى الناس بها
لا عن بذل جهد (٤) القوة (٥) كل لسان يخالف العربية (٦) غار وذهب
(٧) خفيت (٨) ذبلت (٩) جمع نور بالفتح الزهر (١٠) نقض (١١) بالقصر
مطروحة (١٢) قليلة (١٣) القلم (١٤) تعطيها (١٥) كلمة رحمة (١٦) استيقظ
(١٧) نومك (١٨) محبتك (١٩) سله من غمده (٢٠) السيف القاطع
(٢١) شحذه حده ، والكهام بفتح الكاف السيف الكليل (٢٢) استخرج
ما فيها من النبال (٢٣) الجراب الذي توضع فيه النبال والسهام (٢٤) أصبعك
(٢٥) كثير الشرى (٢٦) العسل (٢٧) ما يشتهي (٢٨) أكلت وأصله جرس
الشيء جرساً لحسه بلسانه (٢٩) نبت طيب الرائحة (٣٠) بضم الحاء نبت
زهرة أطيب الأزهار (٣١) جمع مصقع البليغ (٣٢) لغرائبها .

كما شبهها رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق^١ ، وإشفاقاً عليها من الجراح^٢ ، بعد ذلك من الارتياح .

فإليك بني هذه اللغة « كتابي هذا » تهنئة بتلك النهضة العربية في إبان (كما تعلمون) وجهه مكفهر^٣ وبدنه مقشعر^٤ ، وثناء على العناية (التوفيقية) والعزمة (الرياضية) .

على أن لهذا المولى الوزير سوى ذلك ، أيادي^٥ مبرورة ، ومساعي مشكورة أكسبت الوطن وأهليه نهضات ، وأقالته كثيراً من العثرات - لكنني آثرت^٦ تلکم النهضة العربية بتهنئتك بها . أي بني جلدي^٧ . وأخوان حرفتي لكونها فيما إخال ، لا ، بل فيما أتيقن^٨ ويتيقن^٩ أولو الحِجَا^{١٠} أعظم النهضات وأمين^{١١} ما اجتازه^{١٢} الوطن من العقبات ، ولو كان في نطاق الإمكان زيادة البيان ، في هذا الشأن ، لأسهبت^{١٣} وأوسعت^{١٤} ، وأطريت^{١٥} وأطنبت^{١٦} ، ولو لم يكن في تلك النهضة إلا أن حياه الأمة حياة لفتها فحسب لكفأك ، وشفأك ، وأغناك ، وكان ذلك قصارك^{١٧} وحماذك^{١٨} .

وكتب المرحوم الأستاذ محمود بك أبو النصر :

إنسان عين الفضائل ، عزيزي فلان المحترم :

نور على نور ، وشفاء لما في الصدور شفاؤك أيها العزيز من ذلك الرمد . قد أنجز الإقبال ما وعد ، وابتهجت النفوس وتزينت الطروس واهتزت الأقلام وأعلنت بالسلام .

ولاح فجر التهاني بالبشائر إذ حيث فأحييت ربوع الفضل والأدب

وكيف لا ! وأنت واحد الكتائب وإنسان عين الآداب ! رمدت فرمدت

(١) الذهاب بسرعة (٢) متعبس (٣) نعماً من ذلك الوزير الخطير مصطفى باشا رياض المتوفى سنة ١٣٣١ هـ (٤) اخترت (٥) بني عشيرتي (٦) العقل (٧) أكثر بركة (٨) سلكه (٩) لأكثر الكلام (١٠) مدحت (١١) مبلغ جهدك وغايتك (١٢) غاية ما محمد عليه .

وشفيت فاهتزت وربت . وقد كان طرفها قليلاً ، وفؤادها عليلاً واليوم زال
العناء ، وحق الهناء ووَافَى الشفاء ، فكان برداً وسلاماً على القلوب وقمص
يوسف في أجفان يعقوب :

فلك الهناء بصحة ميمونة أبداً على مرّ الدهور تدومُ
وإن الله ما قضى بما قد مضى، إلا ليُعرّف سيدي مكانته من القلوب ومنزلته
من الفضل . وهذه حلال العافية قد خلعت عليك ، وثياب السلامة سبقت إليك
فوافي السرور، وعم الحُبور . والله يُبلغك بالصحة والأعمال، منتهى الآمال والسلام .
وكتب الوزير المرحوم عبدالله باشا فكري المتوفى سنة ١٣٠٨هـ في تهنئة العيد:
هذا يوم نشر البشر فيه أعلامه، وازدانت الدنيا وازدانت الآفاق، بهجة هذا
العيد السعيد ، وأخذ الأحبة يتهادون رسائل البشائر فيما بينهم ، وكل حزب
فرحون بما لديهم ، بما أودع فيهم من روابط المحبة وعوامل الاتحاد السارية في
النفوس ؛ أما أنا فعيدي ، وبهجة نفسي ، وسرور فؤادي دوام إقبال الزمان
عليك بوجه النصر وعودُ أعياد السرور على جنابك الرفيع . فثلك تشرق
الدنيا بطلعته ، وتفرح الأعياد برؤيته :

وأرى الحياة لذيدةً بحياته وأرى الوجود مشرقاً بوجوده
لوأنني خيرت من دهرى المنى لاخترت طول بقائه وخلوده
أعاد الله عليك أيها الأخ أمثاله وأمثال أمثاله في صفاء وهناء .

الفصل التاسع في رسائل التعازي والتأبين

كتب أبو منصور الشعالي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :
خبر عز عليّ مستمعه ، وأثر في قلبي موقعه . خبر تستاء^١ له المسامع وترتج
منه الأضالع ، خبر يهدئ^٢ الرواسي ويقلق الحجر القاسي . كادت له القلوب تطير ،
والعقول تطيش ، والنفوس تطيح^٣ . خبر يشيب الوليد ، ويذيب الحديد ، قد كاد .

(١) تتألم وتتأثر من أجله (٢) الجبال (٣) تهلك

من الحزن أن تنقبض الألسن عن هذا النعي الفادح^١ وتخرس ، وتقصر الأيدي عن التعزية بهذا الرزء الفادح^٢ وتيبس .

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ :

إذا ما الدهر جرَّ على أناس مصائبه أناخ بأخريتنا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

أحسن ما في الدهر عمومه بالنوائب ، وخصوصه بالرغائب ، فهو يدعو الجفلى^٣ إذا ساء ، ويخص بالنعمة إذا شاء . فليفكر الشامت : فإن كان أفلت^٤ ، فله أن يشمت . ولينظر الإنسان في الدهر وصروفه ، والموت وصنوفه ، من فاتحة أمره إلى خاتمة عمره ، هل يجد لنفسه أثراً في نفسه ؟ أو لتدبيره عوناً على تصويره ؟ أم لعمله تقدماً لأمله ؟ أم لحيله تأخيراً لأجله ؟ كلا . بل هو العبد لم يكن شيئاً مذكوراً ، خلق مقهوراً ، فهو يحيا جبراً ، ويهلك صبراً ، ولينأمل المرء كيف كان قبلاً ؟ ! فإن كان العدم أصلاً ، والوجود فضلاً ، فليعلم الموت عدلاً .

والموت (أطال الله بقاء مولاي) خطب قد عظم حق هان ، وأمر قد خشن
حق لان ، ولعل هذا السهم قد صار آخر ما في كينانتها^٥ وأزكى^٦ ما في خزانتها ، ونحن معاشر التبع نتعلم الأدب من أقواله ، والجمل من أفعاله ، فلا نخنه على الجميل وهو الصبر ، ولا نرغبه في الجزيل وهو الأجر ، فليرَ فيها رأيه .
وكتب أيضاً :

يا سيدي - المصاب لعمر الله كبير ، وأنت بالجزع جدير ، ولكنك بالصبر أجدر . والعزاء على الأعزة رشد كأنه النغي^٧ ، وقد مات الميت ، فليحيَ الحي .

(١) الذي يثقل الناس ويهمهم (٢) المصيبة (٣) يدعو الناس بعامتهم وجماعاتهم
(٤) أطلق وخلص وسلم من نوائب الدهر (٥) الجراب الذي توضع فيه السهام (٦) أظهر وأنفس لأنه لا يحرز إلا ما كان نفيساً .

وكتب فقيده اللغة الشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م :

أشباح تروح وتجيء ، وآجال تسمي وتغتدي ، وأنفاس تتقطع من دونها حزناً
وأسفاً ، وعبرات تتفطر وجداً ولهماً ، وما عمدت الأقدار إلى استنزاف مدمع ،
ولا أرادت الأيام إيلامٌ موجع . إنما هي سنة الخلق : كون يليه زوال وعقديسبقة
الخلال ، وإن لكل شيء أجلاً موقوتاً ، وإن لكل أجل سبباً مقدوراً ، وإن
الإنسان لفي كل ذلك شاهدٌ ، يسمعُ لاهياً ويبصر ساهياً ، وليس في يده أن
يسترد ماضياً ، ولا أن يرد آتياً . ولقد وددت أن أعزيك ، لولا ما يفالبنني على
العزاء من كبدي حري ، ومقلةٍ شكرى ، وزفرة تترى . ثم وددت أن أستبكيك ،
لولا أني بكيت حتى لم أدع في البكاء من واد وأحييت ليالي بالنوح حتى ألم بي ما
بالنجم من سهاد ، ثم لم يزدني البكاء على سقم جسدي ، ولم يزدني النوح على صفر
يدي إلا من كبدي ، وإن الأقدار سهام إذا انطلقت لم ترد ، وإن المتطلع إلى
الفائت لطويل شقة الكمد ، وإن الخطوب لهيّ هيّ وإنما تتفاوت عند الجلود :

وإن الحصى عند التجزؤع ثقيلة وضخم الصفا عند الصبور خفيف

والله المسئول في إطالة بقائك قرة للعيون ، وجبراً لخاطر الحزون بمنه وكرمه

تأبين الأحنف^١ بن قيس :

مات الأحنف^١ بن قيس بالكوفة فمضى مصعب بن الزبير في جنازته بغير
رداء^٢ وقال قوم : مات سيد العرب . فلما دفن قامت امرأة على قبره فقالت :

(١) اسمه الضحّاك وكان سيد تميم في عهده معروفاً بالعقل والدهاء والعلم
والحلم إلى ثبات جنان وحسن بيان . وسمياته مملوءة بجلال الأعمال وكريم القعمال
توفي سنة ٦٧ هـ . (٢) كانت عاداتهم في جنازات العظماء .

لله درك^١ من مجن^٢ في جن ومدرج في كفن ، فنسأل الذي فجّعنا بموتك
وابتلانا بفقدك أن يجعل سبيل الخير سبيلك ، ودليل الرشد دليلك ، وأن يُوسّع
لك في قبرك ، ويفقر لك يوم حشرك ، فوالله لقد كنت في المحافل شريفاً ، وعلى
الأرامل عطوفاً ، ولقد كنت في الحيّ مسوّداً ، وإلى الخليفة موفداً . ولقد كانوا
لقولك مستمعين ، ولرأيتك متبعين .

ثم أقبلت على الناس فقالت : ألا إن أولياء الله في بلاده ، شهود عباده ، وإني
لقائلة حقاً ، ومثنية صدقاً ، وهو أهل الحُسن الثناء ، وطيب البقاء ، أما والذي
كنت من أجله في عِدّة ومن الحياة إلى مُدّة ، ومن المقدار إلى غاية ، ومن الآثار
إلى نهاية ، الذي رفع عملك ، لما قضى أجلك ، لقد عشت حميداً مودوداً ، ومت
سعيداً مفقوداً^٣ ، ثم انصرفت وهي تقول :

لله درك يا أبا بحر ماذا تغيب منك في القبر
لله درك أيّ حشو ترى أصبحت من عُرف ومن نكر
إن كان دهر فيك جَدّاً لنا حدّاثه ووهت قوى الصبر
فلكم يد أسديتها ويد كانت ترُد جرائر الدهر
ثم انصرفت فسئل عنها فإذا هي امرأته وابنة عمه^٤ فقال الناس : ما سمعنا
كلام امرأة قط أصدق ولا أبلغ منه .
تأبين الإسكندر :

لما جعل الإسكندر في تابوت من ذهب تقدم إليه أحد الحكماء فقال :

(١) الدر : اللين والعمل ، والله درك : كلمة تعجب . (٢) أجنه : ستره والجنن :
القبر ومن بدائع العربية أن مادة (جنن) تدل على الستر كالجن والجنون والجنة
والجن والجنان والجنين . (٣) يقولون مات فلان غير حميد ولا فقيد أي غير مكترث
لفقدانه فقولها : مفقوداً تريد يحزن الناس فقذك . (٤) حدّاثان الدهر : نوابه .
(٥) ذكر صاحب بليغات النساء أن اسمها صفية بنت هشام المنقروية .

كان الملك يخبىء الذهب وقد صار الآن الذهب يخبؤه .
وتقدم إليه آخر والناس يبكون ويجزعون فقال : حرّ كُنّا بسكونه .
وتقدم إليه آخر فقال : كان الملك يعظنا في حياته وهو اليوم أوعظ منه أمس .
وتقدم إليه آخر فقال : قد طاف الأرضين وتلكها ثم جُمِل منها في أربعة أذرع .
ووقف عليه آخر فقال : انظر إلى حُلْم النائم كيف انقضى ، وإلى ظل الغمام وقد
انجلى . ووقف عليه آخر فقال : مالك لا تُثَقِّلُ عضواً من أعضائك وقد كنت
تستقلُّ مَلِكُ العباد ؟

وقال آخر : مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان وقد كنت ترغب بها
عن رَحْبِ البلاد ؟

الفصل العاشر في رسائل الأجوبة

كتب المرحوم عبدالله باشا فكري المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ :
سيدي سلّمك الله وحيّاك وأسعدني برؤية حَيّاك ، وزاد عزّك وعليناك
وحرس دينك ودُنْيَاك ، وجمعني على بساط المسرة وإياك ، ولا حرمني دوام
لقياك ، ولا برّح الدهر مبتسِمَ الثغر بحاسن معاليك ، مباهياً أعصار الأوائِل بأيامك
ولباليك ، محلياً أجياد الفاخر بزواهر لآليك - ورد عليّ كتابك الكريم مورد
إعزاز وتكريم ، قبل بعض ما في الجوانح من الصدى ، وأنعشني ولا انتعاش
الزهر بمباكرة الندى ، وجلا عليّ من البلاغة روضاً غضّاً ، وأدار لدي صفو آمن
سُلاف المحبة محضاً ؛ وهزني هزة الدشوان شوقاً وطرباً ، واستفزني بمعجز آياته
الحسان عَجَباً وعَجَباً ونثر عليّ من محاسن لفظك الحرّ وكلماتك الغرّ ، ما
يُنجِلُ الدراري ويفضح الدُّر .

(١) أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

كلام كسنته بهجة الحُسن رَوْنَقاً هو السَّحَر، لابل جَلَّ قدرأ عن السَّحَر
وكتب أيضاً وهو بالاستانة العليّة في يوم برد كثير الأمطار :

كتبْتُ إليك والأمطارُ ساجدةٌ^١ بطلتها^٢ ووَبَلها^٣، وعساكرُ البردِ والبردِ
هاجمةٌ بخيلها ورجلها، والسماءُ مُتَلَفِّعةٌ بأذيال السَّحابِ، وكان الشمسُ خافت
من الطلِّ فتوارت بالحجاب، والجوُّ مِسْكِيُّ الرِّداءِ، غزيري الأرجاء، كأنه وعليه
ثوب الغيم مَزْرُورٌ، قد وَجَلَّ^٥ من صولة البردِ فلبس فروة السمور، والغمام قد
أناخ على الأفق بكلاكله^٦، وهزَّ من البرق بيض مناصله^٧، وَتَشَرَّ في الجو
طرائق مطارفه^٨، وجاد على الأرض بتليده^٩ وطارفه، وثقل على كادل
الهواء كالطير بُلَّ جناحه بالماء، وقرُب حتى كاد يُنْسَك باليدين ويُعْتَصَر بالراحتين
أو كأنه مرآة منذ هبَّتْ تبدُّو وتُخْفَى، أو جُنْدُوةٌ^{١٠} مُلْتَهَبَةٌ^{١١} تُوقد وتطفئ والرعد
يَهْدُدُ بزواجر زماجره السَّحاب فيبكيها، والطير يتلوسُ طور الندى في طرُوس
الغرى^{١٢} فيمليها، ويُطربُ بأفنان^{١٣} الألحان أفنان^{١٤} البان فيمليها ويثنيها،
ويقرأ على رؤوس الأغصان أو رآده الحسان فيقرها ويرقيها، وقوسُ السماء
يرمي بسهام وبله^{١٥} جنوب الشقائق^{١٦} فيصنمها^{١٧} ويُدْمِئها، والرييح تمسح
أخلاق^{١٨} الغنائم فتعمرها^{١٩}، وترضعُ بدراًها بنات النِّبات في جُحُور أراضها
فتربسها وتربسها، وترضعُ بدورها تيجان القضبان، وتارة تجعله عقوداً في
تراقيها^{٢٠}، أو دُمُوعاً في أماقيها، وكان الحرَّ خافَ من بنادقِ البردِ،

- (١) سائلة (٢) الندى (٣) المطر الكثير (٤) المشاة على أرجلهم (٥) خلف (٦) يجامعاته
(٧) سيوفه (٨) ثياب من خز مربعة والمراد أنه كثر حتى غطى السماء (٩) المال القديم
والطارف ضده والمراد كثر عطره (١٠) بتثليث الجيم الجمرة (١١) الأرض (١٢) جمع فنان
الفصن (١٣) الأغصان الناعمة (١٤) المطر الكثير (١٥) شقائق النعمان ببت أحمر
(١٦) ليرميها ومراده أنه يرميها بالمطر حتى تزدهو فتعمر (١٧) جمع خلف بالكسر
الضرع (١٨) مري الناقة يرميها إذا مسح ضرعها لتدر اللبن (١٩) أعناقها

ومدافع الرعد، ففر إلى مصر ونواحيها، وأصبح نزيل من فيها لكرم أهلها، وكان غيرها بخلت عليه فلم تقبله عندها ضيفاً، أو غلط الناس في حساب الفصول فظنوا شتاها صيفاً.

وكتب المرحوم حفي بك ناصف إلى المرحوم الشيخ علي الليثي المتوفى سنة ١٢٣١هـ:

وصل يا مولاي إلى هذا الطرف، ما خصصت به العبد من الطرف (فقص) من عنب كاللؤلؤ في الصدف، تتألق عناقيده كأنها من صناعة النجف، ولعمري الحق إنها تحفة من أحلى التحف لا يُعثر على مثلها إلا بطريق الصدف فقابلناه لثماً بالأفواه ورشفاً بالشفاه، واحتفينا بقدومه كل الاحتفاء، ولم نفرط في حبة عند اللقاء، بل حللنا له الحبى^٢، وقلنا له أهلاً وسهلاً ومرحباً أو سَعْنَاهُ عُضْواً ولثماً، وتناولناه تجميشاً^٣ وضمماً، وحفظنا في صدورنا سره المكنون وطويناه في غصون البطون، فطربت من تعاطيه الأرواح ولاغر وهو أصل الراح^٤، وانتشينا^٥ ولم نحمل وزراً، وغملائنا^٦ ولم نذق طعماً مرّاً، فهو كيان مهدي سحر ولكنه حلال، ولعيب إلا أنه كمال، فإن أكسبت الشمول شاربها قوة في الجنان، ونفحت^٨ ذائقها طلاقة في اللسان، فقد سرت في أجسامنا من حرارته شجاعة^٩ وليثية، ودبت في كلامنا مذاقة فصاحة^{١٠} علوية، وخلصت إلىنامنه فوائده لا يحيط بها العلم، ونجمت^{١١} عنه منافع ليس يصحبها إثم — فإن زعم الأولون أن في الخمر معنى ليس في العنب، فقد تغير الحال في هذه الهدية وانقلب، وانكشف للمتأخرين حقيقة الأمر، أن في العنب معنى ليس في الخمر. وكان الأحرى بهذا العنب أن يناط^{١٢} بالنجور أو تزين به الصدور، فما هو إلا اللؤلؤ، لكنه سلم من سجن البحار، وما هو إلا الدُر، لكن ليس فيه صفار^{١٣}.

(١) بالغنا في إكرامه وأظهرنا الفرح والسرور (٢) الحبال (٣) المغازلة والملاعبة

(٤) طيات البطون (٥) الخمرة (٦) سكرنا (٧) سكرنا أيضاً

(٨) أعطت (٩) أظهرت (١٠) يعلق (١١) بضم الصاد: الصغيرة.

ومن كنت بحراً له يا علي لا يلقط الدرّ إلا كبارا
وما ضره أن ضمه القفص حصّة من الحصص ، فإن كريم الطير يودّع في
الاقفاص ، والقلب ليس له من حنايا الضلوع خلاص ، فلا بدع أن تستقلّ في
حبّاته حبّات القلوب ، ويُسْتَمْلَحَ في جنب حلاوته رُضابُ المحبوب ، وكان
الثريا لما أخذت شكله فقرّ الهلال فاه لمُنْقودها يريد أكله ، فهو يطاردها في
السماء ويأخذ عليها الطريق من وراء ، وهي تجري من الامام مخافة الاتهام ، هذا
لمجرد تشابه في الشكل ، فكيف بالثريا ، لو أشبهته حلاوة وريّا ، فله تلك العناقيد
ما أشدّ تألقها ! وأصفى ماءها وأحسن رَوْْنَقها ! من كل عنقود ، نخاله عمود
الصبح أحاطت به الدّرّاري ، أو غصنّ البان تعلقت به القماري .

فسقى الغيث أرضاً أنبتته ، ولا تُلّ ، الدهر عروشا حملته ، وأرضاً عرفتنا
بأثمارها حلاوة الجنّة ، وأبرزت لنا لحة من محاسنها المستكنة ، وأنسانا عنيبها
ذكرى دمشق وإزمير ، وأنباناً غارسها أن مصر خير مُستقر ، ولا يُنبئك مثل
خبير ، وعروساً كالعروس ، تتيه في الحلى والملبوس ، تحسدها المجرّة في السماء
وتودّ لو تكون لها هذه البهجة والرواء ، لا زال مولاي يهدى ويهدي
وصنائه تعبد في ثنائه وتُبدي .

وأجابه المرحوم الشيخ علي الليثي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ :
وبعد ، فقد وصل كتاب القاضي الفاضل ، وأرجّ الأرجاء بلطف فواضله ،
وشريف الفضائل ، وما كنت أظنّ أن يحصل من زبينة خماره ، حتى رأيت
القاضي الفاضل سبك في قوالب شتى وصاغه وأتى بما أدهش اللب من أساليب
البلاغة فتارة عيقداً على النُحُور ، وتارة في ميادين الطلب تطارده البُدُور

(١) ريقه (٢) فتح (٣) منظر آحسناً (٤) لاهدم (٥) عاصمة الشام سميت باسم
بانيها دمشق بن دمشق بن كنعان (٦) تتبختر (٧) نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد
البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء (٨) بضم الراء حسن المنظر .

وآونة درآ مكبراً، ومرة خمرأ معنبراً ، وساعة ذوالى « نجفة » وساعة غصناً
تعلق به الهزار^١ وألفه :

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد
عجباً لك أيها الفاضل ! هذا مع اشتغال بالك ، وإقبالك على ما لديك من
مراعاة عدلك واعتدالك ! فكيف لو تفرغت لهذا الأمر ؟! ولإراحة النفس ،
اعتصرت من العنقود قدحاً من خمر ، وامتطيت^٢ طرف اليراع منتجعاً منهاج
الطيرس ، ودبجت^٣ بياض صفحاته بحاسن حلى النفس^٤ ، فله أنت من بليغ
بلغ ما يريد ، وقلدت فرائد آدابه كل جيد ! وأفاد السحر منشوراً في فواصله ،
وأقام بعوامل أعلامه تثقيف عوامله ! وأوجب علينا الشهادة له بالسبق ، فأذعننا
مسلمين والحق أحق - هذا ، ولولا أن يقال فلان جفاً ، وما احتفل بكتاب
أخيه ولا احتفى^٥ ، وإن كان شبي يُلزمُني ذلك ، كما أن شباب (البك) يسلك به
أقوم المسالك ، لسترت عيى وما أشرت ، ورأيت طيبي خير ألي مما نشرت ، وجعلت
كتاب سيدي في عنقي قيمة^٦ ورَوحتُ النفس تيمناً^٧ بمس آياته الكريمة ،
وقلت : كفاني ما أحاط بالعنق من قلائده ، حيث العبد لا يبلغ في الفخامة كمال سيده :
وهبني 'قلت' هذا الصبح ليل^٨ أيعمى العالمون عن الضياء ؟
لا زالت 'برد' الترسل بيننا مستمرة ، ومدد التوصل على جناح التقرب
مستقرة ، ولا برح الجناح في كل بداية ، يترقى كما يحب من غاية إلى غاية والسلام .

الفصل الحادي عشر في رسائل الوصايا والشفاعات

من كلام النبي عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب في غزوة الفرس :
إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، وهو دين الله

(١) بفتح الهاء طائر يقال له العندليب (٢) علوت (٣) نقشت (٤) بكسر
النون الخبر (٥) ولا سأل (٦) ما تكتب وتعلق في عنق الصبيان للحرز (٧) تبركا .

الذي أظهره وجنّده الذي أعدّه وأمدّه ، حتى بلغ ما بلغ ، وطلع حيثما طلع ، ونحن على موعد من الله ، والله مُنْجِزٌ وَعْدَهُ ، وناصرٌ جُنْدَهُ - ومكان القِيَمِ بالأمر مكان النِّظام من الخرز يجمعه ويضمّه ، فإذا انقطع النِّظام تفرّق الخرز وذهب ، 'ثم' لم يجمع بخذاfire أبداً .

والعَرَبُ اليَوْمَ ، وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام ، عزيزون بالاجتماع ، فكان 'قطباً' ، واستدير الرّحى بالعرب ، وأصلهم 'دونك' نار الحرب ، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما تدعُ ورآءك من العَوْرَات أهم إليك مما بين يديك .

إن الأعاجم إن يَنْظُرُوا إليك غداً يقولوا هذا أصل العَرَبِ ، فإذا قَطَعْتُمُوهُ اسْتَرْحَتُمْ ؛ فيكون ذلك أشدّ لِكَلْبِهِمْ عليك وطعمهم فيك . فأما ما ذكرت من مسير القَوْمِ إلى قتال المسلمين ؛ فإن الله سُبْحَانَهُ هو أَكْثَرُهُمْ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وهو أقدر على تغيير ما يَكْثُرُهُ . وأما ما ذكرت من عددهم فإنما لم نَكُنْ 'نقاتل فيما مضى بالكثرة' ، وإنما كُنَّا 'نقاتل بالنصر والمعونة' .

ومن وصية له عليه الصلاة والسلام :

أما بَعْدُ ؛ فقل جعل الله لي عليكم حَقّاً بولاية أمركم ، ولكم عليّ من الحق مثل الذي لي عليكم ، فالحقُّ أَوْسَعُ الأشياءِ في التواصّف ، وأَضْيَقُهَا في التناصّف لا يجري لأحدٍ إلّا جرى عليه ، ولا يجري عليه إلّا جرى له ، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه ، لقد رتبه على عباده ، ولعلّه في كل ما جَرَتْ عليه صُرُوفُ قَضَائِهِ ، ولكنه جَعَلَ حَقَّهُ على العباد أن يُطِيعُوهُ ، وجعل جزاءهم عليه مُضَاعَفَةُ الثَّوَابِ تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد أهله ، ثم جعل الله سُبْحَانَهُ من حقوقه حَقُوقاً افترضها لبعض الناس على بعض ؛ فجعلها تنكافاً في وجوهها ، ويوجب بعضها بعضاً ، ولا

يُسْتَوْجِب بعضها إلا ببعض ، وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق ، حق الوالي على الرعية ، وحق الرعية على الوالي ، فريضة فرضها سبحانه لكل على كل ، فجعلها جمعاً لألفتهم وعزاً لدينهم ، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية ، ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية ، فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه ، وأدى الوالي إليها حقها ، عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان ، وطُمِئِع في بقاء الدولة ، ويُسْتَمَطَّعُ الأعداء ، وإذا غلبت الرعية واليهما وأجحف الوالي برعيته ، اختلَّفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور ، وكثُرَ الإدغال في الدين ، وتُرِكَتْ محاج السنن ، فعمل بالهوى وعطلت الأحكام وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطّل ولا لعظيم باطل فعل ؛ فهناك تذلل الأبرار ، وتعز الأشرار ، وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه ، فليس أحد وإن اشتد على رضا الله حِرْصه ، وطال على العمل اجتهاده ، ببالح حقيقة ما الله أهله من الطاعة ، ولكن من واجب حقوق الله على عباده ، النصيحة بمبلغ جهدهم ، والتعاون على إقامة الحق بينهم وليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته ، وتقدمت في الدين فضيلته ، بفوق أن يُعَانِ على ما حمله الله من حقه ، ولا امرؤ وإن صغرت فيه النفوس ، واقْتَحَمَتِهُ العيون بدون أن يعين على ذلك ، أو يُعَانَ عليه .

فأجابه عليه الصلاة والسلام رجُل من أصحابه بكلام طويل يُكثَرُ فيه من الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن من حق من عظم جلال الله في نفسه ، وجل موضعه من قلبه ، أن يصغُرَ عنده لعظم ذلك كل ما سواه ، وإن أحق من كان كذلك لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ الله عليه ولطف إحسانه إليه ، فإنه لم تَعْظُم نِعْمَةُ الله على أحد إلا ارْدَادَ حق الله عليه عِظْماً ، وإن من أَسْخَفَ حالات الولاية عند صالح الناس ، أن يظن بهم

حُبُّ الفخر ويُوَضَّعُ أمرُهُمْ على الكِبَرِ ، وقد كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالٌ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحَبُّ الْإِطْرَاءِ وَاسْتِمَاعِ الشُّنَاءِ ، وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ ، وَلَوْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يَقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ مُحْطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظْمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ ، وَرَبِّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الشُّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ ، فَلَا تَتَشَبَّهُوا عَلَيَّ بِحَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقْيِيَةِ فِي حَقِّهِ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا ، وَفَرَّائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمضَائِهَا ، فَلَا تَكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ ، وَلَا تَتَحَفَظُوا مِنِّي بِمَا يُسْتَحْفَظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمَصَانِعَةِ ، وَلَا تَظَنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ فِي حَقِّ قَبْلِ لِي ، وَلَا التَّمَسُّ بِإِعْظَامِ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مِنْ اسْتِثْقَالِ الْحَقِّ أَنْ يَقَالَ لَهُ ، أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعَرَّضَ عَلَيْهِ ، كَانَ الْعَمَلُ بِهَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ ، فَلَا تَكْفُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقَ أَنْ أُخْطِئَ ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِي ، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عِبِيدٌ مُلَوِّكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرَهُ ، يَمْلِكُ مِنْهَا مَا لَا غَلْكَ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجْنَا بِمَا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَّحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى .

ومن وصية له عليه الصلاة والسلام وصى بها جيشا بعثه إلى العدو :

فإذا نزلتم بعدو ، أو نزل بكم ، فليكن معسكركم في قبيل الأشراف ، وسفاح الجبال ، أو أثناء الأنهار . كما يكون لكم رداء ، ودونكم مرداء ، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين ، واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ، ومناكب الهضاب ، لئلا يأتبكم العدو من مكان بخافة أو أمن . واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم - وإياكم والتفرق ، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً ، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً ، وإذا غشيكم الليل فاجتمعوا الرماح كفتة ، ولا تذوقوا النوم إلا غراراً أو مضمضة .

ومن وصية له عليه الصلاة والسلام كانت يكتبها لمن يستعمله على الصدقات :

إنطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروّ عن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارها ، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله . فإذا قدمت على الحبي فانزّل بمانهم من غير أن تحالط أبياتهم ، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ولا تخدج بالتسحية لهم . ثم تقول : عباد الله ، أرسلني إليكم وليّ الله وخليفته ، لآخذ منكم حقّ الله في أموالكم ، فهل لله في أموالكم من حقّ فتؤدوه إلى وليّه ؟ فإن قال قائل منهم : لا ، فلا تراجع . وإن أنعم لك منعم . فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده ، أو تعسفه أو ترهقه . فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة . فإن كان له ماشية أو إبل ، فلا تدخلها إلا بإذنه ، فإن أكثرها له . فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ، ولا عذيف به ، ولا تنفّرن بهيمة ، ولا تنزع عنها ، ولا تسوأن صاحبها فيها ، واصدع المال صدعين ثم خيرته ، فإذا اختار فلا تتعرضن لما اختاره ، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيرته ، فإذا اختار فلا تتعرضن لما اختاره ، فلا تزال بذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله فاقبض حقّ الله منه ، فإن استقالك فأقلبه ، ثم اخلطها ثم اصنع مثل الذي صنعت أو لا حتى تأخذ حق الله في ماله ، ولا تأخذن عوداً ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار، ولا تأمنن عليها إلا من تشقّ بدينه رافقاً بمال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم ، ولا تؤكل بها إلا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً غير معنف ولا يحجف ولا مغلب ولا متعب ، ثم احدث إلينا ما اجتمع عندك نصيّرهُ حيث أمر الله ، فإذا أخذها أمينك ، فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا ينصر لبنها فيضر ذلك بولدها، ولا يحمدنّها ركباً . ولتعدّل بين صواحبها في ذلك وبينها ، وليرقّه على اللأغب ، وليستأن بالنقيب والظّالع وليوردها ما قرّ به من الغدر ، ولا

يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطرُق وليسرّو حنّها في الساعات، وليمهلها عند النطاف والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بُدْناً مُنْقِيَات ، غير مُتَعَبَات ولا مجمودات لنعسمها على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وعلى آله) فإن ذلك أعظم لأجرك ، وأقرّ لرُشدك إن شاء الله .

وقال عليه الصلاة والسلام وقد سمع رجلاً يذم الدنيا :

أيّها الذّامُ للدنيا المغترُّ بفرورها ، المخدُوعُ بأباطيلها ، أفتقرُّ بالدنيا ثم تَندُمُها ؟! أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمة عليك ؟! متى استهوتك ؟! أم حق غرتك ؟! أم يصارع آباتك من البلى ؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟! كم علّلت بكفّيك ؟! كم مرّضت بيديك ؟! تبغي لهم الشفاء ، وتستوصف لهم الأطباء ، لم ينفع أحدَهم لإشفاقك ، ولم تسعفه بطلبك ، ولم تدفع عنه بقوتك وقد مثلت لك به الدنيا نفسك وبصره مصرّك .

إن الدنيا دارٌ صدق لمن صدّقها ، ودارٌ عافية لمن فهمَ عنها ، ودارٌ غنى لمن تزوّد منها ، ودارٌ موعظة لمن اتّعظ بها ، مسجدٌ أحبّاء الله ، ومُصلّى ملائكة الله ، ومهبطٌ وحي الله ، ومتجرٌ أولياء الله ، اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فَمَنْ ذا يذمّها وقد آذنت ببينها ، ونادت بفراقها ، ونمت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلاتها البلاء ، وشوّقتهم بسرورها إلى الشرور ، راحمت بعافية ، وابتكرت بفجيرة ، ترغيباً وترهيباً ، وتخويفاً وتحذيراً ، فذمّها رجالٌ غداة الندامة ، وحمدّها آخرون يوم القيامة ذكّرتهم الدنيا فتذكّروا ، وحدثتهم فصدقوا ، وعظّنتهم فاتعظوا .

عهد الإمام علي المتوفى سنة ٤٠ هـ للمالك بن الحارث الأشتر النخعي ، حين ولاء مصر وجباية خراجها وجهاد عدوها وإصلاح أهلها وعمارة بلادها :

اعلم يا مالكُ أنّي قد وجّهتُك إلى بلاد قد سَجَرَتْ عليها دُولٌ قبلك من عدلٍ وجور ، وأنّ الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور

الولاية قبلك ، ويقولون فيك كما كنت تقول فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السنة عباده - فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ، فأمثلك هوالك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت - وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم واللطف بهم . ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتم أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين ، وإما نظير لك في الخلق . يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك ، مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهم ، وآلي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك ، وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم ، ولا تنصب نفسك لحرب الله ، فإنه لا قيس لك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندمن على عفوه ، ولا تبجحن بعقوبة ، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ، ولا تقولن إني مؤثر أمر فأطاع ، فإن ذلك إدغال في القلب ، ومنهكة للدين ، وتقرب من الغير ، وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو خييلة ، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطمأن إليك من طمأحك ، ويكف عنك من غربك ، ويفي إليك بما عذب عنك من عقلك ، وإيتاك ومساماة الله في عظمته ، والتشبه به في جبروته ، فإن الله يذل كل جبار ، ويهين كل مختال ، أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ، ومن لك فيه هو من رعيته ، فإنك إن لم تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خصمه الله أدحض حجته ، وكان الله حربا عليه حتى ينزع ويتوب ، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله ، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله سميع دعوة المظلومين ، وهو للظالمين بالمرصاد وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها في العدل ، وأجمعها لرضاء الرعية .

فإن سخطَ العامة يحجبُ برضاء الخاصة وإن سخطَ الخاصة يُفتقر مع رضاء العامة ، وليس أحدٌ من الرعية أثقلَ على الوالي مؤونة في الرّخاء ، وأقلّ معونةً في البلاء ، وأكرهَ للأنصاف ، وأسأل بالإلحاف ، وأقلّ شكرًا عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع ، وأخفّ صبراً عند مُلتمات الدهر ، من أهل الخاصة : وإنما عماد الدّين ، وجماع المسلمين ، والعُدّة للأعداء ، العامة من الأمة ، فليكنْ صفوك لهم وميلك معهم . وليكن أبعد رعيّتك منك وأشناهم عندك ، أطلبهم لمعايب النّاس فإنّ في النّاس عُيوباً ، الوالي أحقّ مَنْ سترها ، فلا تكشفن عمتا غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهرَ لك ، والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيّتك - أطلق عن النّاس عقدة كلّ حقد ، واقطع عنك سبب كلّ وتر ، وتغاب عن كلّ ما لا يصح لك - ولا تعجلنّ إلى تصديق ساع ، فإن السّاعي غاش وإن تشبه بالنّاصحين - ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزّين لك الشرّ بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتّى ، يجمعها سوء الظنّ بالله : إنّ شرّ وزرائك مَنْ كان قبلك للأشرار وزيراً ومَنْ شرّكهم في الآثام ، فلا يكوننّ لك بطانة ، فإنهم أعوان الأئمة ، وإخوان الظلمة ، وأنت واجدٌ منهم خيرَ الخلف بمنّ له مثل آرائهم ونفادهم ، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ، من لا يُعاون ظالماً على ظلمه أو آثماً على إثمه ، أولئك أخفّ عليك مؤونة وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفاً ، وأقلّ لغيرك إلفاء ، فاتخذ أولئك خاصة لخلاواتك وحفلاتك ، ثم ليكنْ آثرهم عندك أقولهم لك بمرّ الحقّ وأقلّتهم مُساعدةً فيما يكون منك مما كرهه الله لأوليائه ، واقم ذلك من هوائك حيث وقع ، والصقّ بأهل الورع والصدق ثم رُضهم على أن لا يُطشروك ، ولا يُهيجحوك بباطلٍ لم تفعله : فإن كثرة الإطراء

'تُحَدِّثُ الزَّهْوُ ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ . وَلَا يَكُونُ الْحَسَنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ تَزْهِيدٌ لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيبٌ لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالزِّمُّ كَلَامُهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ - وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنٍّ وَالِيٍّ بِرِعْيَتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ، وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤَنَاتِ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَامِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ ؛ فَلَئِنْ كَانَ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْمَعُ لَكَ حَسَنَ الظَّنِّ بِرِعْيَتِكَ ؛ فَإِنْ حَسَنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا . وَإِنْ أَحَقُّ مَنْ حَسُنَ بِهِ ظَنُّكَ لَمْ يَحَسُنْ بِكَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ ، وَإِنْ أَحَقُّ مِنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ ، لَمْ يَسَاءَ بِكَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ ، وَلَا تَمَقُّصُ سُنَّةٍ صَالِحَةٍ عَمَلٍ بِهَا تُصَدُّورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَاجْتِمَاعُ رِيَّائِهَا الْأَلْفَةِ ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرِّعْيَةُ ، وَلَا تُحَدِّثُ سُنَّةٌ تَقْصُرُ بِشَيْءٍ مِمَّا مَضَى مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ ، فَيَكُونُ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَاهَا ، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا . وَأَكْثَرُ مُدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةِ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّعْيَةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ، وَلَا غَنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ ، فَهِيَ جُنُودُ اللَّهِ ، وَمِنْهَا كِتَابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ ، وَمِنْهَا أَعْمَالُ الْإِنْصَافِ وَالرَّقَقِ ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجُزْيَةِ وَالْخِرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذُرِّي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّهُ سَهْمَهُ ، وَوَضَعَ عَلَى حِدَّةٍ فَسْرِيضَةً فِي كِتَابِهِ ، أَوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مُحْفُوظًا ، فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرِّعْيَةِ ، وَزِينُ الْوَلَاةِ ، وَعِزُّ الدِّينِ ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ وَلَيْسَ يَقُومُ الرِّعْيَةُ إِلَّا بِهِمْ ، ثُمَّ لَا قِيَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ مِنَ الْخِرَاجِ ، الَّذِي يَقْبُورُونَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يَصْلَحُهُمْ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ - ثُمَّ لَا قِيَامَ لَهُذَيْنِ إِلَّا بِالصَّنَفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقَضَاةِ ، وَالْعَمَالِ ، وَالْكِتَابِ ، لِمَا يَحْكُمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَيُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِ الْأُمُورِ وَعَوَامِهَا ، وَلَا قِيَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا

بالتجار ، وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ، ويقدمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ، ما لا يبلغ رفق غيرهم . ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدُهم ومعونتهم ، وفي الله لكل سعة ، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه . وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك ، إلا بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزومه الحق والصبر عليه ، فيما خفَّ عليه أو ثقل ، فتوَلَّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله وإمامك ، وأطهرهم جيباً وأفضاهم حالاً ممن يُبطل عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضغفاء وينبو على الأقوياء ، ممن لا يثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف ، ثم الصق بذوي المروات والأحساب ، وأهل البيوتات الصالحة ، والسوابق الحسنة ، ثم أهل النجدة والشجاعة ، والسخاء والسماحة ، فانهم جماع من الكرم ، وشعب من العرف ، ثم تفقّد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ، ولا يتفاقم في نفسك شيء قويتهم به ، ولا تحقرن لطفاً تتعاهدُهم به وإن قل ، فانه داعية إلى بذل النصيحة لك ، وحسن الظن بك . ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها ، فإن للسير من لطفك موضعاً ينتفعون به ، وللجسم موقعاً لا يستغنون عنه — وليكن أثر رؤوس جنودك عندك من واسم في معونته ، وأفضل عليهم من جِدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهلهم حتى يكون همهم ما واحداً في جهاد العدو فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ، وإن أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعية ، وإنه لا تظهر مودّتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم ، وقلّة استئصال دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم ، فأفسح في آمالهم ، وواصل في حسن الشناء عليهم ، وتمديد ما أبلى ذوو البلاء منهم ، فان كثرة الذّكر لحسن فعالهم تهز الشجاع وتحرّض الناكل إن شاء الله تعالى — ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ، ولا تُضيفن بلاء امرئ إلى غيره ، ولا تُقصرن به دون

غاية بلائه ولا يدعُونكَ شرف امرئ إلى أنْ تمَظِّمَ من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعةً امرئ أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً ، وارْذُدْ إلى الله ورسوله ما يضلّ عليك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور ، فقد قال سبحانه لقوم أحبّ إرشادهم ويا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . فان تَنَازَعْتُمْ في شيء فَرُدُّوه إلى الله والرسول ، فالرّد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والرّد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرّقة ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك بمن لا تضيقُ به الأمور ولا تمحّكه الخصوم ، ولا يتمادى في الزلّة ، ولا يحصر عن الفياء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون اقتضائه ، وأوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحُجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشيف الأمور ، وأضرّهم عند اتضاح الحكم ، مِمَّن لا يزدّيه إطرأ ، ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل - ثم أكثر تعاهد قضاائه ، وأفسح في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ، لتأمن بذلك اغتيال الرّجال له عندك . فانظر في ذلك نظراً بليغاً ، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا - ثم انظر في أمور عمالك ، فاستعملهم اختباراً ، ولا تولّهم محاباةً وأثرة ، فإن ذلك جماعٌ من شعب الجور والخيانة ، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقيدم في الإسلام ، فانهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً ، وأقل في المطامع إشرافاً ، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً : ثم أسبغ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك أو خانوا أمانتك - ثم تَمَقَّدْ أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السرّ لأموالهم حدودهم لهم على استعمال الأمانة والرفق بالريّة . وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في

بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة - وتفقده أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سيواهم ، ولا صلاح لمن سيواهم إلا بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله - وليكن نظرك في عمارة الأرض ، أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلاً ، فإن شككوا ثقل أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اعتسرها غرق ، أو أجحف بها عطش ، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم ، فإنه ذخري يعودون به عليك في عمارة بلدك وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمالك لهم ، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم ، فربما حدثت من الأمور ما إذا عول فيه عليهم من بعد احتمالوه طيبة أنفسهم به ، فإن العمران يحتل ما حلتته : وإنما يأتي خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالمعير ، ثم انظر في حال ككتابك فول على أمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائذك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطروه الكرامة فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ ، ولا تقصّر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطى منك ، ولا يضيف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه ، يكون بقدر غيره أجهل . ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك ، فإن الرجال يتعمقون لفراست الولاة

بتصنيئهم وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ، ولكن اختبرهم بما ولثوا للصالحين قبلك ، فاعتمد لأحسنهم في العامة أرواً ، وأعرفهم بالأمانة وجهاً ، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله وللمن وأليت أمره . واجعل لرأس كل من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ، ولا يتسلط عليه صغيرها ، ومهما كان في كتابك من عيب تغفأبنت عنه ألزمته ، ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله ، والمتفرق ببدنه فانتهم مواد المنافع ، وأسباب المرافق وجلايها من المباعد والمطارج ، في برّك وبحرك ، وسهك وجبك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ، ولا يحترثون عليها فإنهم سيلم لا تخاف بائقته ، واصلح لا تخشى غائلته . وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك ، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً في البياعات ، وذلك باب مضرّة للعامة ، وعيب على الولاة . فامنع من الاحتكار ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع منه ، وليكن البيع بيعاً سميحاً ، بموازين عدل ، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع . فمن قارف حكمة بعد نهيك إياه فنكث به وعاقب في غير إسراف - ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين ، والمحتاجين ، وأهل البؤس والزمنى ، فإن في هذه الطبقة قانماً ومعتراً ، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكل قد استرعى حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فإنك لا تغذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير الملم ، فلا تُشخص همك عنهم ، ولا تُصغر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقطعه العيون ، وتحتقره الرجال ، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع ، فليرفع إليك أمورهم . ثم اعمل فيها بالإعذار

إلى الله سبحانه يوم تلقاه ، فان هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، وكلُّ فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه ، وتعهّد أهل اليتم وذوي الرقة في السنّ تمنّ لا حيلة له ، ولا ينصيبُ للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل ، والحق كله ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم وَوَثِقُوا بِصَدَقِ مَوْعِدِ اللَّهِ لَهُمْ - واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك . وتنفّس عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشُرطتك ، حتى يكلمك متكلمهم غير مُتّعّع ، فاني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطنٍ : « لن تقدّس أمةٌ لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القويّ غير مُتّعّع » .

ثم احتمل الخرق منهم والعيّ وسنتح عنهم الضيق والأنف ، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته ، وأعط ما أعطيتَ هنيئاً في إجمال وإعذار .

ثم أمور من أمورك لا بُد لك من مباشرتها ، منها إجابةُ عمّالك بما يعنيا عنه كتابك ، ومنها إصدار حاجات الناس يومَ ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك ، وامض لكلّ يومٍ عمله ، فان لكل يوم ما فيه ، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت ، وأجزل تلك الأقسام ، وإن كانت كلّها لله إذا صلحت النسبة وسلمت منها الرعية ، وليكن في خاصة ما تُخلّصُ الله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة ، فأعط الله من بدنك ، في ليلك ونهارك ، ووفّ ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملاً غير مشلوم ولا منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ ، وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن مُنفقراً ولا مضيقاً . فان في الناس مَنْ به العلة وله الحاجة : وقد سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وجهني إلى اليمن : كيف أصلي بهم ؟ فقال :

« صلّ بهم كصلاة أضعفهم ، وكن بالمؤمنين رَحِيماً . »

أما بعدُ - فلا تُطسّوْا لن احتجابك عن رَعِيَتِكَ ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شُعْبة من الضيق وقلة علم بالأمور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصفر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، وَيَقْبِجُ الْحَسَنُ ، ويَحْسِنُ الْقَبِيحُ ، وَيُشَابُّ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بِشَرِّهِ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعَرِّفُ بِهَا ضُرُوبُ الصَّدَقِ مِنَ الْكُذْبِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إما امرؤ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَدْلِ فِي الْحَقِّ ، ففيم احتجابك من واجب حقٍ تُعْطِيهِ ! أو فعل كريم تسديه ؟ أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا منك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك ، مما لا مؤنة فيه عليك ، من شكاة مظلمة ، أو طلب إنصاف في معاملة .

ثم إن للوالي خاصة وبطانة ، فيهم استئثار وتطاول ، وقلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تُقْطِعَنَّ لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة ، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك ، يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون منها ذلك لهم دونك وعييه عليك في الدنيا والآخرة . وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يشغل عليك منه ، فإن مغبة ذلك مجودة ، وإن ظننت الرعية بك حيفاً فأصحح لهم بعذرِكَ ، واعدل عنك ظنونهم بإصْحَارِكَ ، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك ، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويم على الحق ، ولا تدفعن صالحاً دعاك إليه عدوك ، ولله فيه رضا ، فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك ، وأمناً لبلادك ، ولكن الحذر كما الحذر من عدوك بعد صلحه فإن

العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم، واتسهم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، وارفع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم، وتنشئت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استولوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك ولا تحتلن عدوك، فإنه لا يجترى على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحصناً يسكنون إلى مَنعته، ويستفيضون إلى جواره فلا إدغال ولا مدالسة ولا خيداع فيه، ولا تعمق عقداً تجوز فيه العلل ولا تمولن على لحن قول بعد التأكيد والثوثة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انقراضه وفضل عاقبته، خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك فيه من الله طلباً، فلا تستقيم فيها دنياك ولا آخرتك.

إياك والدماء، وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدمى لإنفئة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة، وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه وتعالى يتولى الحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويؤهنه، بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن، وإن ابتليت بخطأ وأفرط عايلك سوطك، أو سيفك، أو يدك، بعقوبة، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك، عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم.

وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها، وحُب الاطراء، فإن ذلك من أوثق فُرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين

وإياك والمنّ على رعيّتك بإحسانك ، أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تَعِدَهُم فتُتَمِّع موعِدَكَ بخُلُفِكَ ، فإن المنّ يبطل الإحسان والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس ، قال الله سبحانه وتعالى (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) .

وإيّاكَ والعَجَلَةَ بالأُمُور قبل أوانها ، أو التَّسَقُّطَ فيها عند إمكانها ، أو اللجاجة فيها إذا تَنَكَّرْتَ ، أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كلّ أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه . وإياك والاستئثار بما للناس فيه أسوةً ، والتَّغَالِي عما يُعْنَى به مما قد وضح للعيون ، فإنه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك أغطيةُ الأمور ، ويُلتَصَفُ منك للمظلوم ، وأملك حميةً أنفك ، وسورة حذك وسطوة يدك ، وغربَ لسانك ، واحترس من كل ذلك بكف البادرة ، وتأخير السطوة ، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثُرُ هُمُومُكَ بذكر المعاد إلى ربك والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة ، أو سنة فاضلة ، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسك دليلاً ليكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها ، وأنا أسأل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة ، أن يوفّقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه من حسن الثناء في العباد ، وجميل الأثر في البلاد ، تمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة إنا إلى الله راغبون ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين .

وكتب أبو بكر الصديق المتوفى في ٧ جمادى الثانية ١٣ هـ إلى بعض قواده :
إذا سِرْتُ فلا تُعَنِّفْ أصحابك في السير ولا تفضبهم ، وشاور ذوي الآراء

منهم واستعمل العدل ، وابتعد عنك الجور ، فإنه ما أفلح قوم ظلموا ولا نصبروا على عدوهم (وإذا لقيتمُ الذين كفروا زحفاً^١ فلا تولوهمُ الأدبارَ^٢ ومن يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ ذِبرَهُ إِلَّا مَنَحَرَفًا^٣ لِقَيْتَالٍ ، أو مُتَحَيِّزًا^٤ إِلَى فِتْنَةٍ ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) وإذا نصرتم عليهم ، فلا تقتلوا شيخاً ، ولا امرأة ، ولا طفلاً ، ولا تحرقوا زرعاً ، ولا تقطعوا شجراً ، ولا تدبحوا بهيمةً^٥ ، إلا ما ياتكم للآكل ، ولا تغدروا إذا هادنتم^٦ ، ولا تنقضوا إذا صالحتم^٧ ، وستمرون على أقوام في الصوامع ، ورهبان ترهبوا الله ، فدعوه وما انفردوا إليه وارتضوه لأنفسهم ، فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهـ والسلام .

وكتب عمر بن الخطاب المتوفى في ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٢ هـ إلى بعض قواده :
أما بعد : فيأني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا نصر عليهم بطاعتنا ، لم نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظه من الله يعلمون ما تعملون ، فاستحيوا منهم واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم .

وأقم بين معك في كل جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحة^٨ يحيون فيها أنفسهم ، ويرمئون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح منازلتهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بهـ وليكن منك عند دنوك من أرض

(١) مجتمعين لكثرتهم يزحفون (٢) الانهزام (٣) منعطفاً
(٤) منضماً إلى جماعة يستنجد بهم (٥) صالحتم .

العدو أن تكثر الطلائع ، وقبض السرايا بينك وبينهم ، ثم أذكّر أحراسك على عسكرك ، وتيقظ من البيات جهدك ، والله وليّ أمرك ومن معك ، ووليّ النصر لكم على عدوكم .

وكتب أبو الفضل بدیع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ إلى ابن أخته :

أنت ولدي ما دُمت : والعلم شأنك ، والمدرسة مكانك ، والمحبرة حليفك ، والدفتّر أليفك ، فإن قصرت ولا إخالك ، فغيري خالك ، والسلام .

ومن وصية ابن سعيد المغربي المتوفى سنة ٩٦٧ هـ لابنه ، وقد أراد السفر :

أودعك الرحمن في غُرْبَتِكَ	مرتبباً رُحْمَاهُ في أُوَيْتِكَ
فلا تُطِيلَ حَبْلَ النُّوَى إِنِّي	واللهُ أَشْتَاقُ إِلَى طَلْعَتِكَ
واختصر التوديع أَخْذاً فَمَا	لِي نَاطِرٌ يَقْوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
واجعل وَصَاتِي نُصْبَ عَيْنٍ وَلَا	تَبْرَحْ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خلاصة العمر التي حَنَنْتَ	فِي سَاعَةِ زُفْتٍ إِلَى فُطْنَتِكَ
فللتجاريب أُمُورٌ إِذَا	طَالَعَهَا تَشَحَّدُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فلا تنم عن وَعْثِهَا سَاعَةً	فإنها عَوْنٌ إِلَى يَقْظَتِكَ
وكل ما كابدته في النُّوَى	إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هَمَّتِكَ
فليس يُدْرَى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ	وإنما تُعْرِفُ مِنْ شِعْمَتِكَ
وَأَمْشِرِ النُّهْوَينَا مَظْهَرًا عَفَا	وَأَبْغِ رِضَا الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْبَتِكَ
وانطق بَحِيثِ الْعَمِيِّ مُسْتَقْبَحِ	واصمت بَحِيثِ الْخَيْرِ فِي سَكْنَتِكَ
ولجْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ	واقصد له مَا عِشْتَ فِي بَكْرَتِكَ
وَوَفِّ كَلَامَ حَقِّهِ وَلْتَكُنْ	تَكْسِيرَ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حَدَّتِكَ
وحيثما خَسِمْتَ فاقصد إِلَى	صَحْبَةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نَصْرَتِكَ
وللرزايا وثبةٌ مَا لَهَا	إِلَّا الَّذِي تَذْخُرُ مِنْ عِدَّتِكَ

ولا تَقُلْ أَسْلَمَ لي وحدتي فقد تقاسي الذلَّ في وحدتك
ولتَجْعَلِ الْعَقْلَ عِصْمًا وخذ كُلاً بما يظهر في نقدتك
واعتبر الناس بألفاظهم واصحب أخاً يرغب في صحبتك
كم من صديق مُظْهِرٍ نَصَحَهُ وفكرُهُ وَقِفٌ على عَثْرَتِكَ
إياك أن تَقْرِبَهُ إِنَّهُ عَوْنٌ مع الدهر على كَرْبَتِكَ
وَأَنْتُمْ تُمَوِّ النَّسَبِ قد زاره غِيبَ النَّسَبِ واسمُ إلى قدرتك
ولا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكَّنًا تذكّره يذكّي لظى حسرتك
والشرُّ منها اسطعت لا تَأْتِيهِ فإنه جَوْرٌ على مُهْجَتِكَ

يا بُنَيَّ ، الذي لا ناصح له مثلي ، ولا منصوح لي مثله - قد قدّمت لك في هذا النظم ما إن أخطرت به بخاطرك في كلّ أوان رجوت لك حسن العاقبة - إن شاء الله تعالى - وإن أخفّ منه للحفظ ، وأعلق بالفكر ، وأحقّ بالتقدم قولُ الأول :

يَزِينُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا اغْتَرَبَ ثلاثُ فَمَنْنَ حَسَنَ الْأَدَبِ
وَتَأْنِيَةَ حُسْنِ أَخْلَاقِهِ وثالثةُ اجْتِنَابِ الرِّيبِ

واصنع يا بُنَيَّ إلى البيت الذي هو يتيمة الدهر ، وسلّم الكرم والصبر :
ولو أنّ أوطان الدّيار نَبَتَ بِكُمْ لسكنتم الأخلاق والآداب

إذ حُسِنَ الْخُلُقُ أَكْرَمَ نُزِيلَ ، والأدبُ أرحبُ منزل ، ولتكن كما قال بعضهم في أديبٍ مُتَغَرَّبٍ ، وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد ، وإليه قصد ، غير مُسْتَرِيبٍ بهره ، ولا منكسر شيئاً من أمره .

وإذا دعاك قلبك إلى صحبة من أخذ بمجامع هواه ، فاجعل التّسكّف له سلماً ، وهُبْ في روض أخلاقه هبوب النسيم ، وحلّ بطرفه حلول الوسن ، وانزل بقلبه نزول المسرة ، حتى يتمكن لك ودّادُه ، ويخلص فيك اعتقاده

وطهر من الوقوع فيه لسانك، وأغلق سمعك، ولا تُرخِّص في جانبه لحسود لك منه، يريد إبعادك عنه لمنفعة، أو حسود له يَفَار لتجملته بصحبتك، ومع هذا، فلا تغترّ بطول صحبته، ولا تتمهد بدوام رقدته، فقد يُنبِّهه الزمان، ويتغيَّر منه القلب واللسان، وإنما العاقل من جعل عقله معياراً، وكان كالمرآة يلقي كل وجه بمثاله؛ وفي الأمثال العامة: «من سبقك بيوم سبقك بعقل» فاحذ بأثرة من جرَّب، واستمع إلى ما خلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الأقوال، فإنها خلاصة عمرهم، وزُبدة تجاربهم، ولا تتكل على عقلك، فإن النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم، وأبتاعوه غالباً بتجاربهم، يُرْبحك، ويقع عليك رخيصاً، وإن رأيت من له عقل ومروءة وتجربة، فاستفد منه، ولا تُضيِّع قوله ولا فعله، فإن فيما تلقاه تلقيحاً لعقلك، وحشاً لك واهتداء.

وليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحسن بك أن تتبعه، حتى تتدبره، فإن كان موافقاً لعملك، مصلحاً لحالك، فراع ذلك عندك، وإلا فانبذه نبذ النواة فليس لكل أحد يُنبِّسهم، ولا كل شخص يُكلم، ولا الجود مما يعُم به، ولا حسن الظن وطيب النفس مما يُعامل به كل أحد، والله درة القائل:

وما لي لا أوفي البرية قسطنها على قدر ما يعطي وعقلي ميزان

وإياك أن تعطي من نفسك إلا بقدر، فلا تعامل الدُّون بمعاملة الكف، ولا الكف بمعاملة الأعلى، ولا تُضيِّع عمرك فيمن يعاملك بالمطامع، ويُنشِيك على مصلحة حاضرة عاجلة، بغائبة آجلة، ولا تحفُّ الناس بالجملة، ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه ملل، ولا ضجر، ولا جفاء، فحقى فارقت أحداً، فعلى حسنى في القول والفعل، فإنك لا تدري هل أنت راجع إليه! فلذلك قال الأوَّل:

* ولما مضى سلم بكيت على سلم *

وإياك والبيت السائر:

وكنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بدار قومٍ رحلتَ بخزية وتركْتَ عاراً

واحرص على ما جَمَعَ قَوْلَ القائل: «ثلاثة تُبْقِي لك الوُدَّ في صدر أخيك: أن تُبْدَأَهُ بالسَّلام ، وتوسَّعَ له المجلس ، وتَدْعُوهُ بأحبَّ الأسماء إليه ، واحذَر كلَّ ما يَبِينُهُ لك القائل : « كل ما تعرَّسه تجنِّبه ، إلا ابن آدم ؛ فإذا غَرَسْتَهُ يَقلِّعُكَ » . وقول الآخر : « إن ابن آدم ذئب مع الضَّعْف ، أسد مع القوَّة ، وإياك أن تثبت على صحبة أحد قبل أن تطيل اختباره ، ويحكى أن ابن المُفْطَّح خطب من الحليل صُحْبَتَهُ ؛ فجأبه : « إن الصُّحْبَةَ رِقٌّ » ، ولا أضع رَقِّي في يديك حتى أعرف كيف ملكتك » واستمل من عين مَنْ تُعَاشِرُهُ ، وتَفْتَقِدُ في فلتات الألسن ، وصفحات الأوجهِ ، ولا يحملُك الحياءُ على السكوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أن لا تُبَيِّنَهُ ؛ فإنَّ الكلام سلاح السُّلَم ، وبالأُنَيْن يُعْرِفُ أَلَمُ الجرح ، واجمل لكل أمرٍ أَخَذْتَ فيه غاية تجعلها نهاية لك :

وخذ من الدَّهْرِ ما أَتَاكَ به من قَرِّ عَيْنٍا بعيشة نَفَعَهُ

إذ الأفكار تجلب الهموم ، وتُضَاعِفُ الغُموماً ، وملازمة القُطُوب ، عنوان المصائب والخطوب ، يستريب به الصاحب ، ويشمت العدوُّ والُجَنَابُ ، ولا تضرَّ بالوَسَاوِس إلاَّ نفسك ، لأنَّكَ تنصر بها الدَّهْرُ عليك - وللهِ درُّ القائل :

إذ ما كنت لِالأَحْزَانِ عوناً عليك مع الزمان فمن تلوم !؟

مع أنه لا يردُّ عليك الغائبُ الحُزْنَ ، ولا يَرْعُوِي بطول عتبك الزَّمنُ . ولقد شَاهَدْتُ (بغيرناطة) شخصاً قد أَلْفَنَهُ الهموم ، وعشَقْتَهُ الغُموماً ، ومن صغره إلى كبره ولا تراه أبداً خلياً من فكرة ، حتى لَقِبَ «بصدر الهم» .

ومن أعجب ما رأيتهُ منه أنه يُتَنَكَّدُ في الشَّدة ، ولا يتعلَّلُ بأن يكون بَعْدَهَا فَرَجٌ ، ويتنكَّدُ في الرَّخاء خوفاً من أن لا يدوم ، ويُنشد :

* توقَّعْ زوالاً إذا قيلَ لَئِمٌ *

وينشد : * وعِندَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ المتطاوِلُ *

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا عمرُه محسور ير ضياعاً

ومتى رفعك الزمان إلى قوم يذمون من العلم ما تحسّنه حسداً لك وقصداً
لتصغير قدرك عندك ، وتزهيداً لك فيه ، فلا يملك ذلك على أن تزهّد في علمك
وتركن إلى العلم الذي مدحوه ؛ فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مشي الحَجَلَة
فرام أن يتعلّمه فصعّب عليه ، ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فنسّيه فبقي
مُحَبَّل المشي كما قيل :

إن الغرابَ وكان يمشي مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسّد القطا وأراد يمشي مشيها فأصابه ضَرْبٌ من العقّال
فأضلّ مشيته وأخطأ مشيها فلذلك كنّوه (أبا مِرّ قال)

ولا يُفسد خاطرك من جعل يذمّ الزمان وأهلّه ، ويقول ، ما بقي في الدنيا
كريم ولا فاضل ، ولا مكان يُرتاح فيه ؛ فإن الذين تراهم على هذه الصّفة أكثر
ما يكونون بمن صاحبهم الحرمان ، واستحقت طلعتهم للهوان ، وأبرموا على
الناس بالسؤال فمقتوهم ، وعجزوا عن طلب الأمور من وجوها ، فاستراحوا
إلى الوقوع في الناس ، وأقاموا الأعذار لأنفسهم بقطع أسبابهم ، ولا تُزل
هذين البيتين من فكريك :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عَزّاً فأخو العزّ يلين
فإِذَا تَابَكَ دَهْرٌ فكما كنت تكون

والأمثال تُضرب لذي اللبّ الحكيم ، وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم ،
والفطن يقنع بالقليل ، ويستدل باليسير . والله سبحانه خليفتي عليك لا رب
سواه .

وصية هارون الرشيد لمعلم ولده الأمين :

يا أحمـر - إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مُهجة نفسه ، وثمره قلبه ؛ فصير
يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكُنْ له بحيث وضعك أمير المؤمنين .
أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروّه الأشعار ، وعلمه السُّنن ، وبصّره

بمواقع الكلام وبدنه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم^١ فائدة^٢ تفيده إيتاها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مساحته فيستحلي الفراغ ويألفه^٣ ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة .

وصية بعض نساء العرب إلى ابنها وقد أراد السفر :
قال أبان^٤ بن تغلب ، وكان عابداً من عباد أهل البصرة : شهدت أعرابية وهي توصي ولدأ لها يريد سفرأ ، وهي تقول له :

أي بُني^٥ : إجلس أمنيحك وصيتي وبالله توفيقك^٦ ، فإن الوصية أجدى^٧ عليك من كثير عقلك . قال أبان : فوقفت مستمعاً لكلامها ، مستحسنأ لوصيتها فإذا هي تقول : أي بُني إياك والنميمة ، فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضأ^٨ وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام ولما اعتورت^٩ السهام غرضأ^{١٠} إلا كلمته^{١١} : حق يهي^{١٢} ما اشتد من قوته .

وإياك والجود بدينك ، والبخل بمالك ، وإذا هزرت فاهزز كريمةأ يلن لهزتك ، ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها .
ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك ، فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه فإن المرء لا يرى عيب نفسه .

ومن كانت مودته^{١٣} بشره^{١٤} ، وخالف ذلك منه فعلة ، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها ، والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء ، فقد أجاد الحلة ريطتها وسر بالها .

(١) انفع (٢) هدفاً (٣) تداولت (٤) جرحته (٥) يضعف .

نصيحة رجل لهشام بن عبد الملك :

خرج الزُّهري يوماً من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأيت كالـيوم ، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام ، دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين احفظ عني أربع كلمات ، فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيـتك ، قال : ما هُنَّ ؟ قال : لا تمد عِدة ولا تشق من نفسك بإنجازها ، ولا يَغُرَّنكَ المرتقى ، وإن كان سهلاً إذا كان المنحدر وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتقِ العواقب ، وأن للأمور بغتات ^١ ، فكن على حذر ، قال عيسى بن دأب : فحدثت بهذا الحديث (المهدي) وفي يده لقمة قد رَفَعَهَا إلى فيه فامسكها وقال : ويحك ! أعد عليّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين : أَسْغِ الْقَمَنَكَ ، فقال : حديثك أعجب إليّ .

نصيحة أعرابي لسليمان بن عبد الملك :

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك : إني أكلِّمُك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله ؛ فإن وراءه إن قبلته ما تحبه ، قال : هاته يا أعرابي ، فنحن نجود بسعة الاحتمال على من لا نأمن غَيْبَتِهِ ، ولا نرجو نصيحته ، وأنت المأمون غيباً الناصح جيباً ^٢ ، قال : فاني سأطلق لساني بما خرسـت عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى ، إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسُخْطِ ربهـم ، وخافوك في الله ، ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فلمنهم لم يسألوا الأمانة تضييعاً ، والأمة كسفاً وخسفاً ، وأنت مسئول عما اجترموا ، وليسوا مسئولين عما اجترمت ، فلا تصلح دُنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس عند

(١) البغـتات : جمع بغـة وهي الفجأة . (٢) أساغ اللقمة : ابتلعها . (٣) فلان ناصح الجيب : يراد به قلبه وصدره أي أمين ، قال الشاعر : * وحصنت صدرأ جيبه لك ناصح * . (٤) ابتاع : اشترى . (٥) ألا يألوا ألوأ : قصر . يقال إني لا آلوك نصحاً لا أقصره . وقال تعالى : لا يألونكم خبالاً ، أي لا يقصرون في خبالكم وفسادكم .

الله غُبْنًا من باع آخرته بدنياه غيره ، فقال سليمان : أما أنت يا أعرابي فقصد سَلَكْتَ لسانك وهو سيفك ، قال : أجل يا أمير المؤمنين ! لك لا عليك .
نصيحة فتاة لأبيها :

قالت أعرابية - تنصح أباهما بمجانبة السرف - : حبس المال أنفع للعمال من بذل الوجه في السؤال ، فقد قل النوال ، وكثر النجال ^١ ، وقد أتلفت الطارف والتلاد ^٢ وبقيت تطلب ما في أيدي العباد ، ومن لم يحفظ ما ينفعه ، أو شك أن يسمى فيما يضره .
نصيحة البديع الهمداني لوارث مال :

كتب البديع إلى بعض إخوانه يعزیه وينصح له :

وصلت رقعتك (يا سيدي) والمصاب لعمرك كبير ، وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر أجد ، والعزاء عن الأحبة رشد كأنه الغي ^٣ ، قد مات الميت فليحي الحي ؛ فاشدد على مالك بالخنس ^٤ ؛ فأنت اليوم غيرك بالأمس ، قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك ، تضحك ويبيكي لك ، وقد موّلك ؛ مما ألف بين سراه ^٥ وسيره ، وخلفك فقيراً إلى الله غنياً عن غيره ، وسيعجم ^٦ الشيطان عودك ، فإن استلانك رماك بقوم يقولون : خير المال ما تتلفه بين الشراب والشباب ، وتنفقه بين الحباب ^٧ والأحاب ، والعيش بين القيداح والأقداح ^٨ ولولا الاستعمال لما أريد المال ؛ فإن أطعتهم فالיום في الشراب وغداً في الخراب ، واليوم واطرباً للكاس ، وغداً واحرباً ^٩ من الإفلاس ، يا مولاي : ذلك

(١) النجال : جمع نجل وهو الولد . (٢) الطارف : المستحدث من المال وغيره والتلاد : جمع تليد وهو عكس الطارف . (٣) يريد بالخنس الأصابع وهي مؤنثة في الأكثر . (٤) موله : اتخذ له مالاً . (٥) السرى : سير الليل (٦) عجم العود : عضه ليعرف مبلغ صلابته . (٧) حباب الماء والشراب : ففاقيعه التي تطفو كأنها القوارير . (٨) القداح : سهام الميسر ، واحدها قيدح كقرد . والأقداح : جمع قدح ، كجبل وهو وعاء الشراب . (٩) الحرب : أن يسلب الرجل ماله ، وقد حرب ماله أي سلب ومن هذا قولهم : واحربا .

الخارج من العُود يسميه الجاهل نَقْرًا ، والعاقل فقراً ، وذلك المسموع من النّساي هو في الآذان زَمَر ، وفي الأبواب سَمَر ، وإن لم يجد الشيطان مَغْمَزاً في عودك من هذا الوجه ، رماك بآخرين يُمثلون الفقر حذاء عينيك ، فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنك ، وتساوئ غيرك^٢ ، وتمنع نفسك وتبوء في دُنْيَاكَ بوزرك ، وتراه في الآخرة في ميزان غيرك ، لا - ولكن قصداً بين الطريقين ، وميلاً عن الفريقين لا منع ولا إسراف ، والبخل فقر حاضر ، وضيق عاجل ، وإنما يبخل المرء خيفة ما هو فيه

ومن يُنفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر فليكن لله في مالك قسم ، وللمروءة قسم ، فصّل الرحم ما استطعت - وقدّر^٣ إذا قطعت ، فلأن تكون في جانب التقدير ، خير من أن تكون في جانب التبذير .

وصية الرياحي لقومه

قال الرياحي في خطبته بالمربد^٤ :
يا بني رياح - لا تحقّروا صغيراً تأخذون عنه ، وإني أخذت من الليث بَسَالَتِهِ ومن الحمار صبره ، ومن الحنّزير حرصه ، ومن الغُرَاب بُكُورَهُ ، ومن الثعلب رَوَّغَانَهُ^٥ ، ومن السنور ضَرَّعَهُ^٦ ، ومن القرد حكايته ، ومن الكلب نُصْرَتَهُ ، ومن ابن آوى حذره ، ولقد تعلمت من القمر سير الليل ، ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين .

-
- (١) الناي : آلة للزمر ، فارسي معرب ، وقد تهمز ياءؤه ، وقد جمعه على غايات . (٢) العرس : الزوجة . (٣) التقدير : التروية والتفكير في تسوية أمر . (٤) المربد : الجرين ، ثم صار علماً على موضع بالبصرة . (٥) الروغان : الميل عن الشيء لتجنب الضرر . (٦) الضرع : الخضوع :

وصية ذي الأصقع لابنه

لَمَّا احْتَضَرَ ذُو الْأَصْبَعِ الْعُدَوَانِي دَعَا ابْنَهُ (أَسِيداً) فَقَالَ لَهُ :
' يَا بُنَيَّ : إِنْ أَبَاكَ قَدْ فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ ، وَعَاشَ حَتَّى سَمِعَ الْعَيْشَ ، وَإِنِّي مَوْصِيكَ
بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتَهُ : أَلَنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يَجْثُوكَ وَتَوَاضِعَ
لَهُمْ يَرْفَعُوكَ ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يَطِيعُوكَ ، وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ ،
وَأَكْرَمَ صَغَارَهُمْ كَمَا تَكْرَمُ كِبَارَهُمْ يَكْرَمُكَ كِبَارُهُمْ ، وَيَكْبُرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صَغَارُهُمْ .
وَاصْبِرْ بِمَالِكَ ، وَاعْزِزْ جَارَكَ ^٢ وَأَعْنِ مِنْ اسْتِعَانِ بِكَ ، وَأَكْرَمَ ضَيْفَكَ وَأَسْرَعَ
النَّهْضَةِ فِي الصَّرِيخِ ^٣ فَإِنْ لَكَ أَجَلٌ لَا يَعْدُوكَ وَصَنَ وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ
شَيْئاً ، فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُودُ دُوكَ

وصية عبدالله بن شداد لابنه

قَالَ السَّكَلِيُّ : لَمَّا حَضَرَتْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَادٍ الْوَفَاةَ دَعَا ابْنَهُ لَهُ يَقَالُ لَهُ (مُحَمَّد)
فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي أَرَى دَاعِيَ الْمَوْتِ لَا يُقْلِعُ ، وَأَرَى مِنْ مَضَى لَا يَرْجِعُ ، وَمَنْ
بَقِيَ فَإِلَيْهِ يَنْزَعُ ^٥ ، وَإِنِّي مَوْصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظْهَا .
عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَلِيَكُنْ أَوَّلَى الْأُمُورِ بِكَ شُكْرُ اللَّهِ ، وَحَسَنُ النَّسَبِ
فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّ الشُّكُورَ يَزِدُّادُ وَالتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ ، وَكَنْ كَمَا قَالَ الْحَطِيبَةُ :
وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنْ التَّقَى ^٦ هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذَخْراً وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْأَتَقَى مَزِيدٌ
وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ وَلَكِنْ الَّذِي يَمْضِي بِعَيْسِدٍ

(١) هو حوثان بن الحارث ، خطيب حكيم ، شاعر فارس ، وهو أحد المعمرين
في الجاهلية (٢) الجار : المجاور والذي أجرته من أن يظلم . (٣) الصرير : صوت
المستغيث وهو أيضاً المغيث واحداً أو أكثر . (٤) هو عبد الله بن شداد بن الهادي
الليثي كان من رجال العراق ومن ذوي المكانة عند الحجاج ، ثم خرج عليه مع
ابن الأشعث ، ويقال إنه قتل سنة ٨٣ هـ . (٥) نزح إليه كجلس . اشتاق .

أي بُنيّ : لا تزهّدنّ في معروف ، فإن الدهر ذو صُروف ، والأيام ذات نوائب ، على الشاهد والغائب ، فكّم من راغب قد كان مرغوباً إليه ، وطالب أصبح مطلوباً ما لديه . واعلم أن الزّمان ذو ألوان ، ومن يصحب الزّمان يَرّ الهوان وكن أي (بُنيّ) كما قال أبو الأسود الدؤلي :

وعدّ من الرحمن فضلاً ونعمة عليك إذا ما جاء للعرّف^١ طالب^٢
وإن امرأ لا يُرّجى الخير عنده يكن هيناً ثقيلاً على من يصاحب
فلا تمنعن^٣ إذا حاجة جاء طالباً فإنك لا تدري متى أنت راغب
رأيت السّيو^٤ هذا الزّمان بأهله وبينهم فيه تكون النوائب

أي بُنيّ : كن جواداً بالمال في موضع الحق ، بخيلاً بالأسرار عن جميع الخلق فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البير^٥ ، وإن أحمد بخل الحر الضنّ بمكتم السر ، وكن كما قال قيس بن الخطيم^٦ الأنصاري :

أجود بمكنون التّلاذ وإنني بسرك عمن سالي لضنين^٧
إذا جاوز الاثنين سر فإنّه بنث^٨ وتكثير الحديث قين^٩
وعندي له يوماً إذا ما اتّمتنتني مكان بسوداء^{١٠} الفؤاد مكين^{١١}

أي بُنيّ : وإن غلبت يوماً على المال ، فلا تدع الحيلة على حال ، فإن الكريم يَحْتال ، والدنيّ عيال ، وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً ، وأقلّ ما تكون في الباطن مالاً ، فإن الكريم من كرمت طبيعته ، وظهرت عند الإنفاق^{١٢} نعمته ، وكن كما قال ابن خذاق^{١٣} العبّدي :

(١) العرف : المعروف . (٢) التوا مصدر التوى وقصره للضرورة . والتوى به الزمان . اعوج . وألوى به : أهلكه . (٣) شاعر من أهل يثرب وبينه وبين حسان بن ثابت مناقضة . (٤) سهل الشاعر همزة سأل للوزن . (٥) قطع همزة اثنين للضرورة ونث الحديث : أفشاه . (٦) سوداء الفؤاد أو القلب وسويداؤه وأسوده : حبته ، (٧) الإنفاق : الفقر . (٨) اسمه يزيد وهو شاعر قديم .

وجدتُ أيّ قد أوْرتْه أبوه خلا لا قد تُعد من المعالي^١
فأكرم ما تكون عليّ نفسي إذا ما قلّ في الأزمات مالي
فتحسّن سيرتي وأصون عِرْضي ويحمل عند أهل الرأي حالي
وإن نلتُ الغنى لم أغلُ فيه ولم أخصّص يحفوتي الموالي^٢

أي بُنيّ : وإن سمعت كلمة من حاسد ، فكن كأنك لست بالشاهد ، فإنك
إن أمضيتها حياها^٣ رجع العيب على من قالها ، وكان يقال : الأريب العاقل هو
الظن المتغافل^٤ ، وكن كما قال حاتم الطائي :

وما من شيمتي شتّم ابن عمي وما أنا مُخْلِيف من يرتجيني
وكلمة حاسد في غير جُرم سمعت فقلت مُرّي فأنفذي^٥
فما بوهما عليّ ولم يُسوّني ولم يَعرّق لها يوماً جبيني
وذو اللونين يلقياني طليقاً وليس إذا تغيب بأتليّني^٦
سمعت بعميه فصفحت عنه محافظة على حَسبي وديني

أي بُنيّ : لا تؤاخذ امرءاً حتى تعاشره ، وتنفق موارده ومصادره ، فإذا
استطعت العشرة ، ورضيت الخبرة^٧ ، فواجهه على إقالة العثرة ، والمواساة في
العُسرة وكن كما قال المُقنّع الكندي^٨ :

أبئلُ الرجال إذا أردت إخاءهم وتوسّم فَعَالهم وتَفَقّد

(١) نقلت حركة الهمزة من أورت إلى الواو وحذفت هي للورن ، والخلال :
جمع خلة وهي الخصلة . (٢) غلا في الأمر غلو : جاوز الحد . والموالي : الأقارب .
يقول : إن كثر مالي لم أجف أقاربي . (٣) خيال ظرف في معنى إزاء أي تركتها
تذهب في طريقها الخ . (٤) في معنى هذا قول الشاعر :

ليس الغني بسيد في قوم لكن سيد قوم المتغابي

(٥) نفذه : جازه . (٦) اثتلى كالأى قصر : يقول إذا غاب عني فلن يقصر

في نكايتي (٧) الخبرة ، وبغير هاء ، العلم بالشيء كالاختبار (٨) هو محمد بن عمرة
والمقنّع لقب شاعر رصين المباني حكيم المعاني من شعراء الدولة الأموية

فإذا ظفرت بذى اللبابة والتقى فيه اليدين قرين عین فاشدد^١
وإذا رأيت ولا محالة زلة فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد
أي بني : إذا أحببت فلا تفرط ، وإذا أبغضت فلا تشطط^٢ ، فإنه قد كان
يقال أحب حبيبك هوناً مآ^٣ عسى أن يكون بغيضك يوماً مآ ، وأبغض بغيضك
هوناً مآ عسى أن يكون حبيبك يوماً مآ ، وكن كما قال هذبة^٤ بن الحشرم العذري :
وكن معقلاً للحلم واصفح عن الحنا فإنك راء ما حبيت وسمع
وأحبيب إذا أحببت حباً مقارباً فإنك لا تدري متى أنت نازع^٥
وأبعض إذا أبغضت بغضاً مقارباً فإنك لا تدري متى أنت راجع

الفصل الثاني عشر في رسائل التنصل والتبرؤ

كتب أبو الحسن علي بن الرومي المتوفى سنة ٥٢٨٤ إلى القاسم بن عبيد الله :
ترفع عن ظلمي إن كنت بريئاً ، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئاً ، فوالله
لأطلب عفو ذنب لم أجنه ، وألتمس الإقالة بما لا أعرفه ، لتزداد تطولاً ، وأزداد
تذلاً ، وأنا أعيد حالي عندك بكرمك من واش يكيدها . وأحرسها بوفائك
من يحاول إفسادها .
وأسأل الله أن يجعل حظي منك بقدر ودي لك ، ومحلي من رجائك بحيث
أستحق منك السلام .

- (١) اللبابة مصدر لب أي صار ذا لب وهو العقل ؛ وكل ما قبل « فاشدد »
من الشطر الثاني معمول له وتكررت الفاء للربط - وكذا في البيت التالي
(٢) شط وأشط : جاوز الحد . (٣) الهون : الرقق ، وما : إما زائدة ، وإما
صفة هونا مثلها في قوله تعالى : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما » .
(٤) هو شاعر من شعراء الدولة الأموية جيد البديهة وهو القائل :
ولست بمفسراح إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحل على الشر أركب
(٥) نزع عن الأمر نزوعاً : انصرف وانتهى عنه .

وكتب أبو الوليد أحمد بن زيدون ، الأندلسي المتوفى بأشبيلية ٤٦٣ هـ :
يا مولاي^١ وسيدي الذي ودادي له ، واعتمادي عليه ، واعتدادي^٢ به ،
وامتدادي^٣ منه ، ومن أبقاه الله ماضي^٤ حد العزم^٥ واري^٦ زند^٧ الأمل^٨ ،
ثابت^٩ عهد^{١٠} النعمة ، إن سلبتني^{١١} أعزك^{١٢} الله لباس^{١٣} نعمائك ، وعطفتني^{١٤}
من حلي^{١٥} أيناسك^{١٦} وأظمأتني^{١٧} إلى برود^{١٨} إسعافك^{١٩} ونفستني^{٢٠} في
كف^{٢١} حياطتك^{٢٢} وغضضتني^{٢٣} عنسي^{٢٤} طرف^{٢٥} حمايتك . بعد أن نظر الأعمى
إلى تأميلي^{٢٦} لك ، وسمع الأصم^{٢٧} ثنائي^{٢٨} عليك وأحس الجمد باستحيادي^{٢٩} إليك .

(١) المولى له معان كثيرة والأليق منها هنا السيد أو المنعم ومنها العبد أيضاً قال أبو تمام :
مولاك يا مولاي صاحب لوعة في يومه وصباة في أمسه
دنف يحود بنفسه حتى لقد أمسى ضعيفاً أن يحود بنفسه

(٢) عدتي ليوم حاجتي (٣) مزيد خيري (٤) قاطع (٥) قوة الإرادة أي لا
يعزم على أمر إلا أمضاه (٦) الوري : خروج النار من الزند وقت الاقتداح .
(٧) مقدحة (٨) الرجا (٩) متمكن ومتوثق (١٠) ميثاق أي أن نعمته ثابتة
ومحفوظة عليه أبداً وأن محبته مقصورة عليه ، وأنه يطلب من الله أن يبقيه ،
وعزمه سيف قاطع وأمله نور لامع وخيره غيث متتابع وأنه لحسن افتتاح وبراعة
استهلال (١١) انتزعت مني (١٢) أعزك الله ، جملة اعتراضية الغرض منها الدعاء
لسيده بالعزة والإشارة إلى ما يستلزمه سلب اللباس من المذلة وتبسيها له على ذلك .
(١٣) ما يوارى الجسم أي جردتني من نعمتك المحيطة بي (١٤) العطل في الأصل
خلو جيد المرأة من القلائد (١٥) ما يتحلى به (١٦) أنسك ، أي حرمتني من
لذيت أنسك (١٧) أعطشتني (١٨) بارد (١٩) إنجادك (٢٠) طرحت
(٢١) أحاطتك أي طرحتني من كفء حوزك لي (٢٢) خففت (٢٣) نظر ، أي
خففت طرف وقايتك عني فتركتني غرضاً لصائبات الحوادث (٢٤) التأميل أمر
معنوي لا يشاهد وإنما ذلك مبالغة في شدة التلبس والاتصاف به (٢٥) مدحي ،
— مبالغة في انتشار مدحه (٢٦) استحادي مبالغة في تأثير حمده يشير إلى تعداد
ما حل به من المصائب وأحرق به من كل جانب ألا وهو تجريده من نعم الأمير المحيطة به
إحاطة الثياب وحرمانه من الأنس بذلك الجنب وإعطاشه إلى سريع إغاثة وإخراجه

فلا غَرْوٌ^١ قد يغص^٢ بالماء شاربهُ ، ويقتلُ الدواءُ المستشفيَ به ، ويؤتى
الحذرُ^٣ من مأمنه^٤ ، وتكونُ مَنِيَّةُ^٥ المُستمني في أمنيته^٦ ، والحينُ^٧ قد
يسبقُ جهْدُ^٨ الحريص

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفقى وتهون غيرَ شماتةٍ^٩ الحساد
وإني لأتجلدُ^{١٠} وأري للشامتين « أسي لريب^{١١} الدهر لا أتضعضع^{١٢} »
فأقول : هل أنا إلا يدُ أدمائها^{١٣} سوارُها^{١٤} ، وجبينُ عضِّ به إكليله^{١٥}
= من محيط دائرته وصرفه عنه نظر ملاحظته خصوصاً بعد أن صير تأميله فيه
جسماً مخترعاً ولذا رآه الأعمى وجلا مدحه بما جذب إليه الأذان فدخلها بدون
استئذان ولذا سمعه الأصم وبذل قصارى جهده في حمد حتى كان مؤثراً في كل
الكائنات ولذا أدركه الجماد ، وفيه من المبالغة ما في قول المتنبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمنت كلماتي من به صمم
وإنما أكثر من تعداد مصائبه ليكون ذلك أدل على توجهه وتأله ، وأسرع لتلبية
ندائه وأمكن لجلب الصفاء وإزالة الجفاء .

(١) فلا عجب : الفاء واقعة في جواب أن من قوله إن أسليتني (٢) غصصت
بالماء أغص غصاً إذا شرفت به وأغصصته أنا . (٣) المتيقظ (٤) من حيث لا
يتوقع الضرر (٥) موت (٦) ما يتمناه ٧ . الهلاك (٨) طاقة (٩) الفرح في
مصائب الغير ، يقول : إن انتزعت مني ما أعطيت ، وأحلت بي من المصائب ما
أحلت ، بمد غلوي في الثناء عليك ، والتجاني في كل الأمور إليك ، فليس ذلك
بالأمر العجيب ولا بالنادر بل كثير النظائر والأمثال ، فالماء الذي به زوال
الغصص قد يكون هو المنص وأن الأمنية قد تكون فيها المنية وأنه يشير في
عبارته لقول بعضهم :

قد كنت عدتي التي أسطو بها ويدي ، إذا اشتد الزمان ، وساعدي
فرميت منك بغير ما أملت ، والمرء يشرق بالزلال البارد
ولقول الآخر :

تجري الأمور على وفق القضاء ، وفي طي الحوادث محبوب ومكروه !
فربما سرتني ما بت أحذره ، وربما ساءني ما بت أرجوه !
والبيت الذي ذكره لابن عينية . (١٠) أنكلف الصبر والقوة (١١) ريب الدهر :
نوائبه (١٢) أتزلزل : هذا حل بيت لأبي ذؤيب الهذلي وهو :
وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع
(١٣) اسال دما (١٤) نوع من الحلوى يلبس في الساعد (١٥) تأجه .
(١ - جواهر الأدب ١٣)

ومشرفي^١ ألصقه بالأرض صاقله^٢ ، وسميري^٣ عرضه على النار مثقفيه^٤ وعبد^٥ ذهب به سيده مذهب الذي يقول :

فقسا ليزدجروا^٥ ومن يك حازماً فليقس^٦ أحياناً على من يرحم
هذا العتب^٦ محمود عواقبه ، وهذه النبوة^٧ غمرة^٨ ثم تنجلي^٩ ، وهذه
النكبة^{١٠} سحابة صيف عن قليل تقشع^{١١} ، ولن يربيني^{١٢} من سيدي إن
أبطأ سيبه^{١٣} أو تأخر ، غير^{١٤} ضنين غناؤه^{١٥} ، فأبطأ الدلاء فيضاً^{١٦} أملؤها ،
وأثقل السحاب مشياً أحفلها^{١٧} ، وأنفع الحيا^{١٨} ما صادف جذباً^{١٩} وألذ
الشراب ما أصاب غليلاً^{٢٠} ، ومع اليوم غد^{٢١} ولكل أجل كتاب^{٢٢} .

(١) سيف (٢) جاليه (٣) رمح (٤) مقومه (٥) يمتنعوا : يخاطب نفسه
ويسلمها ويضرب لها الأمثال ويمنيها ويسهل عليها ما تعانيه ، ويحببها ما تعاديه
مع مزيد استعطاف قلب سيده واستجلاب رحمته حيث لم يستهجن فعله وعمله
معه فقد أنزل نفسه منزلة الحسناء التي أجرى دمها السوار ، والجبين الذي أثر فيه
تاج الافتخار ، والسيف الذي وضعه على القراب صاقله لصقله لا هوانه ، والرمح
الذي وضعه على النار مثقفه لتقويته لا لإحراقه ، والعبد الذي قسا عليه سيده
رحمة به وإحساناً لا استخفافاً به وهواناً ، والبيت لأبي تمام . (٦) اللوم
(٧) الجفوة (٨) شدة (٩) تنكشف (١٠) المصيبة (١١) تقلع ، يقول : أرجو
أن يكون هذا اللوم ختام الجفاء ، مبدأ الألفة والصفاء وأن هذه الجفوة شدة
وتحول وسحابة لا تلبث أن تزول ، يشير إلى قول المتنبي :

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

وإلى المثليين العربيين « غمرات ثم تنجلي » و « سحابة صيف عن قليل تقشع »
والأول يضرب في حصول اليسر بعد العسر والناثي في سرعة التغير (١٢) يجعلني
شاكاً (١٣) عطاؤه (١٤) غير ضنين : احتراس يريد به حمل سيده على العطف
ودفع ما يتوهم من أن التأخير للإيقاع به (١٥) نفعه (١٦) الفيض : صعود الماء
على الضفة ، والمراد هنا مجرد الصعود ، أي أن أبطأ الدلاء صعوداً أكثرها امتلاء
(١٧) أملؤها (١٨) المطر (١٩) الأرض التي لا نبات بها (٢٠) العطش بحرارة ؛
لما ذكر أن هذا العتب محمود العاقبة وأن ما حل به عن قريب يزول ، ورأى أن
تأخير الرحمة به وعدم إنقاذه من ورطته ربما يؤهم الريبة في حمدة العاقبة ، دفع
ذلك معتذراً عن سيده في هذا التأخير معللاً بقوله فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها
وأثقل السحاب مشياً أحفلها وغير ذلك مما يدل على أن في التأخير ما ينعم بال =

له الحمد على اهتباله ^١ ، ولا عتب عليه في اغتفاله ^٢
فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللائي سرررن ألوف
وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسمعه عفوك ، والجهل الذي لم يأت
من ورائه حلمك ، والتطاؤل ^٣ الذي لم يستغرقه تطولك ^٤ ، والتحامل ^٥ الذي لم
يفر به احتمالك ^٦ ؟! ولا أخلو من ان أكون بريثاً فأين عدلك ؟ أو مسيئاً ،
فأين فضلك .

إلا يكن ذنب فعدلك واسع أو كان لي ذنب ففضلك أوسع
فهبني مسيئاً كالذي قلت طالباً قصاصاً ^٧ فأين الأخذ عازاً ^٨ بالفضل
حنانيك ^٩ ، قد بلغ السيل الزبى ^{١٠} ، ونالني ما حسني به وكفى .
وما أراني إلا لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت ^{١١} واستكبرت !!

= ويقر الأعين ، ثم ختم عبارته بما هو أمثل في التسلية وأدعى للتصبر من حيث
يقول : ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب .

(١) اغتنامه (٢) تغافله : وهو تركه على ذكر منه بعد أن اعتذر من سيده
بما اعتذر وأخذ يمدحه على إيقاعه به وتغافله عنه عله أن يرأف به ويعطف عليه
والميت للمتني (٣) الكبير (٤) فضلك (٥) التكليف بما لا يطاق (٦) الاحتمال
كالجمل إلا أنه في الأمور العظيمة ، قال النابغة الذبياني * فحملت برأ واحتملت
فجاراً * (٧) عقاباً (٨) اسم امرأة ، رجع بعد أن عود نفسه في مخاطبة الأمير
الصبر والانتظار التفت منه الى ما في ضميره من بقايا العتاب فقال يستفهم مريداً
بذلك إلزامه بالصفح عنه بتصغير ذنبه وتكبير عفو سيده فكأنه يقول : ما هذه
الحركة التي زلزلت طودك ، وما هذه الجيفة التي عكرت بحرك ، ولم لا يشملني
كرمك وجودك مع أن فضلك وعدلك أكبر ، شفيح للعاصي والمطيع ، وذكر
البيتين تأييداً لما قاله في نثره ، والاول للبحثري والثاني مأخوذ من قول الحماسي :
هبيني ظلوماً نلت بهمساء قصاصاً فأين الأخذ عازاً بالفضل

(٩) تشنية حنان ، وهو الرحمة (١٠) جمع زبية ، وهي حفرة تحفر لصيد الأسد
في مكان مرتفع لا يعلوه الماء فإذا وصل إليه السيل كان مجحفاً : يريد بذلك مزيد
استرحام سيده من حيث يقول له : حنانيك ، أي رحمة إثر رحمة أطلبها منك
فإن الذل والهوان قد وصلا الغاية ، والصغار والاحتقار قد بلغا الغاية : وقوله بلغ
السيل الزبى مثل عربي يضرب في بلوغ الشيء غايته (١١) امتنعت : ولقد أحسن =

وقال لي نوح^١ اركب معنا فقلت سأوي^٢ إلى جبل يعصمني^٣ من الماء ، وأمرت ببناء صرح^٤ لعلني أطلع إلى إله موسى ، وعكفت^٥ على العجل ، واعتديت^٦ في السبت ، وتعاظيت^٧ ففقرت^٨ ، وشربت من النهر الذي = كل الإحسان وتلاطف ما شاء في عطف قلب سيده وطلب العفو عما اجترح من جريمته بأبلغ عبارة وأدق إشارة مبدعاً في وصف ما لاقاه من العقاب والشكال ، وأنه لو قسم على ذري الذنوب من الأولين والآخرين لكان كافياً لشكفير تلك الذنوب جزاء وفاقاً ، ملجأ إلى ذوي الذنوب المشهورة ووقائع الآثام المأثورة . فقال : وما أراي ... إلخ . يشير إلى ذنب إبليس وهو امتناعه واستكباره عن السجود لأدم من حيث أمره الله بذلك « فأبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » .

(١) سألجأ (٢) يحفظني ، يشير إلى ذنب ابن نوح ، وهو مخالفته لأبيه من حيث قال له لما عم الطوفان وصعد السفينة هو ومن آمن معه : « يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » فخالف أباه وقال : سأوي ... إلخ . (٣) قصر ، يشير إلى ذنب فرعون ، وهو إنكاره الإله وادعاؤه أنه هو الإله الحقيقي ؛ وذلك حينما أتاه موسى عليه السلام بالإيمان بالله ، فقال فرعون « يا أيها الملأ مسا علمت لكم من إله غيري ، فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً » : الآية . (٤) واظبت ، يشير إلى ذنب بني إسرائيل وهو عبادة العجل ، وذلك أنه لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه قام رجل صانع من قبيلة يقال لها سامرة كانت تعبد البقر وقال لبني إسرائيل إن الحلي الذي استعرقوه من المصريين وبقي معكم بعد غرقهم لا يحل لكم فادفنوه حتى يأتي موسى ويرى رأيه فيه ، ففعلوا ، فأخذوه وصاغه عجلاً ووضع فيه القبضة التي أخذها من أثر حافر فرس الحياة فرس جبريل عليه السلام ، فصار العجل يشي ويخور ، فقال لبني إسرائيل هذا إلهكم وإله موسى نسيه وذهب لطلبه ؛ فافتن به كثير منهم واتبعوه ٥ . جاوزت ، يشير إلى ذنب بني إسرائيل وهو انتهاك حرمة السبت ، وذلك أنهم نهوا عن الاصطياد فيه وكانت الحيتان تأتي فيه بكثرة رافعة خراطيمها حتى تغطي الماء ولا تأتي في غيره فتجبلوا بعمل حيضان متصلة بالبحر فإذا جاءت عشية الجمعة فتحوا الاتصال فتدخل الحيتان في الحيضان فيأخذونها يوم الأحد ، ولما أمهل الله عقوبتهم استحلوا الصيد يوم السبت فحاق بهم العذاب . (٦) تعاظى : قام على أطراف أصابع رجله ثم رفع يديه وضرب (٧) عقر البعير بالسيف فانعقر ، أي ضرب به قوائمه . يشير إلى ذنب قدار وهو قتل ناقة صالح عليه السلام ، وذلك أن امرأة يقال لها عنيزة لها مال وبنات حسان ، وأخرى يقال لها صدوق بنت الحيا صاحب أوثانهم ، كان زوجها أسلم وأنفق ماله على صالح =

ابتلى الله^١ به جيش طالوت ، وقُدت الفيل لأبرهة^٢ ، وعاهدت^٣ قريشاً على ما في الصحيفة ، وتأوّلت^٤ في بيعة العقبة^٥ ، واستنفرت إلى العسير^٦

= واتباعه ، وكانتنا من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام ، فدعت صدوق مصدقاً لنفسها على قتل الناقة ، ودعت عنبرة قدراً على ذلك أيضاً فذهبوا تبعهم أشقياء ثمود وكن كل منها في أصل صخرة ، ولما مرت الناقة رماها بسهم فأصاب ساقتها ، وشد عليها قدّار بسيفه فأبان عروقها ، ثم نحروها .

(١) اختبر ، وهو يشير إلى ذنب معظم جيش طالوت عليه السلام وهو مخالفتهم له حينما اشتكوا له قلة الماء ، وهم ذاهبون للقتال ، فقال لهم : « إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده » فخالفوا وشربوا إلا قليلاً منهم . (٢) كان عامل اليمن من قبل النجاشي ، يشير إلى ذنب أبرهة وهو ذهابه لهدم الكعبة ، وسبب ذلك أنه بنى كنيسة بصنعاء ليصرف الناس عن الكعبة فأتى رجل كناني ولوثها بالعدرة ، وأتى أقوام من تجار قريش واضرموا ناراً بجانبها فهبت الريح فأحرقتها ، فغضب النجاشي لذلك ؛ وقام أبرهة وأخذ الفيلة وفي مقدمتها فيل النجاشي المسمى محموداً ليهدم الكعبة إرضاء له ، ولما وصل إليها وجه الفيل نحوها فأبى ، فوجهه إلى اليمن فقام مهزولاً ، وبعد ذلك أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فأهلكتهم . (٣) أعطيتهم عهداً وميثاقاً ، يشير إلى ذنب قريش ، وهو اتحادهم على عدم نصره الدين ، وذلك أنهم لما رأوا أن الدين أخذ في النمو وأن حمزة وعمر أسلموا تعاقدوا على مهاجرة بني هاشم وبني عبد المطلب ، وعلى قطع العلائق بينهم تماماً وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة عهداً لذلك . (٤) خالفت . (٥) طريق وعرف في الجبل ، يشير إلى ذنب من نقض بيعة العقبة ، وبيعات العقبة ثلاث ، ولم يتأول فيها أحد ، فذكره لها على سبيل الفرض ، أي هب أي خالفت الإجماع وتعديت الحد وفعلت ما لم يفعله أحد .

(٦) العير - بالكسر - الإبل التي تحمل الميرة ، وهو يشير إلى ذنب ضمضم الغفاري وهو استنهاز قريش لأبي سفيان ، وذلك أن أبا سفيان بن حرب كان آتياً من الشام في عير ، فذهب رسول الله لقتاله ، فشمع بذلك أبو سفيان ، فاستأجر ضمضاً المذكور ليخبر قريشاً ، فذهب وصرخ ببطن الوادي واقفاً =

بيدر ، وانخذلت ١ بثلث الناس يوم أحد ٢ ، وتخلفت ٣ عن صلاة العصر في بنى قريظة ٤ ، وجئت بالإفك ٥ على عائشة الصّديقية ، وأنفت ٦

= على جمل قد جدعه ، وحول رحله وشق قميصه قائلاً : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة . اموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لأرى ان تدركوها ، الغوث الغوث ، فتجهزوا جميعاً وذهبوا إليه ، وحصلت الواقعة الشهيرة المسماة بغزوة بدر الكبرى ، وفيها انتصر النبي عليه الصلاة والسلام انتصاراً باهراً .

(١) خذله : ترك عونه وذرته (٢) أحد ، جبل بالمدينة . يشير إلى ذنب أبي ابن سلول رأس المنافقين ، وهو رجوعه من الجيش هو ومن معه من المنافقين ، وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام لما خرج الى أحد ومعه ألف من أصحابه لقتال أعدائه ، وكان من رأي أبي ان يمكث النبي في المدينة ، فأبى عليه الصلاة والسلام قبول رأيه موافقاً لمعظم الصحابة ؛ فرجع هو ومن معه من المنافقين ، وقال أطاعهم وعصاني (٣) تأخرت (٤) طائفة من اليهود . يشير إلى حادثة بني قريظة ؛ وذلك أنه عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه من غزوة الخندق قال : من كان سميعاً مطيعاً ؛ فليصل العصر في بنى قريظة ، فبعض الصحابة أخذ بظاهر الحديث وصلى العصر هناك بعد مغيب الشمس ، والبعض الآخر رأى أن المقصود الإسراع فصلى في الطريق ، ولما اختلف الفريقان في تعيين المصيب ، ترافعا الى الرسول فحكم بإصابتها وإذا تكون عبارته كناية عن فداحة التخلف عن الذهاب (٥) الكذب ؛ يشير إلى ذنب مسطح وحسان ومن معهما في مجاهرتهما بالسوء لوجهه عليه الصلاة والسلام ، وذلك انه لما ذهب عليه الصلاة والسلام إلى غزوة بني المصطلق ؛ كانت معه السيدة عائشة ، حيث كانت قرعتها ففي العدة ذهبت السيدة لقضاء حاجتها ففاتها الركب ولم ينظر في هودجها فمر صفوان وكان قد تأخر لأمر ما ، فأركبها بعيره وقاده فأشاع هؤلاء ما اشاعوا فبرأها الله تعالى بالآيات البينات ٦١ استكبرت ، يشير إلى بعض الصحابة ، من حيث استكبروا على أسامة وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام جهز جيشاً ليذهب به الى الشام وقال له سر إلى مقتل أبيك فتكلم قوم قالوا : أيؤمر هذا الغلام على المهاجرين الأولين فغضب عليه الصلاة والسلام من ذلك وخرج في مرضه عاصباً وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال ما معناه : ولئن طعنتم في أسامة فقد طعنتم في أبيه من قبل وأنه لأهل لها فاستوصوا به خيراً .

عن إمارة أسامة ، وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فلتنة ^١ ورويت رحي من كتيبة ^٢ خالد ، ومزقت ^٣ الأديم الذي باركت يد الله عليه وضحيئت بأشمط ^٤ عنوان السجود به ، وبذلت لقطام ^٥ .

ثلاثة آلاف وعبد وقينة ^٦ وضرب علي بالحسام المسمم

(١) أي من غير إحكام ولا روية يشير إلى ذنب الشيعة وهو اعتقادهم أن علياً هو الأحق بالخلافة ^٧ ومن سواه غاصب ويقولون ما تقدم. وفي حديث عمر ، «إن بيعة أبي بكر كانت فلتنة وقى الله شرها» فقليل: المراد بالفلتنة الخلسة أي الإمامة يوم السقيفة مالت الأنفس إلى توليها وكثر فيها التشاجر فانترعها واختلسها أبو بكر اختلاصاً ومثل هذه البيعة مهيجة للشر والفتنة فعصم الله تعالى من ذلك ووقى (٢) جيش ، يشير إلى ذنب أبو شجرة السلمي وهو فتكه بجيش خالد في حرب الردة ويشير إلى قوله في ذلك .

ورويت رحي من كتيبة خالد واني لأرجو بعدها أن أعمرا

(٣) قطعت (٤) الجلد ، يشير إلى ذنب أبي لؤلؤة وهو قتل عمر عليه الرضوان وذلك أن أبا لؤلؤ طلب منه أن يخفف عنه جعل سيده فقال له: إنه ليس بكثير وإنك لصانع مجيد وأريد أن تصنع لي رحي. فقال : سأصنع لك رحي يسمع دويها أهل المشرق والمغرب وكن له حتى طعنه في صلاة الصبح ومات بسبب ذلك ويشير إلى ذلك ما قاله بعضهم في رثائه :

جزى الله خيراً من إمام وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

(٥) مختلط شعر الرأس: يشير إلى ذنب بعضهم وهو قتل عثمان عليه الرضوان وذلك أنه وفد عليه وفود كثيرة من الجهات يشكون عماله فأرضاهم وأرسل محمد بن أبي بكر ليكون والياً على مصر فبينما هو ذاهب إذ رأى عبداً على هجين يستحمه فأحضره وفتشه فوجد معه كتاباً من الخليفة إلى عامل مصريقول: إذا أذاك محمد ومن معه فتحميل في قتلهم ، فرجع محمد وأعطى الجواب لعثمان فأقر بأنه خط كاتبه وهذا ختمه وعبدته وهجينه وأنه لم يرسله ، فطلب منه أحد أمرين: الاعتزال أو إعطاءه كاتبه الحكيماً فأبى فحصلت الفتنة وحاصروه إلى أن قتل ، ويشير إلى ما قاله بعض نعاته: ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسديحاً وقرأنا

(٦) اسم امرأة ٧ جارية : يشير بذلك إلى ذنب ابن ملحم وهو قتل علي كرم الله وجهه وذلك أن هذه المرأة أعجبت له لنضارتها فأراد أن يتزوجها فطلبت ما في البيت . فقال لها : لك ما طلبت . وقال البيت وبعده :

وكتبت إلى عمر بن سعد : أن جعجع^١ بالحسين ، وتمثلت عندما بلغني من وقعة الحرة^٢ :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
ورجمت^٣ الكعبة ، وصلبت العائد على الثنية^٤ ، لكان فيما جرى علي^٥ ما
يحتمل أن يكون ذكالا^٦ ، ويدعى ولو على المجاز عقاباً .
وحسبك من حادثات بأمرى* ترى حاسديه له راحميناً

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم
(١) ضيق : يشير إلى ذنب عبيد الله بن زياد وهو تحريضه على قتل الحسين ،
وذلك أنه أبى مبايعة يزيد وأراد الذهاب إلى الكوفة من حيث أنهم طلبوا مبايعته
فأخبر يزيد عامله هناك عبيد الله بن زياد بذلك فأرسل لقتاله عمر بن سعد ولما
أبطأ جهز له «شمرأ» وكتب عبيد الله له ما تقدم فانتشبت الحرب بينها وانتهت
باستشهاده رضي الله عنه ٢ أرض بظاهر المدينة كانت بها الوقعة بين عقبة بن
مسلم وأهل المدينة . يشير إلى ذنب يزيد وهو تشفيه من أهل المدينة وذلك أنه
أرسل عقبة بن مسلم إلى محاربة أهل المدينة وإباحتها ثلاثة أيام فقتل وأسرف
وأباح . فلما بلغ يزيد ذلك قال بيت ابن الزبير المذكور مظهرأ لما في الضمير
المستتر وهو كراهة الأنصار والمهاجرين . (٣) رميت بالحجارة (٤) الملتجئ
(٥) طريق العقبة : يشير إلى ذنب الحجاج وهو رجمه الكعبة وصلبه عبد الله بن
الزبير وذلك أنه لما حاربه التجأ عبد الله وأصحابه إلى الكعبة فنصب الحجاج
المنجنيق عليها ورجمها وبعد ما انتصر عليه صلبه منكساً وآلى أن لا ينزله إلا
إذا شفعت أمه فيه فبعد سنة مرت عليه أمه وقالت أما أن لهذا الفارس أن
يترجل فاعتبر قولها شفاعاً وأنزله . ومن قولها لابنها يوم مقتله : يا بني لا تقبلن
منهم خطئاً تخاف منها على نفسك الذل مخافة القتل فوالله لضربه بالسيف في عز ،
خير من ضربة بالسوط في مذلة . فقال لها : إنما أخاف المثلة . قالت : يا بني إن
الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها (٦) حصل لي (٧) عذاباً يريد أني لو أتيت
بهذه الذنوب كلها لكان ما حصل لي من التعذيب والإهانة والذل والاستكانة كافياً
لتمحيص هذه الذنوب كيف لا وقد صرت إلى حالة يرثي لها العدو والحبيب
والبعيد والقريب ، وذلك أدل على طلب الرحمة وأحكم في الاستعطاف والبيت
الذي ذكره للعتي .

* والأصح : وحسبك من حادث بأمرى

فكيف ولا ذنب إلا نميعة^{١٠} أهداها كاشح^{١١} ! ونبا^{١٢} جاء به فاسق
وهم الهمازون^{١٣} المشاؤون^{١٤} بنميم^{١٥} ، والواشون^{١٦} الذين لا يلبثون^{١٧} أن يصدعوا^{١٨}
العصا ، والعواة^{١٩} الذين لا يتركون أديما^{٢٠} صحيحا^{٢١} ، والسعاة الذين ذكرهم
الأحنف بن قيس فقال : « ما ظنك بقوم الصدق محمود^{٢٢} إلا منهم ؟ »

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة^{٢٣} وليس وراء الله للمرء مطلب
والله ما غشمت^{٢٤} لك بعد النصحة ولا انخرفت^{٢٥} عليك بعد الصاغية^{٢٦} إليك ،
ولا نصبت^{٢٧} لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت^{٢٨} يا سأمك . مع ضمان تكفلت
به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن عليك ، ففيم عبيت^{٢٩} الجفاء^{٣٠} بأذهبي^{٣١} ،

(١) نقل الكلام للافساد (٢) مضمرة العداوة «أهداها كاشح» كناية عن حسن سبك
هذه النميعة وأنه معتنى بها كما يعتنى بالهدية للأمير (٣) خير (٤) المغتابون (٥) النامون
(٦) الذين يزينون الحديث للافساد (٧) لبث بالمكان : اقام به (٨) يشقوا (٩) المضلون
(١٠) الأديم : الجلد ، يريد سعي النام وخبر الفاسق وتزيين الغواة والذين يشقون
عصا الألفة ويمزقون اعراض الناس ويلمح في عبارته إلى قوله تعالى : « يا أيها الذين
آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » الآية ، وإلى قول كثير عزة :

ولا يلبث الواشون أن يصدعوا العصا إذا هي لم يصلب على البري عودها
(١١) شبه : يريد حلفت فلم أترك شبهة في نفسك من براءتي وليس بعد الله من يصدق
القسم به حتى أقسم به وأذهب إليه والبيت للناطقة الدبياني من اعتذارياته للنعيمان .
(١٢) ملت (١٣) الإصغاء (١٤) الناصبي في العرف من كان عدو ألي كرم الله وجهه وهو
ضد الشيعي (١٥) خفت ، يقول أقسم بالله أني مقيم على النصيح لك ثابت على الميل لك
ولم أتحذم مذهب الناصبية مذهبا ولم يستفزني اليأس منك وتلعب بي أيدي الأهواء فإن تقتي
بك وحسن ظني فيك قد ضمنا لي أن اطرد اليأس بالرجاء في عفوك ، وهذا الكلام من
الاستقصاء البديعي يمكن فإنه استوفى جميع عوارض المحبة بحيث لم يبق لقائل قول (لو
ولا ريت استجلابا للرحمة وطلباً للعفو (١٦) لعب وهزل . (١٧) حرمان .

وعاث^١ المعقوق^٢ في مواتي^٣ ، وتمسكن الضياع^٤ من وسائل^٥ ؟ ولم ضاقت^٦ مذاهبي^٦ ، وأكدت^٧ مطالي^٧ وعلام رضيت من المركب^٨ بالتعليق^٩ ؟ بل من الغنيمة بالإياب^{١٠} ؟ وأني غلبني الغلب^{١١} ، وفجر^{١٢} على العاجز الضعيف ، ولطمعتني^{١٣} غير ذات سوار ؟ ومالك لم تمنع من قبل أن أفترس ؟ وتدركني ولما أمزق^{١٤} ؟ ! أم كيف لا تضطرم^{١٥} جوانح^{١٦} الألفاء^{١٧} حسداً لي على الخصوص لك ؟ وتنقطع أنفس^{١٨} النظراء^{١٩} منافسة^{٢٠} لي على الكرامة فيك ،

(١) أفسد . (٢) ضد البر . (٣) وسائل . (٤) الهلاك . (٥) ما أتقرب به (٦) طريقي . (٧) ردت . (٨) الركوب . (٩) المراد تعليق الأمتعة . (١٠) الإياب : الرجوع . (١١) الغلب : المغلوب مراراً . (١٢) فجر : اجتراً . (١٣) ضربتني على وجهي براحتي (١٤) أقطع : يستفهم عن سبب إفساد الجفاء والعقوق لما قدمه من وسائل للرضا حتى ضاقت عليه المذاهب وامتنعت عليه المطالب وحق رضي من عظيم الأمر بصغيره ومن الغنيمة بالرجوع سالماً واجتراً عليه كل ضعيف وغلبه من كان له غلاباً وظلمه من لم يكن له كفؤاً وقد ضمن عبارته من الأمثال ما هو كالسحر الحلال (أولها) إرض من المركب بالتعليق يضرب في القناعة بإدراك بعض الحاجة وثانيها) رضيت من الغنيمة بالإياب يضرب في القناعة بالسلامة وهو مأخوذ من قول امرئ القيس :

لقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب
وثالثها ورابعها مأخوذان من قوله :

فإنك لم يفخر عليك كفأخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب
وقد صحفه ابن زيدون وهو تصحيف حسن وخامسها (لو ذات سوار لطمعتني)
قاله حاتم حينما لطمته جارية وكانت العادة لبس السوار للحرة - والثلاثة تضرب عند العجز والذلة - ويشير إلى قوله المثقب العبدى :

فإن كنت ما أكلت فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق
وفي هذا الاستفهام تخصيص له على إنجاده وسرعة إنقاذه .

(١٥) تنقد . (١٦) أضلاع . (١٧) الأمثال .
(١٨) جمع نفس . (١٩) جمع نظير . (٢٠) رغبة شديدة .

وقد زانستني اسم خدمتك ، وزهاني ^١ وشم ^٢ نعتك ، وابليت ^٣ البلاء الجميل في سباطك ^٤ ، وقمت المقام المحمود على بساطك ^٥ !

ألست الموالي ^٥ فيك 'غر' قصائد هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناء يظلّ الروض منه منوراً ضحى ويخال الوشي فيه منمناً ^٦ !

وهل لبس الصباح إلا برداً ^٨ طرّزته ^٩ بفصائلك ، وتقلدت ^{١٠} الجوزاء ^{١١}
إلا عقداً فصلته ^{١٢} بما ترك ، واستملي ^{١٣} الربيع إلا ثناء أملتته في محاسنك ،
وبث ^{١٤} المسك إلا حديثاً أذعته ^{١٥} في محامدك ؟ ما يوم حليلة بسر
وإن كنت لم أكسك سلباً ^{١٦} ولا حليتك عطلاً ^{١٧} ولا سميتك غفلاً ^{١٨}
بل وجدت أجراً ^{١٩} وجصاً ^{٢٠} فبنيت . ومكان القول ذا سعة فقلت :

(١) الزهو الكبير (٢) علامة (٣) جربت (٤) السمط . الصف من الناس (٥) المتابع
(٦) ضرب من الحرير ذو ألوان (٧) ثوب موشى بألوان فيها البياض - لقد اتى
ابن زيدون من كلام السحر وسحر الكلام بما يكبو دونه قلم البلوغ - وذلك من
الاعتراف لسيده بأنه قد أوقد النار في قلوب الحساد والنظراء بتمهده له بالإنعام
بالصلوات حتى أنطق لسانه فيه بالمدائح التي طلعت من الليل أنجما والثناء الذي
زهرت به الرياض ووشيت به حلل الفضل والبيتان من قصيدة للبحري يعاتب
بها الفتح بن خاقان (٨) رداء (٩) علمته (١٠) لبست (١١) برج (١٢) تفصيل
العقد : جمل خرزة بين كل لؤلؤتين (١٣) طلب الإملاء (١٤) نشر (١٥) أشعته :
والمعنى أن فضائلك التي نشرتها في مدائحك ظهرت للعين ظهور الصباح حتى أنه
لا يضيء إلا بـبها : وأن عقد الجوزاء لم يحسن في مرأى العين إلا لكوني فصلته في
محامدك وكذلك الربيع لم تتضوع الأزهار بنشرها فيه إلا لكونه استملي من الثناء المملوء
بمحاسنك ثم أثبت أن ماتقدم حقائق ثابتة بقوله ما يوم حليلة بسر وهو مثل عربي يضرب
في فشو الأمر وانتشاره (١٦) مسلوباً (١٧) عادم العلامة (١٨) الطين المحروق (١٩) الجير :
أراد دفع ما يتوهم من أنه يتفضل عليه بإذاعة المحاسن ونشر المدائح وأنه اخترع
له هذه السجايا والخلال حيث يقول له : إني لم أمدحك إلا بما هو فيك من
خصائص الخصال وجميل الخلال وإنما أنا صفتها في القالب الذي يلفت الانظار
ويجلى صدا الأفكار .

حاشا^١ لك أن أعد^٢ من العاملة الناصبة^٣ ، وأكون كالذبالة^٤ المنصوبة ،
تضيء للناس وهي تحترق^٥ . فلك المثل الأعلى^٦ ، وهوبك وبني فيك أولى .
ولعمرك^٧ ما جهلت أن^٨ (صريح الرأي^٩) أن أتحوّل إذا بلغتني الشمس
(نبا بي المنزل^{١٠}) واصفح^{١١} عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال فلا أستوطني .
العجز^{١٢}) ولا أطمئن^{١٣} إلى الغرور^{١٤} ومن الأمثال المضروبة : خامري^{١٥}
أم عامر^{١٦} .

(١) تنزيها لك (٢) من النصب : وهو التعب (٣) الفتيلة (٤) الصفة العليا
— بعد أن عمل جهد المستطيع في الثناء عليه أراد أن يستميله بلطف ليجمع
لعمله فائدة ونتيجة فزعه على أن يجعل مثله معه كمثل الكفار حيث عملوا وتعنوا
في الدنيا فيما لم يعد عليهم منه فائدة في الأخرى ، ويشير إلى قوله تعالى :
(وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ، تصلى نارا حامية) الآية وإلى قول العباس
ابن الاحنف :

صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق
وبالغ في التلطف بقوله : فلك المثل الأعلى والصفة العليا من التجاوز والصفح
وأنت أولى من صفح عن زلة المسيء ، وأنا أولى من ادخرت مودته بالصفح عنه ،
وما أحسن قوله وهو بك النخ ، كأنه يقول هو بك أولى وهو بي كذلك إذا كان
فيك فكلا الحالين مخصوص بك وما أطف ما ينسب إلى الإمام الشافعي رضي
الله تعالى عنه في الإمام أحمد بن حنبل :

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله
إن زرت فلفضله أو زارني فلفضله فالفضل في الحالين له

(٥) حياتك^٦ شديدة^٧ نبا بي المنزل : لم يوافقني (٨) أعرض^٩ استوطني .
العجز . اجده لنا سهلا (١٠) أميل (١١) ما يغتر به من متاع الدنيا (١٢) اشترى
(١٣) كنية الضبيع ، يقسم بحياة سيده أنه جهل أن سيد الرأي وجوب التحول
عن مقام الإهانة متى شعر بلحقاها به كما أنه لم يجهل أن الطمع مورد الهلكة وذريعة
الخذلان ومقطع أعناق الرجال وأنه كان عليه أن يرحل ولا يستسهل العجز ولا
يميل إلى الغرور ولكن خابت آماله وانعكست أحواله فكان الغرور نصيبه
والأمل قائده فاغتر كما اغتر الضبيع بقول القائل خامري أم عامر . يشير إلى
قول أبي تمام :

وإني مع المعرفة أن الجلاء ^١ سباء ^٢ والنقلة ^٣ مثله ^٤ :
ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارعَ مظلوم مجرا ومحسبا
وتدفن منه الصالحات وإن يسىء يكن ما اساء النار في رأس كبكبا ^٥
عارف أن الأدب الوطن لا يخشى فراقه ، والحليط ^٦ لا يتوقع زياله ^٧
والنسيب ^٨ لا يخفى ، والجمال لا يُجفى ^٩ .

ثم ما قران ^{١٠} السعد بالكواكب أبهى أثراً ، ولا أثنى خطراً ^{١١} من
اقتران يغنى النفس به ، وانتظامها نسقاً ^{١٢} معه ، فإن الحائز ^{١٣} لهما الضارب
بسهم فيهما ، - وقليل مساهم ^{١٤} - أينما توجه ، ورد منهل ^{١٥} بر ، وحط في
جناب ^{١٦} قبول ، وضوحك قبل إنزال رحله ، واعطى حكم الصبي على أهله

وإن صريح الرأي والحزم بامرئ إذا بلعته الشمس ان يتحولا
وإلى المثل العربي « العجز وطيء » يضرب لمن استلان فراش العجز وقعد عن
طلب المكاسب ؛ وقوله : خامري الخ مثل يضرب لمن عرف الدنيا وتقلباتها ثم عيّل
إليها ويغتر بها .

(١) الخروج عن الوطن (٢) اسر (٣) الانتقال (٤) تنكيل (٥) جبريل
(٦) الخالط (٧) مفارقه (٨) ذو النسب (٩) لا يهجر : بعد ان بين لسيدته انه
لا يجهل ان الصواب التحول اراد ان يبين له انه يعرف ايضاً ان الانتقال فيه
التمثيل والنكال وان العربية كربة والنوى توى وان حسنات الغريب مهجورة
وسيثاته منشورة فقال إني مع معرفتي بأن خروجي من وطني أسري ودفن
لمحاسني وانتقالي منه إلى غيره مع عدم معرفة أهل هذه الجهات بما انا متحل به
من العلوم والآداب والكمالات تنكيل بمحاسني وتضييع لبهجة كلامي فيجهل
قدري وتهضم حقوقي وتدفن مني الصالحات وتشاع على قلتها السيئات غير اني
لا اعد ذلك البناء هو الوطن الحقيقي بل وطني الذي أعول عليه إنما هو ملازم
لي أينما حللت ورتحلت أخشى فراقه وهو سميري الملازم لي فلا اتوقع غيابه وان
النسيب أينما حل فهو معروف والجمال أينما وجد فهو مألوف وحيث هو كذلك فلا
يخشى من الانتقال بأساً ولا من التحول ضياعاً والبيتان للأعشى . والنقلة مثله - مثل
مولد (١٠) مصاحبة (١١) قدرأ (١٢) النسق من الكلام وغيره ما جاء على نظام
واحد (١٣) الجامع (١٤) قليل مامم : يريد بذلك التعريض لسيدته بأنه لا نظير لا
في اخلاقه وآدابه (١٥) عين (١٦) ناحية بعد ان بين ان الأدب كبير النفع عظيم الفائدة =

وقيل له اهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيتٌ صالح ومقيل
غير ان الوطن محبوبٌ ، والمنشأ مألوفٌ ، والليبُ يحُنُّ إلى وطنه ، حنين
النجيب ١ إلى عطنيهِ ٢ . والكريم لا يحفو أرضاً بها قوايله ، ولا ينسى بسلاً
فيها مراضعهُ - قال الأول :

أحبُّ بلاد الله ما بين مَنَمَجٍ ٣ إلى ولسى ان يصوبَ سحابها
بلاد بها حل الشباب تَمَامِي ٤ . واول أرض مسَّ جلدي تدابها

= حتى جعله وطناً في الغربة وفرجة عند الكربة بين انه يكون اكبر نفعاً
واعظم جدوى إذا صاحبه غني النفس فان المتحلي بجلالها القابض على زمامها ايماً
يم فالسعد قرينه والناس اهله يقيمون عليه من كل جانب ويعظمونه كل التعظيم
لأول وهلة او مجرد نظرة ويعطونه حكم الصبي على اهله يفعل ما يريد كالسيد
بالعبيد ويقولون له لقيت اهلاً ونزلت مكاناً سهلاً واسعاً رحباً فأنس ولا تستوحش.
وكن كما تحب وتختار فأنت رب الدار . وقوله ما قران السعد الخ اخذه من
قوله البستي :

واتم الأشياء نوراً وحسناً بكر شكر زفت إلى صهر بر

ما قران السعد بالحوت أبي منظرأ من قران بر وشكر

وقوله اعطى حكم الصبي الخ : عبارة كانت تقولها العرب في مدح من نزلوا عنده
واكرمهم واصل البيت المذكور :

فقلت له اهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح وصديق

(١) النجيب من الإبل الفحل الكريم (٢) مبارك الإبل حول الماء (٣) جمع قابلة

وهي من تتلقى المولود عند خروجه (٤) اسم مكان (٥) تيمة وهو ما يعلق للطفل
حفظاً له ؛ بعد أن بين له أن سديد الرأي الانتقال وأنه لا يخاف عاقبة ذلك لأدبه
وغنى نفسه أراد أن يبين له السبب الحامل على المكث فقال ان الوطن محبوب
والمنشأ مألوف .

ما من غريب وإن ابدى تجلده إلا سيذكر عند الغربة الوطن

ولا غرو فهو أول أرض وجد بها وأول تربة تضمخ بها جسده وأول بقعة نما فيها
فكره وأول جهة قضى فيها الشباب مآربه مع إخوان واحباب وخلان وارتاب
- فاذا تذكر هذه الجهات تخيل له رغد العيش وحسن الحال ورأى اغصان شبابيه
تميد على تلك الاوطان وتمايل مع النسيم تمايل البان فيحن إليها حنين الغريب =

هذا إلى مغالاتي^١ بعقد جوارك ، ومُنَافِسي^٢ بلعظة من قرئك واعتقادي
الطمع في غيرك طمع^٣ والغنى من سواك عناء^٤ ، والبدل منك أعور ، والعوض
لغاء^٥ ، وكل الصيد في جوف الفراء^٥ .
وإذا نظرت إلى اميري زادني ضننا به نظري إلى الأمراء
وفي كل شجر نار ، وأستمجد^٦ (المرخ والعفار)^٦ ، فما هذه البراءة^٧ ممن

= إلى وطنه وأنه ليس من كرم الأصل وشرف المحدث ان يهجر الانسان قوايله
ومراضعه لما لهن عليه من الخير العميم والفضل الجسم أثناء الصغر فالواجب عليه
أن يصلهن في إبان الكبر حتى يحني ثمرات اتعابهن ويسرن بحسن معاملته لهن
والبيتان لبعض الأعراب (١) مجاوزتي الحد (٢) رغبتني فيك على وجه المبالاة
(٣) دنس (٤) خسيس (٥) حمار الوحش ٦ نوعان من الشجر سريعا الوري .
وأستمجد : استفضل وقيل أفتدح على الهوينا - بعد ان بين محبة الوطن وألفة
المنشأ . وسبب ذلك الطبيعي : أراد ان يبين للأمير أن ذلك ليس هو السبب
الوحيد الحامل على المكث بل انضم إليه ما هو أشد منه تأثيراً وأعظم خطراً
ألا وهو شدة محبتي لجوارك وحظوتي بقربك ، وأنت اكرم من حفظ للجوار
حرمة ، وأوضح محبته . واعتقادي بأن الطمأنينة إلى غيرك غرور والثقة
بخلافك خذلان وعدم رضائي بسواك بدلا ولا بغيرك عوضا وكيف استبدل
لغت بالسمن والتعب بالراحة أم كيف أنظر إلى غيرك من الأمراء ، وغيرك فيك :
وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

. نعم وإن اشتهر كوا معك في اللقب إلا أنهم لم يشتر كوا معك في كمال الأدب
وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وفي ذلك من استمالة القلب ما يدهش
اللب وقد جمعت هذه العبارة من الأمثال ما يذري باللال - فأولها « رب طمع
يجر إلى طمع » وثانيها « كل الصيد في جوف الفراء » وهو يضرب لمن يفضل نفسه
على أقرانه وثالثها « البدل منك أعور » يضرب لكل ما لا يرتضى به ، وأصله
أن يزيد بن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلي وكان شحيحا
أعور قال الناس هذا بدل أعور - ورابعها « رضي من الوفاء باللقاء » يضرب لمن
يرضى بالقليل من الكثير - خامسها « وفي كل شجر نار وأستمجد المرخ والعفار »
يضرب في تفضيل بعض المشتركين في صفة على بعض

يتولاك ٢١ والميل' عن لا يميل' عنك ١٢ - وهلا ٢ كان هواك ٣ فيمن هواه فيك ؟ ورضاك فيمن رضاه لك ؟؟

يا من يعز علينا أن تفارقهم وجئنا كل شيء بعدكم عدم
أعيزك ونفسي من أن أشيم ٤ خلبي ٥ ، وأستمطر جهامنا ٦ ، وأكدم ٧
في غير مكدم ، وأشكو شكوى الجريح إلى الغربان والرخم ٨ فما أبست ٩
لك إلا لتدبر ، ولا حركت لك الحوار ١٠ إلا لتحن ، ولا نهيتك إلا لأنام ،
ولا سريت إليك إلا لأحمد الشرى ١ لديك .

(١) مضارع تولاه صار وليه (١) كلمة تخصيص (٣) ميل النفس : بعد أن
يبين له أنه لا يرضى سواه وأنه يفضل جواره على ما عداه وهو مع ذلك يعرض
عنه ولا يميل إليه رجع ينكر عليه ذلك بطريق الاستفهام كما هو الأدب من حيث
يقول كيف تتبرأ مني وأنا أواليك رقيم عني وتهجرني وأنا لا أميل إلا إليك
وهلا هويت من هواك ورضيت من يرضاك والبيت المتنبي (٤) شام البرق : نظر
إلى سحابته أين تظمر (٥) البرق الذي لا يعقبه مطر . (٦) السحاب الذي لا ماء
فيه . (٧) أعض (٧) طائر ضعيف (٩) الإبسار : الرفق (١٠) ولد الناقة
(١١) السير ليلا - يطلب منه أن يجعل لأعماله نتيجة يجني ثمرتها وأن يكون
سيده غارس دوحته وأن لا يجعله كالمسيح المساء من الصخر ، والمستجير عند
كربته بعمرو والمستمطر الجهم والناظر إلى البرق الحلب بل يرسل عليه عطفه
مدراراً ، وأن يصل رحم الجوار بعد القطيعة ويقر عيناً أضرها سهاد الجفوة
وأن يحمد إليه سراه ويحسن عقباه ، ولقد رصع عبارته بجواهر الأمثال وصاغها
في قالب غريب المثل بشير فيها ، إلى قول معد يكرب :

لا تنني بعد إكرامك لي فشد يد عادة منتزعه
لا يكن برقك برقاً خلبي إن خير البرق ما الغيث معه
والى المثل العربي « كـمت في غير مكدم » يصرب إن يطلب شيئاً من
غير أهله وإلى قول المتنبي :

ولا تشكو إلى خلق فتشمتهم شكوى الجريح إلى العقبان والرخم
والى الأمثال العربية : « الإبسار قبل الإناس » وهو يضرب في الرفق « حرك =

وإنك إن سئيت ^١ عقدَ امرئ تيسر ، ومتى أعذرت ^٢ في فك أسرى لم يتعذر ، وعلمك يحيط بأن المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة المروءة .
وفضّل الجاه ^٣ يعوذ به صدقه .

وإذا امرؤ ^٤ أهدى إليك صنيعاً من جاهه فكأنها من ماله
لعلّي ألقى العصا بذاك ^٥ وتستقرّ بي النوى ^٦ في ظلك ، واستأنف ^٧
التأدب بأدبك ، والاحتمال على مذهبك ، فلا أوجيدُ للحاسد بحال ^٨ لحظه ^٩
ولا أدعُ للقادح ^{١٠} مساعٍ ^{١١} لفظه .

= لها حوارها تحن ، وهو يضرب في استنهاض الهمة ، و « لها عمرأ ثم نم ،
يضرب فيمن يعتمد على غيره ، و « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو يضرب
عند حمد العاقبة .

(١) سهلت (٢) بالغت في طلب العذر (٣) المنزل - يقول لسيده : إني ما
كلفتك أيها السيد بارتكاب متون الأحوال ولا بمعاناة الأحوال ولا بعدد نجوم
السماء ولا رمال الدهناء ، وإنما هو أمر يكبر في عين سائله ويصغر عند باذله وهو
في يدك وقبضتك وأنت قادر عليه وإن سهلت عسيوه سهل وإن التمسست المعذرة
انتفتت الصعوبة ، وأنت تعلم - زادك الله علماً - أن النعمة شجرة ثمرها المعروف وأن
المروءة مال زكاتها الشفاعة وشفاعة اللسان أفضل زكاة الإنسان وبذل الجاه رفق
المستعين - وأيد ذلك بالبيت بعده وقوله إن سئيت مأخوذاً من قول بشار :
فبالحق إن عز ما تبغني وقل إذا الله سنى عقد أمر تيسرا

(٤) كل ما استترت به (٥) ما ينويه المسافر من قرب أو بعد (٦) ابتدئ
(٧) جال : طاف (٨) نظره (٩) الطاعن (١٠) ساغ : الشراب سهل مدخله في
الحلق - يقول أرجو من سيدي أن يعفو عن ذنبي وتقصيري ويلبي ندائي ، هذا كي
أسكن في ظلك وكنفك ولا أذهب إلى غيرك وتكون غاية آمالي ومنتهى أسفاري
وأتوب عما كنت مرتكبته و متمسكاً به مما لا يرضيك وأتخلق بأخلاقك وأتمسك
بطريقتك وأحذو حذوك واتبع مذهبك وبذلك لا يجد عدوي في مدار لحظه ولا
الطاعن ما يسوغ من لفظه وقوله لعلّي ألقى الخ حل بيت المعز بن أوز وهو :
وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيننا بالإياب المسافر
(١ - جواهر الأدب ١٤)

والله 'مُيسَّرَك من إطلاي^١ بهذه الطَّلْبَة^٢ وإشكائي من هذه الشكوى ،
بصنِيعَة تُصِيب منها مكان المصنع ، وتستودعها أحفظ مُستودع حسبما أنتَ
خليق^٤ له ، وأنا منك حري^٥ به ، وذلك بيده وهين عليه .

مكاتبات متفرقة

كتب رئيس الجمهورية التركية إلى إحدى الدول الأوروبية :
أيها الوزير الأفخم - إن لفظة تقسيم (تركيا) إفك^١ لا يفوه به عاقل ، ولا
يتصوره إنسان ، تكاد تنفطر له السماء دهشة ، وترتج له الأرض وحشة ، بل
تخِرّ دونه الجبال ، وتنفك عنده الآمال ، كأن أوربا تستطيعه ، ولكنها لم
تفعله ولن تفعله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، ف « قل اللهم مالك الملك ،
تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتُعزّز من تشاء ، وتذل من
تشاء » بيدك الخير إنك على كل شيء قدير .

تقسيم تركيا : كلمة ليست أكبر من أوربا فقط ، بل هي أكبر من منظومة
هذا العالم الشمسي ، الذي تراه ، أو تسمع به ، إن كنت لا تراه ، فلا يليق أن
يفوه به إلا فم القدرة الإلهية « القائم على كل نفس بما كسبت » ، والله غالب على
أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

تقسيم تركيا : ربما يكون ، ولكن متى يكون ؟ حينما يتحلى وجه البسيطة
بدمائنا الطاهرة الزكية ، يوم ترى الأرض لابسة تلك الحلة الأرجوانية الثمينة ،
حيث تمشي الدماء على فيروزج الفضاء بحاطة كواكب الوجود بكتائب جنود
العدم المطلق : لا أرض لمن تقيل^١ ، ولا سماء لمن تظلل ، ولا قائم موجود ، ولا دائم

- (١) إسماعيلي (٢) ما أطلبه (٣) إزاء ما أشكوه (٤) جدير (٥) حقيق : يقول -
لسيده والحمد لله الذي سهل لك مطلبتي وإسماعيلي وإزالة ما أشكوه من آلام السجن
بمعروف تبذله لأهله وتحفظه عند أمين لوقته حسبما يقتضيه كرم أخلاقك ورجيل صفتك
وأنا أحق الناس به لمودتي لك وإخلاصي في ولائك وما ذلك عليك بمعز :
إن الصنِيعَة لا تكون صنِيعَة حتى تصيب بها مكان المصنع

مقصود - هنالك تتحدث شياطين الخيال في أندية المحال بحديث ذلك التقسيم المشنوم ، ولا من سميع ، ولا من مجيب ؛ فالويل 'ثم الويل يوم ذلك التقسيم الموهوم' والشثور ثم الثبور إذا تنزلت السماء بقضاء ذلك الهول المقسوم : « إن في ذلك لبلاغاً لقوم يتفكرون » .

وكتب ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ في شكر صديق له على مراسلته إياه : وصل ما وصلتني به ^١ (جعلني الله فداك) ^٢ من كتابك ، بل نعمتك التامة ، ومنتك العامة ^٣ فقرت عيني بوروده ^٤ ، وشفيت نفسي بوفوده ^٥ ، ونشرته فحكى نسيم الرياض غيب المطر ^٦ ، وتنفس الأنوار في السحر ^٧ ، وتأملت مفتحه وما اشتمل عليه من لطائف كملك ، وبدائع حكك ^٨ ؛ فوجدته قد تحمل من فنون البر عنك ^٩ ، وضروب الفضل منك ^{١٠} ؛ جداً وهزلاً ^{١١} ما ملأ عيني ، وغمر قلبي ^{١٢} ، وغلب فكري ، وبهر لبّي ، فبقيت لا أدري ! أسموط درّ خصصني بها ^{١٣} ؟ أم عقود جوهر منحنتها ^{١٤} ؟ ولا أدري : أجدك أبلغ وأطف ؟ أم هزلك أرفع وأظرف ؟ وأنا أوكل بتبع ما انطوى عليه نفساً

(١) ورد إلي كتابك الذي ربطتني به معك (٢) فداك : أي وضعني الله مكانك في كل مكروه حتى تخلص منه (٣) أي الذي ورد إلي هو خطابك الذي أعده بمنزلة نعمتك العمومية وجملك الشامل (٤) فاطمأن قلبي بوصوله إلي (٥) وطابت نفسي بمجيئه إلي (٦) ونشرته أي فتحته فحكى نسيم الرياض غيب المطر أي يشبه الريح التي تهب من البساتين بعدما نزل المطر عليها (٧) وأشبهه تفتح الأزهار في أواخر الليل (٨) أي وتدبرت في صدره رقي الكلمات اللطيفة التي أودعتها فيه والحكم البديعة التي نثرها فيه (٩ و ١٠) أي شاهدت منه أنواعاً من الإكرام أثبتتها فيه ، وأصنافاً من الأفضال دونتها فيه (١١) من الأمور الهامة الجديدة والأمور المفرحة المازحة . (١٢) ملأ عيني : يعني صرفها عن النظر إلى غير إحسانك - وغمر قلبي أي : لم يدع له منصرفاً إلى غير أفضالك (١٣) وغلب في فكري أي : استحوذ على عقلي ، وبهرني أي راع عقلي وسباه (١٤) أي عقود در قصرتها علي (١٥) ومنحنتها أي أعطيتها .

لا ترى الحظ إلا ما اقتنيت منه ^١ ، ولا تعدّ الفضل إلا فيما أخذته عنه ، وأمتنع
بتأمله عيناً لا تقرُّ إلا بمثله ، مما يصدر عن يدك ، ويرد من عندك ، وأعطيه
نظراً لا يمل ، وطرفاً لا يطرف دونه ^٢ ، وأجعله مثلاً أرسمه وأحتذيه ^٣ ،
وأمتنع خلقي برونقه ، وأغذي نفسي ببهجه ، وأمزج قريحتي برقته ، وأشرح
صدري بقراءته ، ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزاً ، وفي تعديد ما ذكرته
متخلفاً ، لقد عرفت أنه ما سمعت به من السّحر الحلال .

ومن كتاب للمرحوم السيد توفيق البكري في سفرته إلى الآستانة العلية :
كتابي إلى السيد الأجل ، وأنا أحمد الله إليه ، وأدعو أن يديم النعمة والسلامة
عليه ، وبعد : فلما اعتزمت على الرحلة هذا العام ، إلى قبة السلام ، ودار خلافة
الإسلام ، وفارقت مصر ، وساكنها ، وأرباضها ^٤ ، ومواطنها ، ركبت سفينة
عند وليّة ^٥ إلى الثغور الفرنجية ، فجرت في خضم ^٦ عجاج ، ملتطم الأمواج ، له
دويٌّ من جرجرة ^٧ الآذي ^٨ أخضر الجلد ، كأنه إفرند ^٩ تصخب ^{١٠} فيه
النينان ^{١١} ، وتجري في جوفه الدعاميص ^{١٢} والحيتان ، إذا مازجه الأصيل ^{١٣}
بالعشي خلسته كسّرت ^{١٤} عليه الحلى ، أو مزج بالريحق ^{١٥} القنطريِّل ^{١٦} ،
وإن لاحت به نجوم السماء ، خلته صفائح من فضة بيضاء سمرت بسمامير صفار
نضار ^{١٧} ، وأخذت السفينة تشقّ عبابه ^{١٨} ، وتفلق حبابه ^{١٩} بين ريح
رُخاء ^{٢٠} ، أو زعزع ^{٢١} هوجاء ^{٢٢} ؛ فهي تارة في طريق مُعبّد ^{٢٣} ،

(١) اكتسبته ، ٢ ، الطرف العين ، يطرف : يطبق جفنًا على الآخر (٣) أرسمه
في فكري وأقتدي به (٤) مساكنها . ٥ . نسبة إلى قرية عدولى بالبحرين أو نسبة
إلى صانعها ، والمقصود أنها أضخم سفينة (٦) البحر . ٧ ، الصوت (٨) الموج
(٩) جوهر السيف (١٠) تختلط أصواتها (١١) جمع نون وهو الحوت (١٢) جمع
دعصوص دودة لها رأسان ترى في الماء إذا قل (١٣) الوقت بعد العصر حتى تغرب الشمس
(١٤) رددت ووضعت (١٥) الخمر (١٦) بضم القاف وسكون الطاء وضم الراء
وتشديد اللام الخمر المنسوب إلى قطر بل قرية بين بغداد وعكبرا مشهورة بالخمر
الجيدة (١٧) الذهب (١٨) الموج (١٩) بفتح الحاء ما يعلو ، ٢٠ ، بضم الراء الرياح
اللينة (٢١) بفتح الزاين الرياح الشديد (٢٢) بفتح الهاء الرياح القوية تقلع الأشجار
والبيوت (٢٣) مذل ومسهل .

ورميث^١ مُسَرَّد^٢ ، وطوراً فوق حَزَن^٣ وقرَدَد^٤ ، أو على صرْح^٥ مُرْد^٦ ، وكان معنا في الفلّك رَهْط من العرب والتُّشْرُك ، فكنا نتوارد معهم في جوائِب^٧ الأخبار ، وُطْرَف^٨ الأحاديث والأَسْمار^٩ ، ما يُزْري^{١٠} بالمنهل العَذْب^{١١} ، واللؤلؤ الرطب ، إلى أن يميل ميزان النهار ، وتفرق ذُكَاة^{١٢} في البحار ، ويُسي الكون من السواد ، في لَبُوس حديد^{١٣} أو لباس حداد ، وتَبْرِقُ نجومُ السماء في أكناف الظُّلُماء ، كأنها سِكاك^{١٤} دِلاص^{١٥} ، أو فلق رصاص ، أو عيون جراد ، أو جرّ في خلال رماد ، أو دُرّ في بحر أو ثقب في قبة الدُّيُجُور^{١٦} ، يلوح منها: النور ، ويبدو الهلال كأنه خنجر من ضياء ، يَشُقُّ طيالس الظلماء ، أو قلادة أو دُمْلُج^{١٧} غادة^{١٨} ، أو سنان^{١٩} لواء الضراب ، أو الليل فيل وهو فاب ، فنأخذ مجلساً نَسَمُه^{٢٠} الكافور ، وأرضه عنبر مذرور^{٢١} رَقِمَتْ فيه زرايئُ مَبْثُوثات^{٢٢} ، ومنابذ^{٢٣} ، وحُسْبانات^{٢٤} ، وأنماط^{٢٥} مفروشة ، وبُسط منقوشة :

بُسط أجادَ الرسم صانِعُها وزها عليه النقش والشكلُ
فيكاد يُقْطَفُ من أزهارها وَيَكاد يسقط فوقها النحلُ

وحوله شموع تزهو ، وأضواء تبهر^{٢٦} ، وقد دارت عليه سُقاة^{٢٧} ،

- (١) الأرض السهلة (٢) منتظم لا صعوبة فيه (٣) الأرض الصعبة
(٤) الأرض المرتفعة الغليظة (٥) القصر (٦) مرد البناء : ملسه حتى صار ناعماً
(٧) الأخبار الطارئة (٨) المحاسن (٩) الأحاديث وأصله لأحاديث الليل (١٠) يعيب
ويحقر (١١) بضم الدال ممنوعة من الصرف اسم للشمس (١٢) بفتح اللام الدرغ
(١٣) جمع سلك المسمار (١٤) بكسر الدال الذي يبرق ويلسع (١٥) الظلام
(١٦) بكسر الدال وزن درهم أو بضمها مع ضم اللام : حلى للنساء يلبسنه في
أيديهن (١٧) المرأة الناعمة لينة الاعطاف (١٨) حديدة الرمح (١٩) نسيمه
(٢٠) منشور (٢١) منشورات (٢٢) جمع منبذة وزن مكنسة الوسادة التي يتكأ
أو ينام عليها (٢٣) جمع حسبانة الوسادة الصغيرة التي يتكأ عليها أيضاً (٢٤) جمع
نسط ، ثوب من صوف يطرح على الهودج ذو لون من الألوان (٢٥) تزهو وتبهر
كلاهما بمعنى تضيء وباهها منع (٢٦) جمع ساق .

كجساع^١ الثريا^٢ ، بأقداح الحميمية^٣ ، وأكواب^٤ الفانيد^٥ المرووق^٦ ، وقوارير^٧ الجلاب^٨ المصفتق^٩ ، ثم تجيء قمينة^{١٠} في يدها ناي ، كأنه صور إسرافيل ، يبحي الرفات^{١١} ، وينشُر^{١٢} الأموات ، حتى إذا بدأ الضياء ، كابتسام الشبقة اللمياء ، دخلنا المضجع لنهجع ، وهلم جراً ، في أيامنا الأخرى .

وكتبت السيدة وردة اليازجية إلى السيدة عائشة تيمور المتوفاة سنة ١٣٠٠هـ : سيدتي ومولاتي — أعرض أنني بيننا أنا ألهج بذكر الطافكم السنية ، وأتنسّم شذا أنفاسكم العبقريّة ، وأترقب لقاء أثر من لدنكم يتعلل به الحاطر ، ويكتحل بإئد مداده الناظر .

وصلتني مكاتبتكم ، فجعلت عن العين أقداءها ، وردت إلى النفس صفاءها ، فتناولتها بالقلب لا بالبنان ، وتصفحت ما في طيها من سحر البيان ؛ فقلت : هذا الكتاب الذي هام الفؤاد به ياليتني قلم في كف كاتبه ولعمري إنه كتاب حوى بدائع المنثور والمنظوم ، وتحلى من درر الفصاحة فأجلب لديه دراري النجوم ، وقد تطلعت على مقامكم العالي بهذا الجواب ناطقاً بتقصيري ، وضممت من مدح سجاياكم الغراء ، وما يشفع لدى مكارمكم في قبول معاذيري ، لا زلت للفضل معدناً ، وللأدب كنزاً وفخراً .

وكتبت السيدة عائشة تيمور إلى السيدة وردة اليازجية المتوفاة سنة ١٣١٣هـ : أستهل براعة سلام تحمل الشوق وسالته ، وتقلد الشفق ما نشقت ناشقة عرف الوداد كفاله ، ولو رضيت المجال ، في صدق المقال ، لنطق بخالص الوفاء

- (١) بالضم ما جمع وانضم بعضه إلى بعض ومراده الغلمان (٢) سبعة كواكب منضمة بعضها إلى بعض (٣) الخمر والمراد الشراب (٤) جمع كوب الكوز المستدير الرأس مغرولة له أو لا خرطوم (٥) نوع من الحلوى فارسي معرب بانيد . (٦) جمع قارورة : ما يوضع فيها الشراب من الزجاج (٧) ماء الورد فارسي معرب (٨) المرووق الصافي (٩) المغنية (١٠) الحطام البالي ، والمراد الأموات (١١) يحبسها (١٢) معناه اتصال الأمر واستدامته .

مدّادُ حروفه، وأقام بأداء التحية العاطرة قبل فضّ ختام مظهره ، ولعمري
قد توجّته أزهار الشفاء ، بلآلىء غراء ، وكلّته زواجر الوفاء ، من خالص
الوداد إلى حضرة من لا تزال تسترّ روح الأسماع بنسيم أنبائها صبايح مساء ، وتتشوّق
الأرواح إلى استطلاع بدر إنسانها الكامل أطرافاً وآناءً ، وبما زادني شوقاً إلى
شوق ، حتى لقد شبّ فيه طفل الشفق عن الطوق ، اجتلائي حديقة «الورد»
القدسية وناجحة الأدب المسكينة ؛ فيالها من حديقة رمتها أحداق الأذهان ، فاقبتبت
نوراً ونوراً وانتشقتّها مسامُ الآذان ، فتملت طرباً وسروراً ، ومنذ سرّحت في
أرجاء تلك البانعة لإنسان العيون ، وشرحت بأفكار البصيرة أسرار ذلك الدُرّ
المصون ، لم أزل بين طرب أتوسّح بوشاحه ، وأتعجب من حسن اختتامه واقتتاحه ،
وجعلت أغازل من نرجس تلك الروضة عيوناً ملكت منّي الحواس وهصرت
من غصون ألفاتها كل ممسوق أهيف مياس ، وأتأدب في حضرة وردّها خوفاً من
شوك سلطانها ، وأن حياتي يجمّل الالتفات ضاحكة عن نفيس جمانة ، وإذا
بالياسمين الغضّ قد ألقى نفسه على الثرى ونادى بلسان الأفصاح : هل لهذه النظرة
نظيرة يا بُنّى ؟ فأشار المنشور بكفّه الخضيب أن لا نظير لتلك الغادة ، ونطق
الزنبق بلسان البيان : لا تكتموا الشهادة ، فعند ذلك صفّق الطير بأ كف الأجنحة
وبشّر ، وجرّى الماء لإذاعة نبأ السرور فعثر بذيل النسيم وتكسّر ، وتمايلت
أغصانها المورقة لسماع هذا الحديث ، وأخذت نسائمها العاطرة في السير الخثيث
إذاعة لتلك البشائر في العشائر ، ونشراً لهذه الفضائل التي سارت مسير المسئل
السائر ، فقلت بلسان الصادق الأمين ، بعد تحقّقي هذا النبأ اليقين ، هكذا هكذا
تكون الحديقة وإلا ، وكذلك كذلك لتكتتب الفضائل وتلى :

وحدّثني يا سعد عنهم فزدني غراماً فزدني من حديثك يا سعد

فتحمّل عني أيها الصديق تحية إلى ربّة هاتيك الحديقة ، واشرح لديها حديث
شغفي بفضلها الباهر على الحقيقة ، واعتذر عن كتابي هذا فقد جاء بمشي

على استحياء ، وكلما حركه الشوق يُبطئه الحياء . وكيف وقد حل في منبع الفضائل والمقام لم يدع مقالاً لقائل ، فكأنني إنما أهدي التمر إلى هجر ، وأمنح البحر الخضم بالمطر ؛ أدام الله معالي تلك الحضرة ، وزادها في كل بهجة ونصرة ، ما لاح جبين هلال ، وبلغ غاية الكمال .

وكتب المرحوم السيد عبدالله النديم سنة ١٣١٤ هـ :

أستاذي وقد وقي ، وملاذي وعمدي - ربيت ، فأحسنيت ، وغذيت ، فأسميت ، مؤدباً ليلاً ، ولنت فسودت ، وجدت فعودت ، مهذباً غيثاً ، وعلمت فأفهمت ، وأشرت فألهمت غرض سهمك ، وقد نلت ما أملت ، فيمن عليه عولت بحسن فهمك :

غلامك الشهير بالنديم من صار في البيان كالنسيم

وكيف لا يكون لساني قوس البديع ، وكلامي السهم السريع ، وأنت باريه ورامي ! أم كيف لا يكون مقامي الحصن المنيع ، وقدري العزيز الربيع ، وأنت معلمه وبانيه ! فوجه جمال العلم أنت غرته ، وإنسان عين العلم أنت قرته ، وحاليه وجاليه . وجبين العقل أنت طرته ، وكتاب الفضل أنت صورته ، وطاليه وتاليه :

على بابك العالي من الفضل راية على رأس أرباب المعارف تخفق
فعلمك جنات وحلمك جنة وكل خيرات وغيثك مغدق
أرى غصن من يدعو إلى الفضل نفسه من الفضل عريانا وغصنك مورق
إذار مت إنشاء فعن صدق فكرة تهادى بأبكاره وغيرك يسرق

وكتب أيضاً في التودد :

بينما أثاراكب لجة بحر الفكر ، مُجد في طلب فريدة بكر ، نارة أغوص
ومرة أسبح وآونة أقف وطوراً أصفح ، لا يقرئي قرار ، ولا يمكنني الفرار ،
ولا يقصر عن طرح شبكي ذراع ، ولا يطوى لسفينتي شرع ، كلما أدركني الملل

هاجت عليّ رياحُ الأمل ، حتى دخلتُ في بحر عجاج ، متلاطم الأمواج ،
فاقتحمت هذا المركبَ الصّعب ، وتهتُ بين الجزائر والشّعب ، فتعلّقت
أفكاري بالسّوّاري والجمال ، وبيتُ بليلة نجوسها كواحل ، لا يرى فيها برّاً ولا
سواحل ، وقلتُ : اشتدادُ الأمر يستدعي ضده ، ولا يأتي الفرجُ إلّا بعد الشدة ؛
وعينيك ما سلّ سيفها على مفترقِ مساهها ، حتى سمعتُ باسمِ اللهِ بحريها
ومرّسها ، فكان من تمام حظّي وسعودي ، أن تركتُ لوجهِ اليمّ واستوتُ
على النّجودي ، وانصرف خوفي وارقباني ، وبادرتُ بطرحِ شبّابي ، فإذا قدّ
ملئتُ بأصداف الجواهر ، وعلقتُ بها شجرة العنبر ، فتفتّح الصّدْف عن دررٍ
يستخدمُ الأقمار ، وفاح العنبر بما أذهب شدي الأزهار

وصرت ما بينها كسرى الزّمان له شمسٌ تناديه في مجلس عطش
ونيلتُ أقصى أمان كنت آملها الأنس في خلّدي والنّور في نظري

ولما جاوزت الطّرف ، بما فيها من الطّرف ، ووقعت عندي الموقع الحسن ،
أردت أن أسومها بشمّن ، فإذا هي دُرّة يتيمة ، لا يقدر لها أحدٌ على قيمة ،
فاستهديتها من ربّها ، لشغفي بحبّها ، وجعلتُ القلبَ لها كنزاً ، والفؤادَ لها
حيرزاً ، ألا وهي (محبّة العزيز الحافظ) أبدع مرثي وأبلغ لافظ .

وكتب إبراهيم بك المولحي المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ يعزي محمود باشا
البارودي :

أنت يا فوق أن تعزّي عن الأحبا ب فوق الذي يُعزّيك عقلا
وبألفاظك اهتدى فإذا عزّا لك قال الذي له قلت قبلا
وقلت الزّمان علماً فما يفر ب قولاً ولا يُجِدّد فعلا

نعم إنك يا محمود ، الخصال وه سامي ، الفِعال ، لأنّك الشّهم المُجَرَّب
لصُرُوف الحدّان ، والعالم الخبير بأحوال الزّمان ، قد أعددت لنوازل المقنّور
نزلاً من الصّبر المأجور ، وصرفت ضيف الشّجون والهجوم ، إلى قرى الفضائل

والعلوم ، وأخذت بيسنة السلف الصالح ، في مقابلة الخطوب الفواحش ، وأنت لا شك عندنا آخذ فيما دهمك اليوم من المصاب العظيم ، بسيرة ذلك الفيلسوف الحكيم بينما هو جالس يوماً في الدرس بين تلاميذه ، إذ جاءه من أخبره بأن ابنه الوحيد مات ، وهو رطب الشباب غض العمر ، فلم يتولته الفزع ، ولم يظهر عليه الاضطراب ، ولم يبدُ على وجهه الكدر ، وما زاد على أن استرجع ، واستمر في قراءة درسه كما كان فلما انتهى منه بادره أحد الحاضرين من أصحابه ممن حيرتهم الدهشة في أمره ، يسأله : كيف لم يسلبه الحزن ثوب الثبات برهة عند مفاجأته بالخبر ؟ فقال له : « لو فاجأتني النازلة على غيرة مني لجزعت وحزنت ولكني ما زلت أقدر لابني منذ يوم ولادته ، حُلول أجله في كل يوم من أيام حياته ، ومثل هذا اليوم كنت أعدّه من زمان طويل ، وكان كلما مضى عام من أعوامه اعتبرته خلسة اختلستها من الدهر ، حتى مضى على هذه العارية عشرون عاماً ، فشكري لله اليوم على أن أبقاها في يدي طول هذه المدة ، يوم مقام الحزن عند غيري لدى استردادها ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم « إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة : أقبضنم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم . فيقول : أقبضنم ثمرة قلبه ؟ فيقولون : نعم . فيقول الله تعالى : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد » وأنت يا محمود - صلوات الله عليك ورحمته لقوله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » أول من يمثّل لحكم القضاء ، ويسترجع عند نزول البلاء ، ويعمل بأدب الدين في التجلّد والتّصبر ، ويأخذ بسيرة الحكماء في التدبّر والتّبسّر :

ومن كان ذا نفس كنفسك حرة ففيه لها من وفها له منسل

وكتب سهل^١ بن هرون المتوفى سنة ٦٤٩ في البخل :

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمتكم الخير ، وجعلكم من أهله . قال
الأحنف بن قيس : معشر بني تميم ؛ لا تُسرِعُوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى
القتال ، أقلّهم حياء من الفِزار . وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب
سَجَمَةً ، فتأمل عياباً . فإنه يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب
العيب أن تعيب ما ليس بعيب ، وقبّح أن تنهى مُرْشِداً ، وأن تُغفِرَ بِشَقِّقٍ ،
وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقديم فاسدكم ، وإبقاء النعمة عليكم ، وما أخطأنا
سبيلُ حُسنِ النّسبة فيما بيننا وبينكم ، وقد تعلمون أنسأما أو ضيناًكم إلا بما اخترناه
لكم ، ولأنفسنا قبلكم ، وشهرنا به في الآفاق دونكم ، ثم نقول في ذلك ما قال
العبد الصالح لقومه « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا
الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » فما كان أحقنا
منكم في حرمتنا بكم ، أن ترغوا حق قصداً بذلك إليكم على ما رعيناه من
واجب حقكم ، فلا العذر المبسوط بلسانكم ، ولا بواجب الحرمة قتم ، ولو كان
ذكر العيوب يراد به فخر ، لرأينا في أنفسنا عن ذلك شغلاً .
عبدتموني بقولي الخادمي : أجيد العجّين فهو أطيب لطفه ، وأزيد في
رعيته^٢ وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « امْلِكُوا العجّين » فإنه
أحد الرّيعين .

وعبدتموني حين ختمت على ما فيه شيء ثمين من فاكهة رطبة نقيّة ، ومن

-
- (١) هو من أبناء الفرس وكان من رجالات البلاغة والعلم والحكمة في دولتي
الرشد والمأمون وقد وضع كتاباً حاكياً به كتاب « كلیلة ودمنة » وسماه « ثلّة
وعفرة » وكان قيم بيت الحكمة « مدير دار الكتب » في عهد المأمون .
(٢) الرّيع النماء والزيادة (٣) إملاك العجّين : إنعام عجيته .

رُطبة غريبة، على عبدٍ نهم، وصبي جشيع، وأمة لكنعاء^١، وزوجة مضيمعة .
وعبثتهوني بالحتم ، وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق^٢ وعلى كيس
فارغ . وقال : « طينة خير من طينة »^٣ فأمسكتم عن ختم على لا شيء، وعبثتم^٤
من ختم على شيء .

وعبثتهوني أن قلت للغلام : « إذا زدت في المرق فزد في الإنضاج ، ليجتمع
مع التأدم باللحم طيب المرق » .

وعبثتهوني بخصف النعل ، وتصدير^٥ القميص ، وحين زعمت أن
المتخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالشد ، وإن الترقيع من الحزم ،
والتفريط من التضییع ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله
ویرقع ثوبه ، ويقول : « لو أهدى إلي ذراع لقبلت ، ولو دعيت إلى كراع
لأجبت » . وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يلبس الخلق ، وبعث زياد رجلا
يرتد له 'محدثا' واشترط عليه أن يكون عاقلا ، فأراه به موافقا ، فقال له : أكننت
به ذا معرفة ؟ قال : لا . ولكنني رأيت في يوم قانظ ، يلبس خلقا ، ويلبس
الناس جديدا . فتفرست فيه العقل والأدب . وقد علمت أن الخلق في موضعه ،
مثل الجديد في موضعه ، وقد جعل الله لكل شيء قدرا ، وسما به موضعا ،
كما جعل لكل زمان رجالا ، ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسم ، وأمات
بالدواء ، وأغص بالماء . وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسبين ، كما زعموا أن قلة
العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنز ، وأمر مالك بن أنس
بفرك النعل . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل
دجاجة ؛ ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية . وقال رجل لبعض الحكماء :
أريد أن أهدي إليك دجاجة ، فقال : إن كان لابد فاجعلها بيوضا .

(١) الكعاء : الحمقاء (٢) المزود : وعاء الزاد والسويق : شراب يتخذ من
الحنطة أو الشعير (٣) طينة من طان الشيء أي ختمه بالطين و«طينة» من الطوى وهو
الجوع (٤) خصف النعل : خرزها (٥) تصدير القماص : أن يجعا لصدره بطانة .

وعبثتموني حين قلت : من لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالي . ولقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية ، فلما صرّت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التسويف عليها من وضیعة ^١ الماء ، وجدّدت في الأعضاء فضلاً عن الماء ، فعملت أن لو كنت سلكت الاقتصاد في أوائله لخرج آخره على كفاية أوّله ، ولكان نصيب الأوّل كنصيب الآخر . فعبثتموني بذلك وشنّعتهم عليّ ، وقد قال الحسن : وذكر السرف : « أمّا إنه ليكون في الماء ، والكلأ » فلم يرض بذكر الماء حتى أردفنه الكلأ .

وعبثتموني أن قلت : لا يفترن أحدكم بطول عمره ، وتقنيس ظهره ، ورقّة عظمه ، ووهن قوّته . وأن يرى نحوه أكثر ذرّيته ! فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يده ، وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعله يكون مُعتمراً وهو لا يدري ، وممدوداً له في السن وهو لا يشعر . ولعله أن يرزق الولد على اليأس ، ويحدث عليه من آفات الدهر ما لا يخطر على بال ولا يدركه عقل ، فيستردّه من لا يردّه ، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه ، أصعب ما كان عليه الطرب ، وأقبح ما كان به أن يطلب ، فعبثتموني بذلك . وقد قال الأول :

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

وعبثتموني بأن قلت : بأن السرف والتبذير إلى مال المواريث ، وأموال الملوك ، وإلى ما لا يعمرّض فيه بذهاب الدين . واهتمام العيرض ، ونصيب البدن واهتمام القلب أسرع ، وأن الحفظ للمال المكتسب ، والغنى المحتلّب أقرب ، ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدخل ، فقد أضاع

(١) الوضيعة هنا : النقص .

الأصل ومن لم يعرف للغنى قدره ، فقد أوزن بالفقر ، وطاب نفساً بالذل .
وعبتموني بأن قلت : إن كَسَبَ الحلال ، يضمن الإنفاق في الحلال ، وإن
الخبث يَنزِع الخبيث ، وإن الطيب ، يدعو إلى الطيب ، وإن الإنفاق في
الهُوى حجاب دون الهدى ، فعِيتم عليّ هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أرَ
تبذيراً قط إلا وإلى جنبه تضييع ، وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من
أين أصاب الرجل ماله ، فانظروا فيماذا يُنفقه ، فإن الخبيث إنما يُنفق في
السرف ، وقلت لكم بالشفقة عليكم ، وحسن النظر مني لكم ، وأنتم في دار
الآفات ، والنحوائح غير مأمونات فإن أحاطت بآفة لم يرجع إلا
إلى نفسه ، فاحذروا النقم باختلاف الأمكنة فإن البلية لا تجري في الجميع ،
إلا بموت الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد والامة والشاة والبعير : فرتوا
بين المنايا . وقد قال ابن سيرين لبعض البصريين : كيف تَصْنَعُونَ بأموالكم ؟
قالوا نُفَرِّقُها في السفن : فإن عطِبَ بعض سلم بعض ، ولولا أن السلامة أكثر ما
حَمَلْنَا أموالنا في البحر ، قال ابن سيرين « تحسبها خرقةء وهي صناع » .
وعبتموني بأن قلت لكم عند إشتاقي عليكم : إن للغنى لسُكرا ، وللمال
لنزوة ^٢ ، فمن لم يحفظ الغنى من سكره ، فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال
بخوف الفقر فقد أهمله .

فعبتموني بذلك ، وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أقصر عقلاً من غنيٍّ
أمنَ الفقر ، وسُكر الغنى أكثر من سُكر الخمر ، وقد قال الشاعر في يحيى بن
خالد ابن برمك :

وَهوبٌ تِلَادُ المَالِ فيما يَنوبه مَنوعٌ إذا ما منعه كان أحزماً
وعبتموني حين زعمت أني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يفاد العلم ،

(١) هذا مثل يضرب لمن تظن فيه الغفلة وهو فطن يقط .

(٢) النزوة : الثورة - أو الوثبة .

وبه تقوم النفس ، قبل أن تعرف فضل العلم . فهو أصل ، والأصل أحقّ بالتفضيل من الفرع . فقلتم : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟ قال : العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال ، وجهل الأغنياء بحق العلم . فقلتم : حالهما هي القاضية بينهما : وكيف يستتوي شيء حاجة العامة إليه ، وشيء يعني فيه بعضهم عن بعض ؟؟

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم ، والفقراء بالتخاذه الدجاج . وقال أبو بكر رضي الله عنه : إني لأبغض أهل بيت يُنفِقون نفقة الأيام في اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده : إذا بسط الله لك الرزق فابسط ، وإذا قبض فاقبض .

وعبتموني حين قلت : فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت إذا احتيج إليها استعملت ، وإن استغني عنها كانت عبدة . وقد قال الحُصَيْن بن المُنْذِر : وَدِدْتُ أَنْ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا لَا أَنْتَفِعَ مِنْهُ بِشَيْءٍ . قيل له : فما كنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخدمني عليه ، لأن المال يخدم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى : فلو لم يكن فيه إلا أنه عزّ في قلبك وذلّ في قلب عدوك ، لكان الحظّ فيه جسيماً والنفع فيه عظيماً .

ولسنا ندع سيرة الأنبياء ، وتعليم الخلفاء ، وتأديب الحكماء ، لأصحاب اللهو ولستم عليّ تردّون ولا رأيي تقتنّدون . فقدّموا النظر قبل العزم . وأدرّكوا مالكم قبل أن تُدرّكوا مالكم . والسلام عليكم .

الكلام على الرسائل العلمية

الرسائل العلمية ، هي : مقالات في المطالب العلمية أو المسائل الأدبية ، وإنشأ سُمّيت بالرسائل ، لأن أصحابها يرسلونها إلى من اقترحها عليهم ، ويسلك

فيها صاحبها مناهج الاسترسال ، والمحاطبات البليغة . وقد أفردنا لها كتابنا « أسلوب الحكيم - في منهج الإنشاء القويم » فارجع إليه إن شئت .

الفن الثاني في المناظرات

للمناظرة ثلاثة شروط : (الأول) : أن يجمع بين خصمين متضادين ، أو متباينين في صفاتها ، بحيث تظهر خواصها كالترسيخ ، والحريف ، والصيف ، والشتاء . (والثاني) : أن يأتي كل من الخصمين في نصرته لنفسه ، وتقنيده مزاعم قهرنه ، بأدلة من شأنها أن ترفع قدره ، وتحط من مقام الخصم ، بحيث يميل بالسامع عنه إليه . (والثالث) : أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغاً حسناً . وترتّب على سياق يحكم ليزيد بذلك نشاط السامع ، وتنمي فيه الرغبة في حلّ المشكل .

ولنذكر لك عليها شذرات من أقوال الكتّاب فنقول :

مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى أنوشروان في شأن العرب

روى ابن القطامي عن الكليني قال : قدّم النعمان بن المنذر على كسرى : وعنده وفود الروم ، والهند ، والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم - فاقتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى وأخذته عزة الملك : يا نعمان ، لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حالة من يقدم عليّ من وفود الأمم - فوجدت الروم حظاً في اجتماع ألفتها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها وثيق بُنيانها . وإنّ لها ديناً يُبَيِّن حلالها وحرامها ، ويردّ سفهها ويقيم جاهها - ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطيبتها ، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددّها ، وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها وفروسيّتها ، وهرمتها في الحرب وصناعة الحديد ، وأن لها ملكاً

يُجمَعُهَا - والترك والخزَرُ على ما بهم من سوء الحال في المعاش ، وقسلة الرِّيف
والثمار والخصُون ، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك
تضمّ قواصيصهم ، وتُدبّر أمرهم ؛ ولم أرَ للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر
دين ولا دنيا ، ولا حزم ، ولا قوة ؛ ومع أن مما يدلّ على مهانتها وذُلّها ، وصغر
همتها ، محيلتهم التي هم بها مع الوحوش النّافرة ، والطيور الحائرة يقتلون أولادهم
من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها
ومشاربها وهنوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل التي يعافها
كثير من السّباع لِثِقَلِهَا ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وإن قرى أحدُهم ضيفاً
عدها مكرومة ، وإن أطعم أكلة عدّها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر
بذلك رجالهم ، ما خلا هذه التّسوّحية التي أسّس جدّي اجتماعها وشدّ مملكتها ،
ومنعها من عدوّها ، فجري لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن لها مع ذلك آثاراً
ولبوساً ، وقرى وحصوناً ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس (يعني اليمن) .

ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من المذلة ، والقلّة ، والفاقة ، والبؤس ،
حق تفتخروا ، وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس .

قال النعمان : أصلح الله الملك . حقّ لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ،
ويعظم خطبها ، وتعلو درجتها ، إلا أنّ عندي جواباً في كل ما نطق به الملك
في غير ردّ عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أمتني من غضبه نطقْتُ به . قال كسرى :
قلْ فأنت آمن ، قال النعمان : أما أمتك أيها الملك : فليست تنازع في الفضل
لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها ، وبحبوحه عزها ، وما
أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأمم التي ذكرت فآية أمة تقرنها
بالعرب إلا فضلتها . قال كسرى : بماذا ؟ قال النعمان : بعزها ومنعتها ، وحسن
وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها ، وشدة عقولها وأنفتها ووفائها .

فأما عزّها ومنعتها ، فإنها لم تنزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد

وَوَطَّدُوا الْمُلُكَ ، وَقَادُوا الْجُنْدَ ، لَمْ يَطْمَعْ فِيهِمْ طَامِعٌ ، وَلَمْ يَنْلِسْهُمْ نَائِلٌ ،
حَصُونُهُمْ ظُهُورُ خَيْلِهِمْ وَمِهَادُهُمُ الْأَرْضُ ، وَسُقُوفُهُمُ السَّمَاءُ ، وَجُنَّتْهُمْ السِّيُوفُ ،
وُعِدَّتْهُمْ الصَّبْرُ — إِذْ تَغَيَّرُهَا مِنَ الْأُمَمِ ، إِنَّمَا عَزَّهَا الْحِجَارَةُ وَالطِّينُ ، وَجَزَائِرُ
الْبُحُورِ .

وَأَمَّا حُسْنُ وُجُوهِهَا وَأَلْوَانِهَا ، فَقَدْ يُعْرَفُ فَضْلُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ
الْهِنْدِ الْمُنْخَرَفَةِ ، وَالصِّينِ الْمُنْخَفَةِ ، وَالتَّرْكِ الْمَشُوءَةِ ، وَالرُّومِ الْمَقْشَرَةِ .

وَأَمَّا أَنْسَابُهَا وَأَحْسَابُهَا : فَلَيْسَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا وَقَدْ جَهَلَتْ آبَاءُهَا
وَأَصُولُهَا وَكَثِيرٌ مِنْ أَوْلَئِهَا ، حَتَّى أَنْ أَحَدَهُمْ لَيُسْأَلُ عَمَّنْ وَرَاءَ أَبِيهِ دُنْيَا فَلَا
يَذُنُّسِبُهُ ، وَلَا يَعْرِفُهُ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا يُسَمِّي آبَاءَهُ أَبَا فُأَبَا ، حَاطُوا
بِذَلِكَ أَحْسَابَهُمْ ، وَحَفِظُوا بِهِ أَنْسَابَهُمْ ، فَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ ، وَلَا
يَنْتَسِبُ إِلَى غَيْرِ نَسَبِهِ وَلَا يُدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ .

وَأَمَّا سَخَاؤُهَا : فَإِنْ أَدْنَاهُمْ رَجُلًا الَّذِي تَكُونُ عِنْدَهُ الْبَكْرَةُ وَالنَّتَابُ ،
عَلَيْهَا بَلَاغُهُ فِي حَمُولِهِ ، وَشَبْعُهُ وَرِيهِ ، فَيَطْرُقُهُ الطَّارِقُ الَّذِي يَكْتَفِي بِالْفَلَذَةِ ،
وَيَجْتَزِي بِالشَّرْبَةِ فَيَعْقُرُهَا لَهُ ، وَيَرْضَى أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دُنْيَاهُ كُلِّهَا فَيَا يَكْسِبُهُ
حُسْنُ الْأَحْدُوثةِ ، وَطَيِّبُ الذِّكْرِ .

وَأَمَّا حِكْمَةُ أَلْسِنَتِهِمْ : فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ ، وَرَوْنَقِ كَلَامِهِمْ
وَحُسْنِهِ وَوَزْنِهِ وَقَوَافِيهِ ، مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِالْأَشْيَاءِ وَضَرْبِهِمْ لِلْأَمْثَالِ وَإِبْلَاغِهِمْ فِي
الصِّفَاتِ مَا لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنَ أَلْسِنَةِ الْأَجْناسِ — ثُمَّ خَيْلُهُمْ أَفْضَلُ الْخَيْلِ ، وَنِسَاؤُهُمْ
أَعَفُّ النِّسَاءِ وَلِبَاسُهُمْ أَفْضَلُ اللَّبَاسِ ، وَمَعَادِنُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَحِجَارَةُ
جِبَالِهِمْ الْجَزْعُ وَمَطَايَاهُمُ الْقِيْلُ لَا يُبْلَغُ عَلَى مِثْلِهَا سَفَرٌ وَلَا يُقَطَعُ بِمِثْلِهَا بَلَدٌ قَسْفَرٌ .
وَأَمَّا دِينُهَا وَشَرِيعَتُهَا : فَإِنَّهُمْ مُتَمَسِكُونَ بِهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَحَدُهُمْ مِنْ نَسَكِهِ
بَدِينَهُ أَنْ لَهُمْ أَشْهُرٌ أَحْرَ مَا وَبَلَدٌ أَحْرَ مَا ، وَبَيْتٌ أَحْرَبُ مَا ، يَنْسَكُونَ فِيهِ مَنَاسِكَكُمْ ،
وَيَذْبَحُونَ فِيهِ ذَبَائِحَهُمْ ، فَيَسْلُقِي الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى
أَخْذِ ثَأْرِهِ وَإِدْرَاكِ رَغْمِهِ مِنْهُ ، فَيَحْجُزُهُ كَرَمُهُ وَيَمْنَعُهُ دِينُهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ بِأَذَى .

وأما وفاؤها : فإنَّ أحدَهم يلاحظ اللحظة ، ويومئء الإيماءة ، فهي ولت (أي عهد) وعقدة لا يحلها إلا الخروج نفسه ، وإنَّ أحدَهم يرفعُ عوداً من الأرض فيكون رهنًا بدينه ، فلا يفلق رهنه ، ولا تخفر ذمته . وإنَّ أحدَهم ليبخلُفه أن رجلاً استجار به ، وعسى أن يكون نائياً عن داره فيضاب فلا يرضى حتى يُفني تلك القبيلة التي أصابته ، أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره . وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله .

وأما قولك أيها الملك يئيدون أولادهم فلإنما يفعل من يفعله منهم بالإثاث أنفة من العار ، وغيرة من الأزواج .

وأما قولك إن أفضل طعامهم 'لحوم الإبل على ما وصفت منها ، فما تركوا مادونها إلا احتقاراً له ، فعمدوا إلى أجلتها وأفضلها ، فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحوماً ، وأطيببها لحوماً ، وأرقها ألباناً ، وأقلها غائلة ، وأحلاها مضغة ، وأنه لاشيء من اللثمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فاضلها عليه .

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنست من نفسها ضعفاً ، وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف ، وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم ، فيسلقون إليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأرمتهم .

وأما العرب فإنَّ ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والوطث (أي الضرب الشديد بالرجل على الأرض) بالعسف .

وأما اليمن التي وصفها الملك ، فلإنما أتى جد الملك إليها الذي أتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسقى ، وأمر مجتمع ، فأناه مسلوباً طريداً مستصرخاً ، ولولا

ما وُتر به مَنْ يليه من العرب لئال إلى مجال ، وَلَوْ جَدَّ مَنْ يُجِيد الطَّعَان ،
وَيَفْضِبُ للأحرار ، من غلبة العبيد الأشرار .

قال : فعجب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لأهل لَمَوْضِعْكَ من
الرَّيَاسَةِ في أهل إقْلِيمِكَ ، ثم كساه من كسوته وسرَّحه إلى موضعه من الحيرة .

فلما قدِم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تَنَقُّصِ
العرب وتهجين أمرهم ، بعث إلى أكثم بن صيفي ، وحاجب بن زُرارة التميميين ،
وإلى الحارث بن ظالم ، وقيس بن مسعود البكريتين ، وإلى خالد بن جعفر ،
وعلقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي ،
وعمر بن معديكرب الزبيدي ، والحارث بن ظالم المرِّي . فلما قدِموا عليه
في الخَوَرَنَسَقِ قال لهم : قد عرفت هذه الأعاجم ، وقُرب جوار العرب منها ،
قد سمعتُ من كسرى مقالات ، تَخَوَّفْتُ أن يكون لها غورٌ ، أو يكون إنما
أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خَوَلًا كبعض طباطمته في تأديتهم الخراج
إليه ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله . فاقتصَّ عليهم مقالات كسرى ، وما
ردَّ به عليه فقالوا : أيُّها الملك وفقك الله ، ما أحسن ما ردَّدْتَ ، وأبلغ ما
حجَّجْتَهُ ، فمرنا بأمرك ، وادعنا إلى ما شئت .

قال : إنما أنا رجلٌ منكم ، وإنما ملكتُ وعزَّزْتُ بكمناكم وما يتخوَّف
من ناحيتكم ، وليس شيء أحبَّ إليَّ مما سَدَّدَ الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ،
وأدام به عزَّكم . والرأي أن تسيروا بجماعتكم أيُّها الرُّهَطُ ، وتنتقلوا إلى كسرى
فإذا دخلتم : نَسْطِقْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظنَّ ، أو
حدَّثتهُ نفسه ، ولا ينطق رَجُلٌ مِنْكُمْ بما يُفَضُّهُ ، فإنه ملك عظيم السلطان كثير
الأعوان ، مُتَرَفٍّ مُعْجَبٌ بنفسه ، ولا تَنَظِّدُوا له اتخذال الخاضع الذليل ، وليكن
أمرُين ذلك ، تظهر به دَمَانَةُ حُلُومِكُمْ ، وفَضْلُ مَنْزِلَتِكُمْ ، وعَظِيمُ أخطارِكُمْ ، وليكن

أول من يَبْدَأُ مِنْكُمْ بالكلام (أكتثم بن صيفي) ثم تَتَّسَبِعُوا عَلَى الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها فانما دعائي إلى التقدمة إليكم علمي بميل كل رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يَكُونَنَّ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَيَجِدَ فِي آدَابِكُمْ مَطْمَعَنَا ، فانه ملكٌ مُتَرَفٌ ، وقادرٌ مُسَلِّطٌ . ثم دعا لهم بما في خزانته من طرائفٍ حُلُلٍ الملوك وأعطى كل رجل منهم حُلَّةً ، وعمته عمامة ، وختمه بياقوتة ، وأمر لكل رجل منهم بنجبية مَهْرِيَّة ، وفَرَسٍ نَجْبِيَّةٍ ؛ وكتب معهم كتاباً :

أما بعد : فإن الملك ألقى إليّ من أمر العرب ما قد علم ، وأجبت به بما قد فهم مما أَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَلَا يَتَلَجَّجُ فِي نَفْسِهِ أَنْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي احْتَجَزَتْ دُونَهُ بِمَمْلَكَتِهَا ، وَحَمَتْ مَا يَلِيهَا بِفَضْلِ قُوَّتِهَا ، تَبْلُغُهَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَتَعَزَّزُ بِهَا ذَوُو الْحِزْمِ وَالْقُوَّةِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْمَكِيدَةِ - وَقَدْ أَوْفَدْتُ أَيْهَا الْمَلِكُ رَهْطًا مِنَ الْعَرَبِ ، لَهُمْ فَضْلٌ فِي أَحْسَابِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ ، وَعَقُولُهُمْ وَآدَابُهُمْ ، فَلْيَسْمَعْ الْمَلِكُ وَلْيَنْعَمْ لَا عَيْنَ جَفَاءٍ إِنْ ظَهَرَ مِنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَلْيَكْرَمْ بَاكِرَاهِمُ ، وَتَعَجِّلْ سَرَاحَهُمْ .

وقد نَسَبْتَهُمْ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي هَذَا إِلَى عَشَائِرِهِمْ .

فخرج القوم في أَهْبَتِهِمْ ، حَتَّى وَقَفُوا بِبَابِ كَسْرَى بِالْمَدَائِنِ ، فَدَفَعُوا إِلَيْهِ كِتَابَ النِّعَمَانِ ، فَقَرَأَهُ وَأَمَرَ بِإِنْزَالِهِمْ إِلَى أَنْ يَجْلِسَ لَهُمْ مَجْلِسًا يَسْمَعُ مِنْهُمْ ؛ فَلَمَّا أَنْ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ ، أَمَرَ مَرَازِبَتَهُ ، وَوُجُوهَ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ فَحَضَرُوا وَجَلَسُوا عَلَى كِرَاسِي عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، ثُمَّ دَعَا بِهِمْ عَلَى الْوَلَاءِ وَالْمَرَاتِبِ الَّتِي وَصَفَهُمُ النِّعَمَانُ بِهَا فِي كِتَابِهِ وَأَقَامَ التَّشْرِجْمَانَ لِيُؤَدِّيَا إِلَيْهِ كَلَامَهُمْ ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ .

فقام أكتثم بن صيفي فقال : إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعاً ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها .

الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والتشر لجابة ، والحزم مركب صعب

والمعجز مركب وطيء - آفة الرأي الهوى، والمعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر، حسن الظن ورطة، وسوء الظن عصمة، وإصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي، من فسدت بطائنته كان كالغاص بالماء.

شر البلاد بلاد لا أمير بها، وكثر الملوك من خفافه البريء، المرء يعجز لا محالة، أفضل الأولاد البررة، خير الاعوان من لم يراء بالنصيحة، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريره، يكفيك من الزاد ما بلسغك الحل، حسبك من شر سمائه، الصمت حكيم، وقليل فاعله، البلاغة الإيجاز، من شدد نغمة، ومن تراخى تألف. فتعجب كسرى من أكرم؛ ثم قال: ويحك يا أكرم ما أحلك وأوثق كلامك! لولا وضعك كلامك في غير موضعه، قال أكرم: الصدق ينبيء عنك لا الوعيد. قال كسرى: لو لم يكن للعرب غيرك لكفى. قال أكرم: رب قول أنفذ من صول.

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي وقال: وري زنديك، وعلت يدك، وهيب سلطانك - إن العرب أمة قد غلظت أكبادها، واستحصدت مرثتها، ومنعت دريتها، وهي لك وامقة ما تألفتها، مسترسلة ما لا ينثها، سامعة ما ساحتها، وهي العلقم مرارة، وهي الصاب غضاضة، والعسل حلالة، والماء الزلال سلاسة.

نحن وفودها إليك، وألسنتها لديك، ذمتنا محفوظة، وأحسابنا ممنوعة، وعشائرنا فينا سامعة مطيعة، إن نؤب لك حامدين خير أ، فلك بذلك عموم محمدتنا وإن نذم لم نخص بالذم دونها؛ قال كسرى: يا حاجب، ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها؛ قال حاجب: بل زئير الأسد بصولتها، قال كسرى: كفى ذلك؛ ثم قام الحارث البكري فقال: دامت لك الملكة باستكمال جزيل حظها، وعلو سنائها، من طال رشاؤه كثر متجه^١، ومن ذهب ماله قل منحه^٢، تناقل الأقاويل يعرف اللب، وهذا مقام سيوجف^٣ بما تنطق به الركب، وتعرف به كنهه حالنا العجم والعرب، ونحن جيرانك الأدنون، وأعوانك المؤمنين، خيولنا

(١) المتج: الاستقاء (٢) أوجفته: أي أجرته

جدة، وجيوشنا فخمة، إن استنجدتنا فغير رُبُض، وإن استَطَرقتنا فغير جُمُض، وإن طلبتنا فغير غُمُض، لا نَنُثِي لِدُعْر، ولا نَتَنَكِر لِدَهْر، رِماحنا طوال؛ وأعمارنا قصار، قال كسرى: أنفُسُ عَزِيزَةٍ وأُمَّةٌ ضَعِيفَةٌ، قال الحارث: أيها الملك وأنثى يكون لضعيف عزة أو لضعيف مِرَّةٌ؟ قال كسرى: لو قصر عمرُك لم تستول على لسانك نفسك، قال الحارث: أيها الملك، إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيفة مُغَرِّراً بنفسه على الموت؛ فهي مَنِيَّةٌ استقبلها، وجنان استدبرها؛ والعرب تعلم أني أبعث الحرب قُدُماً، وأحبسها؛ وهي تصرف بها^٢ حتى إذا جاشت نارها، وسعرت لظاها وكشفت عن ساقها، جعلت مقادها رُمُحِي، وبرقها سيفي، ورعدَها زئيري، ولم أقصر عن خوض خضخاضها، حتى أنغمس في غمرات لججها وأكون فلكاً لفرسانِي إلى بُحْبُوحَةِ كبشها، فأستمطرها دماً، وأترك حماها جزر السباع وكل نسر قشعِم. ثم قال كسرى لمن حضره من العرب: أكَذَلِكَ هُوَ؟ قالوا: فعالة أنطق من لسانه، قال كسرى: ما رأيت كالِيوم وفداً أحشد ولا شهوداً أوَفَدَ.

ثم قام عمرو بن الشريد السلمي فقال: أيها الملك، نعم بالكَ، ودام في السرور حالكَ، إن عاقبة الكلام مُتَبَدِّرة، وأشكال الأمور مُعْتَبِرة، وفي كثير ثِقَلَة وفي قليل بُلْغَة، وفي الملوك سورة العزِّ، وهذا منطبق له ما بعده: شَرُفٌ فيه من شَرُفٍ، وتَجَلُّلٌ فيه من تَجَلُّلٍ، لم نأت لضيئِكَ، ولم نقد لسخطِكَ، ولم نتعرض لرفدِكَ، إن في أموالنا مُنْتَقِداً، وعلى عزنا مُعْتَمِداً، إن أُوْرِينَا ناراً أثَقَبْنَا، وإن أُوْدِدْ دَهْرُ بِنَا اعتَدَلْنَا، إلا أنْ تَمَعَ هذا الجوارك حافِظون، ولمن رَأَاكَ كَافِحون حتى يُخَمِّدَ الصدر، ويُسْتَطَابَ الخبر. قال كسرى: ما يقوم قصدُ منطقِكَ بِإِفْرَاطِكَ ولا مَدْحِكَ بِذِمَّتِكَ. قال عمرو: كفى بقليل قصدي هادياً، وبأيسر إفراطي يُخْبِرُ

ولم يُلَمِّمْ من غَرَبَتْ نفسه عما يعلم، ورضي من القصد بما بلغ . قال كسرى :
ما كلُّ ما يعرف المرءَ يَنْطِقُ به ، إجلس .

ثم قام خالد بن جعفر الكلبي فقال : أحضر الله الملك إسماعداً ، وأرشده
إرشاداً، إن لكل منطق فرصة ، ولكل حاجة غصّة ، وعيُّ المنطق أشد من عي
السكوت ، وعِثَار القول أنكأ عن عِثَار الوعث ، وما فُرْصَةُ المنطق عندنا إلا بما
نَهَوى ، وُغْصَةُ المنطق بما لا نَهَوى غير مُستساعَة ، وتُركي ما أعلم من نفسي ويُعلم
من سمعي أنني له مطيق ، أحب إليّ من تكلفي ما أُنْخَوْفُ ويُتَخَوَّفُ مني . وقد
أوفدنا إليك مَلِكنا النُشَمان : وهو لك من خير الأعوان ونعم حامل المعروف
والإحسان ، أنفُسنا بالطاعة لك باخعة ، ورقابنا بالنصيحة خاضعة ، وأيدينا لك
بالوفاء رهينة . قال كسرى : نطقْتَ بعقل ، وسمرتَ بفضل ، وعلوتَ بنُبل .

ثم قام علقمة بن علاثة العامري فقال : نهجتَ لك سبل الرشاد، وخضعتَ لك
رقاب العباد، إن للأقاويل مناهج ، وللآراء موالج ، وللعويص مخارج ، وخير
القول أصدقُه ، وأفضلُ الطلب أنجحُه - إننا وإن كانت الحبة أحضرتنا، والوفادة
قربتنا ، فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزُبَ عنك ، بل لو قستَ كلَّ رجل
منهم وعلمتَ منهم ما علمنا، لوجدتَ له في آبائه دُنْيا أنداداً وأكفاء ، كلهم إلى
الفضل منسوب ، وبالشرف والسؤدد موصوف ، وبالرأي الفاضل ، والأدب النافذ
معروف ، يحمي حماه ، ويروي نداماه ، ويدود أعداءه ، لا تخمدُ ناره ، ولا يَحْتَرِزُ
منه جاره ؛ أيها الملك، من يَبِلُ العرب يعرفه فضلمهم ، فاصطنع العرب فإنها الجبال
الرّواسي عزاء ، والبحور الزواخر طمياً والنجوم الزواهر شرفاً ، والحمى عدد أفان
تعرف لهم فضلمهم يُعزّوك ، وإن تستصرخهم لا يَخْذُلوك ؛ قال كسرى ، وخشي
أن يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه : جَسْبُكْ أبلغت وأحسنّت .

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال : أطابَ الله بك المرشد ، وجنبك

المصائب ، ووقيتاك مكروه الشدائد ، ما أحقنا إذ أتيناك بإسماعك ما لا يُحْنَق صدرك ولا يزرع لنا حقدًا في قلبك ، لم تقدم أيها الملك لمُسَاماة ، ولم ننتسب لمُعَاداة ولكن لتعلم أنت ورعييتك ، ومن حضرك من وفود الأمم ، أنا في المنطق غير محجّمين ، وفي الناس غير مقصرين ، إن جُورينا فغير مسبوقين ، وإن سَوِمينَا فغير مغلوبين ؛ قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين ، وهو يعرض به في تركه الوفاء بضمّانه السَّواد ؛ قال قيس : أيها الملك ، ما كنت في ذلك إلا كواف عُدرَ به ، أو كخافر أخفِرَ بذمته ؛ قال كسرى : ما يكون لضعيف ضمان ، ولا لذليل خفارة . قال قيس : أيها الملك ، ما أنا فيما أخفِر من ذمّتي أحقُّ بالزامي العار منك فيما قُتِل من رعييتك ، وانتَهك من حرمتك ، قال كسرى : ذلك لأن من اتَّعَم الخونة واستنجد الأثمة ، ناله من الخطأ ما نالني ، وليس كل الناس سواء - كيف رأيت حاجبَ بن زُرارة لم يحكم قواه فيبرم ، ويعهد فيوفي ، ويعدُ قَيْنُجَزُ ؟؟ قال : وما أحقه بذلك وما رأيتُهُ إلّا لي ، قال كسرى : القوم بزل ، فأفضلها أشدّها .

ثم قام عامر بن الطُفَيْل العامري فقال : كثيرُ فنون المنطق ، وليس القول أعمى من حنْدِس الظماء ، وإنما الفخر في الفِعال والعجز في النجدة ، والسُّودد مطاوعة القدرة ، وما أعملك بقدرنا ، وأبصرك بفضلنا ، والحرى ، إن أدالت الأيام وثابت الأحلام ، أن تُحدِث لنا أموراً لها أعلام ، قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟ قال : مجتمع الأحياء من ربِيعَة ومُضَر على أمر يُذكر ؛ قال كسرى : وما الأمر الذي يُذكر ؟ قال عامر : مالي علم بأكثر مما خبّرني به مخبّر ؛ قال كسرى : متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟ قال : لست بكاهن ، ولكنني بالرُّمُح طاعن ؛ قال كسرى : فإن أذاك أت من جهة عينك الوَرَاء ، ما أنت صانع ؟ قال : ما هيبتني في قفائي بدون هيبتني في وجهي وما أذهب عيني عَيْثٌ ، ولكن مُطاعة العبيث .

ثم قام عمرو بن معديكرب الزبيدي فقال: إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجدة الارتداد ، وعمو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الخبرة ، فاجتنب طاعتنا بلفظك واكتظم بادرقتنا بجملك ، وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا ، فإننا أناس لم يؤفّقس صفائقنا قراع مناقير من أراد لنا قضمًا ، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضمًا

ثم قام الحارث بن ظالم المري فقال : إن من آفة المنطق الكذب ، ومن لؤم الأخلاق الملتق ، ومن خطئ الرأي خفة الملك المسلمط ، فإن أعلمناك أن مواجعتنا لك عن ائتلاف ، وانقيادنا لك عن تصاف ، فما أنت لقبول ذلك منا بخلق ، ولا للاعتداع عليه بحقيق ، ولكن الوفاء بالعهود ، وإحكام ولث العقود ، والأمرُ بيننا وبينك معتدل ، ما لم يأت من قبلك ميل أو زلل ؛ قال كسرى : من أنت ؟ قال : الحارث بن ظالم ، قال : إن في أسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالقدر ، وأقرب من الوزر ؛ قال الحارث : إن في الحق مغضبة ، والسر في التغافل ، ولن يستوجب أحد الحليم إلا مع القُدرة ، فلتشبه أفعالك بجليستك ؛ قال كسرى : هذا فتى القوم ، ثم قال : قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم ، وتفنن في متكلموكم ، ولولا أني أعلم أن الأدب لم يُثَقَّف أودكم ، ولم يُحكَم أمركم ، وأنه ليس لسكم ملك يجمعكم ، فتنتطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباطنة : فنطقتم بما استولى على ألسنتكم وغلب على طباعكم لم أجز لكم كثيراً بما تكلمتم به ، وإني لأكره أن أجبه وفودي ، أو أحنق صدورهم . والذي أحب من إصلاح مدبركم ، وتأسف شواذكم ، والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم وقد قبلت ما كان في سنطقتكم من صواب وصفحت عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا إلى مملكتكم فأحسنوا مؤازرته والتزموا طاعته واردعوا سفهاءكم وأقيموه أودهم ، وأحسنوا أديهم ، فإن في ذلك صلاح العامة

رُوي عن الكلبي أنه قال: كان كسرى يحفل بالعرب، ويستأنس بمشاهدتهم ويرغب في سماع محادثاتهم، ومفاخراتهم ومنافراتهم، ولم يدخر وسعاً إلا بذله للحصول على ذلك (وبما اتفق له) أن النعمان بن المنذر، كان بمجلسه يوماً. فقال له: هل في العرب من قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال: نعم. قال: فبأي شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، واتصل ذلك بمزية رابعة، فبيته أشرف بيت: وإليه تذهب القبيلة، وبه تعلو على غيرها. قال: أحضر من هذه صفتهم فطلبهم النعمان فلم يُصّبهم إلا في آل حذيفة بن بدر، وآل ذي الجدين؛ وآل الأشعث بن قيس بن كندة؛ فأحضرهم في جملة من عشائهم؛ فعقد لهم كسرى مجلساً عاماً حضره الحكّام والمدول والأعيان. ثم قال، ليتكلم كل منكم بماثر قومه وليصدق.

فانتصب حذيفة بن بدر قائماً وكان ألسن القوم فقال: قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والفخر الأعظم. ف قيل له: لمَ ذلك يا أخافزارة؟ قال: ألبنا الدعائم التي لا ترام؟! والعز الذي لا يضام؟! ف قيل له: صدقتَ ثم قام شاعرهم فقال:

فزاره بيت العز والعز فيهم	فزاره بدرٍ حسبُ بدر نضالها ^٢
لها العزة القعساء ^٣ والحسب الذي	بناه لبدرٍ في القديم رجالاتها
فهيها قد أعيا القرون التي مضت	مآثر بدرٍ مجدّها وفعالها
وهل أحدٌ إن مد يوماً بكفّه	إلى الشمس في مجرى النجوم يناها؟!
فإن يصلحوا يصلح لذك جميعنا	وإن يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس فقال: لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر ونقهر جمعها الأكبر وأذنا غياث الزبّات وبؤنة المسكرات. ف قيل له: لمَ يا أخا كندة؟ قال: لأننا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفياثه وتقلدنا منكبه الأعظم؛ وتوسطننا بمجوحه الأكرم. ثم قام شاعرهم فقال:

(١) الأركان	(٢) محاماتها ودفاعها	(٣) الرفيعه
(٤) بتسكين الزاي: الشدائد	(٥) وسطه	

إذا قست أبيات الرجال ببيتنا وَجَدْتَ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ يَفَاخِرُ
فَمَنْ قَالَ : كَلَّا أَوْ أَنَا بَخُطَّةٍ يُنَافِرُنَا يَوْمًا فَنَحْنُ نَخْاطِرُ
تَعَالَوْا قِفُوا كَيْ يَظُنَّ النَّاسُ أَنَّنَا لَهُ الْفَضْلُ فِيمَا أَوْرَثْتَهُ الْأَكَابِرُ

ثم قام بسطام بن قيس؛ فقال: قد علمت العرب أننا بناة بيتها الذي لا يزول
ومغرس عزها الذي لا يحول؛ فقليل له: ولم يا أخا شيبان؟ قال: لأننا أدركهم
للنار وأضرهم للملك الجبار، وأقوهم للحق، وألدهم للخصم.
ثم قام شاعرهم فقال:

لعمري بسطام أحق بفضلها وأول بيت العز عز القبائل
فسائل أبنت اللعن عن عز قومها إذا جدّ يوم الفخر كل مناضل
ففيخبرك الأقوام عنها فإنها وقائع جدّ لا ملاعب هازل
ألسنا عز الناس قوماً وأسرة وأضرهم للكباش يوم التخاذل
وقائع عز كلها ربعية^٢ تذلل لهم فيها رقاب المحافل
إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها وعاذ بها من شرها، كل قاتل
وإن ملوك الناس في كل بلدة إذا نزلت بالناس إحدى النوازل

ثم قام حاحب بن زرارة التميمي، فقال: قد علمت العرب أننا فرع دعائنا،
وقادة زحوفها؛ فقليل له: لم ذلك يا أخا بني تميم؟ قال: لأننا أكثر الناس
عديداً، وأنجبهم طراً وليداً، وأعظامهم للجزيل، وأحملمهم للثقل.

ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت أبناء خندف أننا لنا العز قدماً في الخطوب الأوائل
وأننا كرام أهل مجد وثروة وعزٍ قديم ليس بالمتضائل
فكم فيهم من سيّد وابن سيّد أغرّ نجيب ذي فعال ونائل

فسائلُ أبيتَ اللعن^١ عنا فإننا دعائم هذا الناس عند الجلائل
ثم قام قيس بن عاصم السعدي فقال: لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرُمات
وأثبتهم في النائبات، فقليل له: لِمَ ذاك يا أخا بني سعد؟ قال: لأننا أدركهم للشار،
وأمنعهم للجار، لا نتكل إذا حملنا، ولا نُرام إذا حملنا، ثم قام شاعرهم فقال:
لقد علمت قيسٌ وخندِفُ أننا وجُلُّ تميم والجموعُ التي ترى
بأننا ليوثُ البأس في كل مازِقٍ إذا جُرُّ بالبيض الجاجم والطلِي
وأنا إذا داعٍ دعانا لنجدة أجبننا سِراعاً في العلائم من دعا
فهيئات قد أعيا الجميع فِعَالُهم وقامو بيوم الفخر مَسْتَعَا من سعى
فقال كسرى حينئذ: ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه، ثم أعظم صِلاتهم
أجمعين، وردَّهم إلى أقوامهم مُعْظَمِينَ.

مناظرات المهدي ومشاورته لأهل بيته في حرب خراسان

هذا ما تراجع فيه المهدي ووزرائه، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب
خراسان، أيام تحاملت عليهم العمال وأعنفَت، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من
المكانة على أن نكثوا بيمينهم ونقضوا موثقتهم وطرَدوا العمال، والتَّوَّأ بما
عليهم من الخراج، وسَحَل المهدي ما يُحِب من مصلحتهم ويكره من عنتهم، على
أن أقال عثرتهم واغتفر زلتهم واحتمل دالتهم تطوُّلاً بالفضل واتساعاً بالعفو
وأخذاً بالحِجَّة ورِّفقاً بالسياسة، ولذلك لم يزل منذ سَحَل الله أعباء الخلافة وقلده
أُمُور الرعية رفيقاً بمدارِ سلطانه، بصيراً بأهل زمانه، باسطاً للمعدلة في رعيته
تسكن إلى كنفه وتأنس بعفوه، وتشتق بجلمه، فإذا وقعت الأقضية اللازمة
والحقوق الواجبة، فليس عنده هوادة ولا إغضاء ولا مداهنة، أثرٌ للحق،
وقياماً بالعدل، وأخذاً بالحزم، فدعا أهل خراسان الاعتراض بجملة والثقة

(١) أبيت اللعن: بغضته ومنعته أي أنك لا تفعل ما يوجب لعنك بل
تفعل ما تحمد وتمدح به.

بمعفوه : أن كَسَرُوا الخراج وطرَدُوا العمال وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خَلَطُوا احتجاجاً باعتذار ، وخصومة بإقرار ، وتَصَلَّاهُ باعتلال ؛ فلما انتهى ذلك إلى المهدي خرج إلى مجلس تَحْلَاثِهِ ، وبعث إلى نفرٍ من لَحْمَتِهِ ووزرائه ، فأعلمهم الحال واستفهمهم للرعية ، ثم امر الموالى بالابتداء ؛ وقال للعباس بن محمد : « أي عم ، تعقب قولنا وكن حكماً بيننا وأرسل ولديه : (موسى وهارون) فأحضرهما الأمر وشاركهما الرأي ، وأمر محمد بن الليث بحفظ مُرَاجَعَتِهِمْ وإثبات مقالتهن في كتاب .

فقال سلام صاحب المظالم :

أيها المهدي ، إن في كل امر غاية ، ولكل قوم صناعة ، استفرغست رأيهم ، واستفرغست اشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها وذهبت بهم ، وعُرفوا بها وعُرفت بهم ، وهذه الأمور التي جعلت لنا فيها غاية ، وطلبت معونتنا عليها اقوام من أبناء الحرب ، وساسة الأمور ، وقادة الجنود ، وفرسان الهزاهز ، وإخوان التجارب ، وابطال الوقائع ، الذين رشحتهم سِجَالُهُمْ ، وفياتهم ظلالها ، وعضتهم شدائدُها وفرمتهم نواجذُها ؛ فلو عَجَمْتَ ما قَبِلَكُم وكَشَفْتَ ما عندهم لوجدت نظائر تؤيد امرأك ، وتجارب توافق نظرك واحاديث تقوّي قلبك ؛ فأما نحن معاشرُ عمالك واصحاب دواوينك فَحَسَنُ بنا ، وكثيرُ منا ان نقوم بثقل ما حَمَلْتَنَا من عملك واستودعتنا من امانتك وشغلتنا من إمضاء عدلك وإنفاذ حكمك وإظهار حقك .

فأجابه المهدي : إن في كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفي كل حال تدبيراً يبطل الآخرُ الأول ، ونحن على علم بزماننا وتدبير سلطاننا .

قال : نعم أيها المهدي انت متبّع الرأي ، وثيق العُقْدَةِ ، قوي المنّة ، بليغ الفِطْنَةِ معصوم النية ، محذور الروية ، مؤيد البدئية ، موافق العزيمة ، مُعَانٍ بالظفر ، مهدي إلى الخير ، إن هممت ففي عزمك مواقع الظن ، وإن اجتمعت صدع فملكك مُلْتَبَسُ الشك ، فاعزم يدي الله إلى الصواب قلبك ، وقل يُنطق الله بالحق لسانك ، فإن جنودك حجة وخزائنك عامرة ، ونفسك سخية ، وأمرك نافذ .

فأجابه المهدي : إن المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة ، لا يهلك عليها رأي ولا يتغفل معها حزم فأشيروا برأيكم وقولوا بما يحضركم ، فإني من ورائكم ، وتوفيق الله من وراء ذلك .

قال الربيع : أيها المهدي إن تصارييف وُجوه الرأي كثيرة ، وإن الإشارة ببعض معاريف القول يسيرة ، ولكن خراسان أرضٌ بعيدة المسافة ، متراخية الشققة متفاوتة السبيل ، فإذا ارتأيت من مُحكم التدبير ومُبرم التقدير ولُباب الصواب رأيا ، قد أحكمه نظرك ، وقلّبه تدبيرك ؛ فليس وراء مذهب طاعن ، ولا دونه مُعقلٌ لخصومة عائب ، ثم خبّبت البُرد به ، وانطوت الرُّسل عليه كان بالحرى أن لا يصل إليهم مُحكمه ، إلا وقد حَدثَ منهم ما ينقضه ، فما أيسرَ أن ترجع إليك الرُّسل ، وتردّ عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشوارد آثارهم ومصادر أمورهم فتُحدث رأيا غيره وتبتدع تدبيراً سواه ، وقد انفرجت الحليق ، وتحللت العقد ، واسترخى الحجاب ، وامتد الزمان ثم لِعلمك موقع الآخرة كمصدر الأولى ولكن الرأي أيها المهدي ، وفقك الله أن تصرّف لإجالة النظر وتقليب الفكر فيما جعّتنا له ، واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم والحيل في أمرهم إلى الطلب لرجل ذي دين فاضل وعقل كامل وورع واسع ليس موصوفاً بهوى في سواك ، ولا متهماً في أثره عليك ، ولا ظنيناً على دُخلة مكروهة ولا منسوباً إلى بدعة محدورة ، فيقدح في ملكك ويُربض الأمور لغيرك ، ثم تُسند إليه أمورهم وتُفوض إليه حربهم وتأمُرُه في عهدك ، وصيتك إياه بلزوم أمرك ما لزمه الحزم : وخلاف نهيك إذا خالفه الرأي عند استحالة الأمور واشتداد الأحوال التي ينقض^١ أمر الغائب عنها ويثبت رأي الشاهد لها ، فإنه إذا فعل ذلك ؛ فوائب أمرهم من قريب وسقط عنه ما

(١) ينقض : ينهدم .

يأتي من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت المكيدة ، ونفذ العمل وأُحِدَ النظر لمن شاء الله .

قال الفضل بن عباس :

أيها المهدي ، إن وليّ الأمور وسائس الحروب ربّما نحى جنوده وفرّق أمواله في غير ما ضيق أمر حزبه ، ولا ضغطة حال اضطرته فيقعد عند الحاجة إليها وبعد التفرقة لها عديماً منها فاقدّاً لها ، لا يثق بقوة ولا يصول بعدّة ، ولا يفزع إلى ثقة ؛ فالرأي لك أيها المهدي وفقك الله أن تعفي خزائنك من الإنفاق للأموال وجنودك من مكابدة الأسفار ومقارعة الأخطار وتغدير القتال ، ولا تسرع للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون ، والعطاء لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم وتجرّئ من رعيّتك غيرهم ولكن اغزهم بالحيلة وقتلهم بالمكيدة وصارعهم باللين وخاتلم بالرفق وأبرق لهم بالقول وأرعّد نحوهم بالفعل وابعث البعث وجنّد الجنود وكتبّ الكتائب واعقد الأولوية وانصب الرّايات وأظهر أنك موجهٌ إليهم الجيوش مع أحنق قوّادك عليهم وأسوئهم أثراً فيهم ، ثم أدس الرسل ، وابثث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك وبعضاً على خوف من وعيدك ، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوي الصدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة ، فإن مرّام الظفر بالغيلة والقتال بالحيلة والمناسبة بالكتب ، والمكابدة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب ، القويّ الموقع من النفوس ، المعقود بالحجج الموصول بالحيل المبني على اللين الذي يستميل القلوب ، ويسترق العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعي المواتاة - أنفذ من القتال بطبّات السيوف وأسنة الرماح ، كما أن الوالي الذي يستنزل طاعة رعيّته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكيدة أحكم عملاً وألطف منظرأ وأحسن سياسة ، من الذي لا ينال ذلك إلا بالقتال ، والإتلاف الأموال والتغدير ، والأخطار .

وليعلم المهدي ، أنه إن وجّه لقتالهم رجلاً لم يسرْ إلا يجنود كشيعة تخرج عن حال شديدة ، وتُقدِّم على أسفار ضيِّقة وأموال مُتفرِّقة وقوَّاد غشَّشة إن اتَّمتَّهم استنفدوا ماله ، وإن استنصَّحهم كانوا عليه لاله . قال المهدي : هذا رأيٌ قد أسفر نورُهُ ، وأبرق ضوءُهُ ، وتمثل صوابهُ للعُيون ومجدُّ حقِّهِ في القلوب ولكن فوق كل ذي علم عليم . ثم نظر إلى ابنه علي فقال : ما تقول ؟

قال عليٌّ : أيها المهدي ، إن أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ، ولم ينصبوا من دونك أحداً يقدر في تغيير مملكتك ويُريض الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسر والشأن أصغر والحال أدل ، لأن الله مع حقِّهِ الذي لا يخذله وعند مواعده الذي لا يُخْلِفُهُ ، ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم والياً وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً وسألوا إنصافاً فإن أجبت إلى دعوتهم ونفست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال ، أو يحدث من عندهم فتق ، أطعت أمر الرب وأطفأت نائرة الحرب ، ووفرت خزائن المال وطرحت تغرير القتال ، وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك وسجية حلمك وأسجاع خليقتك ، ومعدلة نظرك ، فأمنت أن تُنسب إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقي دُرْبَةٍ ، وإن منعتهم ما طلبوا ولم تجبهم إلى ما سألوا اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميدان الخطاب . فما أربُ المهدي أن يَعْمِدَ إلى طائفة من رعيتِهِ مُقرِّين بمملكته . يُدْعِنِينَ بطاعته لا يخرجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يبرِّثونها من عبوديته فيُمَلِّكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء في حدِّ المنازعة ومضمار المخاطرة . أيريد المهدي وفقه الله الأموال ؟ فلعسري لا ينالها ، ولا يظفر بها إلا بإنفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضعاف ما يدعي قبْلهم ، ولو نالها فحُمِلت إليه أو وُضعت بخرائطها بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها واطال عليهم بها ، لكان مما إليه يُنسب وبه يُعرف من الجود

الذي طبعه الله عليه وجعل قرّة عينه ونهمة نفسه فيه ، فإن قال المهدي هذا رأي مستقيم سديد في أهل الخراج الذين شكوا ظلم 'عمالنا' ، وتحامل ولاتنا فأما الجنود الذين نقضوا موثيق العمود وأنطقوا لسان الإرجاف ، وفتحوا باب المعصية وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسواهم ، فيعلم المهدي أنه لو أتى بهم مغلولين في الحديد ، مقرّبين في الأصفاة ، ثم اتسع لحقن دماهم عفوه وإقالة عثرتهم صفحه واستبقاهم لما فيه من حربه ، أو لمن بإزائهم من عدوه لما كان بدعا من رأيه ولا مستنكرا من نظره .

لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفواً وأشدّها وقماً وأصدقها صولةً وأنه لا يتعاطمه عفوه ، ولا يتكأدّه صفح ، وإن عظم الذنب وجل الخطب ، فالرأي للمهدي وفقه الله تعالى أن يحلّ عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم وأن يذكر أدلى حالاتهم وضيعة عيالاتهم برّاً بهم ، وتوسعاً لهم فإنهم إخوان دولته وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزّتهم يصول ، وبحجّتهم يقول ، وإنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه وتعرضوا له من معاصيه ، وانظروا فيه عن إجابته ، ومثله في قلة ما غيّر من رأيه فيهم أو نُقِلَ من حاله لهم ، أو تغيّر من نعمته بهم كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازيين أصاب أحدهما خبّل عارض وهو حادث فنهض إلى أخيه بالأذى وتحامل عليه بالمكره ، فلم يزد أخوه إلا رقة له ولطفاً به واحتيالاً لمداواة مرضه ومرجعة حاله عطفاً عليه وبرّاً به ومرحمة له .

فقال المهدي : أما علي فقد كوى سمّت اللّسان وفض القلوب في أهل خراسان ولكل نبا مستقر ، ثم قال : ما ترى يا أبا محمد ؟ (يعني موسى ابنه) .

فقال موسى :

أيها المهدي ، لا تسكن إلى حلالة ما يجري من القول على ألسنتهم وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم ، الحال من القوم يُنادي بمضرة شرّ وخفيّة

حققد ، قد جعلوا المعاذير عليها سترأ واتخذوا العلل من دونها حجاباً ، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأمور بالتطويل ، فيكسروا حيل المهدي فيهم ويغنوا جنوده عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وقتلاحق مادتهم ، وتستفحل حربهم وتستمرّ الأمور بهم ؛ والمهدي من قولهم في حال غيرة ولباس أمانة ، قد فتر لها وأنس بها ، وسكن إليها ، ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وبردت عليه جلودهم من المناصب بالقتال ، والإضمار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لربّهبوا عواقب أخبار الولاة ، ورغب سكّون الأمور فليشدّد المهدي - وفقه الله - أزره لهم ، ويكتسب كتابته نحوهم وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن أنه لا يعطيهم خطّة يريد بها صلاحهم إلا كانت دُرّة إلى فسادهم ، وقوة على معصيتهم ، وداعية إلى عودتهم وسبباً لفساد من بحضرته من الجنود ، ومن ببابه من الوُفود ، الذين إن أقرّهم وتلك العادة وأجرامهم على ذلك الأرب ، ولم يبرح في فتق حادث ، وخلاف حاضر ، لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ، وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدُرّة لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة ، والمؤونة الشديدة ، والرأي للمهدي وفقه الله أن لا يُقبل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحرق بهم القتل ويحرق بهم البلاء ويُطبق عليهم الذل ، فإن فعل المهدي ذلك كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شرّ منهم ، واحتمال المهدي في مؤونة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ، ونفقات عظيمة . فقال المهدي : قد قال القوم ، فاحكم يا أبا الفضل ! .

فقال العباس بن محمد :

أيها المهدي : أما (الموالى) فأخذوا بفروع الرأي وسلكوا جنبات الصواب وتمدّوا أموراً قصّر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجارُهمُ عليها - وأما (الفضل) فأشار بالأموال أن لا تنفق ، والجنود أن لا تفرّق ، وبأن لا يُعطى القوم ما طلبوا

ولا يُبذل لهم ما سألوا ، وجاء بأمر بين ذلك استصغاراً لأمرهم ، واستهانة
بجبرهم وإنما يهيج جسيات الأمور صغارها ، وأما (علي) فأشار باللين ،
وإفراط الرقيق وإذا جرّد الوالي لمن غمّط أمره وسفه حقه اللين بحثاً ، والخير
محضاً ، لم يخلطها بشدة تعطف القلوب عن لينه ، ولا بشرّ يجبسهم إلى
خير ، فقد ملّكهم الخلع لعذرهم ، ووسّع لهم الفرجة لثني أعناقهم ، فإن
أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرم ولا شدة ، فذروة في
رؤوسهم ، يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم ، ويستصرخون بها رأي المهدي فيهم ،
وإن لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لإجابته باللين المحض والخير الصّراح ، فذلك ما
عليه الظنّ بهم ، والرأي فيهم ، وما قد يشبه أن يكون من مثلهم لأن الله
تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم ، والملك الكبير ما لا يخطر
على قلب بشر ولا تُدركه الفكر ، ولا تعلمه نفس ، ثم دعا الناس إليها
بورغهم فيها ، فلو لا أنه خلق ناراً جعلها لهم رحمة يسوقهم بها إلى الجنة لما
أجابوا ولا قبلوا .

وأما (موسى) فأشار بأن يُعصّبوا بشدة لا لين فيها ، وأن يُرموا بشرّ
لا خير معه ، وإذا أضمر الوالي لمن فارق طاعته وخالف جماعته الخوف مفرداً :
والشرّ مجرداً ليس معها طمع ولا لين يثنّهم اشتدت الأمور بهم ، وانقطعت
الحال منهم إلى أحد أمرين إما أن تدخلهم الحمية من الشدة ، والأنفة من
الذلة ، والامتناع من القهر ، فيدعوهم ذلك إلى التمادي في الخلاف ، والاستبسال
في القتال والاستسلام للموت ، وإما أن ينقادوا بالكُره ويزعنوا بالقهر
على بغضة لازمة ، وعداوة باقية تورث التفاق وتعقب الشقاق ، فإذا
أمكنتهم فرصة أو ثابت لهم قدرة أو قويت لهم حال عاد أمرهم إلى أصعب
وأغلظ وأشد مما كان .

وقال في قول الفضل : أيها المهدي أكفى دليل وأوضح برهان ، وأبين خبر
بأن قد أجمع رأيه وحزّم نظره على الإرشاد ببعثة الجيوش إليهم ، وتوجيه

البُعوث نحوهم مع إعطائهم ما سألوا من الحق، وإجابتهم إلى ما سألوه من العدل.
قال المهدي : ذلك رأيٌ .

قال هارون : ما خلطت الشدة أيها المهدي باللين ، فصارت الشدة أمرًا
فِطامًا لما تكثره ، وعاد اللين أهدى قائدٍ إلى ما تحبُّه ، ولكن أرى
غير ذلك .

قال المهدي : لقد قلت قولاً بديعاً ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً ، والمرء
مؤمن بما قال وظنَّين بما ادعى ، حتى يأتي ببينة عادلة وحجة ظاهرة فاخرج
عما قلت .

قال هارون :

أيها المهدي : إن الحربَ خدعة ، والأعاجم قومٌ مكروءة ، وربما اعتدلت
الحال بهم ، واتفقت الأهواء منهم فكان باطن ما يُسرُّون على ظاهر ما يُعلنون
وربما افترقت الحالان ، وخالف القلبُ اللسان ، فانطوى القلبُ على محجوبة تبطن ،
واستسر بمدخولة لا تُعلن ، والطبيب الرفيق بطبه ، البصير بأمره العالم بمقدم يده
وموضع ميسميه ، لا يتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأي للمهدي وفقه
الله أن يفرَّ باطنَ أمرهم فقرَّ المُسِنَّة ويخضَّ ظاهراً حالهم مخض السقاء بمتابعة
الكتب ومظاهرة الرُّسل ، وموالة العُيون ، حتى تهتك حُجُب عيونهم
وتُكشف أغطية أمورهم ، فإن انفرجت الحال وأفضت الأمور إلى تغيير حال ،
أو داعية صلال اشتملت الأهواء عليه ، وانقاد الرُّجال إليه وامتدت الأعناق نحوه
بدين يمتقدونه وإثم يستحلونه عَصَبَتهم بشدة لا لين فيها ، ورامهم بعقوبة
لا عفو معها ، وإن انفرجت العُيون واهتُصِرَت السُّتُور ورُفِعَت الحُجُب والحال
فيها مريضة والأمور بهم معتدلة في أرزاق يطلبونها وأعمال ينكرونها وظلمات
يدعونها وحقوق يسألونها بما تَتَّه سَابِقَتهم ودالة مناصحتهم ، فالرأي للمهدي
وفقه الله أن يتسع لهم بما طلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ويشعب من أمرهم
ما صدعوا ، ويرتق من فتقهم ما قطعوا ، ويولي عليهم من أحبوا ويدأوي

بذلك مَرَضَ قلوبهم ، وفساد أمورهم ، فإنما المهدي من أُمَّتِهِ وَسَوَادِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ
بِمَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ الرَّفِيقِ وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ وَالرَّاعِي الْمُسْجَرَّبِ الَّذِي يَحْتَالُ لِمَرَابِضِ
غَنَمِهِ ، وَضَوَالِ رَعِيَّتِهِ حَتَّى يُبْرِئَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا وَيُرَدِّدَ الصَّحِيحَةَ إِلَى
أَنْسِ جَمَاعَتِهَا ؛ ثُمَّ إِنَّ خِرَاسَانَ بِخَاصَّةِ الَّذِينَ لَهُمْ دَالَّةٌ مَحْمُولَةٌ ، وَمَائَتَةٌ مَقْبُولَةٌ ،
وَوَسِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَحَقُوقٌ وَاجِبَةٌ ؛ لِأَنَّهُمْ أَيْدِي دَوْلَتِهِ وَسُيُوفُ دَعْوَتِهِ وَأَنْصَارُ
حَقِّهِ وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ ، فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمَهْدِيِّ الاضْطِغَافُ عَلَيْهِمْ وَلَا الْمُؤَاخَذَةُ
لَهُمْ ، وَلَا التَّوَعُّرُ بِهِمْ ، وَلَا الْمَكَافَاةُ بِإِسَاءَتِهِمْ ، لِأَنَّ مَبَادِرَةَ حُسْنِ الْأُمُورِ
ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْضَى ، وَمَحَاوَلَةُ قَطْعِ الْأَصُولِ ضَائِلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْلُظَ أَحْزَمُ
فِي الرَّأْيِ وَأَصَحُّ فِي التَّدْبِيرِ مِنَ التَّأْخِيرِ لَهَا وَالتَّسَاهُونِ بِهَا حَتَّى يَلْتَمِسَ قَلِيلُهَا
بِكَثِيرِهَا وَتَجْتَمَعَ أَطْرَافُهَا إِلَى جُمْهُورِهَا .

قال المهدي : ما زال هارون يَقَعُ وَقَعَ الْحَيَا حَتَّى خَرَجَ خُرُوجَ الْقِدْحِ مِنْ
الْمَاءِ وَانْسَلَّ انْسِلَالُ السِّيفِ فِيمَا ادَّعَى ، قَدَّعُوا مَا سَبَقَ مُوسَى فِيهِ فَأَنَّهُ هُوَ
الرَّأْيُ وَثَنَتْ بَعْدَهُ هَارُونُ ؛ وَلَكِنْ مِنْ لَأَعْنَةِ الْخَيْلِ وَسِيَاسَةِ الْحَرْبِ وَقَادَةِ النَّاسِ
إِنْ أَمَعْنَ بِهِمُ اللَّجَاجُ وَأَفْرَطَتْ بِهِمُ الدَّالَّةُ ۱۹

قال صالح بن علي : لَسْنَا نَبْلُغُ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ بِدَوَامِ الْبَحْثِ وَطُولِ الْفِكْرِ
أَدْنَى فِرَاسَةٍ رَأْيِكَ وَبَعْضَ لِحَظَاتِ نَظَرِكَ ، وَلَيْسَ يَنْفُضُ عَنْكَ مِنْ بَيِّنَاتِ
الْعَرَبِ وَرَجَالَاتِ الْعِجَمِ ذُو دِينَ فَاضِلٌ وَرَأْيٌ كَامِلٌ وَتَدْبِيرٌ قَوِي مُتْقَلِّدُهُ حَرَبُكَ
وَتَسْتَوِدِعُهُ جُنْدُكَ ، مِمَّنْ يَحْتَمِلُ الْأَمَانَةَ الْعَظِيمَةَ وَيَضْطَلِعُ بِالْأَعْيَاءِ الثَّقِيلَةِ ، وَأَنْتَ
بِحَمْدِ اللَّهِ مِمِّمُونَ النَّقِيبَةِ مَبَارَكِ الْعَزِيمَةِ ، تَخْبُورُ التَّجَارِبِ ، مَحْمُودُ الْعَوَاقِبِ ،
مَعْصُومُ الْأَعْيُنِ . فَلَيْسَ يَقَعُ اخْتِيَارُكَ وَلَا يَقِفُ نَظَرُكَ عَلَى أَحَدٍ تَوَلَّيَهُ أَمْرُكَ
وَتَسْتَنْدُ إِلَيْهِ ثَغْرُكَ إِلَّا أَرَاكَ اللَّهُ مَا تُحِبُّ وَجَمَعَ لَكَ مِنْهُ مَا تَرِيدُ .

قال المهدي : إِنِّي لِأَرْجُو ذَلِكَ لِقَدِيمِ عَادَةِ اللَّهِ فِيهِ وَحُسْنِ مَعُونَتِهِ عَلَيْهِ ،
وَلَكِنِّي أَحَبُّ الْمُتَوَافِقَةِ عَلَى الرَّأْيِ وَالْإِعْتِبَارِ لِلْمَشَاوَرَةِ فِي الْأَمْرِ الْمُهِّمِ .

قال محمد بن الليث : أهل خراسان قوم ذوو عزّة ومَنعة وشياطين خدعة ، زُروع الحميّة فيهم نابتة ، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة والعجلة عنهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم سيوفهم عدلهم لأنهم بين سيفلة لا يعندو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يُلجَمون إلا بشدة ، ولا يُفْطَمون إلا بالمرء ، وإن ولى المهدي عليهم وضعاً لم تنقد له العُظماء ، وإن ولى أمرهم شريفاً تحامل على الضعفاء ، وإن أخر المهدي أمرهم ودافع حربهم حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه أو بني عمه أو بني أبيه ، ناصحاً يتفق عليه أمرهم وثقة تجتمع له أملاؤهم بلا أنفة تُلزمهم ولا حِيّة تدخلهم ولا مصيبة تنفرهم ، تنفست الأيام بهم وتراخت الحال بأمرهم ، فدخل بذلك من الفساد الكبير ، والضياع العظيم ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وإن جدّ ، ولا يستصلحه وإن جهد ، إلا بعد دهر طويل ، وشر كبير ، وليس المهدي - وفقه الله - فاطماً عاداتهم ولا قارعاً صفاتهم بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما ولا عدل في ذلك بهما : أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ويدٌ ممثلة لعينك وصخرة لا تززع وبهمة لا تُثنى ، وبازل لا يفزعه صوت الجلل ، نقي العِرض نزيه النفس جليل الخطر ، قد اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما نحو الآخرة بهمة فجعل الغرض الأقصى لعينه نصباً ، والغرض الأدنى لقدمه موطناً ، فليس يقبل عملاً ، ولا يتعدّى أملاً وهو رأس مواليك وأنصح بني أبيك ، رجل قد غدّي بلطيف كرامتك ونبت في ظل دولتك ونشأ على قوائم أدبك فإن قلّدتَه أمرهم وحملته ثقلهم وأسندت إليه ثغرهم ، كان قفلاً فتحه أمرك وباباً أغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً ، والإنصاف بينه وبينهم حاكماً . وإذا حكم المنصفّة وسلك المسعدلة فأعطاهم ما لهم وأخذ منهم ما عليهم ، غمّس في الذي لك بين صدورهم وأسكن لك السويدة داخل قلوبهم ، طاعة راسخة العروق بأسقة الفروع متاثلة في حواشي عوامهم . متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم ريبٌ إلا نفوه ولا يلزمهم

حَقُّ إِلَّا أَدَّوهُ ، وَهَذَا أَحَدُهُمَا . وَالْآخِرُ عُودٌ مِنْ غِيْظَتِكَ ، أَوْ نَبْعَةٌ مِنْ أُرْوَمَتِكَ ، فَتَيَّ السِّنُّ كَهْلُ الْحِلْمِ رَاجِحَ الْعَقْلِ مَحْمُودِ الصَّرَامَةِ مَأْمُونِ الْخِلَافِ يُجَرِّدُ فِيهِمْ سَيِّفَهُ وَيَبْسُطُ عَلَيْهِمْ خَيْرَهُ بِقَدَرِ مَا يَسْتَحِقُّونَ وَعَلَى حَسَبِ مَا يَسْتَوْجِبُونَ وَهُوَ « فُلَانٌ » أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ - فَسَلْطَةُ أَعَزُّكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَجْهُهُ بِالْجِيُوشِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَمْنَعَكَ ضَرَاةُ سِنِّهِ وَحِدَاثَةُ مَوْلَدِهِ فَإِنَّ الْحِلْمَ وَالثِقَةَ مَعَ الْحِدَاثَةِ خَيْرٌ مِنَ الشُّكِّ وَالْجَهْلِ مَعَ الْكِبَالَةِ ، وَإِنَّمَا أَحْدَاثُكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ فِيمَا طَبَعَكَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَاخْتَصَّصَكُمْ بِهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ الْفِعَالِ وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ وَصَوَابِ التَّدْبِيرِ وَصَرَامَةِ الْأَنْفُسِ كَفِرَاحٍ عِتَاقِ الطَّيْرِ^١ الْمُحْكَمَةَ لِأَخْذِ الصَّيْدِ بِلاَ تَسْذِيرٍ ، وَالْعَارِفَةَ لَوُجُوهِ النَّفْسِ بِلاَ تَأْدِيبٍ ، فَالْحِلْمُ ، وَالْعِلْمُ ، وَالْعَزْمُ ، وَالْحَزْمُ ، وَالتَّوَدُّةُ ، وَالرِّفْقُ ، ثَابِتٌ فِي صُدُورِكُمْ مَزْرُوعٌ فِي قُلُوبِكُمْ ، مُسْتَحْكَمٌ لَكُمْ مَتَكَامِلٌ عِنْدَكُمْ ، بِطَبَائِعٍ لَازِمَةٌ ، وَغَرَائِزُ ثَابِتَةٌ .

قال معاوية بن عبد الله .

أَفْتَاءُ^٢ أَهْلُ بَيْتِكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذَكَرَ ، وَأَهْلُ خُبْرَاسَانَ فِي حَالِ عِزٍّ عَلَى مَا وَصِفَ ، وَإِنِّ لَأَنْ وَلِيَّ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمِ الذِّكْرِ فِي الْجُنُودِ وَلَا بِنَبْيِهِ الصُّوْتِ فِي الْحُرُوبِ وَلَا بِطَوِيلِ التَّجَرُّبَةِ لِلْأُمُورِ ، وَلَا بِمَعْرُوفِ السِّيَاسَةِ لِلْجِيُوشِ وَالْهَيْبَةِ فِي الْأَعْدَاءِ ، دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ ، وَخَطَرَانِ مَهْمُولَانِ أَحَدُهُمَا ، أَنَّ الْأَعْدَاءَ يَغْتَمِزُونَ بِهَا مِنْهُ وَيَحْتَقِرُونَ بِهَا عَلَيْهِ فِي النُّهُوضِ بِهِ وَالْمُقَارَعَةِ لَهُ وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ ، وَالتَّكْشِفِ لِحَالِهِ وَالْعِلْمِ بِطَبَاعِهِ . وَالْأَمْرُ الْآخِرُ : أَنَّ الْجُنُودَ الَّتِي يَقُودُ ، وَالْجِيُوشَ الَّتِي يَسُوسُ ، إِذَا لَمْ يَخْتَبِرُوا مِنْهُ الْبَأْسَ وَالنَّجْدَةَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصِّبَةِ وَالْهَيْبَةِ انْكَسَرَتْ شَجَاعَتُهُمْ وَمَاتَتْ نَجْدَتُهُمْ وَاسْتَأْخَرَتْ طَاعَتُهُمْ ، إِلَى حِينِ اخْتِبَارِهِمْ وَوُقُوعِ مَعْرِفَتِهِمْ ، وَرَبَّمَا وَقَعَ الْبُورَارُ قَبْلَ

(١) عِتَاقِ الطَّيْرِ : الْجَوَارِحِ مِنْهَا .

(٢) أَفْتَاءُ : أَصْحَابُ الْقُوَّةِ مِنَ الشَّبَابِ ، جَمْعُ فَتَى ، كَيْتَمٌ وَأَيْتَامٌ .

الاختبار ، بباب المهدي - وفقه الله - رجل مهيب نبيه حنيك صيبت له نسب
زاك وصوت عالٍ قد قاد الجيوش وساد الحروب وتآلف أهل خراسان ،
 واجتمعوا عليه بالمقة^١ ووثقوا به كل الثقة ، فلولا المهدي أمرهم لكفاه
الله شرهم

قال المهدي : جانببت قصد الرمية وأبئت إلا عصبيّة ، إذ رأي الحداث
من أهل بيتنا كراي عشرة حلماء من غيرنا ؛ ولكن أين تركتم ولي العهد ؟

قالوا : لم يمتنعنا من ذكره إلا كونه شبيه جده ونسيج وحده ، ومن الذين
وأهله ، بحيث يقصّر القول عن أدنى فضله ، ولكن وجدنا الله عز وجل حجب
عن خلقه وستر دون عباد علم ما تختلف به الأيام ، ومعرفة ما تجري عليه
المقادير من حوادث الأمور ، وريب المتنون المختومة لحوالي القرون ، ومواضي
الملوك فكرهنا شسوعه عن محلة الملك ودار السلطان ، ومقر الإمامة
والولاية ، وموضع المدائن والخزائن ، ومستقر الجنود ومعدن الجود ، وجمع
الأموال التي جعلها الله قطنياً لدار الملك ، ومصيدة لقلوب الناس ، ومثابة
لإخوان الطمّيع وثوار الفتن ، ودواعي البدع ، وفرسان الضلال ، وأبناء
الموت ؛ وقلنا : إن وجه المهدي ولي عهده فحدث في جيوشه وجنوده ما قد
يحدث يجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهدي أن يعقبهم بغيره إلا أن ينهد
إليهم بنفسه ، وهذا خطر عظيم وهوّل شديد ، إن تنفست الأيام بمقامه
واستدارت الحال بإمامه ، حتى يقع عيوض لا يُستغنى عنه ، أو يحدث أمر لا
بد منه صار ما بعده مما هو أعظم هولاً ، وأجل خطراً له تبعاً ، وبه متصلاً .

قال المهدي : الخطيب أيسر مما تذهبون إليه ، وعلى غير ما تصفون الأمر
عليه ، نحن أهل البيت نجري من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من

العلم ، ومحتوم من الأمر ، قد أنبأت به الكتب ونبأت عليه الرسل ، وقد تناهى ذلك بأجمعه إلينا وتكامل بحذافيه عندنا ، فيه ندبسر وعلى الله نتوكل إنه لا بُدَّ لوليِّ عهدي وولي عهد عقيبي بعدي ، أن يقود إلى خراسان البعوث ويتسجه نحوها بالجنود ؛ أمّا الأول فإنه يقدم إليهم رسله ويعمل فيهم حيله ثم يخرج نشاطاً إليهم حقيقاً عليهم ، يريد أن لا يدع أحداً من إخوان الفتن ودواعي البدع ، وفرسان الضلال إلا توطأه بحرّ القتل وألبسه قناع القهر ، وقلده طوق الذلّ ولا أحداً من الذين عملوا في قصّ جناح الفتنة وإخماد نار البدعة ونصرة ولالة الحقّ إلا أجرى عليهم ديمّ فضله وجداول نهله ، فإذا خرج مؤمّعا به مجتمعا عليه لم يسر إلا قليلا حتى تأتبه أن قد عملت حيله ، وكذحت كتبه ونفذت مكائده ، فهدأت نافرة القلوب ووقعت طائفة الأهواء واجتمع عليه المختلفون بالرضا فيميل نظراً لهم وبرّاً بهم وتعطفاً عليهم إلى عدوّ قد أخاف سبيلهم وقطع طريقهم ومنع حُجّاجهم بيت الله الحرام ، وسلب تجارهم رزق الله الحلال ، وأمّا الآخر ، فإنه يُوجّه إليهم ، ثم تعمّده الحجة عليهم بإعطاء ما يطلبون وبذل ما يسألون ، فإذا سمحت الفرق بقراباتها له وجنح أهل النواحي بأعناقهم نحوه ، فأصغت إليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدمت عليه الوفود قصد الأول ناحية فجمعت بطاعتها وألقت بأزمئتها ، فألبسها جناح نعمته وأنزلها ظلّ كرامته وخصّها بعظيم حباه ، ثم عمّ الجماعة بالمعذلة وتعطف عليهم بالرحمة فلا تبقى فيهم ناحية دانية ولا فرقة قاصية إلا دخلت عليها برّكته ووصلت إليها منفعته فأغنى فقيرها وجبر كسيرها ورفع وضمها وزاد رفيعها ، ما خلا ناحيتين : ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتستميلهم الأهواء ، فتستخف بدعوته ، وتبطل عن إجابته وتثاقل عن حقه ، فتكون آخر من يبعث وأبطأ من يوجه ، فيصطلي عليها موجدة ويبتغي لها علة ، لا يلبث أن يجد بحقّ يلزمهم وأمر يجب عليهم فتستلجمهم الجيوش وتاكلهم السيوف ويستحرقهم القتل ويحيط بهم الأسر ويفنيهم التسلبع حتى يخرب البلاد ويؤتسّم الأولاد ، وناحية لا يبسط لهم أماناً ولا يقبل لهم عهداً

ولا يحمل لهم ذمّة لأنهم أولُ من فَتَحَ بابَ الفرقة وتدرّج جلبابَ الفتنة وربّض في شقّ المصا ، ولكنه يقتل أعلامهم ويأمّر قوّادهم ويطلبُ هُراهم في لجج البحار وُقُلل الجبال وحمل الأودية وبطون الأرض ثقيلًا وتغليلاً وتنكيلًا حتى يدع الدّيار خرابًا والنساء أياّمى - وهذا أمرٌ لا نعرف له في كتبنا وقتًا لا نصحّح منه غيرَ ما قلنا تفسيراً - وأما (موسى وليّ عهدي) فهذا أوانُ توجّهه إلى خراسان وحلوله بجرّجان وما قضى الله له من الشّخص والى المقام فيها خيرٌ للمسلمين مغبّة وله بإذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر في لجج بحورنا ومدافع سيولنا وبجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضله ويتذاب مشرق نوره ويتقلل كثير ما هو كائن منه ، فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس ؟

قال محمد بن الليث : أيها المهدي - إن وليّ عهدك أصبح لأمتك وأهل مِلّتك علماً قد تثنّت نحوه أعناقها ، ومدت سمّته أبصارها ، وقد كان لقرب داره منك ومحلّ جواره لك عطل الحال غفل الأمر واسع العُذر ، فأما إذا انفرد بنفسه وخلا بنظره وصار إلى تدبيره ، فإن من شأن العامة أن تتفقّد بخارج رأيه . وتستنصت لمواقع آثاره ، وتسأل عن حوادث أحواله في برّه ومرحمته ومعدلته ، وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ، ثم يكون ما سبق إليهم أغلب الأشياء عليهم وأملك الأمور بهم وألزمها لقلوبهم وأشدّها استمالةً لرأيهم ، وعطفاً لأهوائهم فلا يفنأ المهدي وفقه الله ناظرأله فيما يُقوّي عمدَ مملكته ، ويسدّد أركان ولايته ، ويستجمع رضاء أُمته بأمر هو أزين لحاله ، وأظهر لجماله ، وأفضل مغبّة لأمره ، وأجلّ موقعاً في قلوب رعيته ، وأحمد حالاً في نفوس أهل مملكته ، ولا أَدفع مع ذلك باستجماع الأهواء له ، وأبلغ في استعطاف القلوب عليه من مرحلة تظهر من فعله ، ومعدلة تنتشر عن أثره ، ومحبةٍ للخير وأهله - وأن يختار المهدي وفقه الله من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كلِّ

مصر، أقواماً تسكن العامة إليهم إذا ذكروا ، وتأنس الرعية بهم إذا وُصفوا ، ثم تسهل لهم عمارة سُبُل الإحسان ، وفتح باب المعروف ؛ كما قد كان فتح له وسهل عليه .

قال المهدي : صدقت ونصحت ؛ ثم بعث في طلب ابنه موسى ، فقال له :
 أي بُني - إنك قد أصبحت لِسَمْت وجوه العامة نُصَباً ، ولِثْنَى أَعطاف الرعية غايةً ، فحسنتك شاملة وإساءتك نائية ، وأمرُك ظاهر ، فعملُك بتقوى الله وطاعته فاحتمل سُخْط الناس فيها ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فإن الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك إثارك رضاه ، وليس بكافيك من يُسخطه عليك إثارك رضا من سواه - ثم اعلم أن الله تعالى في كل زمان فترة من رسله ، وبقايا من صفوة خلقه وخبايا لنصرة حقه يجدد حبلى الإسلام بدعواهم ويشيد أركان الدين بنصرتهم ويتخذ لأولياء دينه أنصاراً ، وعلى إقامة عدله أعواناً ، يسُدون الخلل ويقيمون المِلل ، ويدفعون عن الأرض الفساد ، وإن أهل خراسان أصبحوا أيدي دولتنا ، وسيوف دعوتنا ، الذين نستدفع المسكاره بطاعتهم ، ونستصرف نزول العظام بمناصحتهم ، وندافع ريب الزمان بعزائمهم ، ونزاحم ركن الدهر ببصائرهم ، فهم عماد الأرض إذا أُرْجفت لُفْقُها وخوف الأعداء إذا برزت صفحتها وحصون الرعية إذا تضايقت الحال بها ، فقد مضت لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات أخذت نيران الفتن ، وقسمت دواعي البدع ، وأذلت رقاب الجبارين ، ولم ينفكوا كذلك ما جَرَوْا مع ربح دولتنا ، وأقاموا في ظلّ دعوتنا ، واعتصموا بحبل طاعتنا التي أعز الله بها ذاتهم ورفع بها ضيعتهم ، وجعلهم بها أرباباً في أقطار الأرض وملوكاً على رقاب العالمين ، بعد لباس الذلّ وقيناع الخوف ، وإطباق البلاء ومخالفة الأسى وجهد البأس والضرّ فظاهروا عليهم لباس كرامتك ، وأنزلهُم في حدائق نعمتك ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالتهم وماتت سابقتهم ، وحُرمة مناصحتهم بالإحسان إليهم ، والتوسعة عليهم ، والإقامة لحسنهم ، والإقالة لمسيئهم .

أى بُنيّ ، ثم عليك العامة فاستدع رضاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها بالإنصاف لها ، وتحسن بذلك لربك ، وتوثق به في عين رعيتك ، واجعل عمّال العذر وولاة الحجج مقدمة بين يدي عملك ونصفة منك لرعيّتك ، وذلك أن تأمر قاضي كل بلد ، وخيار أهل كل مصر أن يختاروا لأنفسهم رجلاً تؤتليه أمرهم ، وتجعل العدل حاكماً بينه وبينهم فإن أحسن تجدته ، وإن أساء عذرت ، هؤلاء عمّال العذر وولاة الحجج ، فلا يستطعن عليك ما في ذلك ، إذا انتشر في الآفاق وسبق الى الأسماع من انعقاد ألسنة المرّجفين وكبت قلوب الحاسدين وإطفاء نيران الحروب ، وسلامة عواقب الأمور ، ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلاً ، ويعرى حبلك متعلقاً رجلاً : أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب وأعلام بيوتات الشرف ، له أدب فاضل وحلم راجح ودين صحيح . والآخر له دين غير مغموز وموضع غير مدخول ، بصير بتقليب الكلام ، وتصريف الرأي ، وأنحاء العرب ، ووضع الكتب ، عالم بحالات الحروب ، وتصاريف الخطوب ، يضع آداباً نافعة وآثاراً باقية من محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك فتستشير في حربك وتدخل في أمرك ، فرجل أصبته كذلك فهو يأوي الى محلتي ويرعى في خضرة جِناني ، ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان وخيار الأمصار أقواماً يكونون جيرانك وسمارك ، وأهل مشاورتك فيما تورّد ، وأصحاب مُناظرتك فيما تصدّر ، فسير على بركة الله ، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلاً يهدي الى الصواب قلبك ، وهادياً ينطق بالخير لسانك .

وفود بكرة الهلالية على معاوية

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها ، وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسنت وعشي بصرها وضعفت قوتها ، ترعش بين خادمين لها ؛ فسلمت وجلست ، فردّ عليها معاوية السلام ، وقال :

كيف أنت يا حالة ؟ فقالت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : غيّرَكَ الدهر ،
قالت : كذلك هو ذو غيّرٍ ، من عاش كبر ، ومن مات قُبر ، فقال عمرو بن
العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

يا زيدُ دونك فاحتقر من دارنا سيفاً حُساماً في التراب دفينا
قد كنتُ أذخره ليوم كريمة فالיום أبرزه الزمان مصونا

وقال مروان : وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أتري ابن هِنْدٍ للخلافة مالكا هيهات ذاك وان أراد بعيدُ
مَنَتِكَ نفسك في الحلام ضلالة أغرّاك عمرو للشقا وسعيدُ

وقال سعيد بن العاص : هي والله القائلة :

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أُمَيَّة خاطبا
فالله أخترَ مُدَّتِي فتناولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم لا يزال خطيبهم بينَ الجميع لآل أحمد عائبا

ثم سكتوا ، فقالت : يا معاوية ، كلامك أعشى بصري ، وقصّرَ حُجَّتِي ،
أنا والله قائلة ما قالوا ، وما خفي عليك مِنِّي أكثر ، فضحك معاوية وقال :
ليس يَنْبَغُ لنا ذلك من برك ، ، اذكري حاجتك ، قالت : أما الآن فلا .

مناظرة السيف والقلم

لزين الدين عمر بن الوردي المتوفى سنة ٨٧٤٩ هـ

لما كان السيفُ والقلمُ عُدَّتِي العمل والقول ، وعُدَّتِي الدُّوَل ، فإِنت
عِدَمَتُهُما دولةٌ فلا حَوْل ، ورُكْنِي إِسْنَادُ الْمُلِكِ الْعُمَرَيْنِ عن الخفوض
والرفوع ، ومَقْدَمَتِي نتيجة الجدل الصادر عنهما المحمول والموضوع فكُتِرَتْ
أيهما أعظم فخراً وأعلى قدراً فجِلستُ لهما بمجلس الحكم والفتوى ، ومثلتُهما في
الفكر حاضرين للدعوى ، وسويتُ بين الخصمين في الإكرام ، واستنطقت لسان
حائليهما للكلام ، فقال القلمُ : بسم الله يُجْزئها ومُرساها ، والنهار اذا جَلَاها

والليل إذا يَغشاهما ، أما بعد حمد الله باري القلم ، ومشرّفه بالقسم ، وجاعله أول ما خلق ، وجعل الورق بغضنه ، كما جعل الغصن بالورق ، والصلاة على القائل جفت الأقاليم ، فإن القلم قصب السباق ، والكاتب بسبعة أقاليم من طبقات الكتاب في السبع الطباق ، جرى بالقضاء والقدر ، وناب عن اللسان فيما نهى وأمر ، طالما أربى على البيض والسمير في ضربها وطعامها ، وقاتل في البعد ، والصواريم في القرب ملء أجفانها ، وماذا يشبه القلم في طاعة ناسه ؟ ومشيه لهم على أمّ راسه ؟ قال السيف : بسم الله الحافض الرفع ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع ، أما بعد حمد الله الذي أنزل آية السيف ، فعظم بها حرمة الجرح وآمن خيفة الحيف ، والصلاة على الذي نقذ بالسيف سطور الطروس ، وخدمته الأقاليم ماشية على الرؤوس ، وعلى آله وصحبه الذين أرمقت سيوفهم ، وبُنيت بها على كسر الأعداء حروفهم ، فإن السيف عظيم الدولة ، شديد الصولة ، محاسن البلاغة ، وأساغ ممنوع الإساعة ، من اعتمد على غيره في قهر الأعداء تعب ، وكيف لا وفي حده الحد بين الجد واللعب ؟ (فإن كان القلم شاهداً ، فالسيف قاض ، وإن اقتربت مجادلته بأمر مستقبل قطع السيف بفعل ماض ، به ظهر الدين ، وهو العدة لقمع المعتدين ، حملته دون القلم يد نبينا ، فشرف بذلك في الأمم شرفاً نبينا ، الجنة تحت ظلاله ، ولا سيما حين يسئل فتى ودق الدم يخرج من خلاله ، زينت بزينة الكواكب سماء غمده ، وصدق القائل : السيف أصدق أنباء من ضده ، لا يعبت به الحامل ، ولا يتناوله كالقلم بأطراف الأناجيل ، ما هو كالقلم المشبّه بقوم عرّوا عن لبوسهم ، ثم نكسوا كما قيل على رؤوسهم ، فكان السيف خلق من ماء دافق ، أو كوكب راسق مقدراً في السرد ، فهو الجواهر الفرد ، لا يشتري كالقلم بثمن بخس ، ولا يبلى كما يبلى القلم بسواد وطمس ، كم لقائه المنتظر ، من أثر في عين أو عين في أثر ، فهو في جراب القوم قوام الحرب ، ولهذا جاء مطبوع الشكل داخل الضرب ، قال القلم :

أو من يُنَسِّئاً في الحِلْيَةِ وهو في الخصام غير مُبِين ، يُفاخرُ وهو القائمُ عن الشمال ، وأنا الجالس على اليمين ؟ أنا المخصوص بالرأي وأنت المخصوص بالصُدَى ، أنا آلةُ الحياة وأنت آلةُ الرَدَى ، ما لَينَتَ إلا بعد دخول السَّعِيرِ ، وما حُدَدَتَ إلا عن ذنبٍ كبير ، أنت تنفعُ في العمرِ ساعة ، وأنا أفني العمرَ في الطاعة ، أنت للرَّهب ، وأنا للرَّغَبِ ؛ وإذا كان بَصْرُكَ حديدًا فَبَصْرِي ماءٌ ذهب : أين تقليدُكَ من اجتهادي ، وأين نجاسةُ دَمِكَ من تطهيرِ مِدادِي ؟ . قال السيف : أمِثْلِكَ يُعَيَّرُ مثلي بالدِّماء ؟ فظلما أُمِرْتُ بمض فِراخي - وهي السَّكِين - فأصبحتُ من النَّسَفَاتِ في عَقْدِكَ يا مسكين ، فأخلفت من الحياة جُثثانَكَ ، وشققتُ أنفَكَ وقطعتُ لسانَكَ . ويك ! إن كنتَ للديوان فحاسبُ مهموم ، أو للانشاء فخادمُ لخدوم ، أو للتبليغ فساحرُ مذموم ، أو للفقير فناقص في المعلوم ، أو للشاعر فسائلُ محروم ، أو للشاهد فخائفُ مسموم ، أو للمعلم فللحيي القيثوم . أما أنا فلي الوجه الأزهرُ والحِلْيَةُ والجوهر ، والهبةُ إذ أُشهر ، والصعود على المنبر ، ثم إني مملوكٌ كإلك ، فإنك كناسيك ، أسلك الطريق ، وأقطعُ العلائق .

قال القلم : أما أنا فابن ماءِ السماء ، وأليف الغدير وحليف الهواء ، أما أنت فابن النار والدخان وبارئ الأعمار وخوَّان الإخوان تفصلُ ما لا يفصلُ وتقطع ما أمر الله به أن يوصل ، لا جرم أن صَعَّرَ السَّيْفُ خده وصَقَّلَ قفاه ، وسَقَى ماءَ حميا ، فَقَطَّعَ مِيعَاهُ ، يا غُرَابَ البَيْتِ ، ويا عُدَّةَ الحين ، ويا مُعْتَلَّ العَيْن ، ويا ذا الوجْهين ، كم أفنيت واعدمت ؟ وارملت وأيتَّمَت ؟

قال السيف : يا ابن الطين ، ألسنت ضامراً وانت بطين ، كم جَرَّيتَ بِعَكْسٍ ، وتصرفت في مكس ، وزوَّرتَ وحرَّفتَ ، ونكَّرتَ وعَرَّفتَ ، وَسَطَّرتَ هَجْوَاً وشتماً ، وخلدتَ عاراً وذمماً ، أبشِرْ بفِرطِ رَوْعَتِكَ ، وشدة خيفتك ، إذا قِيسَتْ بياض صحيفتي بسواد صحيفتك ، فالنَّ خطابَكَ فأنت قصير المدة ، واحسن

جوابك فعندي حدة ، وأقل من غلظتك ، وجبهك ، واشتغل عن دم في وجهي
بقبيح في وجهك ، وإلا فأدنى ضربة مني بروم أرومتك ، فتستأصلك وتجتث
جرثومتك ، فسقياً لمن غاب لك عن غابيك ، ورعيماً لمن لو أهاب بك لسلخ
إهابك .

فلما رأى القلم السيف قد احتد ، ألان له من خطابه ما اشتد ، وقال : أما
الأدب فيؤخذ عني ، وأما اللطف فيكتسب مني ، فإن ليشت لينت ، وإن
أحسننت أحسنت ، نحن أهل السمع والطاعة ، ولهذا نجتمع في الدواقر الواحدة
مناجاة ، وأما أنتم فأهل الحدة والخلاف ، ولهذا لا يجتمعون بين سيفين في
غلاف . قال السيف : أمكراً ودعوى عفة ؟ لأمر ما جدع قصير أنفه ! لو كنت
كما زعمت ذا أرب ، لما قابلت رأس الكاتب بعقدة الذنب ، أنا ذو الصيت
والصوت ، وغراري لسان مشرقي يرتجل غرائب الموت ، أنا من مارج من
ناري ، والقلم من صلصال كالفضار ، وإذا زعم القلم أنه مثلي ، أمرت من يدق
رأسه بنعلي . قال القلم : صه فصاحب السيف بلا سعادة ، كأعزل . قال
السيف : مه فقلم البليغ بغير حظ مغزل ، قال القلم : أنا أركى وأطهر ، قال
السيف : أنا أبهى وأبهر ؛ فتلا ذو القلم لقلمه : إننا أعطيناك الكوثر ، وتلا
صاحب السيف لسيفه : فصل لربك وانحر . فتلا ذو القلم لقلمه : إن شانئك
هو الأبتر ، قال : أما وكتابي المسطور ، وبيتي المعمور ، والتوراة والإنجيل ،
والقرآن ذي التبجيل ، إن لم تكف عني غرْبك ، وتبعد مني قرْبك ، لأكتبنك
من الصم البكم ، ولأسطرنّ عليك بقلمي سجلاً بهذا الحكم ، قال السيف :
أما ومتنبي المتن ، وفتحي المبين ، ولساني الرطبين ، وجهي الصلبين ، إن لم
تغب عن بياضي بسوادك ، لأمسخن وجهك بمدادك ؛ ولقد كسبت من الأسد في
الغابة ، توقيح العين والصلابة ، مع أني ما ألوتك نصحاً ، أفضرِب عنكم الذكر
صفحاً ؟ قال القلم : سلّم إليّ مع من سلم إن كنت أعلى فأنا أعلم ، وإن كنت أحلى
فأنا أحلم ، وإن كنت أقوى فأنا أقوم ، أو كنت ألوى فأنا ألوم ، أو كنت

أطرى فأنا أطربُ ، أو كنت أغلى فأنا أغلب ، أو كنت أعتى فأنا أعتبُ ، أو كنت أقضى فأنا أقضب . قال السيف : كيف لا أفضلك ، والمقرُّ الفلاني شادُّ أزري . قال القلم : كيف لا أفضلك وهو (عزَّ نصره) ولي أمرني ؟ !

قال الحكمُ بين السيف والقلم : فلما رأيتُ الحجتين ناهضتين ، والبينتين بينتين متعارضتين ، وعلمتُ أن لكل واحدٍ منها نسبةً صحيحةً ، إلى هذا المقرِّ الكريم ، وروايةً مُسنَّدةً عن حديثه القديم ، لَطَفْتُ الوسيلة ، ودقَّعت الحيلة حتى رددتُ القلم إلى كُنته ، وأغمدتُ السيف فنام ملء جفنه ، وأخرتُ بينهما التَّرجيح وسكَّنت عما هو عندي الصَّحيح ، إلى أن يحكم المقرُّ بينهما بعلمه ، ويُسكِّن سورة غضبهما الوافر ولجأهما المديد ببسط حلمه .

مناظرة للآمدي بين صاحب أبي تمام — وصاحب البحتري

صاحب أبي تمام : كيف يجوز لقائل أن يقول : إن البُحتريَّ أشعرُ من أبي تمام ، ومن أبي تمام أخذ ، وعلى حدِّثه احتذى ، ومن معانيه استقى الحق قيل الطائي الأكبر ، والطائي الأصغر !

صاحب البحتري : أما الصَّحبة له فما صحبه ولا تتكلم له ، ولا روى ذلك أحد عنه ولا نقله ، ولا رأى قط أنه محتاج إليه ، ودليل ذلك الخبر المستفيض من اجتماعها وتعارفها عند (أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري) وقد دخل عليه البحتري بقصيدته التي أولها * أفاقَ صَبَّ من هوى فأفينا * وأبو تمام حاضر فلما أنشدتها علق أبو تمام منها أبياتاً كثيرة ، فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال : أيها الأمير ، ما ظننت أحداً يُقدِّم على أن يسرق شعري ، وينشده بحضرتي حتى اليوم . ثم اندفع ينشد ما حفظه ، حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة . فبهت البحتري ، ورأى أبوم تمام الإنكار في وجه أبي سعيد . فحينئذ قال له أبو تمام : أيها الأمير والله ما الشعر إلا له ؛ وإنه

أحسن فيه الإحسان كله ، وأقبل يقرظه ويصف معانيه ويدكر محاسنه ، ولم يفتح من محمد بن يوسف حتى ضاعف له الجائزة .

فمن كان يقول مثل هذه القصيدة التي هي من عين شعره وفاخر كلامه قبل أن يعرف أن أبا تمام جدير به أن يستغني عن أن يصحبه أو يتلمذ له أو لغيره من الشعراء ، على أنني لا أنكر أنه استعار بعض معاني أبي تمام ، لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البحتري من شعره وليس ذلك بمقتضى أن يكون أبو تمام أستاذ البحتري ، ولا يمنع أن يكون البحتري أشعر من أبي تمام . فهذا « كشيتر » قد أخذ من « جميل » واستقى من معانيه ، فما رأينا ان أحداً قال إن « جميلاً » أشعر منه بل هو عند أهل العلم بالشعر والرواية أشعر من جميل .

صاحب أبي تمام : إن البحتري نفسه يعترف ان أبا تمام أشهر منه ، فقد سئل عنه وعن أبي تمام فقال : إن جيته خير من جيدي ، وجيد أبي تمام كثير .

صاحب البحتري : إن كان هذا الخبر صحيحاً فهو للبحتري لا عليه لأن قوله هذا يدل على أن شعر أبي تمام كثير الاختلاف وشعره شديد الاستواء ، والمستوي من الشعر أولى بالتقدم من المختلف الشعر ، وقد اجتمعنا نحن وأنتم على أن أبا تمام يعلو علواً حسناً وينحط انحطاطاً قبيحاً ، وأن البحتري يعلو بتوسط ولا يسقط ، ومن لا يسقط ولا يسف أفضل ممن يسقط ويسف .

صاحب أبي تمام : إن أبا تمام انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه أولاً ، وإماماً متبوعاً ، وشهيراً له حتى قيل هذا مذهب أبي تمام وطريقة أبي تمام ، وسلك الناس نهجه ، واقتفوا أثره ، وهي فضيلة عري عن مثلها البحتري .

صاحب البحتري : ليس الأمر على ما وصفت ، وليس أبو تمام صاحب هذا المذهب ، ولا بأول فيه ولا سابق إليه ، بل سلك فيه سبيل مسلم بن الوليد

واحتنذا حذوه ، وأفرط في ذلك وأسرف ، حتى زال عن النهج المعروف ،
والسنن المألوف .

بل إن مسلماً غير مبتدع ، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسم
البديع متفرقة في أشعار المتقدمين فقصدّها ، وأكثر في شعره منها ، ولكنه
حرص على أن يضعها في مواضعها ، ولم يسلم مع ذلك من الطعن عليه ، حتى
قيل إنه أول من أفسد الشعر ، فجاء أبو تمام على أثره واستحسن مذهبه ،
وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من هذه الأصناف فسلك طريقاً
وعراً واستكره الألفاظ والمعاني استكراهاً ، ففسد شعره وذابت طلاوته
ونشيف ماؤه ، فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبي تمام لهذا المذهب وسبقه
إليه ، وكل ما في المسألة أنه استكثر منه وأفرط فكان إفراطه من أعظم
ذنوبه ، وأكبر عيوبه .

أما البحترى فإنه ما فارق عهود الشعر ، وطريقته المعروفة على كثرة ما جاء في
شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، فكان انفراده بحسن العبارة وحلاوة
اللفظ وصحة المعنى والبعد عن التكلف والتعمل سبباً في إجماع الناس على
استحسان شعره واستبجاده وتداوله ، ونفاق شعر الشاعر دليل على علو مكانته ،
واضطلاعها بما يلائم الأذواق ، ويلائم القلوب ، من أساليب الكلام ومناهجه .

صاحب أبي تمام : إنما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه لدقة معانيه
وقصور فهمه عنه ، أما النقاد والعلماء فقد فهموه وعرفوا قدره ، وإذا عرفت
هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من طعن بعدها عليه .

صاحب البحترى : لا يستطيع أحد أن ينكر منزلة ابن الأعرابي ، وأحمد بن
يحيى الشيباني ، ودُعبل الخزاعي من الشعر ، ومنزلتهم من العلم بكلام العرب ، وقد علمتم
مذهبهم في أبي تمام وازدراءهم بشعره ، حتى قال دُعبل : إن ثلث شعره محال

وثلثه مسروق وثلثه صالح، وقال: ما جعل الله أبا تمام من الشعراء، بل شعره بالخطب والكلام المنتثور أشبه منه بالشعر. وقال ابن الأعرابي في شعر أبي تمام: إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطل. وهذا محمد بن يزيد السُّبُرد: ما علمناه دُونَ له كبير شيء.

صاحب أبي تمام: إن دُعِبَ كان يشناً أبا تمام ويحسده على ما هو معروف ومشهور فلا يقبل قول شاعر في شاعر. وأما ابن الأعرابي فكان شديد التَّعَصُّب عليه لغرابة مذهبه، ولأنه كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه، فكان إذا سُئِلَ عن شيء منها يأنف أن يقول لا أدري فيعدل إلى الطعن عليه. ولا مانع أن يكون جميع من تَدُّ كرونه على هذا القياس.

صاحب البُحتري: لا عَيْبَ على ابن الأعرابي في طعنه على شاعر عدل في شعره عن مذاهب العرب إلى الاستعارات البعيدة المخرجة للكلام إلى الخطأ والإحالة، والعيب في ذلك يلحق أبا تمام إذ عدل عن المحجة إلى طريقة يحفلها ابن الأعرابي وأمثاله من المضطلعين بالسليقة العربية.

صاحب أبي تمام: إن العلم في شعر أبي تمام، أظهر منه في شعر البُحتري، والشاعر العالم، أفضل من الشاعر غير العالم

صاحب البُحتري: كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً، وكان الأصمعي شاعراً عالماً، وكان الكسائي كذلك، وكان خلف بن حيَّان الأحمر أشعر العلماء، وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء، والتَّجْوِيد في الشعر ليست علته العلم، والشائع المشهور أن شعر العلماء دُونَ شعر الشعراء، وقد كان أبو تمام يعمل على أن يدل في شعره على علمه باللغة وكلام العرب. أما البُحتري فلم يقصد هذا ولا اعتمده، ولا كان يعدّه فضيلة ولا يراه علماً، بل كان يرى أنه شاعر، لا بُدَّ له أن يقرّب شعره من فهم سامعه، فلا يأتي بالغريب إلا أن يتفق له في اللفظة بعد اللفظة في موضعه من غير طلب له ولا حرص عليه، على أن هذا العلم

الذي 'تؤثرون به أبا تمام لم يَنْفَعه ، فقد كان يلحن في شعره لحناً يضيقُ العذر فيه ، ولا يجدُ المتأول له مخرجاً منه ، إلا بالحيلة والتحمل الشديد .

صاحب أبي تمام : لسنا 'نشكر أن يكون صاحبنا قد وَّهم في بعض شعره ، وعدَل عن الوجه الأوضح في كثير من معانيه ، وغير غريب على فكرٍ نَتَجَّ من المحاسن ما نَتَجَّ وَوَلَدَ من البدائع ما وُلِدَ ، أن يلحقه الكلال في الأوقات ، والزَّلَلُ في الأحيان وبَل من الواجب لمن أَحَسَّن إحسانه أن يُسامح في سهوه ، ويتجاوز له عن أخطائه وما رأينا أحداً من شعراء الجاهلية سَلِمَ من الطعن ، ولا من أخذ الرِّوَاة عليه الغلط والعيب ، وكذلك ما أخذته الرِّوَاة عن 'الحديثين المتأخرين من الغلط والخطأ ، واللحن أشهرُ من أن 'يحتاج إلى أن 'نبرهنه أو ندل عليه ، وما كان أحد من أولئك وهؤلاء مجبول الحق ولا بموجود الفضل ، بل عفا إحسانهم على إساءتهم وتجويدهم عن تقصيرهم .

صاحب البُحتري : أما أخذُ السُّمو والغلط على من أخذَ عليهم من المتقدمين والمتأخرين ففي البيت الواحد والبيتين والثلاثة . أما أبو تمام فلا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عِدَّة أبيات ، يكون فيها مفسداً أو 'محيلاً أو عادلاً عن الستن أو مستعيراً استعارةً قبيحةً ، أو مخطئاً للمعنى بطلب الطَّباق والتجنيس ، أو مبهماً بسوء العبارة والتعقيد ، حق لا يفهم ولا يوجد له مخرج .

صاحب أبي تمام : 'تشكرون على أبي تمام من الفضل ما يعترف به البُحتري نفسه ، فقد رثاه بعد موته رثاء اعترف فيه له بالسبق وفضله على شعراء عصره .

صاحب البُحتري : لم لا يفعل البُحتري ذلك ؟؟ وقد كان هو وأبو تمام صديقين متحابين ، وأخوين متصافيين ، يجمعهما الطلب والمسبب والمكتسب ، فليس بمشكر ولا غريب أن يشهد أحدهما لصاحبه بالفضل ، ويصفه بأحسن ما فيه وينحله ما ليس فيه ، على أن الميث خاصة يُعطى في تأبينه من التقريظ والوصف وجمل الذكر أضعاف ما كان يستحقه .

صاحب أبي تمام : كيفما كان الأمر لا تستطيعون أن تدفعوا ما أجمع عليه الرواة والعلماء ، أن جيّد أبي تمام لا يتعلق به جيد أمثاله ، وإذا كان جيّد به هذه المكانة وكان من الممكن إغفال رديئه واطسراحه كأنه لم يقله فلا يبقى ريب في أنه أشعر شعراء عصره ، والبحثري واحد منهم .

صاحب البحثري : إنما صار جيّد أبي تمام موصوفاً ومذكوراً ليندركه ، ووقوعه في تضاعيف الرديء ، فيكون له رونق وماء عند المقابلة بينه وبين ما يليه ، وجيّد البحثري كجيّد أبي تمام ، إلا أنه يقع في جيّد مثله أو متوسط ، فلا يفاجيء النفس منه ما يفاجئها من جيّد صاحبه .

مناظرة بين الليل والنهار

لمحمد أفندي المبارك الجزائري

لما أسفر النهار عن بياض الغرة ، قابله الليل بسواد الطرة ثم صار اهزل جداً واشتدّ النزاع بينهما جداً ، فاستنجد كل منهما أميره ، وأفشى له سره وضميره ، وإذا بالليل حمل على النهار ، فصبغ حمرة وردته بصفرة البهار ، وخطر يجره ذيول تيهه وعجبه ، مرصعاً تيجان مفاخره بدُرَرٍ شهبه ، ثم قال : « والليل إذا يغشى » « إن في ذلك لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى » ففتح باب المناقشة في هذا الفصل ، وعقد أسباب المناقشة بقوله الفصل « فإن الحرب أو لها كلام ، ثم تنجلي عن قتيل ، أو أسير بكلام

ولما بلغ الليل غايته بزغ الفجر ورفع رايته ، وقال إذ جال في مُعترك المنايا « أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ، فتقدم في ذلك الميدان وجلي ، تالياً قوله تعالى والنهار إذا تجشّى » ثم استوى على عرش السنا والسناء ، وأطلع شمس طلعت في الأرض والسماء ، فأعرب عن غوامض الرقائق والحقائق ، وأغرب في نشر ما انطوى من الأسرار والدقائق ، وما انحدر من منبره ، حتى أيد دعوى

خبره بشاهد مخبره ، فانتدب إليه « الليل » ومال عليه كل الميل ، وقال : أحد من جعلني خلوة للأحباب ، وجلوة لمرائس العرفان ونفائس الآداب ، وخلقي مشوى لراحة العباد ، ومأوى لخاصة النساء والعباد ، والله دره من قال فأجاد :

أيها الليل طُلْ بغير جُنّاحٍ ليس للعين راحةٌ في الصباح
كيف لا أبغض الصباح وفيه بأن عني نور الوجوه الصباح

أترددُ على أرباب المجاهدة بفنون الغرائب ، وأتوددُ إلى أصحاب المشاهدة بعيون الرغائب ، تدور في ساحتهم بدور الحسن والبهاء ، وتدار من راحتهم كؤوس الأنس والهناء ، فتُحييهم نفحات السمر ، وتُحييهم نسمات السحر ، فأحياناً وصلي بالتهاني مقمرة ، وأفنان فضلي بالأمانى مشمرة ، وحسي كرامة ، أي للناس خير لباس أقيم بلطف الإيناس من كل باس ، ومن واصل الإدلاج وهجر طيب الكرى قيل له (عند الصباح يحمد القوم السرى) : .

وما الليل إلا لهُجِدٌ مطيئةٌ وميدانٌ سبق فاستبق تبلى المني

ففتن بمعاني بيانه البديع ، وتفنتن في أفانين التصريح والترصيع ثم أتم خطبته بالتأس المغفرة والعفو ، واستعاذ بالله من دواهي الغفلة ودواعي اللهو ، فوثب إليه (النهار) وصال عليه صولة ملك قهار ، وصعد على منبره ثانياً ، وقد أضجى التيه لعطفه ثانياً ، فأثنى على من جلّى ظلمة الحجاب ، وتجلّى له باسمه النور وتوجه بسورة من الكتاب وزانه بأبهى سراج وهّاج ، فأوضح بسناه السبيل والمنهاج ثم صاح : أيها الليل ، هلاّ قصرت من إعجابك الذليل ؟ ! ولئن دارت رحي الحرب واستمرت نار الطعن والضرب ، فلأسيبنّ مخدراتك ، وهي عن الوجوه حاسرة وأنت تتلو يومئذ « تلك إذا كربةٌ خاسرة » ، فما دعاك إلى حلبة المفاضلة ؟ وما دعاك حتى عرّضت بنفسك للمناضلة ؟ وهل دأبك إلا الخداع والمكر ؟ ! وترقب الفرصة وأنت داخل الوكر ؟ ! أما حضّ القرآن على التعمؤذ برَبِّ الفَلَسَقِ وندب « من شرّ ما خلّق » ومن شرّ غاسقٍ إذا

وقب « فبربي يُسْتَعَاذُ مِنْ شَرِّكَ ، وَيُسْتَعَانُ عَلَى صَنُوفِ صُرُوفِ غَدْرِكَ ،
وَهَبْ أَنْكَ تَجْمَعُ الْمُحِبَّ بِالْحَبِيبِ ، إِذَا جَارَ عَلَيْهِ الْهَوَى وَحَارَ الطَّبِيبُ ، فَكَمْ
يُقَاسِي مِنْكَ فِي هَاجِرَةِ الْهَجْرِ وَيَتَيْنُّ أَنْيْنَ الشُّكْلِ حَقَّ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ؟ !

يَبِيتُ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّداً وَفِي قَلْبِهِ نَارٌ يَشْبُ لَهَا وَقْدُ
فَيُسَاهِرُ النَّشْجُومَ ، وَيُسَاوِرُ الْوُجُومَ ، وَقَدْ هَاجَتْ لَوَاعِجُ غَرَامِهِ ، وَتَحَرَّكَتْ
سَوَاكِنُ وَجَدِهِ وَهَيَا مِهْ ؟ فَأَنْشُدْ زَوْفِيرَهُ يَتَصَعَّدُ :

أُقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمَّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
نَهَارِي نَهَارِ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِيَ اللَّيْلِ هَزَّتَنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
عَلَى أَنْ الْعَاشِقُ لَوَّلَهُ ، يَشْكُو مِنْكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، فَكَمْ قَطَعَ آثَاءَكَ
بِمَوَاصِلَةِ أَنْيْنِهِ مَتَمَلِّلاً مِنْ فَرْطِ شَوْقِهِ وَحَنِينِهِ ، فَلَمَّا أَنْ حُظِيَ بِالْوَصَالِ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ
مَنْ قَالَ :

اللَّيْلُ إِنْ وَاصَلْتَ كَاللَّيْلِ إِنْ هَجَرْتَ أَشْكُو مِنَ الطُّولِ مَا أَشْكُو مِنَ الْقِصَرِ

وَلِئِنْ افْتَخَرْتَ بِبَدْرِكَ الْبَاهِرِ الْبَاهِي ، فَإِنَّمَا تُبَارِي بَبَعْضِ أَنْوَارِي وَتُبَاهِي ،
وَهَلْ لِلْبَدْرِ عِنْدَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ مِنْ نُورٍ ؟ أَوْ لَطَلْعَةِ حَسَنِهِ مِنْ خُذُورِ الْبُطُورِ
ظُهُورٍ ! وَمَنْ ادَّعَى أَنْكَ تَسَاوَيْنِي فِي الْفَضْلِ وَالْقَدْرِ ! أَوْ زَعَمَ أَنَّ الشَّمْسَ تَقْتَبِسُ
مِنْ مَشْكَاةِ الْبَدْرِ ! وَمَتَى اسْتَمَدْتَ الْأَصُولَ مِنَ الْفُرُوعِ « وَمَا أَغْنَى الشَّمْسُ عَنْ
الشَّمُوعِ » ، فَبِي تَنْجَلِي مُحَاسِنَ الْمَظَاهِرِ الْكُونِيَّةِ ، وَتَحُلِّي بِجَوَاهِرِ الْأَعْرَاضِ
الْثَّوْنِيَّةِ وَأَنْتَرِي يَخْفَى حَسَنِي وَجْهِي عَلَى مَشَاهِدٍ أَوْ يَفْتَقِرُ فَضْلِي وَكُلِّي إِلَى شَاهِدٍ !
وَعَرَضِي عَارٍ عَنِ الْعَارِ ، وَجَمِيعِ الْحَسَنِ مِنْ ضِيَائِي مُسْتَعَارٍ ؟ !

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

أَمَّا كِفَالُكَ بَيِّنَةٌ ، وَزَادَكَ ذِكْرِي وَتَبَصَّرَ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَتَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ
وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً » وَ« هَلْ يَسْتَتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَتَوِي

الظلمات والنور ، وأين منزل أهل الغفلة من منزل أهل اليقظة والحضور وإن كنت مغنى الأنس والأفراح ، تفعل بمقول الناس فعل الرياح ، فهل حسبت أن السكون خير من الحركة ، وقد أجمع العالم على أن « الحركة بركة » ، فإن لي بكل خطوة حظوة ، وليس لجوادي كبوة^١ ، ولا ليصارمي نبوة وإن صرحت^٢ للذين يبيتون لرَبِّهم سجداً وقياماً ، معرضاً بكل غافل لاه ، في كل مجال رجال لا تلهيهم^٣ تجارة ولا بيع^٤ عن ذكر الله ، وأين من احتجب بظلمات بعضها فوق بعض ، ممن أضحي ينظر بعين الاعتبار في ملكوت السموات والأرض ! وقد أتحفني الله بالصلاة الوسطى فأوتر بها صلواتي ، وشرع فيها الأسرار لأسرار اختصت بها أهل جلواتي ، وكفاني شرفاً « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » فما ثري مأثورة في القديم والحديث ، ومفاخري منشورة^٥ في الكتاب والحديث ومحاسني واضحة^٦ لأولى الأبصار ، وهل تخفى الشمس في رائعة النهار ! فاكف عن الجدال وأمسيك^٧ ، ولا تجعل يومك مثل أمسك ، وسالم من ليس لك عليه قدرة ، فقد قيل « ما هلك امرؤ عرف قسره » أقول قولي هذا وأستغفر الله من آفة العجب والكبرياء ، ولما انهار ركن النهار ، ابهار^٨ (الليل) وتبرقع بالا كفه^٩ ، فسد ما بين الحافقين بسواده ، وطفيق^{١٠} يرمي بيسهام جدله في جلاده وقدم بين نجواه سورة القدر ، آية على ما حازه من كمال الرفعة والقدر ، وثنى بقوله تعالى : « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً » فأشار إلى الحبيب حين تجلست له قرة عينه ليلاً ، ثم قال : سحراً لك أيها النهار ، وفقد أسست بنيانك على شفا جرف هار^{١١} ، تناضلني ومني كان انسلاخك وظهورك ، وتفاضلني وبني أرحمت أعوامك وشهورك - ألم بأن لك أن تخشع للذكر^{١٢} ! فتعترف برتبة التقديم في الذكر^{١٣} ، وكيف تميزني بلون السواد ! وهل يقبج السواد إلا في الفؤاد !؟ أو كيف تميميني

بالخداع (والحربُ خُدعة) وليس الشيء في موطنه بغريب ولا بيدعة!؟ أما تشهد العوالم من هينبني حيارى؟ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، فكم أرقت^١ ملوكاً أكسرة؟ وأرقت^٢ دماء أسود كسرة ، وكم أوزيت^٣ نار الوغى تحت العجاج؟ وقد ازورت^٤ اللحاظ واغربت^٥ الفجاج ، فأنا البطل الذي لا يُصنطلي بناره ، ولا يأخذ منه الموتور بشاره ، وافتخارك^٦ علي بالصلاة الوسطى ، ليس إنصافاً منك ولا قسطاً ، وهب^٧ أنك انفردت بتلك الصلاة الجليلة ، فأين أنت مما أوتيته من الصلوات الجزيلة ، أما كان افتراض الصلاة ليلة العروج؟! فما بالك تدعي الارتقاء إلى هذه البروج!؟

وما أعجبك^٨ني قط دعوى عريضة ولو قام في تصديقها ألف شاهد

وأما افتخارك علي بفضل شهر رمضان ، وما نزل فيه من السبع المثاني والقرآن ، فهل صح لك صيامه إلا بي بدءاً وختاماً؟! وقد تميزت^٩ عليك بفضيلة إحيائه تهجداً وقياماً ، على أني محل النية « ونية المرء خير من عمله » لأنها بمثابة الروح له ، وبها يحظى الراجي ببلوغ أمله ، هذا : وإني أتكفّل للصائم بمديد الراحة ووافر الأجر حتى يتبين له الخيط الأبيض من الأسود من الفجر ، وكيف تفتخر بالكتاب المنزه في مزاياه عن المشاركة؟ والله تعالى يقول فيه : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ » وهل في مطالع سعودك أشرقت بدور العيدين؟! أم على جناح جُنْحك أشرى بنور طلعة الكونين؟! ثم عُرج^{١٠} به عليه الصلاة والسلام إلى منزلة قاب قوسين وهل في تجليات أسحارك يقول الرب : هل من سائل؟ فيُنَاجيه العبد متضرعاً إليه بقلب خاشع ودمع سائل .

ومما اختصت به من الفضائل والمفاخر ، أنه في دولتي ولد سيد الأوائل والأواخر ، وناهيك بلبالي شهر الله رجب ، وكيف لا وفي طالعها السعيد حملت أمانة بسيد العجم والعرب .

(١) أرقت : أسهرت .

(٢) أرقت : أسلمت .

فطلع (النهار) طلوع الأسد من غابه ، وكسر جيوش الدجى حين كسّر
عن نابيه ، وشمّر للحرب العوان غير ناكل ولا وان ، ناشراً في الأفق رايته
البيضاء وأسبخته لامعة بين الخضراء والقبراء ، وقال : والذي كساني حُلل
الملاحه ، وأطلق لساني بالبلاغة والفصاحة ، لأحونّ سطور الدجى من طُروس
الوجود ؛ ولأثبتن حسن أحوالي في مقامات أهل الشهود ، فإني معروف بالوفاء
وصدق الخبر ، موصوف بالصفاء الذي لا يشوب صفوه كدر ، كيف يُباهيني
(الليل) بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم ، وأنا أتحدث بنعم الله وهو موسوم
بكُفّران النعم ؟ أليست مظهر الهداية والدلالة ، وهو مظهر الغواية والضلالة ؟ !
فكم أرشدت من أضله ، وأعززت من أهانه وأذله ، وكم أظهرت منه عيباً كان
غيباً ، فابيضت عينه حُزناً « واشتعل الرأس شيباً » :

ومن جهلّت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

وكيف يزعم هذا العبد الأبق أنه لسيّده في حلبة الشرف سابق ، وقد قال
الواحد القهار : « ولا الليلُ سابقُ النهارِ » إن هو وأيم الله إلا كافر ، وبشموس
أنوار الشهادة غير ظافر ، لو كان من السعداء لفاز بدار النعيم ، ولولا شقاؤه لما
شابه سواد طبقات الجحيم ، وماذا يؤمله من الجزاء ويرجوه « يوم تَبْيَضُّ وجوه
وتسود وجوه ، أمأدرى أن صحيفته سواد مظلمة ، وصحيفتي تفصح عن نفس مؤمنة
بالله مسلمة ! وأنى يرقى كتابه إلى عليّين ، وهو من ظلمات الحجاب في سجين ! .

ثم أقبل عليه ، وأنشد مشيراً إليه :

يا مُشبهاً في فعله لودسه لم تعدّ ما أوجبت القسمة
خلدك من خلقتك مستخرج والظلم مُستق من الظلمة

وقال : كيف تدعي فوق حالك ، وأي فضل لمن منظره أسود حالك ! .
أما علمت أن الظاهر للباطن عنوان ، كما ان اللسان عن الجنان ترجان قال
أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام : « ابتغوا الخير عند حسان الوجوه » وقال الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلائقه في وجهه شاهد من الخبر
فأنا مفتاح خزائن الأرزاق ، وبني يُستفتح بابُ الكريم الرزاق ، وكفاني
دليلاً على الفضل والكمال « إن الله تعالى جميلٌ يحبُّ الجمال » لقد سمعتُ أقاويلك
التي قدمتها بين يديك ، وزعمتَ أنها حُجَّةٌ عليك^(١) ، ولا جرم أن « لسان الجاهل
مفتاحٌ حَسَنٌ » ، وكم من باغٍ قُتلَ بصارمٍ بغيهِ وَحيفُهُ - أما انسلاخي منك فمن
أملح الملح لي والغُرَّر ، وهل تحقُّ لأصناف الأصداف أن تُنافس نفائس الدرر؟
أليست « تلدُ الأمة ربتها حُرَّةً نجيبة » وقد قالوا : « إن الليالي حَبَالٌ يلدُن
كل عجيبة » وأما تقدُّمُك عليّ فمن العادة تقدم الحُدم بين يدي السادة :

أو ما تُرى أن النبيَّ محمداً فاقَ البريةَ وهو آخرُ مرسل

على أنه « أولُ ما خلق الله النور » كما ورد عن جابر في الخبر المأثور .

وأما تحيِّي صفوتك بتحيِّي الحق تعالى في السَّحَر ، فليس إلا لمن أحيَا
أحيانك بالمجاهدة والسير ، وأما زَهُوُّكَ بقصة ظهور سيد ولد آدم الذي هو
نتيجة مقدّمات الكون وزُبُدة العالم ، فهل وقع اتفاق الرواة على ذلك ،
وأنسى لك هذا ، وصَبَّح طلعتُه تمحو سوادك الخالك ، وأما خبرُ الإسراء فعني
رَوته الأمة^(٢) ثم بَلَغَهُ الشاهد للغائب بعد أمة^(٣) ؛ فما لاحت أسرارُه إلا بطلالعي ،
ولا زاحت أستاره إلا بطوالعي ، وما أشرَّتْ إليه من بقية معانيك التي أضاءت
بها في الخافقين نجومُ معاليك ، فأين أنت من يوم عَرَفة ، الذي عرفه بأبهي
الخصائص مَنْ عرفه ، وأين أنت من يوم عاشوراء ، الذي يَعظم فيه الشكر
والصبر على السراء والضراء ! وناهيك بسمو شأن العيدين ، فما أجَلَّتْهُما من
موسمين سعيدين ، وكيف تُفَاخِرني بساعة تبدو منك مرة في كل عام ، ولي كل

(١) هكذا بالأصل والأصح أن يقال: « وزعمت أنها حجة لك مع أنها حجة عليك ».

(٢) الأمة : أهل الدين . (٣) الأمة : الحين من الدهر ، أي مدة ، أو وقت .

أسبوع أمدٌ تمتد فيه موائد الجُود والإنعام فأخبارُ أخباري سارت بها الركبان ،
وماست بنسيم رقتها معاطف البيان ، وقدرى فوق ما تصفه الألسن ،
وعندي « ما تشتهيهِ الأنفس وتلك الأعين » فدع عنك قول الزور والمين
« فقد بُيِّنَ الصبح لذي عينين » .

ولمّا افاض (النهار) في حديث يفضح الأزهار ، أبدع في كينايته وتلويحه ،
وأعرب في تعريضه وتصريحه - ابتدر إليه الليل (وأجلب عليه بالرجل
والخيل) وامتطى جواده الأدم ، واعتم بعمامة سوداء وتلثم ، فأنسى بفتكاته
عنته بني عبس ، حين أمسى بتوعد عمارة بالقتل والرمس ، ثم نشر في الأفق
ذوائبه السود ، وعبس وبسر فأسر بسطوته الأسود ، وقال : « فلا أقسم
بالشفق ، والليل وما وسق ، والقمر إذا اتسق » لأسبين رؤمي النهار ،
ولأجعلنه عبرة لذوي الاعتبار فلقد تزيت المملوك بزى الملوك ، وادعى مقام
الوصول إلى صاحب السر والسلوك ، أمّا كفاه اردرائي وتحقيري ؟! حتي
حكم بتضليلي وتفكيري ! كم أسبلت على عوراتي ذيل ساري ، وهو لا يبالي
بهتك أستاري ؟! وكم أودعت مكنون سره في خزانة سري ، وهو يبوح
بمضون أسراري ! أف له من فاضح أما يكفيه ما فيه من المفاض ؟!

أنتم بما استودعتم من زجاجة يرى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن

كيف احتج لتقدمه بحديث جابر ، مع أن ما رواه ليكسري أعظم جابر ،
فإنه برهن على تقدمي عليه لو أدرك سر ما أوما إليه ، وعلام جمل السواد على
النقص علامة ، وهو مشتق من السؤدد لدى كل علامة ؟ أما درى أنني حُزْتُ
من الكمال الحظ الأوفر ، حتى تحلى ببديع وصف العنبر والمسك الأذفر !

إن كنت عبداً فنفسي حرّة كرماً أو أسود الخلق إني أبيض الخلق

وهل يُزري بالخال سواده البار ، أو يُغري بالبرص بياضه الناصع ، وفي
بياض المشيب عبرة وأي عبرة ، فكم أجري من الأماق أعظم عبرة .

له منظرٌ في العين أبيضٌ ناصعٌ ولكنه في القلب أسود أسفح

وَمَنْ عَابَ نَعْتِ الشَّبَابِ ، وَفَضَّلَ وَصْفَ الشَّيْبِ ، فَقَدْ غَابَ عَنْ شُهُودِ الْعَيْبِ
وَعَالَمِ الْغَيْبِ ، فَمَا كُلُّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةٌ وَلَا كُلُّ حُمْرَاءٍ لَحْمَةٌ ، وَلَمَّا أَنْهَى مَقَالَهُ ،
وَمَلَّ مَقَامَهُ شَتَرَ لِلرَّحْلَةِ أَذْيَالَهُ ، وَقَتَّوْضَ خِيَامَهُ ؛ فَتَهَلَّلَ وَجْهَ الصَّبَاحِ ، وَهَلَّلَ
بِذِكْرِ فَالِقِ الْإِصْبَاحِ وَازْدَهَاهُ السَّرُورُ وَالِابْتِهَاجُ ، كَأَنَّهُ رَبُّ السَّرِيرِ وَالْتِمَاجِ :

فَكَانَ الصَّبْحُ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الدُّثْرِيَا
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي التَّاجِ يُفْدِي وَيُحْيِيَا

وَبَرَزَ إِلَى الْمُبَارَزَةِ مِنْ بَابِهَا ، إِذْ كَانَ فِي 'فِرْسَانِهَا وَأَرْبَابِهَا' ، فَسَلَبَ (الليل)
لِبَاسَهُ ، وَأَذَاقَهُ شِدَّتَهُ وَبَاسَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَعْجَبُ بِنَفْسِهِ ، الْمَغْرِبُ فِي نَقْشِهِ
صِيحْفَةُ زُورِهِ بِنَفْسِهِ ' مَا كُلُّ سَوْدَاءٍ قَمَرَةٌ ، وَلَا كُلُّ صَهْبَاءٍ خَمْرَةٌ ' أَلَمْ تَعْلَمْ
أَيْشُنَا أَهْبَى 'مُحْيَا' ، وَشَتَانِ مَا بَيْنَ الثَّرَى وَالثَّرِيَا ، أَيْنَ سَوَادُكَ مِنْ بِيَاضِي ؟ ! وَمَا
زَهْرُ نَجْمِكَ إِنْ تَتَلَّأَزَهْرُ رِيَاضِي ! وَكَمْ أَطْلَعْتَ بُدُوراً فِي مَوَاكِبِ السَّيَارَةِ ،
فَأَضَحْتَ تَرَهُّوً يُجَاهِلُهُ عَلَى الْكَوَاكِبِ السَّيَارَةِ ، وَهَلْ لَكَ مِثْلُ الْغَزَالَةِ ؟ الَّتِي
انْفَرَدَتْ فِي الْمَلَاخَةِ لَا مُحَالَةَ ! فَأَنَا الَّذِي ضَاءَ صَبَاحُ الصَّبَاحَةِ مِنْ 'مُحْيَاهُ' ، وَضَاعَ
عَبِيرُ الْعَنْبَرِ مِنْ نَشْرِ أَنْفَاسِهِ وَطَيْبِ رِيَّاهُ ؛ وَلَوْلَايَ مَا عُرِفَ الْحُسْنُ وَالْجَمَالُ ،
وَلَا سَعَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِدَرِ الْكَمَالِ . فَتَوَجَّعَ (الليل) لِبَرَاعَةِ تِلْكَ الْعِبَارَةِ ،
وَبَلَغَ مَا لَاحَ لَهُ مِنَ الرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ ، ثُمَّ رَثَبَ لِلْمَقَالِ كَأَنَّمَا أَنْشَطَ مِنْ عِقَالِ ،
وَقَالَ : « رَبِّ مَلُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ » وَمُظْلُومٌ خَيْبَ الدَّهْرِ أَمَلُهُ ، فَلِإِلَى مَتَى يَسُوءُ فِي
النَّهَارِ ؟ وَحَقٌّ مَ يَسُومُنِي عَذَابُ النَّارِ ، طَالَمَا أَعْرَثُهُ أَدْمًا صَحْمَاءُ ، وَعَيْنًا عَمِيَاءُ ،
وَهُوَ لَا يَنْتَشِي عَنْ الْمَقَابِلَةِ ، وَلَا يَرْعُوِي عَنْ الْحَارِبَةِ وَالْمَقَاتِلَةِ ، أَمَا تَعْلَمُ أَيُّهَا
الْمُعْتَرِبُ بِيَبْيَاضِكَ أَنَّ السَّوَادَ حِلْيَةُ أَهْلِ الزَّهْدِ وَالصَّلَاحِ ، وَهَلْ يَسْتَرِقُ الْأَسْوَدُ إِلَّا
سُودُ أَحْدَاقِ الْمَلَاخِ ! بَيِّدْ أَنْ الْحَرَّ لَا يُثْبَالِي بِالْجَمَالِ الظَّاهِرِ وَإِنَّمَا يَبَاهِي بِالْفِعْلِ

الجميل ، والقلب الطاهر ، فإن تفاوتت المراتب ، بحسب تماوت المناقب .
وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق

وكم أعددتُ للأنس مقاعد ، وفي الأمثال : « رب ساع لقاعد » فإن ظلي
ظليل ونسيمي عليلٌ بليل ، تهدي بي الأنفاس وتسكنُ الأعضاء والحواس . فقام
(النهار) يعثر بذيله ، وقد كفكفَ واكيف سيله ، فما لبث أن تنفّس الصباح ،
وأظهر من سناه ما أخفى ضوء المصباح ، ورُفرف بجناحه الابيض على الدجى ،
فاقتنصه من وكره بعدما سكن وسجا :

فكان الصباح في الأفق بازٌ والدجى بين مِخْلَبَيْهِ غُرابٌ

وقال : تبأ لك أيها (الليل) فلقد أوتيت من المئين أوفر نيل ، اي حديث
لك صحيح وضعته ، وأي حق لك صريح أضعته ؟!

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد
وأنع رضا الله فأغبى الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد

نعم لك في السمر خبرٌ مرفوع ، بيد أنه مكروه في السنة موضوع ، قد
اشتهرت لكن بأقبح الاوصاف ، وعدلت لكن عن سبيل العدل والإنصاف ،
تكتم عن المرء ما يؤذيه « وتخفي في نفسك ما الله مُبْديهِ » وفي المثل : « الليل
أخفى للويل » فما أصعبَ مراسك قبل افتتار سهيل ، وهل يترنم بذكرك إلا
غافل ؟! وأنسى يفتربك عاقلٌ ، ونجمك آفل ؟! وكيف تفتخر عليّ ، وأنت
تفتقر إليّ ؟!

ولمّا سلب النهار بأساليب بيانه العقول ، سكت الليل مَلِيّاً ثم أنشأ يقول :

فعين الرضا عن كل عيب كيلةٌ كما أن عين السخط تُبْدي المساويا

كيف أنصتني للكذب ، وأتردني باللهو واللعب !! وأنا المنعوت بالاشطف
والظرف والموسوم بالصمت وغض الطرف ، كيف أورث الغرور ، وأوثر الغفلة على
الحضور ، وأنا الداعي لذكر الله وحده ، والساعي في رد الكثرة الوهمية إلى عين

الوَحدة وأنا الموصوف بالسُّننِ الجميل ، والمعروفُ بشكر المعروف والجميل ،
 وهل أُنْجِبُ البصر عن شُهُودِ عالَمِ الكُثافة ، إلا لأَكْشِفَ لعين البصيرة عن
 عالَمِ اللطافة ، وبذلك يتحقق العبد بفنائهِ عن وُجودِهِ ، فَيَمِدَّهُ الربُّ تعالى
 بسرِّ بقاءهِ من خزائن جودِهِ . ثم قال (النهار لليل) وقد هجم عليه هُجوم
 السيل : أيها المدعي مقام الدُّعْوَةِ إلى الله ، وهو في حال الغفلة عن مَوَلاهِ لاه ،
 كيف تَسْتَدْنِمْتُ ذُرْوَةَ هذا المُنْهَرِ ؟ كأنك تَكْتُبُ بالمِسْكِ وتُخْتَمُ بالعنبر !
 لقد أطلت فيما « لا طائِلَ تحته » ولا مَعْنَى ، فكَمْ ذَا « أَسْمَعُ جَعِجَجَةً » ولا أرى
 طَحْنًا « فلو كنت ممن انتخب غُررَ الشَّيْمِ وانتَقَى ، لانتَعِظْتَ بقوله تعالى :
 « فلا تَكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى » فتنبّه من غفلتك أيها « الليل » قبل
 أَنْ تدعو بالشُّبُورِ والويل ، وإلا فَرَّقْتُ طلائع سوادِك أي تفريق ، ومزقت
 سوابغَ ظلامِك أي تمزيق « فما كلُّ مَرَّةٍ تَسْلُمُ الجُرَّةَ » . فاسودَّ وجه الليل ،
 وانقلبَ « بِجَشَفٍ وسوء كيل » وندم على مُناظرةِ النهار ، ندامة الفرزدق
 حين فارق النُّوَّارَ ١ ولما سَقِطَ في يَدِهِ ، ورُزِيَ في عَدَدِهِ وعُدَدَهُ ، تردى
 بالسواد ، ولبسَ ثياب الحِداد ، ثم لاح هلاله للعين ، كَمِنْجَلٍ صيغ من الجُئِنِ
 انظُرْ إلى حُسْنِ هلالٍ بدا يَجْنُو سَنَا طَلْعَتِهِ الحِنْدِيسَا
 كَمِنْجَلٍ قد صيغ من فِضَّةٍ يَحْصُدُ مِنْ زَهْرِ الدَّجَى نَرَجَسَا

(١) بنت مجاشع زوج الفرزدق طلقها في مجلس عبد الملك بن مروان - وذلك
 أن الفرزدق قال في المجلس وفيه جرير - النوار طالق ثلاثاً إن لم أقل بيتاً لا
 يستطيع جرير أن ينقضه أبداً فقال عبد الملك : ما هو ؟ فقال :
 فإني أنا الموت الذي هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله
 فقال جرير أم حرزة طالق منه ثلاثاً إن لم أكن نقضته وزدت عليه . فقال
 عبد الملك هات . فأنشد :

أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجنني بمثل الدهر شيئاً يطاوله
 فقال عبد الملك : فضلك والله يا أبا فراس ، وطلق عليك .

وقال : مَنْ يُنصفني من هذا الجائر؟ ويُنصيتُ لي فأبئته شكوى الواله الحائر
فحتّام أعاني حدّ الظُّبَا ، وقد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى
وكنت كالمُتَمَنّي أن يرى فسلفاً من الصُّبَاح فلما أن رآه عمي
فانتبه طرفُ (النهار) وازدهر سِراحه أيّ ازدهار ، وشَرع يتلو سورة
النور بكمال الابتهاج ، والشَّمْسُ ترقمُ آية جماله بالذهب الوهاج
وقابل الصُّبْحُ جُشُوحَ الليل فارتسمتْ سُطورُه البَيضُ في ألواحسه السُّود
ثمّ قال أيها « الليل » البهيم « تالله إنَّكَ لفي ضلّالك القديم » كيف تدّعي
أنَّكَ مظلوم ، وتشتكي من جورِي وأنت الظّلم ، وهبْ أني قاتلتُكَ ظلماً
فأنت البادي ، وهل قابلتك إلا بما واجهتني به في المبادي ، وها أنا برّهنتُ على
فضلي بشهود عدول ، ليس للمنصف عن تركية شهادتهم عدول ، فاستقلّ من
دعوى المجد والفخر ، « فقد حصّص الحقُّ » ووضح الفجر ، وإن أبيت سلوك
محجّتي ولم تتضح لك أدلة حُجّتي ، فهلم إلى « حضرة الأمير » ولا ينبئك مثل
خبيّر . فانكر الليلُ زعمه التفرد بالفضل وادّعاءه ، وأجاب في عرض أمرها على
(الأمير) دعاءه ، وقال : على الخبير سقطت وعند ابن يحدّثها حططت .

وكتب أيضاً في مناظرة بين الأرض والسماء

جالت السماء في ذلك المضمار وصالت ، ونوّهت برفيع قدرها وقالت : تبارك
الذي جعل في السماء بُروجاً ، ومنح أشرف الخلقِ إلى مُروجاً ، وقدّمني في
الذكر في محكم الذكر ، وشرفني بحسن القسم ، وأتحفني بأوفر القسم ، وقدّسني
من النقائص والعُيوب ، وأطلعني على الغوامض والغُيوب ، وقد ورد أن الرّب
ينزل إلى كل ليلة ، فيولي من تعرض لنفحاته بره ونيله . فيا لها من تحفة جليلة
ومنحة جزيلة يحقُّ لي أن أجربها ذُيول العزة والافتخار ، وكيف لا والوجود
بأسره باسطٌ إلى أيدي الذلة والافتقار ، فلي العز الباذخ ، والمجد الأثيل الشامخ ،
لتفردني بالرفعة والسمو وعلوّ المنزلة دون غلوّ . فقالت لها « الأرض » . ويك لقد

أكثر نزرأ وارثكبت بما فُهِت به وزرأ، أما إنه لا يُعجَبُ بنفسه عاقل ، ولا يأمنُ مكر ربه إلا غافل ، ومن ادعى ما ليس له بقوله أو فعله ، فهلاكه أقربُ إليه من شرك نعله ، وقد قيل : « من سعادة جدك » ، وقوفك عند حدك » ، ومن فعل ما شاء لقي ما ساء ، أو ما كفأك أن خَطرَت في ميادين التيه والإعجاب ! حتى عرضت لشتمي « إن هذا الشيء عُجَاب » ! وهل اختصك الله بالذكر ؟ أو أقسم بك دوني في الذكر ؟ أو أثرك بالتقديم ، في جميع كلامه القديم ، حتى ترديت بالكبرياء وتعديت تطور الحياء !

إذا لم تخشَ عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا وأبيك ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وكيف تزدري أهلي بالذنوب والمعاصي ؟ وأنت تعلمين أن الله هو الآخذ بالنعاصي ؟ فقابلتها « السماء » بوجه قد قطبته ، ومجن قد قلبته ، وقالت لها في الحال : أيتها القانعة بالحال ، ما كنتُ أحسبُ أنك تجترئين على مُبارزة مثلي ، وتنكرين علي ما ترغبتُ به من شواهد مجدي وفضلي ، وهل خيلت أن التحدث بالنعم بما يلام عليه ؟ مع أنه أمرٌ مندوبٌ إليه ؟ ومن أمثال ذوي الفطنة والعقل « ليس من العدل سرعة العدل » وكيف جحدت ظهور شمس كالي ؟ وهل لك من الفضائل والفواضل كالي ! ولكن لك عندي عُذراً جليلاً ، وإن كنت « لقد جئت شيئاً فرياً »

قد تنكر العين ضوء الشمس من رَمَدٍ ويُنكيرُ القَم طعم الماء من سقم

ولو رأيت ما فيك من المساوي عياناً ، لما ثنيت إلى حلبة المفاخرة عناناً . فأنسى تفوزين بأشرف الأقدار ، وأنت موضع الفضلات والأقذار ؟ وما هذا التطاول والإقدام ، ووجهك موطىء النعال والأقدام ، إن هذا إلا فعل مكابر ، دعوى عريضة وعجز ظاهر ، وهل يحق للكثير أن يتغالى على اللطيف ، أم ينبغي للوضيع أن يتعالى على الرفيع ! فقالت لها « الأرض » : أيتها المستفترّة

بطوالع أقمارها والمُعْتَزَّةُ بلوامع أنوارها « ما كلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً ، ولا كلَّ
حُمْرَاءَ لَهْمَةً » فِيمَ تَزْعُمِينَ أَنْكَ أَتَقَى مِنِّي وَأَنْقَى ، وما عند الله خيرٌ وأبقى ،
وأنت راقفةٌ لي على أقدام الخدمة جارية في قضاء مآربي بحسب الحكمة ، قد
كفلك الحق بحمل مؤونتي ، وكلفك بمساعدتي ومعونتي ، ووكلك بإيقاد سراجي
ومصباحي ، ووكلك إلى القيام بشؤوني في ليالي وصباحي ، وليس عُلوُّكَ
شاهدًا لك بالرتبة العليَّة ، فضلاً عن أن يوجبَ لك مقام الأفضلية - فما كل
سُرْتَفَعٌ نَجْدٌ ، ولا كلُّ مُتَعَاظِمٍ ذُو شَرَفٍ ومجد

وإن علاني من دوني فلا عَجَبٌ لي أسوةً بالمحطاطِ الشمس عن زُحَل
فمن أعظم ما فقتُ به حسناً وجمالاً ، وكذتُ بإخمصي أطاً الثريا فضلاً
وكمالاً تكوينِ الله مني وجود سيّد الوجود ، فأفرغَ عليّ به خلع المكارم فهو
بدر الكمال وشمسُ الجمال :

وأجلُّ منك لم تر قط عينٌ وأكملُّ منك لم تلد النساءُ
خُلِقْتَ مبرءاً من كل عيبٍ كأنك قد خلقت كما تشاء

فأكرم به من نبي أسرّني به وأرضى ، كيف لا ولولاه ما خلق سماء ولا
أرضاً وجعلني له مسجداً وطهوراً ، وأقرّ به عيني بطوناً وظهوراً .
فأبرقت « السماء » وأرعدتْ ، وأرغتْ وأزبدتْ ، وقالت : إن لم
تَنخُطْ شِيْ خَطَّةَ المكابرة وتَنخُلِي عن هذه المنابرة ، لأغرقنك في بحر طوفاني ،
أو أحرقنك بصواعق نيرانِي ، وهل امتطيت السهاكين ، أو انتعلت الفرقدين ،
حق تفتخري عليّ ، وتشيري بالدم إليّ ، وتلك شهادة لي بالكمال ، ولقد صدق
من قال :

وإذا أَتَيْتَكَ مَذْمُوتِي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كامل

أم حسبت أن لك في ذلك حجة ، فخاطرت بنفسك في ركوب هذه اللشجة
وكنت كالباحث عن حقه بظلفه ، والجادع مارين أنفه بكفت
لكل داءٍ دواءٌ يُسْتَطَبُّ به إلا الحماقة أعْيَيْتَ مَنْ يُداوِيها

أما دعواك أني واقفة على أقدام الخدّمة ، فهي مما يوجبُ عليك شكر الفضل والنّعمة ، فلو تفكرت أن خادماً القوم هو السيد والمولى ، وعرفت الفاضل من المفضول ، أو تدبّرت أن اليد العُليا خيرٌ من اليد السفلى ، لاستقلت من هذا الفضول ، فإن قيامي بشؤونك أوضح أمانة - وأما قولك : مني سيد الوجود ، ومن اصطفاهم لحضرته الملك الوُدود ، فإن كنت تفتخرين بأشباحهم الظاهرة ، فأنا أفتخرُ بأرواحهم الطاهرة ، أمّا علمت أنها في ملكوتي تغدو وتروح ، وبوارديّ^١ بسطي وقبضي تشدو وتنوح ، فأنا أولى بهم ، وأحرى بالافتخار بحزبهم .

فلما سمعت الأرض من السماء مقالة تقطر من خلالها الدماء ، أطرقت لحة بارقي خاطف ، أو نغمة^٢ طائر خائف ، ثم قنعت رأسها ، وصعدت أنفاسها وقالت : لقد أكرّث يا هذه اللفظ ، وما آثرت الصواب على الغلط ، فعملام تهزئين بي وتستخفين بحسبي ونسيي وإلام تنقُضين عرى أدلتي ، ولا تعالينني بالتي ؟ وحتّام تقابلينني بأنواع التأنيب ، ولم لا تقفي على حقيقتي بالبحث والتنقيب ؟ أحسبت أن الجسم ما خلق إلا عبثاً ، ولا كان للنفس النفيسة إلا جنداً ؟ وفي ميدانه تتسابق الفُهوم ، وتُدرك عوارف المعارف والعلوم ، وبه تترقى الأرواح في مراقي الفلاح . وكيف لا يكون مقدساً من كل غي ومين ؟ وهو لا يفتّر عن تسبيح بارئهِ طرفة عينٍ ! وإلى متى أنت عليّ مُتَحاملة ؟ وعن آية العدل والإحسان متاحلة ؟ وأنا لك أسمع من خادم ، وأطوع من خاتم ، على أن لي من الفضائل ما ثبت بأصح البراهين والدلائل ، أما في بقعة من أشرف البقاع على الإطلاق ، لضمّها أعضاء من قسّم الله به مكارم الأخلاق ! وفي روضة من رياض الجنّة ، كما أفصحت عن ذلك السنة السّنة ، ومني الكعبة والمشعر الحرام ، والحجر وزمزم والركن والمقام ، وعاليّ بيوت الله تُشدّ

إليها الرِّحال ، ويسبِّحُ فيها بالغُدُرِّ والآصال رجال ، وأخرَجَ مني طيِّبات
الرزق فأكرمَ بها عباده ، وأتمَّ نِعَمَتَهُ عليهم فجعل الشكر عليها عِبَادَةً ؛
وناهيك بما اشتملت عليه من الرِّياض والغياض ، ذات الأنهار والحياض . التي
تُشفي بنسيمها العليل ، وتنفي ببرد زلالها حرَّ الفليل

لَمْ لَا أَهْمُ عَلَى الرِّياضِ وطيبها وأظِلُّ منها تحت ظِلِّ ضافٍ
والزَّهرُ يضحك لي بشجر باسم والنَّهرُ يلقاني بقلبٍ صافي

فأسفرتُ عن بدر طلعتِها « السماء » وهي تزهُو في بُرود السَّنا والسَّناء ،
وقالت تناجي نفسها عند ما رَقَّ السَّمَرُ ، حتّامَ أَرها السَّهى وتُريني القَمَرُ ؟ ثم
عظفتُ عليها تقول ، وهي تسطو وتصول : أيتها المتعدية لمُفاضَلتي ، والمتصدية
لمناضَلتي مَن قيس التراب بالمسجد ؟ أَر شُبَّه الحصى بالزبرجد ؟ ! إن افتخرتِ
بشرف هاتيك البقاع التي زَها بها منك اليَفَاع والقَاع ، فأين أنت من عرش
الرَّحمن؟ الذي تَعكفُ عليه أرواحُ أهل الإيمان؟ وأين أنت من البيت المعمور !
والكرسي المكلَّل بالنُّور ؟ ! وكيف تفتخرين علي بروضة من رياض الجنة ،
وهي عليّ بأسرها فضلاً من الله ومِنَّة ! أم كيف تزعمين أنه كُتِبَ لك
بأوفر الحظوظ ، وعندي القلم الأعلى واللوح المحفوظ ؟ وأما ازدهاؤك بالحياض
والأنهار ، والرياض المبتهجة بوُرود الورد والأزهار فليت شِعْري هل حويت
تلك المعاني إلا بنفحات غيوثي وأمطاري ؟ ! أم أشرقت منك هاتيك المعاني إلا
بلمحات شموسي وأقاري ؟ ! فكيف تُباهيني بما منحك إياه ، وعطرتُ
أرجاءك بأريج نَشْره ورِياه ؟ ! يا عجباً منك كلما لاحَ عليّ شعار الحزن ،
خطرتِ في أبهى حُلّة من حُلل الملاحاة والحُسن ، وإن افترتِ ثُغور بدور
أنسي ، وقرتِ ببديع جمالي عينُ شمسي ، زَقرت زفرة القيظ ، وكدت أن
تُتميزي من الفيظ ، ما هذا الجفاء يا قليلة الوفاء ؟ ! وهل صفت أوقانك إلا
بوجودي ، أو طابت أوقانك إلا بوابل كرمي وجودي ؟ ! ولو قطعتُ

(١) وردت الشجرة وروداً إذا اخرجت وردها .

عنك لطائف الإمداد خلعت ملابس الأنس ولبست ثياب الحداد ! أو حجبت
 عنك الشُّموس والأقمار لما ميّزت بين الليل والنهار ! فهلا كُنْتَ بفضلي معترفة
 حيث إنك من بحر قَيْضِي معترفة ؟ فنَزَعْتَ « الأرض » عن مُقاتلتها ،
 وعلمت أنها لا قِبَل لها بمقابلتها ، وحين عجزت عن العوم في بحرها ، واستسلمت
 تمامها لسحرها ، بسطت لها بساط العتاب ، متُمَثِّلَةً بقول ذي اللطف والآداب :
 إذا ذهبَ العِتابُ فليسَ وُدٌّ وَيَبْقَى الوُدُّ ما بَقِيَ العِتابُ
 ثم قالت : اعلمي ايتهَا الموسومة بسلامة الصُّدر ، الموصوفة بِسموِّ المنزلَةِ
 وعُلُوِّ القدر ، ان الله ما قارَنَ اسمي بِاسمِكَ ، ولا قابلَ صورةَ جسمي بِجسمِكَ ،
 إلا لمناسبة عظيمة ، وأُلفَةٍ بيننا قديمة ، فلا تُشعِيتي بنا الأعداء ، وتُسيِّثي
 الأحبَّاءَ والأوْدَاءَ ، فإنَّ ذلك من اعظم الرِّزايا ، وأشدَّ الحُزنِ والبُلايا
 كلَّ المصائب قد تَمَرُّ على الفتى فتَهونُ ، غيرَ شِمتَةِ الأعداءِ
 ألا وإنَّ العبدَ محلُّ النقصِ والخلل ، وهل يسوغ لأحدٍ ان يُبرِّيَ نفسه
 من الزَّلَلِ ؟ ! ومَن ذا الذي يسلم من القَدَحِ ، ولو كان اقومَ من القِدَحِ
 ومَن ذا الذي يُرضي مزايده كُلِّها كفى المرءُ نُبلاً ان تُعدَّ معايينه
 هذا ، وإنَّ لي مفاخرَ لا تُنكر ، ومآثرَ تجلُّ عن ان تحصر ، كما انك في
 الفضل اشهرُ من نارٍ على علَمٍ ، وأَجَلُ من ان يحصي ثناءً عليك لسانُ القلم ،
 فألى متى ونحنُ في جدالٍ وجلادٍ ، نتطاعنُ بأَسِنَّةِ ألسِنَةِ حدادٍ ، وهل ينبغي
 ان يُحَرَّ بعضُنا على بعضٍ ذِيلَ الكِبَرِ والصِّلَفِ ، عفا اللهُ عَمَّا سَلَفَ ،
 وهذه لعمري ، حقيقة امري ، فانظري إلى بعينِ الرِّضا واصفحي بحَقِّكَ عَمَّا
 مَضَى .

ولما سمعت السماء هذه المقالة ، التي تجنَّحُ إلى طلب السُّلْمِ والإقالة ، قالت لها :
 ما أربُّ لا حفاوة ، ومشربٌ قد وَجَدْتُ لَهُ حلاوة ، وما ندبتُ إليه من المودة

والألفة ، فلأمر ما جدّ قَصِيرٌ أذفه ، ولو لم تُلْغِي إليّ القِيَادَ ، لعَايَنْتَ مِنِي
ما دونه خَرُطُ القِتَادِ ، ولكن لا حَرَجَ عَلَيْكَ ولا ضَيْرَ ، فإنك اخترت الصلح
والصلحُ خير ، وكيف جَعَلْتَ العِتَابَ شرطاً بين الأحباب أو ما سمعت بعض
أولي الألباب :

إذا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِباً صَدِيقَكَ لَمْ تَلْغِ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
وإن أنْتَ لَمْ تُشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ قَصْفٌ وَمُشَارِبُهُ
وما أنا رَادَةٌ إِلَيْكَ عَوَائِدُ إِحْسَانِي ، ومَوَائِدُ جُودِي وَاِمْتِنَانِي ، فَقَرِّبِي
عَيْنًا وَطِيبِي نَفْسًا ، وَتَهَيَّيْ ابْتِهَاجًا وَأَنْسَا ، وَأَبْشِرِي بِسَاوِغِ الْوَطَرِ ، وَزَوَالِ
الْبُؤْسِ وَالْخَطَرِ ، فَسَجَدْتَ الْأَرْضَ شُكْرًا ، وَهَامَتَ ذَنْشُوتٌ وَسُكْرًا ،
وتَهَلَّلَ وَجْهُهَا سُورًا ، وَاِمْتَلَأَتْ طَرِبًا وَحُبُورًا .

مناظرة بين فصول العام لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٤٠١ هـ

قال الربيع : أنا شاب الزمان ، وروح الحيوان ، وإنسان^١ عين الإنسان
أنا حياة النفوس ، وزينة عروس الغُروس ، ولزجة الأبصار ، ومنطق الأطيّار ،
عَرَفَ^٢ أَوْقَاتِي نَاسٌ ، وَأَيَّامِي أَعْيَادٌ وَمَوَاسِمٌ ، فِيهَا يَظْهَرُ النَّبَاتُ ، وَتُذْثَرُ^٣
الْأَمْوَاتُ ، وَتُرَدُّ الْوَدَائِعُ ، وَتَتَحَرَّكُ الطَّبَائِعُ ، وَيَمْرُجُ^٤ جَنِيبُ^٥ الْجَنُوبِ^٦ ،
وَيَنْزَحُ^٧ وَجِيبُ^٨ الْقُلُوبِ ، وَتَفْقِضُ عَيُونُ الْأَنْهَارِ ، وَيَعْتَدِلُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ،
كَمْ لِي عَقْدٌ مَنْظُومٌ ، وَطِرَازٌ وَشِيٌّ مَرْقُومٌ ، وَحِلَّةٌ فَاخِرَةٌ^٩ ، وَحِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ ،
وَلَنَجْمٌ سَعْدٌ يُدْنِي رَاعِيَهُ مِنَ الْأَمَلِ ، وَشَمْسٌ حُسْنٌ تُنْشِدُنَا^{١٠} : « يَا بَعْدَ مَا بَيْنَ بُرْجِ
الْجَدْيِ^{١١} وَالْحَمَلِ^{١٢} ، عَسَا كَرِي مَنْصُورَةٌ ، وَأَسْلِحِي مَشْهُورَةٌ فَمَنْ سَيْفٌ غُصْنٌ

- (١) ما يرى في سوادها (٢) الريح الطيبة (٣) تحيا (٤) ينشط (٥) مجنوب ،
والجنوب ريح تخالف الشمال ، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا (٦) ريح
تخالف الشمال ومنه إذا جاءت الجنوب جاء معها خير كثير (٧) يبعد ويذهب
(٨) خفقاها (٩) تقول لنا من إنشاد الشعر (١٠) برج في السماء وهو أحد البروج
الاثني عشر التي تمر بها (١١) برج في السماء أيضاً .

بجوهه^١ ، وديرع بنفسج مشهر^٢ ، ومغفر شقيق^٣ أحمر، وترس بهار يبره^٤ ،
وسهم آس يرشق فينشق^٥ ، ورُمج سوسن^٦ سينانه أزرق ، تحرسها آيات^٧ ،
وتكتشفها ألوية^٨ ورايات^٩ ، بي تحمر من الورد خدوده ، وتهتز من البان قدوده ،
ويخضر عذار الریحان^{١٠} ، ويلتبه من النرجس طرفه الوسان^{١١} ، وتخرج الحبايا
من الزوايا ويفتر ثمر الأفسحوان^{١٢} قائلاً أنا ابنُ سجلا وطلاع الشنایا (
إن هذا الربيع شيء عجيب^{١٣} يُضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب حيث ذهبنا ودر^{١٤} حيث درنا وفضة^{١٥} في الفضاء

(وقال الصيف : أنا الخيل^{١٦} الموافق ، والصديق الصادق ، والطبيب الحاذق
أجتهد في مصلحة الأحاب ، وأرفع عنهم كللفة حمل الثياب ، وأخفف
أثقالهم ، وأوفر أموالهم ، وأكفيهم المؤونة ، وأجزل لهم المعونة ، وأغنيهم
عن شراء الفيرا ، وأحقق عندهم (أن كل الصيد في جوف الفيرا) نصرت^{١٧}
بالصبا ، وأوتيت الحكمة في زمن الصبا ، بي تتضح الجادة^{١٨} ، وتنضج من الفواكه
المادة ، ويزهو البسرس^{١٩} والرطب وينصلح مزاج العنب ، ويقوى قلب اللوز ،
ويلين عطف التين والموز ، وينعقد حب الرمان ، فيقمع الصفراء ، ويسكن
الحققان ، وتخضب وجنات التفاح وينذهب عرف^{٢٠} السفرجل مع هبوب
الرياح ، وتسود عيون الزيتون وتخرج تيجان السارنج والليمون ، مواعدي منقودة ،
وموائدي ممدودة ، الخير موجود في مقامي ، والرزق مقسوم في أيامي .
الفقير ينصاع^{٢١} بملء مده وصاعه ، والغني يرتفع في ربيع ملكه وإقطاعه ،
والوحش تأتي زرافات^{٢٢} ووحيدان^{٢٣} ، والطير تغدو خفاصاً وتروح بطاناً^{٢٤} .

(١) زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس (٢) شقائق النعمان وهو نبت
أحمر الزهر مبمع بنقط سوداء كبيرة (٣) نبات طيب الرائحة (٤) النعسان
الغفلان (٥) البابونج نبت طيب الرائحة حوالیه ورق أبيض ووسطه أصفر
(٦) الطريق (٧) رائحته الطيبة (٨) ينتقل راجعاً مسرعاً
(٩) جماعات (١٠) تذهب جائعة وترجع ممتلئة .

مصيف^١ له ظِلٌ ظليل على الورى وَمَنْ حلا طعماً وحللاً أخلاطاً
يعالج أنواع الفواكه مُبدياً لصحتنا حفظاً يُعجز بقراطاً^٢

(وقال الخريف) : أنا سائق الغيوم ، وكاسر جيش الغيوم ، وهازم أحزاب السموم^٣ ، وحادي نجائب السحائب ، وحاسر نقاب المناقب ، أنا أصد^٤ الصدى^٥ وأجود بالندى ، وأظهر كل معنى جلي^٦ ، وأسمو بالوسمي^٧ ، والولي^٨ ، في أيامي تقطف الثمار ، وتصفو الأنهار من الأكدار ويتفرق^٩ دسع العيون ، ويتلون ورق الغصون ، طوراً يحاكي البقم ، وتارة يشبه الأرقم ، وحيناً يبدو في حلته الذهبية فيجذب^{١٠} إلى خلته القلوب الأبية ، وفي^{١١} يكفى الناس هم^{١٢} الهوام^{١٣} ، ويتساوى في لذة الماء الخاص والعام ، وتقدم^{١٤} الأطيار^{١٥} مطربة^{١٦} بنشيشها رافلة^{١٧} في الملابس المحددة عن ريشها ، وتعصر^{١٨} بنت العنقود وتوثق^{١٩} في سجن الدن^{٢٠} بالقيود ، على أنها لم تجترح^{٢١} إثمًا ، ولم تعاقب^{٢٢} إلا عُدوانًا وظلمًا ، بي تطيب^{٢٣} الأوقات ، وتحصل^{٢٤} اللذات ، وترق^{٢٥} النسائم ، وترمى^{٢٦} حصى الجمرات ، وتسكن حرارة القلوب ، وتكثر أنواع المطعوم والمشروب ، كم لي من شجرة أكلها دائم ، وحملها للنفع المتعدي لازم ، ورقها على الدوام غير زائل ، وقدود^{٢٧} أغصانها^{٢٨} تخجل كل رُمح ذابل :

إن فصل الخريف وافى إلينا يتهادى في حلته كالعروس
غيره كان للعيون ربيعاً وهو ما بيننا ربيع النفوس

(وقال الشتاء) أنا شيخ الجماعة ، ورب البضاعة ، والمقابل^١ بالسمع والطاعة أجمع شمل الأصحاب ، وأسدل^٢ عليهم الحجاب ، وأتحفهم بالطعام والشراب ، وَمَنْ ليس له بي طاقة^٣ أغلق من دونه الباب ، أميل^٤ للطبيع ، القادر المستطيع

(١) بقرط الحكيم اليوناني وهو لفظ يوناني معناه ناسك الصبح (٢) الريح الحارة (٣) العطش (٤) المطر الذي يأتي في الخريف ، والولي الذي يأتي بعده (٥) تفرق الدمع في العين تحرك .

المعتضد بالبرود والفرأ ، المتمسك من الدينار بأوثق العُرى ، ومن يَعِشُ عن ذِكْري ، ولم يَمَثِلْ أمري ، أَرْجَفْتُهُ بصوت الرُّعد ، وَأَنْجَزْتُ لَهُ من سيفِ البرق صادق الوعد ، وَسَرْتُ إِلَيْهِ بعساكر السحاب ، ولم أَقْنَعْ من الغنيمة بالإياب ، مَعْرُوفِي مَعْرُوف ، وَنَسِيلِ نَسِيلِي موصوف ، وَثَمَارِ إِحْسَانِي دَانِيَةُ القُطُوف ، كم لي من (وابل) طويل المدى (وَجُود) وافر الجدا (وقطر) حلا مذاقه (وغيث) قيد العُثْمَانَةِ إطلاقه (وديمة) تُطْرِبُ السمع بصوتها (وَحْيًا) يحيي الأرض بعد موتها ، أَيامي وجيزة وأوقاتي عزيزة ، ومجالسي معمورة بذوي السيادة ، مغمورة بالخير والمير والسعادة ، نُقْلُهَا يَأْتِي من أنواعه بالعَجَب ، ومناقلها تسمعُ بذهب اللهب ، وراحها تُنْعَشُ الأرواح ، وسقاتها يحفونهم السقيمة تفتن العقول الصَّحاح ، إن رُدَّتْهَا وَجَدْتَ مَالاً ممدوداً ، وإن زُرْتَهَا شاهدت لها بَنِينَ شهوداً .

مناظرة بين البر والبحر لقعض الأدباء

قال (البر) يا صاحب الدَّر ، وَمَعْنَدِن الدَّر ، أَطْرَقْتَ رياضي وَمَزَقْتَ قصوري وأحواضي ، وَأَغْرَقْتَ جَنَّتِي ، ودخلت جنتي ، وتلاطمت أمواجك على جِنَّتِي ، وَأَكَلْتَ جزائري وجروفي ، وَأَهْلَكْتَ مَرْعَى فَصِيلِي وخروفي ، وَأَهْزَلْتَ ثوري وحلي وفرسي وجملي ، وَأَجْرَيْتَ سفنك على أرضٍ لم تَجْرَ عليها ، ولم تَمَلْ طرف غرايبها إليها ، وغرست أوتادها على أوتاد الأرض ، وعرست في مواطن السفلى والفرس ، وجملت بجري مراكيبك في بجري مراكبي ، ومشى حوتك على بطنه في سعد أخبية مضاري ، وغاص ملاحك في ديار فَرَاحِي ، وهاجرت من القرى إلى أم القرى وجملت فَلَاحِي أَنْقَالَهُ على القِري ، وقد تلقيتك من الجنادل بصدري ، وحملتك إلى بَرْزَخِكَ على ظهري ، وقبّلت أمواجك بثغري ، وخلفت مَقْنِيَّاسِي فرحاً بقدمك إلى مصري وقد جُرْتُ وعدلت وفعلت ما فعلت ، فلعلك تفيض ، ولا يكون ذهابك عن ذهاب بغيض ،

أو تفارق هذه الفِجَاج ، وتختلط بالبحر العِجَاج ، وإن لم تفعل شكّوناك إلى
مَن أنزلك من السماء ، وأنعم بك علينا من خزائن الماء :

إذا لم تكن ترحم بلاداً ولم تُغيثْ عِبَاداً ففولاهم يَغِيثُ وَيَرْحَمُ
وإن صدرت منهم ذنوبٌ عَظِيمَةٌ ففَعَفُوا الذي أجراك يا بحرُ أعظمُ
غُدُّهُ إليه أيدياً لم تَمُدَّهَا إلى غيره والله بالحالِ أعلمُ

قال (البحر) : يا بَرُّ ، ياذا البِسرِّ ، ومنبتِ البُرِّ ، هكذا تخاطب
صيفك وهو يخصب شتاءك وصيفك ، وقد ساقني الله إلى أرضك الجرُّ ،
ومعدن الدُّرِّ والخرز لأ بهج زرعها وخيلها ، وأخرج أبها ونخيلها ، وأكرم
ساكنك ، وأنزل البركة في أماكلك ، وأثبت لك في قلب أهلك أحكام الحبة ،
وأثبت بك لهم في كل سنبله مائة حبة ، وأحييت حياة طيبة ، يمتسج بها
عمرُك الجديد ، وتتلو كذلك يحيي الله الموتى « السنة العبيد ، وأطهرك من
الأوساخ ، وأحبل إليك الإبلز فأطيبك به من عرق السباخ ، وأنا هدية الله إلى
مصرِكَ ، وملكَ عصرِكَ ، القائم بنصرِكَ ، ولولا برّكاتي عليك ، ومسيرِي في كل
مَسرَى إليك ، لكننت وادياً غير ذي زرع ، وصادياً غير ذي ضرع :

سَرَيْتُ أنا ماءُ الحياة فلا أذى إذا ما حفظتُ الصَّحْبَ فالمال هَيْنُ
فكن خَضراً يا بَرُّ واعلم بأنني إلى طِينِكَ الظَّمآن بالري أحسنُ
وأسمى إليه من بلادٍ بعيدةٍ وأحسنُ أجري بالتي هي أحسنُ
إذا طاف طوفاني بمقياسك الذي يُسيرُ بِإِتيانِ الوَفاءِ وَيُملِنُ
فقم وتلقَّاه ببسطتيكَ التي لَرَوْضَتِهَا فَضْلٌ على الرِّوضِ بَيْنُ

ولعمري : لقد تَلَطَّفَ (البرُّ) في عِتابِهِ وأحسن ، ودَقَعَ (البحرُ) في جوابِهِ
بِالتي هي أحسن ، وقد اصطاحا وهما بِحَمْدِ الله أخوان مُضَافَران على عمارة
بِلادِهِ ، ونشر الثَّروة ونمو الخيرات بين عِبَادِهِ ، فالله تعالى يخصب مرعاهما
ويحرسهما ويرعاهما

مناظرة بين الهواء والماء لبعض الأدباء

قال (الهواء) : الحمد لله الذي رفع فلك الهواء ، على عنصر التراب والماء .
 «أما بعد» فأنا الهواء الذي أُولف بين السحاب وأنقلُ نسيمَ الأحباب ، وأهْبُ
 ثارة بالرحمة وأخرى بالعذاب ، وأنا الذي سَيَّرَ بي الفلكُ في البحر كما تسير
 العيسُ في البساط ، وطار بي في الجوُّ كل ذي جناح ، وأنا الذي يضطربُ مني
 الماء اضطراب الأنايب في القنا ، إذا صَفَوْتُ صفا العالم ، وكانت له نَصْرَة
 وزَهْوٌ ، وإذا تَكَدَّرَتْ انكدرت النجوم وتكدَّرَ الجوُّ ، لا أتلوُّن مثل الماء
 المتلوُّن بلون الإناء ، لولايَ ما عاش كل ذي نفس ، ولولايَ ما طاب الجوُّ من
 بخار الأرض الخارج منها بعد ما احتبس ، ولولايَ ما تكلم آدميٌ ولا صَوَّت
 حيوان ، ولا غرَّد طائر على غصن بان ، ولولايَ ما سَمِعَ كتاب ولا حديث ،
 ولا عُرِفَ طيبُ المسموع والمشموم من الخبيث فكيف يُفاخرني الماء الذي إذا
 طال مُكثه ، ظهر خبثه ، وعلت فوقه الجيفُ وانحطت عنده اللآلئُ في
 الصدف .

فقال (الماء) : الحمد لله الذي خلق كلَّ حيٍّ «أما بعد» فأنا أول مخلوق
 ولا فخر ، وأنا لذة الدنيا والآخرة ويوم الحشر ، وأنا الجوهر الشفاف ، المشبه
 بالسيف إذا سُلَّ من الغلاف ، وقد خلق الله فيَّ جميع الجواهر حق اللآلئِ
 والأصداف ، أحسني الأرض بعد مماتها ، وأخرج منها للعالم جميع أقواتها ،
 وأكسو عرائس الرِّياض أنواع الحلل ، وأنثر عليها لآلئ الوَبَل والطلل ، حق
 يُضْرَب بها في الحُسْن المثل ، كما قيل :

إن السَّيِّئَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مَقْلَتْهَا لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّمَرِ

فكيف يُنْكَرُ فضلي مَنْ دَبَّ أو درَج ؟ وأنا البحرُ الذي قيل عنه في
 الأمثال « حدَّث عن البحر ولا حرَج » وأما أنت أيها الهواء : فطالما أهْلَكَت
 أمَّا بِسُومِيكَ وزمهريرِكَ ، ولا تقوِّمَ جَنَّتُكَ بِسَمِيرِكَ .

وأما قولك: لولايَ ما عاش إنسان، ولا بقيَ على الأرض حيوان، فجوابه: لو شاءَ اللهُ تعالى لعاش العالم بلا هواء، كما عاش عالم الماء في الماء، وأنشدك الله أما رأيتَ ما حباني اللهُ به من عظيم المنَّة، حيث جعلني نهرًا من أنهار الجنة، أنا أرفع الأحداث، وأطهرُ الأخباث، وأجلو النظر، وأزيلُ الوَضر، أما رأيتَ الناسَ إذا غيبتُ عنهم يتضرَّعون إلى الله بالصوم والصلاة والصدقة والدعاء ويسألونه تعالى لإرسالي من قبَل السماء؟ واعلم أنني ما نلتُ هذا المقامَ الذي ارتفعتُ به على أبناء جنسي، إلا بالخطاطبي الذي عيَّرتني به وتواضعي وهضم نفسي.

وقد كثر بينهما النزاع والجدال، حتى حكم بينهما أميرٌ وقال: إن كلا منكما مُحِقٌّ فيما يدَّعيه، فما أشبهكما في السماء بالفرَّقين، وفي الأرض بالمعينين، إلا أن مرآة الحق أرثني فضيلة تفضلُ بها أيها الماء أخاك الهواء، وحققت لي بأنكما لستما في الفضل سواء، وهي (أن الله تعالى خلق آدمَ من الماء) فاعترف لأخيك بالفضل والذكاء.

مناظرة بين الجمل والحصان للمقدسي المتوفى سنة ٨٧٥ هـ

قال (الجمل): أنا أحمِلُ الأحمالَ الثقيلَ، وأقطعُ بها المراحلَ الطوالَ، وأكابدُ الكلالَ، وأصبرُ على مرِّ النِّكالِ، ولا يعتريني من ذلك مَلالٌ، وأصولُ صَوْنِةِ الإدلالِ، بل أنقادُ للطفل الصغير، ولو شئتُ استصعبتُ على الأمير الكبير، فأنا الذَّلُولُ، وللأثقالِ سَمُولُ، لستُ بالخائن ولا الغلول، ولا الصائل عند الوُصولِ أقطعُ في الوُحول، ما يَعْجِزُ عنه الفحول، وأصابِرُ الظلماء في الهواجر ولا أحول، فإذا قضيتُ حقَّ صاحبي، وبلغتُ مأربي ألقيتُ حَبْثِي على غاري، وذهبتُ في البوادي أكتسبُ من الحلال زادي، فإن سمعتُ صوتَ حاديٍّ سلمتُ إليه قيادي، وواصلتُ فيه سُهادي، وطلقتُ طيِّبَ رُقادي، ومددتُ إليه عُنقي لبلوغ مرادي؛ فأنا إن سَلَّلتُ فالدليلُ هادي، وإن زَلَلتُ أخذتُ بيدي من إليه انقيادي، وإن ظمِئتُ فذِكْرُ الحبيبِ زادي،

وأنا المسخر لكم ، بإشارة « وَتَحْمِيلُ أَثْقَالِكُمْ » فلم أزل بين رحلة ومقام ، حتى أصيلاً إلى ذلك المقام .

فقال (الحصان) : أنا أحميلُ صاحبي على كاهلي فأجتهدُ به في السير ، وأنطلقُ به كالطير ، أهبجُمُ هجومَ الليل ، وأقنحُمُ اقنحامَ السيل ، فإن كان طالباً أدركَ بي طلبه ، وإن كان مطلوباً قطعت عنه سببه ، وجعلت أسبابَ الردى عنه محتجبة ، فلا يُدركُ مني إلا الغبار ، ولا يُسمعُ عني إلا الأخبار ، وإن كان الجملُ هو الصابر المجرَّب ، فأنا السابق المقرَّب ، وإن كان هو المقتصد اللاحق ، فأنا المقرَّب السابق ، فإذا كان يوم اللقاء قدمتُ إقدامَ الوالِه ، وسبقتُ سبقَ نبالِه ، وذلك مُتخلفٌ لثقلِ أحمالي ، وإن أوثقَ سائسي قيدي وأمين قائدي كيدي ، أوثقتُ بِشكالي ، لكيلا أحولَ على أشكالي ، وألجِمتُ بلجامي كيلا اغفلَ عن قيامي ، وأنعلتُ الحديدَ إقدامي كيلا أُكِلَ عن إقدامي ، فأنا الموعودُ بالنجاة ، المعدودُ لينيلَ الجاه ، المشدودُ للسلامة ، المقصودُ للكرامة ، قد أجزلُ المنعم عليّ إنعامه ، وأمضى بالعناية الأزليّة أحكامه « فإن الخير معقودٌ بنواصي الخيل إلى يوم القيامة » خُلِقتُ من الريح ، وألهمت التسبيح ، وما برحَ ظهري عزّاً ، وبطني كنزاً ، وصهوتي حِرزاً ، فكُم رَكَضْتُ في ميدان السباق وما أبديت عجزاً ، وكُم حَزَزْتُ رءوس أهل النِّمَاق حَزّاً ، وكُم أخليت منهم الآفاق (هل تحسُّ منهم من أحدٍ أو تسمعُ لهم رِكْزاً) .

الفن الثالث في الأمثال

المثل عبارةٌ عن تأليف لا حقيقة له في الظاهر ، وقد ضَمَّنَ باطنه الحكيم الشَّافِية وهي ثلاثة أقسام : مفترضةٌ ممكنة ، ومخترةٌ مستحيلة ، ومختلطة : (١) الأمثال المفترضة الممكنة : هي ما تُنسبُ فيها النطق والعمل إلى عاقل .

(١) وتختلف عن الحكاية من وجهين : الأول أن لها مغزى ، والثاني كونها غير واقعة وإن كانت في حيز الإمكان .

(٢) والمختزعة المستحيلة: ما جاءت على السنة الحيوانات والجمادات فيعزى لها النطق والعمل لإرشاد الإنسان .

(٣) والمختلطة : ما دار فيها الكلام أو العمل بين الناطق وغير الناطق .
وشروط المثل أربعة: (الأول) أن تكون روايته خالية من كل تعقيد ليفضي المقصود منه إلى ذهن السامع . (الثاني) أن لا يكون مُسهباً 'مِلاً. (الثالث) أن يُسهج السامع بطلاوته ويفكه فكرته بهزل كلامه وابتكار معانيه، ويضبط عقله في فهم الرواية المختلقة وفض* مُشكلها (الرابع) أن يُورد بصورة محتملة .
وفوائد المثل جمّة، منها نزهة البال وترويح الخاطر ، ومنها استقصاء الحكم؛ وهي قديمة العهد جداً ، ولا يعرف اسم أول من تكلم بها ، وكما تكون نثراً تكون نظماً - ونذكر لك من الأمثال ما طاب وراق فنقول :

أمثال القرآن الكريم

أمثال القرآن الكريم قسمان : ظاهرٌ مُصَرَّحٌ به ، وكامنٌ لا ذكر للمثل فيه ، أما أمثاله الظاهرة : فكقوله تعالى في شأن المنافقين « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمْ بُكُمْ عَنِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ* » أو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ* يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ، وَلَوْ شَاءَ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، .

وقوله سبحانه تعالى في شأن الذي يُنْفِقُ أمواله ابتغاء مرضاة الله ، والذي ينفقها رياءً : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ، كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ

صَفُونِ ١ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ٢ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ٣ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ
بِمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ، وَمِثْلُ الَّذِينَ يُسْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَشْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمِثْلِ جَنَّةٍ بَرْبُورَةٍ ٤ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ
أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصَبَّهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ ٥ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، أَيُّودُ
أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا
مِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ ٦ فِيهِ نَارٌ
فَاخْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ،

وقوله تعالى في تمثيل الحق والباطل : « أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ
بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ ٧ زَبَدًا رَابِيًا وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ
مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذَبُ جُفَاءً ٨
وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ .

وقوله تعالى في تمثيل الحكمة وضدها : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا كَلِمَةً
طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ
رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ ٩ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ .

وقوله جل شأنه في حال الكفار وما يعبدون من دون الله : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ
ضُرِبَ مِثْلٌ ١٠ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا
وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلِمْهُمْ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ . ضَعُفَ الْمَطْلُوبُ
وَالْمَطْلُوبُ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « مِثْلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمِثْلِ الْعَنْكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتُ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

(١) حجر أملس (٢) مطر شديد (٣) صلباً نقياً من التراب (٤) مكان مرتفع

(٥) مطر خفيف (٦) ريح شديد (٧) ما يعلو على وجه الماء من قدر ونحوه

(٨) باطلاً مرمياً به (٩) قطعت من أصلها

(١٠ - ١٩ - جواهر الأدب ١)

وقوله تعالى في أن عمل الكافر يذهب هباءً تذرّوه الرّيح :

« مثل الذين كفروا برّهم أعمالهم كرمادٍ اشتندت به الرّيح في يومٍ عاصف لا يقدرّون ممّا كسبوا على شيء » .

وقوله تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسّراب^١ بقیعة^٢ يحسبه الظّمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريعُ الحساب . أو كظلمات في بحرٍ لجّتي^٣ يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » .

وقوله تعالى في أن الدنيا ظلٌّ حائلٌ وخيالٌ باطل :

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذرّوه الرّيح » .

وقوله تعالى ، « اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته ثمّ يهيج فتراه يصفراً ثمّ يكون حطاماً » .

وأما أمثاله الكامنة ، فهي الآداب البارة والحكم الباهرة فمن ذلك قوله تعالى :

٣ إنّه كان صادق الوعد

في الصبر والشّيات

١ وبشّر الصّابرين

في الصّدق

١ يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله

وكونوا مع الصّادقين

٢ هذا يوم ينفع الصّادقين صدقهم

(١) شعاع يرى مثل الماء حين اشتداد الحر نصف النهار

(٢) جمع قاع وهو الأرض المستوية (٣) عميق (٤) يابساً متفرقة أجزاءه .

٢ فاصبر صبراً جميلاً

٣ واصبر على ما أصابك إن ذلك

لِإِنْ عَزَمَ الْأُمُورَ

٤ فصبر جميلٌ

٥ واصبر على ما يقولون واهجرهم

هجرأً جميلاً

في العلم والاسترشاد

١ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

٢ وما يعقلها إلا العالمون

٣ قل هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون

٤ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون

في الاتحاد والوئام بعد الخصام

١ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا

تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم

إذ كنتم أعداءً فألّفَ بين قلوبكم

فأصبحتم بنعمته إخواناً

٢ ولا تنازَعوا فتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ

رَيْبُكُمْ

٣ ولا تكونوا كآلتي نَفَضَتْ غَزَاهَا

مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْسَاثَا

في العفو

١ فاصفح الصفح الجميل

٢ والكاظمين الغيظَ والعافين عن

الناس

٣ فمن عفا وأصلح فأجره على الله

٤ عفا الله عما سلف

في الوفاء

١ وأوفوا بالعهد إنَّ العهدَ كانَ

مَسْئُولاً

٢ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا

في الاقتصاد

١ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ

وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ

مَلُومًا مَحْسُورًا

٢ إِنَّ الْمُبْتَدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ

٣ وَكَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تَسْرِفُوا

في الأمر بالمعروف

١ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ

وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

٢ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

٣ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى

وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

٤ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

برُّ الوالدين والقريب والجار
والصاحب

١ وقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وبالوالدين إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ
عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا
فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ
لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا
جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ
ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

٢ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ
٣ وبالوالدين إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ
الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ
السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا

في النصيحة

١ إني لك من الناصحين
٢ وأنا لكم ناصحٌ أمين
٣ ونصحتُ لكم ولكن لا تُحِبُّونَ
الناصحين .

في الشكر

١ لئن شكرتم لأزيدنكم

٢ وقليلٌ من عبادي الشكور
٣ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه
٤ وسيجزى الله الشاكرين

في الاغصاء والتغافل والدين
١ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
فأعرض عنهم وعيظهم وقل لهم
في أنفسهم قولاً بليغاً .
٢ لا تثرِيبَ عليكم اليومَ يفسرُ
الله لكم .

٣ ادفع بالتي هي أحسن
٤ فاصبرْ على ما يقولون واهجرْهم
هجرًا جميلًا .
٥ ولو كنتَ قَظَمًا غليظَ القلبِ
لأنقضتوا منْ حَوْلَكَ
٦ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ في نفسه ولم
يُبْدِهَا لَهُمْ
٧ وَإِذَا خَاطَبْتَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سلامًا

في المدح

١ ما هذا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ .
٢ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا
مَنْشُورًا .
٣ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ آمِينَ .

٤ إنَّ هذا لهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ

٥ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ

٦ خَتَامُهُ مِسْكٌ

٧ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ

٨ وَبَرٌّ أَبَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا .

٩ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

١٠ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ

١١ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

١٢ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ

١٣ سِيَاهٌ فِي وجوههم

١٤ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا

١٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَامٍ اقْتَنَدَهُ .

١٦ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ .

في التبرئة والتنزيه

١ حَاشَا لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ

٢ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ

٣ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا

في حسن الخلق

١ مَا شَاءَ اللَّهُ

٣ وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ

٣ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ

٤ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ

٥ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ

في الكذب والزور

١ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا .

٢ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ

٣ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا

٤ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ .

٥ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ .

٦ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

في الحياة ونقض العهد

١ أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ .

٢ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ

٣ لَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ .

فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا
يُسْرِفُ في القتل إنّه كان
منصوراً .

٣ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة .
٤ ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان
بكم رحيماً .

في الزنا

١ ولا تقرّبوا الزّنا وإنه كان
فاحشةً وساء سبيلاً .
٢ ولا تُكْرِهوا فسّياتكم على
البغاء إنّ أردن تحصّناً
لتبتّغوا عرض الحياة الدنيا .

في الخمر والميسر

١ يسألونك عن الخمر والميسر
قل فيها إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس
وإثمها أكبرٌ من نفعها .
٢ يا أيها الذين آمنوا إنّما الخمر
والميسر والأنصاب والأزلام
رجسٌ من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنّما
يريد الشيطان أن يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدّكم عن ذكر الله
وعن الصلاة فهل أنتم مُنْتَهون ؟

٤ فمن تكث فإنما ينكث على
نفسه .

٥ إنّ الله لا يحب من كان خوّاناً أثياً
٦ وأنّ الله لا يَهْدِي كيدَ الحائنين
في السخرية والغيبة والنميمة والجهر

١ يا أيها الذين آمنوا لا يَسْخَرِ
قَوْمٌ من قومٍ عسى أن يكونوا
خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ
عسى أن يَكُنَّ خيراً مِنْهُنَّ
ولا تلمِزوا أنفسكم ولا
تتازوا بالألقاب .

٢ ولا تَحْسَبُوا ولا يَفْتَسِبُ
بعضكم بعضاً .

٣ لا يُحِبُّ الله الجهر بالسوءِ مِنْ
القول إلاّ مَنْ ظَلِمَ .

٤ وَيُلْ لِكُلِّ هَمْزَةٍ مُلْتَزَةٍ
٥ وإذا مرّوا بهم يتغامزون .

في القتل والانتحار

١ ولا تقتلوا أولادكم خَشِيسَةً
إملاق نحن نرزقهم وإيتاكم إن
قتلهم كان خطئاً كبيراً .

٣ ولا تقتلوا النفسَ التي حَرَّمَ الله
إلاّ بالحقّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً

في البخل وحب المال

- ١ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَلَى
نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ
- ٢ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ
وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَبُشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .
- ٣ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ
أَنْ مَالَهُ أَخْلَدَهُ .
- ٤ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا .

في الرِّبَا

- ١ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا .
- ٢ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ .

في العُجْب والكِبَر

- ١ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ .
- ٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى .
- ٣ ثَانِيًا عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ .
- ٤ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِلْمُتَكَبِّرِينَ .
- ٥ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ
بِبَالِقِيهِ .

- ٦ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا
تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا .

في الاستبداد والأثرة

- ١ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا
هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا
بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ .
- ٢ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ
مُذْعِنِينَ .
- ٣ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى .

في التفرق والاختلاف

- ١ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى .
- ٢ كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ كَفَرِ حُونَ .
- ٣ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ .
- ٤ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ .

في الجبن والفرار

- ١ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا
- ٢ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ
مِمَّنْ عَدُوٌّ .
- ٣ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ
رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ
أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ
الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ
سَلَقُواكُم بِالسِّنَةِ حِدَادٍ .

٤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ
اسْتَفْنَى .

٥ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ !

فِي الدِّمِ وَالْإِهَانَةِ وَالنَّهْيِ وَالتَّحْقِيرِ

١ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا !!

٢ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ؟

٣ خَذُوهُ فَعُْلُوهُ .

٤ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ .

٥ كَلِمًا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ
أَخْتَهَا .

٦ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ .

٧ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ .

٨ سَوَاءٌ نُنَجِّيهِمْ وَمِمَّا هُمْ .

٩ لَقَلْبْتَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ
أَنْفُسَكُمْ .

١٠ يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيَاهِهِمْ .

١١ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ .

١٢ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ
بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ .

١٣ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرَمٍ

١٤ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا .

١٥ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ .

١٦ فَتَمَثَّلُوا لَمْ يُكَلِّبُوا إِلَّا تَخْمِيلًا
عَلَيْهِ يَلَهَتْ أَوْ تَرَكَهُ يَلَهَتْ .

فِي مَنْ يَأْمُرُ بِمَا لَا يَفْعَلُ وَيَعْلَمُ وَلَا يَفْعَلُ

١ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ
أَنْفُسَكُمْ .

٢ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ؟

٣ كَمَثَلِ الْخَرَابِ يُخَمِّلُ أَصْفَارًا .

فِي الْغَفْلَةِ

١ لَعْمَرِكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكَرَاتِهِمْ
يَعْمَهُونَ .

٢ قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي
غَمْرَةٍ سَاهُونَ .

٣ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ .

٤ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ .

٥ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ هُمْ فِي غَفْلَةٍ .

٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ .

فِي انْكَارِ الْجَمِيلِ

١ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ
كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرْبٍ مَسَّةٍ .

٢ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ
مِنْ ضُرٍّ لَلَّجِبُوا فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ .

٣ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ
لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ .

٦ ربَّنَا إِنَّا أُطْعِمْنَا سَادَتَنَا
وَكُتُبَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا .

فِيمَنْ عَمِيتْ بِصِيرَتِهِمْ وَأَضَلَّهُمْ هَوَاهُمْ
١ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ
أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ
آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ
كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ
هُمُ الْغَافِلُونَ .

٢ فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ
تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ .
٣ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ
وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ؟ !

فِي 'قِرْنَاءِ السَّوِّءِ' وَالْغَاوِينَ وَالنَّهْيِ
عَنْ اتِّبَاعِهِمْ :

١ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ
ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ
'فَرُطًا' .

١ يَدْعُو لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبَ مِنْ نَفْعِهِ
لِبَشْسِ الْمَوْتِ وَابْتِشْسِ الْعَشِيرِ .
٣ وَلَا تَزِرُ كَتِفَاكَ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمْسُكُمُ النَّارُ .

٤ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
٥ وَإِخْوَانَهُمْ يَمْدُدُّوهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ

١٧ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا .

١٨ أُولَئِكَ هُمُ شَرُّ الْبَشَرِيَّةِ .

١٩ هَازِلٌ مَشَاءٌ يَنْمِيهِ مَنْتَاعُ الْخَيْرِ
'مُعْتَدٍ' أَيْم . عَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ
زَنِيمٌ .

٢٠ إِنَّكَ لَكَفُوفٌ مُبِينٌ .

٢١ إِنْ شِئْتَ هُوَ الْأَبْتَرُ .

٢٢ أُولَئِكَ لَا خَلَائِفَ لَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ .

٢٣ أَيْنَمَا يُوجِّهْ ' لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ .

٢٤ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ .

٢٥ اتَّخَذُوا أَيْمَهُمْ جُنَّةً .

٢٦ فَمَا لَهُمْ لَا يُكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا

فِي الضَّالِّينَ وَالْمُضِلِّينَ

١ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ، فَهُمْ
عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ

٢ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ .

٣ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ
بَغْيِرَ عِلْمٍ .

٤ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ

٥ وَإِخْوَانَهُمْ يَمْدُدُّوهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ .

- ٦ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ
المُشْرِقَيْنِ فَبُشِّ الْقَرَيْنِ .
٧ يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا
خَلِيلًا .

في التنبيه على الخطأ والضلال

- ١ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟
٢ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟
٣ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ؟
٤ تِلْكَ إِذْ نَاقَمَتْ صَافِرٌ .
٥ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ قَدِيمٍ .
٦ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ .
٧ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا .

في المنافقين والمرائين

- ١ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ
وَمَا تُخْفِي صدورُهُمْ أَكْبَرُ .
٢ وَإِذَا خَلَوْا عَضَوْا عَلَيْكُمْ
الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ .
٣ يَقُولُونَ بِالسَّيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي
قُلُوبِهِمْ .
٤ يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَتَأْبَى
قُلُوبُهُمْ .
٥ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى

- وَاللَّهُ يُشْهِدُ لَهُمْ لَكَاذِبُونَ .
٦ إِنْ تَحْسَبُكُمْ حَسَنَةً تَسَوْءُ هُمْ
وَلِنْ تَصْبِحُوا سَيِّئَةً يَفْرَحُوا
بِهَا ، وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا
يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا .
٧ مُتَذَكِّرِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى
هَؤُلَاءِ ، وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ .
٨ يَبْغُونَكَ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ
لَهُمْ .
٩ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ
وَقَلْبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ
الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ
كَارِهُونَ .
١٠ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمَنْكُمْ وَمَا هُمْ
مِنْكُمْ وَلَكِنْهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ .

في تمثيل أعمال المرائين والمنافقين

- ١ فَتَنَّهُ كَمِثْلٍ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ
فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا .
٢ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ
الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ .
٣ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٌ يَحْسِبُهَا
الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ
يَجِدْهُ شَيْئًا .

في الإنذار والوعيد

- ١ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم .
- ٢ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون .
- ٣ لكل نبي مُستقرٌ وسوف تعلمون .
- ٤ وإن تفتنّوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعدُّ ولن تُغنيَ عنكم فُتُنكم شيئاً ولو كُفِّرَتْ .
- ٥ فانتظروا إني معكم من المنتظرين .
- ٦ واتقوا فتنةً لا تُنصِبُ الذين ظلموا منكم خاصةً .
- ٧ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .
- ٨ ذلك وعدٌ غير مكذوب .
- ٩ وما هي من الظالمين ببعيد .
- ١٠ هذا بلاغٌ للناس وليُنذروا به .
- ١١ عما قليل ليُنْصَبِحَنَّ نادمين .
- ١٢ وسيعلم الذين ظلموا أيّ مقلبٍ ينقلبون .
- ١٣ فسيعلمون من هو شرٌّ مكاناً وأضعفُ جُنداً .
- ١٤ اعملوا على مكانتكم إني عاملٌ سوف تعلمون .

- ١٥ إنه لقولٌ فصلٌ وما هو بالهزل .
- ١٦ ذَرَهُمْ يَا كَلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فسوف يعلمون .
- ١٧ سيعلمون غداً مَنْ الكذابُ الْأَشْرُ .
- ١٨ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ .
- ١٩ لَتُسْأَلُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ .
- ٢٠ ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مُزْدَجَرٌ .
- ٢١ اعملوا ما شئتم .
- ٢٢ فستعلمون مَنْ هو في ضلالٍ مبين .
- ٢٣ إِنْ مَا تَوَعَّدُونَ لَوَاقِعٌ .
- ٢٤ فستذكرون ما أقول لكم .
- ٢٥ فليضحكوا قليلاً ولينبكوا كثيراً .
- ٢٦ فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوباً مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْمِلُونَ .
- ٢٧ اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون .
- ٢٨ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ .
- ٢٩ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال .
- ٣٠ كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ يَجْرُمُونَ .
- ٣١ ولنخرجنهم منها أدلةً وهم صاغرون .

٤ ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درّجة .

٥ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناحَ عليهما أن يُصلحا بينهما صلحاً والصلح خير .

٦ وعاشروهنّ بالمعروف .

٧ واثمروا بينكم بمعروف .

في آداب النساء

١ وقلّ للمؤمنات يَغضُضْنَ من أبصارهنّ ويحفظنّ فروجهن ولا يُبدِين زينتهنّ إلا ما ظهر منها وليضربن بخمُرهنّ على جيورهنّ .

٢ وقرنّ في بيوتكنّ ولا تهرّجن تبرّج الجاهلية الأولى .

٣ محصّناتٍ غير مسافحاتٍ ولا متخذاتٍ أخدانٍ وقلنّ قولاً معروفاً .

٤ إن اتقينّ فلا تخضعنّ بالقول فيطمع الذي في قلبه مرضٌ وقلنّ قولاً معروفاً .

في الصلح والسلام

١ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم

٣٢ وقد أفلح اليوم من استعلى .

٣٣ ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم

إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا

٣٤ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك .

٣٥ وليعلمنّ نبأه بعد حين .

٣٦ سنسّميه على الخرطوم .

٣٧ أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه

قوةً وأكثرُ جمعاً .

٣٨ كلا لا وزر .

٣٩ إنا من المجرمين مُنتقمون .

٤٠ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

٤١ سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين .

في الحياة الزوجية

١ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها

وجعل بينكم مودةً ورحمةً .

٢ وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تلسوا الفضل بينكم

٣ وإن خفتن شقاقَ بينهما فابعثوا

حكماً من أهله وحكماً من أهلها

إن يريدوا إصلاًحاً يوفّق الله بينهما .

٥ وما تنفقوا من خير يوف إليكم .
٦ وأما السائل فلا تنهر .

في التحية والاستئذان

١ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها .
٢ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسألوا على أهلها .
٤ فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم .
٥ فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم .

في آداب المشي

١ واقتصد في مشيك واغضض من صوتك .
٢ ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا .
٣ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا .

في التلطف والدعوة والطلب

١ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت
٢ يا قوم اتبعون أهديكم سبيل الرشاد

٢ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم .
٣ والصِّلحُ خيرٌ .
٤ وإن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا .
٥ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان .

الناس بخير ما تباينوا

١ ولو شاء ربك لَجَمَعَ الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم .
٢ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات لِيَتَّبِعَهُمُ فِئَةٌ مِّنْهُمْ بَعْضًا مِّمَّا كُتِبَ لَهُمُ .

في الحث على الصدقة والنهي

عما يبطلها

١ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة .
٢ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
٣ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمان والأذى .
٤ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى .

٣ هل تبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً .

٤ فقل هل لك إلى أن تزكى .

٥ إني لكم رسول أمين .

٦ فاتبعوني أهدك صراطاً سوياً .

في الشورى

١ وشاورهم في الأمر .

٢ وأمرهم شورى بينهم .

٣ أفستوني في أمري .

في الشفاعة

١ من يشفع شفاعة حسنة يكن له

نصيب منها ومن يشفع شفاعة

سيئة يكن له كفل منها .

في الخطأ والاضطرار

١ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم

به ولكن ما تعمدت قلوبكم .

٢ فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه .

في المسئولية عن العمل

١ ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى .

٢ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى .

٣ كلٌ امرئ بما كسب رهين .

٤ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه

٥ لا يضركم من ضل إذا اهتديتم .

في الجهاد

١ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة

ومن رباط الخيل ترهبون به

عدو الله وعدوكم .

٢ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة .

٣ وفضل الله المجاهدين على القاعدين

أجرأ عظيماً

٤ ولولا دفع الله الناس بعضهم

ببعض لفسدت الأرض .

في الإيمان

١ واحفظوا أيمانكم .

٢ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم .

٣ ولا تنقضوا الأيمان بعدتوكيدها .

في الكلام والاستماع

١ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة

طيبة كشجرة طيبة أصلها

ثابت وفرعها في السماء تؤتي

أكلها كل حين بإذن ربها .

٢ ومثل كلمة خبيثة كشجرة

خبيثة اجتثت من فوق الأرض

ما لها من قرار .

- ٣ الذين يسمعون القول فيتبعمون
أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولوا الألباب
٤ وقولوا للناس حسناً .
٥ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وقولوا قولا سديداً .
٦ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه .
٧ وإذا أمروا باللغو أمرُوا كراماً .

في الجدال والمناظرة

- ١ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا
بالتي هي أحسن إلا الذين
ظلموا منهم .
٢ 'أدع' إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى
هي أحسن .

في تباين المذاهب وتفاوت الدرجات

- ١ لكل جعلنا منكم شرعةً
ومنهاجاً .
٢ ولكل وجهة هو موليها .
٣ قل كل يعمل على شاكلته .
٤ والله فضل بعضكم على بعض في
الرزق .
٥ وما منا إلا له مقام معلوم .

- ٦ وفوق كل ذي علم عليم .
٧ وأنا منا الصالحون ومنا دون
ذلك .

وبضد هاته تميز الأشياء

- ١ قل لا يستوي الخبيث والطيب
ولو أعجبك كثرة الخبيث .
٢ أقمّن أسس بنيانه على تقوى
من الله ورضوان خير أم من
أسس بنيانه على شفا جرف
هار فانهار به في نار جهنم .
٣ مثل الفريقين كالأعمى والأصم
والبصير والسميع هل يستويان
مثلاً .

- ٤ وما يستوي البحران هذا عذب
فراة سائغ شرابه وهذا ملح
أجاج .

- ٥ أقمّن يمشي مكباً على وجهه
أهنى أم من يمشي سويّاً على
صراط مستقيم .
٦ قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون .

في الحث على العمل والسعي والتنافس والمهاجرة

- ١ ولكل درجات مما عملوا .

- ٢ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
 ٣ ألم تكن أرض الله واسعة
 فتهاجروا فيها ؟؟
 ٤ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقها .

في الجزاء على العمل

- ١ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون .
 ٢ إن هذا كان لَكُمْ جزاءً وكان سعيكم مشكوراً .
 ٣ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره
 ٤ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى .

الجزاء من جنس العمل

- ١ وإن جنتحوا للسلم فاجنح لها
 ٢ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
 ٣ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به .
 ٤ وجزاء سيئة سيئة مثلها .
 ٥ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم .

- ٦ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان
 ٧ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .
 ٨ فاذكروني أذكركم .
 ٩ وإن عدتم عدنا
 ١٠ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروه ما بأنفسهم .
 ١١ وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم .
 ١٢ وما كان ربك ليهلك العزرى بظلم وأهلها مصلحون .
 ١٣ جزاء وفاء

شبيه الشيء من جذب إليه

- ١ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات .

في الافساد والبغي والنهي عنها

- ١ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها .
 ٢ ولا تبغ الفساد في الأرض .
 ٣ وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض .

- ٤ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان

في المفسدين المكابرين

- ١ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض

في سوء عاقبة الظالمين والشاة
بما يصيبهم

١ فقلِّبُوا هُنَالِكَ وَاَنْقَلِبُوا صَٰغِرِينَ
٢ اَنْقَلَبَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ خَسِرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ
الْبَيْنُ .

٣ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ .
٤ فَجَعَلْنَاهُمْ اَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ
مُزَقٍّ .

٥ فَاتَىٰ اللّٰهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ .
٦ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَاَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَشْعُرُونَ .

٧ فَاَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ .
٨ فَاَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا
اُنْفَقَ فِيهَا .

الاعراض عن الدعوة

١ وَاِذَا تَنٰلَىٰ عَلَيْهِ اٰيَاتُنَا وَلَىٰ
مُسْتَكْبِرًا كَاَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَاَن فِي
اُذْنَيْهِ وَقْرًا .

٢ كَاَنَّهُمْ مُّجْرِمٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ
مِنْ قِسْرَةٍ .

٣ ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ
اَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ .

(٢٠ - جواهر الأدب ١)

قالوا إنما نحن مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ
مُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ .
٢ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا
٣ وَيَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا
إِنَّهُمْ مُّكَذِّبُونَ .

في غرور الظلمة واستدراجهم

١ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا .

٢ يَعْبِدُهُمْ وَيُنَبِّئُهُمْ وَمَا يَعْدُهُمْ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا .

٣ بَلْ إِنْ يَعِدِ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا .

٤ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ .

٥ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ .

٦ فَذَرْنُهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ .

٧ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُهُمْ عَدَاً

٨ سَلَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا
يَعْلَمُونَ .

٩ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا

وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ .

في التدخل في ما لا يعني والنهي عنه

- ١ ولا تقفُ ما ليس لك به علم
- ٢ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم .
- ٣ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ
- ٤ فلا تسألن ما ليس لك به علم
- ٥ ليس لك من الأمر شيء

في الكرم والاكرام والضيافة

- ١ ادخلوها بسلام آمنين .
- ٢ كلوا واشربوا هنيئاً .
- ٣ فكلوه هنيئاً مريئاً .
- ٤ فكلي واشربي وقرّي عيناً .
- ٥ وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون .
- ٦ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

في التعزية وتهوين الخطب

- ١ ويخسئ ما لا تعلمون .
- ٢ كل نفس ذائقة الموت
- ٣ كل من عليها فان .
- ٤ كل شيء هالك إلا وجهه
- ٥ فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً .

- ٦ ولا تياسوا من روح الله .
- ٧ فلا تذهب نفوسك عليهم حسرات .
- ٨ ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون .
- ٩ ولا يحزنك قَوْلهم .
- ١٠ سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً .

في الكيل والميزان

- ١ أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مغيدين .
- ٢ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون .

في النهي عن الرشوة

- ١ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلّوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون .
- ٢ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا

أموالكم بينكم بالباطل إلا أن
تكون تجارة عن تراضٍ منكم
في مال اليتيم ومتاعه

١ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي
هي أحسنُ .

٢ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم
إنه كان حُوباً كبيراً .

٣ إن الذين يأكلون أموال اليتامى
ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا
وسيصنّون سعيراً .

٤ فأمّا اليتيم فلا تقهر .

في صكّ الدين وإنظار المصّر

١ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم
بدينٍ إلى أجلٍ مُّسمى
فاكتبوه .

٢ وإن كان ذو عسرةٍ فنظرةٌ
إلى ميسرةٍ .

في الأحكام والحكام

١ وإذا حكمتم بين الناس أن
تحكموا بالعدل .

٢ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا
قربى .

٣ ولا ينجسَ منكم شئاً من قومه

على ألاّ تعدلوا ، أعدِلوا هوَ
أقربُ للتقوى .
٤ ولا تلبسوا الحقَّ بالباطلِ
وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون .

في اتهام الأبرياء

١ ومن يكسب خطيئةً أو إثماً
ثم يرمُ به بريئاً فقد احتمَلَ
بهتاناً وإثماً مُّبيناً .

٢ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكونُ
إنّا أن نتكلم بهذا سُبحانك
هذا بهتانٌ عظيم .

٣ إذ تلقّونّه بالسنتكم تقولون
بأفواهكم ما ليس لكم به علم
وتحسّبونه هيئاً وهو عند الله
عظيم .

٤ لكل امرئٍ منهُ ما اكتسبَ
من الإثمِ والذي تولى كبره
منهُم له عذابٌ عظيم .

في المكابرة في الحق والمعاندة

١ ويُجادل الذين كفروا بالباطل
ليُدْحِضُوا به الحق .

٢ وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم ظلماً علواً .

٩ ولا يأتونك بمثلٍ إلا جئناك
بالحق وأحسن تفسيراً .

في أداء الشهادة

١ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم
أو الوالدين والأقربين .
٢ ولا تكتتموا الشهادة ومن
يكتتمها فإنه آثم قلبه .
٣ فإذا دفعتم إليهم أموالهم
فأشهدوا عليهم .
٤ ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا .
٥ وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار
كاتب ولا شهيد .
٦ وأنا على ذلكم من الشاهدين .
٧ وما شهدنا إلا بما علمنا .

في الخبر اليقين

١ ما زاع البصر وما طغى .
٢ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا
غائبين .
٣ نحن نقص عليك نبأهم بالحق
٤ أحطت بما لم تحط به .
٥ ولا يُنبئك مثل خبير .

٣ ما ضربوه لك إلا جدلاً .

٤ يُريدون أن يُطفئوا نورَ الله
بأفواههم .

٥ يجادلونك في الحق بعد ما تبين

٦ وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون .

٧ أنظر كيف نصرّفُ الآيات ثم
هم يصدّون .

في الحق والباطل

١ ليُحقّ الحق ويُبطل الباطل
ولو كره المجرمون .
٢ الآفة حصّص الحق .
٣ فاما الزبد فيذهب جفاء
وأما ما ينفع الناس فيمكث
في الأرض .
٤ قضيّ بالحق وخسر هنالك
المبطلون .
٥ الحق أحق أن يتبع .
٦ فماذا بعد الحق إلا الضلال .
٧ لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم
للحق كارهون .
٨ فوق الحق وبطل ما كانوا
يعملون .

في الاستنكار والتعجب

- ١ إني لعمركم من القالين
- ٢ لقد جئتم شيئا إدا .
- ٣ لقد جئتم شيئا إمرأ .
- ٤ لقد جئتم شيئا نكرا .
- ٥ ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين
- ٦ إن هذا لشيء عجيب

في المحاماة والدفاع عن الأئمة

- ١ ها أنتم هؤلاء جادلنكم عنهم
- في الحياة الدنيا فمن يجادل الله
- عنهم يوم القيامة أمئن يكون
- عليهم وكلا .
- ٢ ولا تجادل عن الذين يختانون
- أنفسهم
- ٣ ولا تعاونوا على الإثم
- والعدوان .
- ٤ فلن أكون ظهيرا للمجرمين .

في التحدي وعدم المبالاة

- ١ فاقض ما أنت قاض .
- ٢ فإن كان لكم كيد فكيّدون .
- ٣ فكيّدوني جميعا ثم لا تنظّرون
- ٤ قل هاتوا برهانكم إن كنتم
- صادقين .

- ٥ قل هل عندكم من علم فتخرجوه
- لنا .

في النجوى والمؤامرة

- ١ فتشارعوا أمرهم بينهم وأسروا
- النجوى .
- ٢ لا خير في كثير من نجواهم .
- ٣ أم يحسبون أننا لا نسمع
- سرهم ونجواهم .

في الظن والشك

- ١ إن يتبعون إلا الظن وإن
- الظن لا يغني من الحق شيئا .
- ٢ وإنهم لفي شك منه مريب .
- ٣ وإننا لفي شك مما تدعوننا
- إليه مريب .
- ٤ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى
- الأنفس .
- ٥ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن
- بعض الظن إثم .

في التبرؤ والتنصل

- ١ فلما تراءت الفئتان نكص
- على عقبيه وقال إني بريء
- منكم إني أرى ما لا ترون .

٢ أنتم بريئون مما أعملُ وأنا بريءٌ
مما تعملون .

٣ فلا تلوُموني ولوُموا أنفسكم .

في موقف الظلمة والمجرمين أمام العدالة

١ وقِفْهُم لِنَهْمِ مُسْئِلُون .

٢ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَعْنَاكُمْ
وَالْأَرْلَيْن .

٣ مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشَرَّ كَاؤُكُمْ .

٤ خُذُوهُ فَعْلُوهُ .

٥ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ .

٦ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ .

٧ لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيََّ .

في حيرة المجرمين وإشفاقهم عند ظهور الحق

١ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ
فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ .

٢ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ
لَا يَنْطِقُونَ .

٣ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمَجْرِمِينَ
مُسْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ .

في الإفحام والالزام

١ إقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ
الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا .

٢ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ
إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ .

٣ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا .

في اليأس والتيسيس

١ 'قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ

٢ فَنَادُوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصِرٍ .

٣ اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا .

٤ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا .

٥ لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ .

في إمضاء الأمر

١ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ .

٢ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا .

٣ إِفْعَلْ مَا تَوْمَرُ .

٤ فَافْعَلُوا مَا تَوْمَرُونَ .

في حال المجرمين وهم يعذبون

١ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا
أُعِيدُوا فِيهَا .

٢ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ .

في صفات الانسان الفطرية

- ١ إن الإنسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ .
- ٢ وكان الإنسانُ أكثرَ شميٍّ وجَدلاً
- ٣ خُلِقَ الإنسانُ مِن عَجَلٍ .
- ٤ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ .
- ٥ وَخُلِقَ الإنسانُ ضَعِيفًا .
- ٦ إِنَّ الإنسانَ ليطغى أَن رآه استغنى
- ٧ إِنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا
- ٨ قَتِيلَ الإنسانَ مَا أَكْفَرَهُ !

في الخوف

- ١ فأصبح في المدينة خائِفًا يَتَرَقَّبُ
- ٢ ففَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ .
- ٣ لو اطلعت عليهم لوليتَ منهم فِرَارًا ولِمَلِيتَ منهم رُعبًا .
- ٤ ذَلِكَ الَّذِي يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ
- ٥ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً .
- ٦ إِنَّا نَخَافُ أَن يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطغى
- ٧ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُون .
- ٨ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ .

- ٣ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ .
- ٤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا تَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ .

في الشيب والكبر والضعف

- ١ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا .
- ٢ . وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا .
- ٣ وَمَنْ يُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ
- ٤ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا

جزع الناس ومظاهرهم عند البلاء

- ١ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ .
- ٢ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى
- ٣ هَلْ تُحِيسُ مِنْهُمْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا
- ٤ وَوُجُوهٌ يُومِئُونَ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ .
- ٥ فَاثْطَلَعُوا وُجُوهَهُمْ يَتَخَفَتُونَ .

- | | |
|---|--|
| <p>٢ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً .</p> <p>٣ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ .</p> <p>٤ وَلَا تَتَسَوَّأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ .</p> <p>٥ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ .</p> <p>٦ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى .</p> <p>٧ لَا تَأْخُذْ بَعِثًا نَسِيتَ .</p> <p>في الرؤيا والأحلام</p> <p>١ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ</p> <p>المحسنين .</p> <p>٢ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ</p> <p>لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ .</p> <p>٣ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ</p> <p>الأحلام بمالين .</p> <p>٤ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ .</p> <p>٥ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ</p> <p>جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا</p> <p>الفرح بزوال المكروه</p> <p>١ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ .</p> <p>٢ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنْنَا</p> <p>الْحَزْنَ .</p> <p>٣ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيَانَا مِنَ الْقَوْمِ</p> <p>الظَّالِمِينَ .</p> <p>٤ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا</p> <p>وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .</p> | <p>٩ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ .</p> <p>في التضجر والتعسر وإظهار</p> <p>الضعف</p> <p>١ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا .</p> <p>٢ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا</p> <p>عَظِيمًا .</p> <p>٣ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ</p> <p>نَسِيًّا مَنْسِيًّا .</p> <p>٤ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ</p> <p>مُضِلٌّ مُبِينٌ .</p> <p>٥ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ .</p> <p>٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ .</p> <p>٧ وَيَضِيقُ صُدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي</p> <p>في النفس الأمارة بالسوء</p> <p>١ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ</p> <p>وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ</p> <p>٢ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنِ النَّفْسُ</p> <p>لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمُ رَبِّي .</p> <p>في الخجل والاستحياء</p> <p>١ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُنَّ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ</p> <p>٢ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا</p> <p>بُشِّرَ بِهِ .</p> <p>في النسيان</p> <p>١ وَمَا أُنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ</p> <p>أَذْكُرَهُ .</p> |
|---|--|

٢ وقال اركبوا فيها باسم الله
تجريها ومُرْسَاهَا .

٣ وهي تجري بهم في موج كالجبال

٤ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه

مَوْجٌ من فوقه مَوْجٌ من فوقه

سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق

بعض إذا أخرج يده لم يكد

يراهما .

٥ ففشيهم من اليم ما غشيهم .

٦ وحال بينهما الموج فكان من

المفرقين .

٧ وله الجوار المنشئات في

البحر كالأعلام .

في المطر والبرق والرعد والريح

١ يكاد سنا برقه يذهب بالابصار .

٢ هذا عارض ممطرنا .

٣ ريح فيها عذاب أليم .

٤ وهو الذي يرسل الرياح بشري

بين يدي رحمة .

في البساتين والروح والريحان

١ ودانية عليهم ظلالها وُدَلَّتْ

قُطُوفُهَا تَذَلُّلًا .

٢ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام

٥ فوق الحق وبطل ما كانوا
يعملون .

٦ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل

لم يمسسهم سوء .

٧ فوقاه الله سيئات ما مكروا .

في النعيم والمرور والقصور

وما حوت

١ تعرف في وجوههم نضرة النعيم

٢ إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً

٣ ووجه يومئذ مُسْفَرَةٌ

ضاحكة مُسْتَبْشِرَةٌ .

٤ فيها سُرُورٌ مرفوعة وأكواب

موضوعة ونمارق مصفوفة

وزراري مبثوثة .

٥ متكئين على فرش بطائنها

من استبرق .

٦ ويُطَافُ عليهم بآنية من فضة

وأكواب كانت قواريراً .

٧ متكئين فيها على الأرائك

في الجبال والبحار والسفن

والأمواج

١ ومن الجبال جددٌ بيضٌ وحمرٌ

مختلف ألوانها وغرابيب سودٌ

والحب ذوالعصف والريحان.
٣ في سدري نخسود وطلح منضود
وظل ممدود، وماء مسكوب
وفاكه كثيرة، لا مقطوعة
ولا ممنوعة.

في التفكير والنظر والاستدلال على الخالق

١ وما من دابة في الأرض ولا طائر
يطير يحناحيه إلا أمم أمثالكم.
٢ وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي غمر ممر السحاب صنع
الله الذي أتقن كل شيء.
٣ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
وهو أهنون عليه.
٤ ما خلقكم ولا بعثكم إلا
كنفس واحدة.
٥ خلق السموات والأرض أكبر
من خلق الناس ولكن أكثر
الناس لا يعلمون.
٦ وما خلقنا السموات والأرض
وما بينهما لاعبين.
٧ وفي أنفسكم أفلا تبصرون.
٨ فلينظر الإنسان إلى طعامه.

٩ فلينظر الإنسان مم خلق.
١٠ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم
يعيدكم فيها ويخرجكم لإخراجه.
١١ وجعلنا الليل والنهار آيتين
فمحوا آية الليل وجعلنا آية النهار
مبصرة لتبصروا فضلاً من ربكم
ولتعلموا عدد السنين والحساب.
١٢ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا
عليها الماء اهتزت وربت
وأنبتت من كل زوج بهيج.

في العظة والعبرة

١ إن في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو
شاهد.
٢ فاعتبروا يا أولى الأبصار.
٣ ذلك ذكرى للذاكرين.
٤ لنجعلها لكم تذكرة وتعيها
أذن واعية.
٥ إن في ذلك لعبرة لمن يخشى.
٦ إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار.
٧ وما يذكر إلا أولوا الأبصار.
٨ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى
الأبصار.

في نعم الله وفضله

- ١ ذلك تخفيفٌ من ربِّكم ورحمة .
- ٢ يريدُ الله بكم اليسرَ ولا يُريد بكم العسرَ
- ٣ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها .
- ٤ وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها
- ٥ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم .

ما استأثر الله بعلمه

- ١ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت إن الله عليم خبير .
- ٢ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي .

في العمل لوجه الله لا لجزاء الناس

- ١ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً .
- ٢ وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربِّ العالمين .

وصف الدنيا وتحقير متاعها

- ١ قل متاع الدنيا قليل .
- ٢ إنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهو .
- ٣ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

في التحذير من النفس والشیطان وغرور الدنيا

- ١ الشيطانُ يَعِدُكم الفقر ويأمرُكم بالفشاء .
- ٢ إن النفسَ لأمارة بالسوء .
- ٣ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغررنكم بالله الغرور .

في التسليم بقضائه تعالى وقدره

- ١ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا .
- ٢ ولو شاء ربك ما فعلوه
- ٣ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .
- ٤ إن الله بالغُ أمره .
- ٥ ألا له الخلقُ والأمرُ .
- ٦ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر .
- ٧ وربك يخلق ما يشاء ويختار .
- ٨ الله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ .

السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ .

٢ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموتُ قال إني تبتُ الآن .

٣ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا

في الدعاء والتضرع الى الله تعالى

١ رَبَّنَا لَا تَأْخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا .

٢ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

٣ رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ .

٤ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا .

٥ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مَلَأْمًا وَرَشْدًا .

٦ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي .

٩ ألا إلى الله تصيرُ الأمور .

١٠ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ .

في الترغيب في التقوى والاحسان

١ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا .

٢ إِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتُ .

٣ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .

٤ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ .

٥ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ .

في الاعتقاد على الله والتوكل

١ وعلى الله قصدُ السبيل .

٢ وما ذلك على الله بعزيز .

٣ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

٤ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ

٥ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ .

٦ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

في الموت وعدم تخلف الأجال

١ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .

٢ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ .

في التوبة والانابة

١ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

في فضل القرآن الكريم

- ١ ولقد يسرنا القرآن للذِّكْرِ فهل
من مُدَّكِر .
- ٢ إن هذا القرآن يَهْدِي للقي هي
أَقْوَمُ .

- ٣ فاقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ .
- ٤ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وأنصتوا لعلكم ترحمون .

في الانبياء والاستنباء

- ١ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ،
الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ .
- ٢ فَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
يَتَسَاءَلُونَ .
- ٣ عَرِّفْ بَعْضَهُ وَأَعْرِضْ عَنْ
بَعْضٍ .
- ٤ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا .
- ٥ هل أتاك حديث الجنود .

في الكتب والكتابة والرسالة

- ١ إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ .
- ٢ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ .
- ٣ فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ .
- ٤ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهْ .

في الاقتراب والدنو

- ١ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ .

- ٢ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ؟؟
- ٣ أَرَفَتِ الْآزِفَةَ .
- ٤ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى .
- ٥ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا .

في الضعف والعجز

- ١ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا
كَانُوا مُنتَصِرِينَ .
- ٢ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ
وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ تَقْبَلًا .
- ٣ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ .
- ٤ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا .
- ٥ وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتَ لَبِثَتْ
الْعُنُكُوتُ .
- ٦ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ .
- ٧ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ .
- ٧ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا .

في البلاء وما يصاب به الناس

- ١ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ
بِالْأُمْسِ .
- ٢ إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْبَلَاءِ الْمُبِينِ .
- ٣ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ
- ٤ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ
الْأَجَلُ الْمُتَعَيَّنُ .

- ٢ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .
٣ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً .
٤ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ .

في الامتنان بالنعم

- ١ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ .
٢ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى .
٣ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ .
٤ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ .
٥ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا .

في التحدث بالنعمة

- ١ وَبِرَّآءِ بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا .
٢ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ .
٣ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ .

التأمين والطمأنينة

- ١ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ .
٢ لَا تَخَفْ نَجْوَتْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .

- ٥ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ لَخَلَّيْ خَاوِيَةً .
٦ وَأَخْرَجْتَ الْأَرْضَ أَنْقَالَهَا .
٧ فَجَعَلَهُمْ كَمَصْفٍ مَأْكُولٍ .

في الاغترار بالمظاهر

- ١ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْتَنْدَةٌ .
٢ يَخْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا .
٣ يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ .
٤ تَخْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى .
٥ وَتَخْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ .

في البشرى والتهنئة

- ١ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ .
٢ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ .
٣ بُشْرَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ .
٤ وَبَشِّرُوهُ بِغَلَامٍ عَلِيمٍ .
ما يقال عند الظفر بالحاجة
١ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي .

٣ أقببيل ولا تخف انك من الآمنين .	٧ ولا تخافي ولا تحزني إسمًا رادوه
٤ ولكن ليطمئن قلبي .	إليك .
٥ لا تخف إنك أنت الأعلى .	٨ كن يصلوا اليك .
٦ وما أريد أن أشق عليك ستجدني	٩ ولا تمينوا ولا تحزنوا وأنتم
إن شاء الله من الصالحين .	الأغلبون والله معكم .

أمثال مختارة للعرب

إن من البيان لسحراً^١ ، إن البلاء مؤكل بالمنطق^٢ ، إن الموصين بنو
سهوان^٣ ، إن الشقي وافد البراجم^٤ ، إن البغاث بأرضنا يستنسر^٥ ، إن
الجبان حثفه من فوقه^٦ ، إن المعافي غير مخدوع^٧ ، إن في الشر خياراً ، إن
الحديد بالحديد يفلح^٨ ، إن الشفيق بسوء ظن مولع^٩ ، إن وراء الأكمة ما
وراءها ، إن العصا من العصية^{١٠} ، إن العوان لا تعلّم الخمرة^{١١} ، إن الغني
طويل الذيل مياس^{١٢} ، إن الليل طويل^{١٣} ، وأنت مقمر^{١٤} ، إن العصا قرعت
لذي الحلم^{١٥} ، إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال ، إن الهزيل إذا شبع مات^{١٦} ،
إن غداً لناظره قريب ، إن أخاك من آسائك^{١٧} ، إنك لا تجني من الشوك
العنب^{١٨} ، أتنك بجائن رجلاه ، إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض ، إن يبع عليك

(١) يضرب في استحسان المنطق (٢) يضرب لمن أسيء إليه . (٣) يضرب
لمن يسهو عن طلب شيء أمر . به (٤) البراجم : بطن من تميم ، يضرب لمن يوقع
نفسه في هلكة طمعاً . (٥) يضرب للضعيف يصير قوياً . (٦) يضرب في أن الحذر
لا ينجي من القدر . (٧) يضرب لمن يخدع فلا ينخدع . (٨) يضرب لمن يفشي على
نفسه أمراً مستوراً . (٩) يضرب في مشاكلة الفرع للأصل . (١٠) الموان : المرأة
النصف ، والخمرة : لبس الخمار . يضرب في استغناء المحرب عن الإرشاد (١١) أي
لا يستطيع ذو الغنى أن يكتمه . (١٢) يضرب للأمر بالتصبر في طلب الحاجة .
(١٣) يضرب لمن إذا نبه انتبه (١٤) يضرب فيمن استغنى فتجبر على الناس .
(١٥) يضرب في الحث على مراعاة الإخوان .

قومك لا يبيع عليك القمر^١، إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً^٢، إن ترد الماء بماء أكيس^٣، إحدى حُظَيَات لقمان^٤، أكل عليه الدهر وشرب^٥، إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف^٦ كل لمي ولا أدعُهُ لآكل^٧، إيتاك وما يُعتذر منه، إذا زل العالمُ زل بزلته عالم، أنت تشقُّ وأنا مئقُّ فمق نتفق^٨، إيتاك أعني واسمعي يا جارة، إذا حان القضاء ضاق القضاء^٩، أم الجبان لا تفرح ولا تحزن إذا جاءت السنة جاء معها أعوانها^{١٠}، إن حالت القوسُ فسهمي صائب^{١١} ألا من يشتري سهراً بنوم^{١٢}، إذا ما القارظ العنزي آبا^{١٣}، إن كنت كذوباً فكن ذكوراً^{١٤}، إنما يُحمل الكلُّ على أهل الفضل^{١٥}، إذا تخاصم اللسان ظهر المسروق^{١٦}، إذا تفرقت الغنم قادتها العنز الجرباء، إذا عاب البزاز ثوباً فاعلم أنه من حاجته^{١٧}، إذا أردت أن تقطاع فسل ما يستطاع، إن يكن الشغل مجهداً^{١٨}، فإن الفراع مفسدة، إذا قدم الإخاء سمح الشاء، بلغ السيل الزبى^{١٩} بعض الشراؤون من بعض^{٢٠} بلغ السكين العظم^{٢١} باقة من البواقع^{٢٢}

- (١) يضرب للأمر المشهور (٢) يضرب للمداهي الشديد يبلى بمن هو أدهى منه وأشد (٣) يضرب للأخذ في الأمور بالاحتياط (٤) يضرب في الشر يصدر عن عرف به ، وحظيات لقمان : سهامه (وفي القاموس خطأ) . (٥) يضرب لمن طال عمره . (٦) يضرب في المحرب المحنك . (٧) يضرب في الرجل ينصر قرينه وإن كان عدوه . (٨) التثق : السريع إلى الشر ، والمتثق : السريع إلى البكاء يضرب للمختلفين أخلاقاً . (٩) يضرب لمن يخاطب شخصاً وهو يريد غيره تعريضاً . (١٠) السنة القحط وأعوانها الجراد والأمراض ، يضرب في تجمع الشدائد . (١١) حالت القوس : زالت عن استقامتها . يضرب فيمن زالت نعمته ولم تزل مروءته . (١٢) يضرب لمن غمط النعمة وكره العافية . (١٣) يضرب في امتداد البعد والغيبة . (١٤) يضرب للرجل يكذب ثم ينسى فيناقض نفسه . (١٥) الكل : الثقل . (١٦) يضرب في القوم يختلفون فيسود فيهم الأشرار (١٧) البزاز : بائع الثياب . (١٨) الزبى : جمع زيبة وهي أعلى الجبل ، يضرب لمن جاوز الحد (١٩) يضرب في الشرين يختار أهونهما (٢٠) يضرب لمن جاوز الحد . (٢١) الباقعة : الداهية يقال في الرجل يكون داهياً منكراً .

إبْدَاهُمْ بِالصُّرَاخِ يَفِرُّوا^{١١} ، أَبْدَى الصَّرِيخِ عَنِ الرَّغْوَةِ^٢ ، بَمَضِ الْجَدَبِ أَمْرًا
لِلْهَزِيلِ^٣ ، بَنَانُ كَفِّ لَيْسَ فِيهَا سَاعِدٌ^٤ ، بَعْدَ الْبَلَاءِ يَكُونُ الشُّنَاءُ ، أَبْلَغُ مِنْ
قَسٍّ ، أَبْجَلُ مِنْ مَادَرٍ ، أَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ الْيَامَةِ ، أَبْصَرُ مِنْ غَرَابٍ ، أَبْقَى مِنَ الدَّهْرِ ،
أَبْقَى مِنْ وَحْيٍ فِي حَجَرٍ^٥ ، أَبِينُ مِنْ فُلُقِ الصُّبْحِ ، أَبْكَرُ مِنْ غَرَابٍ ، تَرَكُ الذَّنْبَ
أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ ، تَجْوَعُ الْحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِشْدِيئِهَا^٦ ، تَسْأَلُنِي بِرَأْسَيْنِ
سَلَجَمًا^٧ ، تَجَشَّأُ لِقَمَانُ مِنْ غَيْرِ شَبْعٍ^٨ ، تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ ، تَلْدَغُ الْعَقْرَبُ
وَتَصِيءُ^٩ ، تَرَكَتْهُمْ فِي حَيْضِ بَيْضٍ^{١٠} ، تَطْلُبُ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ^{١١} ، تَسْمَعُ بِالْمَعْيَدِي
خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ^{١٢} ، اتَّخَذَ اللَّيْلُ جَلًّا^{١٣} ، تَرَى الْفَتِيانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يَدْرِيكَ سَا
الدَّخْلُ^{١٤} ، التَّثَبُّتُ نَصْفُ الْعَفْوِ ، تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ ، أَتَبْعُ السَّيِّئَةَ
الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، اتَّقِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ^{١٥} ، تَضْرَعُ إِلَى الطَّبِيبِ قَبْلَ أَنْ تَمْرُضَ^{١٦} ،
تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السَّفْنُ ، التَّقْدِيرُ أَحَدُ الْكَاسِبِينَ ، التَّدْبِيرُ نَصْفُ الْمَعِيشَةِ ،
جَزَاءُ سَنَارٍ ، اسْمِعْ جَمْعَةً وَلَا أَرَى طَحْنًا ، جَوْعُ كَلْبِكَ يَتْبَعُكَ^{١٧} ، جَاوَزَ الْحَزَامُ
الطَّبِيبِينَ^{١٨} ، جَانِيكَ مِنْ يَحْيِي عَلَيْكَ^{١٩} ، جَلِيسُ السُّوءِ كَالْقَيْنِ^{٢٠} ، إِنْ لَمْ يُحْرِقْ ثَوْبَكَ

(١) يضرب في الظالم يتظلم ليسكت عنه (٢) يضرب عند انكشاف الأمر
وظهوره (٣) يضرب فيمن لا يحسن احتمال الغنى بل يطمى فيه (٤) يضرب فيمن
له همه ولا قدرة له على بلوغ ما في نفسه (٥) الوحي : الكتابة (٦) أي لا تكون
مرضعا ، يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب (٧) السلجم اللفت ،
يضرب لمن يطلب شيئا في غير موضعه (٨) يضرب لمن يدعى ما ليس يملك
(٩) يضرب لمن يظلم ويتظلم وصاءت العقرب صوتت (١٠) يضرب فيمن وقع
فيما لا يخلص له منه (١١) يضرب فيمن ترك الشيء ثم طلبه بعد ذهابه (١٢) يضرب
فيمن منظره دون نظره (١٣) أي أدى واجبه من العمل ليلا (١٤) يضرب لذي
المنظر لا خير فيه (١٥) يضرب في مقابلة الإحسان بالإساءة (١٦) يضرب فيمن
يعد ولا يفعي (١٧) يضرب فيما ينبغي أن يعامل به اللئيم (١٨) يضرب في تفاقم
الأمر (١٩) أي لا تزر وازرة وزر أخرى (٢٠) القين : الحداد .

دَخَنَهُ ، جاءوا على بكرة أبيهم^١ ، أجودُ من حاتم ، ومن كعب بن مامة ، أجبنُ من صافر ، ومن نعامه^٢ ، أجهلُ من فراشة ، أجمعُ من نملة ، حالَ الجريضُ دون القريض^٣ ، حنَّ قدحٌ ليس منها^٤ ، حسبك من شرِّ سماعه ، حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق^٥ ، حُبُّكَ الشيء يُعمي ويُصم ، الحديث ذو شجون^٦ ، حافظ على الصديق ولو في الحريق ، أحشفاً وسوء كيلة^٧ ، الحكمة ضالة المؤمن ، الحبارى خالة الكروان ، الحاجة تفتشُ الحيلة^٨ ، أحقُّ من هبنتقة ومن جُحَا ، أحلم من الأحنف ، أحكم من لقمان ، أحمزُ من غراب ، ومن ذئب ، ومن ظليم^٩ ، أحفظُ من الشعمي ، أخذُ من جذع ما أعطاك^{١٠} ، خاليفٌ تذكر ، خرقاء وجدت صوفاً^{١١} ، خير المال عينُ خرارة في أرض خوار^{١٢} ، أخطبُ من سحبان ، ومن قس ، أخونُ من ذئب ، دون ذا وينفقُ الحمار^{١٣} ، أدهى من قيس بن زهير ، ومن عمرو بن العاص ذهبوا أيدي سبأ^{١٤} ، الذئب خاليفاً أسد^{١٥} ، ذكرتني الطمن وكنت ناسياً^{١٥} ، رممتني بدائها وانسلت^{١٦} ، رماه الله بثالثة الأثافي^{١٧} ، رُب قول أشد من

(١) أي جاءوا جميعاً (٢) الصافر من الطيور بغائها وضعاها (٣) الجريض: الغصّة والقريض: الشعر. يضرب في الأمر يتيسر حين لا ينفع (٤) يضرب في الرجل يفتخر بقوم ليس منهم أو يتمدح بما ليس فيه (٥) يضرب في المقالة السيئة وما يخشى منها (٦) الشجون: الفنون. يضرب في الحديث يتذكر به غيره (٧) يضرب في الجمع بين خصمتين مكروهتين (٨) يضرب في مناسبة أحد الشئيين للآخر ٩ الظلم: ذكر النعام (١٠) جذع: اسم رجل. يضرب في اغتنام ما يجود به البخيل (١١) الخرقاء: التي لا تحسن العمل، يضرب لمن يفسد عمله بسوء تصرفه (١٢) الخوار: الأرض التي فيها لين وسهولة (١٣) يضرب في المبالغة في المدح بغير احتياج إليه (١٤) أي تفرقوا تفرقاً لا اجتماع معه كما تفرقت سبأ ١٥ يضرب في تذكر الشيء بغيره (١٦) يضرب فيمن يعير صاحبه بعيب هوفيه (١٧) الأثافي: جمع أثفية وهي الحجر توضع عليه القدر ، ومما اثنتان وثالثتها الحبل ، والمراد بها الداهية العظيمة .

صَوَّلَ^١ ، رُبُّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ ، رَجَعَ بِخُفَيْتِي حَنِينٌ^٢ ، رُبُّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ ، الرَّاوِيَةُ أَحَدُ الشَّائِمِينَ^٣ رُبُّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً^٤ ، رُبُّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ ، رُبُّ زَارِعٍ لِنَفْسِهِ حَاصِدٌ سِوَاهُ أُرْوَى^٥ ، ضَبَّ^٦ ، أَرَقَ مِنَ النَّتْسِيمِ وَمِنْ رُقْرَاقِ السَّرَابِ وَمِنْ غِرْقَى الْبَيْضِ^٧ ، الزَّيْتُ فِي الْعَجِينَ لَا يَضِيعُ^٨ ، زَكَاةُ النِّعَمِ الْمَعْرُوفُ ، أَزْكَنُ مِنْ إِيَّاسٍ ، أَزْهَى مِنْ طَاوُسٍ^٩ ، سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلُ^{١٠} ، أَسَاءَ سَمِعًا فَأَسَاءَ إِبْجَابَةً^{١١} ، سَكَّتْ أَلْفًا وَنَطَقَ خُلْفًا^{١٢} ، سَرِقَ السَّارِقُ فَانْتَحَرُ^{١٣} ، السَّلِيمُ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيمُ^{١٤} ، سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ ، شَرُّ الرَّأْيِ الدُّبْرِيُّ^{١٥} ، شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي الْأَرْضِ^{١٦} ، شَذْشَنَةُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمَ^{١٧} ، شَرُّ مِنَ الْمَوْتِ مَا يُتَمَنَّى مَعَهُ الْمَوْتُ ، أَشْأَمُ مِنَ الْبَسُوسِ ، وَمِنْ أَحْمَرَ عَادٍ ، وَمِنْ غَرَابِ الْبَيْنِ^{١٨} أَشْكَرُ مِنْ كَلْبٍ ، صَدَقَنِي سَنٌّ بَكَرَهُ^{١٩} ، صَادَفَ دَرَّةَ السَّيْلِ دَرَّةً أَيْصَدَعُهُ^{٢٠} ، صَدَرَكَ

- (١) يضرب عند الكلام يؤثر فيمن يواجه به (٢) يضرب في الخيبة (٣) هذا كقولنا شتمك من بلغك (٤) تزعم العرب أن الضب لا يحتاج إلى شرب الماء بفتح فاه للهواء فيكون في ذلك ربه (٥) الغرقى القشة الرقيقة الملتزمة ببياض البيضة (٦) يضرب في الإحسان إلى الأقارب (٧) الزهو : العجب (٨) يضرب في الخطأ يلام فاعله بعد وقوعه الخلف الرديء من القول ١٠ يضرب لمن تنترع من يده ما ليس له فيجزع عليه (١١) السليم : الملدوغ ، يضرب فيمن لا يستريح ولا يريح غيره (١٢) الدبري ما يسنح بعد فوات الفرصة (١٣) الشخب : ما خرج من الضرع ممتدًا من اللبن ، يضرب فيمن يصيب مرة ويخطئ أخرى . (١٤) الشذشنة : الطبيعة والعادة يضرب في مشابهة الفرع لأصله في الشر . (١٥) البسوس . هي المرأة التي هاجت بسببها حرب بكر وتغلب ، وأحمر عاد هو أحمر ثمود ، وهو الذي عقر الناقة فحل العذاب بثمود من جزاء عمله . (١٦) يضرب في الإنسان يقول الحق على غير قصد منه . (١٧) هذا كمن قال : لا يفل الحديد إلا الحديد .

أوسع لِسرك . أصدق من قطاة^١، أصعب من رد الشُّخْب في الضرع، ضرب أخاساً لأسداس^٢، أضيّق من ظِل الرَّمح، أضعف من بموضة، أضبط من نَملة، أطرق كراً، إن النعام في القرى^٣ أطول صُحبة من الفرقدين، أطمع من أشعب، طبيب يُداوي الناس وهو مريض^٤، طفيلي ومُقتَرِح، طِشِر رءُوم خير من أمّ سُموم^٥، عند الصباح يَحْمَدُ القوم السري^٦، عند جُهينة الخبز اليقين^٧، عرض عليه خصلتي الضبُع^٨ عَش رَجَباً ترَّعجياً، أعط القوس بارها، أعرض ثوب الملبس، العودُ أحمد، عند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان، أعز من كليب وائل، أعى من باقل، أعدى من الظليم، ومن الشَّنْفَرى، ومن السليك، أَعق من ذبّة، أعقد من ذنب الضب، وأعجزُ يَمَنُ قتل الدخان^٩، غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية^{١٠}، غثك خير من سمين غيرك، في الصيف ضيعت اللبن^{١١} في بيته يؤتى الحكم، في كل شجر فار، واستمجد المرح والعقار^{١٢}، أفرس من بسطام، أفنك من عمرو بن كلثوم، قطعت جبهة قول كل خطيب^{١٣}، وقد أنصف القارة من دامها^{١٤}، قبل الرّماء تملأ الكنائس^{١٥}،

- (١) لأن صوت القطاة واحد لا يتغير (٢) يضرب فيمن يريد الشيء ويظهر غيره (٣) الكرا : الكروان ، يضرب فيمن يتكلم بما لا يقدر عليه (٤) الظئر : الحاضنة والرموم : العطوف (٥) يضرب في تحمل التعب رجاء الراحة (٦) يضرب في الرجل يعرف الشيء على وجهه كقولهم : على الخبير سقطت (٧) تزعم العرب أن الضبع صادت ثعلباً وخيرته بين أن تأكله وأن تمزقه ، يضرب فيمن يسوم غيره ما لا خيار فيه من البلاء (٨) يضرب فيمن إذا سأله عن أمر إهم الجواب (٩) سلول قبيلة ذليلة ، يضرب في اجتماع خصلتين من الشر (١٠) يضرب لمن يطلب شيئاً قد فوته على نفسه (١١) المرح والعقار . شجرتان قويتا النار يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض (١٢) يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها (١٣) القارة : قبيلة من أبرع الناس في المراماة . (١٤) يضرب في الاستعداد للأمر قبل الشروع فيه .

أقتلوني ومالكاً^١ ، القول ما قالت خدام^٢ ، كان كُراعاً فصار ذراعاً^٣ ، كلام^٤
كالنعل ، وفعل كالأسل^٥ ، كل فتاة بأبيها مُعجبة^٦ ، كطالب القرن جُدعت^٧
أذنه^٨ ، كمُجير أم عامر^٩ كيف أعاودك وهذا أثر فأسك^{١٠} ، كأن^{١١} على رءوسهم
الطير ، كالاستجير من الرّمضاء بالنار ، لو ذات سوار لطمتني^{١٢} ، لو خُيِّرت^{١٣}
لاخترت ، لو برك القطا ليلاً لنام^{١٤} ، لعل^{١٥} له عُذراً وأنت تلوم^{١٦} ، لأشراً ما جدّع^{١٧}
قصير أنفه ، لكل مقام مقال^{١٨} ، لا نخبأ لعِطر بعد عروس^{١٩} ، لا تعدّم الحسنة^{٢٠}
داماً^{٢١} ، لا تهرف بما لا تعرف^{٢٢} ، لا ناقتي فيها ولا جلي ، لا في المير ولا في
النفير^{٢٣} ، لا يندس الحديد إلا الحديد ، لا تأمن الأحق وببيد^{٢٤} سكين^{٢٥} ، لا
تجزعن من سئتي أنت سرتها ، ما وراءك يا عصام ، ما يوم حلينة يسر^{٢٦} ،
ما أشبه الليلة بالبارحة . مرعى^{٢٧} ولا كالسعدان^{٢٨} ، ما كل بيضاء شحمة^{٢٩} ،
مينك أنفك وإن كان أجذع^{٣٠} ، من استرعى الذئب ظلم ، من مأمنه يؤتى

- (١) يضرب فيمن يريد بصاحبه انكروه وإن ناله هو منه ضرر (٢) يضرب
في الدليل يصبح عزيزاً (٣) الأسل الرماح (٤) يضرب في عجب الرجل رهطه
وعشيرته (٥) أصل المثل في النعام ، ويضرب في طلب الأمر يفضي بصاحبه إلى
التلف (٦) أم عامر الضبع وقد أكلت من أجارها . يضرب في الذي يحزى على
إحسانه بالسوء (٧) يضرب فيمن لا يفي بالعهود (٨) يضرب في الوضع يقع منه
العدوان (٩) يضرب فيمن حمل على مكروه من غير إرادته (١٠) يضرب فيمن
لا يدخر عنه نفيس (١١) يضرب في الشيء الحسن لا يخلو من عيب (١٢) يضرب
لمن يتعجل في مدح الشيء قبل تمام معرفته (١٣) يضرب في الوضع ليس فيه
شيء من خلل الشرف (١٤) يضرب في عسف الجاهل إذا قدر
(١٥) حليلة بنت مالك غسان ، يضرب للأمر المشهور الذي لا يكاد يحفل
(١٦) السعدان : نبت من أنفع الأنشاب للابل ، يضرب في الشيء يفصل على
اشكاله وأقرانه
(١٧) يضرب فيمن يلزمك خيره وشره

الحذر ، مواعيد عرقوب^١ ، مكره أخوك لا بطل^٢ ، أ منع من عقاب الجو
نفس عصام سودت عصاماً^٣ نعيم كلب في بؤس أهله^٤ أندم من الكسبي^٥
وافق شن طبقة^٦ ، أوردها سعد وسعد مشتمل^٧ ، أوفى من السموءل^٨
ومن الحارث بن عباد ، هما كفرسي رهان ، يداك أوكنا وفوك نفخ^٩ :
اليوم خمر وغدا أمر^{١٠}

الفن الرابع في الأوصاف

الوصف^١ عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته المشتمل
له وأصوله ثلاثة :

الأول : أن يكون الوصف حقيقياً بالموصوف مفرزاً له عما سواه .

الثاني : أن يكون ذا طلاوة ورونق .

الثالث : أن لا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب ، ويكتفى بما كان
مناسباً للجال - وأنواعه كثيرة ، ولكنها ترجع إلى قسمين : ومما وصف
الأشياء ووصف الأشخاص - أمّا الأشياء الحرية بالوصف فهي كالأمكنة
والحوادث ومناظر الطبيعة .

وأما وصف الأشخاص فيكون بوصف الصورة أو الطبع أو بوصفها معاً ،
ولمذكر لك فقرأ جارية على السنة البلغاء في صفات شتى - ثم تتبعها بمقالات في
الوصف نثراً ونظماً .

(١) يضرب فيمن يحمل على ما لبس من شأنه (٢) يضرب في سؤدد الرجل
نفسه (٣) يضرب في التابع - كالحاد يشغل سادته بمصيده فيغنم ما قدر عليه
من أموالهم (٤) يضرب في تمام المشاكلة والاتفاق (٥) يضرب للمقصر في الأمر
(٦) يضرب لمن يجني على نفسه (٧) يضرب في تلب الأيام (٨) أحسن طريقة
للإجادة في الوصف أن ترسم أولاً في بدء وصفك نظراً عاماً ج معاً لجملتي الأمر
الذي تحاول وصفه ثم تأخذ بإيراد مختلف الأجزاء قسماً فقسماً وذلك إما على
تتابع ورود هذا الأجزاء ، أو إثارة ما كان يراه الكاتب اشد مناسبة لغايته .

وصف البلدان

بلدة^١ كأنها صورة جنة الخلد ، منقوشة^٢ في 'عرض الأرض ، بلدة^٣ كأن^٤ محاسن الدنيا مجموعة^٥ ومحصورة في نواحيها ، بلدة^٦ 'قراها عنبر ، وحصاؤها عقيق ، وهواؤها نسيم ، وماؤها رحيق ، بلدة^٧ 'معشوقة السكنى ، رغبة المثنوى^٨ ، كوكبها يقظان ، وجوها عريان ، يومها غداة^٩ ، وليلها سحر ، بلدة^{١٠} واسعة الرقعة ، طيبة البقعة ، واسطة البلاد وسرتها ، ووجهها وغرورها .

وصف القلاع

قلعة^١ حليقت^٢ بالجو تناجي السماء بأسرارها ، قلعة^٣ تتوشح بالغيوم ، وتحتلي النجوم ، قلعة^٤ متناهية في الحصانة ، ممتعة^٥ عن الطلب والطلب ، منصوبة على أضيئ المسالك وأوعر المناصب ، لم تردّها الأيام إلا نبوء^٦ أعطاف ، واستصعاب جوانب وأطراف ، قد مل^٧ الملوك حصارها ، ففارقوها عن طمّاح^٨ منها وشماس^٩ وسئمت الجيوش ظلّتها ، فغادرتها^{١٠} بعد قتوط وإياس ، فهي حمى لا يراع^{١١} ومعقيل^{١٢} لا يستطاع ، كان الأيام صالحتها على الإغواء من الحوادث والتليالي ، وعاهدتها على التسليم من القوارع^{١٣} .

وصف الدور

دار^١ قرار^٢ توسع العين فزّة^٣ ، والنفس مسرة^٤ ، كان بانيتها استسلف الجنة ، فعجلت له دار^٥ تغار^٦ منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور ، دار^٧ اقترن اليمن^٨ بيمينها واليسر بيسرها ، الجسم منها في حصر^٩ ، والعيون على سفر ، دار^{١٠} دار السعد نجمها وفار بالحسن سهمها ، يخدمها الدهر ، ويأويها البدر ، ويكنمها النصر ، هي مرتع النواظر ومتنفس الخواطر أخذت ادوات الجنان ، وضجّكت من العبقرى^{١١} الحسان^{١٢} .

- (١) الإقامة (٢) ارتفعت (٣) بعداً (٤) كبر وفخر (٥) إناء
وامتناع (٦) تركتها (٧) لا يفزع ولا يخاف أحداً (٨) الحوادث
والنوائب (٩) البركة (١٠) البسط المعجب شكلها .

وصف الديار الخالية

دارٌ لبِيسَتِ البيلى وتعظلتُ من الحلى ، صارتُ من أهلها خالية ، بعد ما
كانت بهم حالية ، وقد أنفد البئينُ سكانها ، وأقعدَ حيطانها ، دارٌ شاهدُ
اليأس منها ينطق ، وحبلُ الرجاء فيها يقصر ، كأنَّ عمرانها يطوى ، وخرابها
يُنشر ، أركانها قيامٌ وقعود ، وحيطانها رُكُوعٌ وسجود :

بَكَتْ دارهم من بَعْدَهم فتهللت دموعي فأىُّ الجازِ عَيْنُ أُلوم
أُمُسْتَعْبَرًا يَبْكِي عَلَى اللّهُو والسيلَى أمْ آخِرَ يَبْكِي شَجْوَهُ فِيهِم ؟

وصف أيام الربيع

يَوْمٌ جَلابِيبٌ غَيُومُهُ رَواقٌ ١ وأوْدِيَةٌ ٢ سَمِيمَةٌ رَقاقٌ ، يَوْمٌ سَمَاءُهُ فَاخِيبَةٌ ،
وأَرْضُهُ طَاوُوسِيَّةٌ ، يَوْمٌ مُمَسِّكُ السَّمَاءِ ، مُعَصِّفُ الهَوَا ، مُعْتَبِرُ الرُّوضِ ،
مُصْنَدِلُ المَاءِ ، يَوْمٌ تَبَسُّمٌ عَنْهُ الرِّبْعُ ، وَتَبَرُّجٌ عَنْهُ الرُّوضُ الْمَرْيَعُ ، يَوْمٌ
كَأَنَّ سَمَاءَهُ مُجِيدٌ ٣ تَقْبَاكِي وَأَرْضُهُ عُرُوسٌ ٤ تَتَجَلَّى ، يَوْمٌ دَجْنُهُ ٥ عَاكِفٌ ،
وَقَطْرُهُ ٦ وَاكِفٌ ٧

وصف الرياض

رَوْضَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا وَتَأَنَّقَ وَاشِيهَا ١ ، رَوْضَةٌ كَالْعُقُودِ الْمُنْتَظَمَةِ عَلَى الْبُرُودِ
الْمُبْنَمَةِ ٢ ، رَوْضَةٌ قَدْ رَاضَتْهَا أَكْفُ الْمَطَرِ ، وَدِيحَتْهَا أَيْدِي النَّسْدَى ٣ ، رِياضٌ
كَالْعُرَائِسِ فِي حَلِيِّهَا وَزَخَارِفِهَا ، وَالْقِيَانِ ٤ فِي وَشِيِّهَا وَمِطَارِفِهَا ٥ ، بِاسْطَةِ رَرَابِيئِهَا
وَأَنْمَاطِهَا ، فَاشْهَرَةٌ بِرُودِهَا وَرِيَاظِهَا ، زَاهِيَةٌ بِحَمْرَائِهَا وَصَفْرَائِهَا ، ثَائِمَةٌ ٦ بِغَيْدَانِهَا
وَعُذْرَانِهَا ، كَأَنَّمَا احْتَفَلَتْ لَوْفَ ٧ ، أَوْ هِيَ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ ، رَوْضَةٌ قَدْ تَضَوَّعَتْ ٨
بِالْأَرْجِ ٩ الطَّيِّبِ أَرْجَاؤُهَا ، وَتَبَرَّجَتْ ١٠ فِي ظِلِّ الْغَمَامِ صَحْرَاؤُهَا ، وَتَنَافَحَتْ

(١) الكساء المرسل على مقدم البيت من أعلاه إلى الأرض (٢) الغيم (٣) سائل
(٤) حائكها وناقشها (٥) جمع قين : المغنية ١٦ جمع مطرف رداء من خز مربع
فيه أعلام والزراعي البسط ، والأنماط الأثواب التي تطرح على الهوادج ، والرياط
الأثواب الرقاق (٧) تحركت (٨) النفخ : الريح الطيب (٩) تزينت .

بنوافع المسك أنوارها، وتعارضت بغرائب النطق أطياريها . بُسُتَانُ أنهاره
محفوظة بالأزهار، وأشجاره موقرة بالثمار، اشجار كأن الحور اعارتها قدودها
وكستتها برودها، وحلتها بقودها شقائق كتميجان العقيق على رؤوس الزنوج
كأنها أصداغ المسك على الوجنات الموردة، كأن الشقيق جام من عقيق أحمر،
مليئت قرارته بمسك اذفر الأرض رُمُردة، والأشجار وشي، والماء سيوف،
والطيور قيان^٢ قد غردت خطباء الأطياري على منابر الأنوار والأرهار .

وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر

ليلة قص جناحها، وضل صباحها . ليال ليست لها اسحار، وظلمات لا
تتخللها أنوار . ليل ثابت الأطناب^٣، بطور الغوارب طاميح الأمواج وفي
الدوئيب . بات بليلة ساورته فيها الهموم، وسامرته النجوم، واكتحل السهاد،
وافترش القناد، واكتحل بماء السهر، وتامل على فراش الفكر، قد أقض سهاد^٤
وقليق وساده، هموم تفرق بين الجنب والمهاد، وتجمع بين العين والسهاد .

وصف انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وأقول النجوم

قد اكنهل^٥ الظلام، قد نصقنا عمر الليل واستغرقنا شبابه، قد شاب رأس
الليل، كاديم^٦ النسيم بالسحر، قد انكشف غطاء الليل وستر الدجى، هُرم الليل
وشميطت ذوائبه، وقوضت^٧ خيام الليل، وخلع الأفق ثوب الدجى، تبسم
الفجر ضاحكاً من شرفه، ونصب أعلامه على منارل أفقه، اقتنص بازي الضوء
غراب الظلام، وفص كافور النور من الغسق مسك الحتام، طرز قيص الليل
بغرة الصبح، باح الصبح بسرره، خلج الليل ثيابه وحدر^٨ الصبح نقابه، بث
الصبح طلائمه، تبرقع الليل بغرة الصبح، أطار منادي الصبح غراب الليل،

(١) إناء (٢) مغنيات (٣) جبال الخيمة (٤) شغلته وقاومته

(٥) خشن وتترب (٦) صار كهلاً تشبيهاً بالرجل الكهل وهو من تجاوز الأربعين

سنة (٧) هدمت (٨) أنزل .

عزلت نوافج الليل يحامات الكافور ، وانهزم جيش الظلام عن عسكر النور ،
مال الجوزاء^١ للغروب ، وولست مواكب الكواكب ، وتناسرت عقود
النجوم ، وهى نطاق الجوزاء^٢ ، وانطفأ قنديل الثريا .

وصف طلوع الشمس وغروبها

بدًا حاجب الشمس ، لقت الفزالة^٣ لعابها وصربت الضحى^٤ أطناها ،
انتشر جناح الضوء ، في أفق الجو^٥ ، استوى شباب النار على روثى الضحى ،
بلغت الشمس كبعد السماء ، قام قائم الهاجرة ورمت الشمس يجمرات الظهر .
اصفررت غلالة الشمس ، وصارت كأنها الدينار يلمع في قرار الماء ، نفقت نبراً
على الأصيل ، وشدت رحلها للرحيل ، جنتحت الشمس إلى مغاربها دلكت^٦
دلوح^٧ واغبر^٨ كوخ^٩ اللوح^{١٠} تصوبت الشمس للمغيب ، تضيمنت للغروب ،
فأذن جنبها بالوجوب^{١١} شاب النهار وأقبل شباب الليل ، استتر وجه الشمس
بالنسقاب ، وتوارت بالحجاب ، وكان هذا الأمر من مطلع الفلق إلى جمع الغسق .

وصف الرعد والبرق

قام خطيب الرعد ، نبض^{١٢} عرق البرق ، حابة ارتجزت^{١٣} رعودها ،
وذهبت ببروقها برودها ، نطق لسان الرعد ، وخفق قلب البرق ، فالرعد
ذو صخب^{١٤} والبرق ذو لهب ، ابتسم البرق عن فقهة الرعد ، زارت أسود
الرعد ولعلت سيوف البرق ، رعدت الغسائم وبرقت ، وانحلت عرى السماء
قطيقت ، هدرت رواعدها ، وقربت بإعدها ، وصدقت مواعدها .

(١) برج في السماء (٢) الشمس (٣) الضحى جمع ضحوة ، مؤنث
والضحى تذكر على أنها اسم (٤) الثوب الرقيق (٥) غربت (٦) السحابة
(٧) واللوح الملح واللمعان ؛ من لاح يلوح لوحاً (٨) وجبت الشمس وجيباً
ووجوباً غابت (٩) تحرك (١٠) الرجز ضرب من الشعر ويقول رجز
الراجز وارتجز أيضاً (١١) كثير اللفظ والحلبة .

وصف مقدمات المطر

لبست السماء سرّ بالها، وسحبت السحاب أذيالها، قد احتجبت السماء في سرداق الغيم، لبس الجو مطرقه^١ الأدكن^٢، باحت الرّيح بأسرار الندي، ضربت خيمة الغمام، ابتل جناح الهواء واغرورقت مقلّة السماء، هبت شمائل الجنائب، لتأليف شمل السحاب، تألفت أشنات الغيوم، السّتور وأسبلت على النجوم.

وصف الثلج والبرد وأيام الشتاء

مد الشتاء رواقه، وألقى أوراقه^٣ وحلّ نطاقه، أناخ يَمَوازله، وأرسي بكلاكله، وكلّج بوجهه، وكشّر عن أنيابه، قد عادت الجبال شديماً، ولبت من الثلوج ملاء قشيباً^٤ شابت مفارق البروج بتراكم الثلوج، ألم الشيب بها، وابيضت لموها^٥؛ برد يقضض^٦ الأعضاء، وينقض الأحشاء، برد يجمّد الرّيق في الأشداق والدمع في الآفاق، يوم كأن الأرض شابت لهو له، يوم فضي الجلباب مسكي النقاب، عبوس قطري^٧، كشّر عن ناب الزمهرير وفرش الأرض بالقوارير^٨، يوم أرضه كالفوارير اللامعة، وهواؤه كالزناير اللاسعة.

وصف المطر والسحاب والماء والغدران

ماء إذا مسته أيدي النسيم^٩، حكى سلاسل الفضة، غدير ترقرت^{١٠} فيه دموع السحاب، وتواترت عليه أنفاس الرّياح الغرائب، انحلّ عقد السماء وانهلّ دمع الأنواء^{١١} انحلّ سلك القطر، عن دُرّ البحر، سحابة تجدو من الغيوم جمالاً، وتمتد من الأمطار جبلاً، سحابة ترسل الأمطار أمواجاً.

-
- (١) رداء من خز مربع ذو أعلام (٢) المائل إلى السواد (٣) جمع روق. وهو والرواق بمعنى (٤) جديد (٥) جمع لمة للشعر الذي يجاوز شحمة الآذان (٦) يكسر ويضعف (٧) شديد مظلم (٨) جمع قارورة وهي الإناء من الزجاج (٩) شابة (١٠) تحركت (١١) جمع نوء: المطر.

والامواج أفواجاً . سحابة^١ يضحك من بكائها الرّوض^٢ ، وتخضر^٣ من سوادها الأرض ، سحابة^٤ لا تجف جفونها ، ولا يخف أنينها ، ديمة^٥ روت أديم^٦ الثرى^٧ ، ونبت عيون الثور من الكرى^٨ ، سحابة ركبت أعناق الرياح وسحت كأفواه الجراح . مطر^٩ كأفواه القرب .

وصف القيظ وشدة الحر

حر^١ يشبه قلب الصب ، ويذيب دماغ الضب^٢ قوي سلطان الحر^٣ وبسط بساط الجمر ، أوقدت الشمس نارها ، وأذكت^٤ أوارها^٥ ، حر^٦ يلفح حر^٧ الوجه ، هاجرة^٨ كأنها من قلوب العشاق ، إذا اشتعلت فيها نار الفراق ، هاجرة تحكي نار الهجر ، وتذيب قلب الصخر ، حر^٩ تهرب له الحيراء^{١٠} من الشمس ، قد صهرت^{١١} الهاجرة الأبدان ، وركبت الجنادب^{١٢} العيدان ، حر^{١٣} ينضج الجلود ، ويذيب الجلود ، أيام كأيام الفرقة امتداداً ، وجر كجر^{١٤} الوجه اشتداداً ، هاجرة^{١٥} كالسمير الهاجم ، يحرز أذيال السائم^{١٦} .

وصف الشيب

ذوى^١ غصن شبابه ، بدت في رأسه طلائع المشيب ، أقر ليل شبابه ، ظهرت غرة القمر ، وأومض^٢ البرق في ليل الشفر^٣ رمي فاحم الفود^٤ بضده واشتعل المبيض^٥ في مسود^٦ ، لمع ضوء فرعه ، وتفرق شمل جمعه ، علا غار وقائع الدهر ، بئنا هو راقد^٧ في ليل الشباب ، أيقظه صبح المشيب ، طوى مراحل الشباب ، وأنفق عمره بغير حساب ، جاوَز من الشباب مراحل ، وورد من الشيب مناهل ،

- (١) المطر بلا رعد (٢) وجه الأرض (٣) التراب (٤) النوم (٥) حيوان بري لا يعيش إلا في الجهات الشديدة الحر (٦) أوقدت (٧) نارها (٨) حيوان يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتلون ألواناً بحر الشمس (٩) أذابت (١٠) الجراد (١١) شدة الحر عند الزوال (١٢) الرياح احارة (١٣) نبل (١٤) برق ولمع (١٥) معظم شعر الرأس مما يلي الأذن .

فل^١ الدهر^٢ شباً شبابه، ومحاسن روائه، طار غراب شبابه، انتهى شبابه، وشاب أترابه، استبدل بالأدهم^٣ الأبلق^٤ وبالغراب العقمق^٥، استعاض^٦ من الغراب بقادمة النسر، أسفر^٧ صبح المشيب، علته^٨ أهبة^٩ الكبر، نفذ جبة الصبا، وتولى داعية الحيجا^{١٠}، الشيب زبدة^{١١} نخضتها الأيام، وفضة محصتها التجارب سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب، الشيب خطام المنية، الشيب نذير^{١٢} الآخرة.

وصف آلات الكتابة

الدواة - المداد - الأقلام

الدواة^١ من أنفع الأدوات^٢، وهي للكتابة عتاد^٣، وللخاطر زناد^٤، غدير^٥ لا يرد^٦ غير الأفهام^٧، ولا يمتح^٨ بغير أرشية^٩ الأقلام^{١٠}، غدير^{١١} تفيض ينابيع الحكمة من أقطاره^{١٢}، وتنشأ^{١٣} سحوب البلاغة من قراره^{١٤}.
مداد^{١٥} كسواد العين، وسويداء القلب، وجناح الغراب، ولعاب الليل، وألوان دهم الخيل، مداد^{١٦} ناسب خافية الغراب، واستعار^{١٧} لونه من شرخ^{١٨} الشباب.
أقلام^{١٩} جمة^{٢٠} المحاسن، بعيدة^{٢١} من المطاعن، أنابيب^{٢٢} نسبت رماح الخط في أجناسها^{٢٣}، وشاكت^{٢٤} الذهب ألوانها، وضاهت الحديد في لمعانها، أقلام^{٢٥} كأنها الأميال استواء^{٢٦}، والآجال مضاء^{٢٧}، بطيئه الخفى^{٢٨} قوة القوى^{٢٩} قلم لا ينبؤ^{٣٠} إذا نبت الصفا^{٣١}، ولا ينجيم^{٣٢} إذا أحجمت الرماح^{٣٣}، قلم يسكت^{٣٤} واقفا^{٣٥}، وينطق ساكتا^{٣٦}.

وصف الخطباء

جلسوا^١ بكلامهم الأبصار العلية^٢، وشحدوا^٣ بمواعظهم الأذهان الكليسة^٤،

-
- (١) هزم (٢) الأسود (٣) الأبيض وأصله للرخام (٤) طائر قدر الحمامة
(٥) جعله عوضاً (٦) العقل (٧) ما يعده الإنسان لحوادث الدهر (٨) لا ينزع
(٩) حبال الدلاء (١٠) ريعانه (١١) لا يبعد (١٢) لا يتأخر

وتبها القلوب من رقدتها ، ونقلوها عن سوء عاداتها ، فشفوا من داء القسوة ،
وغباوة الغفلة وداووا من العي القاصح ، ونهجوا لنا الطريق الواضح ، خطيب
لا تناله حبسة ، ولا ترتنهش لكنة ، ولا تنمشي في خطابه رقة ، ولا تتحيف
بيانه عجمة ، ولا تعترض لسانه عقدة ، خطيب جواهر نفثاته صحاح ، وعرائس
أفكاره صباح ، خطيب تزينت بدور ألفاظه عقود الملح ، لا عيب فيه إلا
أن لفظه عطل الياقوت والدُر ، خطيب مصقع ينثر لسانه اللؤلؤ المكنون ،
هو الخطيب المصقع الذي أشخص بآيات خطبه الزاجرة عيون القوم وأبكاه ،
هو الخطيب المصقع الذي تتلاعب بالعقول معانيه ، ويصاغ الدُر من لفظه فيه ،
هو الخطيب الذي تهتز له المنابر ، وتنقاد إليه كلمات السحر متسابقة ، آخذاً
بعضها برقاب بعض .

وصف العلماء

بدُر العلوم اللائح ، وقطرها الغادي والرائح ، وثبرها الذي لا ينحزم ،
ومنيها الذي ينجلي به ليلها الأسحمر ، أما فنون الأدب فهو ابن يحدتها وأخو
جملتها وأبو عذرتها ، ومالك أزمستها ، تستخرج الجواهر من بحوره ، وتحلى
لمعات الضروس بقلائد سطوره ، وتأليفه عقائل أصبح الدهر من خطتها ، له
بدائع مائسات الأعطاف ، بحر البيان الزاخر ، شيخ المعارف وإمامها ومن في
يديه زمامها ، لديه تنشد ضوأل الأعراب ، وتوجد شوارد اللغة والإعراب ،
مالك أعيسة العلوم وناهج طريقها ، وعارف بترصيعها وتسميقها ، الناظم
لعقودها ، الراقم لبُرودها ، المجيد لإرهاقها ، العالم يجلأها وزافها مالك
رقى الكتابة والإنشاء ، وتصرف في فنون الإبداع كيف شاء ، عالم يتفجر
العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، صاحب المصنفات التي دلت على

(١) العجمة (٢) بمعنى تنقص (٣) المثابر المواظب (٤) الأسود
(٥) العالم بها المتقن لها (٦) متبخرات مائلات (٧) لدقتها ولطفها .

وفره اطلعته ، وغزارة مادته ، وحُسْنُ بيانهِ ، لم يترك معنًى مغلقاً إلا فتح صياصِيَهٗ ١ ، ولا مشكِلاً إلا أوضح مَبَانِيَهٗ .

وصف البلغاء

فلانُ يَحْكُ الكَلَامَ على حسب الأمانِي ، ويخيِّطُ الألفاظَ على قدود المعاني ، يَجْتَنِي من الألفاظ أنوارها ، ومن المعاني ثمارها ، يعبثُ ٢ بالكلام ويقوده بألین زمام ، حتى كأن الألفاظ تتحاسد في التسابق إلى خواطره ، والمعاني تتغَايَرُ في الانشِمال ٣ على أنامله بليغ نسق ٤ ، من جواهر كلامه أكاليل دُرٍّ ، ما لمنظومِها سِلْكٌ بليغٌ تفكُّكٌ سهام أفكاره الزرد ، ناظم سِلْكِ البلاغة وقائد زمام البراعة ، إذا أوجز أعجز ، وإذا شاء أطال ، وأطلق من البلاغة العقال ، إذا أذكى سراج الفِكْر ، أضاء ظلام الأمر ، يستنبط حقائق القلوب ، ويستخرج ودائع الغيوب .

وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر

مقدِّفُ حصي القريض وجماره ، ومطلِّعُ شموسه وأقماره ، نثرُه سِحْرُ البيان ونَظْمُه قطع الجنان ، طلعت شمس الأدب من أفق أشعاره ، وتفجرت ينابيعها من خلال آثاره ، شاعرٌ توقدت جمراتُ افكاره ، شاعرٌ عرائس افكاره صِبَاح ، إن نثره فالنَّجْوم في افلاكها ، او نظم فالجواهر في اسلاكها ، اخذت بِجَامِعِ القلوب كلمه ٥ ، إذا كتب انتسب إليه السَّخَرُ أصح انتساب ٦ . ونسق ٧ المعجزات نسق حساب ، وارتى البدائع بيض الوجوه كريمة الأحساب ، إن نثر رأيت بحراً يزخر ، وإذا نظم ازرى بنَظْمِ العقود بالجوهر ، واتى بأحسن من رقم البرود ، إذا كتب مَلَأ المهارق ٨ بياناً ، وارتى السحر عياناً ، هو الكاتب

(١) جمع صيغة : الحصن المنيع (٢) يلعب (٣) الانصباب (٤) نظم (٥) نظم (٦) جمع مهرق حرير ثوب ابيض ينقى الصمغ منه ويفسل ثم يكتب فيه .

الذي تحسّد أرقام الطراز سطور قلمه ، ويود التّبرّ لو كان مِداد كِلمه ، هو الكاتب الذي تنقاد إلى يَراعِه^١ دقائق المعاني صاغِرةً بزمَام ، نثرٌ كنثرِ الورد ، ونظمٌ كنظمِ العقد ، نثرٌ كالسّحَر أو أدق ، ونظمٌ كالماء أو أرق ، نثرٌ كما تفتّح الزهر ، ونظمٌ كما تنفّس السّحَر ، رسالة تضحكُ عن غرر وزهر ، وقصيدة تنطوي على حبر ودُر ، كلامٌ كما هبّ نسيم السّحَر ، على صفحات الزّهر . كتابٌ مطلعُه أهليّة الأعياد ، وموقعه موقع نيل المراد ، كتابٌ حسبته يطير من يديّ الخِفّة ، ويلطف عن حِسِّي لِقِلته ، صحائف انطوت المحاسن تحت رِق منشورها ، وصدحت حمائم البلاغة على اغصان سطورها ، صحائف تنوب عن الصفائح ، وقراطيس تزفّ إلى الأسماع عرائس المرائح ، صحائف ألبسها الحبر أثواباً من الحُبَر^٢ ، وديجها^٣ صوب الفكر ، لا صوب المطر .

وصف الأمراء والأشراف

فلانٌ من شَرَف العنصر الكريم ، ومعدن الشرف الصميم^٥ ، أصلٌ راسخ ، وفرع شامخ^٦ ، ومجد ناذخ^٧ ، قد ركّبَ الله دَوْحَتَه^٨ في قرارة المجد وغرس نبعته^٩ في منبت الفضل ، المجد لسان أو صافه ، والشرف سبب أسلافه . دَوْحَة^{١٠} رُسب^{١١} عرقها وبَسَق^{١٢} فرعها وطاب عودُها واعتدل عمودها وفيأت ظلالها ، وتهدلت^{١٣} ثمارها وتفرّعت اغصانها ، وبرد مَيقِلُها^{١٤} . أمير جيشه الهَمَم . دَوْحَة^{١٥} مجده وريقة^{١٦} الظل وريقة^{١٧} ، أمير لا عيب في نداه^{١٨} إلا أنه يستعبد كلّ حرّ . هو غُرّة الجمال ، وصورة الكمال . عقد

- (١) أقلامه (٢) الحبرات التي تلبسها النساء المصريات إذا خرجن (٣) نقشها (٤) المطر (٥) الخالص (٦) المرتفع (٧) العالي (٨) الشجرة العظيمة (٩) الشجر أيضاً (١٠) نبت (١١) ارتفع (١٢) تدلّت (١٣) مكانها (١٤) ممتدة متمسكة (١٥) مورقة (١٦) عطائه وهذا نوع من انواع البديع يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم كقول بعضهم :

ولا عيب في معروفهم غير أنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر
وفي الحقيقة ليس بعيب بل نهاية في المدح .

المناصب به نَصِيد، أميرٌ عَصِيقت من شمائله نَسَمَات النَّد، وقطرت من سلسبيل
أوصافه مياهُ المجد، جامعٌ ما تفرق من شمل الفضائل، ناظمٌ ما انتثر من عقد
المآثر، أثارَت به نجومُ المعالي وشموسها، له شرفٌ باذخٌ تُعقد بالشُّجُوم ذوائبه،
أَلَقَتْ إليه الرِّياسة مقاليدها^١، وملكته طريفها وتليدها^٢، أميرٌ تَفَرَّعَ من
دَوْحَة سناء^٣، وتحدَّر من سلالة أكاير، ورُقاة أسرةٍ ومنابر، مرْتَضِعٌ ثَدْيِي
المجد، ومفترشٌ حِجَرِ الفضل، له صدرٌ تضيق به الدَّهْناء^٤، وتفرع إليه
الدَّهْماءُ^٥، له في كلِّ مكرمة غُرَّة الإصباح، وفي كلِّ فضيلة قادمة الجناح،
له صورة تستنطق الأفواه بالتسبيح، ويترقرق فيها ماء الكرم، وتقرأ فيها
صحيفة البشائر، ينابيع الجود تتفجَّر من أنامله، وربيع السماك يضحك من
قواضله، له أخلاقٌ خلقت من الفضل وشيَمٌ تُشامُ^٦ منها بوارق المجد، أَرَجَ^٧
الزمان بفضلله، وعقِم النساء عن الإتيان بمثله، ماله للعفاة^٨ مباح، وفعاله^٩
في ظلمة الدهر مصباح، مناقب تشدَّخ^{١٠} في جبينها غُرَّة الصُّباح، وتتهادى
أنباءها^{١١} وفود الرياح، سألت عن أخباره فكأنني حرَّكت المسك فتيسراً،
وصبَّحت الروض أنيقاً^{١٢} هو رائس^{١٣} نبلمهم، ونبعة^{١٤} فضلهم، وواسطة^{١٥}
عقدهم، له هِمَّة علا جناحها إلى عنان النجم، وامتد صباحها من شرق إلى غرب،
همته أبعد من مناط^{١٦} الفرقد، وأعلى من منكبِ الجوزاء^{١٧}، موضعه من أهل
الفضل موضع الواسطة من العقد، وليلة التَّم من الشهر، بل ليلة القدر إلى مطلع
الفجر، هطلت عليَّ سحائب عنايته، ورفرفت خولي أجنحة رعايته، وقد

-
- (١) مفاتيحها (٢) حديثها وقديمها (٣) مجد ورفعة (٤) الفلاة الواسعة
(٥) جماعة الناس (٦) تنظر (٧) فاحت منه رائحة طيبة (٨) الطالبون للعطاء
(٩) بفتح الفاء : كرمه (١٠) تفلق (١١) أخبارها (١٢) معجبا (١٣) السهم
ذو الريش (١٤) الشجرة (١٥) ما تكون وسط العقد وهي أحسنه
(١٦) محل علاقته (١٧) برج في السماء .

استظهرت على جَور الأيام بغدله، واستتريت من دهرى بظله، قد غرقتني نعيمه
حق استنفدت شُكْر لساني ويدي، وتتابع نعيمه تتابع القطر على القفر،
وترادفت مِنَنه ترادف اليسر إلى ذوي الفقر، له أياد قد عمّت الآفاق،
وطوقت الأعناق أياد قد حبست عليه الشكر، واستعبدت له الحر. من
توالت توالي القطر، واتسعت سعة البر والبحر، وأثقلت كاهل الحر.

وصف القلم

القلم أحد اللسانين، وهو المخاطب للغيوب، بسرائر القلوب، على لغات
مختلفة من معاني معقولة، بحروف معلومة، متباينات الصور مختلفات الجهات،
لِقاحها التفكير ونتائج التدبير، تحرس مفردات، وتنطق مزدوجات
بلا أصوات مسموعة، ولا ألسن محدودة، ولا حركات ظاهرة. خلا قلم حرّ
باريه قسطته، ليتعلّق المداد به، وأرّهف جانبيه ليردّ ما انتشر عنه إليه،
وشقّ رأسه ليحتبس المداد عليه، فهناك استعدّ القلم بشقه، ونشر في
القرطاس بخطه حروفاً أحكمها التفكير وأولى الأسماع بها الكلام الذي سداه
العقل، وألمح اللسان ونهسته اللهوات، وقطعته الأسنان، ولفظته الشفاه،
ووعته الأسماع عن أنحاء شتى من صفات وأسماء. قال البُحْثري :

طعانٌ بأطراف القوافي كأنه طعانٌ بأطراف القنا المتكسر

وقال ابن المقفع : « القلم بريد القلب : يُخبر بالخبر ، وَيَنْظُر بِلَا نَظَر » .

وقال أبو دلف : « القلم صانع الكلام يفرغ ما يجمعه العلم » .

وقال الجاحظ : « الدواة منهّل ، والقلم مائج ، والكتاب عطّن » .

وقال سهل بن هارون : « القلم أنف الضمير ، إذا رُفِعَ أَعْلِنَ وَأَبَانَ

آثاره » .

وقال عمرو بن مسعدة : « الأعلام مطايا الفِطْنِ » .

وقال المأمون : « لله درّ القلم كيف يحوك وشي المملكة » .

- وقال جالينوس : « القلم طبيب المنطق » .
- وقال أحمد بن عبدالله : « القلم رَاقِدٌ في الأفئدة مُسْتَيْقِظ في الأفواه » .
- وقيل : « عَقُول الرجال تحت أَقْلَامها » .
- وقال آخر : « القلم أَصَمَّ يَسْمَع النُّجْوَى . وأخرسُ يَفْصَح بالدَّعْوَى . وجاهل يَعْلَم الفَحْوَى » .
- وقال أحمد بن يوسف : « عبرات الأقلام في خدود كتبها أحسن من عبرات الغواني في صُحُون خدودها » .
- وقال أيضاً : « القلمُ لسان البَصَر يُنَاجِيه بما استقر عن الأسماع ؛ إذا نَسَج حُلُّه ، وأودعها حكمه » .
- وقال العتابي : « الأقلام مطايا الأذهان » .
- وقال عبد الحميد : « القلمُ شجرةٌ ثمرتها الألفاظ ، والفكر بحرٌ لؤلؤه الحكمة » .
- وقيل : « بريُّ القلم تروى القلوب الظميمة » .
- وقال ابن أبي دؤاد : « القلم سفير العقل ، ورسوله الأنزل ، ولسانه الأطول ، وترجمانه الأفضل » .
- وقال أيضاً : « القلم الدنيا والآخرة » .
- وقال آخر : « بنو القلم تصوّب الحكمة » .
- قال ابن ميثم : « من جلالة شأن القلم أنه لم يكتب الله تعالى كتاب قط إلا به » .
- وقالوا : « القلم قَسَمُ الحكمة » .
- وقال يحيى بن خالد البرمكي : « الخط صورة روحها البيان ، ويدها الشرع وقدمها التمسوية ، وجوارحها معرفة الفصول » .
- ووصف أحمد بن إسماعيل خطاً حسناً فقال : « لو كان نباتاً لكان زهراً ؛ ولو كان معدناً لكان تبراً ، أو مذاقاً لكان حلواً ، أو مشرباً لكان صفواً » .

وقال إقليدس : « الخطُّ هندسة روحانية ، وإن ظهرت بآلة جسمانية »
أخذه النظام فقال : « الخط أصلٌ في الروح وإن ظهر بالجسد » .

وقال بعض الملوك اليونانية : « أمرُ الدين والدنيا تحت شيتين : قلمٌ وسيفٌ ،
والسيفُ تحت القلم » .

وقال أفلاطون : « الخطُّ عِقالُ العقل » .

وقال أرسطو ليس : « القلمُ العِلَّةُ الفاعلة والمِدَادُ العِلَّةُ الهَيُولَانِيَّةُ ، والخطُّ
العِلَّةُ الصُّورِيَّةُ ، والبَلَاغَةُ العِلَّةُ السَّامِيَّةُ » .

سُئِلَ بعض الكتَّاب عن الخط : متى يستحق أن يوصفَ بالجوذة؟ فقال :
« إذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ، واستقامت سطورهُ ، وضامى
صُعُوده حُدُوده ، وتفتحت عُيُونُهُ ، ولم تُشبه راءَهُ نُونُهُ ، وأُشْرِقَ قرطاسه ،
وأظلمت أنفاسه ، ولم تختلف أجناسه ، وأُشْرَعَ إلى العيون تصَوُّرُهُ ، وإلى
العقول ثمرُهُ ، وقُدِّرَت فُصُولُهُ ، وانْدَجَجَت وُصُولُهُ ، وتناسَبَ رقيقته
وجليله ، وخرج عن نمطِ الوراقين ، وبعُدَ عن تصنُّعِ الحبرين ، وقام لمكاتبه
مقام النسبة والحلية » .

وقالوا ، « القلمُ أحدُ اللِّسَانين ، والعمُّ أحدُ الأبوين ، والنسبُ أحدُ
العفوين ، والمطلُّ أحدُ المنعَيْن ، وقلمةُ العيال أحدُ اليسارين ، والقناعة أحدُ
الرِّزْقين ، والوعيد أحدُ الضَّرْبين ، والإصلاح أحدُ الكَسْبين ، والرَّوَايةُ أحدُ
الهاجيين ، والهجر أحدُ الفِرَاقين ، واليأسُ أحدُ النُّجَجين ، والمزاح أحدُ
السَّبَّابين » .

وقال آخر : « مساقُ الدنيا بسين وقافٍ فيقال سق » يريد السيف والقلم .

وقال آخر : « القلمُ لسانُ اليد » .

حدثني يحيى البحترى قال ، حدثنا أبي عن ابن التَّرجَمَان - وكان الواثقُ
أنفذهُ إلى ملكِ الرُّومِ بهدايا - قال : وافقت لهم عيداً ، فرأيتهم قد علقوا على
بابِ بعتهم كتباً بالعربية منسورة ، فسألتُ عنها : فقيل : هذه كتبُ المأمون

بخط أحمد بن أبي خالد الأحول ، استحسنوا صورته وتقديره فجعلوه هكذا .
فحدثتُ أنا بهذا الحديث أبا عبيد الله محمد بن داود بن الجراح فقال : هذا حق ،
قد كتب سليمان بن وهب كتاباً إلى ملك الروم في أيام المَعتمد فقال : ما رأيتُ
للعرب شيئاً أحسنَ من هذا الشكل ، ولستُ أحسِدُهم على شيءٍ حسدي إياهم
عليه ، والطاغية لا يقرأ العربي ، وإنما راقته اعتداله وهندسته وحسنُ
موقعه ومراتبه .

وقال هشام بن الملك الأعرابي : انظر ، كم على هذا الميل من عدد الأميال .
وكان الأعرابي لا يحسنُ أن يقرأ فحُضِي ونظر ثم عاد فقال : رأيتُ كرأس المحجن
مُتَصِّلاً بحلقة صغيرة ، تتبعه ثلاثة كأطباء الكلبة ، تفضي إلى هنة كأنها رأس
قِطَاة بلا منقار . ففهم بوصفه أنها خمسة .

حدثني يعقوب بن بيان الكاتب قال : قال بعضُ الكُتَّاب « القلم الرديءُ »
كالولد العاق .

وقالوا : « رداءةُ الخط إجدى الزمانتين ، كما أن حسنة إحدى البلاغتين »
حدثني طلحة بن عبد الله قال :

اعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه ، فرأى خطه
قبيحاً ، فوقع في رقعته : « أردنا قبولَ عذرك ، فاقسطعنا عنه ما قابلنا من قبح
خطك ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك ، أو ما علمت أن
حسن الخط يُناضل عن صاحبه بوضوح الحجّة ، ويُمكن له دَرَك البغية ؟ »

وكان أبو هفّان عبد الله بن أحمد المهتمّي من أقبح الناس خطاً ، وكان
يبتدئ الخط من رأس الورقة ويموِّج سطره حتى يبقى آخر سطر في الورقة
كلمة واحدة فرثاه يحيى بن عليّ فقال في مَرثيته :

مَعَ خطِّ كَاتِبِهِ أَرْجُلُ الْبَطْ أَوْ الْخَطِّ فِي ذَوِي الْفَتَيَانِ

قالوا : « رداءة الخط زمانة الأديب » .

نظر عبدالله بن طاهر إلى خطّ بعض كُتّابه فلم يرضه ، فقال : « نَحْوُوا
هذا عن مرتبة الديوان فإنه عليل الخط ، ولا يؤمن أن يُعدي غيره » .

أنشدني العزي الحسن بن علي في قبج الخط :

جزعت من قُبج خطي وفيه وضعي وحطّي
رجعت من بعد حذقي إلى تعلم حطّي

حدثنا أبو العباس الرّبعي قال حدثنا الطلحي قال حدثني أحمد بن إبراهيم
قال : دخل على الرّشيد أعرابي فأنشده أرجوزة - وإسماعيل بن صبيح يكتب
بين يديه كتاباً ، وكان أحسن الناس خطاً ، وأسرعهم يداً - فقال الرّشيد
للأعرابي : صف هذا ، فقال له : ما رأيت أطيّش من قلمه ، ولا أثبت من
حلمه ، ثم قال :

له قلمٌ بُؤسي ونعمي كلاهما صحابته في الحالتين درور
يناجيك عما في ضميرك لحظه ويفتح باب النّجح وهو عسير
فقال الرّشيد : « قد وجب لك يا أعرابي عليه حقّ ، وهو يقضيك إياه ،
وحق علينا فيه نحن نقوم به ، ادفعوا إليه دية الحر » فقال له : « على عبدك
دية العبد » .

جاء يوماً عبد الله بن الملتز في المسجد الجامع إلى أبي العباس أحمد بن يحيى
ليسلم عليه فقام له وأجلسه مكانه ، فداور ابن الملتز قلماً فكسره ، فلما جلس
قال لمن حوله :

لكفسي ثأرٌ عند رجلي لأنّها أثارت قتيلاً ما لأعظمه جبرٌ
فموجب الناس من سرعة بديهته .

وأما رجل إلى إبراهيم بن المدبر قلماً وكتب إليه :

قد وجهت إليك أعزّك الله بمفاتح العلوم ، بادٍ جمالها ، تام كالمها ، فهي كما
قال الشاعر :

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كَمَلّا

كلّ جزءٍ من محاسنها كائنٌ من حسنه مثلاً
وقال أحمد بن إسماعيل :
وإذا تمّنتُ بنائك خطّاً مُعرباً عن إصابة وسداد
عجب الناس من بياض معانٍ يُحتجب من سواد ذاك المداد
حدثنا أحمد بن يزيد الملهبي قال حدثني أبو هفّان ، قال سألت ورّاقاً عن
حاله فقال :

« عيشي أضيّق من محبرةٍ ، وجيئني أدقّ من مسطرةٍ ، وجاهي أرقّ
من الزجاج ، ووَجَّهني عند الناس أشدّ سواداً من الحبر ، وحظي أحقرُ من
شقّ القلم ، وبدّني أضعف من قصبة ، وطعمني أمرٌ من العفص ، وسوء الحال
ألزم لي من الصبح » فقلت له : عبّرتَ عن بلاء بيّلاء^١ .
وسئِل ورّاقٌ عن حاله فقال :

وإذا كنت بالليل لا أكتب وطول النهار أنا أَلعبُ
فَطَوَّراً يُبطلني مأكلاً وطوراً يبطلني مشرباً
فإن دام هذا على ما أرى فبيتي أول ما يخربُ

وصف الكتاب

الكتابُ نعيمَ الأنيس في ساعة الوحدة ، ونعم المعرفة في دار الغربة ،
ونعم القرين والدخيل ، ونعم الزائر والنزيل ، وِعاءٌ مُلئٌ علماً وظرفاً ،
وإناءٌ مُلئٌ مزحاً وجدّاً ، وحبّذا بستان يحمل في خرج ، وروض يقرب في
حجر ، هل سمعت بشجرة نوتى أكلها كل حين بألوان مختلفة وطعوم متباينة ؟
هل سمعت بشجرة لا تذوي وزهر لا يُتَوَى^٢ وثمر لا يفنى ، ومن لك يجلس

(١) ومثله قول قائلهم :

تبّاً لرزق نازل من شق هذي القصبة
تبّاً له ، تبّاً له ما أتعبه ، ما أتعبه

(٢) يتوى : يهلك .

يفيد الشيء، وخلافه، والجنس وضدّه، يَنطَقُ عن الموتى ويُترجم عن الأحياء،
 إن غَضِبْتُ لم يَغْضَبْ وإن عَرِبْتُ لم يَصْخَبْ^١، أَكْتَمُ من الأرض وأنتم من
 الرِّيح وأهوى من الهوى، وأخذع من المنى، وأمتع من الضحى، وأنطق من
 سحبان وائل، وأعشى من باقل^٢ هل سمعت بمعلم تحلّسى بخلال كثيرة وجمع
 أوصافاً عديدة عَرَبِيٌّ فارسيٌّ يونانيٌّ هنديٌّ سنديٌّ روميٌّ، إن وعظ
 أسمع، وإن ألهى أمتع، وإن أبكى أدمع وإن ضَرَبَ أوجع، يُفْسِدُك ولا
 يستفيدُ منك، ويزيدك ولا يستزيد منك. إن جَدَّ فعبرة، وإن مَزَحَ فنزّهة .
 قبرُ الأسرار ومخزَنُ الودائع، قيد العلوم وينبوعُ الحكم، ومعدنُ المكارم
 ومؤنسٌ لا ينام - يفيدك علم الأولين، ويُخبرك عن كثير من أخبار المتأخرين
 - هل سمعت في الأولين أو بلغك أن أحداً من السالفين جمعَ هذه الأوصاف مع
 قلة مؤنثه؟ وخفة محمله، لا يَرزُوك^٣ شيئاً من دُنْيَاك، نعم المتأخر لعدّة^٤،
 والمشتغل والحرفة، جليس لا يطريك^٥ ورفيق لا يملك، يطيعك في الليل
 طاعته في النهار، ويطيعك في السّفر طاعته في الحضر، إن أطلت النّظر إليه
 أطال إمتاعك^٦ وشجذ^٧ طباعك، وبسط لسانك وجوّد بيانك، وفجّتم
 ألفاظك، إن أَلَفْتَه خلد على الأيام ذكرك، وإن دَرَسْتَه رفع في الخلق
 قدرُك، وإن نَعَتَه نوه عندهم باسمك، يُقْنَعُ العبيد في مقاعد السّادات،
 ويُجْلِسُ السّوقة في مجالس الملوك، فأكرم به من صاحب، وأعزّز به من
 موافق .

(١) لم يصوت (٢) رجل من إياد يضرب به المثل في العي، ومن عيه أنه اشترى
 ظيياً فحمله على عاتقه، فسئل عن ثمنه، فحل عنه يديه وفتح أصابعه وأشار بها،
 وأخرج لسانه، يريد أنه بأحد عشر درهماً، ولم يلهم أن يخبر عن سعره بلسانه،
 فصار عيه مثلاً . (٣) لا ينقصك (٤) ما يعده الإنسان لحوادث الدهر من سلاح
 وغيره (٥) لا يمدحك (٦) انتفاعك (٧) أحدهما وأقواها .

وصف عاصفة لجلال الدين السيوطي

المتوفى سنة ٩١١ هـ

أتى عارض في ليلة الجمعة التاسعة من جمادى الآخرة ، وكانت فيه 'ظلمات'
متكاثفة و'بروق' خاطفة ورياح عاصفة ، فقويت أهويتها ، واشتد هبوبها
فتدافعت لها أعينة 'مطلقات' ، وارتفعت لها صواعق 'مُصعقات' ، فرجفت لها
الجُدران واصطفقت ، وتلاقت على بعدها واعتنقت ، وثارت بين السماء
والأرض عجاج فليل لعل هذه على هذه أطبقت ، وتحسب أن جهنم قد
سال منها وادى وعدا منها عادي ، وزاد عصف الرياح إلى أن انطفأت مصابيح
النشجوم ، ومزق أديم السماء ومحي ما فوقه من الرقوم ، لا عاصم من الخطف
للأبصار ، ولا ملجأ من الخطب إلا معاقل الاستغفار ، وفر الناس نساء
ورجالاً ، ونفروا من دورهم خفافاً وثقالاً ، لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون
سبيلاً ، فاعتصموا بالمساجد الجامعة ، وأذعنوا للتنازلة بأعناق خاضعة ،
وجود عانية ، ونفوس عن الأهل والمال سالية ، ينظرون من طرف خفي ،
ويتوقعون أي خطب جلي ، قد انقطعت من الحياة 'علقتهم' وعميت عن النجاة
طرقهم ، ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون ، وقاموا إلى صلاتهم وودوا
أن لو كانوا من الذين هم عليها دائمون ، إلى أن أذن الله في الركون وأسعف
الهاجدين بالهجود .

وأصبح كل مسلم على رقيقه ، ويهنئته بسلامة طريقه ، ويرى أنه قد
بُعث بعد النفخة ، وأفاق بعد الصيحة والصرخة ، وأن الله قد رد له
الكرّة وأدبه بعد أن كاد يأخذه على غيرة ؛ ووردت الأخبار بأن كسرت
المراكب في البحار ، والأشجار في القفار ، وأتلف خلق كثير من السفار ،
ومنهم من فر فلم ينفعه الفرار .

وصف العلم لبديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ

العلم شيءٌ بعيد المرام ، لا يُصادُ بالسَّهام ، ولا يُقسمُ بالأزلام^١ ، ولا يُرى في المنام ، ولا يُضبطُ باللجام ، ولا يُكتبُ للثام ، ولا يُورثُ عن الآباء والأعمام . وزرعٌ لا يزكو^٢ إلا متى صادف من الحزم ثرى طيباً ، ومن التوفيق مطراً صيباً ، ومن الطبع جواً صافياً ، ومن الجهد رَوْحاً^٣ دائماً ، ومن الصبر سُقياً نافِعاً .

وغرَضٌ لا يُصاب إلا بافتراش المدر^٤ ، واستيناد الحجر ، ورَد الضجَر ، ورُكوب الخطر ، وإدْمان السَّهر ، واصطِحابِ السَّفر ، وكثرة النَّظر ، وإعمال الفكر .

وصف رجل لخصمه

كان أحمد بن يوسف متصرفاً عن غستان بن عباد ، وجرت بينهما هَنَات^٥ بحضرة المأمون ، ثم قال المأمون يوماً لخاصة أصحابه : « أخبروني عن غسان بن (١) الأزلام : جمع زلم - بفتح الزاي أو ضمها مع فتح اللام - وهي سهام لا نصل لها ولا ريش . كان العرب إذا أرادوا القمار احضروا جزوراً فنجرونها وقسموا لحمها إلى ثمانية وعشرين قسماً ، ثم اتوا بعشرة أزلام ، فرسموا على واحد منها خطاً ، وعلى الثاني خطين ، وعلى الثالث ثلاثة ، وهكذا إلى السابع ، فيكون عليه سبعة وهو المسمى بالقدح المعلى ، وتبقى ثلاثة غفلاً لا يرسم عليها شيء ، ثم يضعون الجميع في خريطة ويدخل رجل يده فيها فيخرج زلماً باسم واحد من المقامرِينَ ، فإن كان مرسوماً له عليه شيء اخذ من اقسام اللحم بقدره ، وإن كان غفلاً غرم ثمن الجزور . والمقصود من هذه العبارة ان العلم لا ينال بطريق البحث والمصادفة ، كما ينال اللحم الملقوم . (٢) يزكو : ينمو ويطيب . (٣) الروح - بفتح فسكون - نسيم الريح . (٤) المدر : قطع الطين اليابس ، واقتراش المدر : نام عليه . (٥) كاتب بليغ من كتاب المأمون ، وكان بارعاً في الرسائل ، ويكنى ، أبا جعفر . (٦) الهنات : جمع هنة ، وقد تجمع على هنوات ، والمراد : أمور .

عباد ، فإنني أريده لأمر جسمي » وكان قد عزّم على تقليده السّند . فتكلم كلّ بما عنده في مدحه ، فقال أحمد بن يوسف : هو يا أمير المؤمنين رجلٌ محاسنه أكثر من مساويه ، لا يتطرق^١ إلى أمرٍ إلا تقدّم فيه ، ومها تخوف عليه فإنه لن يأتي أمرًا يُعْتَدَرُ منه ، لأنه قَسَمَ أيامه بين أفعال الفضل ، فجعل لكلّ خلق نوبة^٢ إذا نظرت في أمره لم تدّر أيّ حالاته أعجب : أما هداه إليه عقّله ؟ أم ما اكتسبه بأدبه ؟ فقال له المأمون : لقد مدحتّه على سوء رأيك فيه . قال : لأني في أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

كفى ثمناً لما أسديت أنسي نصحتك في الصديق وفي عدائي
وإني حين تندُبني لأمر يكون هواك أغلب من هوائي^٣

وصف أبي دلف لعبدالله بن طاهر

دخل أبو دلف^٤ على المأمون بعد الرضا عنه ، فسأله عن عبدالله بن طاهر . فقال : خلفته يا أمير المؤمنين أمين غريب ، نصيح جيب^٥ ، أسداً عانياً قائماً على برائته ، يستعد به وليك ، ويشقى به عدوك ، رَحِبَ الغناء لأهل طاعتك ،

(١) تطرق إلى الأمر : ابتغى إليه طريقاً (٢) النوبة : الفرصة والدولة والمرّة ، جمعها نوب كغرف (٣) يريد هواي ، ومده للضرورة (٤) أبو دلف - كعمر - هو القاسم بن عيسى البكري من قواد المأمون ثم المعتصم ، وكان جواداً شجاعاً ، وفيه يقول الشاعر :

إنما الدنيا أبو دلف بين ناديمه ومحتضره
فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

توفي سنة ٢٢٦ هـ . (٥) هو عبدالله بن طاهر بن الحسن ، من كبار ولاة المأمون ولي مصر مدة سنتين تقريبا ، قال صاحب كتاب ادب الخواص : إن البطيخ العبد لاوي الموجود بالديار المصرية منسوب إليه ، اه .
(٦) يقال : هو ناصح الجيب ، أي القلب والصدر .

ذا بأسٍ شديد لمن زاعغ عن قصد محبَّتكَ ، وقد فقَّسَهُ الحُزْمُ ، وأيقظه العزم ،
فقام في نحر الأمور على ساق التشمير ، يبرمها بأيديهِ^١ وكيدهِ ، ويقولها بجدة
ورجدة ، وما أشبهه في الحرب إلا بقول العباس بن مرداس :

أكره على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها ام سواها
فقال قائل : ما أفصحهُ على جليليَّته ! فقال المأمون : إن بالجليل^٢ قوماً
أجداً^٣ كراماً أجداداً^٤ ، وإنهم لسيوفئون السيف حفظه يوم النزال ، والكلام
حقه يوم المقال .

وصف أعرابي لرجل

وصف أعرابي رجلاً فقال :

إن سألتَ ألحف ، وإن سئمتَ سوِّف ، وإذا وعد أخلف ، وإذا صنَّع
أتلَف ، وإذا همَّ بالفعل الجميل توقَّف ، ينظر بنظر الحسود ، ويُعرِّض
إعراض الحقود ، بينما هو خيلٌ ودود ، إذ هو خِلٌ ودود ، فناؤه شاسع ،
وضيفه جائع ، وشره شائع ، وسرته ذائع ، ولونه فاقع^٦ ، وجفنه دامع ،

(١) الأيد: القوة (٢) الجبل: بلاد بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان
وبلاد الديلم (٣) الأنجاد - جمع ماجد أو مجيد ، كاشهاد في شاهد وشهيد -
والماجد والمجيد : الحسن الخلق السمح (٤) الأنجاد - جمع نجد بكسر الجيم أو
ضمها - وهو الشديد البأس ، ومن كلام علي : اما بنو هاشم فأنجاد أنجاد .

(٥) فناء البيت: الساحة امامه ، وجمعه افنية والشاسع : البعيد ، والجملة
كناية عن أنه بخيل ، لأن من عادة البخيل عندهم ان يبني خباءه بعيداً عن الحي
حتى لا يقصد ، قالت الفارعة :

ولا يحل إذا ما حل منتشياً يخشى الرزية بين الماء والبادي
(٦) الفاقع : الشديد الصفرة ، وربما اكد به الأبيض .

ودياره بلاقع ، رديء المنظر ، سىء الخبَر ، يَبْخَل إذا أيسر ، ويَهْلَع إذا أعسر ، ويكذب إذا أخبر ، إن عاهد غدر ، وإن خاصم فجر ، وإن خوطب نسفر .

وصف الإمام العادل

كتب "عمر" بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه لما ولي الخلافة إلى الحسن ابن أبي الحسن البصري ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل . فكتب إليه الحسن :

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصف كل مظلوم ، ومفرج كل ملهوف . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشقيق على إبله ، الرقيق الذي يرئد لها أطيب المراعي ، ويزودها عن مراتع المهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنفها من أذى الحر والقر ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالأب الحاني على ولده ، يسعى لهم صفاراً ، ويعلمهم كباراً ، يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالأم الشقيقة ، البررة الرقيقة بولدها ، حملته كرهاً ، ووضعته كرهاً ، وربته طفلاً ، تسهر بهسره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتنفطه أخرى ، وتفرح بمعايته ، وتغتم بشكايته ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، وصي اليتامى ، وخازن المساكين ، يربي صغيرهم ويؤتمن كبيرهم ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح بصلاحه ، وتفسد بفساده ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله

وَيُسْمِعُهُمْ ، وينظرُ إلى الله ويُريهم ، وينقادُ إلى الله وَيَقُودُهُمْ - فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملّكك الله كمعدٍ ائتمنته سيّده ، واستحفظه ماله وعباله ، فبَدَدَ المال ، وشرَّدَ العيال ، فأفقرَ أهلَه وفرَّقَ ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدودَ لِيَزْجُرَ بِهَا عن الحَبَاثِثِ والفَوَاحِشِ ، فكيف إذا أتاهَا من يَليهَا ؟ وأنتَ الله أنزل القِصاصَ حِيَاةَ لِعِبَادِهِ ، فكيف إذا قَتَلَهُم من يَقتَصُ منهم ؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموتَ وما بعده ، وَقَلَّةَ أَشْيَاعِكَ عِنْدَهُ ، وَأَنْصَارِكَ عَلَيْهِ ، فَتَزَوَّدَ لَهُ ولَمَّا بَعْدَهُ من الفِرَاقِ الْأَكْبَرِ .

واعلم يا أمير المؤمنين ، أَنَّ لَكَ مَنْزَلاً غَيْرَ مَنْزِلِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، يَطُولُ فِيهِ ثَوَاؤُكَ ، وَيَفَارِقُكَ أَحِبَّاءُكَ ، يُسَلَمُونَكَ فِي قَعَرِهِ فَرِيداً وَحِيداً ، فَتَزَوَّدَ لَهُ مَا يَصْحَبُكَ ، يَوْمَ يَفِرُّ المَرءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ - واذكر يا أمير المؤمنين ، إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ؛ فَالْأَسْرَارُ ظَاهِرَةٌ ، وَالْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا - فَالْآنَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ فِي مَهَلٍ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجْلِ ، وَانْقِطَاعِ الْأَمَلِ - لَا تَحْكَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِحُكْمِ الْجَاهِلِينَ ، وَلَا تَسْلُكْ بِهِمْ سَبِيلَ الظَّالِمِينَ ، وَلَا تُسَلِّطِ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ، فَتَبَوَّءَ بِأَوْزَارِكَ وَأَوْزَارِهِ مَعَ أَوْزَارِكَ ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكَ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِكَ ، وَلَا يَفِرُّنَّكَ الَّذِينَ يَتَنَعَّمُونَ بِمَا فِيهِ بُؤُسُكَ ، وَيَأْكُلُونَ الطَّيِّبَاتِ فِي دُنْيَاهُمْ بِإِذْهَابِ طَيِّبَاتِكَ فِي آخِرَتِكَ ، وَلَا تَنْتَظِرْ إِلَى 'قُدْرَتِكَ' الْيَوْمَ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى 'قُدْرَتِكَ' غَداً ، وَأَنْتَ مَأْسُورٌ فِي حَبَائِلِ الْمَوْتِ ، وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فِي مَجْمَعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَقَدْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ . إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنْ لَمْ أَدْلِغْ بِعَظْمِي مَا بَلَغَهُ أَوْلُوا النَّسَبِ مِنْ قَبْلِي فَلَمْ أَلِكْ

شفقةً ونسجاً ، فأنزل كتابي إليك كمدأوي حبيب ، يسقيه الأدوية الكريمة ،
لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة .

وصف عمرو بن العاص لمصر لسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

مصر ترربة غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر ، وعرضها عشر^١ ،
يخبط وسطها نهر ميمون الغدوات ، مبارك الروحات ، يجري بالزيادة
والنقصان كجري الشمس والقمر ، له أوان تظهر به عيون الأرض ويتابعها ،
حتى إذا أصلح عجاجه ، وتعظمت أمواجه ، لم يكن وصول أهل القرى إلى
بعض إلا في خفاف القوارب^٢ وصغار المراكب ، فإذا تكاملت زيادته نكص^٣
على عقبيه كأول ما بدأ في شدته ، وطما في حدته ، فعند ذلك يخرج
القوم ليحرقوا بطون أوديته وروابيهم فيبذرون الحب ، ويرجون الشمار من
الرب ، حتى إذا أشرق وأشرف ، سقاه من فوقه الندى ، وغذاه من تحته
الثرى ، فعند ذلك يدرك حلابه ، ويغني ذبابه - فبينما هي يا أمير المؤمنين درة
بيضاء ، إذا هي عنبرة سوداء ، فإذا هي زبرجدة خضراء ، فتبارك الله
الفعال لما يشاء .

وصف حرب لأبي منصور النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ

عندما دارت رحا الحرب ، صممت الألسنة ، ونسقت الأسنة ، وخطبت
السيوف على منابر الرقاب ، وأقدمت الرماح على الخطط الصعاب ، وتلاصقت
القنا والقنابل^٤ ، وتعانقت الصوارم^٥ والمناصل ، وبلغت القلوب الحناجر
وأدركت السيوف المناحر ، وضاق المجال ، وتحكمت الآجال ، فلا ترى

(١) أي عشر ليال ، لأن عادة العرب السير في الليل . (٢) السفن الصغيرة .
(٣) رجع (٤) ارتفع (٥) القنا : الرماح ، والقنابل : جمع قنبل ما بين الخمسين
فصاعداً من الخيل (٦) السيوف القاطعة ، وكذا المناصل .

إِلَّا رُءُوساً تُنْدَرُ ! وَدِمَاءٌ تَهْدَرُ ، وَأَعْضَاءٌ تَتَطَايِرُ . وَتَتَنَاثِرُ ، وَأَجْسَاماً
تَتَزَايِلُ وَتَتَايَلُ حَقٌّ ثَمَلَتْ الرِّمَاحُ مِنْ الدِّمَاءِ ، فَتَعَثَرَتْ فِي النُّحُورِ ، وَتَكْسَرَتْ
فِي الصُّدُورِ ، فَرَجَعُوا الْأَعْدَاءُ مِنْ جَوَانِبِهِمْ ، وَتَمَكَّنُوا مِنْ فَضِّ مَوَاجِبِهِمْ .

وصف المطر شعراً لأبي الفضل الميكالي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ مع مقدمة لعمر بن علي المطوعي في وصف ذلك المطر نثراً

حكى عمر بن علي المطوعي قال: رأى الأمير السيد أبو الفضل عبد الرحمن
ابن أحمد أدام الله عزه أياً مُقَامِهِ يَجُودِينَ^٢ أن يطالع قرية من قرى ضياعه^٣
تُدعى « يجاب » على سبيل التنزه والتفرُّج ، فكنت في جملة من استصحبه إليها
من أصحابه ، واتفق أن وصلنا والسماء مُصْحِيَةً^٤ ، والجو صاف ، لم يُطرز ثوبه بعلم
الغيام^٥ ، والأفق فيروز^٦ لم يعبق به كافور السحاب^٦ فوقع الاختيار على ظل
شجرة باسقة الفروع^٧ ، مُتَسِّعَةُ الْأَوْرَاقِ وَالْغُصُونِ ، قد سترت ما سحو إليها
من الأرض طولاً وعرضاً ، فنزلنا تحتها مُسْتَظِلِينَ بِسَاوَةِ أَفْنَانِهَا^٨ مُسْتَتَرِينَ مِنْ
وَهْجِ الشَّمْسِ بِسِتَارَةِ أَغْصَانِهَا^٩ ، وَأَخَذْنَا تَتَجَاذَبُ أَذْيَالُ الْمَذَاكِرَةِ^{١٠} ،
وَتَتَسَالَبُ أَهْدَابُ الْمُنَاشِدَةِ وَالْمَحَاوِرَةِ^{١١} ، فَمَا شَعُرْنَا بِالسَّمَاءِ إِلَّا وَقَدْ أُرْعِدَتْ

(١) تسقط (٢) كورة بخزاسان ، وبلدة بسرخس من بلاد فارس (٣) يطالع
قرية ، يطالع صليها ، والضياع : جمع ضيعة ، وهي العقار والأرض المغلة .
(٤) لا غيم فيها (٥) عبارة عن خلو الجو من السحاب (٦) أي لونه مثل الفيروز
وهو الزرقة ، ولم يعبق به : لم يلصق به ، والكافور : طيب يستخرج من شجر
كبير ، ولون هذا الطيب يصير أبيض بمد عملية تعمل فيه . والمعنى : أنه لا
يرى شيء من السحاب في الأفق (٧) طويلتها (٨) الأفنان الغصون ، وسمواتها :
يعني أوراقها العريضة المتلاحمة نلاحماً يجعلها تشبه السقوف (٩) وهج الشمس :
شدة حرها وتوقدها (١٠) عبارة عن مذاكرهم (١١) عبارة عن تناسلهم الأشعار
وتحاور بعضهم مع بعض تحاوراً أدبياً .

وأبرقت^{١٠} وأظلمت بعدما أشرقت^٩، ثم جادت بمطر كأفواه القرب^٨، فأجادت^٧ وحكت أنامل الأجواد^٦، بل أوقفت عليها وزادت^٥، حتى كاذ غيشتها يعود عيشاً^٤، وهم وبها أن يستحيل ويلا^٣، فصبرنا على أذاها وقلنا سحابة صيف عن قليل تقشع^٢، فإذا نحن قد أمطرتنا برد الثغور^١، لكنها من ثغور العذاب^٢ لا من الثغور العذاب^٣، فأيقنا بالبلاء^٤، وسلفنا لأسباب القضاء^٥، فما مرت ساعة من النهار، حتى سمعنا خريр الأنهار^٦، ورأينا السيل قد بلغ الزبي^٧، والماء قد غمر القيعان^٨ والربا^٩ فبادرنا إلى حصن القرية^{١٠}، لائذين من السيل بأفنيتهما^{١١}، وعائذين^{١٢}

(١) يقال : رعدت وبرقت. أي جاء بالرعد والبرق، وأرعدت وأبرقت يعني تهددت بالرعد وتوعدت بالبرق (٢) جادت : تكرمت ، وأجادت : أحسنت. (٣) حكمت : شابهت، وأنامل الأجواد: المقصود أيدي الكرام، ومحا كاتها أيدي الكريم يعني مشابقتها لأيديهم في السخاء ، وأوقفت وزادت بمعنى واحد. (٤) الغيث : المطر ، والغيث : الإفساد . (٥) الوبل المطر العظيم القطرات ، والويل : الشر . (٦) أي لا تمكث إلا قليلاً وتذهب . (٧) البرد - بفتحات - قطرات المطر المتجمدة تنزل على الأرض كالطب في شكل الثلج أو الجليد . تشبه به اسنان الغواني وثناياها عند افتتار الثغور ، والثغر : الفم ، وثغور العذاب : فتحاته . (٨) من الثغور العذبة الريق . (٩) وخضعنا لحكم المقادير . (١٠) يعني جرى الماء بشدة ، فصار يسمع له صوت كصوت مياه الأنهار . (١١) السيل : الماء العظيم الذي يتجمع من المطر ، ويسيل بشدة . والزبي - جمع زيبة - وهي الأرض المرتفعة ارتفاعاً عظيماً بحيث لا يعلوها الماء عادة ، أو حفرة تحفر فيها ليعصاد فيها الأسد . (١٢) الربا - جمع ربوة - الأرض المرتفعة ارتفاعاً، والقيعان - جمع قاع - وهو الأرض السهلة المطمئنة التي انفرجت عنها الجبال والآكام . (١٣) فبادرنا : أسرعنا ، والحصن : الموضع الحصين المنيع، الذي لا يوصل إلى جوفه، ولائذين: محتمين متحصنين، والأفنية - جمع فناء - وهو المتسع أمام الدار.

من القطر بأبنيتها^١ وأثوابنا قد صندل كافورها ماء الوبل^٢ ، وغلف طرازها طين الوحل^٣ ، ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الأبدان ، وإن فقدنا بياض الأكمام والأردان^٤ ، ونشكره على سلامة الانفس والارواح ، شكر التاجر على بقاء رأس المال ، إذا فجع بالأرباح^٥ فبتنا تلك الليلة تحت سماء تكيف ولا تكف^٦ ، وتبكي علينا إلى الصباح بأدمع هوام^٧ ، وأربع سجام^٨ فلما سل سيف الصبح من غبد الظلام^٩ ، وصرف بوالي الصحو عامل القيام^{١٠} ، رأينا صواب الرأي أن نوسع الإقامة بها رفضاً^{١١} ونخذل الارتحال عنا فرضاً ، فما زلنا نطوي الصحاري أرضاً فأرضاً ، إلى أن وافينا المستقر^{١٢} ركضاً^{١٣} ، فلما نفضنا غبار ذلك المسير^{١٤} ، الذي جعلنا في ربة الأسير^{١٥} ، وأفضينا إلى ساحة التيسير^{١٥} بعد ما أضيئنا بالأمر العسير ، وتذاكرنا

- (١) عائذين : ملتجئين ، والقطر : ما نزل من ماء المطر ، والأبنية : المباني .
 (٢) صندل : استعمله متعدداً بمعنى جعل لون الصندل أحمر ضارباً إلى السواد ، والكافور والوبل تقدم معناه . (٣) غلف الشيء : جعل له غلافاً أي حجاباً وستراً ، والطراز : رسم الثوب ، والمعنى : أن رسم الثوب ستره الطين المتناثر من الوحل (٤) الأردن : أصول الأكمام . (٥) أي أوجع بعدم الأرباح وفقد المكاسب . (٦) تكف : تقطر ، ولا تكف : لا ينقطع مطرها . (٧) هوام - جمع هام - من همى يهمى بمعنى سال . (٨) لعله يريد أربع نواح يقطر منها الماء كثيراً . (٩) أي الصبح الشبيه بالسيف ، والظلام الشبيه بالغمد . (١٠) الوالي : العامل أو الحاكم ، والمعنى أزال الصحو القيام . (١١) أي أن نرفض الإقامة بها رفضاً باتاً . (١٢) وافينا : اتينا والمستقر : السكن ، وركضاً : يعني عدواً ، وجرياً على الأقدام . (١٣) يعني لما أزلنا وسخ هذا السير بمعنى استرحنا (١٤) الربة : عروة تجعل في حبل مع عرى غيرها ، ويربط في هذا الحبل (ويسمى الربق) أولاد الضأن والمعز والبقر (١٥) أفضينا : وصلنا . والساحة : رحبة واسعة بين الدور ، والتيسير : بمعنى اليسر والتسهيل .

ما لقينا من التعب والمشقة ، في قطع ذلك الطريق وطى تلك الشقة ١ أخذ
الأمير السيد أطل الله بقاءه القلم فعلق هذه الأبيات ارتجالاً :

دَهَمَتْنَا السَّمَاءُ غَدَاةَ السَّحَابِ بَغِيثٍ عَلَى أَفْقِهِ مُسْبِلٍ ٢
فَجَاءَ بِرَعْدٍ لَهُ رَنَّةٌ ٣ كَرَنَةٍ تَكْلِي وَلَمْ تَشْكَلْ ٤
وَتَنَى بِوَيْلٍ عِدَا طَوْرَهُ ٥ فَعَادَ وَبَالًا عَلَى الْمُحَلِّ ٦
وَأَشْرَفَ أَصْحَابُنَا مِنْ أَذَاهُ عَلَى خَطَرٍ هَائِلٍ مُعْضِلٍ ٧
فَمَنْ لَانْدٍ يَفْنَاءُ الْجِدَارِ ٨ وَآرٍ إِلَى نَفْقٍ مُهِمِلٍ ٩
وَمَنْ مُسْتَجِيرٍ يُنَادِي الْغَرِيقَ هُنَاكَ وَمَنْ صَارِخٍ مَعُولٍ ١٠
وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السَّقُوفِ بِدَمْعٍ مِنَ الْوَجْدِ كَمْ يُهِمِلُ ١١

(١) وطى تلك الشقة أي قطع تلك المسافة (٢) الغداة: أول النهار، يعني دهمتنا السماء بمطر في أول النهار الذي كان فيه غيم . والغيث: المطر ، والمسبل : الهاطل، يعني دهمتنا السماء بمطر هاطل على الأفق الذي كان السحاب نخيماً عليه .
(٣) له رنة : أي دوي وصوت هائل (٤) التكلية : التي فقدت ولدها ، ولم تشكل : يعني لم يفقدها الله ولدها ، والمعنى كصوت الغائب عنها ولدها ، مع أن الله لم يهلكه ، فهي تصوت على غيابه ، ولم ينقطع أملها من وجوده
(٥) الويل : تقدم تفسيره وهو المطر الشديد ، وعدا طوره : تجاوز حده .
(٦) فصار ثقيلاً وخيماً على المكان المحل الجذب المنقطع عنه المطر .
(٧) أشرف على كذا : قرب منه . والمعضل : الذي لا دواء له .
(٨ و ٩) قن متحصن بالأراضي المجاورة للجدران ومن لاجئ إلى سرب في الأرض لم يتمهده أحد (١٠) ينادي الغريق : أي يدعو الناس ويقول الغريق لينقذوه ، والمعول : الرافع صوته بالبكاء . (١١) همل الدمع : سال ، والمعنى : أنها جادت بدمع لم يكن السبب في إسباله لا الغرام ولا الوجد .

كان حراماً لها أن ترى^١ يبيساً من الأرض لم يبطل^٢
وأقبل سيل له روعة^٣ فأدبر كل عن المستقبل^٤
يُقلع ما شاء من دوحه^٥ وما يلق من صخرة يحمل^٦
فمن عامر رده غامراً^٧ ومن معلّم عاد كالمجهول^٨
كفانا بليتته ربنا فقد وجب الشكر للفضل^٩
فقل للسماء أرعدي وابريقي^{١٠} فإننا رجعنا إلى المنزل

وصف حديقة لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ

لما صدأت امرأة الجنان^{١٠} قصدت لجلائها بعض الجنان^{١١} فدخلت إليها،
وما كدت أن أقدم عليها، فإذا هي جنة عالية^{١٢} قطوفها دانية^{١٣} وطلحها
منضود^{١٤}، وظلها يمدود^{١٥}، وأعلام أشجارها مرفوعة^{١٦} وفاكهتها كثيرة^{١٧}

(١) كأن حراماً لها، أي كأن السماء محرم عليها أن ترى أرضاً يابسة لم تبل
بالماء. (٢) الروعة: الفرعة (٣) كل واحد يولي ويهرب ممن يقابله.
(٤) يقتلع كل ما يريد من الشجر العظيم. (٥) يحمل كل ما يلقاه من الصخور
الضخام (٦) رده غامراً صيره خراباً. (٧) من معلوم صار كالمجهول.
(٨) كفانا الله شره، فوجب الشكر له لأفضاله علينا. (٩) إيت بالرعد
والبرق. (١٠) الجنان: القلب، وصدئت مرآته علامة على الوسخ، والمعنى:
لما كل القلب، ومل العمل. (١١) لجلائها. أي إرالة الوسخ الذي علاها،
والجنان جمع جنة - وهي الحديقة ذات النخل والشجر. (١٢) أي مرتفعة
(١٣) غناقيدها متدلّية قريبة من الجاني. (١٤) الطلح: الأشجار العظام،
ومنضود يعني متراكب بعضها فوق بعض. (١٥) أي متسع. (١٦) أي
أغصانها مرتفعة.

لا مقطوعة^١ ولا ممنوعة^٢ ، تجوس^٣ المياه^٤ خلال ديارها^٥ ، وتشرق^٦ بأفاقها^٧ أنوار^٨ نوارها^٩ ، نزهة النواظر^{١٠} ، وشرك^{١١} الخواطر^{١٢} ، بها أشجار^{١٣} لا تحصى^{١٤} ، وثمار لا تعد^{١٥} ولا تستقصى^{١٦} .

وصف البيان لأمير المؤمنين ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ

البيان^١ ترجمان القلوب وصيقل العقول^٢ ، ومجلى الشبهة^٣ ، وموجب الحججة^٤ ، والحاكم عند اختصام الظنون^٥ ، والمفرق بين الشك واليقين^٦ ، وخير البيان ما كان مصرحاً عن المعنى^٧ ، ليسرع إلى الفهم تلقينه^٨ ، أو موجزاً ليخفف على اللفظ تعاطيه^٩ .

ووصف أيضاً المكارم

لن تكسب أعزك الله^١ المحامد^٢ ، وتستوجب الشرف^٣ ، إلا بالحمل على النفس والحال^٤ ، والنهوض بحمل الأثقال^٥ ، وبذل الجاه وإمال^٦ ، ولو كانت المكارم^٧ تنال^٨ بغير مؤونة لاشارك فيها السفلى^٩ والأحرار^{١٠} ، وتساهاها^{١١} الوضعاء^{١٢} من ذوي الأخطار^{١٣} ، ولكن الله تعالى خص^{١٤} الكرماء الذين جعلهم أهلها^{١٥} ، فخفف عليهم حملها^{١٦} وسوَّعهم فضلها^{١٧} وحظرها^{١٨} على السفلة لصغر أقدارهم عنها^{١٩} ، وبُعد طباعهم منها^{٢٠} ، ونفورها عنهم^{٢١} ، واقتشع^{٢٢} رارها منهم^{٢٣} .

ووصف أيضاً القرآن الكريم

فصل^١ القرآن على سائر الكلام معروف^٢ غير مجهول^٣ ، وظاهر^٤ غير خفي يشهد

-
- (١) لا تقطع عن الطالب ولا تمنع عنه . (٢) أي تتردد بين بيوتها .
(٣) النوار: الزهر . (٤) تنزهه فيها الميون . (٥) تصطاد الخواطر وتسيب العقول . (٦) لا يمكن الإتيان على عددها . (٧) لا يتأتى إدراك آخرها .
(٨) جلاؤها . (٩) كاشفها . (١٠) السفلى : جمع سفلة ، وهم طغام الناس وغوغاؤهم . (١١) جمع وضيع : هو الساقط . (١٢) معها .

بذلك عجز المتعاطين، وهن^١ المتكلفين، وهو المبلّغ الذي لا يمل^٢، والجديد الذي لا يخلق^٣ والحق الصادع، والنور الساطع، والمحيي لظلم الضلال، ولسان الصدق النافي للكذب، ومفتاح الخير، ودليل الجنة، إن أوجز كان كافياً وإن أكثر كان مذكراً، وإن أمر فناصحاً، وإن حكم فعادلاً، وإن أخبر فصادقاً، سراج تستضيء به القلوب، وبحر العلوم، وديوان الحكم، وجوهر الكلم.

وصف البلاغة لفحول البلغاء.

(١) قال الجوهرى: أحسن الكلام نظاماً ما ثقبته يدُ الفكرة، ونظمته الفطنة ووُصل جوهر معانيه في سُمُوط^٣ ألفاظه، فاحتملتُه نُحُورُ الرواة.

(٢) وقال العطّار: أطيب الكلام ما عُجِنَ عنبرُ ألفاظه بمسك معانيه، ففاح نسيم نشقه^٤ وسطعت رائحة عبقه، فتعلقت به الرواة، وتعطرت به السراة.

(٣) وقال الصائغ: خير الكلام ما أحمّيته بكبير الفكر، وسبكته بمشاعل النظر وخلصته من خبث الإطناب، فبرز بروز الإبريز، في معنى وجيز^٥.

(٤) وقال السيرفي: خير الكلام ما نقدته عين البصيرة، وجلته يد الروية ووزنته بمعيار الفصاحة، فلا نظير يزيفه^٦؛ ولا سماع يُبهرجه^٧.

(١) ضعف. (٢) لا يبلى. (٣) السمط: الحيط الذي ينظم فيه. (٤) النشق: الاستنشاق، العبق: لصوق الطيب بالشيء، وتغلغل الرجل بالطيب، هن به، والسراة: الأثراف. (٥) الكير: زق ينفخ فيه الحداد، والمشاعل: جمع مشعل وهو القنديل وهو موضع شعل النار رأي لهايها. (٦) زيف الدرام: أي أنها زائفة أي مغشوشة. (٧) وبهرجها: أبطلها.

(٥) وقال الحداد : أحسنُ الكلام ما نصبتَ عليه منقحةً القريحة ،
وأشعلتَ عليه نار البصيرة ، ثم أخرجته من فحم الأفحام ورَفَّقْتَهُ
بغطيسِ الأفهام^١ .

(٦) وقال النجار : خير الكلام ما أحكتَ نجر معناه بقَدُوم التقدير ،
ونَشَرْتَهُ بمَشَارِ السدير ، فصار باباً لبيت البيان ، وعارضةً^٢ لِسَقْفِ
اللسان .

(٧) وقال الحائك : احسنُ الكلام ما اتصلتْ لُحمة ألفاظه ، بسَدَيِ
معانيه مَفوقاً منيراً ، موثى محباً^٣ .

(٨) وقال الجمال : البليغ من أخذ بخطام^٤ كلامه ، فأزاحه في مبرك
المعنى ، ثم جعل الاختصار له عِقالاً ، والإجادة له مجالاً ، فلم يند^٥
عن الآذان ولم يشذ عن الذهان .

وصف عمر بن الخطاب

قال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صوحان : صف لي عمر بن
الخطاب فقال : كان عالماً برعيته ، عادلاً في قضيته ، عارياً من الكبر
قَبُولاً للمعذر ، سهلَ الحجاب ، مصون الباب ، متحريراً للصواب ، رفيقاً
بالضعيف ، غير محاب للقريب ولا جاف للغريب .

(١) الغطيس كسكين المطرقة العظيمة (٢) العارضة ، الخشبة العليا
التي يدور فيها الباب وعوارض البيت خشب سقفه . (٣) المفوف : الرقيق من
الشياب أو الذي فيه خطوط بيض . والمنير : المفسوج على نيرين أي المضاف
النسج . والموثى : المنقوش ، والمهبر : المحسن . (٤) الخطام : كل ما وضع في
أنف البعير ليقاد به . وجمعه : خطم (٥) ند : هرب .

وصف علي بن أبي طالب

قال معاوية لإضرار الصدائي : يا ضرار صف لي علياً قال : اعفني يا أمير المؤمنين . قال لتصفه ، قال : أما إذ لا بُد من وصفه فكان - والله - بعيد المدى^(١) شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه وتنتطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان - والله - غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا يحيننا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه اعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله .

وصف كلام العرب لعتبة بن أبي سفيان

قال عتبة بن أبي سفيان : إن للعرب كلاماً هو أرق من الهواء ، وأعذب من الماء ، مرق من أفواههم مرق السهام من قسيها ، بكلمات مؤتلفات ، إن فسرت بغيرها عطلت^(٢) ، وإن بدلت بسواها من الكلام استصعبت ، فسهولة ألفاظهم توهمك أنها لكنة إذا نسيت^(٣) ، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طُلبت^(٤) .

(١) المدى : الغاية .

(٢) التعطيل : ترك الشيء ضياعاً .

(٣) هذا النوع من الكلام يسمى السهل المنع .

وصف الكتاب للجاحظ

قال الجاحظ : الكتاب وعاءٌ مليءٌ علماً وظرفٌ خشي ظُرفاً ، وبستان يحملُ في رُدن^١ وروضةٌ تقلَّب في حجر ، ينطق عن الموتى ، ويترجمُ كلام الأحياء ، ولا أعلمُ جاراً أبر ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا معلماً أخضع ، ولا صاحباً أظهرَ كفايةً ، وأقل جنسيةً ، ولا أقل إملالاً وإبراماً ، ولا أقل خلافاً وإجراماً ، ولا أقل غيبةً ، ولا أبعدَ من عضبته^٢ ، ولا أكثر أعجوبةً وتصرفاً ، ولا أقل صلفاً^٣ وتكلفاً ولا أبعدَ من مرأى ، ولا أترك لشغب ، ولا ازهدَ في جدال ، ولا أكفَ عن قتال - من كتاب ، ولا أعلمُ قريناً أحسنَ موافاةً^٤ ، ولا أعجل مكافأةً ، ولا أحصرَ معونةً ، ولا أقل مؤونةً ، ولا شجرة أطول عمراً ولا أجمع امراً ، ولا أطيب ثمرةً ، ولا أقرب مجتنىً ، ولا أسرع إدراكاً في كل أوان ، ولا أوجد في غير إبان - من كتاب ، ولا أعلمُ نتاجاً في حدائث سنهٍ ، وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده يجمعُ من التدابير الحسنة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأخبار اللطيفة ، ومن الحكم الرقيقة ، ومن المذاهب القديمة ، والتجارب الحكيمة والأخبار عن القرون الماضية والبلاد المتراخية والأمثال السائرة والأمم البائدة ما يجمعُ الكتاب .

وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بكتبك ؟

فقال : هي إن خلوت لذتي ، وإن اهتممتُ سلوتي ، وإن قلت : إن زهر البستان ونور الجنان يجلوان الأبصار ، ويمتعان بحسنها الأحاظ ، فإن بستان

(١) الردن : الكم ، وجمعه أردان (٢) العضبة : البهتان والنميمة

(٣) الصلف : تمدح المرء بما ليس عنده (٤) الموافاة : حسن المطاوعة والموافقة

وأصله بالهمزة وفي الحديث : خبر النساء المواتية لزوجها . (٥) القديعة الهالكة .

« الكتب » يجلو العقل ، ويشحذُ الذهن ، ويحيي القلب ، ويقوّي القريحة ، ويعين الطبيعة ، ويبعثُ نتائجَ العقول ، ويستثير دفائن القلوب ، ويمتدحُ في الخلوة ، ويؤنس في الوحشة ، ويضحك بنوادره ، ويسرُّ بغرائبهِ ، ويُفيد ولا يستفيد ، ويُنطّي ولا يأخذ ، وتصل لذته إلى القلب من غير سامة تُدرِّكك ، ولا مَشَقَّةُ تمرض لك .

وصف التاريخ لابن الأثير

التاريخ : معاد^١ معنوي ، يُعيد الأعصار وقد سلفت ، وينشر أهلها ، وقد ذهبت آثارهم وعفت^٢ ، وبه يستفيد عقول التجارب من كان غراً ، ويلقى من قبله من الأمم وهلم جرا . فهم لديه أحياء ، وقد تضمنتهم بطون القبور ، وعنه غيبٌ وقد جعلتهم الأخبار في عداد الحضور ، ولولا التاريخ لجهلت الأنساب ونُسيت الأحساب ، ولم يعلم الإنسان أن أصله من تراب ، وكذلك لولاه لما تلت الدول بموت زعمائها وعمي^٣ على الأواخر حال قدمائها ، ولم يحط علماء بما تداولته الأرض من حوادث سمائها ، ولمكان العناية به لم يخل منه كتاب من كتب الله المنزل ، فمنها ما أتى بأخباره المحتملة ، ومنها ما أتى بأخباره المفصلة ، وقد ورد في التوراة مفرداً في سفر من أسفارها ، وتضمن تفصيل أحوال الأمم السالفة ومُدَد أعمارها .

وقد كانت العرب على جهلها بالقلم وخطه ، والكتاب وضبطه ، تصرّف إلى التواريخ بجل دواعيها ، وتجعل له أول حظ من مساعيها ، فتستغني بحفظ قلوبها عن حفظ مكتوبها ، وتتناهى برقم صدورها ، عن رقم سطورها ، كل

(١) معاد : يقصد أنه كالיום الآخر . (٢) عفا الشيء : هلك .

(٣) عمي عليه الأمر : التبس وكذلك عمي عنه .

ذلك عنايةً منها بأخبار أوائلها ، وأيام فضائلها ، وهل الإنسان إلا ما أسسه
ذِكْرُهُ وبناءه ؟ وهل البقاء لِصُورَةِ لُحْمِهِ وَدَمِهِ لولا بقاء معناه ؟!

وصف الرجل الكامل

كتب الحسن^١ بن سهل إلى محمد^٢ بن سَمَاعَةَ القاضي يَصِفُ له الرَّجُلَ
الكاملَ :

أما بعدُ : فإني احتجتُ لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير ، ذي
عِفَّةٍ ونَزَاهَةٍ ، طَمَعَةٍ^٣ قد هذبتَه الآداب وأحكمتَه التجارب ، ليس بظنَّين^٤ ،
في رأيه ولا بطمعُون في حَسْبِهِ ، إن أوثقن على الأسرار قام بها ، وإن قلَّتْ مهمًّا
من الأمور أجزأ^٥ فيه ، له سِنٌ مع أدب ولِسان ، وثَقَعْدُهُ الرزانة ، ويسكنه
الحِلْمُ قد فرَّ^٦ عن ذكاء^٧ وفطنة ، وعَضَّ على قارِحة^٨ من الكمال ، تكفيه
اللتَّحْظَةُ وترشده السَّكْتَةُ ، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها وقام في أمورهم
فحمد فيها له أناة الوزراء ، وصولَة الأمراء ، وتواضع العلماء ! وفهم الفقهاء
وجواب الحكماء . لا يبيعُ نصيبَ يومه . بغير مان غده ، يكاد يسترق^٩ قلوب
الرجال بحلاوة لسانه ، وحُسْنِ بَيَانِهِ ، دلائلُ الفضل عليه . لائحة ، وأمازاتُ
العلم شاهده .

(١) هو وزير المأمون وختنه أبو زوجه بوران توفي سنة ٢٣٦ هـ . (٢) من
أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة توفي سنة ٢٢٣ ، وقد بلغ مائة سنة
وهو صحيح الحوادث . (٣) الطمعة بالضم طريق الكسب وبالكسر هيئة الأكل
والسير فيه . (٤) الظنَّين : المتهم . (٥) أجزأ : أغنى . (٦) فر الدابة : كشف
عن أسنانها ليعرف مبلغ عمرها . (٧) الذكاء تمام السن واكتماله أو حدة الذهن .
(٨) الفرس القارح الذي استكمل القوة باكتمال العمر ونظيره في الإبل البازل ،
والسن التي تنبت له عند قروحه تسمى قارحاً وقارحة والجملة كلها كناية عن
استيفاء صفات الكمال . (٩) يستعبد .

مُضْطَلَعاً^١ بما استنهض، مستقلاً^٢ بما حُمِّل، وقد آثرتك بطلّبه وحبّوتك
بارتِياد^٣، ثقةً بفضل اختيارك، ومعرفةً بحسن تأتّبك^٤.

وصف قناة السويس

المرحوم أحمد شوقي بك مخاطباً ابنه يوم أن عبرَ قناة السويس ميمماً الأندلس
حينما نفّته الأحكام العرفية إبان الحرب العالمية [الأولى]

يا بنيّ القناة لقومكما فيها حياة، ذِكرى إسماعيل ورّيتاه^٥ وعُلياً مفاخراً
دنياه، دولة الشرق المرجاة، وسلطانهِ الواسعُ الجاه، طريقُ التّجارة،
والوسيلة والمنارة، ومشترع^٦ الحضارة

تعبّرانها اليومَ على مُزجاة^٧ كأنها فلّكُ النّجاة، خرجت بنا بينَ طوفان
الحوادث، وطغيمان الكوارث، تفارق برّاً مغتصبه^٨ مُضْري^٩ الغضبِبة .
قد أخذت الأُمنية، واستجمّع كالأسد للوثبة، وتلاقى بجرأ جُنّت جواريه،
ونزت^{١٠} بالشرّ نوازيه، وتمثّلت بكر سبيل عواديهِ . ملوّه أبغثات الماء،
منترعاً بفجاءات السماء من نون^{١١} يندب الدوارع، أو طير^{١٢} يقدف البيض
مصارع^{١٣}، فقلت : سيري، عودتْكَ بوديعة^{١٤} التابوت^{١٥} وبصاحب^{١٦}

(١) يقال هو مضطلع لهذا الأمر وبه إذا كان قديراً عليه (٢) استقلّ بالحمل
نهض . ٣ والارتياح : مصلب ٤ تأبى للأمر : ترفق وناه من وجهه .
(٥) الريا - الرائحة الطيبة . (٦) المشرع : المورد . (٧) زجاء وأزجاء : ساقه
وسيره (٨) مضر فخذ من أفخاذ العرب ينسب لمضر بن نزار وهذا مأخوذ من
قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما

(٩) النزو : الوثب ، والنازية : حدة الرجل الوثاب إلى الشر وجمعها نواز .

(١٠) النون الحوت والمراد الغواصة (١١) يريد بالطير الطائرات وبالبيض ما يلقي منها

من مهلكات القذائف . (١٢) هو موسى كليم الله . (١٣) هو نبي الله يونس

الحوت ، وبالحي الذي لا يموت ، وامشري يا ابنة اليم ، زمامك الروح ^١ ،
وربّانك ^٢ نوح ، فكم عليك من منكوب ومجروح .

إن للنفي لرّوعة ، وإن للنأي للووعة ، وقد جرت أحكام القضاء ، بأن نعبّر
هذا الماء ، حين الشرّ مضطرم ، واليأس محتدم ، والعدوّ مُستقم ، والخصم
محتكم . وحين الشامت جذلان مُبتسِم ، يَهْزَأ بالدمع ، وإن لم ينسجم ^٣ ، نفانا
حُكام عَجَم ، أعوان العدوان والظلم ، خَلَفْنَاهُمْ يفرحون بذهب اللجم ،
ويعرّحون في أرساني يُسمّونها الحكم ، ضربونا بسيف لم يطبعوه ، ولم يملكوا
أن يرفعوه ، أو يضعوه ، ساعهم في حقوق الأفراد ، وساحوه في حقوق البلاد ؛
وما ذنبُ السيف إذالم يستحي الجلاّد ؟!

ماذا تهْمسان ؟ كأنني أسمعكما تقولان : أي شيء بداله ، على هذه الضاحية ؟
وماذا شجّا خياله من هذه الناحية ؟ أي حسن أو طيب للمح يتصّبب في كثيب
ماء عكر في رمل كدر ؟؟ .

قناة حَيَّة ^٤ ، كأنها قناة صَدِئَة ، بل كأنها وعبرتيها رمال بعضها متماسك
وبعضها منهال ، وكأن راكب البحر مُصْخِر ^٥ ، وكان صاحب البرّ مُبْجِر .
رويد كما : ليس الكتاب بزينة جلده ، وليس السيف بجملة غمده . تلك
التنايف ^٦ ، من تاريخكم صحائف ، وهذه القفار ، كتب منه وأسفار ، وهذا
المجاز هو حقيقة السيادة ، ووثيقة الشفاء أو السعادة ، خيط الرقبة ، من اغتصبه
اختصّ بالقلبة ، ووقف للأعقاب عقبة ، ولو سكنت لنطق العبر ، وأين
العيان وأين الخبر ؟

(١) جبريل . (٢) الريان رئيس الملاحين وجمعه ربابين . (٣) انسجم الدمع —
سال . (٤) الضاحية البادية وكل أرض بارزة للشمس . (٥) الحمشة : التي فيها الحمأة
أي الطين الأسود الممتن ، والقناة الأولى الترعّة والقناة الثانية الرمح . (٦) عبر النهر
شاطئه . (٧) أسحر سار في الصحراء . (٨) التنايف جمع تنوفة وهي المفازة .

انظروا : تريا العبرين عبدة الأيام ، حصون وخيام ، جنود قعود وقيام ، جيش غيرنا فرسانه وقواده ، ونحن بُعْرانهُ^١ وعلينا أزواده^٢ ، ديك على غير جداره ، خلاله الجو فصاح ، وكلب^٣ في غير داره انفرد وراء الدار بالشباح .

القناة وما أدراك ما القناة ، حظّ البلاد الأغبر من التقياء الأبيض والاحمر ، بيّدت أنها أحلام الأول ، وأمانى الممالك والدول ، الفراغة حاولوها ، والبطالة زاولوها ، والقياصرة تناولوها ، والعرب لأمر ما تجاهلونها ، إلى أن جرى القدر لغايته ، وأتى «إسماعيل» بآيته ، فافتتح البرزخ بعنانيته ، والتقى البحران تحت رايته في جمع من التّيجان لم يشهده إكليله^٤ ، قد كان يُستوّج فيه لو شهدته جيوشه وأساطيله ، وما إسماعيل إلا قيصر^٥ لو أنه وفق ، والإسكندر لو لم يُخفق . ترك لكم عزّ الغد وكنز الابد ، والمنجم الاحد ، والوقف الذي إن فات الوالد فلن يفوت الولد .

ماذا على الرّمال ، من لمحات جلال وجمال ؟ ارجعوا القهقري بالخيال إلى المعصر الحال واعرضا في حداثتها الأجيال ، تريا على هذا المكان وجوها تتمثل وركبا تتنقل ، وتريا النبوة تهلّل ، والآيات تنزل ، وتريا الملك يترجّل ، حتى كأنكما بالزمان الاول . فها هنا وضع للنبوّة المهد ، وابتدأ بها العهد ، فأقبل صاحب المقام ، ومحطم الاصنام ، وبنّاء البيت الحرام ، خليل ذي الجلال والإكرام^٦ .

هاجر إلى مصر أكرم من هاجر ، ثم انقلب منها بأمر العرب هاجر^٧ ، ومن هذه الثنّيات طلع يوسف في القيد ، وهو للسياره صيد ، يسير من كيندي^٨ إلى كيندي^٩ ، قلب جرحته الإخوة ، وجنب قزحته النسوة ، فيالك «يوسف» من

(١) البعران جمع بعير كأبعر (٢) الأزواد جمع زاد وهو الطعام (٣) زاول الشيء : حاوله . (٤) يروي أن هارون الرشيد فكر في أن يصل البحرين بقناة وأنه استشار يحيى بن خالد البرمكي في ذلك فقال له : يا أمير المؤمنين «إن خرق السويس خرق في الإسلام» فعدل عن رأيه . (٥) الإكليل : التاج (٦) هو خليل الله إبراهيم . (٧) هي جارية مصرية أهداها فرعون إلى السيدة زوج سيدنا إبراهيم فوهبتها له فاستولدها إسماعيل جد العرب المستعربة .

أسوة^١ ، عزَّ بعد هون ، وذلة بعد المنزل الدون ، وشئون أقدار وشجون ،
وسهول حياة وحزون ، وسجوف القصور بعد السجون إلى سجود الشمس لك
والقمر والكواكب الأخر

وإلى هذا الفضاء خرج موسى حين زال رَويله^٢ ، وطلبه قتيله ، وزين له
الفرار خليله^٣ ، فحوته هذه الرمال ، فإذا الأمن سبيله ، واليمن دليله ، والسلامة
زاملته^٤ ، والسلم زميله ، ولو أطلعه الله على غيبه ، للسن النبوء بين يديه وجيبه
إلى أن رُفِع له المنار ، واكتحل بالنور واقتبس من النار ، وقيل له : 'كن' من
الاحرار الاحبار ، وارجع فسلط الحق على فرعون الجبار ، فكان عليه السلام
أول من اقتحم على الفرد جبروته وهتك على المستبد طاغوته^٥ ، وخطم^٦
المتأله^٧ وخطم عظموته ، ماء الحق على لطفه ، ظفر بنار الباطل على عنفيه ،
ظهر العدل على الحيف وكسرت العصا السيف .

وعلى هذه الارض مَشَتْ السماء^٨ الطاهرة ، والنيرة الزاهرة ، والآية المنتظرة
أم الكلمة^٩ وطريدة الظلمة ، سرحوا في عرضها فأخرجوها من ارضها فضربت في
طول الارض وعرضها ، يوسف خادياها ، وجبريل هادياها ، والقدس نادياها ، والطهارة
أرجاء وادياها ، وعلى ذراعيها مصباح الحكمة وخنجر الرحمة والإصباح من الظلمة ، حق
هبطت به اكرم الاديم^{١٠} فنشأ بين الحكيم والعليم وترعرع حيث ترعرع بالامس الكليم
(١) الاسوة : القدوة ، وما يتأسى به الحزين اي يتعزى . (٢) زال زويله :
فزع وحذر . (٣) يشير إلى ما كان من أمر موسى حين وجد قبطيا وإسرائيليا
يقتتلان فاستنصره الإسرائيلي على القبطي فوكزه وكرة كانت القاضية فلما اصبح
وجد الإسرائيلي نفسه قاتل قبطيا آخر فاستغاثه فقال موسى إنك لغوي مبين .
ثم هم بنصرته على القبطي فظن أنه يريد به بالأذى فصاح الإسرائيلي يا موسى أتريد
ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فذاع امره ولم يلبث ان جاءه رجن وقال يا موسى
إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها إلى بلاد مدين .
(٤) الزاملة : ما يحمل عليه من الإبل وغيرها . (٥) الطاغوت : الشيطان وكل
رأس ضلال . (٦) خطمه : قهرة او ضرب انفه . (٧) المتأله المتكبر غير
ان معناها اللغوي المتنسك المتعبد . (٨) يريد السيدة مريم . (٩) الكلمة سيدنا
عيسى . (١٠) الاديم : وجه الارض .

فيالك من دار لعبت^١ على 'عرصاتها الاقدار' ، فأوتيت^٢ موسى القريب ،
وأوتيت عيسى الغريب ، نبوت^٣ بالنبي ، وحَبَوْتُ الامنَ عيسى ودو صبي ،
عُذرك لا تنضى^٤ إليه المطي ، فإنما اغضبت القبطي لابنك القبطي .

ثم انظرا تريا لإبلا صعباً ، وخيلاً عرباً^٥ ، وتريا الرعاة^٦ انقضوا على
الوادي ذئاباً ، فأخافوا القرى الآمنة ، وأخرجوا من مصر الفراغة ، واستبدوا
بالمملك فيها آونة .

وتريا الوحوش الضارية والجوارح الكاسرة ، يقودها شر^٧ الاكاسرة^٨ ،
كملت هذه الفجاج^٩ ، وكأنها حرجبات^{١٠} الساج ، او حركات الامواج ، ثم
تدفقت تكتسح الديار ، باغية السيف طاغية النار ، تدك الهياكل والمعقل ،
وتهتك العقائد والمقائل .

وتريا الإسكندر الكريم ، قد كلع كالصارم من هذا الضريم^{١١} ، يحمل
الحملات التجائب ، ويفتح بالكتب والكتائب .

وتريا ابن العاص والصحابه^{١٢} ، مروا من هذه الارجاو^{١٣} مر^{١٤} السحابه ، يفتحون
للحق ويفتكون بالرتق^{١٥} ، حتى أدخلوا القصور من القياصرة ، وراحوا مصر
الصابرة من صلف الجبابرة .

وتريا صلاح الدين يخفى كالبدد ويبدد ، ويروح كالغيث ويفقد ، بعوث^{١٦} بلا
عدد ، ومرد^{١٧} إثر مدد ، وذخائر وعدد ، وبشرى كل يوم بفتوح جدد .

وتريا نابليون قد ركب طيشه ، واركب الفرر جيشه . وتريا إبراهيم بن علي^{١٨}
مشهور الجراز ، موفور الجهاز ، ملك سورية وضبط الحجاز . وتريا إسماعيل بعث

(١) فأوأه ونواه : عاداه . (٢) نبأ به المكان : لم يوافق . (٣) أنضى المطية :
هزأها . (٤) العرب من الخيل والإبل العربية . (٥) هم العمالة الذين ملكوا
مصر مدة من الدهر (٦) قبيز . (٧) الفجاج : الطرق الواسعة . (٨) الحرجة :
الشجرة الملتفة والساج شجر يعظم جداً ويذهب طولاً وعرضاً له ورق عريض
جداً . (٩) الضريم : الرمل .

الحشمرين ، وحشد الحافرين ، وقرب المسافة للمسافرين ، غير وجه السفر ،
فقليل : بلغ غاية الظفر ، وقيل وقع الحافر فيما حفر .
”ثم انظر اليوم ترأ القنادة في يد القوم إن أمنوار كزوها ، وإن خافوا هزوها .

وصف فرس

قال محمد بن الحسين يصف فرساً :
هو حسنُ القميص ، جيدُ الفصوص ، وثيقُ الفص ، نقيُّ العصب ، يبصر
بأذنيه ، ويتبوعُ بيديه ، ويدخلُ برجليه ، كأنه موج في الجنة أو سيل في
حدور ينأهب المشي قبل أن يبعث ، ويلحق الأرنب في الصعوداء ، ويحاوز
جواربي الظباء في الاستواء ، ويسبق في الحدور جري الماء ، إن عطيف جار ،
وإن أرسيل طار ، وإن كلف السير أمعن سار ، وإن حبس صفن ، وإن
استوقف قطن ، وإن رعى أنن ، فهو كما قال تأبط شرأ :
ويسبق وقد الريح من حيث تنحى بمنخرق من شدة المتدارك

وصف العصا

لقي الحجاج أعرابياً فقال : من أين قبلت ؟ قال من البادية . قال : ما بيدك ؟
قال عصاً أركزها لصلاحي ، وأعدّها لعُداتي ، وأسوق بها دابتي وأقوى بها على
سفري ، وأعتمد عليها في مشبي ، ليتسع بها خطوي ، وأعبر بها النهر فتؤمنني
وألقي عليها كساء فيسترني من الحر ، ويقيني من القُر ، وتدني ما بعد مني ، وهي
محمل سفرتي وعلاقة إداوتي^١ وميشجب ثيابي ، أعتمد بها عند الضراب وأقرع
بها الأبواب ، وأتقي بها عقور الكلاب ، تنوب عن الرُمح في الطعان ، وعن
الحربة عند مُنازلة الأقران ورثتها عن أبي ، وأورثها بعدي ابني ، وأهش بها
على غنمي ، ولي فيها مأرب أخرى ، كثيرة لا تحصى

(١) إداوة : وعاء ماء يتطهر به .

وصف كرة القدم لمؤلف الكتاب

قاتل الله الكرة : ما أعجب أمرها ، وما أدق سرها ، قد جمعت الأضداد واسترقت النجباء ولأوغاد ، فهي كبيرة الحجم ، مرفوعة الجسم ، لكنها خفيفة الوزن ، سريمة الوثب ، وهي ناعمة الشمس ، مليحة الرقص ، لكنها تأبى الوخز ولا تطيق اللكز ، وهي تفر من المداغة والملاعبة ، ولكنها لا تمل من ضرب ولا تكل من دحرجة ، وهي محبوبة مألوفة ، تنقل على الأيدي والأحضان ، لكنها تطرد بالأرجل والعصي ، فهي عزيزة ذليلة ، حقيرة جليلة ، تشبه القنابل في صورها ، والدخوف في أصواتها ، والطير في امتطاء الهواء ، واختراق الفضاء .

وصف حيوش لابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٢ هـ

وصار فلان في جيوش ، عليهم أردية السيوف وقصة الحديد ، وكان رماحهم قرون الوعول ^١ ، وكان أذراعهم زبد السيول على خيل تأكل الأرض بحوافرها وقد بالنقع سرادقها ، قد نشرت في وجوها غرر ^٢ كأنها صحائف الرق ^٣ وأمسكها تحجيل ^٤ كأنها أسورة اللجين وقرطت عذراً ^٥ كأنها الشنوف تتلقف الأعداء أوائلها ، ولم تنهض أو آخرها ، قد صب عليهم وقار الصبر وهبت معهم ريح النصر .

وصف الحسد للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ

الحسد - أبقاك الله - داء ينهك الجسد ، علاجه عسير ^١ وصاحبه ضجر ، وهو باب غامض ^٢ وما ظهر منه فلا يداوى ، وما بطن منه فمداويه في عناء ، ولذلك قال النبي ﷺ « دَبَّ ^٣ إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء » . الحسد عقيد ^٤ الكفر ، وحليف الباطل ^٥ وضد الحق ، منه تتولد العداوة ،

- (١) جمع وعمل وهو تيس الجبل . (تيس الشاة الجبلية) وقرونه طويلة .
- (٢) جمع غرة وهي بياض في جبهة الفرس . (٣) الرق جلد رقيق أبيض يكتب فيه
- (٤) التحجيل بياض قوائم الفرس (٥) أي ألبيست عذراً وهو ما على خد الفرس .
- من اللجام . (٦) أي مسلك خفي يمسر الخروج منه . (٧) سرى فيكم .
- (٨) أي معاهده ومخالفه . (٩) ملازمه .

وهو سبب كل قطيعة^١ ومُفرق كل جماعة^٢ ، وقاطع كل رحم من الأقرباء^٣ ،
ومحدث^٤ للتفرق بين القرناء^٥ ، وملقح الشر^٦ بين الحلفاء^٧ ؛

ووصف أيضاً أفضل الكلام - وقال :

أفضل الكلام ما كان قليله يُغني عن كثيره ، ومعناه ظاهره في لفظه ، وكان
الله قد ألبسَه من ثياب الجلالة ، وغشاه^٨ من نور الحكمة ، على حسب نية
صاحبه وتقوى قائله - فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليفاً صحيح الطبع بعيداً
من الاستكراه^٩ منزهاً عن الاختلال ، مصوناً عن الكلف صنع في القلوب صنيع
الغيث^{١٠} في التربة الكريمة ، ومقى فُصِّلَت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت
من قائلها على هذه الصفة ، كساها الله من التوفيق ، ومنحها من التأييد ما لا يمتنع
من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجُهلة .

وصف الشعراء المحدثين

قال ابن دُرَيْد ، سألت أبا حاتم عن « أبي نواس » فقال : إن جدّ أحسن
وإن هزل ظرف ، وإن وصف بالغ ، يُلقي الكلام على عواهنه لا يُبالي من
أين أخذَه ؛ قلت : « فبشار بن بُرد » ؟ قال : نظار عواص مطيل مجيد يصف
ما لم يره كأنه رآه على أن في شعره خللاً كثيراً ؛ قلت : « فمروان بن أبي
حفصة » ؟ قال : شاعر راضٍ عن نفسه يستحسن كل ما جاء منه معجب به ، لا
يرى أن من سبقه يتقدمه ، كثير الصواب ، كثير الخطأ ، ليس لشعره صنعة .

قلت : « فمسلم بن الوليد » ؟ قال : خليج صافٍ ينزع من بحر كدر ، كالزند
يوري قارة ويصلد أخرى ؛ قلت : « فأبو العتاهية » ؟ قال : غشاء جَم ، واقتدار
سهل وشعر كخرز الزجاج ، وربما أشبه الياقوت والزبرجد ؛ قلت :

(١) انفصال . (٢) كل قرابة واتصال . (٣) المناظر . (٤) مولد الشر بين
المتحالفين . (٥) كساه . (٦) أي من إجبار الفكر . (٧) المطر .

«فعباس بن الأحنف» قال : 'يلقي دلوهُ في الدلاء فيعترفُ الصفو أحياناً والحماة أحياناً' ، على أن كدره أكثر من صفوه ، قلت : «فسلم الخامر» ، قال : مُقِلٌّ مداح ، شعره ديباج وعهن ، يَمُوهُ الرديء حتى يشبه الجيد ، قلت : «فأبو الشيص» ، قال : جده كله فيه حلاوة وبشاعة كالسدرة التي نَفَصَتْ ففيها المستعذب والمستبشع قلت : «فعلي بن جبلة» قال : بَحَثَاتُ عن الكلام الفَخْمُ ، والمعنى الرائع ، لا ينال مرتبة القُدماء ، ويحبل عن منزلة النظراء . قلت : «فأبو تمام» ، قال : سيل كثير الغناء ، غزير الغبار ، جم النطف ، فإذا صفا فهو السلاف بالماء الزلال ، قلت : «فعبد الصمد بن المعذل» ؟ قال : خراج ولاج ، يعتسف تارة ويهتدي أخرى ، قلت : «فعلي بن الجهم» ، قال كلام رصين ومسلك وعز ، عقله أغلب على شعره من طبعه ، قلت : «فبكر بن النطاح» ، قال : تشبه بالأعراب فأفرط وتجاوز حد المولدين فأسهب ، فهو الساقط بين القريتين .

وصف ابن الأثير المتوفى سنة ٧٥٩ هـ أبا تمام والبحتري والمتنبي

قال : لقد وقفت من الشعر في كل ديوان ومجموع ، وأنفدت شطراً من العمر في المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بجرأ لا يوقف على ساحله ، وكيف يحصى قول لم تخص أسماء قائلية ؟ فعذب ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده ، وتتشعب مقاصده ، ولم أكن ريمت أخذ بالتقليد والتسليم ، في اتساع من قصر نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إبداع المعنى الشريف ، في اللفظ الجزل اللطيف فحق وجدت ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل ، وقد اكتفيت من هذا بشعر أبي تمام ، والبحتري والمتنبي ، وهؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه وَمَنَاتُهُ الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومُستحسناته ، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين وفصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السائرة ، وحكمة الحكماء أما أبو تمام : فإنه ربُّ معاني وصيقل أذهان ، وقد شهد له بكل معنى مُبتكر ، لم يعيش فيه على أثر ، فهو غير مُدافع عن مقام الإغراب ، الذي برز فيه على الأضراب

ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقوله إلا بعد التنقيح ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره برائضه أطاعته أعنته الكلام وكان قوله في البلاغة ما قالت «حذام» ؛ فخذ مني في ذلك قول حكيم وتعلّم (ففوق كل ذي علم عليم) .

وأما البحري : فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما يكون في شطّف نجد ، إذ يتشبّث بريف العراق ، وسئل المتنبّي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيان ، والشاعر البحري ، ولعمري إنه أنصف في حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن البحري أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، في اللفظ المصوغ من سلافة الماء ، فأدرك بذلك بُعد المرام ، مع قربه إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بالنوادر الغالية ، وركب في ديساجة لفظه إلى الدرجة العالية . وأما المتنبّي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام ، فقصّرت عنه خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، ولكنّه حظي في شعره بالحكم والأمثال . واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال . وأنا أقول قولاً لست فيه متاثماً ، ولا منه متلثماً ، وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها . وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى يظن أن الفريقين قد تقابلا ؛ والسلاحين قد تواصلا ، فطريقه في ذلك تفضّل بسالكه ، وتقوم بعذر تاركه ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ما أدّاه إليه عيانه ، ومع هذا فلإني رأيت الناس عادلين عن سنن التوسط فإمّا مفرط في وصفه وإمّا مفرط . على أنه إذا كان انفراد بطريق صار أبا عذره ، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لا تطلبن كريماً بعد رؤيته إن الكرام بأسخام يدأختموا
ولا تبال بشعر بعند شاعره قد أفسد القول حق أحمد الصمم

وصف المفضل الضبي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ مروره ببعض أحياء العرب

رَوَى المفضل الضبي قال : نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين وكنت
منشفوفاً بساع أخبار العرب وجمعها ؛ فأخذت أجول بين خيامهم ، وأنحس
من أحوالهم وإذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها آخذة بيد غلام قلما رأيت مثله
في حسنه وجهه وهي تعاتبه بلسان رطب ، وكلام عذب ، يسترقه السمع
ويتشفقه القلب ؛ فكان أكثر ما أسمع منها بني - وأي بني - وهو يتبسم
في وجهها وقد غلب عليه الحياء والخجل كأنه من ربات الحجال فلا يحير
جواباً ؛ ولا يبدي خطاباً ؛ فاستحسنْتُ ما رأيتُ ، واستحليت ما سمعتُ ،
فدنوتُ فسلمت فرد عليّ السلام ، ووقفتُ أنظر إلى المرأة والغلام ، فقالت لي :
يا حضري ، ما حاجتك ؟ قلت : الاستكثارُ مما أسمعُ ، والاستمتاع بما أرى ،
فابتسمت وقالت يا هذا إن شئت سقْتُ إليك ما هو أحسنُ مما رأيتُ ، فقلت
هات حفظك الله ، قالت ولد هذا الغلام فكان ثالث أبويه فرُبِّيَ بيننا كأنه
شبلٌ ، وكنتُ أقيه برد الشتاء وحر الصيف ، حتى إذا ما تمت له خمس سنين ،
أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فرأوه ، ورغب في
مفاخرة قومه ، وطلب ماثر آبائه وأجداده فلما اشتد عظمه وكمل خلقه ،
حملته على عتاق الخيل ففرس وتمرس ولبس السلاح ومشى الخيل بين بيوتات
الحي ، وأصغى إلى اصوات ذوي الحاجات ، فأخذ في قرى الضيف وإطعام
الطعام ، وأنا عليه وجلة أحرصه من العيون ان تصيبه ، ومن الألسن ان تعيبه ،
إلى أن نزلنا في بعض الأيام منهلاً من المناهل بين أحياء العرب ، فخرج فتبارك
الحي في طلب ثأر لهم وشاء الله تعالى ان أصابت الغلام وعكة شغلته عن
الخروج ، حتى إذا امعن القوم ولم يبق في الحي غيره ، ونحن آمنون
وادعون ، فوربك ما هو إلا أن أدبر الليل وأقبل الصبح حتى طلعت علينا
طلائع العدو وغرر الجياد ثواراً لا زواراً ، فما كان إلا هنيهة حتى أحرزوا.

الأموال ، وهو يسألني ما الخبر ؟ وأنا أستره عنه إشفاقاً عليه وضناً به ، حتى إذا علت الأصوات وبرزت المخدرات ، رمى دثاره وثار كما يشور الضرغام إذا أغضب ، فأمر بإسراج فرسه ، ولبس درع حربه ، وأخذ رحله بيده ، وركب حتى لحق حماة القوم وأنا انظر إليه فطعن أدناهم منه فرمى به ، ولحق أبعدهم فقتله ، فانصرفت إليه وحوه الفرسان ، فرأوا علامة صغيراً ، لا مدد وراءه ، فحملوا عليه ، فأسرع يؤم البيوت ، حتى إذا خلفهم وراءه وامتدوا في أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقلل كثرتهم ومزقهم كل ممزق ومزق كما يمزق السهم من الرمية ، وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت إلا به ، أو لأهلكن دونه ، فتداعت إليه الأقران ، وتمايلت نحوه الفرسان ، وتميزت له المتيان وحملوا عليه وقد رفعوا إليه الأسنة ، ومالوا عليه بالأعنة ، فوثب عليهم وهو يزأر كالأسد ، وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطها ، ولا كتيبة إلا هزمها ، حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه ، ففاز بالأموال وأقبل بها ، فكبر القوم عند رؤيته ، وفرحوا فرحاً عظيماً بسلامته ، فوالله ما رأينا قط يوماً كان أصبح صباحاً وأحسن رواحاً من ذلك اليوم ، ولقد سمعته ينشد في وجوه فتيات الحبي هذه الأبيات :

تأملنَ فعلي هل رأيتن مثله	إذا حشرجت نفس الكبي عن الكرب
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه	من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعطي كلاً حقه ونصيبه	من السميري اللدن والصارم العضب
أنا ابن أبي هند بن قيس بن خالد	سليل المعالي والمكارم والسينب
أبى لي أن أعطي الظلامة مرهف	وطرف قوي الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحده	شماريخ رضوى لا تخططن إلى الترب
وعرض نقي أتقي أب أعيبه	وبيت شريف في ذرا ثعلب الغلب
فإن لم أقاتل دونكن وأحتمي	لكن وأحيكن بالطمع والضرب

وأبذل نفساً دوسكنَ عزيزة عليّ لأطراف القناء وظبىّ القضبِ
فلم تصدق اللاتي ممشين إلى أبي يهنئنه الفارس البطل النذبِ

وصف نهج البلاغة للامام المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ

أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب نهج البلاغة (صدفة بلا تعمّد، أصبته على تغير حال، وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعطلة من أعمال، فحسبته تسلية وحيلة، فتصفحت بعض صفحاته، وتأملت جملاً من عباراته من مواضع مختلفة، ومواضيع متفرقات، وكان يخيل لي في كل مقام أن حروفاً شبت، وغارات شنت، وأن للبلاغة دولة، ولل فصاحة صولة، وأن للأوهام عرامة^(١)، وللريب دعاره^(٢)، وأن جحافل الخطابة، وكائب الذرابة، في عقود النظام، وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الأبلج^(٣) والقويم الأملج^(٤)، وتمتلج^(٥) المهج بروائع الحجج، وتقل دعاره الوسوس وتصيب مقاتل الخوانس^(٦)، فما أنا إلا والحق منتصر، والباطل منكسر، ومرج الشك في خمود، وهرج الريب في ركود، وأن مدير تلك الدولة، وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب؛ بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد، وتحول المعاهد، فتارة كنت أجدني في عالم تعمره من المعاني أرواح عالية، في جلل من العبارات الزاهية، تطوف على النفوس الزاكية، وتدنو من القلوب الصافية توحى إليها رشادها، وتقوم منها منادها، وتنفر بها عن مداحض المزال^(٧) إلى جواد الفضل والكمال، وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه بأسرة، وأنياب كالشرة، وأرواح في أشباح النشبور، ومخالب الذبور، وقد تحفزت للوثاب، ثم انقضت للاختلاب فخلبت القلوب عن هواها، وأخذت الخواطر دون مرماها،

(١) العرامة : الشراسة . (٢) الدعاره : سوء الخلق . (٣) الصفيح : السيف ، والأبلج : اللامع البياض . (٤) الرمل الأملج : الأسمر (٥) تملج : تنص . (٦) الخوانس : خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء .

واغتالت فاسد الأهواء ، وباطل الآراء ، وأحياناً كنت أشهد ان عقلاً نورانياً لا يشبه حلقاً جسدانياً 'فصّل عن الموكب الإلهي' ، واتصل بالروح الإنساني' ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة ، وسما به إلى الملكوت الأعلى ، ونما به إلى مشهد النور الاجلي ، وسكن به إلى عمار جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس ، وآفات كآني أسمع خطيب الحكمة ، يُنادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الامة ، يُعرّفهم مواقع الصواب ، ويُبصّرهم بمواضع الارتياح ، ويُحذّرهم من مزالق الاضطراب ، ويُرشّدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طريق الكياسة ، ويرتفع إلى منصات الرياسة ، ويصعدهم شرف التدبير ، ويُشرف بهم على حسن الصير .

وصف حفلة للمرحوم المؤيّلحي المتوفى سنة ١٩٣٠ م

لو كان للبياني لسانٌ يَنطق بالفخار ، وجنانٌ يجري بنظم الأشعار ، لأنشدت ليلةُ الحفلة (الخديوية) قصيدةً تسجل لها في ديوان العصور والدهور ، ما لم تبدُ ليله قبلها في تكامل الفرح والسرور ، ولو كان الدهر يُفصح لنا يوماً عن اشراحه وابتهاجه ، لانبأنا بأنه أدّخرها غيرةً لجبينه ، ودرةً لتاجيه .

لا زالت أيام الجناح العالي ولياليه مشرقةً بالسعد والهناء ، متألقةً تألق البُدور في أفق السماء .

ووصف أيضاً متحفاً من مقامة له

قال عيسى بن هشام: زَايَلْنَا الْاَهْرَامَ وَخَلَيْنَاها ، تندبُ من شادما وتَسْمي مَنْ بناها ، ومِلْنَا إلى دار التَّحَفِ ومستودع الآثار ، لمشاهدة ما حَفِظَتْهُ لنا من صنوف الطرَفِ وعُيُون الاخبار ، وما أخَّرَ جتّه الايام من عالم الخفاء إلى عالم الظهور ؛ بعد أن كان سِرّاً مكتوماً في خواطر العصور والدهور ، وما صانته بطون القبور من الفناء والدثور ، وحثّه احشاء الرُّموس من العفاء والدروس ، وما أخْبَتْه

أرحام المعابد والهياكل من بقايا الماضين وخبايا الاوائل ، وما انكشفت عنه
سُجُوف الاحقاب وديعة الاسلاف للأعقاب ، من مكنون الدفائن ومكنوز
الخزائن ، وعجائب الفن الدقيق ، وبدائع البدع الانيق ، وغرائب الصنع
العنيق ، بليت في اصطحابها بطون الايام والليالي ، وانحنت في احتضانها
ظهور العصور الخوالي ، وانقلبت البحار وهاداً ، واصبحت الوهاد اطواداً ،
وغدت الأغوار أنجاداً ، وأضحى العمار خراباً والخراب عماراً ، والغبار
سراباً ، والشراب غماراً ، وتمدنت بواد ، وتبدت مدائن^١ ، وبادت
مواطن وقامت مواطن^٢ ، ومضت دول ، وذهبت أول^٣ لآخر أول ، وبدت
أحوال وحالت ، وظهرت أعمال وزالت ، وهي كما تركها أهلها ، مصون
وضعها ، محفوظ شكلها ، خبر صادق ، ولسان فاطق^٤ تخبر بالعبر ، وتحدث
عن غبر :

مضت غبرات العيش وهي غوابر على الدهر مكتوب عليها حباث

وصف الفونغراف «الحاكي» للمرحوم مصطفى بك نجيب المتوفى سنة ١٣٢٠هـ
مثال القوة الناطقة ، من غير إرادة سابقة ، يقتطف الألفاظ اختطافاً ،
ويختطف الصوت اختطافاً ، مطبعة الأصوات ، ومرتبة الكلمات ، ينقل الكلام
من ناحية إلى ناحية ، نقل كلام عمر رضي الله عنه إلى سارية^٣ أشد من الصدى
في إعادة الصوت على أصله ، كأنه الحروف على يد الطابع ، والوتر عن يد
الضارب ، والقصب على قم القاصب ، يحفظ الكلام ولا يبيده ، ومتى استعدته
منه يعيده ، من غير أن يبقى لفظاً في صدره ، أو يكتم شيئاً من أمه ، كأنما
حفظ الوديعة في نفسه طيبة ، فلو تقدم له الوجود في مرتبة الزمن لما احتجنا
في الأخبار إلى عنة^٤ ، ولا في الدغاوي إلى بيثة^٥ ، بل كان يُسمِعنا كلام السيد

(١) البادية: الصحراء . (٢) مواطن الأولى - جمع موطن - أي مكان الإنسان ومقره ؛ ومواطن الثانية : مشاهد الحرب . (٣) ابن زعيم الذي ناداه عمر رضي الله عنه على المنبر . (٤) مراده الأخبار عن النبي ﷺ التي تروى عن فلان عن فلان .

المسيح في الهدى، وصوت عاذراً من اللحد، وكانت استنود عنه الفلاسفة حكمتهم، وأنشدوه كلمتهم، فرأينا غرائب اليونان وبدائع الرومان؛ وربما سمعنا خطب سحبان، وشعر سيدنا حسن بذلك اللسان، وأصبح وجود الإنسان غير محدود بزمان من الزمان. لله دره من تلميذ يستوعب ما عند المعلم، ويستخلصه في لحظة مُعيداً لقوله، ناقلاً لصوته ولفظه :

لقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قائلاً فقل

نديم ليس فيه هفوة النديم، وسير لا ينسب إليك تقصير، تستكثبه وتستعيدته تدمته وتستجيده وتنقصه وتستزیده، وهو في كل هذه الأحوال راض بما يقال، لا يكمل من تحديث، ولا يكمل من حديث، فتمام ينم لك كما ينم عليك، وينقل لغيرك كما ينقل إليك، فهو المصور لكل فن، المتكلم بكل لغة، المتحدث عن كل إنسان، المؤرخ لكل زمان، الشاعر الناثر، المغني العازف لا تعجزه العبارة، ولا يجده الأداء، ولا يضربه اختلاف شكل، ولا تباين أصل، بل تعهدت شدة حفظه للبشرية من اللغات، إلى حفظ أصوات العجائز إلى اصطكاك الجمادات.

ووصف أيضاً نظارة ويشكر من أهداها

ورد الكتاب المطرّز بحلى الكرم، الموحى بحملى النعم، واستلمت الهدية فسلمت يد أهدتها، وحفظت السجايا التي محاسن الأعمال هدتها، ودامت رحاب مثل هذه الحسنات فيها مجال، وللمحسنات بهاء وجمال، وللآمال محط رحال، وللمقاصد كعبة إقبال، وطابت نفس تعالى الله أن تائلها نفس عصام فإنها نخت آية الكرم والإقدام، بآية الجود والإكرام، وفعلت في القلوب بالعطاء والشوال، ما قصرت عنه الرماح الطوال؛ وتأملتها فأرتني ما لا

عين رأت ، وأظهرت من محاسن المناظر ما أعمرت وقرّبت كل منظور بعيد ،
وتلت « فكشفنا عنك غطاءك فبصرُك اليوم حديد » ، وصفا وقي بصفائها ، فلم
أشسته شيئا إلا جمعت بينه وبينني ، وصحح علينا قول القائل : « رأيت بعينها
ورأت بعيني » ، ثم سرّحت نظري في الأطلال والرُسوم ، حتى نظرت نظرة في
النجوم فلم تخف عني شجراً ولا مدرأ ، ولا نجماً ولا قرأ :

يزيد وجهها حُناً إذا ما زدتَه نظراً

ببهاء يخيّل لي أنها صيغت من ضياء ، فلا عيب فيها غير أنني نظرتُ بها في
سما فضلك الباهر ، وأفق مَرَفك الظاهر ، فلم ينكشف لي بها لجودك آخر ،
لا زال كَرَمُك بعيداً أحده على كل ناظر وباصر ، وفصل مناهلك غاية
تقصدها الأوائل والأواخر

وصف سان استفانو بالأسكندرية المؤلف الكتاب

كتابي والقلم في الننان ، يُسَطَّر ما يليه الجفان ، على محاسن ذلك المكان .
المشهور بـ سان استفانو ، هناك ترى البحر كالمرآة تمثلت فيها السماء ، فكأنما
الماء سماء ، والسماء ماء ، وتخال الشاطئ ممرّعاً للظبيات الآنيسات ، أو سوق
جمال تباع فيه القلوب على الغانيات .

هناك الشبيبة واللعب ، والزّهو والطرب ، وقد اعتل الصبا ، وصح الصبا .
خُورٌ ووليد يمرحون بنشاط الشباب ، ويتهادون بنشوة الدلال والإعجاب ،
فمن « غادات » روائح وعاديات ، قدودهن الرماح الطاعنات ، ولحاظهن
القائلات المحييات .

ومن « ولدان » يلعبون بالكرة والصوّلجان ، فالكرة قلب الحبيب المتيم ،
والصوّلجان الذي يدفعها شوق العاشق المغرم ، هناك نغمات الأوتار تدعو إلى
اغتنيم الأوطار ، تهدي الارتياح إلى الأرواح ، وتبديل الأفراح من الأتراح .

هناك الكؤوسُ على قُسطَبِ الخلاعة تدور ، فهي برشقاتها الثغور ، وبنورها
البدور تشرق من الحنان وتغربُ في أفواه الندمان ، فيملو الوجوه الشفق ،
فتبارك المبدعُ فيما خلق .

هناك فريقٌ من أهل الهوى ، حلفاء الآسى والجوى ، يختلسون النظرات
وتحتها سهام صائبات ، تقصدُ قلوبهم ولا راحمَ لهم ، ينادون من يحبون فلا
يحابون ، ويتذللون لعزّ الحمال على أنهم لا يحابون ، يتمنون الرضا بعد الهجر ،
وحلو اللقاء بعد الصبر ، وفريقٌ آخر قد وافهم السعد فنالوا الأمانى ، تملؤ
وجوههم نضرة النعيم بما نالوه من إشارة أو تسليم ، يتبادلون التحيات بالحواسب ،
ويشدهقون على القلوب يضعون الأيدي فوق الترائب ، حتى إذا الليلُ سجا ،
وسترهم رداء من الدُجى ، يتلاقون إلى جانب اليم ، ويتهايمسون والقم قريب
من القم ، تراهم على الأرائك جنباً بجنب ، وعُنقاً على كتف ، مبتعدين عن
العيون هنا وهنا ، وقد بلغوا الآراب والمضى ، يحتسنون الثمر من السمر ،
ويلثمون الرّاح بالراح ، ولا يزالون في مسرة وهناء وأنس وصفاء ، حتى ينادي
من بي الموائد بحبي على شهيّ الطعام ، وهلمّوا إلى رائق المدام ، فيجلسون مشى
وثلاث ورباع محفوفين ببايع الأزهار ، مستضيئين بأرهمى الأنوار ، والعلمان عن
يمينهم وشمالهم قائمون بحوائجهم ، وهم في لباسهم كأقمار ، وفي خيفتهم كملح
الأبصار ، فياً كلون ويشربون ، ويضحكون ويلعبون بين نغمة بالحديث الرّخيم ،
ونشوة بالمدام القديم ، حتى إذا أخذت كل حاسة حظها ، وتلجلجت الألسنة فلا
تفهم لفظها ، هنالك تراهم كسرّب الأطباء رائح وغاد ، هذه مائلة وهذا متهادٍ ،
إلى أن يتمشى النوم في الجفون ، فتدبل العيون فينصرفون إلى المنام ، ويحلمون
يلذذ الأحلام ، بعد أن يتعاهدوا على الأوبة ويحسنوا الختام بالتوبة .

وصف الشمس

الشمس كوكبٌ مضيء بذاته ، وهي اعظم الكواكب المرئية لنا منظرًا ،

وَأَسْطَعُهَا ضَوْءًا ، وَأَغْزَرُهَا حَرَارَةً ، وَأَجْزُلُهَا نَفْعًا لِلْأَرْضِ الَّتِي نَسْكُنُهَا ، وَلَكَثِيرٍ مِنْ أَخْوَانِهَا ، سِيَارَاتِ الشَّمْسِ وَبَنَاتِهَا .

والشمس كرة متأججة نارا ، حرارتها أشد من حرارة أي ساعور^(١) أرضي ويبلغ ثقلها ثلثمائة وزن من ثقل الأرض ، وهي أكبر منه جرمًا بثلثائة ألف والف الفمرة^(٢) .

وتدور الشمس على محورها من الغرب إلى الشرق مرة واحدة في نحو خمسة وعشرين يومًا . وتبعد عنا بنحو اثنين وتسعين ألف ألف ميل وخمسمائة ألف ميل وهي مع كل هذا العظم الهائل لا تعد في النجوم الكبرى ، بل إن أكثر ما نشاهد من النجوم الثابتة شموس أكبر من الشمس بألوف الألوف ، والشمس بسياراتها تابع من توابع أحدها .

وسطح الشمس مهب عواصف وزوابع نيرانية شديدة ، تثير في جوفها أشوطة^(٣) هائلة تندلع^(٤) ألسنتها المتأججة عن محيط كرتها أميالًا ، وقد وصف بعض العلماء لها ارتفاع من سطحها الأول وهلة نحو أربعين ألف ميل في الفضاء ، ثم ازداد بريقًا^(٥) ثم ارتفع بعد نصف ساعة إلى خمسين وثلثمائة ألف ميل ، ثم جعل يَضْئُلُ ويضعف ، فلم تَضْ سَاعَتَانِ حَتَّى اضْمَحَلَّ اضْمِحْلَالًا ، غير أن ما وصفه هذا العالم ليس إلا من قبيل النوادر ، ولكن ارتفاع اللهب نحو مائة ألف ميل ليس بغير العادي وكثيرًا ما تبلغ سرعة اللهب مائة ميل في الثانية ، وأكثر مادة الشمس من عنصر الهندي (الإيدروجين) المتقد .

وبرصد الشمس مرارًا بالمقرّب المغشى بالسواد شوهد في صفحة قرصها نكت سود ، وكلف يشوه عيناها ، كأنها هي كرة سوداء الباطن غلفت .

(١) الساعور : النار نفسها او موقدها . (٢) الشواظ : اللهب .

(٣) اندلع اللسان خرج من الفم . (٤) تَلَأَلُوا .

ببسطح ساطع من الصّعادات يتخلّله نقبٌ يظهر تحتها السوادُ ، ولا تزال حقيقة هذه البقّع موضوعَ البحث والتعليل عند الفلكيين ، ومن تنقّل هذه النكت عرفت دَررتها على محورها .

وللشمس سياراتٌ أو أبناءٌ انفصلت منها منذُ أزمانٍ سحيقة ، علمَ منها إلى الآن نحوُ ثمانية ، هي على ترتيب الأقرب منها فالأقرب ، عطارد ، فالزهرة ، فالارض ، فالمرّيخ ، فالمشتري ، فزُحل ، فأورانوس ، فنبتون ولم تعلم كل شؤون هذه السيارات حق العلم ، وإنما ألمّ العلماءُ بمعرفةِ موادها وكثافتها وأبعادها .

ولكن أمرَ الحياة فيها لم يزل مبهمًا مستغلقًا اللهم إلا في الارض وقمرها .

أما مقدارُ النعم التي سخّرها الله لنا بوجود الشمس فما لا يحصى العدد ، فهي مبعثُ حياتنا وحياة الحيوان الذي يعيش معنا ، ومصدرُ نورنا وحرارتنا وحررتنا وبردنا ، وهي التي تحيلُ مياه البحار بخاراً ، وتُقلّها في الجو غيوماً ، وتزِيلُها على الارض أمطاراً ، حيث تجري جداولٌ وأنهاراً ، فتروي زرعنا ، وتنمي غراسنا وتثير الرياح ، وتطلعُ الانواء ، وتزجي السفن والبواخر في عباب الماء وتدفع القطرات الحديدية ، وتدير الآلات البخارية ، وتثير المصابيح الدخانية والزيتية إذ ليس الفحم الحجري والزيت الارضي إلا حرارة نارها المدخرة منذُ قديم الدهور ، لينتفع بها أحياء هذه العصور ، وما النهار المبصر ، والليل المظلم إلا آيتان من آيات الله المسخرة لما يتسخّر هذا المخلوق العجيب ، ففي النهار نسمي في مناكب الارض لابتغاء رزقنا ، وتدبير معاشنا ، وتنظيم شؤون حياتنا ونسبح بحمد ربنا ونعتبرُ بآثار من سبقنا ، وفي الليل نسكن لإراحة أبداننا ، واستجمام قوانا ، واستيفاء حظنا من النوم الذي به نستديم صحتنا ، ونستعيض ما فعدناه بأعمالنا ، وننظر في ملكوت السموات وما خلق الله من شيء في حركات الكواكب وانتقالها ، وبديع صورها وألوانها ،

فَتَعْنُو وجوهنا ، ويتضاءلُ كبرياؤنا ، أمامَ قُدْرَةِ خالقنا العظيم ، فسبحانه من إله حكيم .

وما الألوان التي نراها في نور الأزهار ، وریش الاطيار ، ونفائس المصنوعات إلا أثر وقوع أضواء على هذه المرئيات وانعكاسها^١ على أبصارنا ؛ فإن نور الشمس الأبيض مؤلّف من سبعة ألوانٍ أصلية^٢ تنشأ منهم كلُّ الألوان الفرعية وهي : الاحمر ، والبُرْتُقاليّ ، والأصفر ، والأزرق ، والأخضر ، والسّيلجيّ ، والبنفسجيّ . فمن الاجسام ما لا يتصّ شيئاً من هذه الألوان ؛ بل يعكسها كلّها على العين ، فيبدو أبيض ناصعاً كزهرة الياسمين ، ومنها ما يتصّ بعضها ويعكس باقيةا ، فيتلوّن بلون ما يعكس منها ، فإذا أبصرت ورقة الشجر خضراءَ عرفت أنها اختزنت من ضوء الشمس ستة ألوان ، وردت إلى عينيك سابعها وهو الأخضر لأن فيما ادخرته نفعاً لها ، وليس بها إلى ما لم تنظنه افتقاراً ، ومنها ما يرد لونين أو أكثر ، فيبدو لونه مزيجاً بين هذه الألوان السبعة ، وهذه الألوان من عجائب صنع الله في الارض لتمييز بعضها من بعض ، فقد يتأثل الشيطان شكلاً ، وحجماً وصلابةً ، وليناً ، وشماً ، ثم لا يتباينان إلا من حيث اللون فيكون اللون آيةً تباينهما ، وأكثر ما يكون ذلك في الأزهار .

وتنوع الألوان هو السرُّ في جمال المرئيات من مشاهد الطبيعة وبدائع الصناعة وإن أعظم المصوِّرين وأمهَرَ النقاشين لم يبرزوا على غيرهم ، ويدلوا على ذكائهم ونبوغهم إلا ببراعتهم محاكاة ألوان الطبيعة المؤتلفة وأشكالها المتجانسة ، وإنما يتم لهم ذلك إذا عرفوا كيف يمزجون من الأصباغ ما يستخدمون به ألوان النور خيراً استخدام ، ويكتفون به أحسن انتفاع ، وقد سخر علماء الطب تباين

(١) نعكس مضارع عكس كما في الاساس .

(٢) أمكن إرجاع هذه الألوان في الصناعة إلى ثلاثة .

الألوان في كشف النقاب عن حقائق الجرائم ، فإنّ منها ما لا يتّضح للعين في الجُهر إلا إذا أُلقي عليه صبغٌ خاصٌ يؤثّر فيه فيُصبغُ به

ولأمواج الشَّمس الضوئية سرعة معلومة تسيرُ بها ، فإذا انخفضت هذه السُرعة عما هي عليه لم تعد العينُ قادرة على رؤيتها ، لأنها تستحيل إلى مظهرٍ آخر غير مظهر الضوء والحرارة ، وليس يُشكّر ما للضوء والحرارة معاً من الأثر الحسن في تنقية المساكن مما يَقطُنُها من الجرائم القتالة ، والعفن المضي ، ولذلك قيل إنّ الدّار التي تدخلها أشعة الشَّمس لا يدخلها الطيب .

وصف القمر

القمرُ أجلُّ الكواكب صورةً ، وأبينُّها منظراً ، وأسهلها رصداً ، وأكبرها في رأى العين بعد الشمس جِرمًا ، وهو سيّارٌ كرويٌ أصغر من الأرض بنحو تسع وأربعين مرّة ، انفصل منها زَمَنُ التكوّن وصار تابعاً لها ، طائفاً حولها ، مُستمدّاً نوره من الشمس مثلها دائراً حول الشمس معها ، غير أنّ طواف الأرض بقمرها حولها يتمّ في سنة شمسيّة ، وطواف القمر حول الأرض يتمّ في شهر قمرّيّ : أي مُدّة تسع وعشرين يوماً ، ونصف يوم تقريباً ، ومع أنّه خاضعٌ لنظام الأرض لا يقلُّ بُعدهُ عنها عن واحد وعشرين ألفاً ومائتي ألف ميل .

والذي يسترعي أنظارنا كما استرعى أنظار مَنْ قبلنا اختلافُ أشكاله وتعدّدُ مطالعه ، بما جملة مَبْنُوت تخيل القُدَماء ، ومشار تفكير الحكماء ، ومَقْصِدُ العبادة الجُهلّاء ، فتراه يلوحُ ليلة أوّل الشهر إثر غروب الشمس ضئيلاً مُقَوَّساً ، لا يلبثُ أن يغترّب ويغيب في شفق الشمس ، ثم يَهِيلُ في الليلة الثالثة أبينَ صورة وأبقى زمناً لازدياد تأخّره في الغروب عن الشمس ، ولا يزال نوره في تزايد ، ومطالعُه في تقدّم نحو المشرق حتى يطلع من اشرق في الليلة الرابعة عشرة عند غروب الشمس بدرّاً كاملاً ، بهيَّة الطلعة باهرَ الأنوار ؛ فتبارك الله أحسنُ

الخالقين .

ولكن الكمال لله وحده ، فإن منتهى الزيادة مُبتدأ النقص ، ففي الليلة الخامسة عشرة يتأخر طلوعه من المشرق ، وينقص من حافة نوره التي كانت موضع هلاله الأول زيق لا يُشعرُ به إلا في الليالي التالية ، ولا تزال مطالعه في تقهقر ونوره في تناقص حتى قرب آخر الشهر فيشرق قبيل الفجر هلالاً ضئيلاً يكاد يكون مقلوباً الهلال الأول ، وفي الليلة الأخيرة يكون عند الصباح في الأفق الشرقي مظلماً لا يرى منه شيء ، وهو ليلة الحاق أو السرار ويظل بعض النهار كذلك ثم يتولد هلاله الجديد ، ولكنه لا يظهر إلا بعد أن يغيب قرص الشمس فيلوح هلاله ، ثم يختفي كما قدمنا .

وعلة ذلك : أن نور القمر كنور الأرض مُستفاد من الشمس ، وهو لا يُقابل الأرض إلا بوجه واحد لا يتغير ، وهذا الوجه بالنسبة إلى حر كته مع الأرض حول الشمس لا يقابل الشمس مقابلةً تامة إلا في وضع واحد ومرة واحدة هي الليلة الرابعة عشرة ، فيغشاه نورها ، ويصير بدرأ ، أما بقية الليالي التي قبلها والتي بعدها فينحرف قليلاً أو كثيراً عنها ، حتى يصير كله ظلاماً ليلة الحاق ، فيضطوى خبره ويكون الوجه الآخر الذي لا يرى لنا بدرأ كاملاً ، ثم يتولد هلاله خلقاً حديداً

وكذلك شأن الأرض في استمداد نورها أو ما نسميه نهراً ، ولو كان في القمر سكان ، لكانت الكره الأرضية في رأي أعينهم أكبر كوكب في السماء ، ولشاهدوا أكبر من الجرم الذي نشاهد القمر عليه أضعافاً مضاعفة ولكانت عندهم أرواح جمالاً وأبدع من قهرم في نظرتنا تشكلاً ، فبدورانها على نفسها يرونها كلها جزءاً فجزءاً ، وتظهر قاراتها ومحيطاتها واضحة عليها في وقت الصحو ، ومُظلمةً بعضها بالفهام في وقت الدجن ، وتبدو أهليتها وبُدورها ضخمةً بأهرة ، ولكن لا يراها إلا سكان النصف المقابل لنا ، أو الذين يريدون التفرج برؤيتها من أهل النصف الثاني .

ولقرب القمر منا وخلوّ جوّه من الهواء سهل رصده علينا، فنرى في صفحته عند الشروق ليلة التّسّام كثيرًا من الخُحوّ يجعلُ صورته أشبه بوجه إنسان ذي أنف وفمٍ وحاجبين وعَيْنَيْنِ إحداهما مُغْضِيَّةٌ، ولا يزالُ كذلك حتى يتعدّى خطّ زوال مكان الناظر. فإذا مال إلى المغرب انحرفت هذه الصورة حتى يصير عاليها سافلها. وليس هذا الخُحوّ إلا ظلام بطون الأودية والسهول البعيدة الغور وظلال الجبال والهضاب الشاهقة الطول شوقًا يكاد يمنع استدارته، أمّا قِمَمُ الجبال وسطوحها المقابلة للشمس فتُرى لامعة ساطعة فتبين سلاسل الجبال طرائقَ مضيئة وقِمَمُها نقطًا لامعة وفوهات جبال ناره الشديدة السّعة، البعيدة الغور التي تعدّ بعشرات الألوف، كأنها حلقاتٌ وسطها نقط سود.

وقد ظنّ القدماء في علّة الخُحوّ ظنونا، بعضها صادف الحقيقة، وبعضها جانسبها حتى ظهر غاليليو، واخترع سنة ١٦٠٦، مَرَقَبًا يُقَرَّبُ الأشباح ثلاثين مسافة فأثبت وجود الجبال والأودية فيه، وزاد عليه غيره في تحسين المراقب المكبّرة حتى صبح القمر يُرى كأنه على بُعد أربعين ميلًا منّا، على أن هذا القرب لا يجعلنا نرى الأشباح الصغيرة التي من نوع الحيوان لنتحقّق أن للقمر سكانًا كما للأرض أو لا؛ ولكن قد أصبح من المرجّح إن لم يكن من المحقّق أنه خالٍ من الماء ومن السحاب والضباب الناشئين منه ومن النبات، إذ لو كان به شيءٌ منها لتغير شكله من حال إلى حال، ويُشكّ أن له هواءً، وإن كان له هواءٌ فلعله لا يزيد على قِمَمِ جباله ولا شك أن الماء والهواء هما ينبوعا الحياة، وتجردُه منها، وخمود جبال ناره، ويُبئس جرمه يجعل برده شديدًا جدًّا في الليل، وحرّه عظيمًا جدًّا في النهار على فِترَط طولهما البالغ فيه خمسة عشر يومًا، مما يجعل الحياة فيه متعسّرة بل مستحيلة، اللهم إلا أن تكون حياة غير حياتنا.

وُرجتْ حُونَ أَنَّ الْقَمَرَ كَانَ فِي أَرْمَانٍ سَحْبِقَةٍ عَلَى طَبِيعَةٍ تَقْرُبُ مِنْ طَبِيعَةِ أُمِّهِ الْأَرْضِ ، فَكَانَ آهِيلاً بِالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ ، إِلَّا أَنَّ صِغَرَ جَسْمِهِ جَعَلَهُ يَسْبِقُ الْأَرْضَ فِي الْيُبْسِ وَالْبُرُودَةِ فَتَقَبَّضَ وَبَرَدَ وَانْتَهَتْ دُنْيَاهُ ، وَأَصْبَحَ كَمَا سَفَنُجَسِيَّةٌ مُشْعَشَعَةٌ ذَاتِ شَعْبٍ وَنَخَارِبٍ^١ تَكُونُهَا مِنْ حِينِ تَكُونُ الْأَرْضُ .

وَلَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْقَمَرَ مُسَخَّرًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ خَاصَّةً ، فَهُوَ بَعْكَسٌ نَوْرَ الشَّمْسِ عَلَيْهِمْ هِدَايَةٌ لَهُمْ فِي ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَلَقَدْ قَضَى الْإِنْسَانُ عُصُورًا وَدُحُورًا وَلَيْسَ لَهُ مَصْبَاحٌ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ غَيْرُهُ ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ لِأَهْلِ الْبَدَنِ وَقِبَالِ الْأَمَجِ . وَهُوَ بِاخْتِلَافِ أَشْكَالِهِ تَقْوِيمٌ فِطْرِيٌّ لَهُمْ ، فَبِإِهْلَالِهِ يُعْرَفُ^٢ أَوَّلُ الشَّهْرِ وَبِالْتَّرْبِيعِ الْأَوَّلِ يُعْرَفُ رُبْعُهُ ، وَبِبَدْرِهِ^٣ يُعْرَفُ نِصْفُهُ ، وَبِالْتَّرْبِيعِ الْآخِرِ يُعْرَفُ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهِ ، وَبِمُجَاقِهِ تُعْرَفُ نَهَائِيَّتُهُ

وَإِذَا مَرَّ الْإِنْسَانُ عَلَى النَّظَرِ فِي تَقْدِيرِ ضَوْئِهِ ، وَأَوْقَاتِ مَطَالَعِهِ ، عَرَفَ الشَّهْرَ يَوْمًا يَوْمًا ، وَاللَّيْلَ سَاعَةً سَاعَةً ، قَالَ تَعَالَى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ » .

وَبِاتِّحَادِ جَذْبِهِ مَعَ جَذْبِ الشَّمْسِ لِلْأَرْضِ يَنْشَأُ الْمَدُّ وَالْجُزُرُ ، وَفَائِدَتُهُمَا فِي تَسْهِيلِ الْمَلَاحِظَةِ لَا تَنْكُرُ ، فَكَمْ مَوَانِيءَ وَمَرَاقِيءَ لَوْلَاهُمَا لَسُدَّتْ بِرَوَاسِبِ الْأَنْهَارِ وَالسِّيُولِ

وَلِضَوْءِ الْقَمَرِ فِي إِنْبُضَاجِ الثَّمَارِ وَالْبَقُولِ أَثَرٌ أَيْمًا أَثَرٌ حَتَّى إِنْ بَعْضُهَا لَا يَنْمُو وَيَزْهَوُ لَوْنُهُ إِلَّا فِي لَيَالِيهِ الْبَيْضِ .

الفن الخامس في المقامات

المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأليف ، أنيقة التصنيف ، تتضمن نكتة

(١) جمع : نخروب وهي الثقوب التي تكون في مثل بيوت الزنانيير والنحل .

(٢) مصدر بدر البدر يبدر بدرًا . وبالمصدر سمي هذا الكوكب عند تمام

نوره كأنه يبادر الشمس بالشروق في ليلة التمام عند غروبها .

أدبية ومدارها على رواية لطيفة مختلفة تسند إلى بعض الرواة ، ووقائع شتى
تُعزى إلى أحد الأدباء ؛ والمقصود منها غالباً جمع دُرر وعُرر البيان ، وشوارد
اللغة ونوادر الكلام ، منظوم ومنثور ، فضلاً عن ذكر الفرائد البديعة ، والرفائق
الأدبية ، كالرّسائل المبتكرة ، والخطب المحبّرة ، والمواعظ المبكية
والأصاحيك الملهية^١ ولندكر منتخبات من مقامات مختلفة فنقول :

قال الحريري^٢ المتوفى سنة ٦١٥ هـ المقامة التاسعة الإسكندرانية :

أخبر الحارث بن همام قال : طحا بي^٣ مَرَحُ الشباب ، وهوى الاكتساب^٤ .
إلى أن جُبْتُ^٥ ما بين فرغانة^٦ وغانة^٧ أخوض الغمار^٨ لأجني الثار ، واقتحم
الأخطار^٩ لكي أدرك الأوطار^{١٠} . وكنت لقفت من أفنواء العلماء وثقت^{١١}
من وصايا الحكماء ، أنه يلزم الأديب الأريب^{١٢} إذا دخل البلد الغريب ، أن
يستميل قاضيه^{١٣} ويستخلص مراضيه^{١٤} . ليشهد ظهره عند الخصام ويأمن في
العُربة جور الحكام . فاتخذت هذا الأدب^{١٥} إماماً^{١٦} وجعلته لمصالحى زماماً ،
فما دخلت مدينة ، ولا ولجت^{١٧} عرينة^{١٨} إلا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء

(١) اعلم ان المقامات تعرف بالمكان الذي تجري فيه فيقال المقامة الحلبية أو
الموصلية بناء على أن محل وقوعها حلب أو الموصل ، وربما نسبت إلى المروى عنه .
ويستحب في راوي المقامة أن يمثل رجلاً ظريف النفس كثير الاسفار حسن الراوية
متفرغاً لفنون الأدب جاداً في طلب غرره كاداً ذهنه في تحصيل درره كالحارث
ابن همام في المقامات الحريرية وعيسى بن هشام في المقامات البديعية ، وتختار هذا
الفن هو بديع الزمان الهمداني وبعده الحريري واشتهر بعدهما كثيرون ممن نسجوا
المقامات على منوالهما وإن لم يبلغوا شأوهما . (٢) تقدم أنه توفي سنة ٦١٥ هـ
(٣) ذهب بي (٤) هو النشاط وشدة الفرح (٥) أي محبة اكتساب المال (٦) قطعت .
(٧) بلد بأقصى بلاد المشرق (٨) بلد بأقصى المغرب ٩ بالكسر جمع غمرة الكثير
من الماء والمراد هنا الامور الصعبة (١٠) أي ادخل في القحمة بالضم وهي الشدة
والاخطار الامور العظيمة (١١) الحجاب (١٢) أدركت (١٣) العاقل (١٤) يرغبه
ويتراضاه ويطلب ميله إليه (١٥) يطلب خالص رضاه (١٦) أي هذا الامر الظريف
المستحسن (١٧) قدوة أي أعمل بمقتضاه (١٨) دخلت (١٩) مأوى الاسد .

وَيُرجَحونَ أَنَّ القَمَرَ كانَ في أَزْمانٍ سَحِيقَةٍ على طَبِيعَةٍ تَقَرُّبُ من طَبِيعَةِ
أُمِّهِ الأَرْضِ ، فَكانَ آمِلاً بالحيوانِ والنباتِ ، إلّا أَنَّ صِغَرَ جَسْمِهِ جعلَهُ يَسْبِقُ
الأَرْضَ في الِئْتِباسِ والبرودةِ فَتَقَبَّضَ وبرَدَ وانتهت دُنْياهُ ، وأصبحَ كإِسْفَنْجَةٍ
مُشْعِنة ذاتِ شَعْبٍ ونَحْارِبٍ^١ تَكْوِينُها مِنْ حِينِ تَكْوِينِ الأَرْضِ .

ولقد خلق الله القمر مُسَخِراً لأهل الأرض خاصةً ، فهو بَعْكَسُ نورِ الشمسِ
عليهم هِدَايَةٌ لهم في ظلماتِ البرِّ والبحرِ ، ولقد قضى الإنسانُ عُصُوراً ودُهوراً
وليس له مصباحٌ في جُنْحِ الظلامِ غَيْرَهُ ، ولا يزالُ كذلكُ لأهلَ البَدَنِ وقبائلِ
الهِمَجِ . وهو باختِلَافِ أَشْكالِهِ تَقْوِيمُ فِطْرِيٍّ لهم ، فبإِهْلالِهِ يُعرَفُ أولُ الشَّهِرِ
وبالتَّرْبِيعِ الأولُ يُعرَفُ رُبْعُهُ ، وببَدْرِهِ^٢ يُعرَفُ نِصْفُهُ ، وبالتَّرْبِيعِ الأخيرِ
يُعرَفُ ثَلَاثَةُ أَرْباعِهِ ، وبمِحاقِهِ تُعرَفُ نِهايتُهُ

وَإِذا مَرَّ الإنسانُ على النَظَرِ في تَقْدِيرِ ضَوَائِهِ ، وأوقاتِ مَطالِعِهِ ، عَرَفَ
الشَّهِرَ يوماً يوماً ، واللَّيْلَ ساعَةً ساعَةً ، قال تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ
قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ » .

وباتِّحادِ جَذْبِهِ مع جَذْبِ الشمسِ للأَرْضِ يَنْشَأُ المَدُّ والجَزْرُ ، وفائدتُها في
تَسْهِيلِ المَلاحَةِ لا تَنكُرُ ، فَكَم مَوائِئٍ ومَرافِئٍ لولاهما لَسَدَّتْ بِرواسِبِ
الأنهارِ والسيولِ

ولِضَوْءِ القَمَرِ في إنْضاجِ الثَمَرِ والبَقولِ أَثَرٌ أَيْما أَثَرٍ حَتّى إنْ بَعْضُها لا يَنْمو
ويزهوَ لَوْنُهُ إلّا في لَيالِيهِ البِيضِ .

الفن الخامس في المقامات

المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأليف ، أنيقة التصنيف ، تتضمن نكتة

(١) جمع : نخروب وهي الثقوب التي تكون في مثل بيوت الزنابير والنحل .

(٢) مصدر بدر البدر يبدر بدرأ . وبالمصدر سمي هذا الكوكب عند تمام

نوره كأنه يبادر الشمس بالشروق في ليلة التام عند غروبها .

أدبته ومدارها على رواية لطيفة مختلفة تسند إلى بعض الرواة ، ووقائع شتى
تُعزى إلى أحد الأدباء ؛ والمقصود منها غالباً جمع دُرَرٍ وعُرَرٍ البيان، وشوارد
اللغة ونوادر الكلام، منظوم ومنثور، فضلاً عن ذكر الفرائد البديعة، والرقائق
الأدبية ، كالأرسائل المبتكرة ، والخُطب المحبّرة ، والمواعظ المبكية
والأصاحيك الملهية^١ ولتذكر منتخبات من مقامات مختلفة فنقول :

قال الحريري^٢ المتوفى سنة ٦١٥ هـ المقامة التاسعة الإسكندرانية :

أخبر الحارث بن همام قال : طحا بي^٣ مَرَحُ الشباب، وهوى الاكتساب^٤
إلى أن جُبت^٥ ما بين فرغانة^٦ وغانة^٧ أخوض الغمار^٨ لأجني الثار، واقنعم
الأخطار^٩ لكي أدرك الاوطار^{١٠}. وكنت لقفت من أفنواه العلماء وثقفت^{١١}
من وصايا الحكماء ، أنه يلزم الأديب الأريب^{١٢} إذا دخل البلد الغريب ، أن
يستميل قاضيه^{١٣} ويستخلص مراضيه^{١٤} ليشهد ظهره عند الخصام ويأمن في
العُرْبَة جور الحكماء. فاتخذت هذا الأدب^{١٥} إماماً^{١٦} وجعلته لمصالحى زماماً،
فما دخلت مدينة ، ولا ولجت^{١٧} عرينة^{١٨} إلا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء

(١) اعلم ان المقامات تعرف بالمكان الذي تجري فيه فيقال المقامة الحلبية أو
الموصلية بناء على أن محل وقوعها حلب أو الموصل، وربما نسبت إلى المروي عنه.
ويستحب في راوي المقامة أن يمثل رجلاً ظريف النفس كثير الاسفار حسن الراوية
متفرداً فناناً في طلب غرره كاداً ذهنه في تحصيل درره كالحارث
ابن همام في المقامات الحريرية وعيسى بن هشام في المقامات البديعية، وتختار هذا
الفن هوبديع الزمان الهمذاني وبعده الحريري واشتهر بعدهما كثيرون ممن نسجوا
المقامات على منوالهما وإن لم يبلغوا شأوهما . (٢) نقدم أنه توفي سنة ٦١٥ هـ

(٣) ذهب بي (٤) هو النشاط وشدة الفرح (٥) أي حبة اكتساب المال (٦) قطعت.
(٧) بلد بأقصى بلاد المشرق (٨) بلد بأقصى المغرب (٩) بالكسر جمع غمرة الكثير
من الماء والمراد هنا الامور الصعبة (١٠) أي ادخل في القحمة بالضم وهي الشدة
والاخطار الامور العظيمة (١١) الحجاب (١٢) أدركت (١٣) العاقل (١٤) يرغبه
ويتراضاه ويطلب ميلاً إليه (١٥) يطلب خالص رضاه (١٦) أي هذا الامر الظريف
المستحسن (١٧) قدوة أي أعمل بمقتضاه (١٨) دخلت (١٩) مأوى الاسد .

بالراح، وتقويت بعنانيته تقوي الاجساد بالارواح، فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية،
في عشيّة عريّة^١ وقد أحضر مال الصدقات، ليفضّه^٢ على ذوي الفاقات^٣، إذ
دخل شيخ عِفْريّة^٤ تعتله^٥ امرأة مُصْبِيّة^٦، فقالت. أَيْدُ^٧ الله القاضي، وأدام
به التراضي^٨، إني امرأة من أكرم جرثومة^٩، وأطهر أرومة^{١٠}، وأشرف خؤولة
وعومة، مَيْسَمِي^{١١} الصّون^{١٢}، وشيمتي^{١٣} الهون^{١٤}، وخُلقي نِعَم^{١٥} العون^{١٥}،
وبيني وبين جارتي بَوْن^{١٦} وكان أبي إذا خطبني بُنْأَة^{١٧} المجد وأرباب الجد^{١٨}،
سكتهم^{١٩} وبكستهم^{٢٠} وعاف وصلتهم^{٢١} وأحتج^{٢٢} بأنه عامد الله
تعالى بحلفه أن لا يُصاهر^{٢٣} غير ذي حرفة^{٢٤} فقيض القدر^{٢٥} لِمَصْبِي^{٢٦} ووصي^{٢٧}
أن حضر هذا الحُدْسَة^{٢٨} نادي^{٢٩} أبي فأقسم بين رهطه^{٣٠} أنه وفّق^{٣١} شرطه،
وادّعى أنه طالما نظم دُرّة^{٣٢} فباعها ببدره^{٣٣} فاغتر بي بزخرفة محاله، وزوجني
قبل اختبار حاله، فلمّا استخرجني من كِنَاسِي^{٣٤} ورحلني عن أناسي، ونقلني إلى
كُسْرَد^{٣٥} وحصلتني تحت أسره، وجدته قعدة جُنْمة^{٣٦} وألفيتُه ضُجْمة^{٣٧} نومة^{٣٨}

- (١) اي شديدة البرد او ذات ريح باردة (٢) يفرقه (٣) اي الفقراء المحتاجين
(٤) اي خبيث شديد الدهاء (٥) تجرد بعنف وجفاء (٦) اي ذات صبيان
(٧) قواه ونظيره (٨) أراد التراضي بين الخصوم بحيث يرضي بحكمه الغالب
والمغلوب (٩) اي اصل (١٠) الأرومة بالفتح اصل الشجرة ثم استعير لأصل
الحسب (١١) علامتي وأصل الميسم الآلة التي يكوي بها ويعلم (١٢) الحفظ
والعفاف (١٣) خلقي وعادتي (١٤) الرفق (١٥) اي الرفيق الظهير (١٦) اي
فرق وتفاوت في الفضل (١٧) بالضم جمع بان (١٨) اي قال لهم كلاماً لا يجدون
له جواباً (١٩) ألزمهم الحجة (٢٠) اي كره قريها (٢١) عظام (٢٢) اي يزوج
ابنته (٢٣) صناعته (٢٤) يعني قدر الله تعالى (٢٥) لتعبي ومرضي (٢٦) الكثير
الحدّاع (٢٧) مجلس أبي (٢٨) قومه وعشيرته (٢٩) البدره عشرة آلاف درهم
(٣٠) اي منزلي واصله بيت الطبي او بقر الوحش (٣١) بفتح الكاف وكسرها
اي جانب بيته (٣٢) كثير القعود كثير الجثوم اي يلازم الموضع الذي يقعد فيه
(٣٣) الضجّة والنومة اصله العاجز الذي لا يتصرف والمعنى أنه عاطل عن العمل كسول

وكننت برياش وزى وأثاث^١ وري^٢ فما برح يبيعه في سوق الهضم^٣ ، ويُتلف ثمنه في الحضم والقضم^٤ إلى ان مزق مالي بأسره^٥ ، وأنفق مالي في عسره^٦ ، فلما أنساني طعم الراحة ، وغادر بيتي أنقى من الراحة^٧ قلت له : يا هذا إنه لا نجبا بعد بوس^٨ ، ولا عطر بعد عروس^٩ فانفض^{١٠} بالكتساب بصناعتك ، واجتن^{١١} ثمرة براعتك^{١٢} فزعم أن صناعته قد رُميت بالكساد^{١٣} لما ظهر في الارض من الفساد ، ولي منه سلالة^{١٤} كأبيه خلافة^{١٥} وكلانا ما ينال منه شعبة^{١٦} ولا ترقأ^{١٧} له من الطوى^{١٨} دمة ، وقد قدته^{١٩} إليك وأحضرتك لديك ، لتعجيم^{٢٠} عود دعواه ، وتحكم بيننا بما أراك الله - فأقبل القاضي عليه ، وقال له : قد وعيت^{٢١} قصص عيرسك^{٢٢} ، فبرهن الآن عن نفسك ، وإلا كشفت^{٢٣} عن لبسك^{٢٤} ، وأمرت بحبسك فأطرق اطراق الافعوان^{٢٥} ثم شمر للحرب العوان^{٢٦} وقال :

اسمع حديثي فإنسه عجب^{٢٧} يضحك^{٢٨} من شرحه ويثنتجب^{٢٩}
أنا أمرؤ^{٣٠} ليس في خصائصه^{٣١} عيب^{٣٢} ولا في فخاره ريب^{٣٣}
سروج داري التي ولدت^{٣٤} بها ، والاصل غسان^{٣٥} حين أنتسب^{٣٦}

- (١) رياش : مال ولباس فاخر ، زي : هيئة حسنة ، أثاث : متاع البيت .
(٢) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر الراء وفي الاصل اسم من روى (٣) المراد يبيعه بأقل من القيمة (٤) الاكل بأطراف الاسنان وقيل الحضم أكل بأطراف الاسنان والقضم بمقدمها وقيل الحضم اكل الرطب والقضم اكل اليابس تريد انه يصرف ثمنه في أنواع الاكل واللذات (٥) اي فرق الذي لي بأجمعه (٦) بطن الكف لقائه من الشعر (٧) اي فقر (٨) مثل قالته امرأة من بني غازة مات عنها زوجها واسمه عروس فتزوجها رجل أبخر وأمرها ان تتعطر فقالت (٩) اي الجنى ، جمع الثمرة (١٠) اي فضلك على اقرانك (١١) هو خمود السوق وقلة البيع ضد النفاق بالفتح (١٢) يعني ولدأ (١٣) ما يتخلل به (١٤) قدر ما يشبع به مرة (١٥) اي لا تسكن (١٦) الجوع (١٧) اتيت به (١٨) لتقضي وتختبر (١٩) فهمت وحفظت ما قصته زوجك (٢٠) أظهر أشكالك وتعمية أمرك (٢١) ذكر الافاعي او العظيم منها (٢٢) الحرب التي قبلها وهي تكون حرب أشد من الاولى (٢٣) الانتعاب رفع الصوت بالبكاء (٢٤) خصاله وطباعه (٢٥) اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا إليه ، منهم بنو خفنة ورهط الملوك وقيل غسان قبيلة .

وشغليّ الدرس ، والتبحرُ في العلم طلابي وجبذا الطلبُ
ورأس مالي سحرُ الكلام^١ الذي منه يصاغ القريض^٢ والخطبُ
أغوصُ في بُجّة البيان فأختار اللآلئ منها^٣ وأنتخبُ
وأجتني^٤ البانع^٥ الجني^٦ من القول وغيري للعود يحتطبُ
وآخذ اللفظ فضةً فإذا ما صفته^٧ قيل إنه ذهبُ
وكنت من قبل أمّري نشباً^٨ بالأدب المقتنى وأحتلبُ
ويميّطي^٩ أخصي^{١٠} حرمة^{١١} مراتباً ليس فوقها رتبُ
وطالما زفّت الصلّات إلى ربعي^{١٢} فلم أرض كل من يهب^{١٣}
فالיום من يعلّق الرجاء به أكسد^{١٤} شيء في سوقه الادب^{١٥}
لا عرضُ أبنائه يُصان ولا يُرقب^{١٦} فيهم إل^{١٧} ولا نسبُ
كأنهم في عراضهم^{١٨} جيف^{١٩} يبعد من تنهها ويحتبُ
فحار لبّي^{٢٠} لما منيت به^{٢١} من الليالي وصرّفها^{٢٢} عجبُ
وضاق ذرعي^{٢٣} لضيق ذات يدي وساورتني^{٢٤} الهموم والكربُ
وقادني دهري المليم^{٢٥} إلى سلوك ما يستشينه^{٢٦} الحسب^{٢٧}

(١) هو ما لطف مأخذه ورق (٢) الشعر (٣) أي أتمعق في بليغ المعاني
وانتقي منه الملمح (٤) أقتطف (٥) الزاهي (٦) الطري من الثمر الذي جني
حديثاً (٧) سبكته (٨) أي اكتسب مالاً (٩) أي يركب (١٠) ما ارتفع من
باطن القدم عن الأرض (١١) أي حملت الجوائز والهدايا إلى منزلي (١٢) أي لم أرض أن
أكون تحت منة كل أحد بل لم أقبل إلا من العظماء (١٣) أي أن ما يتعلق به الأمل
ويرجى منه النوال لا يستعمل الادب والمعارف حتى صار ذلك كالسلعة الكاسدة
عنده (١٤) محفظ (١٥) بكسر الهمزة وتشديد اللام - العهد والقراة والجوار
(١٦) جمع عرصة وهي فناء الدار أي كأنهم في مواضعهم (١٧) تحير عقلي
(١٨) بليت به (١٩) تفلّسها (٢٠) انقبض قلبي (٢١) انتابتنى وغلبتنى
(٢٢) الذي يأتي بما يلام عليه (٢٣) يستبشعه (٢٤) ما يعد من مفاخر الآباء أو
الدين وقيل الكرم

فبعت حتى لم يبق لي لسبد^١ ولا بتات^٢ إليه أنقلب
 وادّنت^٣ حتى أثقلت سالقي^٤ بحمل دين من دونه العطب^٥
 ثم طويت الحشا على سغب^٦ خمسا^٧ فلما مضى^٨ السغب^٩
 لم أر إلا جهازها عرضا^{١٠} أجول في بيعه وأضطرب
 فجعلت فيه والنفس كارها^{١١} والعين عبري^{١٢} والقلب مكتتب^{١٣}
 وما تجاوزت^{١٤} إذ عبّنت^{١٥} به حدّ التراضي^{١٦} فيحدث الغضب^{١٧}
 فإن يكن غاظها توهمها^{١٨} أن بناني بالنظم تكتب^{١٩}
 أو أنني إذ عزمت خطبتها^{٢٠} رخرفت^{٢١} قولي لينجح الأرب^{٢٢}
 فوالذي سارت الرفاق^{٢٣} إلى كعبته تستحشها^{٢٤} الشجب^{٢٥}
 ما المكر بالخصسات^{٢٦} من خلقي ولا شعاري^{٢٧} يتمويه^{٢٨} والكذب^{٢٩}
 ولا يدي منذ نشأت^{٣٠} نيط بها^{٣١} إلا مواضي السراع^{٣٢} والكتب^{٣٣}
 بل فكرتي تنظم القلائد^{٣٤} لا كفي وشعري المنظوم لا السخب^{٣٥}

(١) يقال ما له سبد ولا لبد أي لا شعروا صوف والمراد ذوات الشعر والصوف من المواشي ، وأراد الحريري أنه لم يبق له كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة (٢) الزاد ومتاع البيت (٣) تداينت (٤) صفحة العنق وقيل مقدمه (٥) جوع (٦) خمس ليال (٧) أحرقني (٨) حطام الدنيا ، وهو المال قل أو كثر (٩) دامة باكية (١٠) حزين (١١) تعديت (١٢) فعلت به ما لا يليق فعله (١٣) أي حد الرضا (١٤) الحاجة (١٥) جمع رفقة ، وهو جمع رفيق (١٦) تستعجلها (١٧) جمع نجيبة ، وهي الكريمة من الإبل (١٨) جمع محصنة ، النساء المعافئ (١٩) تخلفي (٢٠) تزين الكلام وأصله أن يطلى المعدن غير الذهب والفضة بأحدهما أو الفضة بالذهب (٢١) علق بها (٢٢) جمع يراعة وهي القصبة الجوفاء والمراد بها الأقلام (٢٣) جمع قلادة أصله ماتقلد به المرأة من الذهب والمراد ما ينظم من القصائد والأشعار (٢٤) جمع سخاب وهو القلادة من القرنفل والمسك ليس فيها من الجواهر شيء يجعل في أعناق الاطفال .

فهذه الحيرفة المشارُ إلى ما كنتُ أحوي بها وأجتلبُ
فأذنْ لشرحي كما أذنتَ لها ولا تُراقبْ^١ واحكم بما يجبُ

قال : فلما أحكم ما شاده^٢ ، وأكمل إنشاده ، عَطَفَ القاضي إلى الفتاة ،
بعد أن شغف^٣ بالأبيات ، وقال : أما أنه قد ثبت عند جميع الحكام ، ووُلاة
الأحكام انقِرَاضُ^٤ جيل الكِرَامِ^٥ وميلُ الأيام إلى اللُثَامِ ، وإني لإخال^٦
بملك^٧ صدوقاً في الكلام بَرِيئاً من الملام — وما هو قد اعترف لك بالقرض ،
وصرح عن الخض^٨ ، وَبَيَّنَ مِصْدَاقَ النظم ، وتبيَّن أنه معروقُ العظم^٩ ،
وإعْثَاتُ^{١٠} المعذر مَلَأَمة^{١١} ، وحبس المعسر^{١٢} مَلَأَمة^{١٣} ، وكتمانُ الفقر زَهَادَة ،
وانتظارُ الفرج بالصبر عبادة فارْجَمي إلى خدرك^{١٤} ، واعذري أبا عذرك^{١٥} ،
ونهنهي من غَيْرِ بكَ^{١٦} ، وسلمي بقضاء ربك — ثم إنه فرض لها في الصَّدَقَاتِ
حِصَّةً^{١٧} ، وناولها من دارهما قبضة^{١٨} ، وقال لها : تعلُّلاً^{١٩} بهذه العلالة^{٢٠} ،
وتندياً بهذه البلالة^{٢١} ، وصبراً على كيد الزمان وكده ، فعسى الله أن يأتي بالفتح

(١) أي لا تنظر إلى واحد منا والمراد لا تعدل عن الحق (٢) أي أتقن ما
قاله وأنشأه من شاد البناء إذا طلاه بالشيد وهو الجص (٣) ويروى بالعين المهملة من
شغف الحب فؤاده أي علاه وشمله — وبالفين المعجمة أي فتن وبلغ حبها شغافه ،
وهو غلاف القلب (٤) انقطاع وفناء (٥) أي جماعة الكرم ، والجيل أهل زمان
واحد (٦) بكسر الهمزة أي لا اظني (٧) زوجك (٨) الخالص (٩) كناية
عن الهزال يقال عظم معروق إذا اخذ ما عليه من اللحم (١٠) الإعْثَاتُ : الحمل
على المشقة الشديدة والمعذر البالغ في العذر أو هو الذي يأتي بما يعذر به ويطلق
على الحق العذر ، وعلى الذي بان عذره والمَلَأَمة اللؤم (١١) العساجز عن قضاء
الدين (١٢) إيلام (١٣) بيتك وسترك (١٤) أبو عذر المرأة أول زوج لها
(١٥) أي كفي وأزجري نفسك عن الحدة (١٦) هي ما يتناولها الإنسان بأطراف
أصابعه (١٧) تشاغلاً وتلاهيًا (١٨) ما يتعمل به وأصلها بقية اللبن (١٩) قدر ما
يبيل به الشيء : واسم للبقية أيضاً .

أو أمر من عنده ، فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الإسار ^١ ، وهزّة الموسر بعد الإعسار .

قال الراوي : وكنت عرفت أنه أبو زيد ، ساعة بزّغت شمسُه ، ونزعت ^٢ عرسُه وكدتُ أفصح عن افتنانه ^٣ ، وأغار أفنانه ^٤ ثم أشفقت ^٥ من عثور ^٦ الماضي على بُهتانه ^٧ ، وتزويق ^٨ لسانه ، فلا يرى عند عرفانه ^٩ أن يُرشحه ^{١٠} لإحسانه ، فأحجّمت ^{١١} عن القول إحجامَ المرقاب ^{١٢} ، وطويت ذكره كطيّ السّجل للكتاب ^{١٣} ، إلا أني قلت بعد ما فصل ^{١٤} ووصل إلى ما وصل ؛ لو أن لنا مَنْ يَنْطلق في أثره لأنا بفصّ خبره ^{١٥} ، وما يُنشر من خبره ^{١٦} فأتبعه ^{١٧} القاضي أحد أمتائه ، وأمره بالتجسّس ^{١٨} عن أنبائه ^{١٩} ، فما لبث أن رجع مُتدهداً ^{٢٠} ، وقهقر مُقهقماً ^{٢١} ، فقال له القاضي :

(١) القيد الذي يشد به الأسير (٢) خبثت والزرع الذر بالقسيح والإفساديين الناس ومعناه خاصته عرسه (٣) يقال افتن لرجل في حديثه إذا جاء بالأفانين وهي الاساليب والمراد هنا تصرفه في الفنون والمعارف (٤) جمع فنن بالتحريك وهو طرف الغصن (٥) خفت (٦) اطلاع (٧) كذبه (٨) التزويق التحسين ، والتزويق مأخوذ من الزاووق ، وهو الزئبق (٩) معرفته (١٠) الترشيح ، والتربية ، والتأهيل من ترشيح الظبية ولدها ، لأنها إذا بلغ ولدها السعي سمعت به حتى عرقا فتقوى ؛ وبأني بمعنى القوية ايضاً (١١) تأخرت (١٢) الشاك (١٣) السجل : الصحيفة فيها الكتابة - أي كما تطوي الصحيفة الكتابة (١٤) ذهب (١٥) بحقيقة حاله (١٦) الخبر أردية يمانية موشاة جمع حبرة ، هي : ما تلبسه المرأة المصرية ، والمراد ما يذكره من الكلام المسجع الشبيه بالخبر في الحسن (١٧) اي أرسل وراءه من يتبعه (١٨) اي بالبحث سرّاً بحيث لا يشعر (١٩) أخباره (٢٠) التدهده : الإسراع من دجدهت الحجر إذا دحرجته وتبدل الماء الأخيرة جاء فيقال تدهدي تدهدياً (٢١) القهقرى المشي إلى الوراء ، والقهقهة الضحك بصوت مرتفع .

مهيّم^١ يا أبا مريم^٢ ؟ فقال له : لقد عايننت عجباً ، وسمعت ما أنشأ لي طرباً ،
فقال له : ماذا رأيت ؟ وما الذي وعيت ؟ قال : لم يزل الشيخ مذخر يصفق
بيده ، ويخالف بين رجله^٣ ، ويؤمر دبله شذقيه ؛ ويقول :

كدت أصلي ببيته من وقاح^٤ شمريته^٥
وأزور السجن لولا حاكم الإسكندريته

فَصَحَّحَ القاضي حتى هوت^٦ ، دُنَيْتُهُ^٧ ، وذوت^٨ سكينته^٩ ، فلما
فاء^{١١} إلى الوقار ، وعَقَبَ الاستغفار بالاستغفار ، قال : اللهم بحرمة عبادك
المقربين حرّم حبسي على المتأدين ، ثم قال لذلك الأمين : علي^{١٢} به ، فاطلق
مُجِدّاً في مطلبه ، ثم عاد بعد لآيه^{١٣} بخبراً بنأيه^{١٤} ، فقال له القاضي : أما
إنه لو حضر لكُفَيَ الحذر^{١٥} ، ثم الأوليته^{١٦} ما هو به أولى ، ولأريته أن
الآخرة خير له من الأولى ؛ قال الحارث بن همام : فلما رأيت صغور^{١٧} القاضي
إليه ، وفوت ثمرة التنبيه عليه غشيتني^{١٨} ندامة الفرزدق^{١٩} حين أبان

-
- (١) اي ما الخبز ، وهي كلمة لأهل اليمن ، معناها ، ما خبرك وما شأنك
(٢) يقال لعون القاضي أبو مريم (٣) اي يرقص (٤) احترق (٥) الوقاح
قليلة الحياة بينة القحة والوقاحة وحافر وقاح صلب (٦) الشمري الماضي في
الأمر الجاد فيما يحاول (٧) وقعت (٨) بتشديد النون والباء جميعاً قلنسوة
يلبسها القضاة كأنها منسوبة إلى لدن (٩) ذبلت وفترت . (١٠) وقاره
(١١) رجع (١٢) اي ائت به وأحضره (١٣) اللآي كالسعي الإبطاء
والاحتباس (١٤) اي ببعده (١٥) ما يختار منه ويخاف (١٦) ميله
(١٧) أكتني وحضرتني (١٨) هو همام بن غالب التميمي الشاعر

النَّوَّارُ^١ وَالْكُوسَمِيُّ^٢ لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارَ .

المقامة البشرية لبديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ

حدثنا عيسى بن هشام، قال كان بشر بن عوانة العبديّ صُعلوكاً، فأغار على ركب فيهم امرأة جميلة فتزوج بها ، وقال : ما رأيت كالיום ، فقالت :

أَعْجَبَ بَشْرًا حَوْرٌ فِي عَيْنِي وَسَاعِدٌ أَبْيَضٌ كَاللُّجَيْنِ
وَدُونَهُ مَسْرَحٌ طَرَفَ الْعَيْنِ تَخْصَانَةٌ تَرْفُلُ فِي حَجَلَيْنِ
أَحْسَنُ مَنْ يَمْسِي عَلَى رَجْلَيْنِ لَوْ كَضَمْتُ بَشْرًا بَيْنَهَا وَبَيْنِي
أَدَامَ هَجْرِي وَأَطَالَ بَيْتِي وَلَوْ يَقِيسُ زَيْنَتَهَا بِزَيْنِي
لَأَسْفَرَ الصُّبْحَ لَذِي عَيْنَيْنِ

قال بشر : ويحك من أعنيت ؟ فقالت : بنت عمك فاطمة ، فقال : أهي
من الحسن بحيث وصفت ؟ فقالت : وأزيد وأكثر ، فأنشأ يقول :

(١) النوار على وزن سحاب اسم زوجة الفرزدق ، وكان قد طلقها ثم ندم
على ذلك ومن شعره في ذلك قوله :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها كأدم حين أخرجه الضرار
ولو أتي ملكتي يدي وأمرني لكن علي للقدر الخيار

(٢) الكسعي هو عامر بن الحارث نسبة إلى كسع - بضم الكاف وفتح السين -
حي من بني ثعلبة كان راعياً وعمل قوساً بعد طول تعب ثم رمى عنها ليلاً فنفذت
في الرمية ووقع السهم في حجر ففقد منه الشرر فظن أن السهم اخطأ الرمية ،
فرمى ثانياً وثالثاً إلى آخر الأسهم وكانت خمساً ، وهو يظن خطأها فعمد إلى
قوسه فكسرها، ثم بات فلما أصبح تبين أن سهمه كلها أصابت فندم فندماً شديداً
فضربت العرب المثل به في الندامة .

وَيَحْكُ يَا ذَاتَ الثَنَائَا الْبَيْضَ مَا خَلِّتُنِي مِنْكَ بِمُسْتَعِيزٍ
فَالآنَ إِذْ لَوَّحْتَ بِالْتَعْرِيزِ خَلَّوْتُ جَوْاً فَاصْفِرِي وَبَيْضِي
لَا لُصْمَ جَفْنَايَ عَلَى تَغْمِيزِ مَا لَمْ أَشْلُ عَرْضِي مِنَ الْخَضِيزِ
فَقَالَتْ كَمْ خَاطَبٍ فِي أَمْرهَا الْحَا وَهِيَ إِلَيْكَ ابْنَةُ عَمِّ الْحَا

ثم أرسل الى عمه يخطب ابنته ، ومنعه العم أمنيتها ، فألى ألا يرعى على أحد منهم إن لم يزوجه ابنته ، ثم كثر مضراته فيهم واتصلت معراته إليهم ، فاجتمع رجال الحي إلى عمه ، وقالوا : 'كف عنا مجنونك' ، فقال : لا تلبسوني عاراً وأمهلوني حتى أهلكه ' ببعض الحيل ، فقالوا : أنت وذاك ، ثم أرسل إليه عمه : 'إني آيت' أن لا أزوجه ابنتي هذه إلا بمن يسوق إليها ألف ناقة مهوراً ، ولا أرضاها إلا من 'نوق' خزاعة .

وكان غرض العم أن يسلك بشر الطريق بينه وبين 'خزاعة' فيفتريه الأسد ؛ لأن العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق ، وكان فيه أسد يسمى 'داداً' ، وحيته تدعى 'شجاعاً' يقول فيها قائلهم :

أفتك من 'داد' ومن 'شجاع' إن يك 'داد' سيّد السباع
فإنها سيّدة الأفاعي

ثم إن بشراً سلك ذلك الطريق ، فما نصفه حتى لقي الأسد ، وقص 'مهره' فنزل وعقره ، ثم اختلط سيفه إلى الأسد واعترضه وقطعه ، ثم كتب بدم الأسد على قميصه إلى ابنة عمه :

أفاطم لو شهدت بطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشراً
إذا لويت لينا أم ليشأ هزبراً أغلباً لاقى هزبراً
تبهتسن حين أحجم عنه مهري 'محاذرة' ، فقلت : عقرت مهراً

أَبْلُ قَسَدَمِيَّ ظَهَرَ الْاَرْضَ لِي رَأَيْتُ الْاَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرًا
وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا مُحَدَّدَةً وَوَجْهًا مَكْفَهْرًا
يُكَفْكِفُ غِيْلَةً لِأَحَدِي يَدِيهِ وَيَبْسُطُ لِلْوُثُوبِ عَلَيَّ أُخْرَى
يُدْرِلُ بِمِخْلَبٍ وَبِحَدِّ نَابٍ وَبِالْحِظَاتِ تَحْسِبُهُنَّ جَمْرًا
وَيُيْنِنِي مَاضِي الْحَدِّ أَبْغِي بِضَرْبِهِ قِصْرَاعَ الْمَوْتِ أَثْرًا
أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلْتُ ظُبَاهَ بِكَاطِمَةِ غَدَاةٍ لَسَقَيْتُ سَمْرًا
وَقُلْتُ مِثْلُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَخْشَى مُصَاوَلَةَ فُكَيْفٍ يَخَافُ دُعْرًا
وَأَنْتَ تَرُومُ لِلْأَشْبَالِ قُوَّتًا وَأَطْلُبُ لَابِنَةَ الْأَعْمَامِ مَهْرًا
فَقِيمَ تَسْوَمِ مِثْلِي أَنْ يُوَلِّي وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْكَ الْمُنْقَسَ قَسْرًا
نَصَحْتُكَ فَالْتَمَسْتُ يَا لَيْثُ غَيْرِي طَعَامًا إِنَّ لِحْمِي كَانَ مَرًّا
فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الْغَشَّ نَصَحِي وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ مُجْرًا
مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسْدَيْنِ رَامَا وَرَامًا كَانَ إِذَا طَلَبَاهُ وَعَرَا
هَزَزْتُ لَهُ الْحُسَامَ فَخَلْتُ أَنِي سَلَّاتُ بِهِ لَدَى الظُّلُمَاءِ فَجْرًا
وَجُدْتُ لَهُ بِجَائِشَةٍ أَرْتَهُ بِأَنَّ كَذَبَتَهُ مَا مَنَنْتَهُ غَدْرًا
وَأَطْلَقْتُ الْمُشْنَدَ مِنْ يَمِينِي فَقَدْ لَهُ مِنَ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا
فَنَخَرْتُ مَجْنَدًا بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِيرًا
وَقُلْتُ لَهُ : يَعْزُ عَلِيَّ أَنِي قَتَلْتُ مُبَاسِبِي جَلْدًا وَفَخْرًا
وَلَكِنْ رُمْتُ شَيْئًا لَمْ يَرُمْهُ سَوَاكَ فَلَمْ أَطُقْ يَا لَيْثُ صَبْرًا
تَحَاوَلُ أَنْ تَغْلَبَنِي فِرَارًا لَعَمْرُ أَيْبِكَ قَدْ حَاوَلْتَ نَكْرًا
فَلَا تَجْزَعُ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرًّا بِحَاذِرُ أَنْ يُعَابَ فُتَّ حُرًّا

فلما بلغت الأبيات عنه بسندم ، على ما تمنعه تزويجها ، وخشي أن تغتاله الحية ، فقام في أثره وبلغه ، وقد ملكته سورة الحية .

فلما رأى عمه أخذته حمية الجاهلية ، فجعل يده في فم الحية وحكم سيفه فيها وقال :

بشرٌ إلى المجد بعيدٌ همُّه لما رآه بالعراءِ عمُّه
قد فكَّلتَه نفسه وأُمُّه جاشت به جائشةٌ تهمة
قام إلى ابنٍ للفلا يؤمُّه فغاب فيه يده وكُمُّه
ونفسه نفسي وسمِّي سمُّه

فلما قتل الحية قال عمه : إني عرضتكَ طمعاً في أمرٍ قد ثنى الله عناني عنه ، فارجع لأزواجك ابنتي

فلما رجع جعل بشرٌ يلاً فمه فخرأ حتى طلع أمرد كشق القمر على فرسه مدججاً في سلاحه : فقال بشرٌ : إني أسمع حسن صيدٍ وخرج فإذا بغلام على قيدٍ ، فقال : ثكلتك أمك يا بشرٌ إن قتلت دودة وبهيمة تلاً ماضغتك فخرأ ، أنت في أمان إن سلّمت عمك ، فقال بشرٌ : مَنْ أنت ؟ لا أم لك ؟ قال : اليوم الأسود والموت الأحمر . فقال بشرٌ : ثكلتك من سلحتك . فقال : يا بشر ومن سلحتك ، وكرّ كلُّ واحدٍ منها على صاحبه ، فلم يتمكن بشر منه ، وأمكن الغلام عشرين طعنة في كُليّة بشر ، كلما مسّه شبا السنّان حماه عن بدنه إبقاءً عليه ، ثم قال : يا بشر كيف ترى ؟ أليس لو اردت لأطعمتك أنياب الرّمح ؟ ثم ألقى رمحه ، واستل سيفه فضرب بشراً عشرين ضربة بعرض السيف ، ولم يتمكن بشرٌ من واحدة ، ثم قال : يا بشر سلّم عمك وذهب في أمان ، قال : نعم ، ولكن عليّ شريطة أن تقول لي من أنت ؟ فقال : أنا ابن المرأة التي دلتك على ابنة عمك ؛ فقال بشر :

تلك العصامن هذه العُصية وهل تلد الحية إلا الحية
وحلف لا ركب حصاناً ، ولا تزوج حصاناً ، ثم زوج ابنة عمه لابنه

الفن السادس في الروايات

الرواية عبارة عن ذكر قولٍ أو فعلٍ حدثا ، أو أمكن حدوثها .

وخواصها أربعة : الإيضاح ، والإيجاز ، والإمكان ، والتلطُّف .

فالإيضاح : يكون بتقديم فرش للحديث ، وتوطئة للخبر ، يُقرَّب مأخذ الرواية ، ويُراعاة الترتيب الطبيعي في إيراد ظروف الخبر ما لم يكن الراوي غرضاً لتجاوز هذا النظام ؛ وبالعُدول عن كثرة الاستطرادات في إنشاء الحديث لأن ذلك يصرف العقل عن سياق الرواية ويذهب برؤيتها .

والإيجاز : حذف فصول حشو الكلام مع انتقاء أخص الظروف وأنسبها للغاية ، ولا بأس بالإطناب إذا ما دعا إليه مقتضى الحال .

والإمكان : ترشيح الرواية للقبول في ذهن السامع .

والتلطُّف : في الرواية أن يبلغ الكاتب كنهه القلوب ، ويأخذ بمجامع اللب بأن ينتقل فيها من حال إلى حال لأن النفس قد جبلت على محبة التحوُّل وطُبعت على إثارة التنقل .

والرواية ثلاثة أجزاء : صدرها ، وعيقتها ، وختامها . فالصدر ، التوطئة للواقع بحيث يقف السامع على أسماء الأشخاص وطاعيتهم ، وعلى مكان الواقع وسوابق العمل . والعقدة : هي الجزء الذي على محوره تدور الرواية ؛ وهو المجال الأوسع الذي تتقابل فيه الأشخاص وتشتبك الأحوال وتضطرم في النفس لواعج الشوق للوقوف على عاقبة الأمر ، فتنتقل من الرجاء إلى الخوف ومن الفرح إلى الحزن . والختام : الجزء الأخير من الرواية الذي به تفكُّ الإربة وتحل ريب الحديث ، فتتألم النفوس بذلك مرامها وتقوز بوطرها ، ويسمُّه أن يكون فجائياً مرتبطاً مع ما قبله ارتباطاً محكماً وافياً بالمراد بحيث ترضى به النفوس ، وترتاح إليه القلوب . وشواهد الرواية كثيرة لا تُطيل بذكرها ؛ أفردها الأدباء بالآليف العديدة ، ولندكر هاهنا بعض مُلح لا يدغم عنها المقام .

ليلى الأخيلية مع الحجاج

روى بعضهم أنه بينما كان الحجاج في مجلس ومعه عنبسة بن سعيد ،
إذ دخل الحاجب فقال : امرأةٌ بالباب ، فقال له الحجاج : أدخلها ، فدخلت فلما
رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض ، فجاءت حتى
قعدت بين يديه فنظرت فإذا امرأة قد أسنست ، حسنة الخلق ، ومعهما جاريتان
لها ، وإذا هي ليلى الأخيلية ، فسأها الحجاج عن نسبها ، فانتسبت له ، فقال لها :
يا ليلى ما أتى بك ؟ فقالت : إخلافُ النجوم وقلة الغيوم ، وكلب البرد ، وشدة
الجهد ، وكنت لنا بعد الله الرقد . فقال لها صفي لنا الفجاء ، فقالت : الفجاء
مُغبرة ، والأرض مقشيرة ، والبركُ معتل ، وذو العيال مختل ، والهالك للقل
والناس مسنتون ، رحمة الله يرجون ، وأصابتنا سنون بحجفة مُبلطة ، لم تدع
لنا هُبَماً ولا رُبَماً ، ولا عافطة ولا نافطة ، أذهبت الأموال ، ومزقت الرجال
وأهلك العيال ، ثم قالت : إني قلت في الأمير قولاً ، قال مات ؛ فأنشأت تقول :

أحجاجُ لا يفللُ سلاحك إنما السـمنايا بكف الله حيث يُراها
أحجاج لا تعط العُصاة منام ولا الله يُعطي للعُصاة مُناها
إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة تتبّع أقصى دأها وشفاهها
شفاهها من الداء العضال الذي بها غلامٌ إذا هزّ القناة سقاها
سقاها فرواًها بشرب سجاله دماء رجالٍ حيث مال حشاها
إذا سمع الحجاج رز كنينية أعدّ لها قبل النزول قراها
أعدّ لها مصقولةً فارسيةً بأيدي رجالٍ يخلبون صراها
فما ولد الأ Bakar والعون مثله ببحرٍ ولا أرضٍ يحف ثراها

قال : فلما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قاتلها الله ، ما أصاب صِفَتِي شاعرٌ
منذ دخلت العراق غيرها ، ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد ، فقال : والله إني لأعد
للأمر عسى أن لا يكون أبداً ، ثم التفت إليها فقال : حسبك . قالت : إني قد

قلت أكثر من هذا . قال : حسبك ، ويحك حسبك . ثم قال : يا غلام اذهب إلى فلان ، فقل له اقطع لسانها ، فذهب بها فقال له : يقول لك الأمير : اقطع لسانها ، قال فأمرَ بإحضار الحجام فالتفتت إليه فقالت : شككتك أمك ، أما سمعت ما قال ؟ إنما أمرتك أن تقطع لساني بالصلة ، فبعث إليه يستثبته ، فاستشاط الحجاج غضباً ، وهم بقطع لسانه ، وقال : أرددها ، فلما دخلت عليه قالت : كاد (وأمانة الله) يقطع مِقولتي ، ثم أنشأت تقول

حجاج أنت الذي ما فوقه أحدٌ إلا الخليفةُ والمستغفر الصمد
حجاج انت شهابُ الحرب إن لقحت وأنت للناس نورٌ في الدجى يقدُ

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأمير ، إنما لم نَرَ قط أفصحَ لساناً ، ولا أحسنَ محاورَةً ، ولا أملحَ وجهاً ، ولا أرصنَ شعراً منها . فقال : هذه ليلي الأخيلية التي ماتت توبة الخفاجي من حبها . ثم التفت إليها فقال : انشدينا يا ليلي بعض ما قال فيك توبة ، قالت : نعم أيها الأمير ، هو الذي يقول :

وهل ليلي تبكيه إذا ميت قبلها وقام على قبوري النساء النوائح
كما لو اصاب الموت ليلي بكيتها وجاد لها دمعٌ من العين سافحٌ
وأغبطُ من ليلي بما لا أقاله بلى كل ما قررت به العين طائحٌ
ولو أن ليلي الأخيلية سلمت عليّ ودوني جندلٌ وصفائحٌ
لسلمت تسليم البشاشة أورقا إليها صدّي من جانب الفبر صائحٌ

ثم قال : سيلي يا ليلي تعطي قالت : أعطِ فمثلك أعطى فأحسن . قال لك عشرون ، قالت : زد ، فمثلك زاد فأجمل ، قال لك أربعون . قالت زد فمثلك زاد فأكمل . قال لك ثمانون ، قالت زد ، فمثلك زاد فتم . قال مائة واعلمي أنها غنم ، قالت : معاذ الله أيها الأمير ، أنت أجودُ جوداً ، وأعجبُ مجدداً ، وأروى زنداً من أن تجعلها غنماً ، قال : فما هي ويحك يا ليلي ؟ قالت مائة من الإبل

برعاتها. فأمر لها بها ، ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت يدفع إليّ النابغة الجعدي. قال : قد فعلت . وقد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغ النابغة ذلك فخرج هارباً عائداً بعبد الملك ، فاتبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان فاتبعته على البريد بكتاب الحاجج إلى قتيبة يقوم مس ويقال بحلوان .

بنات الشاعر المقتول

كان لشاعر عدوٌّ ؛ فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعدوّه ، فعلم الشاعر أن عدوّه قاتله لا محالة ؛ فقال له : يا هذا أنا أعلم أن النسيّة قد حضرت ولكن سألتك الله إذا انت قتلاني إن امّض لي داري ، وقِفْ بالباب وقل : « ألا ايها البنتان إن أباكما » فقال : سمعاً وطاعة ، ثم إنه قتله ، فلما فرغ من قتله أتى إلى داره ، ووقف بالباب وقال : « ألا ايها البنتان إن أباكما » وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل « ألا ايها البنتان إن أباكما » أجابته بغير واحد « قَتِيلٌ خُذَا بالثأر من أباك » ثم تعلقتا بالرجل ، ورفعتاه إلى الحاك فاستقرّ رء . فأقرّ بقتله فقله .

المرأة المتكلمة بالقرآن الكريم

قال عبد الله بن المبارك : خرجت حاجتاً إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسوادي ، فتميزت ذلك فإذا هي عجوزٌ عليها دِرْعٌ من صُفوف وخمارٌ من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقالت : « سلام قولاً من رب رحيم » فقلت لها مرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان ؟ قالت : « ومن يُضلل الله فلا هادي له » فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدن ؟ قالت . « سُبْحان الذي أسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » فعلمت أنها قد قضت حاجتها وهي تريد بيت المقدس ، فقلت لها أنت مُنْذ كم في هذا الموضع ؟ قالت : « ثلاث ليالٍ سَوِيّاً » فقلت ما أرى معك طعاماً تأكلين ، قالت : « هو يُطعمُنِي ويسقيني »

فقلت : فبأي شيء تتوضئين؟ قالت : « فإن لم تجزوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً » .
فقلت لها : إن معي طعاماً : فهل لك في الأكل ؟ قالت : « ثم أتمثوا الصيام إلى
الليل » فقلت ليس هذا شهر رمضان ، قالت : « ومن تطوع خيراً فإن الله
شاكراً عليم » ، فقلت : قد أبيع لنا الإفطار في السفر . قالت : « وأن تصوموا
خيراً لكم إن كنتم تعلمون » فقلت : لم لا تكلميني مثل ما أكلّمك ؟ قالت :
« ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » فقلت : فمن أي الناس أنت؟ قالت :
« ولا تقف ما ليس لك به علم » إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
مسئولاً » فقلت : قد أخطأت فاجعليني في حل . قالت : « لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم » فقلت : فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة ؟
فقلت : « وما تفعلوا من خير يعلمه الله » قال فأخذت ناقتي قالت : « قل
للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » فغضضت بصري عنها ، وقلت لها أركبي . فلما
أرادت أن تركب بفرات الناقة ، فمزقت ثيابها فقالت : « وما أصابكم من مصيبة
فبسيما كسبت أيديكم » فقلت لها : اصبري حتى أعقلها ، قالت : « فهطمناها سليمان »
فعقلت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت : « سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون » قال : فأخذت بزمام الناقة وجعلت
أسرع وأصيح . فقالت : « واقصد في مشيك واغضض من صوتك » . فجعلت
أمشي رويداً رويداً وأتترنم بالشعر : فقالت : « فاقراء ما تيسر من القرآن »
فقلت لها : لقد أتيت خيراً كثيراً قالت : « وما يذكر إلا أولوا الأبواب » فلما
مشيت بها قليلاً قلت : ألك زوج ؟ قالت : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن
أشياء إن تبذل لكم تسوءكم » . فسكت ولم أكلّمها حتى أدركت بها القافلة .
فقلت لها : هذه القافلة فمن لك فيها ؟ فقالت : « المال والبنون زينة الحياة
الدنيا ، فعلمت أن لها أولاداً . فقلت : وما شأنهم في الحج ؟ قالت : وعلامات
والنجم يهتدون » فعلمت أنهم أدلاء الركب . فقصدت بها القباب والعمارات
فعلمت : هذه القباب فمن لك فيها ؟ قالت « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » ، « وكلّم
الله موسى تكليماً » ، « يا يحيى خذ الكتاب بقوة » ، فناديت : يا إبراهيم ، يا موسى

يا يحيى . فإذا أنا بشُبَّان كأنهم الأقمار قد قبلوا ، فلما استقر بهم الجلوس ، قالت : « فابعثوا أحداكم بورقكم هذه إلى المدينة فليُنظَرِها أركى طعاماً فليأتكم برزق منه » ، فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقَدَّموه بين يدي ، وقالت : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية » ، فقلت : الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها . فقالوا : هذه أمانة منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن ، مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن ، فسُبَّحان القادر على ما يشاء . فقلت : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

مروان بن الحكم - وعبدالله بن الزبير

روى عقيل بن خالد عن ابن شهاب أن مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير اجتمعا ذات يوم في حُجرة عائشة (والحِجابُ بينهما وبينها) يُحدِّثانها . ويسألانها ، فجري الحديث بين مروان وابن الزبير ساعة ؛ وعائشة تسمع .

فقال مروان :

فمن يشا الرحمن يخفضُ بقدره وليس لمن لم يرفع الله رافعُ

فقال ابن الزبير :

ففوض إلى الله الأمور إذا اعتزت وبالله ، لا بالأقربين ، « أدافعُ

فقال مروان :

ودأور ضمير القلب بالبر والتقى ، فلا يستوي قلبان قاسٍ وخاشعُ

فقال ابن الزبير :

ولا يستوي عبدان هذا مكذبٌ عُتلٌ لأرحام العشيعة قاطعُ

فقال مروان :

وعبدٌ يجافي جنبه عن فراشه يبيتُ يناجي ربه وهو راکعُ

فقال ابن الزبير :

وللخير أهلٌ يُعرفون بهمَّهم إذا اجتمعت عند الخُطوب المجامعُ
فقال مروان :

وللشرِّ أهلٌ يُعرفون بشكلهم تُشيرُ إليهم بالفجور الأصابعُ
فسكت ابن الزبير ولم يُجب ، فقالت عائشة . يا عبد الله مالك لم تُجبْ
صاحبك ؟ فوالله ما سمعتُ تجاؤلاً في نحو ما تجاؤلتُها فيه أعجب إليَّ من
تجاؤلكما ، فقال ابن الزبير : إني خِفتُ عوار القول فكففتُ .

عبيد بن الأبرص - وامرؤ القيس

قبل إنَّ عبيد بن الأبرص لقي امرأ القيس يوماً فقال له : كيف معرفتك
بالأوابد ؟ قال : ما أحببت . فقال :

ما حبةٌ مِثَّةٌ قامتْ بِمِيتَتِها دَرءاء ما أنبَتَتْ ثاباً وأضراساً
فقال امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تُسقى في سنابلها
قد أخرجت بعد طول المكث أكداً

فقال عبيد :

ما الشُّودُ والبيضُ والأسماءُ واحدةٌ لا تستطيعُ لهنَّ الناسُ تماساً

فقال امرؤ القيس :

تلك السَّحابُ إذا الرِّحْنُ أنشأها رَوَى بهنَّ محول الأرض أيباساً

فقال عبيد :

ما مرتجاتٌ على هولٍ مراكبُها يَقْطُنُّ بعد المدى سيراً وأمراساً

فقال امرؤ القيس :

تلك النُّجومُ إذا جانت مطالها شَبَّتها في سواد الليل أقباساً

فقال عبید :

ما القاطعاتُ لأرضٍ لا أنيسَ بها تأتي سراعاً وما يرجعن أنكاسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الرياحُ إذا هبت عواصفُها كفى بأياها للشرب كُناسا

فقال عبید :

ما المفاجعاتُ جهاراً في علانيةٍ أشدَّ من فيلقٍ ملحومةٍ باسا

فقال امرؤ القيس :

تلك المنايا فما يبقينَ من أحدٍ يأخذنَ تحقياً وما يبقينَ أكياسا

فقال عبید :

ما السابقاتُ سراعَ الطير في مهلٍ لا يشتكين ولو طال المدى باسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الجياد عليها القومُ منذ نتجتُ كانوا لهنَّ غداة الرّوع أحلاسا

فقال عبید

ما الماطعاتُ لأرضٍ الجوِّ في طلقٍ قبل الصباح وما يسوين قرطاسا

فقال امرؤ القيس

تلك الأمانيُّ يتركن الفقى ملكاً دون السماء ولم ترُفع له راساً

فقال عبید :

ما الحاكمون بلا سمعٍ ولا بصرٍ ولا لسانٍ فصيحٍ يُعجبُ الناسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الموازين والرحمن أرسلها رب البرية بين الناس مقياسا

أبو تراب - والشريف العباسي

اجتمع يوماً أبو تراب هبةً الله بن السريجي، والشريف العباسي وكانا شاعرين

فقال أبو تراب :

أسلوت حباً بدوراً أم تَتَجَلَّدُ وسهرت ليلك أم جُفونك تَرَقْدُ
فأجاب الشريف بديها :

لا بلُهم أَلِفُوا القَطِيعَةَ مِثْلَ مَا أَلِفُوا نَزْوَلَهُمْ بِهَا فَتَبَعَدُوا
فقال أبو تراب :

وإلامَ تصبرُ والفؤادَ مَتَيِّمٌ ولطى اشتياقك في الحشَى يتوقد
فأجاب الشريف :

ما دامَ لي جلدُ فلستُ يجازعُ إذْ كانَ صُبري في العواقبِ يُحمدُ
فقال أبو تراب

أَحَسَّنْتَ: كَيْتَانَ الهَوَى مُسْتَحْسِنٌ لو كانَ ماءُ العينِ مما يَحمدُ
فأجاب الشريف :

إنْ كانَ جَفَنِي فاضِحِي بدُموْعِهِ أظهرت للجلِساءِ أني أَرَمَدُ
فقال أبو تراب :

فهبِ الدموْعَ إذا جرت مَوَهَّتُها فيقال لِمَ أنفاسُهُ تَتَصَعَّدُ
فأجاب الشريف :

أَمْشي وأَسْرِعْ كي يظنوا أنها من ذلك المشي السَّريعِ تولد
فقال أبو تراب :

هذا يجوز ومثله مُستعملٌ لكنَّ وجهك بالحبَّةِ يَشهدُ
فأجاب الشريف

إن كانَ وجهي شاهداً بهوَى فما يُدرى إلى مَنْ بالحبَّةِ أَقْصِدُ
فقال أبو تراب

إخضعْ وذَلَّ لمن تحبُّ فليسَ في حُكْمِ الهَوَى أنْفُ يَشالُ ويعقدُ

فأجاب الشريف :

« ذا لا يكون مع الحبيب وإنما مع ساقط متحيل يتعمد »

المأمون والمرأة المتظلمة

جلس المأمون يوماً للمظالم فكان آخر من تقدم إليه ، وقد هم بالقيام امرأة عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه فقالت : (السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته) فنظر المأمون إلى يحيى بن أكتثم فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمي في حاجتك ، فقالت :

يا خير مستصفي يهدي له الرشد ويا إماماً به قد أشرق البلد
نشكو إليك عميد القوم أرملة عدا عليها فلم يترك لها سبباً^٢
وابتزت مني ضياعي منمتها ظلماً وفرق مني الأهل والولد
فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه إليها وهو يقول :

في دون ما قلت زال الصبر والجلد عني وأقرح مني القلب والكبد
هذا أرايت صلاة العصر فانصرفي وأحضري الخضم في اليوم الذي أعيد
والجلس السبت إن يفض الجلوس لنا ننصفك منه وإلا المجلس الأحد^٣
فلما كان يوم الأحد جلس فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة فقالت :

(السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته) فقال : وعليك السلام .
أين الخضم ؟ فقالت : الواقف على رأسك يا امير المؤمنين ، وأومأت إلى العباس ابنه فقال : يا احمد بن أبي خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم ، فجعل كلامها يعلو كلام العباس . فقال لها احمد بن أبي خالد : يا أمة الله إنك بين يدي امير المؤمنين وإنك تكلمين الأمير فاحفضي من صوتك . فقال المأمون :

(٢) يحيى بن أكتثم قاضي قضاة الدولة العباسية لعهد المأمون ومن سلالة أكتثم ابن صيفي توفي سنة ٢٤٢ (٢) أصل السبد : القليل من الشعر . ويقال ما له سبد ولا لبد اي لا قليل ولا كثير (٣) قوله : وإلا المجلس . أسقط منه فاء الجواب للضرورة .

دعها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها وأخرسه . ثم قضى لها برد ضيعتها إليها ، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوفر لها ضيعتها ، ويحسن معونتها وأمر لها بنفقة .

عمر بن الخطاب - والهرمزان

لَمَّا أَتَى الْهَرْمَزَانُ أُسِيرًا إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا زَعِيمُ الْعِجَمِ وَصَاحِبُ رِئَاسَتِهِمْ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَعْرَضُ عَلَيْكَ الْإِسْلَامَ نَصَحًا لَكَ فِي عَاجِلِكَ وَآجِلِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا أَعْتَقِدُ مَا أَنَا عَلَيْهِ . وَلَا أَرْغَبُ فِي الْإِسْلَامِ . فَدَعَا لَهُ عُمَرُ بِالسَّيْفِ فَلَمَّا هَمَّ بِقَتْلِهِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَرِّبْنِي مِنْ مَاءٍ أَفْضَلَ مِنْ قَتْلِي عَلَى ظَمَأٍ . فَأَمَرَ لَهُ بِشَرِّبَتِهِ مِنْ مَاءٍ . فَلَمَّا أَخَذَهَا قَالَ أَنَا آتَمِنْ حَتَّى أَثْمَرُهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَرَمَى بِهَا وَقَالَ : الْوَفَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَوْرٌ أَبْلَجُ . قَالَ صَدَقْتَ لَكَ التَّوَقُّفُ عَنْكَ وَالنَّظَرُ فِي أَمْرِكَ . ارْفَعُوا عَنْهُ السَّيْفَ . فَلَمَّا رَفَعَ عَنْهُ قَالَ : الْآنَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَمَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِهِ . فَقَالَ عُمَرُ : أَسَلِمْتَ خَيْرَ إِسْلَامٍ فَمَا أَخْرَكَ ؟ قَالَ : كَرِهْتُ أَنْ تَنْظُنَّ أَنِّي أَسَلِمْتُ جِزْعًا مِنَ السَّيْفِ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ لِأَهْلِ فَارَسَ عَقُولًا بِهَا اسْتَحَقُّوا مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُبْرَأَ وَيُكْرَمَ ، وَكَانَ بَعْدُ يَشَاوِرُهُ فِي تَوْجِيهِ الْجِيُوشِ لِأَهْلِ فَارَسَ .

إبراهيم بن المهدي - وابن بختيشوع

قَالَ الْعُسَيْبِيُّ : تَنَزَّعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَابْنُ بَخْتِشُوعِ الطَّبِيبِ بَيْنَ يَدَيْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ فِي عَقَارِ بِنَاحِيَةِ السَّوَادِ ، فَأَرْبَى^١ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ وَأَعْلَظَ لَهُ^٢ فَأَغْضَبَ ذَلِكَ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ فَقَالَ :

يَا إِبْرَاهِيمُ إِذَا نَازَعْتَ فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ امْرَأَةً فَلَا أَعْلَمَنَّ أَنَّكَ رَفَعْتَ عَلَيْهِ صَوْتًا وَلَا أَثْمَرْتَ بَيْدًا ، وَلَيْكُنْ قَصْدُكَ أَمَّا^٣ وَرِيحُكَ سَاكِنَةً ، وَكَلَامُكَ مَعْتَدَلًا ، وَوَقْفٌ مَجَالِسِ الْخَلِيفَةِ حَقُّوقِهَا مِنَ التَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ وَالِاسْتِكَانَةِ وَالتَّوَجُّهِ

(١) أَرْبَى عَلَيْهِ : زَادَ . (٢) أَحْفَظُهُ : اغْضَبَنِي ، وَالْحَفِيزَةُ : الْحَمِيَّةُ وَالغَضَبُ

(٣) الْأَمَمُ : الْبَيْنُ مِنَ الْأَمْرِ وَالْوَسْطُ

إلى الواجب، فإن ذلك أشبه بك، وأشكل بذهبك في تحديق^١، وعظيم خَطرك ولا تعجلنَ فرُبَّ عجلة تهبُ ريثاً^٢، والله يعصمك من خطل القول والعمل، ويؤتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل إن ربك حكيمٌ عليم .

فقال إبراهيم: أصحك الله، أمرت بسداد، وحضضت على رشاد، ولست عائدًا لما يثلم^٣ مُروءتي عندك، ويسقيطني من عينيك، ويُخرجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار، فهأنذا معتذرٌ إليك من هذه البادرة اعتذارٌ مُقِرٌّ بذنبه مُعترفٌ بجُرْمه، ولا يزال الغضبُ يستفزُّني، ببوادره، فيردُّني مثلك بجله، وتلك عادة الله عندك وعندنا منك، وقد جعلتُ حقي في هذا العقار لابن بختيشوع فليت ذلك يكون وافيًا بأرثش^٤ الجناية عليه « ولم يتلف مالٌ أفاد موعدة » وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الأحنف بن قيس - وقيس بن عاصم

قيل للأحنف بن قيس: بمن تعلمت الحِلْم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، رأيته قاعدًا بفناء داره 'مُحتبياً' بمجائل سيفه يُحدثُ قومه حتى 'أتى برجل مكتوف، ورجل مقتول، فقبل له هذا ابنُ أخيك قتيلَ ابنك، فوالله ما حلَّ حُبوته ولا قطع كلامه، ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له: يا ابن أخي أسأت إلى رَحِمِك، ورميتَ نفسك بسهميك، وقتلتَ ابنَ سَمِك، ثم قال لابن له آخر: 'قم يا بُني فحلَّ كِتاف ابن عمك ووارِ أخاك، وسقُ إلى أمه مائة ناقة دية ابنها، فإنها غريبة، ثم أنشأ يقول:

إني امرؤٌ لا يطبي حسي دَنَسٌ يهَجُّهُ ولا أفسن^٥

- (١) الحند، الأصل (٢) الريث: الإبطاء والمقدار (٣) ثلم الإناء: كسره من حرفه (٤) استخفه وأزعجه (٥) الأرض: الدية وما يعطى تعويضاً (٦) احتبى: جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو نحوها، والاسم من ذلك الحبوة (٧) طباه: دعاه واستهواه. والأفن ضعف الرأي وفعله كفرح.

من مِينَةٍ فِي بَيْتٍ مَكْرُومَةٍ وَالْفُصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْفُصْنُ
 خُطْبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ بَيْضُ الْوُجُوهِ مَصَاقِعُ لِسْنٍ^١
 لَا يَفْطِنُونَ لَعِيبِ جَارِهِمْ وَهُمْ لَحِيفُ جِوَارِهِ فُطْنُ^٢

معن بن زائدة - وجاره بين يدي المهدي

قال سعيد بن مسلم: نَذَرَ المهدي دم رجل من اهل الكوفة^١، كان يَسْمَى في فساد سُلْطَانِهِ، وجعل لمن دلّ عليه او جاء به مائة الف درهم. فأقام الرجل حيناً متواريّاً ثم إنه ظهر بمدينة السلام^٢، فكان ظاهراً كغائب خائفاً مُتَرَقِّباً. فبينما هو يمشي في بعض نواحيها إذ بصُرَّ به رجل من اهل الكوفة فعرفه فأهوى إلى مجامع^٣ ثوبه. وقال: هذا بُغْيَةُ امير المؤمنين فأمكن الرجل من قيادته، ونظر إلى الموت امامه. فبينما هو على تلك الحال، إذ سَمِعَ وَتَعَ حَوَاقِرَ الْحَيْلِ من وراء ظهره فالتفت فإذا معن بن زائدة فقال: يا ابا الوليد أجزئي اجارك الله فوقف وقال للرجل الذي تعلّق به، وما شأنك؟ قال: بغية امير المؤمنين الذي نذر دمه، واعطى لمن دلّ عليه مائة ألف درهم. فقال: يا غلام انزل عن دابّتك واحمل اخانا. فصاح الرجل يا معشر الناس يحالُ بيني وبين من طلبه امير المؤمنين! قال معن: اذهب فأخبره أنه عندي. فانطلق إلى باب امير المؤمنين فأخبره الحاجب فدخل إلى المهدي فأخبره فأمر بحبس الرجل، ووجهه إلى معن مَنْ يَحْضُرُ به، فأتته رُسُلُ امير المؤمنين وقد لبس ثيابه وقربت إليه دابته فدعا اهل بيته ومواليه وقال: لا يُخْلَصُنَّ إلى هذا الرجل وفيكم عين تطرف^٤، ثم ركب ودخل حتى سلّم على المهدي، فلم يرُدْ عليه وقال: يا معن أتجير علي؟ قال: نعم يا امير المؤمنين. قال: ونسَمُّ ايضاً؟

(١) رجل لسن وألسن فصيح، ويجمع ألسن على لسن كأحمر وحر (٣) فطن: جمع. فطن. كجون: جمع جون، وهذا جمع نادر (٣) مدينة السلام: هي بغداد، او قسم منها (٤) مجامع الثوب: ما احاط بالحبيب ويقال لها تلابيب (٥) طرفت العين: تحركت.

واشتد غضبه ، فقال معن : يا امير المؤمنين قتلت في طاعتكم باليمن في يوم واحدة خمسة عشر ألفاً ، ولي ايام كثيرة قد تقدم فيها بلاني وحسن غسنائي ، فما رأيتموني أهلاً ان تهبوا لي رجلاً واحداً استجار بي ؟ فأطرق المهدي طويلاً ثم رفع رأسه وقد سرّني^١ عنه فقال قد أجبرنا من أجبرت^٢ ، قال معن : فإن رأى امير المؤمنين ان يصله فيكون قد أحياه وأغناه ، فعلى ، قال : قد امرنا له بخمسة آلاف ، قال : يا امير المؤمنين إن صلوات الحلفاء على قدر جنبايات الرعية ، وإن ذنب الرجل عظيم ، فأجزل الصلة ، قال : قد أمرنا له بمائة ألف ، قال : فتعجلها يا امير المؤمنين بأفضل الدعاء ، ثم انصرف ولحقه المال ، فدعا الرجل وقال له : خذ صلتك والحق بأهلك وإيّاك ومخالفة خلفاء الله تعالى .

معن بن زائدة والأسود

روى مروان بن ابى حفصة عن معن بن زائدة انه قال : لما جد المنصور في طلبي ، وجعل لمن يحملني إليه مالا ، اضطررت لشيدة الطلب ان تعرّضت للشمس حتى لوحت^٣ وجهي ، وخففت عارضتي^٤ ، وليست جبّة صوف ، وركبت جملاً ، وخرجت متوجهاً إلى البادية لأقيم بها ، فلما خرجت من باب حرب ، وهو أحد ابواب بغداد ، تبسّعت أسود متقلد سيفاً ، حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض على يدي ، فقلت له : ما بك ؟ فقال : أنت طلبة امير المؤمنين ، فقلت : ومن أنا حتى أطلب ؟ فقال : انت معن بن زائدة ، فقلت له : يا هذا ، اتقى الله عز وجل ، وأين انسا من معن ؟ فقال : دع هذا ، فإني والله لأعرف بك منك ، فلما رأيت منه الجدة قلت له : هذا عبقد جوهر ، قد تحمّله معي بأضعاف ما جعله المنصور لمن يحسبه بي فخذه ولا تكن سبباً

(١) سرى عنه الهم : انكشف ، وقد يحذف المرفوع اكتفاء بالجار والمجرور .

(٢) لوحه العطش والسفر : غيره ولوحت وجهه الشمس : غير لونه (٣) العارضان جانبا الوجه ، وما يكون عليهما من اللحية (٤) الطلبة : الحاجة وما يطلب .

لِسِفْكَ دمي ، قال : هاته فأخرجته إليه ، فنظر إليه ساعة وقال صَدَقْتَ فِي قِيَمَتِهِ ، وَلَسْتُ قَابِلَهُ مِنْكَ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَقْتَنِي أَطْلَقْتُكَ ، فَقُلْتَ : قُلْ ، قَالَ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ وَصَفُوكَ بِالْجُودِ ، فَأَخْبِرْنِي هَلْ وَهَبْتَ مَالَكَ كُلَّهُ قَطْ؟ قُلْتَ : لَا ، قَالَ : فَانْصَفْهُ ؟ فَقُلْتَ : لَا ، قَالَ : فَتَمْلُثْهُ ؟ قُلْتَ : لَا ، حَتَّى بَلَغَ الْعَشْرَ ، فَاسْتَحْيَيْتِ وَقُلْتَ : أَظُنُّ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ هَذَا ، قَالَ : مَا ذَاكَ بِعَظِيمٍ ؛ أَنَا وَاللَّهِ رَاجِلٌ^١ وَرَزَقِي مِنْ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ كُلِّ شَهْرٍ عَشْرُونَ دِرْهَمًا وَهَذَا الْجَوْهَرُ قِيَمَتُهُ أَلُوفُ دَنَانِيرَ ، وَقَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَالْجُودُ الْكَافِرُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجُودُ مِنْكَ فَلَا تَعْجِيبُكَ نَفْسُكَ وَلَتَحْقِرَ بَعْدَ هَذَا كُلِّ جُودٍ فَعَلْتَهُ وَلَا تَتَوَقَّفَ عَنْ مَكْرَمَةٍ ، فَقُلْتَ : يَا هَذَا قَدْ وَاللَّهِ فَضَحْتَنِي وَلَسِفْكَ دمي عَلَيَّ أَهْوَنُ مِمَّا فَعَلْتَ ، فَخُذْ مَا دَفَعْتُهُ لَكَ فَإِنِّي غَنِيٌّ عَنْهُ ، فَضَحَكَ وَقَالَ : أَرَدْتُ أَنْ تَكْذِبَنِي فِي مَقَالِي هَذَا ، وَاللَّهِ لَا أَخَذْتَهُ وَلَا أَخَذْتُ لِمَعْرُوفٍ ثَمَنًا أَبَدًا ، وَمَضَى لِسَبِيلِهِ . فَوَاللَّهِ لَقَدْ طَلَبْتَهُ بَعْدَ أَنْ أَمْنَيْتُ ، وَبَذَلْتُ لِمَنْ يَحْيِي بِهِ مَا يَشَاءُ ، فَمَا عَرَفْتُ لَهُ خَبْرًا ، وَكَأَنَّ الْأَرْضَ ابْتَلَعَتْهُ .

معاوية والأعرابية

خَرَجَ مَعَاوِيَةُ مُسْتَنْزَهًا ، فَمَرَّ بِحَيَوَاءٍ^٢ ضَخْمٍ ، فَقَصَدَ قَصْدَ بَيْتٍ مِنْهُ ، فَإِذَا بِفَيَئَاتِهِ امْرَأَةً بَرْزَةَ^٣ ، فَمَالَ لَهَا : هَلْ مِنْ غَدَاءٍ ؟ قُلْتَ : نَسَعَمُ حَاضِرٌ ، قَالَ : وَمَا غَدَاؤُكَ ؟ قَالَتْ خُبْزٌ خَيْرٌ ، وَمَاءٌ تَمِيرُ ، وَحَيْسٌ^٤ ، فَطِيرٌ ، وَلَبَنٌ هَجِيرٌ^٥ ، فَنَسَنَى وَرَكَّهُ وَنَزَلَ ، فَلَمَّا تَغَدَّتْ قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ ؟ فَذَكَرَتْ حَاجَةَ أَهْلِ الْحَوَاءِ ، قَالَ : هَاتِ حَاجَتَكَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِكَ ، قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَنْزَلَ وَادِيًا^٦ فَيَرَفَّ أَوَّلُهُ وَيَقِفَّ آخِرُهُ^٧ .

(١) الرَّاجِلُ : غَيْرُ الرَّاكِبِ (٢) الْحَوَاءُ : كَكِتَابٍ : جَمَاعَةُ الْبُيُوتِ الْمُتَدَانِيَةِ

(٣) الْبَرْزَةُ مِنَ النِّسَاءِ : الْكَهْلَةُ الْجَلِيلَةُ تَبْرُزُ لِلْقَوْمِ وَتُحَدِّثُهُمْ مَعَ الْعِفَّةِ .

(٤) الْحَيْسُ : تَمْرٌ يَخْلُطُ بِسَمْنٍ وَلَبَنٍ مِمَّخُوضٍ (٥) الْهَجِيرُ : الْخَائِرُ مِنَ اللَّيْنِ .

(٦) رَفَّ النَّبَاتُ : اهْتَرَأَ (٧) قَفَّ النَّبَاتُ : يَبَسَ .

الأحنف بين يدي معاوية

وَقَدْ أَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ مَعَ أَهْلِ الْعِراقِ، فَخَرَجَ الْإِذْنُ فَقَالَ :
 إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْزِمُ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ إِلَّا لِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ قَالَ
 الْأَحْنَفُ : لَوْلَا عَزْمَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَأَخْبَرْتُهُ أَنْ دَافَتْهُ دَفْتُ ١ ، وَنَازَلَتْ نَزَلَتْ ،
 وَنَابَتُهُ نَبَتَتْ ، كُلُّهُمْ بِهِمْ حَاجَةٌ إِلَى مَعْرُوفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأَوْهُ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ :
 حَسْبُكَ يَا أَبَا بَجْرٍ فَقَدْ كَفَيْتَ الشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ .

الأحنف بين يدي عمر بن الخطاب

قَدِمَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ التَّسَمِيمِيَّ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَأَهْلِ
 الْكُوفَةِ ، فَتَكَلَّمُوا عِنْدَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَمَا يَنْبُوبُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَتَكَلَّمَ الْأَحْنَفُ
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ مِفْتَاحَ الْخَيْرِ بِيَدِ اللَّهِ ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ وَقُدْتُ أَهْلَ الْعِراقِ
 وَإِنْ إِخْوَانَنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ نَزَلُوا مَنَازِلَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ، وَالْمُلُوكِ
 الْجَبَابِرَةِ ، وَمَنَازِلَ كَسْرَى وَقَيْصَرَ وَبَنِي الْأَصْفَرِ ٢ ، فَهَمُّ مِنَ الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ وَالْجَنَانِ
 الْمُخْتَلِفَةِ فِي مِثْلِ حَوْلَاءِ السَّلَى ٣ وَحَدَقَةِ الْبَعِيرِ ، تَأْتِيهِمْ ثَمَارُهُمْ غَضَّةً ٤ لَمْ تَخْصُرْ ،
 وَإِنَّا أَنْزَلْنَا أَرْضًا طَرَفٌ فِي فَلَاةٍ ، وَطَرَفٌ فِي مِلْحٍ أَجَاجٍ جَانِبٌ مِنْهَا مَنَابِتُ
 الْقَصَبِ وَجَانِبٌ سَبَخَةٌ نَشَاشَةٌ ٥ لَا يَحِيفُ ثَرَاهَا وَلَا يَبْئُتُ مَرْعَاهَا ، يُخْرِجُ الرَّجُلُ
 الضَّعِيفُ مِنْهَا يَسْتَعِذُّ بِالْمَاءِ مِنْ قَرَسَخَيْنِ ٦ ، وَتُخْرِجُ الْمَرْأَةُ بِمِثْلِ ذَلِكَ تُرْتَقِ ٧ لَوْلَدِهَا
 تُرْتَقِ الْعَنْزُ ٨ ، تَخَافُ عَلَيْهِ الْعَدُوَّ وَالسَّبُعَ فَلَا تَرْفَعُ حَسِيصَتَنَا ، وَتَنْعَشُ ٩

(١) يقال : دفت دافة أي أتت فئة مهاجرة (٢) بنو الأصفر عند العرب : هم
 الروم (٣) السلى غلاف رقيق يكون فيه المولود ، والحولاء جلدة خضراء مملوءة
 ماء تخرج مع الولد وهذا يكونون به عن الخصب وكثرة الماء والخضرة (٤) قال في
 اللسان وفي حديث الأحنف نزلوا في مثل حدقة البعير أي نزلوا في خصب وشبهه بحدقة
 البعير لأنها رياء من الماء (٥) غضة : طرية (٦) ارض سبخة نشاشة لا يحيف ثراها
 ولا ينبت مرعاها (٧) رنق الماء صفا (٨) نعشه : رفعه كأنعشه ، والر كيسة الضعيفة .

رَكِيسَتَنَا وَتَجْبِرُ فَاقْتَنَا، وَتَرِدُ فِي عِيَالِنَا عِيَالًا، وَفِي رَجَالِنَا رَجَالًا، وَتَصْغُرُ دَرْمَنَا، وَتَكْبُرُ قَفِيزَنَا، وَتَأْمُرُ لَنَا بِحَفَرِ نَهْرٍ نَسْتَعِذُّ بِهِ مِنَ الْمَاءِ، وَلَا هَلَكْنَا، فَقَالَ عَمْرٌ: هَذَا وَاللَّهِ السَّيِّدُ هَذَا وَاللَّهِ السَّيِّدُ أَتَمَّ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنْ يَخْتَفِرَ لَهُمْ نَهْرًا.

أُسَيْدُ بْنُ عَنُقَاءَ - وَعَمِيلَةُ الْفَزَارِيِّ

كَانَ أُسَيْدُ بْنُ عَنُقَاءَ الْفَزَارِيُّ مِنْ أَكْبَرِ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَأَشَدَّهُمْ عَارِضَةً وَلِسَانًا، وَطَالَ عَمْرُهُ، وَنَكَبَتْهُ دَهْرُهُ، وَاخْتَلَسَتْ حَالُهُ، فَخَرَجَ عَشِيَّةً يَتَسَقَّلُ^(١) الْأَهْلَ، فَتَرَى بِهِ 'عَمِيلَةَ الْفَزَارِيِّ'، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ: يَا عَمُّ مَا أَصَارَكَ إِلَى مَا أَرَى؟ قَالَ: 'بُخْلٌ مِثْلِكَ بِمَا لِي، وَصَوْنٌ رَجْهِي عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ'، فَقَالَ: لَشِّ بَقِيتُ إِلَى غَدٍ لَأُغَيِّرَنَّ^(٢) مَا أَرَى مِنْ حَالِكَ، فَرَجَعَ ابْنُ عَنُقَاءَ إِلَى أَهْلِهِ، فَأَخْبَرَهَا بِمَا قَالَهُ 'عَمِيلَةُ'، فَقَالَتْ لَهُ: لَقَدْ غَرَّكَ كَلَامُ 'غُلَامٍ'، جَنَحَ ظِلَامٌ فَكَأَنَّمَا أَلْقَمَتْ^(٣) فَاهُ حَجَرًا، فَبَاتَ مُتَمَلِّيًا بَيْنَ رَجَاءٍ وَيَأْسٍ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ سَمِعَ رُغَاءَ الْإِبِلِ وَثَغَاءَ الشَّاةِ وَصَهِيلَ الْخَيْلِ وَجَلْبَ الْأَمْوَالِ^(٤)، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا 'عَمِيلَةُ' سَأَلَ إِلَيْكَ مَالَهُ، فَخَرَجَ ابْنُ عَنُقَاءَ لَهُ، فَتَقَسَّمَ 'عَمِيلَةُ' مَالَهُ شَطْرَيْنِ، وَسَاهَمَهُ^(٥) عَلَيْهِ، فَانشأ ابْنُ عَنُقَاءَ يَقُولُ:

رَأَيْتُ عَلَى مَا بِي 'عَمِيلَةَ' فَاشْتَكَيْ	إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرًا كَمَا جَبَهَرُ ^(٦)
دَعَانِي فَاسَانِي وَلَوْ ضَنْ لَمْ يُلَمَّ	عَلَى حِينٍ لَا بَدْوٌ يُرَخِّي وَلَا حَضَرُ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرٌ وَأَثْنَيْتُ فَعَمَلَهُ	وَأَوْفَاكَ مَا أَبْلَيْتُ مِنْ ذِمِّ أَوْشَكُرُ ^(٧)
وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتَعْبَرَتْ ثِيَابَهُ	تَرَدَّى رِدَاءً سَابِغَ الذَّلِيلِ وَاتَزَرَّ ^(٨)
غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مُقْبِلًا	لَهُ سَيْمِيَاءُ لَا تَشْقَى عَلَى الْبَصَرِ ^(٩)
إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ	ذَلِيلٌ بَلَا ذُلَّ وَلَوْ شَاءَ لَانْتَصَرَ ^(١٠)

(١) الْقَفِيزُ: مِكْيَالٌ (٢) تَبْقَلُ: خَرَجَ يَطْلُبُ الْبَقْلَ (٣) جَنَحَ اللَّيْلِ أَوْ الظَّلَامُ الطَّائِفَةُ مِنْهُ (٤) اللَّجْبُ: الْجَلْبَةُ وَالصِّيَاحُ وَاضْطِرَابُ مَوْجِ الْبَحْرِ (٥) سَاهَمَهُ: قَارَعَهُ أَيْ ضَرَبَ الْقَرْعَةَ (٦) تَزَرَّ مِنَ الْإِزَارِ - قُلْتُ الْهَمْزَةُ تَاءُ الْاِفْتِعَالِ - (٧) السَّيْمَا وَالسَّيَاءُ، وَالسَّيْمِيَاءُ وَالسَّيْمِيَاءُ: الْعَلَامَةُ يَقُولُ يَفْرَحُ بِهِ مِنْ يَرَاهُ لِلطُّفْ-حِيَاءِ (٨) الْعَوْرَاءُ، الْكَلِمَةُ الْقَبِيحَةُ، وَقَرَبَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُهُ:

يَصُمُّ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا ذَكَرْتُ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ غَائِبَ

(٢٧ - جَوَاهِرُ الْأَدَبِ ١)

الفضل وجعفر ابنا يحيى البرمكي

قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي ^١ : كانت أم جعفر بن يحيى تزور أمي وكانت لبيبة من النساء ، حازمة فصيحة برزة ، يعجبني أن أجدّها عند أمي فأستكثر من حديثها ، فقلت لها يوماً : يا أم جعفر : إن بعض الناس يفضل جعفر على الفضل ، وبعضهم يفضل الفضل على جعفر ، فأخبريني ، فقالت : ما زلنا نعرف الفضل للفضل ، فقلت : إن أكثر الناس على خلاف هذا ، فقالت : ها أناذّه 'أحدثك واقض أنت . وذلك الذي أردت منها ' ، فقالت : كان يوماً يلعبان في داري ، فدخل أبوهما فدعا بالفداء وأحضرهما ، فطعما معه ، ثم أنسهما بحديثه ، ثم قال لهما : أتلعبان بالشطرنج ؟ فقال جعفر وكان أحراًهما : نعم ! قال : فهل لا لعبت أخاك بها ؟ قال جعفر : لا . قال : فالعبا بها بين يدي لأرى لمن الغلب ؟ فقال جعفر : نعم ! وكان الفضل أبصر منه بها ، فجني ، بالشطرنج فصفت بينهما ، وأقبل عليها جعفر ، وأعرض عنها الفضل . فقال له أبوه : مالك ، لا تلعب أخاك ؟ فقال : لا أحب ذلك . فقال جعفر : إنه يرى أنه أعلم بها مني ، فيأنف من ملاعبي ، وأنا لأعبه بخاطرة . فقال الفضل : لا أفعل . فقال أبوه لأعبه وأنا معك . فقال جعفر : رصيت ، وأبى الفضل ، واستعفى أباه ، فأعفاه ، ثم قالت لي قد حدثتك فاقض ، فقلت : قد قضيت بالفضل للمضل على أخيه ، فقالت : لو علمت أنك لا تحسن القضاء لما حكمتك ، أفلا ترى أن جعفر قد سقط أربع سقطات تنزه الفضل عنهم ؟

فسقط حين اعترف على نفسه بأنه يلعب بالشطرنج ، وكان أبوه صاحب جد . وسقط في التزام ملاعبة أخيه وإظهار الشهوة لقلبه والتعرض لغضبته . وسقط في طلب المقامرة وإظهار الحرص على مال أخيه . ولرابعة قاصمة الظهر حين قال أبوه لأخيه لأعبه وأنا معك ، فقال أخوه لا .

(١) هو محمد بن غسان بن عبد الرحمن صاحب صلاة الكوفة .

وقال هو نعم ؟ فناصر صفّاً فيه ابوه وأخوه ؟ فقلت : أحسنت ، والله وإنك لأفنى من الشعبي ، ثم قلت لها : عزمت عليك أخبريني هل خفي مثل هذا على جعفر ؟ وقد فطن له أخوه ، فقالت : لولا العزيمة لما خبرتك إن أباهما لما خرج ، قلت للفضل « خالية به » : ما منعك من إدخال السرور على أبيك بملاعبة أخيك ؟ فقال : أمران ، أحدهما : لو أني لاعبته لغلبيته فأخجلته ، والثاني قول أبي لاعبه وأنا معك ؛ فما يسرني أن يكون أبي معي على أخي ، ثم خلوت بجعفر ، فقلت له : يسأل أبوك عن اللعب بالشطرنج فيصمت أخوك وتعترف ، وأبوك صاحب جد ؟ فقال : إني سمعت أبي يقول نعم كهو الببال المكدود ، وقد علم ما نلقاه من كد التعلم والتأديب ولم آمن أن يكون بلغه أننا نلعب بها ، ولا أن يُبادر فيُنكر ، فبادرت بالإقرار إشفاقاً على نفسي وعليه ، إن كان توبخ فديته من المواجهة به . فقلت له يا بني ، فلم تقول لأعبه مخاطرة ! كأنك تقامر أخاك وتسكثر ماله ، فقال : كلا . ولكنه يستحسن الدواة التي وهبها لي أمير المؤمنين فمرصتها عليه فأبى قبولها ، وطمعت أن يلعبني فأخاطره عليها ، وهو يغلبني فتطيب نفسه بأخذها ، فقلت لها : يا أماء ما كانت هذه الدواة ؟ فقالت : إن جعفر أدخل على أمير المؤمنين ، فرأى بين يديه دواة من العقيق الأحمر ، محللة بالياقوت الأزرق والأصفر ، فرآه ينظر إليها فوهبها له . فقلت : إبه . فقالت : ثم قلت لجعفر : هبك اعتذرت بما سمعت . فما عذرُك من الرضا بمناسبة أبيك حين قال لاعبه وأنا معك ؟ فقلت أنت : نعم ، وقال هو : لا ؟ فقال : عرفت أنه غالي ، ولو فتر لاعبه لتغالبت له ، مع ماله من الشرف والسرور بتحيته أبيه إليه . قال محمد بن عبد الرحمن : فقلت : بخ بخ ، هذه والله السيادة أتم قلت لها : يا أماء — أكان منهما من بلغ الحُلم ؟ فقالت : يا بني ، أين يذهب

(١) كده : أجهده وأتعبه .

(٢) يقال : يخ يخ — وبخ بخ : إعجاباً بالشيء وإظهاراً للسرور به

بك ! أخبرك عن صبيين يلعبان ، فتقول : « أكان منهما من بلغ الحُلُم » ؟ ! لقد كنا ننهى الصبي " إذا بلغ العشر ، وحضر من يُستَحى منه ، أن يبتسم .

براعة الرشيد في الأدب

دخل سهل بن هرون على الرشيد وهو يُضاحك المأمون فقال : اللهم زدّه من الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكونَ في كل يومٍ من أيامه مرّياً على أمسه ، مقصّراً عن غده .

فقال له الرشيد يا سهل ، مَنْ روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن الحديث أفصحّه وأوضحه ، إذا رام أن يقول لم يعجزه القول .

فقال سهل : يا امير المؤمنين ما ظننتُ ان احداً تهّدمني إلى هذا المعنى . قال

بل أعشى حمدان حيث يقول :

رأيتُك أمسٍ خير بني لؤيّ وأنت اليومَ خيرٌ منك أمسٍ
وأنت غداً تزيد الخيرَ ضعفاً كذاك تزيدُ سادةُ عبد شمسٍ

الواثق وابن أبي دؤاد

قال ابو العيناء : دخل ابنُ أبي دؤاد على الواثق فقال له : ما زال اليوم قومٌ في ثلبك ونقصيك . فقال : يا امير المؤمنين ، لكل امرئٍ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كِبَره منهم له عذابٌ عظيم ، والله وليُّ جزائه ، وعقابُ امير المؤمنين من ورائه ، وما ذاكُ يا امير المؤمنين من كنت ناصراً ، ولا ضاع من كنت حافِظه ، فماذا قلت لهم يا امير المؤمنين ؟ قال : قلت يا أبا عبد الله :

وسعى إلى بعيبٍ «عزة» معشرٌ جعل الإلهُ خدودهُن نِعالها

المنصور والربيع بن يونس^١

قال سعيد بن مسلم بن قتيبة دعا المنصور بالربيع فقال : سألني ما تريد ؟ فقد سكت حتى نطقت^٢ وخففت حتى ثقلت ، وأقلت حتى أكلثت . قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أرهب بخلك ، ولا أستصيرُ عمرَكَ ، ولا أستصغرُ فضلك ، ولا أغنمُ مالك ، وإن يومي بفضلك عليّ أحسن من أمسي ، وغدك في تأميلي أحسن من يومي ولو جاز أن يشكركَ مثلي بغير الخدمة والمناصحة لما سبقني في ذلك أحد .

قال : صدقت . علمي بهذا منك أحلك هذا المحس ، فسألني ما شئت ! قال : أسألك أن تقرّب عندك الفضل ، وتؤثره وتحبه قال : يا ربيع ، إن الحب ليس بمال يوهب ، ولا رتبة تبذل ، وإنما تؤكد الأسباب .

قال : فاجعل لي طريقاً إليه بالفضل عليه . قال : صدقت وقد وصلته بألف ألف درهم ، ولما أصيل بهذا أحداً غير مومتي لتعلم ما له عندي ، فيكون منه ما يستدعي به محبتي . وكيف سألت له المحبة يا ربيع ؟ قال : لأنها مفتاح كل خير ، ومفلاق كل شر ، تستقر بها عندك عيوبه وتصير حسنات دنوه . قال : صدقت ، وأتيت بما أردت .

الأعرابي السائل

وقف أعرابي يسأل ، فعبيث به فقي ، وقار : بمن أنت ؟ فقال الأعرابي : من بني عامر بن صعصعة قال من أيهم ؟

(١) الربيع بن يونس هو صاحب المنصور ، توفي سنة ١٧٠ هـ .
(٢) يقول : إنك أطلت السكوت فنبهت بذلك على نفسك ، فقام السكوت مقام الكلام ، وعلى هذا القياس ما بعده .

قال : إن كنت أردتَ عاطفة القرابة فليكنك هذا المقدارُ من المعرفة وليس مقامى بمقام مجادلة ولا مُفاخرة ، وأنا أقول : فإن لم أكن من هاماتهم ^١ فلست من أعجازهم .

فقال الفقى : ما رويت عن فضيلتك إلا النقص في حسبك .

فامتعض ^٢ الأعرابي لذلك ، فجعل الفقى يعتذر ، ويخلط الهزل والدُعابة ^٣ باعتذاره ، وأطال الكلام ، فقال له الأعرابي : يا هذا ! إنك منذ اليوم أدبتني بمزحك ، وقطعتني عن مسألتي بكلامك واعتذارك ، وبذلك لتكشف من جهلك بكلامك ما كان السكوت ^٤ يستره من أمرك ، ويحك ، إن الجاهل إن مزح أسخط وإن اعتذر أفرط ، وإن حدث أسقط ^٥ ، وإن قدر تسلط ، وإن عزم على أمر تورط ^٥ ، وإن جلس مجلس الوقار تبسط ^٦ ، أعوذ منك ومن حال اضطررتني إلى احتمال مثلك .

معاوية والأحنف بن قيس

لما عزم معاوية على البيعة ليزيد ، كتب إلى زياد أن يوجه إليه بوفد أهل العراق فبعث إليه بوفد البصرة والكوفة ، فتكلمت الخطباء في يزيد والأحنف ^١ ابن قيس ساكت ^٢ ، فلما فرغوا قال : قل يا أبا بحر فإن العيون إليك أشرع ^٣ منها إلى غيرك ، فقام الأحنف فحمده الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ﷺ ، ثم قال :

يا أمير المؤمنين، إنك أعلمنا بيزيد في ليلة ونهاره ، وإعلانه وإسراره، فإن

(١) الهامات : الرؤوس (٢) امتعض : تألم (٣) الدعابة : اللعب والمزاح
(٤) أسقط : أخطأ (٥) تورط في الأمر : وقع وارتبك (٦) تبسط : أكثر من القول وجانب الاحتشام (٧) أشرع : أرفع وأكثر نظراً .

كنتَ تعلمُ لله رضا ، فلا تُشاور فيه احداً ، ولا تُقيم له الخطباءَ والشعراء ، وإن كنتَ تعلم بعمده من الله ، فلا تُزوّدَه من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة فإنك تصير إلى يوم نفي^٤ المرء من أخيه ، وأُمّه وأبيه ، وصاحبتيه وبذيه . فكأنه أفرغ على معاوية ذنوب^٥ ماءً بارد .

فقال له : أقعد يا أبا بجر ، فإن خيرة الله تجري ، وقصاه يضي ، وأحكامه تنفذ ، ولا مُعقّب لحكمه ، ولا رادّ لقضائه ، وإن « يزيد » فتى بلوثاه ولم نجد في قريش فتى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه .
فقال : يا امير المؤمنين . أنت تحكي عن شاهد ، ونحن نتكلم عن غائب وإذا أراد الله شيئاً كان .

الحجاج ورسول المهلب

يُروى أن المهلب^٣ لما فرغ من امر عبد ربّه الحروري^٤ ، دعا بشر بن مالك ، فأنفذه بالبشارة إلى الحجاج ، فلما دخل على الحجاج قال : ما اسمك ؟ قال : بشر بن مالك ، فقال الحجاج : بشارة^٥ ومُلك ، كيف خلقت المهلب ؟ قال خلّفته وقد آمن ما خاف ، وأدرك ما طلب ، قال : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كانت البداة لهم ، والعاقبة لنا . قال الحجاج : العاقبة للمتقين ، فما حال الجُند ؟ قال : وسّعهم الحق وأغناهم النفر^٦ ، وإنهم لمع رجل يسوسهم بسياسة الملوك ويقاتل

(١) الذنوب : الدلو الملقى ، جمعه أذنبة وذنائب (٢) اي لا راد لقضائه
(٣) هو المهلب بن ابي صفرة الأزدي . كان شجاعاً مهيئاً وقائداً من اكبر قواد الجيوش في الدولة الأموية ، وهو الذي شنت الخوارج ومزقهم كل ممزق . ويقال للبصرة بصرة المهلب لأنه حماها من الخوارج توفي ٨٣ (٤) الحروري نسبة إلى حروراء على غير القياس وهي بلدة بقرب الكوفة ، والحرورية : فرقة من الخوارج كالأزارقة (٥) كذا في زهر الآداب ، وفي تاريخ ابن خلكان ان اسم الرسول مالك بن بشير (٦) النفل : الغنيمة وجمعه أنفال .

هم قتال الصُّعْلُوك، فلهم منه برّ الوالد، وله منهم طاعة الولد، قال: فما حال ولد المهلب؟ قال: رُعاة البساتن حتى يأمنوا، وُحمة السرح^١ حتى يرُدُّوه، قال: فأيهم أفضل؟ قال: ذلك إلى أبيهم، قال: وأنت أيضاً، فإني رى لك لساناً وعبرة، قال: هم كالحلقة المفرغة^٢ لا يُدرى أين طرفاها، قال: ويحك!! أكنت أعددت لهذا المقام هذا المفال؟ قل: لا يعلم الغيب إلا الله، فقال الحجاج لجلسائه هذا - والله - الكلام المطبوع، لا الكلام المصنوع.

حديث معاوية وليلى^٣ الأخيلية

قال بعض الرُّواة: بيتا معاوية يسير إذ رأى راكباً فقال لبعض شُرطته اثنتي به وإياك أن ترّعه. فأثاه فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال إياه أردت، فلما دنا الراكب حذرَ لثامه، فإذا ليلي الأخيلية. فأنشأت تقول:

مُعاوِيَ لم أكد آتيتك تهوي برحلي نحو ساحتك الرّكاب^٤
تجوب الأرض نحوك ما تأنى إذا ما الأكفم قنعها السراب^٥
وكنت ارتجى وبك استعازت لتنعشها إذا بجحل السحاب^٦

فقال: ما حاجتك؟ قالت: ليس مثلي يطلب إلى مثلك حاجة، فتخير أنت أعلى عيناً، فأعطاها خمسين من الإبل، ثم قال: أخبريني عن مضر، قالت: فآخر مضر، وحارب بقريس، وكاثرتهم، وناظر بأسد.

فقال: ويحك يا ليلي؟ أكلما يقول ناس كان توبة؟ قالت: يا أمير المؤمنين

(١) السرح: الماشية في المرعى (٢) الحلقة المفرغة: المصوبة قطعة واحدة؛ وهذه الجملة مثل: لا امرأة عربية (٣) ليلي الأخيلية: أشعر امرأة عربية بعد الحنفاء (٤) الآم: واحدة أكمة - وسكنت الكاف للوزن - تقول: إن ركبها تجول في الأرض قاصدة معاوية، ولا تتأبى عند اشتداد الحر إذ تنطفي الآكام بالسراب (٥) مضر: أصل لقيس وقيم وأسد. تقول: إن مضر ذات مجد عظيم وقيس أهل البسالة والإقدام وقيم ذور الكثرة والعدد وأسد أهل الحجة واللد.

ليس كلُّ الناس يقولُ حقاً، الناس شَجَرَةٌ بغِي يُحْسِنُونَ النعم حيث كانت وعلى من كانت ، كان يا أمير المؤمنين : سبط البنان ، حديد اللسان ، شجى الأقران ، كريم الخبر ، عفيف المثرر ، جميل المنظر ، وكان كما قلت ، ولم أبعُدْ عن الحق فيه :

بعيدَ المدى لا يبلُغُ القَرْمُ غورَه " ألدُّ مَلَدٌ يغلبُ الحق باطله ' فقال معاوية : ويحك يا لبلى ! يزعم الناس أنه كان عاهراً فاجراً. فقالت من ساعتهما مرتجلة :

معاذ النشهى قد كان والله توبة	جواداً على العلات جتاً نوافله
أغرّ خفاجياً يرى البخل سبّة	تحالف كفاه الندى وأنا ملة
عفيفاً بعيد لهم صلباً قد تله	جيلة محيّا قليباً غوائله
وكان إذا ما الضيف أرغى بعيره	لديه تاه نيله وفواضله
وقد علم الحدب الذي كان سارياً	على الضيف والجيران أنك قاتله
وأنتك رَحْبُ الباع يا توب بالقرى	إذا ما لثم الأوم ضاقت منازل
يبيت قرير العين من كان جاره	ويُضحى بخير ضيفه ومنازله

فقال لها معاوية وَيَحْكُ يا لبلى ! لقد جُزّت بتوبة قدره ، فقالت : يا أمير المؤمنين، والله لو رأيته وخبرته لعلمت أني مُقَصَّرة في نعمته، لا أبلغ كنه ما هو له أهل ، فقال لها معاوية : في أي سن كان توبة ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين : أتته المنايا حين تمّ تمامه وأقصر عنه كل قرن يُناضله وصار كَلَيْتِ الغاب يحمي عرينه فترضى به أشباله وحلائله

-
- (١) القرم السيد ، والألد : الشديد الخصومة ، والملد مبالغة في الألد تقول : لا يدرك غوره مع شدة عارضة تجعل باطله يغلب الحق .
- (٢) على العلات : أي على كل حال . والوافل العطايا .
- (٣) الغوائل : الدواهي : وفلان قليل الغوائل . أي ليس فيه ما يعيبه العشير .

عطوفٌ حلِيمٌ حين يُطلب حِلْمُهُ وَسُمُّ زُعَافٌ لا تصاب مقاتلُهُ
فأمر لها بجائزة ، وقال : أيّ ! ما قلت فيه أشعر .
قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلت شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر
ولقد أجدتُ حيث أقول :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه فقي من عقيل ساد غير مكلف
فقي كانت الدنيا تهون بأسرها عليه فلم ينفلك جهم التصرف
ينال عليّات الأمور بهوناً إذا هي أعيت كل خير قيسوف

الحارث^٢ بن عوف المري ومصاهرته أوس^٣ بن حارثة الطائي

يروي أن الحارث بن عوف المري قال يوماً لخارجة بن سنان المري .
أتاني أخطب إلى أحد فيردني ؟ قال : نعم ، قال : ومن ذاك ؟ قال : أوس بن
حارثة بن لأم الطائي . فقال الحارث لغلّامه ارحل بنا . ففعل . فركبا حتى
أتيا أوساً فلما رأى الحارث بن عوف قال : مرحباً بك يا حارث ، قال وبك . قال :
ما جاء بك ا قال : جئتك خاطبياً ، قال : لستُ هناك ، فانصرف ولم يكلمه .
ودخل أوس على امرأته مغضباً - وكانت من بني عبس - فقالت : من

(١) الهونة : التؤدة والخرق ، الفقي الحسن الكريم السجّايا والمسوف : من
يصنع ما شاء لا يردّه أحد .

(٢) هو أحد عظماء ذبيان ومرة : بطن من ذبيان . والحارث أحد السيدين
اللذان سعيّا في الصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء التي دامت نحو
اربعين سنة وقد احتملا في مالها خاصة غرامة تلك الحرب .

(٣) هو سيد طيء في زمانه ، وفيه يقول الشاعر :
إلى أوس بن حارثة بن لأم ليقضي حاجتي فيمن قضاها
فناوطني الحصام مثل ابن سعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها
(٤) اي لست كفواً (٥) عبس وذبيان أبناء عم .

الرجل الذي وقف عليك فلم يُطيل ولم تكلمه ؟ قال ذلك سيد العرب الحارث ابن عوف المُرِّي ، قالت فما لك لا تستنزله ؟ قال : إنه استنحمتي^١ ، قالت : وكيف ؟ قال : جاءني خاطباً ، قالت : أوتريد ان تزوج بناتك ؟ قال : نعم ، قالت فإذا لم تزوج سيد العرب ، فمن ؟ قال : قد كـ ذلك ، قالت : فتدارك ما كان منك ، قال : بماذا ؟ قالت : تلحقه فتدّه ؟ قال : وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه ؟ قالت ، تقول له : إنك لقييتني مقتضياً^٢ بأمر لم يتقدم مني فيه قول ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت ، فنصرف ولك عندي كل ما أحببت ! فإنه سيفعل^٣ ، فركب في أثرهما ، قال خارجة بن سنان : فوالله إني لأسير^٤ إذ حانت مني التفاتة ، فرأيت فاقبلت على الحارث وما يكلمني غمّاً ، فقلت له : هذا أوس بن حارثة في أثرنا قال وما نصنع به ؟ امض ، فلما رأنا لا نقف عليه ، صاح ، يا حارث أربع^٥ على ساعة ، فوقفنا له ، فكلمنا بذلك الكلام ، فرجع مسروراً .

فبلغني أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته ، ادعي لي فلانة - لا كبر بنات فاتته ، فقال : يا بُنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردت ان أزوجه منك ، فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل ، قال : ولِمَ ؟ قالت : لأني امرأة في وجهي ردة^٦ ، وفي خلقي بعض المهدة^٧ ، ولست بأبنة عمه فيرعى رحمي ، وليس يجارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيُطلقني ، فيكون عليّ في ذلك ما فيه ، قال : قومي بارك الله عليك ادعي لي فلانة ، لا بنته الوسطى ، فدعتها ثم قال لها مثل قوله لأختها فأجابته بمثل جوابها وقالت : إني خرقاء^٨ وليست بيندي صناعة^٩ ، ولا آمن أن يرى

(١) استنحمت ، فعل فعمل الحمى (٢) الاقتضاب ، المفاجأة (٣) ربح عليه :

وقف أو مال إليه (٤) يقال في وجه ردة ، أي قبح مع شيء من الجمال

(٥) المهدة ، الضعف (٦) الخرقاء ، التي لا تحسن صنعة .

مني ما يكره فيُطلقني ، فيكون عليّ في ذلك ما تعلم ، وليس بابن عمي فيرعني
حقّي ولا جارك في بلدك فيستحييك ، قال : قومي بارك الله عليك ، ادّعي لي
« هَيْسَة » - يعني الصغرى - فأَتى بها ، فقال لها كما قال لها ، فقالت : أنت
وذلك ، فقال لها : قد عرضت ذلك على أُخْتَيْكِ فأبتاه ، فقالت - ولم يذكر لها
مقاتلتيهما : لكنني والله الجليّة وجهاً ، الصنّاع^١ يداً ، الرفيعة خلقاً ، الحسينية
أباً ، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير ، فقال : بارك الله عليك .

قال خارجة ، ثم خرج البنا فقال : قد زوجتك يا حارث « هَيْسَة » بنت
أوس قال : قبلت ، ثم أمر أمّها ان تهيتها ، وتصلح من شأنها ، ثم أمر ببيت
فَضْرِب^٢ له ، وأنزله إياه ، فلما هُيئت بعث بها اليه ، فلم يلبث عندها لا هُنَيْهَة^٣
ثم خرج إلي ، فقلت : بنيت بأهلك ؟ قال : لا والله ، فأني لما دنوت منها
قالت : مَهْ أَعِنْدَ أَبِي وَإِخْوَتِي؟ هذا والله ما لا يكون ، قال خارجة : ثم ارتحلنا
بها فسيرنا ما شاء الله ثم انتحى بها ناحية^٤ ، ولم يلبث ان عاد إلي ، فقلت :
أَبْنَيْتَ بأهلك ؟ قال : لا والله فقد قالت أكلما يفعل «لأمة الجليّة» ؟ - والسبيّة
الأخيذة^٥ ؟ لا والله حتى ينحر الجزر ، وتذبح الغنم ، وتدعو العرب وتعمل ما
يُعمل لمثلي ، قلت : والله إني لأرى همة وعقلاً ، وارجو ان تكون المرة مُنْجَة
إن شاء الله ، فحلنا حتى قدمنا وأحبسَ الإبل والغنم ، ثم خلا بها ولم يذشب
أن خرج فقلت : أبْنَيْتَ بأهلك ؟ قال : لا - فبدأت قلت لها احضرنَا من المال ما
قد تريدين ، فقالت : والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك . قلت :
وكيف ؟ قالت : أتفرغ للذباء والعرب يقتل بعضها بعضاً ؟ - وذلك في أيام
حرب عَبَسَ وذبيان - قلت : فماذا تريدين ؟ قالت : اخرج الى هؤلاء القوم

-
- (١) امرأة صنّاع ، حاذقة في الصنّاعة (٢) ضرب : أقيم ، وبني له بيت
(٣) الهنينة : الزمن اليسير (٤) الجليّة ، المجلوبة
(٥) الأخيذة ، المأخوذة .

فأصلح بينهم ، ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ، قال خارجة ، فقلت : والله
إني لأرى همة وعقلا ، قال : «أخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما
بينهم بالصُّلح ، فاصطلحوا وحملنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير في
ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجل الذكر^١

ولو كان النساء - كمثل هذي - لفُضِّلَت النساء على الرجال

سودة بنت عمارة ومعاوية

قال عامر الشعبي : وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية على معاوية
ابن أبي سفيان ، فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال لها :
كيف أنت يا ابنة الأشر؟ قالت بخير يا امير المؤمنين ، قال لها أنت القائلة لأخيك
شمر لفعل أبيك يا بن عمارة يوم الطَّعْمان ومُلِّتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند^٢ وابنها بهوان
إبْنُ الإمام أخا النبي محمد عَلمُ الهدى ومنارة الإيمان
فستقيد الجيوش وسر أمام لوائه قُدماً بأبيض صارم وسانن

قالت يا امير المؤمنين مات الرأس وبُتِر الذنْب ، فدَع عنك تذكّارَ ما قد
نسي ، قال : هيهات ، ليس مثل مقام أخيك نسي ، قالت : صدقت ، والله يا
امير المؤمنين ، ما كان اخي خفي المقلم ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :
وإن صَخْرًا لتأتَمَّ الهداة به كأنه عَلمٌ في رأسه نارُ
وبالله أسألك يا امير المؤمنين إعفائي عما استعفيتَه ، قال : فعلت ، فقولي
حاجتك ، قالت :

(١) وقد خلد زهير هذا الذكر الجميل في معلقته اذ يقول من ابيات كثيرة :

يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما تمانوا ودقوا بينهم عطر منشم
(٢) هند : هي أم معاوية .

يا أمير المؤمنين، إنك للناس سيد ، ولأمورهم مُقَلِّدٌ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويَبْسُطُ بسلطانك ، فيحصدنا حصاد السَّيْبِلِ ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الحسيه^١ ، ويسألنا الجليله ، هذا ابن أوطاة ، قديم بلادي ، وقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولولا الطاعة ، لكان فينا عزاً ومنعة^٢ ، فإما عزلته فشكرناك ، وإما لا فعفرناك ، فقال معاوية : أإياي تُهددين بقومك ؟ والله لقد هدمت أن أرُذِّك اليه على قَتَبِ أُمَرس^٣ فينفذ حكمه فيك ، فسكتت ، ثم قالت :

صلى الإله على روح تَضَمَّنَه قبرٌ فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا ينبغي به ثناء فصار بالحق والإيمان مقسرونا

قال : ومن ذلك؟ قالت: عليّ بن أبي طالب، قال : ما أرى عليك منه أثراً، قالت : بلى ، أتيت يوماً في رجل ولاه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين ، فوجدته قائماً يُصلي فانقتل^٤ عن الصلاة ثم قال برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ثم رفع يديه الى السماء وقال : اللهم اني لم أمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب، فكتب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم « قد جاءكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيلَ والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، بَقِيَّةُ الله خير لكم إن كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ » إذا أتاك كتابي هذا فاحفظه بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام فعز له يا أمير المؤمنين ما خزمه بخزام ولا ختمه بختم ، فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها، فقالت : أليّ خاصة أم لقومي عامة ؟ قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : هي والله إذن

(١) سامه الأمر : كلفه إياه . تقول : يحشمنا دنايا الأمور .

(٢) القب : الرجل الصغير ، والأُمَرس : الحشن الغليظ .

(٣) انقتل ، انصف ، .

الفحشاء واللؤم ، إن كان عدلاً فشاملاً ، وإلا يسمني ما يسمع قومي ، قال :
هيهات ، لم تظكم ، ابن أبي طالب الجرأة ، وغرّكم قوله :

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام
وقوله :

ناديت همدان والأبواب مغلقة وشن همدان سنى فتحة الباب
كالهمداني لم تغفل مضاربه وجّه جميل وقلب غير وجّاب
اكتبوا لها بحاجتها .

أم سنان بنت جشمة ومعاوية

قال سعيد بن أبي حذافة . حبس مروان وهو والي المدينة غلاماً من
بني ليث في جناية جناها ، فأنته جدة الغلام ، وهي أم سنان بنت جشمة
المدحجية فكلمته في الغلام ، فأغلظ مروان لها ، فخرجت الى معاوية فدخلت
عليه فانتسبت فعرفها فقل مرحباً بابنة جشمة ، ما أقدمك أرضنا ، وقد عهدتلك
تشتميننا وتحضين علينا عدونا ؟ قالت : إن ليبي عبد مناف أخلاقاً طاهرة ،
وأحلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد
عفو ، وإن أولى الناس باتباع من سنّ أبأوه لأنت ، قال : صدقت ، نحن كذلك ،
فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد والليل يُصدر بالهموم ويورد
يا آل مدحج لا مقام فشعروا إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا علي كاهلال تحفّ وسط السماء من الكواكب أسمع
خير الخلايف وابن عم محمد إن يهدكم بالور منه تهتدوا
ما زال مد شهد الحروب مظفراً والنصر دون لوائه ما يهقد

قالت . كان ذلك يا أمير المؤمنين - وأرجو أن تكون لنا خلفاً . فقال رجل من 'جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ؟ وهي القائلة .

إما هلكت أبا الحسين فلم تزلُ بالحق تُعرَف هادياً مَهدياً
فأذهب عليك صلاة ربك ما دعت فوق الغُصون حَمَامَةً قَرِيّاً
قد كنت بعد محمد خلفاً كما أوصى إليك بنا فكنت وفيها
واليوم لا خلف يُؤمل بعده هيهات نأمل بعده إنسيّاً

قالت : يا أمير المؤمنين لسان فطن ، وقول صدق ، ولئن تحقق ما ظننا
فحظتكَ الأوفر ، والله ما ورثك الشنآن في قلوب المسلمين إلا هؤلاء ، فأدحِض
مقاتلتهم ، وأبعد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً . ومن المؤمنين
حبّاً ، قال : وإنك لتقولين ذلك ، قالت : سبحان الله ! والله ما مثلك مدح
بباطل ولا اعتذار إليه بكذب ، وإبك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا

شكراً لربي الذي أعانني على طبع الجزء الأول ويليه الجزء الثاني
وأوله : « الفن السابع في التاريخ »

بحر الألف

أدبيات وإنشاء لغة العرب

تأليف
المرحوم السيد أحمد الهاشمي

الجزء الثاني

منشورات
مؤسسة المعارف
بمكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن السابع في تاريخ أدب اللغة العربية

وفيه مقدمات عشر

المقدمة الأولى في التاريخ

التاريخ : هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم ، وسياستهم ، واعتقاداتهم ، وأديبهم ، ولغتهم .
والأدب : (كل رياضة محدودة يَتَخَرَّجُ بها الإنسان في فضيلة من الفضائل)
وهذه الرياضة كما تكون بالفعل ، وحسن النظر ، والمحاكاة ، تكون أيضاً بمزاولة الأقوال الحكيمية التي تَضُمَّنُها لغة أي أمة .
واللغة : ألفاظٌ يُعَبَّرُ بها كل قوم عن أغراضهم ، وهي من الأوضاع البشرية .
وأدب ' لغة أي أمة : هو ما أودع شعرها ونثرها من نتائج عقول أبنائها
وصور أخلاقتهم وطباعهم . مما شأنه أن يهذب النفس ، ويثقف العقل ، ويؤثِّم
اللسان .

وتاريخ أدب اللغة : هو العلم الباحث عن أحوال اللغة ، نثرها ونظمها في
عصورها المختلفة من حيث رفعتها وضعفها ، وعما كان لها من التأثير البين فيها .
واللغة العربية إحدى اللغات السامية ، وهي لغة أمة العرب القديمة العهد
الشائعة الذكر ، التي كانت تسكن الجزيرة المسمومة إليها في الطرف الغربي من آسيا .
وهذه الأمة : منها القدماء ، وهم الذين يسكنون تلك الجزيرة ، وينطقون
باللغة العربية سليقة وطبعاً ، وهم ثلاث طبقات :

أولها : العرب البائدة ، وهؤلاء لم يصل إلينا شيء صحيح عن أخبارهم
إلا ما قصه الله علينا في القرآن الكريم ، وإلا ما جاء في الحديث النبوي ، ومن
أشهر قبائلهم : طسم ، وجديس ، وعاد ، وثمود ، وعيليق ، وعبد ضحخم .

وثانيتهما - العرب العاربة : وهم بنو قحطان الذين اختاروا اليمن منازل لهم ومن أمهات قبائلهم : كهلان وحمير .

وثالثتها - العرب المستعربة : وهم بنو إسماعيل الطارئون على القحطانيين والممتزجون بهم لغة ونسباً ، والمعروفون بعدُ بالعَدَنانيين ، ومن أمهات قبائلهم ربيعة ، ومُضَرُّ ، وإياد ، ونزار .

ومنها المحدثون : وهم سلاسل هؤلاء الأقوام الممتزجون بسلاسل غيرهم والمنتشرون بعد الإسلام في بقاع الأرض من المحيط الأخضر (الأطلسي) إلى ما وراء بحر فارس ودجلة ؛ ومن أعالي النهرين إلى ما وراء جاوه وسومطرة .

المقدمة الثانية في توضيح بعض ما في المقدمة الأولى

اعلم أنه يوجد في الجنوب الغربي من آسيا إقليم واسع الأرجاء ، تبلغ مساحته رُبْعَ أوربا تقريباً ، تساهل الأقدمون فسمّوه « جزيرة العرب » ، مع أن الماء لم يحيط به من جميع جهاته .

يتألف غربي هذا الإقليم من جزأين شهيرين : الحجاز شمالاً ، واليمن جنوباً ، أما الحجاز فقطر فير ، قلت مياهه ، وأجدبت أرضه ، واشتدت حرارته ، يعتمد أهله على الأودية القليلة ، والآبار الشحيحة ، لم يستطيعوا أن ينتفعوا كثيراً بالماء الذي ينزل من السماء ، لأنهم لم يبلغوا من الفنون مبلغاً يمكنهم من اختزانه واستخدامه عند الحاجة إليه ، وأشهر مدنه مكة والمدينة والطائف .

وأما اليمن فقد اشتهر قديماً بالغنى والخصب والحضارة ، كثرت أمطاره وسيوله وعرف أهله بما أوتوا من فن أن ينتفعوا بها ، فأنشأوا السدود يسيطرون بها على الماء جمعاً وتصريفاً ؛ وأشهر مدنه صنعاء ، وجران ، وعدن .

وهذان القطران ، أعني - الحجاز واليمن - أبعد البلاد أثراً في حياة العرب وفي تاريخهم السياسي ، والاقتصادي ، والأدبي .

وإذا وقع نظرك على (مصور) جزيرة العرب فأبَيِّنْ ما ترى فيها وأبعده مدَى صَحْرَاوُها في داخلها. وهي متنوعة في طبيعتها، فسهلة لينة حيناً، وصلبة انتثرت فيها الحصباء حيناً ، ومفروشة بحجارة سوداء تسمى الحرار حيناً. وهذه الصحراء في جملتها قفر ، تسطع الشمس عليها في الحر فتلفح أرضها وأهلها ، ويعتمد ساكنوها على ما تُثَبِّتُه البِقَاع عَقِيب المطر فترعاه إبِلهم وشياهم ؛ وهم يأكلون من لحومها ، ويشربون من ألبانها ، ويلبسون من أصوافها وأوبارها .

المقدمة الثالثة في نسب سكان جزيرة العرب

اعتاد النسابون أن يفسّموا الشعوب إلى أجناس ، ويُسمّوا كل جنس باسم خاص يجمعها؛ فاعتادوا أن يُسمّوا الجنس الذي منه العرب (الجنس السامي) نسبة إلى (سام بن نوح) عليه السلام ، وعدّوا من هذا الجنس البابليين والآشوريين والعبانيين والفينيقيين والآرميين والحبشيين . ولكن هذا كله لا يزال موضع خلاف بين علماء الأنساب ؛ كما اختلفوا في ان أصل (الجنس السامي) نشأ في آسيا (في جزيرة العرب أو أرمينية أو على شاطئ الفرات أو نشأ في إفريقية ثم نزح منها إلى آسيا .

ومن قديم وهؤلاء العرب يُنقسمون إلى عرب الشمال (الحجازيين) وعرب الجنوب (اليانين) ويذكر النسابون أن عرب الشمال يرجعون في نسبهم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليها السلام ، ويُسمون النزاريين نسبة إلى نزار من نسل إسماعيل وعرب الجنوب من نسل قحطان ، ويسمون اليانين أو القحطانيين ، وبين هذين النوعين من العرب فروق ترجع في جملتها إلى أن عرب الحجاز تغلب عليهم عيشة البداوة ، وعرب اليمن يعيشون عيشة حضارة .

ولسنا نقصد أن عرب الشمال كانوا يسكنون الحجاز فحسب ، وعرب الجنوب كانوا يسكنون اليمن ولا يتعدونها، بل نعي أن كلا من الحجازيين واليانين عنصر

يختلف في نسبته ودمه عن العنصر الآخر، ولكن كانت بين العنصرين صلات،
وَرَحَلَ قوم من كل فريق إلى موطن الآخر لأسباب يطول ذكرها، فكان في
الحجاز عرب من اليمن وكان في اليمن عرب من الحجاز .
وكل من اليمانيين والحجازيين ينقسمون إلى قبائل .
فاليمانيون : يتفرعون إلى فرعين كبيرين : شعب كهلان وشعب حمير
فشعب كهلان : أشهر قبائله طيبي، وهمدان، ولخم، وكيندة .
وشعب حمير : أشهر قبائله قضاة، وتذوخ، وكتب .
والحجازيون : كذلك ينقسمون إلى قسمين كبيرين : ربعة، ومضمر
فشعب ربعة، أشهر قبائله : بكر وتغلب .
وشعب مضمر، أشهر قبائله : قيس، وتميم، وهذيل، وكنانة، وقريش،
وكل قبيلة من هذه القبائل تنقسم إلى بطون وأفخاذ يطول عدّها، وكان بين هذه
القبائل حتى ما كان منها من أصل واحد - من الحروب، والمنازعات، والتهاجي
ما ملئت به كتب التاريخ والآداب .

المقدمة الرابعة في اللغة العربية

وإذ قد ذكرنا قبل أن العرب والبرانيين ومن إليهم يُعدّون (ساميين)
فبلغاتهم التي يتكلمون بها تسمى (لغات سامية) فاللغة العربية إحدى اللغات
السامية وقد عرفت على النحو الذي نعلمه، حول آخر القرن الخامس للميلاد .
ويذهب الباحثون في علم المقارنة بين اللغات إلى أن اللغة العربية من أقرب
اللغات إلى اللغة الأصلية التي تفرعت منها اللغات السامية، نظراً لاحتباس العرب
في بلادهم وقلة النازحين منها والوافدين إليها، وصعف العلاقة بين أهلها وغيرهم
من الأمم .

وكما انقسم العرب إلى حجازيين ويمانيين انقسمت لغتهم إلى مضمرية، وحميرية
وكانت هناك فروق بين اللغتين عظيمة في الألفاظ اللغوية، وفي الصيغ، وفي

التراكيب ، وفي اللهجات ؛ ولكن حدث 'قبيل الإسلام أن أخذت لغة الحجاز وبعبارة أدق (لغة قريش) ، تسود وما زالت كذلك حتى ظفرت باللغة الحميرية ، وحتى صارت (لغة قريش) هي لغة جزيرة العرب جميعها . وقد دعا إلى هذه الظاهرة أسباب سياسية ، وديلية ، واقتصادية — ستأتي الإشارة إليها بعد .

المقدمة الخامسة في تاريخ الأمة العربية

ليس تاريخ الأمة العربية قبل الإسلام معروفاً محققاً ، لأن أكثر الأمّة كانوا أهل بدو ولم تمكنهم بداوتهم من أن يدوّنوا تاريخهم ، أو ينقشوا حوادثهم حتى أن الذين تحضروا منهم كالإمانيين والحميريين لم يعثر الباحثون إلا على القليل من نقوشهم وآثارهم ، وإنما يعتمدون الذين يؤرخون للعرب قبل الإسلام على هذا القليل من الآثار ، وعلى ما كتبه أهل عصرهم من الأمم الأخرى كالليونان والرومان والمصريين ، والعبريين ، والحبشيين ، وعلى ما يستنبطون من بعض نصوص أدبية . ولنقصر الآن كلامنا على حالة العرب 'قبيل الإسلام ، فإن اللغة العربية التي نعني بآدابها وتاريخها إنما عرفت في هذا العصر .

هذا العصر سمّاه القرآن الكريم (الجاهلية) ونسبنا إليه فقلنا : العصر الجاهلي ، والأدب الجاهلي ؛ وقد يكون اشتقاق هذا الاسم من الجهل وهو ضد العلم لما كان يغلب فيه من السفه والفخر والأنساب والإمعان في سفك الدماء والعصبية الحادة ونحو ذلك مما كرهه الإسلام ونفر منه ، وقد نُقل إلينا كثير مما يدل على حالة هذا العصر الاجتماعية والسياسية من شعر وأمثال وقصص . ولكنها كلها لم تدوّن في الكتب إلا في القرن الثاني والثالث للهجرة ، فكانت بعضها ميثاقاً لناقدين وأخذ العلماء والأدباء من قديم يمحّصونها ويصنّفونها بعضها ويكذبون بعضها ، ولكن يجانب ذلك ورّد كثير من آيات القرآن الكريم وصحيح الحديث يروي لنا الشيء الكثير عن هذه الحياة الجاهلية ، ويكشف

لنا من غموضها

يدلنا ما صحّ من تاريخهم على أنه قد أنشئ على تخوم جزيرة العرب الشمالية إمارتان كبيرتان : إمارة الحيرة في العراق بجوار الفرس ، وإمارة الفساسنة في الشام بجوار الرومان ؛ وكان يحكم هاتين الإمارتين أمراء من العرب يتبعون في نظامهم نظام الدول المجاورة لهم . فإمارة الحيرة تتبع في كثير من شئونها نظام الفرس وإمارة الفساسنة تتبع في كثير من شئونها نظام الرومان .

وكان سكان هاتين الإمارتين وسكان اليمن في الجنوب يعيشون عيشة حضارة يزرعون ويصنعون ، وكثير من ساداتهم مثقفون ، وقد روي لنا الكثير عن ترف أمراء الفساسنة في الشام ، وعن حضارة الحيريين ، وما كان لهم من خورنق وسدير .

أما داخل الجزيرة والحجاز، إذا أنت استثنيت بعض سكان المدن المشهورة — كمكة ويثرب والطائف — فكانوا أهل بدو وحتقرون الزراعة والصناعة والتجارة ويعتمدون في معيشتهم على الإبل ، ويوغلون بها في الصحراء ، ويتطلبون منابت العشب ، ومراعي الشجر ، ومواد الماء ، ويأكلون مما تخرجه الأنعام .

المقدمة السادسة في حياة العرب الاجتماعية

كان سكان الجزيرة يعيشون عيشة قبائل ، فالقبيلة هي الوحدة التي يُبنى عليها نظام حياتهم ، وأفراد القبيلة ينتسبون إلى أب واحد ، وقل أن ينتسب إليها من لم يساهمها في نسبها إلا عن طريق الخلف أو الولاء^١ .

تسود أفراد القبيلة فكرة العصبية ، فكل فرد يتعصب لقبيلته ويعنى بحفظ

(١) كان الأسير من قبيلة أخرى إذا لم يستطع فداء نفسه يسمونه بسمه القبيلة التي أسرته ، ويسمى حليفاً لها . وكانوا يجيزون استرقاق الأسرى ، فإذا عتق الأسير ظلت هناك صلة بين المعتق والمعتق . وهذه الصلة تسمى الولاء .

نسبه ويفتخر به ، ويحنو على من يُشاركه ، ويسير على منهج قبيلته ، سواء أصابت أم أخطأت ، ومن هذه الظاهرة قول القائل :

وما أنا إلا من غزبية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

والقبيلة تحميه من العدوان ، وتطالب بدمه إن جنى أحد عليه ، ولكل قبيلة رئيس هو سيدها ، وهو مرجع الأفراد في إقامة العدل بينهم على حسب عرفهم وتقليدهم .

وعلاقة القبيلة بغيرها من القبائل علاقة عدا غالبة — 'تغير' عليها ، وتغتم من مالها ورجالها ، والأخرى تتربص بها الدوائر لتنتقم منها :

يُغار علينا واترين فيُشتقى بنا إن أصبنا أو 'نغير' على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضي إلا ونحن على شطر

ولم تكن للعرب في الجاهلية عدا من ذكرنا قبل حكومة تسيطر عليهم جميعاً وتشرف على شئونهم ، لأن شرط قيام الحكومة انتساب الأفراد الى المواطن ، لا الى القبائل ، والحلال العصبية وقيام الجامعة الوطنية أو الدينية مقام العصبية القبليّة ، وهي أمور لم تتوافر للعرب في جاهليتها .

كانت القبيلة تنقسم عندهم الى أسر ، ونظام الأسرة كان في هذا الطور هو المعروف عند علماء الاجتماع : بطور السلطة الأبوية ، اذ كان الأب فيها واسع السلطان نافذ الكلمة على كل افراد الأسرة ، يتصرف في مالهم وفي شئونهم ويقطع في الأمور دونهم ، وهو المرجع الأعلى لهم جميعاً ، وكان بعض هذه الأسر تمتاز بصفات ، وأعمال تجعل له الرياسة والشرف كبيت هاشم ، وبيت أمية في قريش ، وبيت زُرارة في تميم وهكذا .

(١) الوائر القائل ، والموتور الذي قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه ، وواترين حال من الضمير في علينا .

المقدمة السابعة في أخلاقهم

ترى أن أكثر العرب أهلٌ بدو . ولأهل البدو صفات خاصة يتمدحون بها ويكثرون في شعرهم من ذِكْرِها والتغني بها. ولعل من خير ما يمثل هذه الصفات ما جاء في قول « تأبط شرّاً » أحد الشعراء الجاهليين ' إذ يمدح ابن عم له بأنه قليل الشكوى من الهم ينزل به، بعينه الهمة واسعة الأمل يسير وحيداً لا يهاب، ويركب المهالك ولا يخشى مواجهتها ، (عداء) يسبق الريح السريعة، إن نام فإنما تنام عينه، ولا ينام قلبه، وإن صحا كانت عينه ديدبان قلبه. وله سيف صارم، إن أصاب به قرنا استقبلته المنايا مُسهلة، لا يخشى الوحدة بل يأنس بها، ويعرف مسالك الصحراء فلا يضل في سيره، كما لا تفضل الشمس، وهذه الصفات، كما ترى، هي (المثل الأعلى) لبندوي لا للحضري.

قد تمدحوا بالمروءة وأكثروا من ذكروها، وهو لفظ يجمع قانون الشرف، عمادُه الشجاعة والكرم والوفاء، وأكثر ما تتجلى فيه الشجاعة عندهم النزال والقتال والدفاع عن الأهل والقبيلة ونجدة المستصرخ. وأكثر ما يتجلى فيه الكرم إيقاد النيران ونحر الجزور، وإضافة اللاجيء.

(١) قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شقى النوى والمسالك
يظل بمومة ويمسي بغيرها جحيشاً ويعروري ظهور المهالك
ويسبق وفد الريح من حيث تلتحي بمنخرق من شدة المتدارك
إذا حاء عينه كرى النوم لم يزل له كالىء من قلب شبحان فاتك
ويجعل عينيه ربيثة قلبه الى سلة من حد أخلق صائك
إذا هزه في عظم قرن تهلت نواجذ أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الأنس ويهتدي بحيث اهتدت أم النجوم الشوائك
المومة المفازة التي لا ماء فيها، وجحيشاً: وحيداً، ويعروري ظهور المهالك:
يركبها، مأخوذ من قولهم اعروريت الفرس إذا ركبتها عارياً ليس عليه شيء، ووفد
الريح أولها والمعنى أنه يسبق الريح لحفته، والمنخرق السريع والمتدارك المتلاحق؛
حاص خايط والشبحان الحازم، والفاتك الذي إذا هم بشيء فعله؛ ربيثة القلب
ديدبانه - ويريد بالسلة السيف الذي يستل، أم النجوم: الشمس.

فأما الشجاعة فيمثلها في نظرهم قول عمرو بن معديكرب :

لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَصْنَ بِالْمَعْزَاءِ شِدًّا^١
 وَبَدَتْ « لَيْسَ » كَأَنَّهَا بِدَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّتْ
 وَبَدَتْ نَحَاسَتُهَا الَّتِي تَخْفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جَدًّا
 نَارَلْتُ كِبَشَهُمْ وَلَمْ أَرَ مِنْ نَزَالِ الْكِبَشِ بُدًّا^٢
 هُمْ يُنْذِرُونَ دَمِي وَأَنْذِرُ أَنْ لَقِيتُ بِأَنْ أَشُدًّا
 كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لِحَدًّا
 مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلِغْتُ وَلَا يَرُدُّ بِكَاي زَنْدًا
 أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخَلَقْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ جِلْدًا
 أَغْنِي غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ أَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا
 ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السِّيفِ فَرْدًا

وأما الكرم ، فمن خير ما يمثله في نظرهم قول عتبة بن ربيعة :

فَقَالُوا غَرِيبُ طَارِقٍ طَوَّحَتْ بِهِ مَتُونُ الْفِيَا فِي وَالْخَطُوبُ الطَّوَانِحُ^٣
 فَقُمْتُ وَلَمْ أَجِثْ مَكَانِي وَلَمْ تَقُمْ مَعَ النَّفْسِ عِلَاقَاتُ الْبَخِيلِ الْفَوَاضِحِ
 وَنَادَيْتُ شَبْلًا فَاسْتَجَابَ وَرُبَّمَا ضَمْنَا قَرْيَ عَشْرَ لِمَنْ لَا نَصَافِحُ
 فَقَامَ أَبُو ضَيْفٍ كَرِيمٌ كَأَنَّهُ وَقَدْ حَدَّ مِنْ فَرْطِ الْفَكَاهَةِ مَازِحُ^٤
 إِلَى جِذْمٍ مَالٍ قَدْ نَهَكْنَا سَوَامَهُ وَأَعْرَاضُنَا فِيهِ بَوَاقُ صَحَائِحُ^٥

(١) المعزاء : الارض الصلبة ذات الحجارة ، ومعنى يفحصن بالمعزاء شداً : أي أنهم يؤثرون في الارض الصلبة لشدة عدوهم (٢) كبش القبيلة : رئيسها (٣) الخطوب الطوانح : أي المصائب المهلكة ، وطوحت به : حملته على ركوب المهالك (٤) شبل اسم ابنه : وقرى عشر أي ضيافة عشر ليال لمن ليس بيننا وبينه مصادقة توجب مصافحته (٥) أبو ضيف يريد نفسه (٦) إلى جذم : متعلق بقمم في البيت قبله . ويريد يجزم المال أصل المال ، وهو النوق جمع ناقة .

جعلناه دون الذم حتى كأنه إذا 'عدّ مال' المكثرين المناجح^١
لنا حمد أدب باب المثين ولا 'يرى إلى بيتنا مال' مع الليل رائح^٢
قد أحبوا كثيراً، وشربوا الخمر، ولعبوا الميسر، وشغفوا بالصيد، وطربوا
للغناء وتآقوا إلى السمر، وكان هذا كله مادة لشعرهم وأديهم .

المقدمة الشائعة في دينهم

كان للعرب في الجاهلية دين^٣، ولكنه دين ضعيف، لا 'يخلصون له ولا يصل
إلى أعماق نفوسهم'، وحسبنا دليلاً على ذلك أننا ننظر فيما بين أيدينا من شعرهم
فنرى فيه الصيد كثيراً، والخمر والنساء والميسر كثيراً، والفخر والهجاء ووصف
القتال كثيراً، ولكن قل أن نرى فيه شرحاً لعاطفة دينية، وقل أن نرى فيه
ذكر الله وتمجيده، وقل أن نرى فيه وصفاً لما كانوا يعبدون .

انتشرت اليهودية والنصرانية في بعض بقاع جزيرة العرب، فقد كان فيهما
مستعمرات يهودية أشهرها «يثرب» وهي 'سميت بعد' بالمدينة'، كذلك
انتشرت اليهودية في اليمن في أوائل القرن السادس للميلاد، ولكنها كانت في
نزاع مستمر مع النصرانية .

وانتشرت النصرانية في سائر الجزيرة، وفي غساسنة الشام، وسائر قبائله
وزاحمت اليهودية في اليمن، وكان أشهر مراكز النصرانية في اليمن «مدينة نجران» .
وكان القسيسون والرهبان يردون أسواق العرب يعظون ويبشرون ويذكرون
البعث والحساب والجنة والنار، واشتهر من شعرائهم وخطبائهم (عدي بن زيد
وقس بن ساعدة) ولكن اليهودية والنصرانية كانتا قليلتين إذا قيستا بالدين
الساكن في الجزيرة وهو الوثنية، فقد عبد العرب الأصنام، وعظموا الأوثان ونصبوها

(١) المناجح: جمع منيحة وهو الماقة أو الشاة تدفع إلى الجار ليلتفع بلبنها ما
دام فيها لبن (٢) يقول ان مالنا قليل فأبلنا باركة بفناء الدار انتظاراً للضيف
وهي ليست كثيرة حتى تصير سارحة ورائحة ومع ذلك لنا من الحمد والثناء مثل
ما للمكثرين أصحاب المثين .

في الكعبة ، وقرّبوا لها القرابين ، وكان من أشهر هذه الأصنام اللات والعزى ومناة (وكان تقديسها يكاد يعم قبائل العرب ، وإن كان ثم أصنام أخرى خاصة ببعض القبائل .

المقدمة التاسعة في ثقافتهم

كانت المدن على التخوم واليمن متحضرة بعض تحضر ، فالأثار التي عُثِر عليها في اليمن والحيرة . وما نقل عن أهلها بدل دالة صادقة على أنهم كانوا على حظ من الفن والعلم غير قليل : فأهل الحيرة تسرب إليهم شيء من علوم الفرس وآدابهم وعلوم اليونان وآدابهم والفساسنة في انشام تسرب إليهم شيء من حضارة الرومان واليونان وآدابهم . واليمن أمة عريقة في المدنية كانت تتصل بالفرس ، وتتصل بالحبشة وتتصل بالرومان ، ولها معهم جميعاً صلات تجارية - أما ما عدا هؤلاء من سكان الجزيرة فكان حظهم من العلم والفن قليلاً .

وعلى الجملة كان للعرب معرفة بالأنساب ، وبشيء من أخبار الأمم ، وبشيء من الطب . ولكن ما كان عندهم من ذلك لم يعد أن يكون معومات عملية أولية وتجارب بنقصها الاستقراء . ونظرات عامة يعوزها التعمق والاستقصاء

أما من الناحية الأدبية فكان لهم شعير وتقصص وأمثال وقد طبع كل ذلك بطابع عقليتهم انني أنتجها تاريخهم وبهيتهم كما سترى .

المقدمة العاشرة في عصور اللغة العربية وآدابها

لما كان تاريخ لغة أي أمة وأدبها يرتبط كل الارتباط باخوادث السياسية والدينية والاجتماعية التي تقع بين ظهراني هذه الأمة . ناسب لذلك تقسيم تاريخ أدب اللغة العربية إلى خمسة أعصر

الأول : عصر الجاهلية ، وينتهي بظهور الإسلام . ومُدته نحو خمسين ومائة سنة .

الثاني : عصر صدر الإسلام ويشمل دولة بني أمية ؛ ويبتدىء بظهور الإسلام ، وينتهي بقيام دولة بني العباس سنة (١٣٢) هـ .
الثالث عصر بني العباس ؛ ويبتدىء بقيام دولتهم وينتهي بسقوط بغداد في أيدي التتار سنة (٦٥٦) هـ
الرابع عصر الدول التركية ؛ ويبتدىء بسقوط بغداد وينتهي بمبدأ النهضة الأخيرة سنة (١٢٢٠) هـ
الخامس عصر النهضة الأخيرة ؛ ويبتدىء من حكم الأسرة المحمديّة العلوية بمصر .

العصر الأول : عصر الجاهلية حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

لغة العرب من أغنى اللغات كلاً ، وأعرقها قدماً ، وأوسعها لكل ما يقع تحت الحس ، أو يحول في الخاطر : من تحقيق علوم ، وسنّ قوانين ، وتصوير خيال ، وتعيين مرافق - وهي على هندمة أوضاعها ، وتناسق أجزائها لغة قوم أميين ، ولا عجب إن بلغت تلك المنزلة : من بسطة الثروة ، وسعة المدى ، إذ كان لها من عوامل النمو ، ودواعي البقاء والرقى ، ما قلما يتنها لغيرها وما رواه لنا منها أئمة اللغة وجاء به القرآن الكريم والحديث النبوي هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التي سكنت جزيرة العرب ، ولا شك في أن من أسباب امتزاج هذه اللغات ما يأتي :
(١) هجرة القحطانيين إلى جزيرة العرب وخالطتهم فيها العرب البائدة باليمن ثم تمزقهم في بقاع الجزيرة كل ممزق بظلمهم أنفسهم وتخرب بلادهم بسيل العرم .

(١) العرم : جمع عرمة كفرجة وهي سد يعترض به الوادي أو هو جمع بلا واحد أو هو الأحباس والسدود تبني في الوادي لحبس المياه خلفها وهي المسماة الآن بالخزانات . وحادثة سيل العرم أنه كان لسباً في اليمن عرم تحبس المياه خلفها فتوزع بنظام فهدمت العرم بسيل عظيم أغرق البلاد ودمر القرى أمامه فكان هو مع كثير من الفتن والحروب الأهلية سبباً في تفرق قبائل سباً في أنحاء جزيرة العرب حتى ضرب بهم المثل في التفرق فليل (تفرقوا أيدي سباً) .

(٢) هجرة اسماعيل عليه السلام إلى جزيرة العرب واختلاطه وبنيه بالقحطانيين بالمصاهرة والمجاورة والمحاربة والمتاجرة ، وأظهر مواطن هذا الامتزاج مشاعر الحج والأسواق التي كانت تقيمها العرب في أنحاء بلادها ، ومن هذه الأسواق : عكاظ ، وسجدة ، وذو المجاز .

وأهمها سوق عكاظ ؛ وكانت تقام من أول ذي القعدة إلى اليوم العشرين منه ، وأقيمت تلك السوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة . وبقيت إلى ما بعد الإسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائة . وكان يجتمع بهذه السوق أكثر أشراف العرب للمتاجرة ومفاداة الأسرى ، والنحكيم في الخصومات ، ولمفاخرة والمنافرة بالشعر والخطب ، في الحسب والنسب والكرم والفصاحة والجمال والشجاعة ، وما شاكل ذلك . وكان من أشهر المحكمين في الشعر « النابغة الذبياني » ، ومن أشهر خطبائها « قس بن ساعدة الإيادي » . وقد لهج الشعراء بذكرها في شعرهم وحضرها منهم الرجال والنساء . ولقريش عظيم الأثر فيما نجم عن اجتماع العرب بتهديب لغتهم .

كلام العرب

الغرض من كلام العرب كغيره الإبانة عما في النفس من الأفكار . ليكون مدعاة إلى المعاونة والمعاوضة ، وذريعة إلى تسهيل أعمال الحياة .

ولما كانت هذه الأفكار لا تزال متجددة غير متناهية ، كانت صور الكلام المبين عنها لا تزال كذلك متجددة خاضعة لقوى الاختراع والابتداع وأنواع الإنشاء والتأليف على حسب ما يقتضيه المقام ؛ فقد تصل صورة الكلام إلى الغاية القصوى في البلاغة . وقد تنحط صورة العبارة إلى الدرك الأسفل من الإبانة بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأدباء بأصوات المعجهاوات أشبه ، وبين الحالين مراتب وجل بحث علم الأدب وتاريخه في التفاوت بين هذه المراتب ورجاها .

وكلام العرب بمراتبه العليا والدنيا وما بينهما تعتوره كغيره أحوال تتغير بتغير حياة أهله العقلية والمعاشية والدينية ، وتلك الأحوال تتمثل « في أغراض اللغة ، ومعانيها ، وعباراتها »

أغراض اللغة في الجاهلية

- (١) كانت اللغة تستعمل في أغراض المعيشة البدوية ، ووصف مرافقها من حلل وترحال ، وانتجاع كلاً ، واستدراار غيث ، ونسج حيوان .
- (٢) وفي إثارة المنازعات والمشاحنات ، وما يتبعها من الخس على إدراك الثأر ، والنفاخر بالانتصار ، والتباهي بكرم الأصل والنسب .
- (٣) شرح حال المشاهدات والكيفيات ، والإخبار عن الوقائع والقصص وغير ذلك .

معاني اللغة في الجاهلية

- تجمل معاني اللغة فيما يأتي :
- (١) في قصر معاني المفردات على ما تقتضيه البداوة والفترة الغضة الحالية من تكلف أهل الحضر وتأنقهم .
 - (٢) وفي انحصار أحكامهم في (الخبر) ومطالبهم في (الإنشاء) إما في التعقل المستنبط من الحس ، والمشاهدة ، أو الطبيع ، أو التجربة ، أو الوجدان من غير مبالغة ولا إغراء ، وإما في التخيل المنتزعة صورته من المحسوسات بحيث لا تخرج عن الإمكان العقلي والعادي .

عبارة اللغة في الجاهلية

- تلخص أحوال العبارة في الجاهلية فيما يأتي :
- (١) استعمال الألفاظ في معانيها الوضعية ، أو معان مناسبة للمعنى الأصلي بطريق المجاز الذي قد يصبح بعد قليل وضعاً جديداً .

- (٢) كثرة استعمال المترادف، وقلة الأعجمي المعبر عنه بالمعرب، وخلو الكلام العربي من اللحن، وغلصة الإيجاز عليه، كما تراه واضحاً في شعرهم
- (٣) إرسال الأساليب الكلامية على حسب ما تقتضيه البلاغة بدون تكلف.

تقسيم كلام العرب

ينقسم كلام العرب إلى قسمين : نثراً ، ونظماً .
فالنظم هو الموزون المقفى ، والنثر ما ليس مُرتبطاً بوزن ولا قافية .

النثر - المحادثة - الخطابة - الكتابة

الأصل في الكلام أن يكون منشوراً : لإبانتة عن مقاصد النفس بوجه أوضح وكلفة أقل : وهو إما حديث يدور بين الناس وبعض في إصلاح شؤون المعيشة ، واجتلاب ضروب المصالح والمنافع ، وذلك ما يسمى (المحادثة) أو (لغة التخاطب) وإما خطاب من فصيح نابه الشائب ، يُلقبه على جماعة في أمر ذي بال ، وهذا ما يسمى (الخطابة) ، وإما كلامٌ نفسي مدلول عليه بحروف ونقوش لإرادة عدم التلفظ به أو لحفظه الخلف ، أو لبعده الشقة بين المتخاطبين وذلك ما يسمى (الكتابة) : إذن فأقسام النثر ثلاثة : محادثة ، وخطابة ، وكتابة .
وكلها إما أن تكون كلاماً خالياً من التزام التقفية في أواخر عباراته ، وذلك ما يسمى « النثر المرسل » وإما أن تكون قطعاً ملتزماً في آخر كل فقرتين منها أو أكثر قافية واحدة وهذا ما يسمى « السجع » وهو نوع الخلية اللفظية إذا جاء عفواً ولم يُتعمد التزامه ، ولحسن وقعه في الأسماع ، وحوكه وتأثيره في الطَّبَّاع ، وكان أكثر ما يستعمل في الخطابة ، والأمنال والحكم ، والمفاخرات والمفاخرات .

المحادثة ، أو : لغة التخاطب

لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحدت لغاتها هي اللغة المعربة المستعملة في شعرها وخطبها وكتابتها ، ولا فرق بينها في البلاغة إلا بقدر ما تستدعيه حال الخطابة والشعر والكتابة من نبالة الموضوع ، والتأنق في العبارة .

وأكثر ما وصل إلينا ما كان شريف المعنى ، فصيح اللفظ .

الخطابة

لما كان جُلُّ العرب في جاهليتها قبائل مُتَبَدِّية لا يربطها قانون عام ولا تضبطها حكومة مُنَظَّمة .

ومن شأن المعيشة البدوية شغل الغارات لأوهى الأسباب ، والمداغمة بالنفس عن الروح والعرض والمال ، والمهااة بقوة العصبية وكرم النجار وشرف الخصال ، وللقول في ذلك أثر لا يقلُّ عن الصل ، كانت الخطابة لهم ضرورة ، وفيهم فطرية . وإنما لم تصل إلينا أخبار خطباءهم الأوائل ، وشيء من خطبهم كما كان ذلك في الشعر ، لحفلهم قديماً بالشعر دون الخطابة ، ولصعوبة حفظ النثر .

وما عني الرواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم إلا عند ما حلت الخطابة بعد منزلة أسمى من الشعر ، لا يتبدل به بتعاطي السفهاء والعامة له وتلوّثهم بالتكسب به ، والتعرض للحُرَم ، فنسب بذلك شأن الخطابة ، واشتهر بها الأشراف .

وكان لكل قبيلة خطيب ، كما كان لكل قبيلة شاعر .

وأكثر ما كانت الخطابة في التحريض على القتال والتحكيم في الخصومات وإصلاح ذات البين ، وفي المفاخرات والمنافرات ، والوصايا ، وغير ذلك .

وكان من عادة الخطيب في غير خطب الإملاك والتزويج أن يخاطب قائماً ، أو على نشز ومُرتفع من الأرض ، أو على ظهر راحلته ، لإبعاد مدى الصوت وللتأثير بشخصه ، وإظهار ملامح وجهه ، وحركات جوارحه ، ولا غنى له عن لوث وعصب العمامة ، والاعتناد على مخصرة أو عصا أو قنطرة ، وربما أشار بإحداها ، أو بيده .

وخطباء العرب كثيرون (من أقدمهم كعب بن لؤي) وكان ذا نفوذ عظيم في قومه ، حتى أكبروا سموته ، وذو الإصمبع العدواني وهو خثران بن محرث

(ومن أشهرهم) قيس بن خارجة بن سنان خطيب حرب داحس^١ والغبراء، وخويلد بن عمرو العطفاني، خطيب يوم الفيجار^٢، وقس^٣ بن ساعدة الإيادي، خطيب عكاظ، وأكثم بن صيفي زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى: وهم أكثم بن صيفي، وحاجب^٤ بن زرارة التميمي^٥، والحارث بن عباد^٥، وقيس بن مسعود^٦ البكري^٦، وخالد بن جعفر^٧، وعلقمة بن علاثة^٨، وعامر بن الطفيل^٩ العامريون، وعمرو بن الشريد السلمي^{١٠}، وعمرو

(١) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عبس، راهنه حذيفة بن بدر الفزاري على أن يسابقه بفرسيه، الخطار والحنفاء، فوضعت فزارة كميناً في طريق السباق، فلطم وجه الغبراء وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس وفزارة، ثم بين عبس وذبيان لنصرتها فزارة وفي القصة روايات أخرى (٢) يوم الفيجار حرب كانت بين قريش وهوازن حضرها النبي ﷺ (٣) ستأتي ترجمة قس وأكثم (٤) سيد من سادات تميم، وهو الذي وفد على كسرى حين منع تقيماً من ريف العراق حتى أصابهم القحط فأعجب به ومنحه مطلبه وتعهد له حاجب بحسن الجوار. ورهن عنده قوسه على ذلك فقبلها منه وبقيت عند كسرى حتى أخذها ابن حاجب ثم بيعت بعد بأربعة آلاف درهم (٥) كغراب كان خطيباً مؤثراً، وشاعراً بليغاً، وله عمل جليل في الحرب التي نشبت بين بكر وتغلب لمقتل كليب بعد أن اعتزلها، وله فيها قصيدة مشهورة منها:

قرباً مربوط النعام - مني لقحت حرب وائل عن حبال

(٦) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذي الجدين كان كريماً عالي الهمة من أفضل العرب حسباً ونسباً وكانت تقر له كلها بذلك هي وكسرى أيضاً. وكان له حظيرة فيها مائة من الإبل لأضيافه إذا نحرت ناقة قيدت أخرى مكانها (٧) سيد من سادات بني عامر. خلص قومه من العبودية لغطفان بعد أن قتل سيدها زهير بن خزيمة. (٨) خطيب بليغ اشتهر في قومه بالعدة والمحافظة على الجوار والعقل الراجح والحسب الواضح (٩) هو ابن عم لميد الصحابي شاعر متين، وفارس من أشهر فرسان العرب نجدة وأبعدهم اسماً، ولقد بلغ من شهرته أن قيصر كان إذا قدم قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر فان كانت بينه وبينه رحم ووشيجة قربه وأكرمه (١٠) هو أبو السيدة تماضر الخنساء يميل إلى الفخر والصرامة في القول - ولقد بلغ من تغاليه في ذلك أنه كان يأخذ ابنه معاوية وصخرأ في المواسم العامة.

ابن معديكرب^١ الزبيدي ، والحارث بن ظالم^٢ المري .

قس بن ساعدة الإيادي

هو خطيب العرب قاطبة ، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة ، كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ، ويدعو العرب إلى نبذ العكوف على الأوثان ، ويرشدهم إلى عبادة الخالق . ويقال إنه أول من خطب على شرف ، وأول من قال في خطبه « أما بعد » ، وأول من اتكأ على سيف ، أو عصاً في خطبته ، وكان الناس يتحاضرون إليه ، وهو القائل : « البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر » وسمعه النبي ﷺ قبل البعثة يخطب في عكاظ ، فأثنى عليه ، وعمر قس طويلاً . ومات قبيل البعثة - ومن خطبه خطبته التي خطبها في سوق عكاظ وهي - أيها الناس : اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزخر ، وجبال مرسة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجراة ، إن في السماء لخبيراً وإن في الأرض لعلبراً ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا هناك فناموا ؟ يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه ، إن الله ديناً هو أرضى لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكرأ .
ويروى أن قساً أنشأ بعد ذلك يقول :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مولوداً . للناس ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر

(١) خطيب شاعر وفارس قاهر وصحابي جليل شهد حربي اليرموك والقادسية وأبلى فيها البلاء الحسن على كبر سنه وضعف جسمه (٢) كان شجاعاً فاتكاً وخطيباً شاعراً يميل إلى معاقرة الحمر وهو الذي قتل خالد بن جعفر غيلة لقتله أباه وكثيراً من قومه .

لا يرجع الماضي إلينا ولا من الباقيين غابر
أيقنتُ أني لا سحابة حيث صار القوم صائر

أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي

هو أعرف الخطباء بالأنساب ، وأكثرهم ضرباً أمثال ، وإصابة رأي وقوة حججة ، وقل من جراه من خطباء عصره ، وهو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى ، واقد بلغ من إعجابه به أن قال له : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . وقد عمر طويلاً حتى أدرك مبعث النبي ﷺ وجمع قومه وحشهم على الإيمان به ، وفي إسلامه روايات . وكان في خطبه قليل المجاز ، حسن الإيجاز ، حلوا الألفاظ ، دقيق المعاني ، مؤلفاً بالأمثال (راجع خطبه في فن المناظرات الآتية)

الكتابة

يراد بالكتابة عند الأدباء : صناعة إنشاء الكتب والرسائل ، وإذا كانت الكتابة بهذا المعنى تؤدَّى بالنقوش المسماة بالخط ، فأوّل حلقة من سلسلة الخط العربي هي الخط المصري القديم ، ومنه اشتق الخط الفينيقي ، ومن هذا اشتق الآرامي ، والمسند ، بأنواعه ، والصفوي ، والثمودي ، واللحياني ، شمالي جزيرة العرب . والمحيريّ جنوبيها .

ورواة العرب يقولون : إنهم أخذوا خطهم الحجاري عن أهل الحيرة والأنبار . أما الكتابة : بمعنى إنشاء الكتب والرسائل ، فهي لارمة لكل أمة متحضرة ذات حكومة منظمة ، ودواوين متعددة ، وقد كان بعض ذلك موفوراً في ممالك التبابعة جنوباً ، ومأثوراً عن ممالك الممادة والغساسنة شمالاً ، ولذلك استعمل الخط المسند المحيري عند الأولين من عهد مديد ، والأبباري المحيري عند الآخرين ، وإنما لم يصل إلينا شيء من رسائل تلك الأمم ، ولا من كتب فنونها . ودينها غير قليل عثروا عليه لتقدم عهد أهلها ، وعده استكمال البحث بعد في بلادها .

ولم يُعرفنا التاريخ أيضاً بأحد من كتاب هذه الصناعة إلا (بعديّ بن زيد العبادي*) الذي كان كاتباً ومترجماً عند كسرى .

أما البدو من سكان أواسط الجزيرة وهم جمهور مُضر ، وبعض القحطانيين فكانوا أميين - ومن المعقول أنهم لم يعرفوا الكتابة الإنشائية إلا بعد أن عرفوا الخط (آخرَ عصور الجاهلية) ، وما نقل عنهم فيه أنهم كانوا يكتبون في بدء رسائلهم : باسمك اللهم ، ومن فلان إلى فلان ، وأما بعد .

ولم تقم له دولة بالمعنى السابق إلا بقيام الإسلام ، فهو الذي أفضى فيهم الخط والكتابة .

ولما كانت علوم كل أمة لها الأثر العظيم في تكوين فكر الأديب ، وخيال الشاعر ، وكانت كتابتها قسماً قائماً بنفسه يسمى كتابة التدوين ، ناسب شرح ذلك .

علوم العرب وفنونها

العلوم والصناعات لازمة لحضارة الأمم ، ومن العرب أهل حضارة دلت عليها دلوهم العظيمة وقِدَمُ تاريخهم ، وآثارهم الخالدة ، وهم التَّبابعة في اليمن ، والمناذرة والفساسنة في الشمال - وإذن تكون هندسة إرواء الأرض وعمارة المدن ، والحساب ، والطب ، والبيطرة ، والزراعة ، ونحوها معروفة في الجنوب والشمال ، مدونة في الكتب ، وإن لم يحفظ لنا الدهرُ صوراً منها - أما البدو منهم : وإن كانوا أميين يفتنون الصناعات ، فلا غنى لهم عن تجربة تُرشدهم إلى ما ينفعهم ، ليعرفوا متى تجود السماء ، وبمَ يتميز الأقرباء من البداء ؟؟ فأكسبهم ذلك علم النجوم ، والطب الضروري ، والأنساب والأخبار ، ووصف الأرض ، والفراسة والعيافة ، والقيافة ، والكهانة ، والعرافة ، والزجر ، وقرض الشعر .

أما علم النجوم وهو معرفة أحوال الكواكب - فقد كانوا أبرع

في هذا العلم منهم في كل علم سواه ، تعرفه عامتهم قبل خاصتهم للاهتمام به في ظلمات البر والبحر ، ومعرفة أزمدة الخصب والحل ، وبعض معارفهم فيه مستمد من السكندانية لاختلاطهم بهم ولاتفاق اللغتين في كثير من أسماء الكواكب والبروج .

ومن أشهرهم فيه (بنو حارثة بن كلب ، وبنو مرة بن همام الشيباني) .
الطب الإنساني والحيواني (البيطرة) ، وقد عاناه من العرب كثيرون .
ومن مشهورهم (الحارث بن كسلدة الثقفي ، وابن حذيم التميمي) .
الأنساب : علم تتعرف به قرابات التي بين بعض القبائل وبعض ، فتلحق فروعها بأصولها ، وإنما دعاهم إلى العناية به حاجتهم إلى التناصر بالعصبية ، لكثرة حروبهم ، وتفرق قبائلهم وأنفتهم من أن يكون للغريب عنهم سلطان عليهم وحبهم الافتخار بأسلافهم .

ومن اشتهر بمعرفة أنساب العرب (دغفل بن حنظلة الشيباني ، وزيد بن الكيس النعمري ، وابن لسان الحميرة) ولهذا كانوا يحفظون أنسابهم .
الأخبار والتاريخ والقصص : هي معرفة أحوال السابقين ، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم ، وبعض مجاورهم من الأحوال الماثورة ، ووقائع أيامهم المشهورة ، كقصص الفيل ، وحرب البسوس ، وحرب الفيجار .

وصف الأرض : هو معرفة كل بقعة وما يجاورها ، وكيف يهتدي إليها .
ومن قرأ شعر العرب في نسيبهم ، واطلع على وصفهم ، وكيف كانوا يحددون الحقيير منها بحدود قلما تحد به مملكة عظيمة ، عرف شدة حذقهم بمعرفة بلادهم .
الفراسة : هي الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله ولونه وقوله على أخلاقه وفضائله وبرذائله ، وقد نبغ فيها من العرب من لا يحصى عددهم ، ولهم في ذلك نوادر شتى .

القيافة : ضرب من الفراسة وهي الاهتمام بآثار الأقدام على أربابها ، أو الاستدلال بهيئة الإنسان وأعضائه على نسبه . فقد كانوا يميزون بين أثر الرجل

والمرأة ، والشيخ ، والشاب ، والأعمى ، والبصير ، والأحمق ، والكيس .

وإذا نظروا عِدَّةَ أشخاص ألحقوا الابن بأبيه ، والأخ بأخيه ، والقريب بقريبه وعرفوا الأجنبي من بينهم - ومن اشتهر بالقيافة (بنو مدلج ، وبنو لهب) .

الكهانة والعرافة : وهما القضاء بالغيب ، وربما خُصِّصَت الكهانة بالأمور المستقبلية والعرافة بالماضية ، وطريقهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية ، لما بينهما من المشابهة الخفية ، وللعرب في الكهنة اعتقاد عريض لزعمهم أنهم يعلمون الغيب ، فيرفعون إليهم أمورهم للاستشارة ويستفسرونهم عن الرؤى ، ويستطبُّونهم في أمراضهم - ومن اشتهر من الكهان (شق أنمار ، وسطيح الذئبي) ومن الكواهن (طريفة الخير ، وسلمى الهمدانية) ومن العرافين عراف نجد الأبلق الأسدي ، وعراف اليامة رباح بن عجلة)

الزجر : وهو الاستدلال بأصوات الحيوان ، وحركاته ، وسائر أحواله على الحوادث بقوة الخيال ، والاسترسال فيه .

ومن أشهر الزجارين : بنو لهب ، وأبو ذؤيب الهذلي ، ومُرَّة الأسدي .
ومن العرب من لم يعبأ بالزجر وما شاكلة كلبيد بن ربعة القائل :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع
وكضابىء بن الحارث القائل :

وما علاجات الطير تدني من الفقى نجاحاً ولا عن ريشهين يخيب
ورب أمور لا تضيرك ضيرة وللقلب من مخشاهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

النظم - الشعر - الشعراء

النظم : عرفه العروضيون بأنه الكلام الموزون المقفى قصداً - ويرادفه الشعر

عندهم - أما الحقّون من الأدباء فيخصّون الشعر بأنه الكلا الفصيح الموزو المعبّر غالباً عن صور الخيال البديع . ولما كان الخيال أغلب مادته أ، العرب (تجوّراً) لفظ الشّعر على كل كلام تضمّن خيالياً ، ولو لم يكن متّفقاً ، ولجريه وفق النظام الممثل في صورة الوزن والتقنية كان النفس من قبيل إثارة الوجدان والشعور ، بسطاً وقسباً وترغيباً و من قبيل إقناع الفكر بالحجة الدامغة ، والبرهان العقلي ، ولذلك يئ في إثارة العواطف وتصوير أحوال النفس ، لا في الحقائق النظرية ، ولا النفس ترتفع بصور المحسوس الباهر ، وما انتزع منه من الخيال الجليّ لحة عليها؛ وإراحته لها من المعاناة والكد ؛ إذا انضم إلى ذلك نسيم الوزن الشديد الشبه بتأثير الإيقاع والتلحين الذي يطرب له الحيوان ، فضلاً عن

والعرب بفطرتهم مطبوعون على الشّعر لبدائتهم ، وملاءمة بيئة الخيال البدويّ لحرّيته ، واستقلاله بأمر نفسه ، يغلب على أحكامه الم ويسلك إليه من طريق الشعور ؛ ومعيشه البدوي فوق أرض نقيّة الترسّ سماء صافية الأديم ، ساطعة الكواكب ، ضاحية الشمس تجلت لحيت الوجود وعوالم الشهود ، فكان لخياله من ذلك مادة لا يغور مأوها ، و مسمينها فهم بها في كل وادٍ ، وأفاض منها إلى كل مراد ، وكان له م وفصاحة لسانه أقوى ساعيد ، وأكبر مُعاضيد ، ويشعر الإنسان بطب الشعر متأخر في الوجود عن النثر ، وإن كانت هناك واسطة بين النثر فليست إلا السجع ، لما فيه من معاملة الفِقَر ، والتزام القافية ، والميل - فكان من ذلك المقطعات ، والأراجيز الصغيرة ، يحدون بها الإبل ، و بها المكارم . ثمّ لما تمت ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أغراضه أمامهم الأوزان ، وأطالوا القوافي ، وقصدوا القصيد .

وقد خفي علينا - كما كثر الأمم - مبدأ قول الشعر ، وأول من قا

أما ما نسب من الشعر، إلى آدم، وإبليس، والملائكة، والجن، والعرب البائدة، فهو حديث خرافة.

والشعر الذي صحت روايته منذ أواسط القرن الثاني قبل الهجرة ينتهي أقدم مطولاته (إلى مهلهل بن ربيعة) وأقدم مقطعاته إلى (نفر) لهم لم يبعدوا عنه طويلاً مثل : العنبر بن عمرو بن تميم ، ودرديد بن زيد بن نهشل ، وأصغر بن سعد بن قيس عيلان ، وزهير بن جناب السكلي ، والأفوه الأردني ، وأبو دؤاد الإيادي، وقد ردوا أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقرؤها الرجل في حاجته ، وأن أول من قصد القصائد ، وذكر الوقائع (المهلهل بن ربيعة التغلبي) في قتل أخيه كليب ، فهو أول من رويته له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً ، وتبعه الشعراء . مثل (امرئ القيس) وعلقمة ، وعبيد ، من أخرجوا لنا الشعر العربي في صورته الحاضرة .

هذا بجملي ما يتعلق بحقيقة الشعر ، ونشأته في الجاهلية .

أما ما يتعلق بمادته وجوهرة فإنه يرجع إلى أغراضه ، وفنونه ، ومعانيه ، وأخيلته ، وألفاظه ، وأساليبه ، وأوزانه ، وقوافيه .

(١) أغراضه وفنونه

نظم العرب الشعر في كل ما أدر كته حواسهم ، وخطر على قلوبهم من فنونه وأغراضه الكثيرة كالنصيب ويسمى (التشبيب والتغزل). وطريقته عند الجاهلية تكون بذكر النساء ومحاسنهن ، وشرح أحوالهن، وكان له عندهم المقام الأول من بين أغراض الشعر ، حتى لو انضم إليه غرض آخر قدم النسيب عليه واقتبح به القصيد ، لما فيه من كل اجتماع إنساني ، والبدو أكثر الناس حباً لفراغهم .

والفخر : هو تمجيد المرء بخصال نفسه وقومه ، والتحدث بحسن بلائهم ومكارمهم وكرم عنصرهم، ووفرة قسيلهم ، ورفعة حسبهم، وشهرة شجاعتهم.

والمدح: وهو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل، والعفة، والعدل، والشجاعة، أن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه وبتعداد محاسنه الخلقية - وشاع المدح عندما ابتدّل الشعر، واتخذ الشعراء مهنة ومن أوائل مدّاحيهم: زهير - والنابغة - والأعشى .
والرثاء: وهو تعداد مناقب الميت، وإظهار التفجع والتلهّف عليه، واستعظام المصيبة فيه

والهجاء: وهو تعداد مثالب المرء وقبيله، ونفي المكارم والمحسن عنه .
والاعتذار: وهو درء الشاعر التهمة عنه، والترقّي في الاحتجاج على براءته منها، واستئالة قلب المعتذر إليه واستعطافه عليه: و (النابغة) في الجاهلية فارس هذه الحلبة .

والوصف: هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع، كأنه يراه أو يشعر به، ومن أشهرهم في ذلك (امرؤ القيس وأبو دواد الإيادي) .

والحكمة والمثل: فالحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً به، والمثل مرآة تربك أحوال الأمم وقد مضت، وتقف بك على أخلاقها وقد انقضت، فالأمثال ميزان يوزن به رقيّ الأمم والمخطاطها وسعادتها وشقاؤها وأدائها ولغتها. وأكثر ما تكون أمثال العرب وحكمها موجزة متضمنة حكماً مقبولاً، أو تجربة صحيحة، تليها عليها طباعها بلا تكلف - وأكثر الشعراء أمثالاً: (زهير والنابغة) .

(٢) معانيه وأخيلته

قصد الشاعر من شعره الإبانة عما يخالجه نفسه من المعاني في أي غرض من الأغراض السابقة ونحوها، ومن هذه المعاني ما هو عادي في البدوي والحضري

والعربي والعجمي كالأخبار الصادقة، وأوصاف المشاهدات، وشرح الوجدانات كما يملئها الخاطر بلا مبالغة ولا إغراق؛ ومنها ما هو غريب نادر، انتزعه الخيال من المراثيات البديعة والأشكال المنتظمة، وذلك يسمى المخترع، تتفاضل الشعراء بالإجادة فيه والإكثار منه.

وإذا قسنا الشعر الجاهلي بهذا المعيار وجدنا معانيه وأخسليته تمتاز بالأمور الآتية:

(١) جلاء المعاني وظهورها ومطابقتها للحقيقة. (٢) قلة المبالغة والغلو فيها بما يخرجها عن حد العقل ومألوف الطبع. (٣) قلة المعاني الغريبة المنزع، والدقيقة المأخذ المتجسّمة في صور الخيال البديع، والتشبيه الطريف، والاستعانة الجميلة والكتابة الدقيقة وحسن التعليل وغير ذلك. (٤) قلة تأنيقهم في ترتيب المعاني والأفكار على النظام الذي يقتضيه الذوق، فيدخلون معنى في معنى، ويثقلون من غرض إلى آخر اقتضاباً وبدون تخيل ولا تلطف.

(٣) ألفاظه وأساليبه

ولما كانت العرب أمماً بدوية تنظم الشعر بطبعها، من غير مُعانة صناعة ولا دراسة علم - غلب على شعرها صراحة القول وقلة المواربة فيه، والبعيد عن التكلف وصحة النظم، والوفاء بحق المعنى - أضف إلى ذلك الأمور الآتية:

(١) جودة استعمال الألفاظ في معانيها الموضوع لها، لإحاطة علمهم بلغتهم ومعرفتهم بوجود دلالتها. (٢) غلبة استعمال الألفاظ الجزلة، واستعمال الألفاظ الغريبة التي هُجرت عند المحدثين، (٣) القصد في استعمال ألفاظ المجاز، ومقت استعمال الأعجمي إلا ما وقع نادراً. (٤) عدم تعمد المحسنات البديعية اللفظية، ومثانة الأسلوب، بحسن إيراد المعنى إلى النفس من أقرب الطرق إليها وأطرقها لديها وبإيثار المجاز، أو قلة الإسهاب، لا إذا دعت الحال.

(٤) أوزانه وقوافيه

العرب لم تعرف موازين الشعر بتعلم قوانين صناعية ، وتعرف أصول وضعية ، وإنما كانت تنظم بطبعها على حسب ما يهينها لها إنشادها ، وقد هدتهم هذه الفطرة إلى أوزان أرجعها الخليل إلى خمسة عشر وزناً سماها بحوراً وزاد عليها الأخفش بحراً ، وقد أكثروا النظم من بعضها دون بعض .

راجع مؤلفنا « ميزان الذهب في بحور شعر العرب » .
وشعر العرب رَجَزُه وقصيدُه يُبنى على قافية واحدة كيفما طال القول .

(٥) شعراء الجاهلية

شُعراء الجاهلية : أكثر من أن يحاط بهم ، ومن جهل منهم أكثر من عُرف ، وإنما اشتهر بعضهم دون بعض لنبوغته ، أو كثرة المروي من شعره ، أو قرب عهده من الاسلام زمن الرواية - وكان للشعراء عند العرب منزلة رفيعة ، وحُكْم نافذ ، وسلطان غالب ، إذ كانوا ألسنتهم الناطقة بكارمهم ومفاخرهم ، وأسلحتهم التي يذودون بها عن حياض شرفهم ، وكانت القبيلة من العرب إذا نَبَغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأطعمة ، وأتت النساء يلعبن بالزاهر كما يصنعن في الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذَبَّ عن حياضهم ، وتخلد لمفاخرهم ، وإشادة بذكورهم ، وكانوا لا يهتئون إلا بفلام يولد ، أو شاعر يذبح ، أو فرس تلتج .

وكانت طريقة نظم الشعراء ارتجالية ، فتأتسهم ألفاظه غفواً ، ومعانيه رهواً ، كما وقع للحارث بن حنزة وعمرو بن كلثوم ، أما من اتخذ منهم صناعة يستند ، ها ويلتمس به الجوائز ، وينشده في المحافل والمواقف العظام ، فإنه يتعمده بالتهذيب والتنقيح ، لجعله رقيق الحاشية ، حسن الديباجة ، يصح أن يقال فيه إنه المثل الأعلى للشعر الجاهلي كما ترى ذلك واضحاً في حوليات زهير ، واعتذاريات النابغة .

وقد غبر الناس دهرًا طويلًا لا يقولون الشعر إلا في الأغراض الشريفة ، لا بمدحون عظيمًا طمعًا في نواله ، ولا يهجون شريفًا تشفيًا منسه وانتقامًا ، حق نشأت فيهم فئة امتنعت الشعر وتكسبت به ، ومدحت الملوكة والأمراء ، كالنابغة الذبياني وحسان ممة النعمان بن المنذر ، وملوك غسسان ، وزهير بن أبي سلمى مع هرم ابن سنان وأمية بن أبي الصلت مع عبدالله بن جدعان أخذ أجواد قريش ، والأعشى مع الملوك والسؤفة ، حتى قصد به الأعاجم ، وجعله متجرأ يتجر به ، فتحامى الشعر الأشراف ، وآثروا عليه الخطابة .

(٦) طبقات الشعراء

طبقات الشعراء باعتبار عصورهم أربع : (١) الجاهليين . (٢) طبقة المخضرمين ، وهم الذين اشتهروا بقول الشعر في الجاهلية والاسلام . (٣) طبقة الإسلاميين ، وهم الذين نشأوا في الإسلام ، ولم تفسد سلبقتهم العربية ، وهم شعراء بني أمية . (٤) طبقة المولدين أو المحدثين ، وهم الذين نشأوا زمن فساد العربية وامتزاج العرب بالعجم ، وذلك من عصر الدولة العباسية إلى يومنا هذا . والشعراء الجاهليون يُقسّمون باعتبار شهرتهم في الشعر للاجادة ، أو للكثرة إلى طبقات كثيرة ، نذكر منها ثلاثًا : (١) الطبقة الأولى ، امرؤ القيس بن حجر وعمر بن كلثوم ، وزهير بن أبي سلمى ، والنابغة الذبياني (٣) الطبقة الثانية الأعشى ولبيد بن ربيعة العامري ، وطرفة بن العبد . (٣) الطبقة الثالثة عنيزة ابن شداد ، وعروة بن الورد ، ودريد بن الصّمة ، والمرقس الأكبر ، والحارث ابن حليزة اليشكري - ومن الادباء من يُقدم ويّزيد

(١) امرؤ القيس

هو الملك أبو الحارث حنندج بن حنجر الكندي شاعر الجانية . وآباؤه من أشراف كندة وملوكها ، وكانت بنو أسد المضرية خاضعة للملوك كندة - وآخر ملك عليهم هو حنجر أبو امرئ القيس - وأمه أخت مهلميل وكندليب .

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بني أسد وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويُعاقِرُ الحجر ويغازل الحسان فَمَقَّتَهُ أبوه ولمّا لم ينجع فيه القول طرده عنه وأقصاه ، حتى جاء نبأ ثوران بني أسد على أبيه وقتلهم له لانه كان يَعْسِفُ في حُكْمِهِ لهم ، فقال : (ضِيعَني صَغِيرًا ، وحَمَلْني دَمَةٌ كَبِيرًا ، لا صَحْوَ اليَوْمَ ولا سُكْرَ غَدًا ، اليَوْمَ نَخْرُ ، وغَدًا أَمْرٌ) وأخذ يجمعُ العدة ، وَيَسْتَنجِدُ القبائل في إدراك ثاره ، فنازل بني أسد وقتل فيهم كثيرًا ، ثم اشتدَّت به عيلة قررج فمات منها ودُفِنَ بأنقره ؛ وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن .

شعره : يُعتبرُ امرؤ القيس رأس فحول شعراء الجاهلية ، والمقدّم في الطبقة الاولى ، فهو أوّل من أجاد القول في استيفاف الصحب ، وبُكاء الديار وتشبيه النساء بالطبماء واللمها والبَيْض ، وفي وصف الخيل بقيد الاوابد ، وترقيق النسيب وتقريب مأخذ الكلام ، وتجويد الاستعارة ، وتنويع التشبيه ، وذلك لسعة خياله بكثرة رحلاته .

وقد يُفَنِّحِشُ في تشبيه بالنساء ، وتحدّثه عنهن ، ويُسْتَمُّ من شعره ، رائحة النبيل وتلمح فيه شارات السيادة والملك ، من ذلك قوله :

فَظُلَّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وشَحْمِ كَهْدَابِ الدِمَقْشِ المَقْتَلِ
وقوله : وَظَلَّ طَهَاءُ اللّٰحْمِ مِنْ بَيْنِ مَنْضَجٍ صَفِيفِ شَوَاءٍ أَوْ فَدِيدٍ مُعْجَلِ
وقوله وَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ المَالِ
ولكننا أَسْعَى لِجِدِّ مُؤَثِّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُوَثِّلَ أَمْثَالِي

وشعره : وإن اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة ، وخشونة الالفاظ وتجهّم المعاني ، تراه أحياناً يخطر في حُلل من حُسْنِ الديباجة ، وبديع المعنى ودقة النسيب ، ومُقَارَبَةِ الوَصْفِ ، وسهولة المأخذ ، مما كان لخلقهِ أجملِ مثاله في مُحَاكَاتِهِ ولم يَقِلَّ الشعرُ كاسبًا .

ومن شعره ، يذكر رحلته إلى قيصر مع عمرو بن قنينة الضبعي :
 سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرًا وحلت سليمى بطن ظبي فعمر عرا
 فدعها وسلّ الهَمَّ عنها بحسرة ذَمول إذا صامَ النهار وهجرا
 عليها فتى لم تحمِل الأرض مثله أبرّ بميثاق وأوفى وأصرا
 إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضىتهُ وقرتُ به العَيْنانِ بُدلتُ آخرًا
 كذلك جدي لا أصاحبُ صاحبًا من الناس إلا خاني وتغيرًا
 ومن أبياته السائرة قوله :

إذا المرءُ لم يَخزُرْ عليه لسانه فليس على شيءٍ سواهُ بخزْزَانِ
 وقوله : وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى رَضيتُ من الغنيمَةِ بالإيابِ

معلقة امرئ القيس

قفّانِ بكَ من ذِكرى حبيبٍ ومانزلٍ بسِقطِ اللوى بين الدخولِ فحوّل^١
 فتوضّحْ فالْمُقَرَّاةِ لم يَعْفُ رَسْمُهَا لما تَسَجَّتْهَا منْ جَنُوبٍ وَشِمَالٍ^٢
 ترى بَعَرَ الآرامِ في عَرَصَاتِهَا وقِيعَانِهَا وكأنه حَبٌّ فَلَفْلَف^٣
 كأني غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا لدى سَمَرَاتِ الحَيِّ نَافِيفُ حَنْظَلِ
 وقوفًا بها صَحبي عليّ مطيهم يَقولون : لا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجْمَلِ^٤

(١) اللوى ما التوى من الرمل ، أو استرق منه ، والجمع ألواء وألوية ، وسقط اللوى منتهاه ، وهو مثلث السين . والدخول وحومل وتوضّح والمقرّاة : كلها أسماء أماكن يقع بينها سقط اللوى ، وفيه منزل الحبيب . (٢) لم يعف رسمها ، لم يمحأ أثرها والمراد من (جنوب وشمال) ريح الجنوب وريح الشمال
 (٣) الآرام جمع رئم وهو الظبي خالص البياض . والعرصات : جمع عرصة وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء ، والقيعان : فناء الدار (٤) أي وقوف صحبي على مطيهم بسمرات الحي ، ونصحوا لي بالتحمل والاحتمال .

وإن شِفائي عَبرةٌ مُهراقيةٌ^١ فَسَهْلٌ عِندَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ^٢
 كَدَّ أَبْكَ مِنْ أُمِّ الحَوَيرِثِ قَبْلَهَا^٣ وَجَارَتْهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَاسَلٍ^٤
 إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا^٥ نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَفَلِ^٦
 ففَاضَتْ دُمُوعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً^٧ عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دُمُعِي مَحْمَلِي^٨
 أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لِي مِنَ البَيْضِ صَالِحٍ^٩ وَلَا سِيَّاءَ يَوْمٍ بِسَدَارَةٍ جُلُجُلٍ^{١٠}
 وَيَوْمَ عَقَرْتُ للْعَذَارَى مَطِيطِي^{١١} فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا المُنْتَحَمَلِ^{١٢}
 فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا^{١٣} وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدِّمَقْسِ المَقْتَلِ^{١٤}
 تُدَارُ عَلَيْنَا بالسِّدْفِ صَحَافُهَا^{١٥} وَيُؤْتَى إِلَيْنَا بِالعَبِيطِ المُنْتَمَلِ^{١٦}
 وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخَيْدَرَ خَيْدَرُ عُنَيْزَةٍ^{١٧} فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي^{١٨}
 تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الغَبِيطُ بِنَا مَعًا^{١٩} عَقَرْتُ بِعَيْرِي يَا أَمْرَأَ القَيْسِ فَاثْرَلِ^{٢٠}
 فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْحِي زِمَامَهُ^{٢١} وَلَا تُبْعِدْنِي مِنْ جَنَّاكِ المَعْلَلِ^{٢٢}
 دَعِيَ البَيْكَرَ لَا تَرْنِي لَهُ مِنْ رَدَافِنَا^{٢٣} وَهَاتِي ذِقْنَنَا جَنَاحَ الهَرْتَفَلِ^{٢٤}
 بِشَفْرِ كَمِثْلِ الاقْحَحَانِ مُنَوَّرِ^{٢٥} نَقِي الثَّنَايَا أَشْنَبٍ غَيْرَ أَتْعَلِ^{٢٦}

(١) عبرة مهراقية دمعة مسكوبة ، والمعول المستعان به (٢) الدأب الشأن .
 (٣) تضوع المسك : انتشرت رائحته . والربا الرائحة ، والمراد أنه إذا قامت
 هاتان المرأتان يضوع منهما المسك . كما يأتي النسيم بشذا القرنفل . (٤) المحمل على
 وزن منبر حمالة السيف (٥) ابتداء الشاعر بذكر حوادث شبابه وملاعب صباه ،
 وخص بالذكر أيامه بدارة حلجل ، وهي مكان ، ننجد ، وسيحدثنا عن لهوه أطيب
 الحديث (٦) مطية الشاعر هنا ناقته (٧) هدايا الدمقس أطراف الحرير والمقتل :
 المقتول (٨) السدیف : قطع السنام والصحاف : جمع صحيفة القصعة والعبيط لحم الذبيحة
 تنحمر من غير علة ، والمثمل الشهي (٩) العبد هنا هو دج وعنيزة اسم محبوبته ، إنك
 مرجلي أي فاضحي بين رجائي ١٠١ لعبيط الرجل عقرت بعيري دميت ظهره
 لثقلك (١١) الجسى : الشهد للملل الشهي (١٢) الكور : البعير ، الرداف : هو
 أن يركب اثنان على دابة واحدة - أذيقها جما القرنفل أي مكثينا من ثغرك العطر
 (١٣) الاقححوان زهر أبيض جميل شبيه به الزهر العذاب أشنب فيه برد ورقة وصفاء .

فمثلك حبلى قد طرقتُ ومُرُضِع
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له
ويوماً على ظهر الكتيب تعذرت
أفاطم مهلاً بعض هذا التذلل
أغرك مني أنت حبك قاتلي
وأنتك قسمت الفؤاد فنصفه
فإن تلك قد ساءتك مني خليقة
ومبا ذرفت عينك إلا لتضربي
وبيضة خدر لا يرأى خباؤها
تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً
إذا ما الثرى بما في السماء تعرضت
فجئت وقد أنضت لنوم ثيابها
فقلت يمين الله ما لك حيلة
وما إن أرى عك الغواية تنجلي^{١٢}

(١) محول مصى عليه حول. يريد أن يقول إنني رجل أفقت النساء، حتى لا تنجو مني الحبلى ولا الموضع، مع أنها في شغل بالحمل والرضاع (٢) في هذا البيت صورة فائنة من صور الجماع (٣) تعذرت: تمنعت. أي مضت في عنادها وتجنبتها. آلت حلقة: أقسمت يميناً؛ لم تحلل: لم تقيد اليمين بحلها هو ولم يستثن فيها (٤) ازمع الأمر، وازمع عليه. إذا ثبت عزمه على إمضائه. الصرم بفتح الصاد وضمها الهجر والقطيعة والإجمال: الرفق (٥) مكبيل: مقيّد (٦) الخليقة: السجية والطبيعة والثياب هنا القلب وتذلل تسقط والمعنى: إذا ساءتك خصلة من خصالي فسلي قلبي من قلبك ٧ السهام: العيون. قلب. مقتل: أهلكه العشق (٨) بيضة الخدر كناية عن المرأة المخدرة المحجبة. غير معجل غير مضطر إلى العجلة ٩ الأحراس: الحراس وحراس جمع حريص وأسر الأمر أضمره (١٠) الوشاح: أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها. والوشاح المفصل: هو الموضع بالذهب أو الزبرجد (١١) أنضى الثياب: خففها. والمتفضل هو الذي يلبس ثوباً واحداً حين يأوي إلى فراشه (١٣) مالك حيلة: أي لا بصر لك بمواقب الأمور.

(٣ - جواهر الأدب ٢)

خرجتُ بها أمشي تجرُّ ورائنا على أثرينا ذيلَ مرطٍ مرحل^١
 فلما أجزنا ساحةَ الحيِّ وانتحت بنا بطنَ خَبَّتِ ذي حَقافِ عَقْنَقِل^٢
 هَصَرْتُ بفوْدي رأسيها فتأملتُ عليَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رِيًّا المَخْلَخِل^٣
 مَهْمَهْفَةً بَيْضَاءُ غَيْرُ مَفَاضَةٍ ترائبُها مصقولةٌ كالسَّحْنَجِل^٤
 كبكرِ المِائَةِ البَيَاضِ بَصْفَرَةٍ غذاها نَمِرِ المِاءِ غَيْرُ المَحْلِل^٥
 تَصُدُّ وتُبْدي عن أسيلٍ وتتقي بناظرةٍ من وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفِل^٦
 وجيدٍ كجيدِ الرُّثْمِ ليس بفاحشٍ إذا هي نَضَّتْه ولا بِمُعْطِل^٧
 وفرعٍ يَزِينُ المَتْنَ أسودَ فاحمٍ أثيث كَقَيْنِ النَخْلَةِ المَتَعَشِكِل^٨
 غداثرُهُ مُسْتَشْزَرَاتٌ إلى العُلَى تضلُ المِدارِي في مُشْنَى ومُرْسِل^٩
 وكشَحٍ لطيفٍ كالجديلِ مُخَصَّر وساقٍ كأنبوبِ السَّقْيِ المَذَل^{١٠}

(١) المرط كساء من صوف أو خز، فيه صور رجال وبالحاء فيه صور رجال (٢) جزت المكان: قطعتة وخلفته، انتحت: قصدت، الخبت: الفضاء الواسع والعقنقل: الوادي العظيم (٣) هصرت فوديا: أملتنيها إلي، والفودان: جانبها. الرأس هضم الكشح: دقيقة الخصر، ريا المخلخل: بضه الساق (٤) مهمهفة ضامرة البطن. غير مفاضة. غير مسترخية اللحم؛ الترائب موضع القلادة من الصدر والسحنجل المرأة المجنونة ه المفاة الخلط والشاعر يشبه خليلته ببديضة النعام لأول عهدا بمزج الصفرة بالبياض (المحلل: الذي كدرته الإبل، يصف حبيته بأنها لا تشرب الماء المحلل كسائر الأعرابيات، وإنما هي سيدة مترفة تشرب الماء النмир (٦) تصد: تصدق، تبدي: تعيد الصد، أي تصد. الأسيل: الرقيق، صفة لموصوف محذوف هو الخد، وجرة: مكان لتربية الوحوش بين مكة والبصرة ومطفل ذات طفل والمعنى تصد عن خد أسيل وتتقي المحب بهين مملوءة بالعطف، كما تنظر إلى طفلها الطبية الرؤوم (٧) الرثم: الظبي، نضته: رفعته، معطل وعاطل: لا حلية فيه (٨) الفرع الشعر (٩) مستشزرات: مرتفعات والغدائر خصل الشعر، المداري: الأمشاط (١٠) الجديل: الوشاح والمذلل اللين، ومنه شجرة مذلة معطفة الأغصان، يناها كل أحد.

ويُضْحِي فتيتُ الْمِسكِ فوق فراشها ونَوْم الضحى لم تَنْتَظِقْ عن تَفْضُل^١
وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل^٢
تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة^٣ 'مُنْسَى رَاهِب مُبْتَل'^٤
إلى مثلها يَرْنُو الحليم صبابه إذا ما اسبكرت بين درع ومجول^٥
تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هواها بمنسل^٦
ألا رُبَّ خَصَمٍ فيك لَوَى رَدَدَتْه نصيح على تعذله غير مؤتل^٧
وليل كموج البحر أرخى سُدُولُه عليّ بأنواع الهموم ليبتلي^٨
فقلت له لما تقطى يحوزره وأردف أعجازاً وناءً بكلكل^٩
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل^{١٠}
فسيالك من ليل كان نجومه بكل معار الفتل شدت يذبيل^{١١}
كان اثرياً علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صمّ جندل^{١٢}

(١) انتظقت المرأة : لبست المنطق أو النطاق، والتفضل لبس الثوب الواحد.
وعن هنا، بمعنى بعد، أي لم تلبس المنطق بعد المفضل يريد أنها لم تكن بعد عري،
ونوم الضحى من عادات المترفات (٢) العطو التناول، ورخص: لين ناعم، وهو
وصف للبنان، وشثن: خشن وأساريع جمع أسروع والإسحل شجر يستاك به.
(٣) يقول: تضيء محبوبتي الظلام كأنها منارة الراهب في المساء (٤) اسبكرت:
اعتدلت واستقامت، ودرع المرأة قميصها (٥) تسلت: تكشفت وانزاحت، عمايات
جمع عماية، وهي الفواية والضلال، ومنسل: سال، ولم يسأل عن هواها فؤادي.
(٦) ألوى: عسر. والتعذل والعذل اللوم. غير مؤتل غير مقصر (٧) السدول
الستور، يبتلي: يختبر. وهو يصف الليل بتعمد إيدائه (٨) تقطى الليل طال
والجور الوسط، وفي رواية، بصلبه: ناء بهض، والكلكل: الصدر (٩) أمثل
أفضل، يذكر أن مومه موصولة، فليس الصبح خيراً من الليل (١٠) معار:
محكم شديد، ويذبل اسم جبل، يصف نجوم الليل بالثبات (١١) في مصامها:
في موضعها، أمراس جمع مرس وهو الحبل، والجندل الأصم: الحجر الصلب.

وقربة أقوام جعلت عصامها على كاهل مني ذلول مرحل^١
 وواد كجوف العير قفر قطعت^٢ به الذئب يعنوي كالخليع الممئل^٣
 فقلت له لما عوى : إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تقول^٤
 كلانا إذا ما نال شيئاً أفات^٥ ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل^٦
 وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد همكل^٧
 مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلود صخر حطته السيل من عل^٨
 كيت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل^٩
 على العقب جياش كأن اهتزاه إذا جاش فيه حميه غلي مرجل^{١٠}
 مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن عباراً بالكديد المركل^{١١}
 يزل الغلام الخف عن صهوانه ويلوى بأثواب الغنيفة المثقل^{١٢}
 ديرر كخزوف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل^{١٣}

(١) العصام : حبل تربط به القربة ، ومرحل كثير الحمل والترحيل (٢) يقال
 للموضع الذي لاخير فيه ، والعيل : المسيب الذي ألقى حبله على غاربه (٣) قول : صار
 ذا مال (٤) أفاته . ضيعه ومن يحترث حرثي وحرثك . من هو مثلنا ، ويهزل : يضعف
 (٥) وكنات . العش ، وفرس أجرد ومنجرد : قصير الشعر رقيقه ، الأوابد الوحش
 النافرة ، وقيد الأوابد مبالغة في سرعة العدو ، والهيكل : الصخم من كل شيء
 (٦) مكر مفر سريع الكر والفر ، من عل : من فوق . يصف عدو الفرس في
 كره وفرد وإقباله وإدباره بجلاليد الصخر تحطها السيول (٧) كيت خالط حرته
 سواد ويزل يسقط ، عن حال متنه عن وسط ظهره الصفواء الملساء المتنزل
 المطر ينزل من السماء (٨) وجياش إذا حركته بعقبك جاش كما يجيش البحر بالأمواج
 اهتزاه صهيله ، المرجل : القدر ، يشبه صهيل جواده حين يجيش حمية بالقدر حين
 تفور (٩) مسح : عدا . السابحات والسوابح : الخيول . الونى الضعف والتعب ،
 الكديد الأرض تكدها بجوافرها الدواب . المركل : المكدود (١٠) الخف الجلد
 أو الخفيف الغنيفة من لا رفق له بركوب الخيل ، المثقل : الثقيل ، يريد أنه لا
 يذل لغير سيده وهو وصف بديع (١١) ديرر : كثير الجري ، الوليد : الصبي ،
 والخزوف شيء يدرره في يديه بخيط فيسمع له دوي نحلة أو بلبل . أمره قتله .

له أَيْطَلَا ظِيْرٍ وَسَاقَا نِعَامَةً ۖ وَإِرْخَاءُ سُرْحَانٍ وَتَقْرِيْبٌ تَنْفُلُ^١
 ضَلِيْعٌ إِذَا اسْتَدْبِرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ۖ بِضَافٍ ۖ وَيَقِي الْأَرْضَ لَيْسَ بِأَعْزَلَ^٢
 كَانَ سَنَا أَتْنَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَشَحَى ۖ مَدَاكَ عُرُوسٍ أَوْ صَلَابَةٍ حَنْظَلُ^٣
 كَانَ دِمَاءُ الْهَادِيَاتِ يَنْحَرُهُ ۖ عُنْصَارَةٌ ۖ حِنَاءٌ بِشَيْبٍ مُرْجَلُ^٤
 فَحَنَ لَنَا سِرْبٌ ۖ كَانَ نِعَاجِهِ ۖ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مَلَأٍ مُذْيِلُ^٥
 فَأَدْبِرْتَ كَالْجَزْعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَيْهِ ۖ يَجِيدُ مُعَمِّمٌ فِي الْعَشِيرَةِ نُخُولُ^٦
 فَأَلْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُوْنَهُ ۖ جَوَاحِرُهَا فِي صُرَّةٍ لَمْ تَزِيلُ^٧
 فَعَادَى عَدَاءٌ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْمَجَةٍ ۖ دِرَاكَا ۖ وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلُ^٨
 فَظَلَّ طَهَاءُ اللَّحْمِ مَا بَيْنَ مُنْضَجٍ ۖ صَفِيْفٌ سِوَاءٍ أَوْ قَدِيدٍ مُعْجَلُ^٩

(١) الأيطل الكشح ، السرحان الذئب ، والتقريب : رفع اليدين معاً
 (٢) ضليع قوي الجنين ، استدبرته : نظرت إليه من خلف (٣) المداك والمدوك
 الصلابة يذكرون الجواد إذا انتحى ناحية وهو غير مسرج رأيت ظهره براقاً لامعاً
 كما تلمع صلابة الحنظل و مداك العروس ، وإنما خص صلابة الحنظل لما يترك بها من
 الدهن اللامع : وخص مداك العروس لقرب عهدته بالطيب . وإن امرئ القيس
 لشاعر فنان ! (٤) الهاديات : المتدمات ويريد بها هنا الفرائس ، مرجل : مسرج ،
 يذكر أن دماء الفرائس ينحره كمصارة الحناء بالشيب المرجل ، وكلاهما يلمع من
 الخضاب (٥) عن : عرض ، السرب : القطيع ، النعاج : البقر ، دوار : اسم صنم ،
 مذيل : طويل الأطراف (٦) الجزع : الخرز ، لأن لونه يجزع إلى بياض وسواد ،
 والمفصل بيده : أي الذي فصل بين حياته بالذهب أو الزبرجد ، الجيد : العنق المعمم
 والنحول : كرام العم والخال : يشبه النعاج بالجزع المفصل في جيد من كرم عمه
 وخاله (٧) الهاديات : السابقات المتدمات . الجواهر : المتخلفات ، في صرة : في
 صياح شديد ، لم تزيل : تتفرق (٨) عادى عداء : جمع بين ثور ونعجة ، دراكا :
 تباعاً ، لم ينضج بماء : لم يعمق (٩) الطهاة جمع طاه وهو الطباخ . لحم صفيف ،
 صف على النار ليسوى وفي الشمس ليقدد .

ورُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ متى ما تَرَقَّى الْعَيْنُ فِيهِ تَسْفَلُ^١
 فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرَجُهُ وَلَجَامُهُ وَبَاتَ بَعَيْتِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ^٢
 أَصَاحٍ ؟ تَرَى بَرَقًا أُرِيكَ وَمِیْضَهُ كَلِمَعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مَكْمَلِ^٣
 يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبِ أَهَانَ السَّلَیْطُ بِالذُّبَالِ الْمَفْتَلِ^٤
 قَعْدَتُ وَأَصْحَابِي لَهُ بَيْنَ ضَارِجِ وَبَيْنَ الْعُذَيْبِ ، بَعْدَ مَا مَتَأْمَلِ^٥
 عَلَى قَطَنِ بِالشَّيْمِ أَيْنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرَهُ عَلَى السَّتَارِ فَيَذْبَلِ^٦
 فَأَضْحَى يَسَحُّ الْمَاءُ حَوْلَ كُتَيْفَةِ يَكْبُ عَلَى الْأَدْقَانِ دَوْحُ الْكَتْهَبِلِ^٧
 وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفْيَانِهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنَزَلِ^٨
 وَتَبَاءُ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِدْعَ ثُخْلَةٍ وَلَا أَطْمًا إِلَّا مَشِيدًا يَحْتَسِدَلِ^٩
 كَانَ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبَلِّهِ كَبِيرُ أَفَاسٍ فِي بَحَادٍ مُزْمَلِ^{١٠}

(١) يكاد الطرف يقصر دونه أي أن العين لا تقدر على حصر محاسنه ، ترق : تنظر إلى أعلا ، تسفل : تنظر إلى أسفل ٢ يريد أنه بات مقيداً مسرجاً ملجماً ، ليستطيع الفارس امتطاهه متى شاء (٣) ومض البرق ومضاً وميضاً ومضاناً ، لمع لمعاً خفياً ، الحبي : الحجاب المتراكم (٤) السليط ، الزيت الجيد ، الذبال ، جمع ذبالة ، وهي فتيلة المصباح وفي رواية : آمال ٥ ضارج اسم ماء ببلاد طيء ، والعذيب اسم ماء قريب منه ، ومتأمل أي مأمول (٦) قطن اسم جبل ، الشيم النظر إلى البرق ، الصواب : أي المطر ، والستار ويذبل جبلان (٧) يسح الماء يسكبه ، وكثيفة اسم أرض دوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة والكنبل نوع من الشجر الضخم (٨) القنان : اسم جبل لبني أسد ، نفيان المطر : رشاشه ، العصم : الوعول وفردھا أعصم سميت بذلك لاعتصامها بالجبال (٩) تباء اسم أرض ، الأطم : القصر يريد أن المطر لم يترك بتبء إلا جذوع النخل وما شيد بالصخر من الآطام والديار (١٠) ثبيراً : اسم جبل ، عرانيين وبله : في طغيان وبله ، البجاد : كساء مخطط يلبسه كبار الأعراب ، مزمل : ملفف .

كأن ذُرّاً رأسُ الجحيمِ غدوةً^١ من السيل والغناء فلكة مغزَل^٢
 وألقى بصحراء الغبيط بعائه^٣ نزول الياني ذي العياب الحمَل^٤
 كأن مُسكاكيّ الجوارِ غديةً^٥ صبحن سُلَافاً من رَحيق مفلل^٦
 كأن سباعاً فيه غرقى عشيّة^٧ بأرجائه القصوى أنابيش^٨ عنصل^٩

(٢) النابغة الذبياني

هو النابغة الذبياني أبو أمّامة زياد بن معاوية : أحدُ فحول الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية ، وزعيمهم بمكاذ ، وأحسنهم ديباجة لفظ ، وجلاء معنى ، ولطف اعتذار - ولقب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجاءة وهو كبير ، بعد أن امتنع عليه وهو صغير - وهو من أشرف ذيان ، إلا أن تكسبه بالشعر غرض قليل من شرفه ، على أنه لم يتكسب بشعره إلا في مدح ملوك العرب ، وكان من أمره في ذلك أنه اتصل بملوك الحيرة ومدحهم ، وطالت صحبته للنعمان بن المنذر ، فأدناه منه إلى أن وشى به عند النعمان أحد بطانته ، فغضب عليه وهمّ بقتله ، فأسر إليه بذلك عصام^١ حاجب النعمان ، فهرب النابغة إلى ملوك غسان في الشام ، المنافين للمناذرة في ملك العرب في الحيرة ، فمدح عمرو بن الحارث الأصغر وأخاه النعمان ، غير أن قديم صحبته للنعمان جعله يحن إلى معاودة العيش في ظلاله ، فتنصل واعتذر إليه بقصائد عطف على قلبه ، وعمر النابغة طويلاً ، ومات قبيل البعثة .

(١) الجحيم . اسم جبل ، وذرا رأسه ، أعاليه . الغناء : ما يخالط زبد السيل من ورق الشجر والحشيش (٢) الغبيط أراض لبني يربوع ، بعائه ثقله - العياب جمع عيبة ، وهي ما يضع الرجل فيه - تناعه (٣) المسكاكي : ضرب من الطير يصيح في الغدوات - صبحن : شربن شراب الصباح - السلاف والسلافة : صفوة الخمر - الرحيق : الخمر ، مفلل وضع عليه فلفل يريد أنه لذاع (٤) الأنابيش : جمع أنبوش وهو أصل البقل ، والعنصل البصل البري .

شعره : يمتاز برشاقة اللفظ ووضوح الممنى ، وحسن المظم ، وقلة التشكلف حتى عُدَّ عند المدققين من الشعراء كجبرير أنه أشعر شعراء الجاهلية ، وأغراه تكسُّمُه بالشَّعر أن يفتنَّ في ضروب المدح ، حتى مدح الشيء وضده .

ومن جيد قوله في الاعتذار :

أتاني أبيت اللعن^١ أنك لمستني وتلك التي أهتم^٢ منها وأنصب^٣
فبت^٤ كان المائدات^٥ فرشن لي هراساه به يُعلى فراشي ويقشِب^٦
حلمت^٧ فلم أترك لنفسك ربيعة وليس وراء الله للمرء مطلب
لئن كنت قد بُلغت عني جناية^٨ لمبليغك الواشي أغش^٩ وأكذب
ولكنني كنت امرأاً لي جائب^{١٠} من الأرض فيه مستراد^{١١} ومذهب
ملوك^{١٢} وإخوان إذا ما أتيتهم أحكّم^{١٣} في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنتهم فلم ترم في شكرهم لك أذنبوا^{١٤}
فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي^{١٥} الفار^{١٦} أجرب^{١٧}
ألم تر أن الله أعطاك سورة^{١٨} ترى كل ملك دونها يتذبذب^{١٩}
ولست بمستبق أخاً لا تلثه^{٢٠} على شعث^{٢١} أي الرجال المهذب^{٢٢}

(١) جملة دعائية يخاطبون بها الملوك تحية، ومعناها أبيت أن تفعل شيئاً تلعن به ، وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام (٢) أصير لأجلها ذام (٣) أتعب (٤) الزائرات في المرض (٥) شوكة كأنه حسك (٦) يخلط (٧) ذنباً وفي رواية: خيانة (٨) الجانب الناحية وأراد به الشام (٩) موضع يتردد فيه لطلب الرزق (١٠) بدل من مستراد ومذهب أو مبتدأ بتقدير فيه ملوك (١١) قال الأصمعي: كما فعلت أنت بقوم قربتهم. وأكرهتهم فتركوا الملوك ولزموك فلم تر ذلك ذنباً عليهم (١٢) القطران (١٣) منزلة رفيعة ومشرفاً (١٤) يضرب أراد بهذا البيت والذي قبله تسلية النعمان علي ما حصل من مدحه لآل جفنة (١٥) تلمه تصلحه، والشعث الفساد ، والمهذب المتقى من العيوب ، يعتذر بذلك عن زلته .

فإن أك مظلوماً^١ فغبد^٢ ظلمته وإن تك ذا عتبي^٣ فمثلك يعتب^٤
ومن أبلغ المعلقات والمطولات أيضاً :

معلقة السابعة الذبياني

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ، ماذا تحيون من نؤي وأحجار ؟^٥
أقوى وأقفر من نعسم وغيره هوج^٦ الرباح بهابي الترب موّار^٧
وقفت فيها سراة اليوم أسألها عن آل نعم أمونا^٨ عبر أسفار^٩
فاستعجمت دار^{١٠} نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار^{١١}
فما وجدت بها شيئاً ألوذ به إلا الثام^{١٢} وإلا موّقد النار^{١٣}
وقد أراني ونعماً لاهين^{١٤} معاً والدهر والعيش لم يهضم^{١٥} بإمرار^{١٦}
أيام تخبرني نعم وأخبرها ما أكرم الناس من حاجي وأسراري^{١٧}
لولا حبال من نعم علق^{١٨} بها لأقصر القلب عنها أي إقصار^{١٩}
فإن أفاق لقد طالت عمايته والمرء يخلق طوراً بعد أطوار^{٢٠}
نبئت نعماً على الهجران عاتبة سقياً ودعياً لذلك العاتب الزاري^{٢١}
رأيت نعماً وأصحابي على عجل والعيس للبين قد شدت^{٢٢} بأكوار^{٢٣}
فريع قلبي وكانت نظرة عرضت حيناً وتوفيق^{٢٤} أقدار لأقدار^{٢٥}
بيضاء كالشمس وافت^{٢٦} يوم أسعدها لم أؤذ^{٢٧} أملاً ولم تفحش^{٢٨} على جار

- (١) جعل غضبه ظمناً لأنه عن غير موجب (٢) رضا (٣) يرضى (٤) عوجوا : قفوا. الدمنة : ما اجتمع من آثار الديار، النؤي ما يكون حول الحباء لمنع المطر
(٥) أقوى : خلا ، أقفر : صار قفراً ، هوج جمع أهوج ، الريح تعصف بشدة
هابي الترب : سافيه ، مواريحي، ويذهب (٦) سراة اليوم : وسطه. والأمون ،
النافقة القوية المأدونة (٧) استعجمت : عبت الجواب ٨ ألوذ به : أفرع إليه ،
التام : نوع من النبت الدقيق الضعيف (٩) أمر العيش إمراراً صار مرأ
(١٠) الحبال : جمع حباله وهي الشرك ، أقصر : كف وانصرف (١١) العماية الضلالة
والطور الحال ويخلق يتغير (١٢) ريع من الروع وهو الفزع ، والحين : الهلاك.

تلوثُ بعد افتضال البرد مزرها لوثاً على مثل دِعْص الرملة الهاري^١
والطيب يزاد طيباً أن يكون بها في جيد واضحة الخدين معطار^٢
تسقي الضجيع إذا استسقى بذى أشر عذب المذاقة بعد النوم نحر^٣
كأن مشمولة صرفاً بريقتها من بعد رقدتها أو شهد مُشتار^٤
أقولُ والنجمُ قد مالت أواخره^٥ إلى الغيب : تثبتْ نظرة حار^٥
ألهة من سنا برق رأى بصري أم وجه نعم بدا لي أم سنا نار
بل وجه نعم بدا للليل مُعكر^٦ فلاح من بين أثوابٍ وأستار
إنَّ الحول التي راحت مُهَجَّرة^٧ يتبعن كل سفيه الرأي مغيار^٦
نواعمٌ مثل بيضاتٍ بحنية يحفز منه ظليماً في نقاً هار^٧
إذا تغنى الحمامُ الورقُ هيجني وإن تغربت عنها أم عمار^٨
ومهمه نازح تعوي الذئبُ به نائي المياه عن الوراد مقفار^٩
جأزته بعلندة مناقلة^{١٠} وعر الطريق على الإحزان مضار^{١٠}
تجتأب أرضاً لي أرض بذى زجل ماض على الهول هاد غير محيار^{١١}

(١) تلوث تلف وافتضال البرد هو التوشع به : والدعص : الكثيب الصغير والهاري : النهار (٢) الجيد العنق . معطار : كثير العطر ووضح الخد إشراقه (٣) الأشر حسن الثغر وتحرير أطرافه نحر عطر تقول وجدت خمرة الطيب أي رائحته (٤) المشمولة النحر والصرف الخالصة ، والريقة : الريق . والمشتار : الذي ينزع العسل من بيوت النحل (٥) حار مرخم حارث (٦) الحول : الهوادج ويريد بها النساء راحت مهجرة سارت وقت الهجير ، مغيار : غيور (٧) الحنية والمحنو : منعطف الوادي ٨ الورق : جمع ورقاء ، وهي الحمامة تألف الشجر الوريق . وأم عمار واقعة موقع البدل من الضمير في (عنها) ٩ المهمه ، الوادي الموحش ، نازح : بعيد . الوراد ، جمع وارد مقفار : لا أنيس به (١٠) علندة : شديدة وهو وصف للناقة ، مناقلة : سريعة نقل القوائم في جري بين العدو والخبث . الإحزان : المشي في الحزن ، وهو ما صلب من الأرض . مضار : كثير الضمور (١١) تجتأب : تقطع وتجوب ، الزجس : الصوت ، محيار : شديد الحيرة .

إذا الرُّكَّابُ ونْتَ عنها ركائبها تشذرت ببعيد الفتر خطاسار^١
 كأنما الرُّحْلُ عنها فوق ذي جدَد ذب الرِّيَادُ إلى الأشباح نظار^٢
 مطرَّد أفردت عنه حلائله من وحش وجرة أو من وحش ذي قار^٣
 مجرَّسٌ وَحَدَّ جَابَ أطاع له نبات غيث من الوسمي مبكار^٤
 سرائه ما خلا لبانه لهُقْ وفي القوائم مثل الوشم بالقار^٥
 باتت له ليلةٌ شهباءُ تسفعه بحاصب ذات إشعان وإمطار^٦
 وباتَ ضيفاً لأرطاةٍ وألحاءُ مع الظلام إليها وإبل سار^٧
 حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته وأسفر الصبحُ عنه أي إسفار^٨
 أهوى له قانصٌ يسعى بأكلبه عاري الأشاجع من قناص أنمار^٩
 محالفُ الصيدِ هباشٌ له لَحَمَ ما إن عليه ثيابٌ غير أطمار^٩

(١) ونت : من الونى ، وهو الضعيف . تشذرت : نشطت . الفتر : الضعيف .
 خطاسار كثير الخطران برجليه على الناقة يحشها على المضي (٢) ذو الجدد : هو ثور
 الوحش تعملو ظهره خطوط بيض وحرر . والذب : الدفع ، والرياد والارتباد
 التجول ، (٣) مطرد : مشرد ، ووجرة وذوقار موضعان ، والوحش إذا أفردت
 عنه حلائله جن وأكثر من العدو في أرجاء الفضاء (٤) مجرس : خائف وذلك أن
 يسمع جرس الانسان أي صوته - وحد : وحيد . جاب صلب شديد تطاع له
 الكلأ وأطاع : إذا اتسع وأمكن رعيه حيث شاء . الوسمي : أول المطر . ومثله
 المبكار (٥) سرائه ظهره ، لبانه : صدره ، لهُق : أبيض ، القار : شيء أسود
 تطلي به السفن (٦) ليلة شهباء ويوم أشهب : تهب فيها ريح باردة - تسفعه . تلفعه
 وترميه . والحاصب الريح تقذف بالحصباء وهي الحصى (٧) الأرطاة : شجرة مرة
 والوايل المطر الغزير ، والساري يسح بالليل (٨) أهوى له : انقض عليه ، أكلبه :
 كلابه الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف . وعريها
 محمود في الرجال ، أنمار اسم لقبيلة مشهورة بالصيد (٩) هباش : كثير الهبش
 وهو الكسب يتكسب لهم ومعه هباشات ، أي مكاسب أطمار جمع طمر : وهو
 الثوب الخلق .

يسمى بغضب براها فهي طاوية^١ طول ارتحال بها منه وتَسْنِيَار^١
 حق إذا الثورُ بعد النفر أمكنه أشلي وأرسل غطفاً كلها ضار^٢
 فكرٌ محمية من أن يفتر كما كثر المحامي حفاظاً خشية العار^٣
 فشكّ بالروق منه صدرُ أولها شك المشاعب أعشاراً بأعشار^٤
 ثم انثنى بعدُ للأناني فأقصده بذات ثغر بعيد القمر نَعَار^٥
 وأثبت الثالث الباقي بِنَافِذَة من باسل عِلم بالطنع كَرَار^٦
 وظل في سبعة منها لحقن به يكرُّ بالروق فيها كر إسوار^٧
 حق إذ ما قضى منها لبانتَه وعاد فيها بإقبال وإدبار^٨
 انقض كاللكوكب الدرّي منصلتاً هوي ويخلط تقرّباً بإحضار^٩
 فذاك شبه قلوصي إذ أضرت بها طول السرى والسرى من بعداً - فار^{١٠}
 لقد نهيت بني ذبيان عن أقر وعن ترّبعهم في كل أصفار^{١١}
 فقلت يا قوم إن الليث منقبض على برائيه لوثبة الضاري^{١٢}
 لا أعرفن ربّياً حوراً مداً معها كأنهنّ نعاجٌ حول دَوَّار^{١٣}

(١) الغضب: جمع أغضب، وهو اللين الناعم. طاوية جائعة (٢) النفر: العدو. أشلي. تَهول أشلي: وتقول أشليت الكلب للصيد (٣) محمية. حفاظ والمحامي الذائد والمدافع (٤) الروق القرن، المشاعب: الذي يشعب الفدح ويصدعه (٥) أقصده. رماه بذات ثغر: أي بطعنة ذات ثغر وانثغر هنا الشق، بعيد القمر بعيد الغور. نعار له نعر (٦) نافذة أي ماضية. باسل: من البسالة وهي الشجاعة (٧) الإسوار الرامي الحادق! (٨) لبانتَه: حاجته (٩) منصلتاً: الانصلات هو المضي في سرعة (١٠) القلوص: الناقة والسرى: السيز بالليل (١١) أقر: واد خصيب حماء النعمان. وبني ذبيان قوم النابغة (١٢) منقبض على برائيه متحفز للوثوب وثبة الأسد الضاري (١٣) الربرب القطيع من البقر شبه به النساء حور جمع حوراء، من الحور وهو شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها والمدامع: العيون.. والنعاج يريد بها هنا أيضاً النساء ودوار: صنم كن يطفن حوله.

ينظرون شزراً لي من جاء عن عرُص بأوجه منكرات الرق أحرار^١
 خلف العضاريط لا يوقين فاحشه مستمسكات بأفتار وأكسوار^٢
 يذرفن دمعاً على لأشفار منحدرأ ياملن رحلة حصن وابن سيار^٣
 إما عُنِصِت فإني غيرُ منفات مني اللصابُ وجنباً حربة النار^٤
 إذ أصنع البيت في سوداء مظلمة تقيدُ العير لا يسري بها الساري^٥
 تدافع الناس عننا حين نركبها من الظالم ندعى أم صبار^٦
 ساق الرفيدات من جوش ومن خردي وماش من رهط ربعي وحجار^٧
 قرمي قضاة حلاً حول حجرته مداً عليه بسلاف وأنفار^٨
 حتى استقر يجمع لا كفاء له يففي الوحوش عن الصحراء جرار^٩
 لا يخفض الرز عن أرض ألمها ولا يضل على مصباحه الساري^{١٠}
 وعيرتي بنو ذبيان خشيته^{١١} وه علي بأن أخشاك من عار

(١) النظر الشزر هو النظر في إعراض يؤخر العين كنظر الساغص، العرض:
 الجانب منكبات الرق أحرار صفة للنساء يرميهن السبي بالعبودية (٢) العضاريط:
 الخدم، لا يوقين فاحشة يريد أن السبي عرضهن للمسكر أي الفحشاء الأفتاب: جمع
 قتب: وهو عود الرجل والأكواع الرجال (٣) الأفتار منابت الهدب
 (٤) اللصاب: جمع لصب وهو الشعب الضيق من الجبل والحرة: أرض ذات
 حجارة سود نخرت كأنها حرقت بالنار (٥) سوداء مظلمة وصف لحزة النار.
 تقيد العير: تمعه من المشي (٦) الرفيدات: بنو ربيعة من كلب بن وبرة جوش:
 جبل ببلاد بني الفين، ربعي وحجار رجلان من قضاة (٧) قرمي قضاة: صفة
 لربعي وحجار والمراد الرجل القوي المتين. حلا: نزلاً، مدا عليه: أمداه
 السلاف: من يتقدمون العسكر والأنفار: من يتكون الجيش من أفرادهم.
 (٨) استقل: نهض: لا كفاء له، لا نظير له، والجرار الجيش الكمي. كأنه:
 يحجر بعضه بعضاً.

(٩) الرز: الصوت. ألم نزل يعني أنه لا يهاب أرضاً ينزل بها حتى يخفض صوته

(٢) زهير بن أبي سلمى المزني المصري

هو زهير بن أبي سلمى : واسمه ربيعة بن رياح المزني ثالث فحول الطبقة الأولى من الجاهلية ، وأعظم قولاً ، وأوجزهم لفظاً ، وأغزرهم حكمة ، وأكثرهم تهذيباً لشعره .

نشأ في غطفان وإن كان من مزينة ، من بيت جل أهله شعراء ، رجالاً ونساء ، واختص زهير بمدح هرم بن سنان الذبياني المري ، وأول ما أعجبه من فعله وحبب إليه مدحه حسن سعيه هو والحارث بن عوف في الصلح بين عيسى وذيبيان في حرب داحس والغبراء بتحملهما ديات القتلى التي بلغت ثلاث آلاف بعير ، وقال في ذلك قصيدته ، وهي إحدى المعلقة السبع .

ثم تابع مدحه كما تابع هرم عطاءه حتى حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً ، فاستجيا زهير منه ، فكان إذا رآه في ملا قال : أنعموا صباحاً غير هرم ، وخيركم استثنيت . وكان زهير سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع ، متديناً مؤمناً بالبعث والحساب ، كما يبدو من قوله :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم
وعمر زهير ، ومات قبل البعثة بسنة .

وكان زهير صاحب رؤية وتعمل وتهذيب لما يقول ، ولا سيما مطولاته ، حتى قيل : إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، ويهذيبها في أربعة أشهر ، ويعرضها على خواصه في أربعة أشهر ، فلا يظهرها إلا بعد حول ، ولذلك يسمون بعض مطولاته الحوليات ، وبما سبق فيه غيره قوله يمدح هرمًا

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوانه طرفاً
من يلتق يوماً على علاقته هرمًا يلتق الساحة منه والندی خُلُقاً
لونا لحي من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الأفق

وشعره يمتاز أولاً بحسن الإيجاز وحذف فضول الكلام وحشوه ، بحيث يودعُ اللفظ اليسير المعنى الكثير .
وثانياً بإجادة المدح وتجنب الكذب فيه .
وثالثاً بتجنب التعقيد اللفظي والمعنوي ، والبعد من وحشي الكلام وغريبه .
ورابعاً بقلّة الهذّر والسخف في كلامه ، ولذلك كان شعره عفيفاً يقلُّ فيه الهجاء ولقد هجا قوماً فأوجع ، ثم ندم على ما صنع .
ومن أشهر المعلقات والمطولات أيضاً :

معلقة زهير بن أبي سلمى

أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دَمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بحومانة الدراج فامتلئ^١
دياراً لها بالرقمتين كأنها مراجيع^٢ وشم في نواشر المعصم^٣
بها العين والآرام^٤ يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم^٥
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأياً عرفت الدار بعد توهم^٦
أنثافي^٧ سفعاً في مفرس مرّجل ونؤياً كجذم الحوض لم يتلهم^٨
فلما عرفت الدار قلت لربها ألا انعيم صباحاً بها الربيع واسلم^٩
تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثوم^{١٠}

- (١) أم أوفى امرأة زهير . ودمنة الدار : الأثر . لم تكلم : لم تظهر أي ،
أمن دمن . أم أوفى دمنة لم تتكلم . وحومانة الدراج موضع . وكذلك المتلهم .
(٢) الرقمتان : اسم مكان ، مراجع الوشم : خطوطه ، ونواشر المعصم : عروقه
(٣) العين : البقر ، والآرام : الظباء وأطلاؤها : أولادها . والمجثم المكان الذي
يقمن فيه يمشين خلفه : فوجاً بعد فوج وسرباً بعد سرب .
(٤) حجة : سنة (٥) الأنثافي : الحجارة توضع عليها القدر . سفع : سود .
ومعرس الرجل : الموضع الذي يكون فيه . والنؤي : مما يحفر حول
الخيام لمنع السبل . جذم الحوض أصله . لم يتلهم لم يتكثر (٦) الظمائن . الجمال
عليها الهودج : العليا وجريم : موضعان والتحمل الارتحال .

جعلنَ القنآنَ عن يمينٍ وحزْنُهُ^١ وكم هالقنآنِ من محلٍّ ومحرمٍ^٢
 علونَ بأنماطٍ عتاقٍ وكلّة^٣ وراد حواشيها مُشاكِهةَ الدمِ^٤
 ظهرنَ من السوبانِ ثمّ جزَعنه^٥ على كل قبني قشيبٍ ومُفأَم^٦
 ووركنَ في السوبانِ يعلو مَتنهُ^٧ عليهنّ دَلّ الناعمِ المتنعِم^٨
 بكرنَ بكوراً واستَحَرْنَ بسَحرة^٩ فهنّ وادي الرس كاليد للقمِ^{١٠}
 وفيهنّ ملهى للصديقِ ومنظر^{١١} أنيق لعين الناظر المتوسمِ
 كأن فتات العهن في بكل منزل^{١٢} نزلنَ به حب الفنا لم يحطم^{١٣}
 فلما وردنَ الماءَ زرقاً جِهامه^{١٤} وضعن عصي الحاضر المتخيمِ^{١٥}
 تذكّرني الأحلامُ ليلي رمن تطف^{١٦} عليه خيالاتُ الأحبة يحلم^{١٧}
 سمى ساعيان غيظ بن مرة بعدما^{١٨} تبزل ما بين العشيرة بالدمِ^{١٩}
 فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله^{٢٠} رجالٌ بنود من قريش وجرم^{٢١}
 يميناً لعم السيدان وجدتما^{٢٢} على كل حال من سحيل وهبم^{٢٣}

(١) القنآن : اسم جبل . الحزن : ما غلظ من الأرض (٢) الأنماط : ثياب
 تفرش بها الهوداج . وعتاق : حيدة الحوك . والكلّة : الستارة الناموسية إيراد
 موزونة ، مشاكهة مشابهة (٣) السوبان : اسم واد جزعنه قطعنه قشيب :
 جديد . مفأَم : واسع (٤) وركن في السوبان . عرجن عليه ، متنه ظهره
 (٥) استحرن : سرين سحراً ، كاليد للقم : يريد أنهن في قرهن من وادي الرس
 كاليد للقم ؛ لأنها لا تخطئ في قربها منه (٦) العهن : الصوف ، الفنا : شجر له حب
 أحمر وفيه نقط سود (٧) جِهام الماء : ما اجتمع منه والجِهام الزرق المياء الصافية
 ووضع العصي كناية من ترك السير . الحاضر : النازل على الماء ، المتخيم ؛ المقم .
 (٨) في كتاب مدامع العشاق بحث مفضل عما قاله الشعراء في طيف الخيال .
 (٩) الساعيان في هذا الصلح هما الحارث بن عوف وهرم بن سنان وإليهما يوجه
 زهير الثناء ١٠ البيت هو الكعبة وجرمهم اسم لقوم كانوا ولاية البيت قبل
 قريش وأبأهم الله لبقيهم (١١) السحيل : الخيط المفرد المبرم المقتول ، والسحيل
 هنا والمبرم كناية عن الرخا . والشدة .

تداركتُما عَيْساً وذُبيانَ بعدَ ما تفانوا ودَقَّتا بينَهم عِطراً مِثْشَمٌ^١
وقد قُلتما : إنْ نُدْرِكَ السَّلمَ واسِماً بمالٍ ومَعروفٍ مِنَ الأمرِ نَسْلمُ^٢
فأصبحتُما مِنها على خَيرِ مَوَطنٍ بَعِيدَينِ فيها من عَقوقٍ وَمَأْثَمِ^٣
عَظِيمَينِ في عَليا مَعَدَيِ هُدَيْتُما وَمَنْ يَسْتَبِجُ كَنزاً مِنَ الجَدِّ يَعْظُمُ
وَأَصْبَحَ يُحْدِى فيهِمُ مِنْ تِلادِكُم مِغْناهُمُ بَشْتَى من إفالٍ مِزْنَمِ^٤
تُعَفِّتُ الكَلومَ نالِثينَ فأصبحت يَنْجِمُها مَنْ لَيسَ فيها بِجَجرِمْ^٥
يُنْجِمُها قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٍ وَلَمْ يَهْرِيقوا بَينَهم مِلءَ مِحْجَمِ^٦
ألا أَبْلُغَ الأحلافَ عَنِّي رِسالَةٍ وذُبيانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مَقْسمِ^٧
فلا تَكْتُمُنَّ اللهُ ما في صُدُورِكُم لِيخْفَى ، ومِهما يُكْتَمُ اللهُ يَعلَمُ
يُؤَخِّرُ فيؤْصَعُ في كِتابٍ فيُدْخِرُ لَيومَ حِسابٍ أو يُعْجَلُ فيُنْقَمُ
وما الحربُ إلّا ما عَلِمْتُم وذُقْتُم وما هُوَ عَنها بِالحديثِ المَرَجَمِ
مَنْ تَبِعْموها تَبِعْموها ذَمِيمَةٍ وتَضَرى إذا ضَرَّيْتُمُوها فَتَضَرَمُ^٨
فَتَعْرِ كُكُمُ عَرَاكَ الرُّحى بِنقالِها وتَلْقَحُ كِشافاً ثُمَّ تُنْشِجُ فَتُسَمُّ^٩

(١) مِثْشَم : امرأة تبيع عطراً . فإذا حاربوا اشتروا منها كافوراً لموتاهم

(٢) واسماً خالصاً من شوائب الأحقاد .

(٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمأثم الإثم . وهو العدوان .

(٤) يحدى : يساق . إفال : جمع أفيال وهو الفصيل . مزنم : معلم .

(٥) تعفى : تمحى ، الكلوم الجروح ، ينجمها . يؤديها أفساطاً .

(٦) المحجم : وعاء يتلقى فيه الحجام الدم عند المصد .

(٧) أي : هل حلقتُم لا تعملون شيئاً ينقض ما تحالفتم عليه .

(٨) يقال ضررته فضرى : أي هيجته فهاج . تضرم : تشعل

٩ النقال : جلد يبدط تحت الرحى عند الطحن .

جعلنَ القنَّانَ عن يمينٍ وحزَنهُ^١ وكم بالقنَّانِ من محلٍّ ومحرَمٍ^٢
 علونَ بأنماطٍ عتاقٍ وكلَّةٍ^٣ ورَّادَ حواشيها مُشاكِهةَ الدَّمِ^٤
 ظهَرُنَّ من السَّوبانِ ثمَّ جَزَعْنهُ^٥ على كلِّ قَبْني قَشيبٍ ومُفْأَمٍ^٦
 ووركنَ في الوَبانِ يعلو مَتْنهُ^٧ عليهنَّ دَلَّ النَّاعِيمُ المَتْنَعِمُ^٨
 بكَرْنٍ بَكُورٍ أو استَحَرْنَ بِسَحَرَةٍ^٩ فهنَّ وَوادي الرِّس كَاليدِ للْفَمِ^{١٠}
 وفيهنَّ ملهى للصيدِيقِ ومَنْظَرٍ^{١١} أنيقٍ لعميرِ الماظرِ المتوسِّمِ^{١٢}
 كأنَّ فَناتِ العَمنِ في بَكلِ مَنزَلٍ^{١٣} نزلنَّ به حُبِّ الفِئامِ لم يَحْطَمِ^{١٤}
 فلما وَرَدَتِ المِاءَ زَرْقاً جِمامهُ^{١٥} ووضَعنَّ عَصِييَ الحاضِرِ المَتَخِمِ^{١٦}
 تذكُرني الأحلامُ ليلِي رَمَنَ تَطَفٍ^{١٧} عليه خِيالاتُ الأَحِبَّةِ يَحْلُمِ^{١٨}
 سَمي ساعِيانَ غِيظَ بَنٍ مَرَّةً بَعْدَما^{١٩} تَبْزَلُ ما بَينَ العَشيْرَةِ بالدَمِ^{٢٠}
 فأقسَمتُ بالبَيتِ الَّذي طافَ حَولَهُ^{٢١} رِجالُ بَنُوهِ من قَرِيشٍ وجَرَمِ^{٢٢}
 يَمِيناً لِعَمِّ السَّيْدانِ وَجَدْتُما^{٢٣} على كُلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومَهِرَمِ^{٢٤}

(١) القنَّان : اسم جبل . الحزن : ما غلظ من الأرض (٢) الأنماط : ثياب
 تفرش بها الهوداج . وعتاق : حميدة الحوك . والكلَّة : الستارة الناموسية إيراد
 ماردة ، مشاكهة مشابهة (٣) السوبان : اسم وادٍ جزعنه : قطعنه قشيب :
 جديد مفأَم : واسع (٤) وركن في السوبان . عرجن عليه ، متنه ظهره
 (٥) استحرن : سرين سحرأ ، كاليد للفم : يريد أنهن في قريهن من وادي الرب
 كاليد للفم ؛ لأنها لا تخطئ في قربها منه (٦) العمن : الصوف ، الفناء : شجر له حب
 أحمر وفيه نقط سود (٧) جمام الماء : ما اجتمع منه والجمام الزرق المياض الصافية
 ووضع العصي كناية من ترك السير . الحاضر : النازل على الماء ، المتخيم ؛ المقيم .
 (٨) في كتاب مدامع العشاق بحث مفضل عما قاله الشعراء في طيف الخيال .
 (٩) الساعيان في هذا الصلح هما الحارث بن عوف وهرم بن سنان وإليهما يوجه
 زهير الثناء ١٠ البيت هو الكعبة وجرحهم اسم لقوم كانوا ولاية البيت قبل
 قريش وأبادهم الله لبغيهم (١١) السحيل : الخيط المفرد المبرم المفتول ، والسحيل
 هنا والمهرم كناية عن الرخا . والسدة .

تَدَارِكُنَا عَبَسًا وَذُبْيَانٍ بَعْدَ مَا تَفَانَسُوا وَدَقَّتُوا بَيْنَهُمْ عِطَرَ مَنْشَمٍ^١
 وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنَّ نَذْرَكَ السَّلْمَ وَاسِعًا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ نَسْلَمٍ^٢
 فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوَاطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عَقُوقٍ وَمَا تَمَّ^٣
 عَظِيمَيْنِ فِي عَلِيَا مَعَدٍّ هُدَيْتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِجُ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ
 وَأَصْبَحَ يُحْدَى فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزْنَمٍ^٤
 تُعْفَى الْكُلُومُ بِالْمُشِينِ فَأَصْبَحَتْ يَنْجُمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمَجْرَمٍ^٥
 يُنْجِمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٍ وَلَمْ يَهْرِقُوا بَيْنَهُمْ مِلْءَ مَخْجَمٍ^٦
 أَلَا أَبْلُغِ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةٍ وَذُبْيَانٍ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلَّ مَقْسَمٍ^٧
 فَلَا تَكْتُمُنَّ اللَّهَ مَا فِي صُدُورِكُمْ لِيَخْفَى ، وَمَهْمَا يُكْتَمُ اللَّهُ يَعْلَمُ
 يُوْخِرُ فَيُوضِعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخِرُ لِيَوْمٍ حَسَابٍ أَوْ يُعْجِلُ فَيُنْقِمُ
 وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُو وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرَجَمِ
 مَتَى تَبْعُثُوهَا تَبْعُثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضْرِي إِذَا ضَرَيْتُمُوهَا فَتَضْرِمُ^٨
 فَتَعْرُكُكُمْ عَرَكَ الرُّحَى بِنَقَالِهَا وَتُلْقِحُ كِشَافًا ثُمَّ تُنْتِجُ فَتَشْتَمُ^٩

(١) منشم : امرأة تبسع عطرًا . فإذا حاربوا اشتدوا منها كافوراً لموتهم

(٢) واسعاً خالصاً من شوائب الأحقاد .

(٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمأثم الإثم . وهو العدوان .

(٤) يحدى : يساق . إفال : جمع أفيل وهو الفصيل . مزنم : معلم .

(٥) تعفى : تمحى ، الكلوم الجروح ، ينجمها . يؤديها أقساطاً .

(٦) المخجم : وعاء يتلقى فيه الحجام الدم عند المصد .

(٧) أي : هل حلفتم لا تعملون شيئاً يقض ما تحالفتم عليه .

(٨) يقال ضربته فضرى : أي هجمته فهاجم . تضرم : تشتمل

(٩) النقال : جلد يبسط تحت الرحى عند الطحن .

فتنتيج لكم غلمان أشامَ كلتهم
فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها
لحي حلال يعصم الناس أمرهم
كيرام فلاذو الضغن يدرك نبله
رعوأمار عوا من ظمئهم ثم أوردوا
فلقضوا منايا بينهم ثم أصدروا
لعمري لنعم الحي جرّ عليهم
وكان طوى كشحاً على مستكنة
وقال سأقضي حاجتي ثم أتقي
فشدّ ولم ينظر بيوتاً كثيرة
لدى أسد شاكي السلاح مقذف
جريء متى يظلم يُعاقب بظلمه

كأحمر عاد ثم ترضع فتقطيم^١
قرى بالعراق من قفيز ودرهم^٢
إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم^٣
ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم^٤
غماراً تقترى بالسلاح وبالدم^٥
إلى كلاء مستوبيل متوخم^٦
بما لا يؤاتيه حُصين بن ضمضم
فلا هو أنداهما ولم يتجمجم^٧
عدوي بالفسن ورائي ملجم^٨
لدى حيث ألفت رحلها أم قشعم^٩
له لبد أظفاره لم تقلتم^{١٠}
سريعاً وإلا يبد بالظلم يظلم

(١) غلمان أشام : غلمان شؤم . وأحمر عاد : هو عافر الناقة .

(٢) القفيز اسم مكيال .

(٣) حي حلال : حالون في مكان واحد متجاورون يعصم الناس أمرهم . يسلم

الناس برأيهم . والمعظم : الحادث الرهيب .

(٤) النبل : الثأر ، الجارم : المجرم .

(٥) الظمأ الهدنة بين الحربين والغمار : جمع غمر ، وهو الماء الكثير ، تضرى : انفجر .

(٦) الكلاء : العشب ، أصدروا : رجعوا ، مستوبيل متوخم : مستنقل مردوم .

(٧) الكشع : الجنب ، مستكنة : مضرة .

(٨) ألف ملجم : يريد ألف فارس ألجوا خيولهم .

(٩) لم ينظر : لم ينتظر ، والبيوت الكثيرة ، قومه وأنصاره ، يريد أنه لم يستعن بأحد ، وأم قشعم : هي المنية .

(١٠) شاكي السلاح : شاعر السلاح . مقذف به كثيراً إلى الحروب ، لبد

الشعر : اللبد على منكبي الأسد .

لعمرك ما جرّت عليهم رماحهم
ولا شاركوا في القوم في دم نوفل
فكلاً أراهم أصبَحوا يَعْقِلُونَهُ
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه
ومن يوف لا يندم ومن يفض قلبه
ومن هاب أسباب المنايا ينلنسه
ومن يك ذا فضل فيمخل بفضله
ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه
ومن يغترب يحسب عدوّ أصديقه
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
ومن لم يصانع في أمور كثيرة
ومن يعمل المعروف من دون عرضه
ومها تكن عند امرئ من خليفه
وكأن ترى من صامت لك معجب
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
وإن سيفاه الشيخ لا حلم بعده
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

دم ابن نهيك أو قتل المثلثم
ولا وهب منهم ولا ابن الخزّم
علالة ألف بعد ألف مضتّم
يطسع العوالي ركبت كل لهدم
إلى مظمثن البر لا يتجتمجّم
ولورام أسباب السماء بسلم
على قومه يستغن عنه ويُدّم
ولا يُعفيها يوماً من الذل يندم
ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم
يُهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم
يفره ومن لا يتقى الشتم يشتم
وإن خالها تحفى على الناس تعلم
زيادته أو نقصه في التكلم
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وإن الفتى بعد السفاهة يحلم
ثمانين حولاً لا أبا لك ينم

(١) الزجاج أسفل الرمح ، والعوالي : جمع عالية . وهي أعلاّ الداهم :
السنان الطويل والمعنى : من عصى زجاج الرمح وهي لا تقل ، أطاع عواليه وهي
قتالة . أي من لم يطع باللين أطاع بالشدة .

(٢) الذود : هو الدفع ، ومن لا يظلم يظلم : يريد به أنه من طمع الناس أن يبطشوا
بالضعيف وأن يظلموا من لا يقدر على الظلم يعني من لم يدفع الظلم بمثل يظلم .

(٣) المصانعة : المداراة ، يضرّس بالأضراس . والمنسم الحافر

وأعلم ما في اليوم والأمتس قبيله ولكنني عن علم ما في غدي عم
رأيت المنايا خبط عشواء من نصيب تيمته ومن تخطىء يعمتر فيهم
سألنا فأطيمت وعدنا فتمعنتم ومن يكثر التسأل يوماً سيحترم

(٤) عنزة العبسي

هو عنزة بن عمرو بن شداد العبسي أحد فرسان العرب وأغريتها
وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة .

وكانت أمه أمة حبشية تسمى زبيبة ، وأبوه من سادات بني عبس
وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها ، بل تجعله في عداد
العبيد ، ولذلك كان عنزة عند أبيه منبوذاً بين عبدائه ، يرعى له إبله وخيله
فرباً بنفسه عن خصال العبيد ، ومارس الفروسية ومهر فيها ، فشبه فارساً
شجاعاً مامماً ، وكان يكره استعباد أبيه له وعدم إلحاقه به ، حتى أغار بعض
العرب على عبس ، واستاقوا إبلهم ، ولحقهم بنو عبس ، وفيهم عنزة
لاستنقاذ الإبل ، فقال له أبوه : كير يا عنزة ، فقال : العبد لا يحسن الكير ،
إنما يحسن الحلاب والطر ، فقال : كير وأنت حر ، فقاتل قتالاً شديداً ، حتى
هزم القوم واستنقذ الإبل ، فاستلحقه أبوه ، ومن ذلك الوقت ظهر اسمه بين
فرسان العرب وساداتها .

وطال عمر عنزة حتى ضعف جسمه ، وعجز عن شن الغارات ، ومات
قسبيل البعثة .

شعره - لم يشتهر عنزة أول أمره بشعر غير البيتين والثلاثة ، وإنما غلبت عليه
الفروسية مكتفياً بها حتى عيثره يوماً بعض قومه بسواده وأنه لا يقول الشعر
فاحتج لسواده بخلقه وشجاعته ، واحتج لفصاحته بنظم معلقته المشهورة التي
كانت تسمى المذهبة أيضاً ، وقد ضمنها خصاله ومكارم قومه ، وحسن دفاعه
عنهم ووفرة جوده معرجاً فيها على أوصاف أمور شتى ، وهي من أجل المعلقة .

معلقة عنتره العبسي

هل غادرَ الشعراءُ من مترَدَم ؟ أم هل عرفت الدار بعد توهُم^١ ؟
يا دار عبلةَ بالجِواءِ تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي^٢
دارُ لآنسةٍ غضيض طرفُها طوَع العنانَ لذينة المتبسم^٣
فوقفتُ فيها ناقي وكأنها فدنُّ - لأفضي حاجة المتلوم^٤
وتحلُّ عبلةَ بالجِواءِ وأهلُنا بالحزنِ فالصَّمانَ والمنشلم^٥
حيَّيتُ مِن طلل تقادم عهدُه أقوى وأقفر بعد أم الهيثم^٦
حلت بأرض الزائرِين فأصبحت عسراً عليّ طلابك ابنة مخرم^٧
علقتها عرساً وأقتل قومها زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم^٨
ولم نزلت ، فلا تظني غيره ، مِني بمنزلة الحبِّ المكرم^٩
كيفَ المزارُ وقد تربع لها بعنيزتين وهلنا بالقيلم^{١٠}
إن كنتِ أزمعتِ الفداق فإنما زُمت ركابكم بليل مظلم^{١١}
ما راعني إلا سحولة أهلها وسط الدنيا تسف حب الخنم^{١٢}

١) غادر : ترك ، متردم : أي شيء يصلح لم يكو وأصلحوه ٢ الجواء : بلد ، تكلمي : أفصحي وأخبري وعمي وأنعمي أي نعم الله صباحك وأدامك سالمة ٣) الفدن : القصر ، والمتلوم المترقب المنتظر ، وعني بالمتلوم نفسه ٤) تحل : تترك والصوان والصمان بمعنى واحد وهو مكان معروف عند العرب (٥) حييت لك مني التحية ، من طلل : المكان تقادم عهده ، أقوى : خلا من السكان ، أقفر : حرب ، الهيثم : الصقر ٦) الزائرِين : بالهمزة الأعداء والزائر بالياء من الزيارة للأحباب والأصدقاء ٧ علقتها : أحبتها ، عرضاً : من غير قصد ، زعماً : طمعاً ٨) نزلت : حلت من نفسي منزلة الحب المكرم ٩) تربع الفوم : نزلوا في الربيع ، والعنيزتان والغيلم : موضعان يقول كيف أزورها وقد بمدت عني بعد قربها ١٠) أزمع : نوى وصمم ، زمت الركاب : شدت . ١١) راعني أفزعني والحمولة : الإبل ، تسف حب الخنم : تأكل بقلة لها حب أسود إذا أكله الغنم قلت ألبانها وتغيوت .

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم^١
 إذ تستبيك بذني غروب واضح عذب مقبلةً لذيد المطعم^٢
 وكان فارة تاجيرٍ بقسيمه سبقت عوارضها إليك من الفم^٣
 أو روضة أنفاً تَضْمَنُ نبتُها غيثٌ قليل الدمن ليس بمعلم^٤
 جادت عليه كلُّ حُصرة فتركن كلَّ قرارة كالدرهم^٥
 سحاً وتِسْكَاباً فكلُّ عَشية يجري عليها الماء لم يتصرم^٦
 وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم^٧
 هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم^٨
 تسي وتصبح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سراة أدم ملجم^٩
 وحشيتي سرجٌ على عبل الشوى نهد مراكله نيدل المهزم^{١٠}
 دل تبلفني دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مُصرم^{١١}

- (١) الحلوبة : الناقة في ضرعها لبن ، الأسحم : شديد السواد (٢) تستبيك : تذهب بعقلك ، غروب : حد ، وغروب الأسنان حدها (٣) فارة : الفارة هنا وعاء (٤) الروضة : الحديقة ، والأنف : التام في كل شيء ، والدمن : المطر الخفيف ، والمعلم ذو العلامة (٥) البكر : السحابة في أول الربيع وفي عاداتها أن لا تمطر (٦) لم يتصرم : لم ينفذ ولم ينقطع وخص مطر العشي لأنه أكثر ما يكون صيفاً (٧) خلا : انفرد ، ببارح : أي بتارك ، غرداً : مترنماً والتغريد : الترنيمة (٨) الهزج سريع الصوت ، يحك ذراعه أي يمز إحداهما على الأخرى قدح المكب : الذي أكب على الزناد يقدحه على التوالي : الأجذم الزناد القصير ، وكلها نعوت لغناء الذباب وترنيمه فوق القدير (٩) الحشية : الفراش المحشو ، يعني أن حبيته تسي وتصبح مستريحة فاعمة ، وأما هو فيبيت فوق ظهر جواده حارساً لها ومدافعاً عن القبيلة (١٠) حشيتي : فراشي ، سرج : السرج ما يوضع على الجواد . عبل : غليظ ، الشوى : القوائم يريد جواده . (١١) تبلفني : توصلني ، دارها : منزلها ومقامها .

خَطَارَةٌ غِيبٌ السُّرَى زَيْفَافَةٌ تَطْسُ الْآكَامُ بِذَاتِ خُفٍّ مِثْنَمُ^١
وَكَأَنَّمَا أَقْصُ الْآكَامِ عَشِيَّةٌ بِقَرِيبٍ بَيْنَ الْمَذْمُومِ مُصَلَّمُ^٢
تَأْوِي لَهُ قُلُوصُ النِّعَامِ كَمَا أَوَتْ حَزَقٌ يَمَانِيَّةٌ لِأَعْجَمَ طِمْنَمُ^٣
يَتَبَعْنَ قَلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ حَرَجٌ عَلَى نَعَشٍ لَهْنُ نُحْجِمُ^٤
صَعْلٌ يَعُودُ بِذِي الْعَشِيرَةِ بَيْضُهُ كَالْعَيْدِ ذِي الْقَرِّ وَالطَّوِيلِ الْأَصْلَمُ^٥
شَرِبَتْ بَمَاءِ الدُّخْرِ ضَيْنٌ فَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفَرُ عَنْ حِيَاضِ الدِّلِمِ^٦
وَكَأَنَّمَا تَنَأَى بِجَانِبِ دَفْنِهَا الْوَحْشِيُّ مِنْ هَزَجِ الْعَشِيِّ مُؤَوِّمُ^٧
هَرُّ جَنْبٍ كَلَّمَا عَطَفْتُ لَهُ غَضَبِي أَلْقَاهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالْفَمِ^٨

- (١) خطارة : تحرك ذنبها وترفعه وتضرب به حاديا : غيب السرى : أي بعد السرى زيفاف تسرع في مشيها (٢) أقص : أكثر، والآكام المرتفع من الأرض، النسمان : الظفران المقدمان في الخف ، مصلم : مقطوع الأذنين .
- (٣) تأوي : ترجع وتسكن ، قلوص : جمع قلووص وهي الناقة الشابة ، حزق : جماعات (٤) يتبعن : يحطن به ، قلة الرأس : أعلاه ، والحرج : سرير يحمل عليه المريض أو الميت .
- (٥) صعل : صغير الرأس دقيق العنق ، يعود : يأتي إلى بيضه ، ذو العشيرة : اسم مكان شبه ذكر النعام بالعبد الأسود عليه فروة طويلة .
- (٦) الدحرضان : اسم مورد من موارد الماء زوراء : عوجاء مائلة من النشاط . والديلم الأعداء . والمعنى أنها تجافت عن الحياض لحوقها منها .
- (٧) ينأى : يبعد ، والدنف : الجنب ، والوحشي : الجانب الأيمن من البهائم . وسمي الجانب الأيمن وحشيا لأنه لا يركب منه الراكب ولا يحلب منه الحالب . هزج العشوي : صوت الهر الذي يخذلها لأن السانير أكثر ما تصيح في العشيات والمؤوم : عظيم الرأس . (٨) هر جنب : مجنوب كلما مالت له غاضبة اتقاها وردوها باليدين وبالضم . والمعنى أنها كثيرة النشاط في ساعة العشي وهي ساعة الفتور عند سواها من الإبل فكأنها من نشاطها يخذلها هر تحت إبطها

أَبْقَى لَهَا طَوْلُ الْفَارِ مُقَرَّ مَدًّا سِنْدًا وَمِثْلَ دَعَائِمِ الْمُتَخَيِّمِ^١
 بَرَكْتُ عَلَى مَاءِ الرِّدَاعِ كَأَنَّمَا بَرَكْتُ عَلَى قِصْبِ أَحْشِ مُهَضَّمِ^٢
 وَكَأَن رِيًّا أَوْ كُحَيْلًا مَعْقَدًا حَشَرَ الْوَقُودَ بِهِ جَوَانِبَ قِمِّمِ^٣
 يَنْبَاعُ أَمِنْ ذَوْرَى غَضُوبِ جِسْرَةٍ زَيْتَافَةٍ مِثْلَ الْفَيْنِيقِ الْمَكْدَمِ^٤
 إِنْ تَغْدِقِي دُونِي الْإِسَاعَ فَإِنِّتِي طَبُّ بِأَخْذِ الْفَارَسِ الْمُسْتَلْتِمِ^٥
 أَنِّتِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّتِي سَهْلٌ مُخَالَفَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمِ
 فَإِذَا ظَلِمْتُ فَإِنْ ظَلِمَ بَاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَمَمِ الْعَلَقَمِ^٦
 وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَامَةِ بَعْدَمَا رَكَكَ الْهَوَاجِيرُ بِالْمَشُوفِ الْمَعْلَمِ
 بِزُجَّةٍ صَفَرَاءَ ذَاتِ أَسْرَةٍ قَرَنْتُ بِأَزْهَرٍ فِي الشَّمَالِ مُقْدَمِ^٧
 فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَعَرَضِي وَافِرٌ لَمْ يَكْلَمْ^٨
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرَ عَنِ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي^٩
 وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مَجْنَدَلًا تَمَكُّو فَرِيصَتَهُ كَشَدَقِ الْأَعْلَمِ^٩

(١) أَبْقَى : ترك . طول السفار : طول السفر وامتداده ، والمقرم : المبني بالآجر ، أراد به سنامها وقد أراد أنه تكس وتماسك وصلب كما يتماسك الآجر وهو الحجارة الخشنة الملمس (٢) الرِّدَاعُ مورد لبني سعد ، الأحش : الذي في صوته خشونة ، المهضم ، المخرم ، وقيل الكسر ٣ الرب ما بقي من عصارة الثمار . الكحيل الفطران - معقدًا أو قد تحته حتى انعقد .

(٤) ينباع : ينفعل ، والذافران : العظمان الناثان خلف الأذنين ، زيافة : متبخخة في سيرها ، والفنيق : الفحل من الإبل ، والمكدم : المعضض ، والكدم : العض ، وفي رواية المقرم

(٥) تغدقي : ترخي القفاح على وجهك ، طب أي خبير حاذق والمستلثم : الذي لبس اللامة وهي الدرع (٦) الأَسْرَةُ : الخطوط والطرئ التي وسطها - قرنت شدت بكأس أخرى ، أزهر : إبريق من فضة ، والمقدم المصطفى .

(٧) شربت : سكرت ، مستهلك : مستنفد .

(٨) صحا : أفاق من سكره (٩) الحليل : الزوج .

سبقت يدي له بعاجل ضربة ورشاش نافذة كلوت العندم
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا أزال على رحالة سابيح تهدي تعاورة الكماة مكلم^١
طورا يعرض للطعان ونارة يأوي إلى حصد القسي عرمرم^٢
يخبرك من شهد الوقائع أنثي أغشى الوغى وأعيف عند المغنم
فأرى مغنم لو أشاء حويتها فيصصدني عنها الحيا وتكرثمي
ومدجج كره الكماة نزاله لا ممن هربا ولا مستسلم^٣
جادت يدي له بعاجل طعنة بمثقف صدق الكعوب مقوم
برحبة الفرعين يهدي جرسهم بالليل مغتس الذئاب الضرم^٤
فشككت لرمح لأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم^٥
فتركته جزر السباع ينشسنته ما بين قلته رأسه والمعصم
وميشك سابعة هكت فزوجها بالسيف عن حامي الحقيقة معلم^٦
ربذ يده بالفداح إذا شتا هتاك غايات التجار ملوم^٧

- (١) تعاورة : يطعنه ذا مرة وذاك أخرى . الكماة الشجعان ، مكلم : مجروح
(٢) الحصد : الكثير الحكم . والقسي : جمع قوس ، والعرمرم : الشديد ،
وقيل الكثير (٣) المدجج بالسلاح . كره الكماة نزاله : خافوا منه .
(٤) الرحبة : الواسعة . حرسها : الصوت - والمغتس : المبتغي والطالب ،
والضرم : الجياع (٥) فشككت : شققت ، ثيابه : درعه وقيل قلبه .
(٦) المشك : الدرع ، السابعة : السابلة أضافها لنفسها وهو جائز ، هتكت :
فضحت وكشفت ، فزوجها : جمع فرجة الحرق النافذة ، الحقيقة الراية والمعلم ،
الذي قد أعلم نفسه بعلامة في الحرب .
(٧) الرنذ السريع الضرب بالقداح الحاذق في لعبها . إذا شتا : لأن القحط
أكثر ما يأتي العرب في الشتاء .

لما رآني قد نزلت أريدُه
 فطعنته بالرُمح ثم علوته
 عهدي به مدّ النهار كأنما
 بطل كأن ثيابه في سرّحة
 ولقد ذكرتك والراح نواهل
 فودّدت قبيل السيوف لأنها
 يا شاة ما قصص لمن حلّت له
 فبعت جاريتي فقلت لها اذهبي
 قالت ، رأيت من الأعادي غرة
 وكأنما التفتت يجد جداية
 نبئت عمراً غير شاكر نعمتي
 ولقد حفّظت وصاة عمي بالضحى
 في حومة الحرب التي لا تشكي
 إذ يتقون في الأسنة لم أخيم
 أبدى نواجذه لغير تدسّم^١
 بمند صافي الحديدة يخدّم^٢
 خضب البنان ورأسه بالعِظم^٣
 يخدّي نعال السبّت ليس بتوأم^٤
 مني وبيض الهند تقطر من دمي
 لمت ككبارق ثورك المتبسّم^٥
 حرّمت عليّ وليتها لم تحرم^٦
 فتجسّسي أخبارها لي واعلمي
 والشاة ممكنة لمن هو مرّتم^٧
 رشاء من الغزالان حرّ أُرثم^٨
 والكفّر مخبئة لنفس المنعم^٩
 إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
 غمراتها الأبطال ، غير تغمغم^{١٠}
 عنها ولكني تضايق مقدمي^{١١}

(١) أبدى نواجذه الخ . كلع في وجهي فبدت أضراسه (٢) الخدّم من الخدم
 وهو القطع (٣) خضب : طلى - والعظم شجر أحمر (٤) بطل لأنه يبطل العظام
 بسيفه . وقيل وهو الذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يأخذ الناس منه أو ممن
 فعل في حماه ثأراً - والسرحة : شجرة لا ثمرة لها وإنما تستظل بها . وتعرف عند
 العرب بطول ساقها (٥) الشاة هنا المرأة ، وهو يعني جارتها لأن من كانت له
 جارة فهي في حماه ، وكانت محرمة كالأم والأخت .

(٦) الجيد العنق ، والجداية بكسر الجيم وفتحها الظبية أتى عليها خمسة أشهر
 أو ستة . والرشاء : الغزال الصغير .

(٧) يتقون بي يجعلوني وقاية بينهم وبينها بأن يقدموني للموت . لم أخيم : لم
 أجد تضايق : ضاق .

لما سمعتُ نداءَ مرةٍ قد علا وابني ربيعة في الغبار الأَقم^١
وعلمتُ يسمعونَ تحتَ لوائهم والموتُ تحتَ لواء آلِ محلسم^٢
أيقنتُ أن سيكون عند لقاءهم ضرب يطيرُ عن الفراخ الجثم^٣
لما رأيت القوم أقبِلَ جِئهم يتذامرون كَرَرَتُ غير مُذم^٤
يدعون: عنترَ، والرماحُ كأنها أشطانُ بشر في لبان الأذم^٥
ما زلتُ أرميهم بغرّة وجهه ولِسانه حتى تسربل بالدم^٦
فازرّرتُ من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتجمحم^٧
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مُكَلِّمي^٨
والخيلُ تفتحمُ الغبار عوابساً من بين شيطمة وأجرد شيطم^٩
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيلُ الفوارسُ ويكُ، عنتر أقدم^{١٠}
'ذلّ' ركابي حيث شئتُ مُشايمي قلبي، وأحفزهُ بأمرٍ مُبرم^{١١}
ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على ابني ضمضم^{١٢}
الشائمي عرضي ولم أشتهمهما والناذرين إذا لم ألقهما دمي

(١) النداء: الصياح، الأَقم الأسود الحالك (٢) هو ابن عوف الشيباني الذي يضرب به المثل في الوفاء والعزة يقال (لا حربوادي عوف) (٣) الأشطان جمع شطن وهو جبل البشر، شبه الرمح به لطوله، واللبان بالفتح، الصدر. (٤) ازور: مال، وشكا لو كان يستطيع الشكوى، والبعبرة بفتح العين، البكاء والإشفاق (٥) تفتحم: تخوض، والعوابس الكوالح، والشطم والأجرد: القصير الشعر (٦) ويك كلمة يقولها المنتدم إذا ندم على ما فرط منه، ولكثرة استعمالها ألحقت بها الكاف، وقيل وي بمعنى أعجب أي عجباً لك يا عنتر (٧) ذلّ، جمع ذلول، والذلول من الإبل وغيرها سهلة القيادة، وركابي ما أركبه، وأحفزه، أَدفعه والمبرم المحكم (٨) والدائرة: ما ينزل بالناس من بلوى، وابنا ضمضم: هما هروم وحصين ابنا ضمضم، المريان، قتلها ورد بن حابس العبسي، وكان عنتره قتل أباهما ضمضاً فكافاً يتواعدانه.

إن يفعلوا فلقد تركت أباما جزر السباع وكل نسر قشعم^١

(٥) عمرو بن كلثوم التغلبي

هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي ؛ وأمه ليلى بنت مهلهل أخي كليب . نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية ، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وفا . الجيوش مظفراً ، وأكثرت فتن تغلب مع أختها بكر بن وائل بسبب حرب البسوس ، وكان آخر صلح لهم فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر . ولم تمض مدة حتى حدث بين وجوه القبيلتين مشاحنة في مجلس عمرو بن هند ، قام أثناءها شاعر بكر (الحارث بن حلزة أليشكري) وأنشد قصيدته المشهورة ، وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أن هوى الملك مع بكر ، فانصرف ابن كلثوم وفي نفسه ما فيها ، ثم خطري نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعاه وأمه ليلى بنت مهلهل وأغرى هنداً أمه أن تستخدمها في قضاء أمر ، فصاحت ليلى : واذا به ، فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه ، ثم رحل تواً إلى بلاده بالجزيرة ، وأنشد معلقته الآتية ، وعاش مائة وخمسين سنة - ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

شعره - لم يشتهر عمرو إلا بملقته الواحدة التي قامت له مقام الشعر الوفير لحسن لفظها ، وانسجام عبارتها وغلو فخرها ، ولعل شهرته بالخطابة تقل عن شهرته بالشعر الجيد ، ومن سامي الفخز البليغ :

معركة عمرو بن كلثوم التغلبي

ألا هُبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خور الأندرينا^٢

(١) يقول مها ينذراني ومها يشجاني فلن يبلغا مني مناهما فلقد قدمت أباما طعمة للسباع والفسور . والقشعم : الكثير من الفسور (٢) هُبي : استيقظي ، الصحن القدح العريض - فاصبحينا ، أي اسقينا الصبوح ، وهو شرب الخمر في الغداة . والأندرينا ، جمع الأندر ، وهي قرية بالشام جمعها بما حوالها .

مشعشة كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سحيا^١
تجور بذى اللبانة عن هواه إذا ما ذاقها حق يلمينا^٢
تري اللحز الشحيح إذا أمرت عليه لاله فيها مهينا^٣
صدت الكأس عذا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا^٤
وما شر الثلثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا^٥
وكأس قد شربت ببعلبك وأخرى في دمشق وقاصرينا
إذا صمدت حياها أريبا إذا صمدت خلت به جنونا^٦
فما برحت مجال الشرب حتى تغالوا وقالوا قد روينا^٧
وإنا سوف ندر كنا المنايا مقدرة لنا ومقدرينا
وإن غدا وإن اليوم رهن وبعد غد بما لا تعلمينا
قفي قبل التفرق يا ظعينا نخبرك اليقين وتجبرينا
بيوم كريبه ضربا وطعنا أقر به مواليك العبونا^٨
قفي نالك هل أحدث صرما لوشك البين أم خنت الأميना^٩
أي ليل يعاتبني أبوها وإحوتها وهم لي ظالمونا!^{١٠}
ترك إذا دخلت على خلاء وقد أمنت عيون الكاشحينا
ذراعي عيطل أدماء بكبر تربعت الأجارع والمتونا^{١١}

- (١) مشعشة: ممزوجة، سميت بذلك لأنه يظهر لها شعاع كالشمس. والحص: الورس، سخينا: أي جدنا وتكرما من السخاء (٢) تجور: بمعنى تعدل وتميل. واللبانة: الحماة (٣) اللحز: الضيق، الشحيح: البخيل (٤) صدت: أي صرفت (٥) أي لست أنا شر الثلثة فتعدل عني الكأس (٦) حياها: سورتها. أريبا: عاقلا (٧) الشرب: جمع شارب. المجال: موضع المحاولة. (٨) الكريمة: موضع الحب - أقر: أي 'ممكن' - مواليك هنا بنو عمك. (٩) الصرم: القطيعة والوشك: السرعة والبين هنا الفراق والأمين: الوفي بالمعهد. (١٠) العيطل الناقة طويلة العنق - والادماء من الإبل والظباء البيضاء - بكبر لم تلد تربعت: رعت الربيع، الأجارع: جمع أجرة، وهو الرمل

وَشَدِيدًا مِثْلَ حَقِّ الْعَاجِ رِخْصًا حِصَانًا مِنْ أَكْفِ اللَّامِيسِيَا^١
 وَنَحْرًا مِثْلَ ضَوْءِ الْبَدْرِ وَافِيًا بِأَقَامِ أَنْاسًا مُدْجِينِيَا^٢
 وَمَتْنِيًا لَدُنْهُ طَالَتْ وَثَالَتْ رَوَادِفُهَا تَنْوُهُ بِمَا يَلِينِيَا^٣
 وَمَأْكَمَةٌ يَضِيقُ الْبَابَ عَنْهَا وَكَشَحًا قَدْ جَنَنْتُ بِهِ جَنُونَا^٤
 وَسَالَفِيًا رِخَامًا أَوْ بِلَنْطِ يَرِنُ خَشَّاشٌ حَلِيهَا رَيْنِيَا^٥
 تَذَكَّرْتُ اللَّصْبَا وَاشْتَقْتُ لِمَا رَأَيْتُ حَمُولَهَا أَصْلًا حَدِينِيَا^٦
 وَأَعْرَضْتُ الْيَامَةَ وَاشْمَخَرْتُ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مَصْلَتِينِيَا^٧
 فَمَا وَجَدْتُ كَوْجُنْدِي أَمْ ثَقَبَ أَضْلَتُهُ فَرَجَعْتِهِ الْحَنِينِيَا^٨
 وَلَا شَعْمَاءَ لَمْ يَتْرَكْ شَقَاهَا لَهَا مِنْ تَسْعَةٍ إِلَّا جَنِينِيَا^٩
 أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نَخْبِرَكَ الْيَقِينِيَا^{١٠}
 بَأَنَا نَوْرُ الرَّايَاتِ بَيْضًا وَنَصْدَرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا^{١١}
 فَإِنَّ الضَّغْنَ بَعْدَ الضَّغْنِ يَفْشُو عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدِّفِينِيَا^{١٢}
 وَأَيَّامَ لَنَا غَرًّا طَوَالَ عَصَبِنَا الْمَلِكُ فِيهَا أَنْ نَدِينَا^{١٣}
 وَسَيِّدٍ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَجَّهَ بَتَّاجِ الْمَلِكِ يَحْمِي الْحَجَرِينِيَا^{١٤}
 تَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقْلَدَةً أَعْنَتْهَا صَفُونَا^{١٥}
 وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَذَبْنَا قَتَادَةَ مِنْ يَلِينِيَا^{١٦}

- (١) العاج : عظم الفيل . والرخص اللين . والحصان : العفيفة ، واللامس :
 المباشر (٢) النحر : أعلى الصدر (٣) لدنة أي لينة ، تنوؤه : بمعنى تثقل
 (٤) المأكمة : رأس الورق (٥) السالفتان : صفحتا العنق ، والرخام
 والبِلنط : حجارة بيض . الخشاش : صوت الحلي (٦) أصلًا أصبل : وهو العشي
 (٧) أعرضت : قابلت . اشمخرت : ارتفعت . مصلت : مجرد .
 (٨) شقاهها : يمني شؤمها . (٩) يعني عمرو بن هند .
 (١٠) الضغن : الحقد ويفشو : يكثر . الداء الدفين : السكمن .
 (١١) صفونا : جمع صافن ، وهي من الخيل .
 (١٢) حرت : نبحت ، وشذبنا أي قطعنا ، القتادة ، واحدة القتاد وهو الشوك .

وأنزلنا البيوت بذي طلوح^١ إلى الشامات نفقي الموعدينا^١
 نعمهم^٢ أناسنا ونعيف عنهم^٣ ونحمل عنهم^٤ ما حملونا
 ورثنا المجد قد علمت معد^٥ نطاعين^٦ دونه حتى يبيننا^٦
 ونحن إذا عماد الحرب خيرت^٧ على الأخفاس نمنع من يلبينا^٧
 نطاعين^٨ ما تراخي الناس عنا^٨ ونضرب بالسيف إذا غشيناه^٨
 بسمر من قنا الخطي^٩ لدن^٩ ذوابل^٩ أو بيض^٩ يمتلينا^٩
 نسوق^{١٠} بهارؤوس القوم شقاً^{١٠} ونخليها الرقاب فتختلينا^{١٠}
 نخال^{١١} جاجم الأبطال منهم^{١١} وسوقاً^{١١} بالأمايز^{١١} يرتمينا^{١١}
 نجذ^{١٢} رؤوسهم في غير وتر^{١٢} ولا يدرون ما إذا يتقونا^{١٢}
 كأن ثيابنا منسا^{١٣} ومنهم^{١٣} خضبن^{١٣} بأرجوان^{١٣} أو طلينا^{١٣}
 كأن سيوفنا فينا وفيهم^{١٤} نخاربق^{١٤} بأيدي لاعبيننا^{١٤}
 إذا ما عي^{١٥} بالإنساف حي^{١٥} من الهول المشه أن يكونا^{١٥}
 نصبنا مثل رهوة ذات حد^{١٦} محافظة وكننا السابقةينا^{١٦}
 بفتيان يرون القتل مجداً^{١٧} وشيب في الحروب مجربينا^{١٧}
 يدهدون الرؤوس كما تدهدى^{١٨} حزاورة^{١٨} بأبطحها الكوينا^{١٨}

(١) يقول وأنزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذي طلوح إلى الشامات نبغي من هذه
 الأماكن أعداءنا الذين كانوا يوعدوننا (٢) يمين يظهر (٣) الأخفاس : عمد
 الأخسية (٤) تراخي : تباعد (٥) السمر : الرماح . والخطي : منسوب إلى الخط
 قرية على ساحل البحر . لدن : لينة . (٦) نخليها ، أي نقطع بها ، فتختلينا : أي
 تقطن والضمير راجع إلى السيوف أيضاً . (٧) نخال . تظن وسوق : جمع وسق ،
 وهو المكبال . بالأمايز : جمع أمعز وهو المكان الغليظ . (٨) نجذ نقطع . الوتر
 الدخل وفي رواية [وبر] (٩) الأرجوان صبغ أحمر (١٠) الخاربق : ثياب
 صغار يلعب بها الصبيان (١١) الإنساف التقدم (١٢) الرهوة : رأس الجبل ،
 وذات حد أي كثيرة السلاح .

حُدَيْتَا النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا مُقَارَعَةٌ بَيْنَهُمْ عَنْ بَيْنِنَا^١
 فَأَمَّا يَوْمَ خَشِيتُنَا عَلَيْهِمْ فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عَصَبًا بَيْنَنَا^٢
 وَأَمَّا يَوْمَ لَا نُخْشَى عَلَيْهِمْ فَتُؤَمِّنُ غَارَةٌ مُتَلَبِّبِينَ^٣
 بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي حُشَمٍ بِنَ بَكْرٍ نَدُقُّ بِهِ السَّهْلَةَ وَالْحَزُونَ^٤
 بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ؟ نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينًا^٥
 بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ؟ تَرَى أَنَّنَا نَكُونُ الْأَرْذَالِينَ^٦
 بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ؟ تَطْيِيعُ بَنِي الْوُشَاةِ وَتُزْدَرِينَا^٧
 تَهْدِدُنَا وَتَوَعِدُنَا ! رَوَيْدًا مَتَى كُنَّا لَأَمْلِكُ مَقْتَوِينَا؟^٨
 وَإِنْ قَنَاتِنَا يَا عَمْرُو أَعَيْتُ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا^٩
 إِذَا عَضَ الثَّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَتْ وَوَلْتَهُ عَشُوزَنَةُ زَبُونَا^{١٠}
 عَشُوزَنَةُ إِذَا غَمَزَتْ أَرْنَتْ تَشْجُ قَفَا الْمُثَقِّفِ وَالْجَبِينَا^{١١}
 فَهَلْ حَدَّثْتَ عَنْ جِشَمٍ بِنَ بَكْرٍ؟ بِنَقْصٍ فِي الْخُطُوبِ الْأُولِينَا^{١٢}
 وَرَثْنَا مَجْدَ عِلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَحْ لَنَا حِصُونُ الْمَجْدِ دِينَا^{١٣}
 وَرَثْتُ مَهْلَهْلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ زُهِيرًا نَعْمُ زَخْرُ الزَّاخِرِينَا^{١٤}

(١) الحديا التحدي في القتال ، وهو طلب المباشرة . مقارعة من القراع في القتال وهو اصطدام الفارسين (٢) ثبين جمع ثبة ، وهي الجماعة (٣) تمن : تسرع . المتلبب : المتحزم (٤) الرأس السيد ، وهو هنا الجماعة (٥) القيل : السيد . والقطين الحدم (٦) الازدراء : الاحتقار (٧) المقتوي : الذي يخدم بقوة . (٨ و ٩) القنات ههنا : العزة ، والثقاف : خشبة تقوم بها الرماح ، واشمأزت ارتفعت . والعشوزنة : الشديدة الصلبة الزبونة : الدفوع (١٠) غمزت : أي لينت ، أرنب أي صوتت - تشج : أي تجرح ، المثقف : المصلح للرماح والمفهوم (١١) حشم بن بكر : جده ، الخطوب : الأمور العظيمة : ١٢ دينا : أي طاعة لها ، وهو علقمة بن سيف بن شرحبيل بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن غنم بن جشم بن تغلب بن وائل (١٣) مهلهل : يعني عديا أخا كليب ، وسمي مهلهل لأنه أول من رقق الشعر .

وَعَتَّابًا وَكَلْثُومًا جَمْعًا بِهِم نَلْنَا تَرَاثَ الْأَكْرَمِينَا^١
 وَذَا الْبَرَّةِ الَّذِي حُدَّتْ عَنْهُ بِهِ نُحْمِي وَنُحْمِي الْمَحْجَرِينَا^٢
 وَمَنَا قَبْلَةَ السَّاعِي كَلِيبٌ^٣ فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا^٤
 مَتَى نَعْقِدُ قَرِينَتَنَا بِجَبَلٍ تَجِدُ الْجَبَلَ أَوْ تَقْصِ الْقَرِينَا^٥
 وَنُوجِدُ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذِمَارًا وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا^٦
 وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْ قَدْ فِي خَزَازِي رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا^٧
 وَنَحْنُ الْحَابِسُونَ لَذِي أَرَاطَى تَسْفُ الْجَلَّةُ الْخَوْرُ الدَّرِينَا^٨
 فَكُنَّا الْأَيْمَنِينَ إِذْ التَّقِينَا وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِيْنَا^٩
 فَصَالُوا صَوْلَةً فَيَمَنُ يَلِيهِمْ وَصُلْنَا صَوْلَةً فَيَمَنُ يَلِينَا^{١٠}
 فَأَبَوْا نَالِيسَابَ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا^{١١}
 إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرِ إِلَيْكُمْ أَلْمَا تَعْلَمُوا مِنَّا الْيَقِينَا^{١٢}
 أَلْمَا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كِتَابٌ يَطْعَنُ وَيرْتَمِينَا^{١٣}
 نَقُودُ الْخَيْلِ دَامِيَّةٌ كَلَاهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ لَاحِقَةٌ نُطُونَا^{١٤}
 عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْيَافِي وَأَسِيْفٌ يُقْمَنُ وَيَنْجَنِينَا^{١٥}
 عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ تَرَى تَحْتَ النِّجَادِ لَهَا غَضُونَا^{١٦}

(١) كلثوم : أبوه ، وعتاب : جده (٢) ذا البرة : كعب بن زهير بن تيم ،
 وسمي بهذا لشعراته كانت تحت أنفه مدورة كالبرة في أنف البعير (٣) قبلة الساعي :
 ضربه مثلاً كالكمة في كثرة من يختلف إليه (٤) القرينة : أصلها أن يقرن جمل
 صعب إلى جمل ذلول . وتعص : تكسر ، وهذا مثل ضربه (٥) الذمار ما يحق على
 الإنسان أن يحميه (٦) خزازي : موضع واقعة كانت بين ربيعة واليمن وكانت
 قضاء إذ ذاك وربيعة أحلافاً (٧) أراط : موضع واقعة كانت لهم ، وتسف :
 توكل (٨) بنو أبينا : يعني هضر بن نزار ، وربيعة بن نزار (٩) الصولة : الحملة
 (١٠) اليلب : جلود تذسج على هيئة الدروع وتلبس (١١) السابغة : الدرع
 الطويلة ، دلاص : براق ، والنجاد : النطاق ، والغضون : الثني .

إذا وُضعت عن الأبطالِ يوساً رأيت لها جلودَ القومِ جُونا^١
 كأن متونهنّ متون غُندُرٍ تصفقها الرياح إذا جرينا^٢
 وتحملنا غداةَ الرّوعِ جردٌ عرفنَ لنا نقائدَ وافِئلتينا^٣
 وردنَ دوارِعاً وخرجنَ شعثاً كأمثال الرّصائع قد بَلينا
 ورثاهنّ عن آباء صدق ونورِثها إذا مِتنا بَفيننا
 وقد علم القبائل غير فَخْرٍ إذا قُببُ بأبطحها بئينا
 بأنا العاصِمون إذا أُطِعْنا وأنّا الغارمون إذا عصينا
 وأنّا المنعمون إذا قدرنا وأنّا المهلكون إذا أُتينا
 وأنّا الحاكمون بما أَرَدنا وأنّا النازلون بحيث شينا
 وأنّا التّاركون لما سَخِطنا وأنّا الآخذون لما هَوينا
 وأنّا الطّالبون إذا نَقَمنا وأنّا الضاربون إذا ابْتَلينا
 وأنّا المازلون بكلّ ثغر يخافُ النازلون به المنونا^٤
 ونشربُ - إردودنا - الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا
 ألا سائرُ بني الطّماح عنا ودعينا فكيف وجَدْتُمونا؟^٥
 نزلتمْ منزلَ الأضيافِ منا فأعْجلنا القرى أن تشتمُونَا^٦
 قرينناكم فَعَجَلنا قراكم قبيل الصّبح مرداةً طحونا^٧
 متى نَنقُلُ إلى قوم رَحاحا يَكُونُوا في اللّقاء لها طحينا^٨

(١) جونا : سوداً (٢) المتون : الأعالي ، شبه أعالي الدروع في بياضها ولمعانها
 بالغدر وهي الحياض إذا حركتها الرياح (٣) الروع : الحرب ، والجرد : قصير
 الشعر (٤) الثغر : المكان الخوف (٥) بنو الطماح ودعمي : حيان من بني أسد بن
 ربيعة بن نزار (٦) نزلتمْ حيث نزل الأضياف : أي جئتم للقتال فعاجلناكم بالحرب
 ولم ننتظر أن تشتمونا (٧) قرينناكم : جعلنا قراكم الحرب لما نزلتم بنا ولقيناكم
 فطحنناكم طحن الرّحى ، والمرداة : الحجر وكل ما يكسر به الشيء فهو مرداة .
 (٨) أصل الرّحى ما استبدار من الشيء والرّحى هنا الحرب ، تشبيهاً بالرّحى .

يكون ثقاها شرقيّ نجد
على آثارنا بيض حسبان^١
ظعائن من بني جشم بن بكر
أخذن على فوارسهن عهداً
ليستلبن أبداناً وبيضاً
إذا ما رُحْن يمشين الهوينا
يقتن جيادنا ويقتلن لستم^٢
إذا كم نخمن فلا بقينا^٣
ومامنع الظعائن مثل ضرب
إذا ما الملك سام الناس خسفاً
ألا لا يجهلن أحد علينا
وتعدو حيث لا يُعدى علينا
ألا لا يحسب الأعداء أننا
ترانا بارزين وكلّ حسي^٤
كأننا والشيوخ مُسلّات^٥
ملأنا البرّ حتى ضاق عنا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً^٦
ولهوتها قضاة أجمعينا^٧
نحاذر أن تفارق أو تهونا^٨
خلطن بميسم حسباً ودينا^٩
إذا لاقوا فوارس مُعلمينا^{١٠}
وأسرى في الحديد مقرّينا^{١١}
كما اضطربت مُتون الشاربينا^{١٢}
بُعولتنا إذا لم تمنونا^{١٣}
لشيء بعدهن ولا حيننا^{١٤}
تري منه السواعد كالقلينا^{١٥}
أبيننا أن يُقر الخسف فينا^{١٦}
فنجهل فوق جمل الجاهلينا^{١٧}
ونضرب بالمواسي من يلينا^{١٨}
تضعضنا وأنّا قد فدينا^{١٩}
قد اتخذوا مخافتنا قريننا^{٢٠}
ولدنا الناس طرا أجمعينا^{٢١}
كذلك البحر نملؤه سفينا^{٢٢}
تخرّله الجبار ساجدينا^{٢٣}

(١) الثقال : جلدة توضع تحت الرحى للطحين. ولهوتها: أي مقدار ما يطرح في فم الرحى من الحب (٢) أي نساءنا اللواتي خلفنا نقاتل عنهن ونحذر أن نفارقهن أو يصرن إلى غيرنا (٣) الميسم : الحسن أي لهن مع جمالهن حسب ودين . (٤) المعلم : الذي يعلم نفسه في الحرب معاملة (٥) الأبدان جمع بدن وهي الدروع (٦) يقتن من القوت ، وهو الطعام جيادنا : جمع حواد ٧ نخمين : ندافع عنهن . ما بقينا ما حيننا (٨) القلون جمع قلة ، وهي الخشمة التي يلعب بها الصبيان يضربونها بانقلاب . (٩) يهول إيسا أعزاء لا تصل الملوك إلى ظلمنا .

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قadrينا
تسادى المصعبان وآل بكر ونبادوايا لکنندة أجمعينا
فإن نسلب فغلابون قدما وإن نغلب فغير مغلبينا

(٦) طرفة بن العبد البكري

هو عمرو بن العبد البكري : أقصر فحول شعراء الجاهلية عمراً ، ومال إلى الشعر والوقوع به في أعراض الناس ، حتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة مع أنه كان يتطلب معروفة وجوده ، فلمع عمرو بن هند هجاء طرفة له فاضطغنها عليه ، حتى إذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان لفضله أظهر لهما البشاشة وأمر لكل منهما بجائزة ، وكتب لهما كتابين ، وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفياها منه ، وبينما هما في الطريق ارتاب المتلمس في صحيفته ، فمرج على غلام يقرأها له ، ومضى طرفة ، فإذا في الصحيفة الأمر بقتله ، فالتقى الصحيفة ، وآراد أن يلحق طرفة فلم يدركه وفر إلى ملوك غسان ، وذهب طرفة إلى عامل البحرين وقتل هناك ، وعمره ست وعشرون سنة .

شعره - يجيد طرفة الوصف للناقة في شعر مقتصر فيه على بيان الحقيقة مع قصد في الغلو ، ومعاظلة في بعض التراكيب ، واسترسال في وحشي اللفظ وخفي المعنى وكذلك كاد هجاؤه الملوك على شدة وقعه ، ومن أبلغ المقطعات والمعلقات أيضاً .

معلقة طرفة بن العبد البكري

لخولة أطلال ببرقة نهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد^١
وقوفاً بها صخبني علي مطيهم يقولون لا تهلك أمي وتجلد^٢
كان حُدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد^٣

(١) خولة : امرأة من بني كلب. ونهمد : أكمة في بلاد خثعم. تلوح : تظهر.

(٢) وقوفاً : وافقين ، أمي : حزناً . تجلد : تحمل (٣) المالكية نسبة إلى مالك =

عدولية^١ أو من سفين ابن يا من^٢ يحور بها الملاح^٣ طوراً ويهتدي^٤
 يشق^٥ حباب الماء حيز^٦ ومها بها كما قسم الترتب^٧ المفايل^٨ باليد^٩
 وفي الحي^{١٠} أحوى ينفض^{١١} المردشادن^{١٢} مظاهراً^{١٣} سمطي^{١٤} لؤلؤ وزبرجد^{١٥}
 خذول^{١٦} تراعي ربرباً^{١٧} بخميصة^{١٨} تناول^{١٩} أطراف البرير^{٢٠} وترتدي^{٢١}
 وتبسم^{٢٢} ع^{٢٣} ألمى^{٢٤} كأن منوراً^{٢٥} تخلل^{٢٦} حر^{٢٧} الرمل^{٢٨} دعص^{٢٩} له تد^{٣٠}
 سقته^{٣١} إياة^{٣٢} الشمس^{٣٣} إلا لثاته^{٣٤} أسف^{٣٥} ولم تكدم^{٣٦} عليه بإثم^{٣٧}
 ووجه^{٣٨} كأن الشمس^{٣٩} ألقت^{٤٠} رداءها^{٤١} عليه^{٤٢} نقى^{٤٣} اللون^{٤٤} لم يتخذ^{٤٥}
 وإني^{٤٦} لأمضي^{٤٧} لهم^{٤٨} عند احتضاره^{٤٩} بهوجاء^{٥٠} مرقال^{٥١} تروح^{٥٢} وتغتدي^{٥٣}
 أمون^{٥٤} كالأواح^{٥٥} الإران^{٥٦} نسأتها^{٥٧} على^{٥٨} لاجب^{٥٩} وكأنه^{٦٠} ظهر^{٦١} برجد^{٦٢}

= ابن صبيعة ابن عم عمرو، والحدوج الهودج والقباب، والخلايا جمع خلية، السفينة الكبيرة. والنواصف: مجاري الماء إلى البحر. (١) عدولية: قديمة، وهي الكبيرة من السفن وهي تنسب إلى موضع يقال له ابن يامن، ملاح أو تاجر من أهل البحرين. (٢) حباب الماء طرائفه وما ارتفع منه والحيزوم الصدر. والمفايل الذي يجمع تراباً ويخبى فيه شيئاً مثل الحلقة ويقسم التراب نصفين ويطلبه في أحدهما فإن أصاب ظفر وإن أخطأ قهر. (٣) أحوى في لونه سواد والمراد شجر الأراك والشادن ولد الظبية إذا قوي. (٤) الخذول: الملتحفة من الظباء، والبربر: القطيع من الظباء. والخميصة الشجر الملتف. البربر المدرك من ثمر الأراك. (٥) تبسم: يفتخر ثغرها واللمى سواد في الشفة، والمنور: الأفحوان، تخلل: دخل فيه، حر الرمل: النقي منه. (٦) الإياة: ضوء الشمس. اللثة مفرز الأسنان، يقول: أسنانها بيض ولثاتها زرق، أسف أي ذر عليه بإثم. هو الكحل. (٧) ألقت وفي رواية حلت: رداءها. أي بهاءها، لم يتخذ: أي يضطرب حتى تصير فيه شقوق. (٨) الهوجاء: الخفيفة الفؤاد، مرقال وصف للناقة بشدة السبر. (٩) الأمون التي أمنت من أن تكون ضعيفة، والإران التابوت الذي يحمل فيه الموتى، نسأتها: أي زجرتها، واللاجب الطريق، والبرجد: كساء من أكسية العرب.

'جمالية' و'جناء' تردّي كأنها سفنّجة^١ تبهرى لأزعر أربد
 تباري عتاقا ناجيات^٢ وأتبع^٣ وظيفا وظيفا فوق مؤر معبد^٤
 تربعت^٥ القفّين في الشول ترتعي حدائق مولي^٦ الأسيرة أغيد^٧
 تريع^٨ إلى صوت المهيب وتتقي بندي خصل روعات^٩ أكلف ملبد^{١٠}
 كأن جناحي مضرحي^{١١} تكنفا حفايه شكّافي العسيف بمسرّد^{١٢}
 فطوراً به خلف الزميل وثارة^{١٣} على حشف كالشنّ ذاور^{١٤} مجدد^{١٥}
 لها فتخذان أكمل النحض^{١٦} فيها كأنهما بابا منيف^{١٧} ممرّد^{١٨}
 وطيط^{١٩} محال كالخني^{٢٠} خلوفه^{٢١} وأجرنة^{٢٢} لزّت بدأي^{٢٣} منضد^{٢٤}
 كان كداسي ضالة^{٢٥} يكتنفانها وأطر قيسي^{٢٦} تحت صلب مؤيد^{٢٧}

(١) تباري تشابه ، والعتاق : الإبل الكرام ، وناجيات : المسرعات في السير ، والوظيف : ساق البعير ، والمور : الطريق ٢ تربعت : رعت أيام الربيع ، والقفان : موضعان موصوفان بالمرعى لجودتهما ، والشول : بفتح الشين من الإبل التي جف لبنها وأتى عليها من نتاجها سمعة أشهر (٣) تريع : تصغي والروعة : الفزع ، والأكلف : الذي في وجهه لون يخالف لونه وهو صفة من صفات الفحل ، ٤ المضرحي : النسر ، تكنفا : أحاطا ، حفايه : جوانيه (٥) الطور : المرة الأولى ، والثارة : المرة الثانية ، والزميل : الرديف ، والحشف : الضرع الذي لا لبن فيه وهو المنقبض ، والشن : القربة الخلقة ، والذاوي : هو اليابس ، والمجدد الضرع الذي لا لبن فيه ولا لبن .

(٦) النحض : اللحم والمنيف : انشرف ، والمرد : المملس .
 (٧) المحال : فقار الظهر ، والخني القسي : خلوفه : مؤخر أضلاعه ، وأجرنة : باطن عنق البعير ، لزّت : قرب بعضها إلى بعض فانضمت واشتدت ، بدأي : أعالي الأضلاع ، منضد ، أي بعضه فوق بعض .
 (٨) الكناس : بيت الأطباء والضأن ، شبه تباعد ما بين مرفقها وزورها بكناس الظبي حول الشجر : وأطر قسي أي عطفها وانحنأها ، والعصب : الظهر والمؤيد : الوثق ، والأيد القوة .

لها مرفقان أفنتلان كأنها تمسر بلسي^١ دالج متشدد^١
كقنطرة الرومي أقسم ربهما كتكتفن^٢ حتى تشاد^٢ بقرمد^٢
صهايبية العثنون مؤجدة^٣ القرا بعيدة^٣ وخذ الرجل مواردة^٣ اليد^٣
جنوح^٤ دقاق عندل ثم أفرعت^٤ لها كتفاها في معالي^٤ مصعد^٤
أمرت^٥ يداها فتل شزر وأجنحت^٥ لها عضداها في سقيف^٥ مسند^٥
كان علوب^٦ النسع في دأياتها موارد^٦ من خلفاء^٦ في ظهر قرد^٦
تلاقي^٧ وأحياناً تبين كأنها بنائق^٧ غر^٧ في قميص^٧ مقصد^٧
وأتلع^٨ نهاض^٨ إذا صعدت^٨ به سكان^٨ بوضي^٨ بدجلة^٨ مصعد^٨
وججمة^٩ مثل العلاء^٩ كأنما وعى^٩ الملتقى^٩ منها إلى جرف^٩ مبرد^٩

- (١) المرفق : مفصل العضد، أفنتلان : مفتولان، تمر : وفي رواية أمراً : فتلا، السلم : الدلو له عروة الدالج الذي يمشي بالدلو من البشر إلى الحوض، متشدد متكلف للشدة، ومعنى ذلك أن الذي يسقي الإبل يجعل الحوض بعيداً عن البشر، فإذا أخرج الدلو من البشر (٢) القنطرة : الحسر، الرومي : أحد البنائين من الروم، تكتفن أي يحاط حوالها بالبناء، وتشاد : ترفع (٣) صهايبية : بياض شيب . (٤) جنوح : مائلة في سيرها من النشاط، دقاق متدفقة في السير، عندل : عظيمة الرأس وأفرعت : رفعت، في معالي : مرتفع . (٥) أمرت : فتل فتلاً محكماً، والشزر : القتل إلى اليسار، وأجنحت : أميلت، والسقيف : هبا صدرها، ومسند وفي رواية منضد بعضه على بعض . (٦) العلوب : الآثار، والنسع : حزام الرجل والدأيات : مآخير الأضلاع، موارد : طرق الماء، والخلفاء : الصخرة الملساء، والقرد : الأرض الصلبة (٧) تلاقي : يتصل بعضها ببعض وتتلاقى الطرق من أعلاها وتفترق من أسفلها (٨) الأتلع : الطويل يعني عنقها، نهاض : كثير الارتفاع، صعدت : ارتفعت، السكان الدقل، وهو مؤخر السفينة، والبوضي، ضرب من السفن، بدجلة، نهر مصعد، قاصد إلى العراق . (٩) الججمة : غطاء الرأس، وهو يعني رأس الناقة، والعلاء : السندان يضرب عليه الحداد، وعي الملتقى يعني جمع ملتقى الرأس شبهه بجرف المبرد لصلابته .

وخذ كقرطاس الشامى ومشفّر ١ كسبت الباني قدّه لم يجرد ١
 وعينان كالمويتين استكنتا ٢ بكمهني حجاجي صخرة قلت مورد ٢
 طحوران عوار القذى فتراها ٣ كمكحولتي مذعورة أم فرق ٣
 وصادقنا سمع التوجّس للسرى ٤ لهمس خفي أو لصوت مزد ٤
 مؤللتان تمّ ب' العتق فيها ٥ كسامعتي شاة بحومل مفرد ٥
 وأروع نباض أحد مللم ٦ كمرداة صخري في صفيح مصمد ٦
 وإن شئت سامي واسط الكور رأسها ٧ وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد ٧
 وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت ٨ خافه ملوي من القيد محصد ٨
 وأعلم مخروط من الأنف مارن ٩ عتيق متى ترجم به الأرض تزد ٩

(١) المشفر من البعير: كالشفة من الإنسان، والسبت: جلود البقرة إذا دبغت بالبرظ
 (٢) المويتان، المراتان المصقولتان. استكنتا: دخلتا (٣) طحوران: دفوعان،
 العور الخبث الذي يقع في العين وكذلك القذى، كمكحولتي: أي عيني. مذعورة
 خائفة طردها القناص وأفزع، والمفرق: ولدها. (٤) وصادقنا سمع يعني
 أذنيها، والتوجّس: التسمع، والهمس الصوت الخفي: والمندد المرتفع.
 (٥) مؤللتان: محددتان كالخربة والعتق: الكرم، والمشاة: بقرة الوحش وتسمى
 نعمة، وحومل: موضع معروف، ومفرد وحيد: (٦) أروع: فزع ونباض
 فؤادها. أخذ: قليل الشعر، مللم: أي مجتمع، كمرداة كصخرة تردّي بها
 الحجارة لصلابتها: الصفيح الحجارة العريضة، مصد: مصلب (٧) سامي: ساوي،
 واسط: وسط، الكور: الرجل، عامت مدت يدها كهيئة السابح في الماء.
 الضبعين: العصدان، نجاء سرعة، الخفيدد الظليم، وهو ذكر النعام (٨) الإرقال:
 ضرب من الأسير، والملوي من القد: السوط، المحصد: الحكم القتل (٩) الأعم:
 المشقوق المشفر الأعلى. المارن: ما لان من الأنف وهو مقدمه، عتيق: كريم
 متى ترجم به الأرض: أي تضربها به يريد أنها إذا جطت رأسها إلى الأرض
 أسرع في السير وذلك لنشاطها وحدتها.

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي ، ألا ليتني أفديك منها وأفتدي
وجاشت إليه النفس خوفاً وخاله مصاباً ولو أمسى على غير مرصد
إذا القوم قالوا من فتى خلعت أني عُنيت ، فلم أكل ولم أتبدل
أحلت عليها بالقطيع فأجذمت وقد خب آل الأمعر المتوقد^١
فدالت كما ذالت وليدة مجلس تزي ربها أذبال سحر ممدد^٢
ولست بجلال التللاع مخافه ولكن متى يسترفد القوم أرفد^٣
فإن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تقنصني في الحوانيت تصطد^٤
متى تأتني أصبجك كأساً روية وإن كنت عنها غانياً فاغن وأزد^٥
وإن يلتق الحي الجميع تلاقني إلى ذروة البيت الرفيع المصعد^٦
نداماي بيض كالنجوم وقسنة تروح علينا بين برد ومجد^٧
رحيب قطاب الجيب منها رقيقة لجس الندامى بضه المتجرّد^٨
وما زال تشرابي الخور ولذتي وبيمي وإنفاقي طريقي ومثلي^٩
إلى أن تحامتن العشرة كلها وأفردت أفراد البعير المعبد^{١٠}
رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذا الكطراف الممدد^{١١}

- (١) أحلت : وثبت ، القطيع : السوط ؛ أجذمت : أسرعت ، وخب : ارتفع ،
والآل : ما يكون في أول النهار مثل السراب ، الأمعر : الأرض الغليظة التي فيها
حصى ، والمتوقد : المشتعل ٢ دالت : تبخترت الناقة ، والوليدة الفتية ترى ربه أي
مولاهما . أذبال : أطراف الثوب متى يصل إلى الأرض ، والسحر : الثوب القطن
والممدد : المبسوط (٣) التلعة من أسماء الأضداد تكون المرتفع والمنخفض
(٤) حلقة القوم : مجالس أشرافهم ، والحوانيت : بيوت الخمارين .
(٥) تأتني : تجثني (٦) ذروة : الذروة أعلى الشيء (٧) الندامى أصحابي على
الخمر ، والقسنة : الجارية ، والبرد : الثوب الأبيض . والمجد : المصبوغ ، وزعفران .
(٨) رحيب : واسع . قطاب الجيب أي يجتمع الجيب . يصف صدرها بالرحب
وانسعة (٩) الطريف الحديث المكسب (١٠) المعبد : المذل المطي بالقطران .
(١١) بني غبراء : اللصوص ، والطرف بيت من جلد : يعني أنه لا ينكره .

ألا أيها إذا اللائمي أحضرَ الوجى
فإن كنت لا تستطيعُ دفعَ منيتي
فلولا ثلاثُ هنَّ من عيشة الفقى
فمنهنَّ سبقي العاذلاتِ بشرية
وكرّتي إذا نادى المضافُ 'مجنبا'
وتقصير يوم الدجن والدجن 'معجب'
كان البرينَ والدماليجَ علقَتْ
فذرني أروّي هامتي في حياتها
كريمٌ يروّي نفسه في حياته
أرى قبرَ نحامٍ بخيلٍ بماله
ترى جثوتين من ترابٍ عليهما
أرى الموتَ يعتام الكرام ويصطفى
أرى العيشَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلة
لعمرك إن الموتَ ما أخطأ الفقى
وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنت 'مخلدي'
فدعني أبادرُها بما ملكت يدي
وجدك لم أحفل متى قام عودي
'كيت متى ما' نعل بالماء 'تزيد'
كسيد الغضا نبيته المتورد
ببهنكة تحمّ الخباء المعتمد
على عشرٍ أو خرّوع لم يخضد
نخافة شرب في الحياة مصرّد
ستعلم إن متنا غداً أينما الصّدي
كقبرٍ غويّ في البطالة مُفسد
صفائحُ صمّ من صفيح مُنضد
عقيلة مال الفاحش المتشدد
وما تنقصُ الأيامُ والدهرُ ينفد
لكالطول المرخى وتلياه باليد

(١) اللائمي . اللّاحي ، وفي رواية الزاجري (٢) كيت : خمر تضرب إلى السواد ، نعل : أي يصب الماء عليها (٣) كري : عطفي ، والمضاف الذي أضافته الهموم ؛ الدجن : المطر الخفيف ، معجب : أي يعجب من رآه ، والبهنكة : المرأة التامة الخلق ٥ ، البرين .: الخلاخل في أنف الناقة ، على عشر : العشر شجر أملت مستو ضعيف العود شبه به عظامها وساعدها ملاسته واستوائه (٦) الشرب بكسر الشين وضمها اسم للمشروب والمصرّد : المفلل (٧) يروي نفسه من الخمر في حياته والصدي : العطشان (٨) النحام : كثير السعال عندما يسأل والغوي : الذي يتبع هواه ولذاته . والبطالة : اتباع الهوى والجهل (٩) الجثوة : التراب المجموع . صفائح صم صلبة . المنضد ، المجموع بعضه على بعض (١٠) يعتام : يختار ، الخيار : الكرام والأماجد ، ويصطفى : ينتخب ، وعقيلة كل شيء خيره والفاحش : القبيح السيئ الخلق والمتشدد : كثير البخل (١١) الطول : الحبل ، وتلياه أي طرفاه ، ومعناه أن الإنسان وإن يطل عمره إلا أنه كأنه كافر لصاحبها إذا أرادها جذب الحبل إليه .

فما لي أراني وابن عمي مالكا متى أدن منه ينأ عني ويبتعد^١
يلوم وما أدري علام يلومني؟! كما لا مني في الحبي قرط بن معبد^٢
وأيأسني من كل خير طلسته كأننا وضعدنا إلى رمس ملحد^٣
على غير ذنب قلته غير نفي نسدت فلم أغفل حمولة معبد^٤
وقربت بالقربى وجدك أنني متى بك أمر للنكيسة أشهد^٥
وإن أدع للجلى أكن من حماها وينأئك الأعداء للجهد أجهد^٦
وإن يقذقوا القذع عرصك أسقيهم بكأس حيدض الموت قبل التهديد^٧
بلا حدث أحدثه وكحدث هجائي وقذي بالشكاة ومطردني^٨
فلو كان مولاي امرءاً هو غيره لفرج كربى أو لأنظرني غدي^٩
ولكن مولاي امرؤ هو خانقي على الشكر والتسأل أو أنا مقتدي^{١٠}
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند^{١١}
فذرني وخلقى إنني لك شاكر ولو حل بيتي نائباً عند ضرغد^{١٢}
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد^{١٣}

(١) ابن عمي على خلافي، أتقرب إليه فيبعد عني (٢) ويبالغ ابن عمي في الجفاء فيلومني على ما لا أستحق اللوم عليه كما يفعل قرط بن معبد (٣) أيأسني جعلني يائساً والرمس القبر والملحد : المقبور . (٤) وكل ما ألقه منه لا سبب له إلا أنني نسدت : طلست (٥) النكيسة بلوغ الجهد، وقيل الانتقاض (٦) الجلى : الأمر العظيم ، والحماة الذائدون (٧) القذع : الشتم القبيح (٨) أي هو متعدي علي بلا حدث أحدثه ، هجائي وطردني ، والمطرد : الطريد (٩) يقول لو أن مولاه رجلاً آخر لفرج كربى وأنظره ولم يتعجله بما تعجله به ابن عمه من القدح والذم . (١٠) خانقي : مكرمي على شكره على ما لم يفعله، وإلا فأنا هدف سهامه (١١) أما أنا فقد ضقت بهذا التجني لأن الظلم من الأقربين لا يحتمل (١٢) ضرغد : جبل بعبد (١٣) قيس بن خالد من بني شيبان، وعمرو بن مرثد ابن عم طرفة قيل لما بلغ هذا عمرو بن عم طرفة وجهه إلى طرفة فقال له أما الولد فالله يعطيكهم وأما المال فلك فيه ما لنا ، ثم دعا ولده وكانوا سبعة فأمر كل واحد فدفع لطرقة عشر أم إبله ، ثم أمر ثلاثة من بني بنيهم فدفع كل واحد منهم إلى طرفة عشر أم إبل .

فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وزارني
أنا الرجلُ الضربُ الذي تعرفوه
فأليتُ لا ينفكُ كشحي بطانه
حسامٍ إذا ما قتُ منْصرابه
أخي ثقْه لا ينثني عن ضريبة
وبركٍ مُجود قد أثارتُ مخافتي
فمرتْ كهاتُ ذاتُ خيفٍ جلالة
يقولُ وقد ترَّ الوظيفُ وساقها
وقالَ ذروهُ إنما نفعمها له
فظلَّ الإماءُ يمتلِلنَ حوَارَها
فإنِ متْ فانعمني بما أنا أهله
ولا تجعليني كأمريءٍ ليسَ همهُ
بَطِيءٍ عن الجُلَى سريعٍ إلى الخُتنا
فلو كنتُ وغلا في الرجالِ لصُرتي
ولكنْ نفى عني الأعادي جِراءتي

بنونَ كبرامٍ سادةٍ لمسودٍ
خشاشُ كراسِ الحيةِ المتوقدِ
ليعضبِ رقيقِ الشفرتينِ مُهندِ
كفى العودُ منه البدءُ ليسَ بمعضدِ
إذا قيلَ مهلاً؛ قالَ حاجزهُ قدي
وإياها أمشي بعضبٍ مُجردِ^١
عقيلةُ شيخٍ كالوبيلِ يلندو^٢
أستَ ترى أنْ قد أتيتَ بمؤيدِ^٣
وإلا تردُّوا قاصيَ البركِ يزددِ^٤
ويُسئى علينا بالسديفِ المسرهدِ^٥
وشقي عليَّ الجيبِ يا ابنةَ معبدِ^٦
كهمتي ولا يغني غثنائي ومشهدي^٧
ذليلُ إجماعِ الرجالِ مُلسدِ^٨
عداوةُ ذي الأصحابِ والمتوحدِ
عليهم وإقدامي وصديقي ومحتدي^٩

١، البرك: الإبل الكثيرة الباركة، والهجود النيام (٢) الكهاد: الناقة البسينة،
والخيف الضرع، الجلالة الكبيرة، والوبيل العصا (٣) تر: بمعنى انقطع والوظيف
مستدق الساق من الإبل والخيل ٤، ذروه. اتر كوا عناده (٥) الحواري الصغير من
الإبل، والسديف السنام: والمسرهد انقطع صفاراً (٦) انعمني: اذكرني من
الأفعال ما أنا أهل له وهو يخاطب ابنة أخيه وشقي الجيب معروف، ويراد به
التنويه بشدة المصاب (٧) واحذري أن تجعليني هيناً كرجل لا يغني مثل غثنائي،
ولا يقوم في الحرب مقامي ولا يشهد مشهدي في المجالس والخصومات (٨) البطيء:
الكسول المتقاعد، والجلى الأمر الخطير العظيم والخنا الفساد (٩) يقول إن الجرأة
والإقدام والصدق وكرم الأنسل منعت عنه أعداءه من الإساءة إليه

لعمرك ما أمري على بُعْثَةٍ نهاري ولا لبلي عليّ بَسْرَمَدٍ^١
ويوم حَبَسْتُ النفسَ عِندَ عِراكِها حفاظاً على عوراتيهِ والتَّهْدِءِ^٢
على موطنٍ يَخْشَى الفَقْ عِندَهُ الرَّدَى متى تَعْتَرِكُ فِيهِ الفرائِصُ تَرَعْدُ^٣
وأصْفَرَ مَضْبُوحٌ نَظَرْتُ حِوَارَهُ على النارِ واستَوْدَعَتْهُ كَفُّ مَجِيدِ^٤
أرى الموتَ أَعْدَادَ النفوسِ ولا أرى بعيداً غداً ما أَقْرَبَ اليَوْمُ مِنْ غَدِ^٥
سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ ما كُنْتُ جَاهِلاً ويأتِيكَ بالأَخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ^٦
ويأتِيكَ بالأنبياءِ مَنْ لَمْ تَسْمَعْ لَهُ بتائناً ولم تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ^٧
لَمْ يَكْ ما الأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ فما اسْطَظْتُ مِنْ مَعْرُوفٍ فَافْتَزَوْدِ^٨
عن المرءِ لا تَسْأَلْ وأبْصِرْ قَرِينَهُ فَإِنَّ القَرِينَ بِالْمَقَارِنِ مُفْتَسِدِ^٩
لعمرك ما أَذْري وإني لَوَاجِلٌ أفي اليَوْمِ إقْدَامُ المُنِيَّةِ أَمْ غَدِ؟^{١٠}
فإنْ تَكْ خَلْفِي لا يَفْتَنُها سِوَايَا وإنْ تَكْ قَدَامِي أَجِدُها مَعْرَصِدِ^{١١}
إِذا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ بُوْدُكَ أَهْلَهُ ولم تَنْكُ بِالْبُوسَى عَدُوَّكَ فَابْعِدِ^{١٢}

(١) الغمة : الأمر الذي لا يهتدى له، والمعنى أفي لا أتحير في أمري نهاري ولا ليلاً فيطول علي الليل، والسرمد الطويل (٢) العراك : الازدحام أي صبرت النفس عند ازدحام القوم في الحرب والخصومات على روعات اليوم وهن قرعاته (٣) الأصفر هنا الأسود : المجد الذي يأخذ بكليتا يديه ولا يخرج من يديه شيء، وقيل الذي يضرب بالسهم أو الأمين في القمار (٤) ستبدي : ستظهر، ما كنت جاهلاً، يعني ما لم تسمع من قبل؛ ويفيدك بها من لم تسأله عنها (٥) سمع له بتائناً تشتري له زاداً (٦) لعمرك : وحياتك ليست الأيام إلا معارة عارية تسترد وتسترجع فاحرص على عمل الخير وصنع المعروف وتزود من ذلك كثيراً . (٧) الرواية المحفوظة لهذا البيت .

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي (٨) وأنا وانت وغيرنا لا يدري ولا يعرف متى يحين حينه (٩) فإن تك خلفي : فهي جادة ورائي، ولن أغرب عن عينها، وإن تك قدامي فهي رقيقة مترصدة (١٠) إذا لم تنفع ببرك الأقربين والأصدقاء ولم تلحق العطب بالأعداء ببطشك فاتخذ مكاناً قصياً .

(٧) معلقة أعشى قيس

هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسية - نشأ في بدء أمره راوية لخاله (المسيب بن علس) وقد عمي الأعشى وطال عمره، حتى انبلج فجر الإسلام وعظم أمر النبي ﷺ بين العرب، فأعد له قصيدة يمدحها بها وقصصده بالحجاز، فلقيه كفار قريش وصدوه على وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حمراء، ويرجع إلى بلده ليتخوفهم أثر شعره ففعل، ولما قرب من اليمامة سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات، ودفن ببلدته (منفوحة) باليمامة.

شعره: ينعند (الأعشى) رابعاً للثلاثة الصحول: امرئ القيس، والنابعة، وزهير؛ وإن كان يمتاز عنهم بغزارة شعره، وكثرة ما روي له من الطوال الجياد وتفنته في كل فن من أغراض الشعر؛ واشتهر من بينهم بالبالغة في وصف الحمر حتى قيل: أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابعة إذا رهب، والأعشى إذا طرب.

ولشعره طلاوه وروعة، ليست لكثرة من شعر غيره من القدماء، ولقوة طبعه وجلبته شعره سمي (صناجة العرب) حتى ليخيل إليك إذا أنشدت شعره أن آخر ينشد معك.

وجلالة شعره كان يرفع الوضيع الخامل، ويخفض الشريف النباه، ومن الذين رفعهم شعر الأعشى (المجذلي الكلابي) وقد كان أبا ثمان بنات عوانس رغبته عن خطبتهم الرجال لفقرهن، فاستضافه على فقره، فمدحه الأعشى ونوه بذلك في (سوق عكاظ) فلم يمض عام حتى لم تبقى حارية منهن إلا وهي زوج لسيد كريم. وكان الأعشى يتطرف في شعره ويتكسب به، وعدة بعضهم من أصحاب المعسقات، وذكر: فسدته اللاتمية التي يمدح بها الأسود الكيمدي، ومطلما.

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما تردُّ سؤالي

ومن جيت شعره قصيدته التي أعدها لينشد بها بين يدي رسول الله ﷺ
يمدحه فيها ، فلم يفز بذلك ؛ وأولها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وباتت كبات السليم مسهدا
وما ذاك من عيش النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهيدا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن إذا أصلحت كفاي عاد فافسدا
شباب وشيب وافتقار وثرؤة فلهذا الدهر كيف ترددا
وقصيدته التي أنشدتها في مدح الملقى أولها :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي تعشق
ومنها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في الفساع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وباتت على النار الندى والملق
رضيعتي لبان ثدي أم تقاسما بأسحمت داج عوض ولا تنفرك
تري الجلود يجري ظاهرا فوق وجهه كما زان متن الهندواني رونق
يداه يدا صدق فكف مبيدة وأخرى إذا ما ضن بالمال تنفق
وقيل : إن معلقته هي التي أولها .

ردع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل^١
غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينى كما تمشي الوحي الوحل^٢
كان مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة ، لا ريث ولا عجل^٣

(١) هريرة اسم قيمة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها إلى قريب له فولدت خليداً الآتي ذكره في شعره . (٢) الغراء البيضاء الواسعة الجبين ، والفرعاء : الفرع أي الشعر ، والعوارض هنا الرامعات والأنياب من الأسنان ، يريد أنها نقيمة الأسنان ، الوجي : الذي يشتكي حافره ولم يشف بمد ، فيكون مشيه متثاقلاً فكيف إذا كان وحلاً ؟ أي يمشي في الوحل ، يعني أن هذه الجارية لاسمها وتدلها تمشي متمهلة متمايلة (٣) الريث البطء .

تسمع للخلي وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريحٍ عشرقٍ زجل^١
ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسير الجار تختل^٢
يكاد يصدعها - لولا تشددُها - إذا تقوم إلى جاراتها الكسل^٣
إذا تقوم يضوع المسك صورة^٤ والزنبق الورْد من أردانها شمل^٥
ماروضة من رياض الحزن مُعشبة خضراء جاد عليها مسبل^٦ مهطيل^٧
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتبل^٨
يوماً بأطيب منها نشر رائحة^٩ ولا بأحسن منها إذا دنا الأصل^{١٠}
صدت « هريرة » عنا ما تكلمنا جهلاً بأُمّ حليلد حبل من تصل^{١١}
أئن رأيت رجلاً أعشى أضرت به ريب المنون ودهر مُفند خبل^{١٢}

(١) الوسواس: صوت الخلى والعشرق: شجرة مقدار ذراع لها أكام فيها حب صفار إذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فسمع له خشخشة على الحصى .
(٢) تختل : أي تتسمعه استراقاً ٣ يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المثرىات بالكسل وقلة العمل في البيت لأنهن مخدومات متمعات (٤) يضوع المسك : أي تذهب رائحته هنا وهناك ، وأصورة : جمع صوار بالضم وهو نافذة المسك أو حقه ، والزنبق عند العرب : زيت الياسمين ، وأكمله ما كان يميل إلى حمرة ولذلك وصفه بالورد (٥) الحزن: الأرض الغليظة ، والحزن المراد هنا: موضع ببلاد بني يربوع من اليمامة فيه رياض وقلعان (٦) كوكب كل شيء : معظمه ، ويريد به جماعة الزهر . أي يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها ، أو يتفتح ويشرق عند شروقها : وهذا الزهر مؤزراي يكتنفه نبات تام النمو ملتف عليه كالتفاف الإزار (٧) الأصل : جمع اصيل وهو من العصر إلى الظلام وخص هذا الوقت لأن الجو يبرد فيه فيهب النسيم حاملاً رائحة الأزهار يعني ان رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة ٨ أم خليلد كنية هريرة وقوله « حبل من تصل ! » استفهام تعجبي ، يعني إذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم إذن . (٩) الأعشى الذي لا يبصر بالليل ، والمفند الآتي بالمند وهو السفه في الرأي ، ومثله الخبال .

قالت هريرة لما جثت زائرًا لها : وَيَلِي عَلَيْكَ وَيَلِي مِنْكَ إِيَّارِجُلْ^١
 إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً ؛ لَا نَعَالُ لَنَا إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَنْتَعِلُ^٢
 وَقَدْ أَقَوْدُ الصَّبَا يَوْمًا ، فَيَتَّبِعُنِي وَقَدْ يُصَاحِبُنِي ذَوَالشَّرَةِ الْغَزْلُ^٣
 وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتَّبِعُنِي شَاوِي مِشَلْ شُلُولْ شُلْشَلْ شُولْ^٤
 فِي فِتْيَةٍ كَسِيفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ^٥
 نَازَعَتْهُمْ قَضِبَ الرِّيحَانِ مَتَكْنًا وَقَهْوَةً مُرَّةً رَاوُوقَهَا خَضَلْ^٦
 لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا ، وَهِيَ رَاهِنَةٌ إِلَّا بِهَاتِ ، وَإِنْ عَلَّوْا ، وَإِنْ نَهَلُوا^٧

(١) وَيَلِي عَلَيْكَ وَيَلِي مِنْكَ : أي أتفجع عليك لأنك تسمى بزيارتك لي في هلاك نفسك وأتفجع منك لأن زيارتك لي تجر إلى هلاكي (٢) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التي صدت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان ، وأنه كان شاباً غنياً طروباً غزلاً يشرب الخمر مع فتان مثله ويستمتع للقيان وينعم بهن فقال : « إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لَا نَعَالُ لَنَا . . . الخ » أي إن ترينا نتبذل مرة فنمشي حفاة فليس هذا دائماً دائماً فأننا أيضاً منتعلون فطوراً فننقر وطوراً نغتني (٣) أقود الصبا الخ : أي أتصابي ، وآتي بأفعال الفتيان ويصحبني منهم الغزل ذوي الشره وهي : نشاط الشباب . (٤) الحانوت : بيت الخمر ، والشاوي : الذي يشوي اللحم ، والمشل : السواق الحفيف والشلول والشلشل : الغلام الحار الرأس الحفيف الروح النشيط في عمله والشول : من يشول بالشيء الذي يشتره المشتري ، فيحمله له ويرفعه . (٥) أي كالسيوف في المضاء والصرامة وأن مخفقة من الثقيلة ، وإسمها ضمير الشأن المحذوف وجمله « هالك كل من . . الخ » خبرها فهالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر . (٦) الريحان : كل زهر طيب الرائحة ، ونازعتهم قضب الريحان : أتناولها مرة ويتناولونها أخرى ، والقهوة : الخمر ، الراووق : الوعاء الذي تروق فيه الخمر وخضل : دائمه الندى لا يخف لكثرة شربهم . (٧) راهنة دائمة أمامهم أي لا ينتهون إلا إذا أبطأ عليهم الساقى فصاحوا به « هات » ولو شربوا عللاً بعدنهل أي مرة بعد أخرى .

يسعى بهاذو زُجاجات له نطَفٌ مقلصٌ أسفل السربال مُعتمِلٌ^١
ومستجيب تخال الصنِج يُسمِعه إذا تُرجِعُ فيه القينةُ الفضلُ^٢

(٨) الحارث بن حلزة اليشكري

هو الحارث بن حلزة اليشكري البكري، يتصل نسبه إلى يشكر رَهْط من بكر بن وائل ولم يؤثر عنه غير قطع يسيرة ، ومعلقاته الآتية التي كان من أمرها أن عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة أصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البرص ، وأخذ من كلا الفريقين رهائن من أبناءهم ، ليكفّ بعضهم عن بعض وليقيد منها المُعتدى عليه من المعتدي ، فحدث أن سرح الملك ركباً من تغلب في بعض حاجته ، فزعمت تغلب أن الركب نزلوا على ماء لبكر فأجلوهم عنه ، وحملوهم على المفازة فماتوا عطشاً ، وتزعم بكر أنهم سقوهم وأرشدوهم الطريق فماتوا واهلكوا ، وذهب الفريقان يتدافعان عند عمرو بن هند ، وكانت ضلعه مع تغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حلزة ، وكان في المجلس مستوراً عن الملك باستارة لما فيه من البرص ، فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً يفتخر فيها بقومه وفعالهم وحسن بلائهم عند الملك وعظم أيامهم معه ، فما أتم قصيدته حتى انقلب الملك إلى جانب البكرين ، وقرب الحارث من مجلسه ، وعمر الحارث طويلاً حتى قيل إنه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة ومات قبل الهجرة بنحو خمسين سنة

(١) النطف : الفرطة من اللؤلؤ ، ومقلص : مشمر ، والسربال : القميص ، والمعتمِل النشيط (المعنى) يسعى بالخمر ساق يحمل زجاجتها مقرط الأذن بلؤلؤ مشمر ذيله معتمِل نشيط . (٢) ومستجيب : أي ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنِج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بمحركاته . أي أن العود والصنِج متفقان في النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر . والصنِج : دوائر رقاق من صفر يصفق بأحدهما على الأخرى وهي التي نسميها في زماننا «الكاسات» وهو أيضاً نوع من الآلات الوترية ، وترجع : تردد النغم ، القينة : الأمة وقيل إذا كانت سغنية والمرأة الفضل . التي تلبس ثوباً واحداً كأنها متبذلة .

وشعره : تغلب عليه الجزالة مع الإيجاز ، واطراد التعبير من طريق الحقيقة والتشبيه في الغالب ، وكذلك ما فيه من الطابع البدوي الذي يكاد يمتاز به شعر الجاهليين ، ومعلقاته هي :

آذنتنا ببينها أسماء رُبَّ ثاوٍ يَمَلُّ منه الثَّوَاءُ^١
بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةٍ شَمَاءٍ فَأَدْنَى ديارِها الخِلْصَاءُ^٢
لَا أَرَى مِنْ عَهْدَتُ فِيهَا فَأَبْكِي اليَوْمَ دَلْهُا وَمَا يَجِيرُ الْبُكَاءُ^٣
غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ إِذَا خَفَّ «الثَّوِي» النَّجْءُ^٤
بِزُفُوفٍ كَأَنَّهَا مِقْلَةٌ أَمْ رِثَالٌ دَوِيَّةٌ سَقْفَاءُ^٥
أَنْسَتُ نَبَأَهُ وَأَفْزَعَهَا الْقَنْصَاءُ عَصْرًا وَقَدَدْنَا الْإِمْسَاءُ^٥
ثم قال :

وأنا من الحوادث والأنبياء خطبٌ نَعْنَى بِهِ ونُسَاءُ^٦
أَنْ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قِيْلِهِمْ إِحْفَاءُ
يَخْلُطُونَ الْبَرَاءَةَ مِنْ بَذِي الذَّنْبِ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلَاءُ^٧
زَعَمُوا أَنْ كُلُّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْرَ مَوَالٍ لَنَا ، وَأَنَا الْوَلَاءُ^٨

(١) آذنتنا أعلمتنا ، وبينها : بفراقها لنا ، وثاو : مقيم . أي كثيراً ما تكره إقامة المقيم بين قوم لثقل كلفته أو لشدة ، وأسماء ليست من هؤلاء ففراقها شاق علينا . (٢) برقة شماء : مكان ، الخِلْصَاءُ كذلك ، الثوي : المقيم . (٣) النجاء : الإسراع (٤) الزفيف : إسراع النعامة في سيرها والمراد المبالغة في وصف الناقة بالسرعة ، والهقلة الناعمة والرثال أولادها والواحد رال والدو المفازة والدوية المنسوبة إليها والسقفاء الطويلة مع الخفاء (٥) أنست : أحست ، والنباة : الصوت الخفي ، القنصاء الصيادون (٦) نعننى به : نتعب به نحن دون غيرنا ، ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية لبني بكر قبيلة الشاعر ويغلون علينا يتجاوزون الحد في القول علينا ، والقييل : القول والإحفاء : شدة الإلحاح والاستقصاء . (٧) الخلي هنا الخالي من الذنب . والخلاء : الخلو من الذنب كذلك ، لا تنفع عندهم البريء براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنوبهم . (٨) أي فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤخذ عليها فعندهم أن كل من ضرب حماراً مثلاً مذنب .

أجمعوا أمرهم عشاءً فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
 من منادٍ ، ومن مجيب ، ومن تَصْهالٍ خيلٍ خِلالَ ذاك رُغَاءُ^١
 أيها الناطقُ المرقشُ عنا عند عمرو ، وهل لذاك بقاء^٢
 لا تخلنا على غراتك ، إنا قبلُ ما قد وشى بنا الأعداء^٣
 فبقينا على الشناءةِ نَتَمِينا حُصونُ ، وعزة قعساء^٤
 قبل ما اليومَ بَيضَتْ بعيون الناس فيها تعيطُ وإباء^٥
 وكان آمنون تردى بنا أرُ عن جونا ينجابُ عنه العماء^٦
 مكفهرأ على الحوادث لا ترُ نوهُ للدهر مؤيدُ صمَاءُ^٧
 أيما خطية أردتم فادُّر ها إلينا تمشي بها الأملاء^٨

(١) أي يتلمسون أي ذنب ، ويتشاورون في الليل في أمر حربنا ، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبية وضوضاء من مناد الخ قيل إن هذين البيتين أوجز ما قيل في وصف التأهب للارتحال وأصدق وأوضحه تصويراً للحقيقة (٢) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذلك الخ أي لتزيينك الباطل دوام ٣ لا تخلنا : أي لا تحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الإغراء ، وما زائد والمفعول الثاني محذوف . (٤) الشناءة : البعض . وتنمينا ترفعنا ، والقعساء : الثابتة . أي فبقينا على بغضك لنا في عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه (٥) قبل ما اليوم أي قبل اليوم وما زائدة ، وبيضت بعيون الناس : بيضتها أي أعمتها والباء زائدة ، والتعيط الترفع والاباء (٦) تردى ترمي وترجم : والباء في « بنا » لتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلاناً لتلقي به الأسد ، أي لتلقي الأسد ، أي هو كالأسد ، والأرعن هنا الجبل الذي له حدود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون : الأسود ، وينجاب منه : ينشق عنه ، والعماء السحاب الأبيض (٧) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من الجبال الصلب المنيع ولا ترنوه لا تنقصه وتذال منه ، والمؤيد الدهية وصماء . لا تسمع اعتذارات . أي أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لا تنال منه الدواهي الصماء . (٨) الخطية : الأمر يقع بين القوم ، أو الإقدام على الأمر ، والأملاء جمع ملاء ، وهم الأشراف والرؤساء .

إن نَبَشْتُمْ ما بين مِلْسِحةٍ فالصَّا قَب فيه الأمواتُ والأحياء^١
 أو نَقَشْتُمْ ، فالنَقْشُ يُنْقِشُهُ النَّاسُ ، وفيه الصلاح والإبراء^٢
 أو سَكْتُمْ عَنَّا ، فكُنَّا كَمَنْ أَغْصَمَ عَيْنًا في جَفْنِها الأَقْنَداءُ^٣
 أو مَنَعْتُمْ ما تَسْأَلُونَ فَمَنْ حُدَّ ثَنُومُهُ لَه عَلَيْنَا العَلاءُ ؟^٤
 هل عَلِمْتُمْ أَيامَ يُنْقَهَبُ النَّاسُ سُغَوِراً لِكُلِّ حِي عَواءٍ^٥
 إِذْ رَكَبْنَا الجِمالَ مِنْ سَعْبِ البَحْرَيْنِ سِيراً حَتَّى نَهاها الحِساءُ^٦
 ثُمَّ مِلْنَا على قِمِّ فَأَحْرَمْنَا وفينا بَناتٌ مُرَّرَ إِماءُ^٧
 لا يُقِيمُ العَزِيزُ بالبلدِ السَّهْلِ ، ولا يَنْفَعُ الدَّلِيلُ النُّجاءُ^٨
 لَيْسَ يُنْجِي مُؤائِلًا مِنْ حِذارِ رَأْسٍ طَوْدٍ وَحَرَةٍ رَجْلاءُ^٩

(١) ملحمة الصاقب : موضعان ، أي إن كانت الخطة التي ترضونها أن تثيروا القتال الذي وقع بيننا في هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أي فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم ، وحذفت الفاء الواقعة في جواب الشرط وهو فيه الأموات الخ ، للضرورة . أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك أو أن جواب الشرط الآتي له ولهذا . (٢) أو نقشتم أي دققتم في الاستقصاء ويحسمه : يتكلفه على مشقة (٣) وإن سكتم عنا فانا نسكت ، ونغضي أعيننا على القذى لأن الحق في جانبنا . (٤) وإن منعتم ما تسألون فيه من الصلح والتراضي فمن الذي أخبرتم أن له العلو علينا ، حتى تطعموا فينا ؟ وحدث هنا تعدت إلى ثلاث مفاعيل . (٥) غواراً : أي مغاورة بعض على بعض ، والعواء الصياح . ٦ يريد بالسعف : النخل ، والحساء جمع حسي ، وهو الرمل يكون الماء تحته قريباً أي هل علمتم إذا ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى إنتهينا إلى الحساء (٧) فأحرمنا أي دخلنا في الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفينا بناتهم سبايا ، ومر أبو تميم . (٨) النجاة : الإسراع والفرار . والموائل الذي يطلب مؤئلاً أي ملجأ ، والطود : الجبل ، والحررة الأرض ذات الحجارة السوداء والرجلاء : الغليظة .

(٩) لبید بن ربیعۃ العامري

هو أبو عقيل لبید بن ربیعۃ العامري أحد أشرف الشعراء المجيدين ، وهو من بني عامر بن صعصعة إحدى بطون هوازن من مضر ، وأمه عبيسة ، نشأ لبید جواداً شجاعاً فاتكاً؛ أمّا الجود فورثه عن أبيه الملقب بربيعۃ المعتز بن وأما الشجاعة والفتك فهما خصلتنا قبيلته . إذ كان عمه ملاعب الأسنة أحد فرسان مضر في الجاهلية ، وكان بين قبيلته وبين بني عبيس أخواله عداوة شديدة ، فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر ، وعلى العبيسين الربيع بن زياد ، وعلى العامريين ملاعب الأسنة ، وكان الربيع مقرباً عند النعمان يؤاكله ويؤاديه ، فأوغر صدره على العامريين ، فلما دخل وفدهم على النعمان أعرض عنه فشق ذلك عليهم ، ولبيد يؤمئذ صغير ، يسرح ويلهم ويرعاه ، فسألهم عن خطبهم فاحتقروه لصغره : فآلح حتى أضر كوه معهم ، فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غداً عند النعمان أسوأ انتقام ، بهجاء لا يحالسه بعده ولا يؤاكله فكان ذلك ، ومقت النعمان الربيع ولم يقبل له عذراً ، وأكرم العامريين وقضى حوائجهم ، فكان هذا أول ما اشتهر به لبید ، ثم قال بعد ذلك المقطعات والمطوولات ، وشهد النابغة له وهو غلام بأنه أشعر هوازن ، ولما ظهر الإسلام وأقبلت وفود العرب على النبي ﷺ جاء لبید في وفد بني عامر وأسلم ، وعاد إلى بلاده ، وحسن إسلامه ، وتونسك وحفظ القرآن كله ، وقال :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

وهجر الشعر حتى لم يرو له في الإسلام غير بيت واحد ، هو :

ما عاتب الحرّ الكريم كنفسه والمرء يوصلحه المجلس الصالح

وبعد أن فتحت الأمصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطاب واختارها

دار إقامة . وما زال بالكوفة حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وقد قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة

شعره : نبغ فيه وهو غلام ، وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان .

فمن قوله يرثي أخاه أربد .

بَلِينَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ وَتَبَقَى الدِّيَارُ بَعْدَنَا وَالْمَصَائِعُ
وَقَد كُنْتُ فِي أَكْنَافٍ جَارٍ مُضْنَةٍ ففارقني جاري بأربد نافع
فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَكُلْ أَمْرِي يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمٌ حُلُومًا وَرَاحُوا بِبَلَاغِ
وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ
لِعَمْرِكَ مَا تَدْرِي الضُّوَارِبُ بِالْخَصَى وَلَا زَاغَرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانُ : فَعَامِلُ يُتَبَّرُ مَا يَبْنِي وَآخَرُ رَافِعُ
فَمَنْهُمْ سَعِيدٌ أَخَذَ بِنَصِيْبِهِ وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ بِالْمَعِيشَةِ قَاسِعُ
وَمَنْ جَبَدَ الشَّعْرَ وَأَبْلَغَهُ أَيْضًا :

معلقة لبديد بن ربيعة العامري

عَفَتْ الدِّيَارُ مَحَلَهَا فَتَقَامُهَا يَبْنَى تَأْبَدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا^١
فَمَدَافِعُ الرِّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الْوُحْيَ سِلَامُهَا^٢
دِمْنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنْيَسَا حَجَجَ خَلَوْنَ حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا^٣

(١) عفت : درست ، والمحل والمقام : موضع الحلول والإقامة . تأبد : توحش . الغول والرجام : جبلان . (٢) الريان : واد بجمي ضربة ، ومدافع : مجاري المياه به حيث يندفع السيل وعري : رسمها خلقاً : أي ظهر بالياً ، والسلام : الحجارة . يذكر أن مدافع الريان لم تبق منها آثار تشبه آثار الكتابة على الأحجار . (٣) الدمن ما اجتمع من آثار الديار ، تجرم : مضى .

رُزِقَتْ مَرَابِيعَ النُّجُومِ وَصَابِهَا وَدُقُّ الرِّوَاعِدِ جُودَهَا فَسَرَّهَا مَهَا^١
 مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مَدَجْنَ وَعَشِيَّةً مَتَجَاوِبَ إِرْزَامُهَا^٢
 فَعَلَا فَرُوحُ الْأَيْهَتَانِ وَأُطْفَلَتْ بِالْجَهْلَتَيْنِ ظَبَاؤُهَا وَنَعَامُهَا^٣
 وَالْعَيْنُ سَاكِمَةٌ عَلَى أَطْلَائِهَا عَوْدًا تَأَجَّلَ بِالْفَضَاءِ يَهَامُهَا^٤
 وَجَلَا السَّيُولُ عَنِ الطَّلُوعِ كَأَنَّمَا زُبُرٌ تَجَدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا^٥
 أَوْ رَجَعُ وَاشْمَةٌ أَسْفَتْ نَوُورَهَا كَفَفًا تَعْرُضُ فَوْقَ نَهِشِهَا وَشَامُهَا^٦
 فَوَقَفَتْ أَسْأَلُهَا ، وَكَيْفَ سَوَّالُنَا صُمًّا خَوَالِدٍ مَا يَبِينُ كَلَامُهَا^٧
 عَرِيتُ وَكَانَ بِهَا الْجَمِيعُ فَأَبْكَرُوا مِنْهَا وَغَوَدَ نَوَّيْهَا وَثَمَامُهَا^٨
 شَاقَتُكَ ظَعْنُ الْحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا فَتَكَنَّتْ سَوَا قُطْنًا تَصْرُ خِيَامُهَا^٩
 مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عَصِيه زَوْجٌ عَلَيْهِ كَلَّةٌ وَقَرَامُهَا^{١٠}

(١) المربيع : أوائل الأمطار في الربيع . والنجوم : الأنواء ، وصابها : مطرها والودق : المطر . وجوده غزيره . ورهامه لينه وصغيره . (٢) السارية : السحابة وغاد : يسير بالغداة . مدجن : مظلم ، لأن المقيم إذا انتشر ملأ الجو بالدجنة وهي الظلمة والأرزام : صوت الرعد . (٣) الأيهتان : النبت أطفلت : أصبحت ذات أطفال ، الجهلتين الجهتين (٤) العين : البقرة وأطلاؤها أولادها ، والعوذ : حديثه النتاج لأن ولدها يعوذ بها ، تأجل : تجمع وصار أجلا ، والأجل القطيع (٥) يريد أن السيول كشفت عن الطلول فظهرت كالكتب تحدد ظهورها الأقلام (٦) الواشمة : من تحلي الأيدي بالوشم (٧) الصم العواقي وهي الأثافي ، ما يبين : لا يظهر ٨ عريت : خلت . أبكروا : ساروا في البكرة ، وغودر : ترك ، والدوي : حفرة حول الخباء تمنع السيل ، والثام : ببت ضعيف (٩) الظعن : الجمال عليها الهودج ، أو هي النساء في الهودج ، تكنتن الظباء : سكنت الكناس ، والقطن الهودج ، تصر خيامها ، يسمع لها صرير : يريد أن ظن الحي تركوا وطنهم وأسكنهم الرحيل رحالاً يصفق بها الريح (١٠) محفوف : صفة للهودج يحف بالديباج ويزدن به جانباه ، يظل : يغطي أو يظلل والعصي هنا أعواد الهودج ، والزوج بساط يفرس على الهودج ، والسكة ستر رقيق ، والقرام : ثوب ملون مذكوش .



زَجَلًا كَانَ نِجَاجَ تَوْضِيحَ فَوْقَهَا وَظِيَاءَ وَجْرَةَ عَطْفًا أَرَامُهَا^١
حَفِيزَتْ وَزَايِلَهَا الشَّرَابُ كَأَنَّهَا أَجْزَاعُ بَيْشَةَ أَثْلَهَا وَرِضَامُهَا^٢
بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ «نِسْوَارٍ» وَقَدْنَاتٍ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا^٣
مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِقَيْدٍ وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الْحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا^٤
بِمَشَارِقِ الْجَبَلَيْنِ أَوْ بِمَحْضَرٍ فَتَضَمَّنْتَهَا فَرْدَةً فَرُخَامُهَا^٥
فَنَصَوَاتِقُ إِنْ أَيْمَنْتَ فَمُظْنُهُ مِنْهَا وَحَافُ الْقَهْرِ أَوْ طِلْخَامُهَا^٦
فَاقْطَعْ لُبَانَةً مَنْ تَعْرُضُ وَصَلُهُ وَلِشَرٍّ وَاصِلُ خُتْلَةٍ صَرَامُهَا^٧
وَاحِبُ الْمُجَامِلِ بِالْجَزِيلِ وَصَرْمُهُ بَاقٍ إِذَا ظَلَمْتَ زَوَاعٍ قِيَامُهَا^٨
بِطَلِيحٍ أَسْفَارَ تَرْكُنَ بَقِيَّةِ مِنْهَا وَأَحْنَقُ صُلْبِهَا وَسَنَامُهَا^٩
فَإِذَا تَغَالَى لَحْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الْكِلَالِ خِدَامُهَا^{١٠}

(١) زجل : الجماعة ، توضيح ووجرة ، موضعان ، النعاج : البقر ، عطفت
الظبية تعطف جيدها إذا ربضت ، يذكر أن النساء فوق الهوداج كأنهن النعاج
أو الأراكم والأعلام (٢) حفزت : حثت على المسير وزايلها . فارقتها ، بيشة : واد
والأجزاء منعطف الوادي ، الأثل : نوع من الشجر ، والرضام : صخور عظام .
(٣) نوار : اسم حبيته ، الرمام . القطعة من الجبل البالي ، يريد أن الوصل
تقطعت به الأسباب . (٤) مرية تنسب إلى مرة بن عوف ، فيد : موضع في
طريق مكة مرَامها : منالها . (٥) الجبلان أجا وسلمى ، محجر : جبل في بلاد
طيء ، فردة اسم أرض ، والرخاء : موضع كثير الأشجار . (٦) الصوائق :
جبل قرب مكة وتروى فصعائد وأيمنت : سارت نحو اليمين . وحاف : الصخرة
السوداء ، القهر : اسم موضع والطلخاء الفيلة . (٧) اللبانة : الحاجة ، تعرض :
تغير . (٨) واحب . أعط المجامل المكافيء ، وصرمه باق : أي وقطيعته باقية -
إذا ظلمت : إذا مالت مودته عنك وزاغ قوامها أي ملاكها . (٩) الطليح :
الناقة المعيبة وأحنق بمعنى ضم . (١٠) تغالَى : ارتفع من الهزال وتحسرت :
تقطعت والكيلال الأعياء .

فلها هيبابٌ في الزمام كأنها صهباء راح مع الجيوب جنبها^١
 أو ملّيعٌ وسقت لأحقب لاهُ طردُ الفحول وضربها وكدامها^٢
 يعلو بها حدب الأكام مسحجٌ قد رابه عصيانها ووحامها^٣
 بأحزّة الثلبوت يربأ فوقها فقرُ المراقب خوفها أرآمها^٤
 حق إذا سلخا جمادى ستة جزء أ فطال صيامه وصيامها^٥
 رجما بأمرها إلى ذي مرة حصد ونجح صريمة إبرامها^٦
 ورمى دوابها الفا وتهيجت ريح المصايف سومها وسهامها^٧
 فتنازعا سبطاً تطير ظلاله كدخان مشعلة يشب ضرامها^٨
 مشمولة غلثت بنابت عرفج كدخان نار ساطع أسنامها^٩
 فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عرّدت إقدامها^{١٠}
 فتوسطا عرض السريّ وصدعا مسجورة متجاوزاً قلامها^{١١}

(١) الهباب : النشاط . والصهباء : السحابة التي لم يكن فيها ماء ، والجمام الذي لا ماء فيه ، والجنوب : هي الريح اليمانية (٢) الملح الأتان التي قد بان حملها واسودت حلماتها (٣) يعلو : يرتفع الحدب . ما ارتفع من الأرض ، المسحج : المعضض رابه أي شككه . والعصيان : الامتناع ، والوحام : الكراهية للشيء . (٤) الأحزة : ما غلظ من الأرض الثلبوت : موضع في نجد ، يربأ : يرفع ، فقر المراقب : عالي موضع الارتقاب ، والآرام : الأعلام (٥) أراد ستة أشهر أو لها الحرم وآخرها جمادى ، جزء أ : أي إستغنيما بالرطب من الكلال عن الماء ، والصيام عن الماء وسلخا : أي مضى عليهما ٦ رجما . الأتان والحمار . بأمرها . برأيهما ، ذي مرة قوة ، يعني الحمار ، حصد : محكم وصريمة : عزيمة ، والإبرام : الإحكام . (٧) الدواير : مآخير الحوافر : والسفا : شوك البهي هنا ، المصايف : المرعى أيام الصيف ، سومها . مرها . السهام وهج الصيف وشدة حره (٨) تنازعا : تجاذبا (٩) أسنم الدخان : إذا ارتفع وكثر ، غلثت : خلطت ، العرفج : كثرة الدخان ساطع مرتفع (١٠) توسطاً دخلاً وسطه عرض السري ، ناحية النهر ، وصدعا قافر ، مسجورة : أي عينا مملوءة .

محفوفة وسط اليراع يظلمها منها مُصَرَّعُ غابسة وقيامها^١
أفْتَيْتِكَ؟ أم وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوار قوامها^٢
خنساء صيغت الفريز فلم يرم عُرض الشقائق طوفها وبغامها^٣
لمفتر فهدي تنازع شلوه .. غبس كواسب ما يمن طعامها^٤
صادفن منها غرة فأصبنها إن المنايا لا تطيش سهامها^٥
بانت وأسبل واكف من ديمة يروي الخائل دائماً تسجامها^٦
تجتاف صلاً قالصاً متنبذاً بعجوب أنقاء يميل هيامها^٧
يعلو طريقة منتها متواتراً في ليلة كفر النجوم ظلامها^٨
وتضيء في وجه الظلام منيرة كجبانة البحري سل نظامها^٩
حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت بكرت تزل عن الثرى أزالها^{١٠}

(١) محفوفة : محوطة من جميع جوانبها ، يعني العين ، مصرع : بعضه فوق بعض والغابسة ، الأجمة وهي الشجر الملتف (٢) أفْتَيْتِكَ : الأتان ، أم وحشية : بقرة الوحش مسبوعة : أكل السبع ولدها ، خذلت : تأخرت عن البقر والخذول : المتخلفة ، وهادية متقدمة (٣) خنساء : قصيرة الأنف ، الفريز : ولد البقرة ، يرم : يبرح ، عرض أي ناحية ، الشقائق : جمع شقيقة وهي ما بين الرملتين وطوفها أي دورانها وترددها وبغامها : صوتها (٤) المفتر ولد البقرة ، والفهد : الأبيض تنازع : تجاذب ، شلوه واحد الأشياء وهي الأعضاء ، وغبس الذئب الغبر وكواسب تكسب ما تأكل ، ما يمن طعامها ليس أحد يمن به عليها . (٥) صادفن : وجدن ، غرة : عقلة ، فأصبنها ، أوقعنها ، لا تطيش . لا تخطئ ، (٦) أسبل ، هطل ، الواكف : المطريق أياً لا ينقطع ، الخائل الشجر الملتف والتسجام ، كثرة المطر . (٧) تجتاف : تدخل جوفه ، أصلاً قالصاً ، يعني أصل شجرة ، يعقوب . أصل الذئب ، يعني أطراف الرمال ، منتحياً . (٨) الطريقة ، الخطة ، متواتراً . متتابعاً ، كفر غطى ، والغمام . السحاب . (٩) تضيء . تنير والجمانة . الحبة من اللؤلؤ ، سل نظامها . وهو الخيط الذي يسلك فيه اللؤلؤ . (١٠) انحسر الظلام . انكشف ، أسفرت : دخلت في الإسفار وهو الصبح ، بكرت : غدت بكرة ، تزل ، تسرع ، الثرى التراب ، أزالها ، قوائها

عَلِيَّتْ تَبْلَدُ فِي 'نَهَاءِ صَعَائِدِ سَبْعًا نَوْمًا كَامِلًا أَيَامُهَا^١
 حَقٌّ إِذَا يَشْتِ وَأَسْحَقُ حَالِقُ^٢ لَمْ يَبْلِهْ إِرْضَاعَهَا وَقَطَامُهَا^٣
 وَتَسْمَعَتْ رِزَّ الْأَنْبِيسِ فَرَاغَهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبِ وَالْأَنْبِيسِ سَقَامُهَا
 فَفَدَتْ كَلَا الْفَرَحَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْخُفَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامُهَا^٤
 حَقٌّ إِذَا يُشْسَ الرَّمَاةُ وَأَرْسَلُوا غَضَبًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامُهَا^٥
 فَلَحَقْنَ وَاعْتَكُرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ^٦ كَالسَّمَرِيَّةِ حَدَهَا وَقَامُهَا^٧
 لَتَدُودَهْنَ^٨ وَأَيَقَنْتَ بَنٍ لَمْ تَذُدْ أَنْ قَدْ أَحْمَمَ مَعَ الْخُتُوفِ حَامُهَا^٩
 فَتَقْصَدَتْ مِنْهَا كَسَابَ فَضْرَجَتْ^{١٠} بَدَمٍ وَغُودَرٍ فِي الْمَكْرِ سَخَامُهَا^{١١}
 فَبِتْلَكَ - بِذَرْقِصِ اللُّوَامِعِ بِالضُّحَى وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا^{١٢}
 أَقْضَى اللَّبَانَةَ لَا أَفْرَطَ رِيَّةَ أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لَوَّامُهَا^{١٣}
 أَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي 'نَوَارُ' بِأَنِّي وَصَّالُ عَقْدِ حَبَائِلِ حَذَامُهَا^{١٤}
 تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ حَامُهَا^{١٥}
 بَلْ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ طَلَّقَ لَذِيذِ لُهْوَا وَنَدَامُهَا^{١٦}

- (١) عليت : تحيرت ، تبلد : تتردد ، وتتحير ، في نهاء . غاية ، الصعائد .
 المكان نوماً : أي متتابعة لياليها (٢) سحوق . ارتفع ، والحالق . المرتفع وهو
 ضرعها ، والحالق ، الجبل المرتفع (٣) الفرجان : ما بين القوائم ، مولى الخفاف صاحبها
 (٤) الغضب : جمع أغضب وهي الكلاب . (٥) اعتكرت . استمعت ورجعت
 مدرية : محدودة ، السميرية ، الرماح المنسوبة إلى سمير وهو رجل كان يقوم
 الرماح باليمن (٦) لدودهن : أي تطردهن ، وأن قد أحمم قدر ، الختوف .
 جمع حنف وهو الموت والحمام : الموت (٧) فتقصدت : قصدت يغني قتلت ،
 كساب . إسم كلبة فضرجت . خلطت وغودر . ترك ، في المكر ، موضع
 القتال ، سخامها اسم كلب . (٨) فبتلك البكرة رقص . ارتفع اللوامع
 بالضحى . الآل ، وإجتاب . لبس ، أردية . جمع رداء . (٩) اللبانة . الحاجة ،
 لا أفرط لا أترك ، والريبة الشك والخافة ، أو أن لا يلوم (١٠) وصال . أي
 أصل ولا أقطع . (١١) تراك أمكنة يقول إذ رأى ما يكره تركها ، أو يرتبط .
 يتلف ، وبعض بمعنى كل .

قد بت سامرها وغاية تاجر
أغلي السباء بكل أدكن عاتق
بصبوح صافية وجذب كرينه
باكرت حاجتها الدجاج بسحرة
وغداة ريح قد وزعت وقرقة
ولقد حميت الخيل تحمل شكتي
فعلوت مرتقياً على مرهوبة
حتى إذا ألفت يداً في كافر
أسهلت وانتصت كجذع شيفة
رفعتها طرد النعام وفوقه
قلقت رحالتها وأسبل نحرها
ترقى وتطنن في العنان وتنتحي
وكسيرة غرناؤها مجهولة

وافيت إذ رفعت وعز مدامها^١
أو جونة قدحت وفض ختامها^٢
بموتّر تآله إيهامها
لأعل منها حين هب نيامها
إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
فرط وشاحي إذ غدوت لجامها^٣
خرج إلى أعلامن قسّامها^٤
وأجن عورات الثغور ظلامها^٥
جرداء يحصر دونهما جزامها^٦
حتى ذا سخنت وخف عظامها^٧
وابل من زبد اللحم حزامها^٨
ورد الحمامة إذ أجد حمامها^٩
ترجى نوافلها ويخشى ذامها^{١٠}

(١) بت سمرأ: أي فيها وغاية تاجر يريد راية تاجر يبيع الخمر، ويضع الراية ليعرف موضعه بها فرفعهم لذلك، عز: غلامد منها: خمرها وسميت مدامه لمداومتها في الدل (٢) السباء: شراء الخمر، وجونة: سوداء، والأدكن: الزق، قدحت غرقت. (٣) فرط: من صفة الفرس السابق، وشكتي: سلاحتي (٤) فعلوت: طلعت مرتقياً، الحرج، الضيق، والأعلام، الصوت، القتام، الغبار. (٥) ألفت يداً، يعني الشمس، والكافر، البحر، وأجن ستر، العورات: جمع عورة، موضع الخفاة، والثغر، موضع الخفاة أيضاً. ٦ أسهل، نزل السهل وانتصبت يريد الفرس، ومنبعة، يريد نخلة طويلة الجام: الصرام (٧) ركضها في المسير كما تطرد النعام وفوقه: فوق الطرد وسخنت جمعت، وخف عظامها، وأسرعت. فاذا عرقت جاد جريها ٨ الرحالة: سرج، والحميم العرق وأسبل نحرها: جرى ٩ إلى الماء وهو الورد، وترقى تعتمد، وتنتهي تقصد، كأنها حماء أجهد نفسه، ورد الحمامة، كاسرعها (١٠) يريد كم من خطة وحالة عظيمة. مشهورة حضرتها وكنت المقدم فيها، ترجى نوافلها: فضلها، ويخشى عليها.

غلب تشذّر بالدحول كأنها
 أنكرت باطلها وبؤت بحقها
 وسخزور أيسار دعوت لحقها
 أدعو بين لعاقير أزمطفسل
 فالضيف والجار الغريب كأنما
 تأوي إلى الأطناب كل ررية
 ويكسلون إذا الرياح تناوحت
 إنا إذا التقت الجماع لم يزل
 ومقسم يعطي المشيرة حقها
 فضلا ، وذوكم يعين على الندى
 من معشر سنت لهم آباؤهم
 إن يفرغوا تلق المغافر عندهم
 لا يطبعون ولا يبور فعالمهم
 فبنوا لنا بيتا رقيعا سمكه
 جن البدي رواسيا أقدامها^١
 يوما ولم يفخر علي كرامها^٢
 بمقاتل متشابه أعلامها^٣
 بذلت لجيران الجميع لحامها
 مبطا تبالة نخصبا أهضامها^٤
 مثل البلية قالص أهدامها^٥
 خلجا تمند شوارع أيتامها^٦
 منا لزاز عظمة جشامها^٧
 ومغذمر لحقوقها هضامها^٨
 سمح كسوب رغائب غناسها
 ولكل قوم سنة وإمامها
 والسّن يلح كالكواكب لامها
 اذ لا يميل مع الهوى أحلامها
 فسا إليه كملها وغلالمها^٩

(١) تشذر : تهيأ للقتال الدحول : البدي مكان معروف بالجن ،
 رواسيا يعني أنها ثابتة . (٢) بؤت أقررت . (٣) الأيسار : الذين يحضرون
 القسمة ويضربون بالقداح ، والمقاتل السابع من سهام الميسر . (٤) يقول عنده
 من الخصب مثل ما عند هل تبالة من الرطب (٥) الرزية المرة متى أهزلها أهلها
 والبلية : ناقة الرجل تعقل عند قبره وتفقأ عينها وي طرح حفتها ويلذون وجهها
 فلا تزال عند قبره حتى تموت ويحضر لها قدر ما بقيت قوائما ، الأطناب : حبال
 الفساطيط ، والأهدام : الخلقان ، وقالص : قصير مرتفع (٦) التكيل أن يوضع
 اللحم بعضه على بعض ، الحلج : الجفان ، شوارع : جمع شارة وهي من صفات
 الأيدي ، رأى أيديهم ممدودة للأكل . (٧) المحافل : لزاز : قرن ، لكل
 عظيمة جشامها أي متجشم لها ، متكفل بها . (٨) المقسم : يريد عامر بن الطفيل
 والمغذمر : الذين يأخذ من هذا ويعطي هذا ويدع هذا ، والهضم : النقصان .
 (٩) بنو : يعني آباءه وأجداده ، السمك : المرتفع من الشيء .

فاقنّع بما قسم المليكُ فإنما قسم الخلائق بيننا علامها
وإذا الأمانةُ قسمتُ في معشر أو ففى بأعظم حظنا قسّامها
فهم الشعاة إذا العشيرة أفضعتْ وهم فوارسها وهم حكامها^١
وهم ربيع للعجاور فيهم والمرملات إذا تطاول عامها
وهم العشيرة إن يبطأ حاسد أو أن يميل مع العدو لئامها
ومنه قوله في النشعمان يرثيه :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل^٢
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي لب إلى الله واسل^٣
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهة تصفر منها الأنامل^٤
وكل امرئ يوماً سيعلم غيبه إذا كشفت عند الإله الحاصل^٥

ويعتر لبيد بمن رثى نفسه قبل موته بقوله لا بئتيه وهو محتضر :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربعة أو مضر^٦
فإن حان يوماً أن يموت أبوكا فلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر^٧
وقولا هو المرء الذي لا حليفه أصاع ولا خان الصديق ولا غدر^٨
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر^٩

(١٠) علقمة بن عبدة التميمي

هو علقمة الفحل بن عبدة بن ناضرة التميمي ، شاعر جاهلي مجيد من أقران
امرئ القيس ، مات قبل الإسلام بزمان طويل ، وإنما قيل له «الفحل» من أجل
أن يتميز في الأخبار من شاعر آخر في قبيلته أيضاً يسمى علقمة الحضي بن سهل
١١ السعاة : جمع ساع وهو المصلح ، وأفضعت : ابتليت بالأمر الفظيع . وهو
المهم (٢) السؤال بمعنى الاستفهام ، والمحاولة : استعمال الحيلة ، والنحب النذر
(٣) الواسل الطالب والراغب إلى الله ، أي أرى الناس لا يعرفون ما هم فيه .

ويكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام وأسلم، وقيل سمي «الفحل» لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن صلقها لأنها فضلت علقمة عليه حين حكمتها في شعرهما.

(١١) معلقة علقمة الفحل بن عبدة التميمي

طحا بك قلب في الحسان طرُوب بُعيد الشبابِ عصرَ حان مشيب^١
يُكفني ليلى ، وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب^٢
منعمة^٣ ، ما يستطاعُ كلامها على باها من أت تزار رقيب^٤
إذا غاب عنها البعل لم تفش مره وترضى إيابَ البعل حين يؤوب^٥
فلا تعدلي بيني وبين مغمر سقتك روايا المزن حين تصوب^٥
سقاك يمان ذو حي وعارض تروح به جُنحَ العشي جنوب^٦

(١) طحا به قلبه ذهب به كل مذهب ، والطروب من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق إلى الشيء ، وبعيد ، تصغير : بعد . وحان المشيب : قرب أو انه ، أي أضلك قلبك الطروب في حبك الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب ، والخطاب لنفسه ، ثم التفت وتكلم عن نفسه فقال : يكفني الخ (٢) شط وليها : بعد عنك قرىها ودنوها ، ومواصلتها عادت : شملت ، وصرفت مقلوب عداه عن الأمر صرفه ، والعوادي : جمع عادية ، وهي الأمر الشاغل عن الشيء ، والخطوب : جمع خطب وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر

(٣) منعمة : من النعم فهي محجة يعني بحراسة أهلها لها (٤) لم تفش سره : كناية أنها لم تخنه ، ولذلك هي ترضى إياها فلا يعجبها غيره ، وإذا قريء وترضى - بالضم - كان المعنى وتجعل إياها رضىاً حميداً بالألا يشك في صونها . (٥) فلا تعدلي فلا تسوي والمغمر من الرجال : المحقق من الرجال الذي يستجمله الناس ، سقتك الخ يدعوها بأن تسقيها المزن الروية أي تروي حين تمطر ، يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغي لها أن تحرص عليه ثم عاد إلى الدعاء لها فقال ، سقاك الخ . (٦) أي سقاك سحاب يمان يأتي من ناحية جنوبي نجد ، أصله يعني خففوا ياء النسب ، وزادوا الألف عوضاً عنها ، فعمل المنسوب معاملة المنقوض ، الحبي السحاب المتراكم =

وما أنت؟ أم ما ذكرها ربعية^١ يخط لها من ثرمداء^٢ قلب^٣
فإن تسألوني بالنساء فإنني نصير بأدواء النساء طبيب^٤
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له من ودهن نصيب^٥
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرح الشباب عندهن عجيب^٦
فدعها! وسل! لهم عنك بحسرة كهملك فيها بالرداف خميب^٧
إلى الحارث الوهاب أعلمت ناقتي بكسكسها والقصر بين وجيب^٨

وقال أيضاً علقمة الفحل بن عبدة التميمي :

والحمد لا يشتري إلا له^٩ ثمن^{١٠} مما يضمن به الأقواء معلوم^{١١}
والجود نافية للمال مهلكة^{١٢} والبخل مبق لأهليه ومذموم^{١٣}

= بعضه على بعض فيكون سيره بطيئاً كأنه يجبو، ويكون لذلك مطره غزيراً،
والعارض السحاب المعرض في الأفق ، والجنوب : الريح الجنوبية

(١) وما أنت : ما استفهامية للتعجب وأم للأضراب بمعنى بل ، أي ما شأنك ؟ بل ما الداعي لذكرك ليلى ، وهي ربعية من ربعة وأنت تميمي ، وقد رحلت إلى بلادها حيث خط لها في ثرمداء قلب ، والقلب : البشر وثرمداء موضع ، ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطباعهن ، فقال فإن تسألوني الخ : (٢) الأدواء جمع داء ، أي بطباعهن المعيبة التي بمنزلة الأمراض فيهن (٣) الثراء : الكثرة أي يحمن من يعلمن عنده مالا ، وشرح الشباب أوله ، وعجيب : معجب (٤) الجسرة النساقة القوية الماضية ، وكهملك أي مثل همتك في المضاء والقوة ، والرداف جمع رديف والردف كل شيء يكون خلف الراكب ، ولو حقائق . والخبيب : السير السريع . ٥ والحارث الوهاب : يريد به الحارث ابن جبلة بن أبي شمر الغساني ، وكان أسر أخاه شاسا فرحل إليه يطلب خلاصه وفكه وأعمل الناقة : وجههم أو أجهدا ، والكلكل : الصدر وما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا . والقصرمان ضلعان يليان الترقوتين . والوجيب خفقان القلب أي أنه لشدة إجهادها في السير اشتد نبض قلبها . وبأن ذلك في كلكها وقصر سبها لقرب القلب منها . (٦) يقول إن الحمد لا يشتري إلا بأثمان تضمن بها النفوس ، والحمد : الثناء والمدح . (٧) نافية أي مبيد ومهلك . والبخل الخ : أي أن البخل يوفر المال وأهله مأمونون وأدخل الهاء في نافية للمبالغة مثل علامة ونسابة .

والمالُ صوف قرار يلعبون به على نقادته واف ومجلموم^١
 ومُطعمُ الغنم يوم الغنم مُطعمه أنى توجه ، والمحروم محروم^٢
 والجهل ذو عرض لا يُستراد له والحلم آونة في الناس معدوم^٣
 ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد - مشثوم^٤
 وكل حصن وإن طالت سلامته على دعائه - لا بد - مهدوم^٥

أمية بن أبي الصلت

هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي شاعر خطير من أشراف ثقيف، وأحد الملمتين للدين في الجاهلية، وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف .

منشؤه - نشأ بالطائف، وكان أبوه شاعراً مشهوراً، وروى الكثير من أخبار اليهود والنصارى وما بقي في رؤس شيوخ الجاهلية من ملة إبراهيم وإسماعيل وحدث عن خلق السموات والأرض والملائكة والجن وشرائع الأنبياء والرسل، وخاض في التوحيد وأمر الآخرة، وتعبد ولبس المسوح، وحرم الخمر على نفسه وشك في الأوثان، وراى في الكتب ما يبشر ببعثة نبي من العرب، فطمع أن يكونه؛ فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كُسيَفَ بآله، وحمله الحسدُ

١١ القرار : النقد . وهي غنم صفار الأجرام قصار الواحدة نقدة ، يلعبون به : أي يتداولونه ويعبثون به ، واف : كثير ، ومجلموم : مجزوم بالجم أي المقص يريد أن منهم من يعطي القليل ومنهم من يعطي الكثير كما أن الصوف على النقد قليل وكثير . والنقادة : جمع لاسم الجمع (٢) المعنى : أن الذي جعل الغنم له طعمة فسيطعمه في يوم الغنم أينما توجه . ومن حرمه فلن يناله فقضاء الله كائن لا محالة . (٣) ذو عرض لك : لا يستراد له أي لا يراد ولا يطلب فأنت لا تحبه ولا تريده ، آونة أحياناً ، ومفرده : أوان (٤) المعنى أن من يزجر الطير وإن سلم فلا بد أن يصيبه شؤم : والغربان يتشاءم بها فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفاً من أن يصيبه الشؤم فلا بد أن يقع ما يخاف ويحذر . (٥) يقوا : كل حصن دامت سلامة أهليه فيه فلا بد أن يهلكوا ويخرب الحصن ، ودعائه : أركانه التي يقوم بها .

والكد أن ينابذه ، ويكفر بدينه على علمه بصحته ، ويحرض عليه قريشاً ، ويرثي قتلاهم في وقعة بدر ، فمنه النبي صلى الله عليه وسلم عن رواية شعره في ذلك ، وروي أنه هو الذي نزلت فيه آية «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » وكان عليه الصلاة والسلام إذا سمع شعره في التوحيد والايان والتناء على الله يقول : آمن لسانه ، وكفر قلبه .

ومن آخر شعر ما قاله عند موته :

كلُّ عيش وإن تطاول دهرأً منتهى أمره إلى أن يزولا
ليتقى كنتُ قبلَ ما بدا لي في رؤوس الجبال أرعى الوُعولا
فاجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدهر إن ذا الدهر غولا
واختص بأكثر مدائح في الجاهلية (عبد الله بن جدعان أحد سرة قريش وأجوادها) حتى كان منه بمنزلة زهير مع هرم ، وأقام بقية حياته بالطائف إلى أن مات بها كافراً سنة تسع للهجرة .

شعره : يعدُّ أمية من أكبر شعراء القرى على قلة الشعر فيهم ، غير أن الذي أزرى بشعره في نظر بعضهم كثرة استعماله للدخيل من العبرية والسريانية في شعره وكان أمية يسمى السماء : صاقورة ، وحاقورة ؛ ويزعم أن للقمر غلافاً يدخل فيه إذا خسف ويسميه السَّاهور) ويسمى الله في شعره السلطيط ، والتغور ، ونحو ذلك

ويمتاز شعره ببعض السهولة في لفظه ، وبذكره بعض العجائب من القصص الخيالية ، والأساطير الخرافية ، وخلق العالم وفنائه ، وأحوال الآخرة وصفات الخالق والخشوع له ؛ ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء قبله ، ويتخلل ذلك شيء من الحكم والأمثال ، ومن شعره :

الحمدُ لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبَّحنا ربِّي ومسانا
ربِّ الحنيفة لم تنفد خزائنه مملوءةً طبق الآفاق سلطانا
ألا نبيُّ لنسا منا فيخبرنا ما بعد غايتنا من رأس محيانا

وقد علمنا لو ان العلم ينفعنا أن سوف تلحق أحرانا بأولانا

الرواية والرواة

قد علمنا بما تقدم أن عامة المروي من كلام العرب شعرها ونثرها وأخبارها معزو إلى أهل المدو الأميين ، ولذلك لم يصل إلينا كتاب يجمع بين دفتيه الكثير منها ، وما روي لنا من كلام فصحاء العرب ليس إلا النثر اليسير بوجوه مختلفة ، وبالطبع لا يحفظ هذه الوديعة إلا أهل الحفاظ عليها ، والاعتداد بها وهم الشعراء والمتأدبون ، فقد كان امرؤ القيس راوية أبي دواد الأيادي ، ورهير راوية أوس ابن حجر ، والأعشى راوية المسيب بن علس .

واشتهر من قريش أربعة بأنهم رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب ، وهم محرمة بن نوفل ، وأبو الجهم بن حذيفة ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل ابن أبي طالب .

العصر الثاني ، عصر صدر الاسلام ، ويشمل بني أمية

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كانت العرب أمماً بدوية ، ليس لها من وسائل العمران وأسباب الرخاء ما يحملها على تبخر في علم ، أو تبصر في دين ، أو تفنن في تجارة ، أو زراعة ، أو صناعة أو سياسة - وعلى وفق ذلك كانت اللغة العربية لا تعدو أغراض المعيشة البدوية -

(١) خلفاء بني أمية هم :

- ١ - معاوية بن أبي سفيان (٤١ / ٦٠) ٢ - يزيد بن معاوية (٦٠ / ٦٤)
- ٣ - معاوية بن يزيد (٦٤ / ٦٤) ٤ - مروان بن الحكم (٦٤ / ٦٥)
- ٥ - عبد الملك بن مروان (٦٥ / ٨٦) ٦ - الوليد بن عبد الملك (٨٦ / ٩٦)
- ٧ - سليمان بن عبد الملك (٩٦ / ٩٩) ٨ - عمر بن عبد العزيز (٩٩ / ١٠١)
- ٩ - يزيد بن عبد الملك (١٠١ / ١٠٥) ١٠ - هشام بن عبد الملك (١٠٥ / ١٢٥)
- ١١ - الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ / ١٢٦)
- ١٢ - يزيد بن الوليد الأول (١٢٦ / ١٢٦) ١٣ - مروان الجعدي (١٢٧ / ١٣٢)

إلا أن روحاً من الله تنسم بين أرجائها فأيقظتها من رقدتها ونبّهتها لضرورة التعاون على الخير في معاشها ولغيتها وجباعتها ، فظهر ذلك بيناً في الأسواق التجارية اللغوية الاجتماعية ، وفي الإذعان فيها إلى حكومة الاشراف من قريش وتميم وغيرهما ، مما هيأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد، ويتفاهموا بلسان واحد، فكان ذلك إيذاناً من الله بإظهار الاسلام فيهم، وما ألفت نفوسهم هذا النمط الجديد إلا وقد جاء النسي الكريم لامتاً لشعثهم ، موحداً لكتبتهم مذهباً لطبايعهم ، مبيناً طريق الحق ، وجادة الصواب ، بشريعة عظيمة فكانت من نتيجة ذلك أن أسست لهم جامعة قومية مليّة ومثلك كبير وبالتفاف العرب حول صاحب هذه الدعوة وأنصاره ، وتفتحهم شريعته وكلامه ثم خضوعهم بعده لزعامه وقومه وخلفائه وولائهم وفتوحهم تحت ألويتهم بمالك الأكاسرة والقياصرة وغيرها ومخالطتهم أهلها بالجوار والمصاهرة حدث في حياتهم الفكرية واللسانية، ما يمكن إجماله في الأمور الآتية .

الأول : شيوع اللغة القرشيّة ، ثم توحّد لغات العرب وتمثلها جميعها في لغة قريش واندماج سائر اللهجات العربية فيها، وبعض أسباب هذا يرجع إلى ما قبل الاسلام بتأثير الأسواق والحج وحكومة قريش - وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بلغتهم وظهور ذلك الداعي العظيم منهم ، وانتشار دينه وسلطانه على أيديهم .

وبحكم الضرورة تكون لغتهم هي الرسمية بين القبائل .

الثاني : انتشار اللغة العربية في ممالك الفرس والروم وغيرهما بالفتوح والمغازي وهجرة قبائل البدو إليها ، واستيطانهم لها ، واختلاطهم بأهلها .
الثالث : اتساع أغراض اللغة بسلوكها منهجاً دينياً ، واتباعها خطة نظاميّة تقتضيها حال الملك وسكنى الحضر .

الرابع : ارتقاء المعاني والتصورات وتغيّرات الألفاظ والأساليب .

الخامس : ظهور اللحن في الكلام بين المستعربين : من الموالي ، وأبناء العرب من القشتيات ، وبعض العرب المكثرين من معاشرّة الأعاجم .

ولما كان معظم هذه التغيرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوي
ناسب وصفها بقليل من كثير مما ينبغي أن يقال فيهما

القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية^١

القرآن كتابٌ أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير، فيه آيات
بينات، ودلائل واضحات، وأخبار صادقة، ومواعظ راثقة، وشرائع راقية،
وآداب عالية بعبارات تأخذ بالألباب وأساليب ليس لأحد من البشر بالغاً ما بلغ
(١) اعلم أولاً أن إعجاز القرآن من جهة أغراضه ومقاصده - فتجده في كل غرض
وموضوع غاية في الإبانة والجلال. ونهاية في الإصابة واطراد الأحكام: فمن تشريع
خالد، وتهذيب بارع، وتعليم جامع وأدب بالغ. وإرشاد شامل، وقصص
ومواعظ ومثل سائر، وحكمة بالغة، ووعد وعيد وإخبار بمغيب، إلى غير
ذلك من الأغراض والمقاصد. وقد كان فحول البلاغة لا يبرز أحدهم إلا في فن
واحد من أنواع القول فمن يبرع في الخطابة لا ينبغ في الشعر ومن يحسن الرجز لا
يجيد القصيد ومن يستعظم منه الفخر لا يستعذب منه النسيب؛ ولأمر ما ضربوا
المثل بامرئ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب والنابغة
إذا رهب. ثانياً: من جهة ألفاظه وأساليبه - فلا تجد منه إلا عذوبة في اللفظ،
ودمائه في الأساليب وتجاذباً في التراكيب، ليس فيها وحشي متنافر، ولا سوقي
مبتذل ولا تعبير عويص، ولا فواصل متعملة. على شيوخ ذلك في كلام انفلقين وأهل
الحيلة المتروين؛ حتى إنك لترى الجملة المقتبسة منه في كلام أفصح الفصحاء منهم
تفرعه جمالا وتشمله نوراً وتكسوه روعة وجلالة، إلى إجمال في خطاب الخاصة
وتفصيل في تفهيم العامة وتكنية للعربي وتصريح للأعجمي وغير هذا مما يقصر
عن إحصائه الإمام ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام. ثالثاً: من جهة معانيه -
فإنك تجد فيها من غير معين العرب الذي منه يستقون - لا طراد صدقها وقرب تناولها
واطمئنان النفوس إليها وابتسكارها البديع على غير مثال معهود، من حجج باهرة
وبرهانات قاطعة وأحكام مسلمة وتشبيهات رائعة على تماذج وتواصل وبراءة من
التقاطع والتدابير وهو في جملة نزهة النفوس وشفاء الصدور وهو الكتاب الخالد الذي
لا تبدل لكلماته ولا تأسح لأحكامه ولا ناقض: (إن نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون)

من الفصاحة والبلاغة أن يأتي بمثلها، أو يفكر في محاكاتها، فهو آية الله الدائمة، وحجته الخالدة: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (أنزلته الله على رسوله ليبلغه قومه وهم فحول البلاغة وأمرء الكلام، وأبأه الصيم، وأرباب الأنفة والحمية، وبهرهم بيانه، وأذهلهم افتنانه فاهتدى به من صح نظره، واستحصف عقله ولطيف ذوقه، رصد عنه أهل العناد والمكابرة واللجج - فتحداهم أن يأتوا بمثله فنكصوا، ثم بعثرس سور مثله، فعجزوا، ثم بسورة من مثله فأنقطعوا، فحق عليهم إعجازه - قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) .

وللقرآن فضل على اللغة فقد أثر فيها ما لم يؤثر أي كتاب، سماويًا كان أو غير سماوي، في اللغة التي كان بها، إذ ضمن لها حياة طيبة وعمرًا طويلاً، وصانها من كل ما يشوه خلقها ويدوي غضارتها - فأصبحت وهي اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التي انطمست آثارها وصارت في عداد اللغات التاريخية الأثرية وأنه قد أحدث علومًا جمة وفنونًا شتى لولاه لم تخطر على قلب، ولم يخطها قلم - منها . اللغة، والنحو ومصرف، والاشتقاق، والمعاني، والبديع، والبيان، والأدب، والرسم، والقراءات، والتفسير، والأصول، والتوحيد، والفقه .

جمع القرآن وكتابه

قد نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ منجماً على حسب الوقائع ومقتضيات الأحوال في بضع وعشرين سنة، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر كتاب وحيه بكتابة ما ينزل - وتوفي رسول الله ﷺ والقرآن كله مكتوب، وفي صدور الصحابة محفوظ، وفي مدة الإمام عثمان كثرت الفتوحات وانتشر القراء في الأمصار، فأمر عثمان، زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام - فنسخوا تلك الصحف في

مُصحفٍ واحدٍ مُرتب السور - واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قريش لنزوله بلغتهم .

صاحب الشريعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي من أبناء إسماعيل بن إبراهيم الخليل أبي العرب المستعربة، وُلد في (مكة) ونشأ بها يتيمًا ، ورَبَّتْهُ أُمُّهُ آمَنَةُ بنت وهب بن عبد مناف ، وأَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ بنت أبي ذؤيب من عرب البوادي ، وماتت أُمُّهُ وعمره ست سنين ؛ فعالة جده عبد المطلب ثم مات جده بعد سنتين ، فكفله عمُّه أبو طالب .

وعندما بلغ أشدَّهُ تولى رعي الغنم بالبادية مع إخوته في الرِّضَاع ، وكذلك كانت الأنبياء عليهم السلام ، فما من نبيٍّ إلا رعاها ، وهذه من حكم الله سبحانه وتعالى؛ فإنَّ الإنسان إذا استرعى الغنم وهي أضعفُ الهائم سَكَنَ قلبه الرِّقُّ والرحمة ، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذَّبَ نفسه ، وخلصها من شوائب الخلق الغريزية كالحدة والحسد ، ثم اشتغل عليه السلام بالتجارة ، وكان شريكه فيها السائب ، وخرج إلى الشام يتجر خديجة بنت خويلد من سراة بني أسد ، وشرفت بعد ذلك خديجة بزواجه منها ، فكان يعملُ في مالها تاجرًا .

صفاته : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطَ القامة ليس بالطويل البائن ولا القصير المتروك مُتَعَدِّلُ السَّمَنِ ، ضَخْمُ الرَّأْسِ ، عَظِيمُ الْهَامَةِ ، صَلَّتْ الجبين ، سهل الخدين ، واسع العينين أسودهما ، أزج الحاجبين سابغهما ، أهدب الأشفار صبغًا ، الوجه مدوره مستوي الأنف مُفْلَجُ الأسنان ، رَجِيلُ الشعر حسنهُ ، عريض الصدر ، رَحْبُ الرَاحَتَيْنِ ، سائِلُ الأطراف ، أزهر اللون ، فلا بالآدم ولا بالشديد البياض .

وكان عليه السلام أفصح قومه لسانًا ، وأرجحهم عقلًا ، وأصحهم فهمًا ،

وأعظمهم أمانة ، وخيرهم جواراً ، وأصدقهم حديثاً ، وأكثرهم انصافاً بمكارم الأخلاق .

ولما بلغ الأربعين من عمره أرسله الله للعالمين بشيراً ونديراً إذ نزل عليه الوحى وهو قائم على جبل (حراء) قريباً من (مكة) فأخذ رسول الله ﷺ يدعو لعبادة الله وسخده أقواماً لا دين لهم إلا أن يسجدوا للأصنام فآمنت به زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب وصديقه أبو بكر ومولاه زيد بن حارثة السكبي ، وحاضنته أم أيمن .

وجمع رسول الله عشيرته ، وهم بنو هاشم ، وبنو عبد المطلب ، وبنو نوفل ، وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف وقال لهم : « إن الرائد لا يكذب أهله » والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم والله الذي لا إله إلا هو إني كرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة) فقالوا له قولا لينا إلا عمه أبا لهب .

فلهجاه رسول الله بالدعوة إلى الإسلام بتوحيد الله ونبيذ الأوثان سخرت منه (قريش) واستهزؤوا به في مجالسهم وأضرموا له الحقد والعداوة وآذوه كثيراً ، وكان أشدهم في ذلك أبو جهل وعمر بن هشام بن المغيرة الخزومي القرشي .

ثم أسلم حمزة عم رسول الله وعمر بن الخطاب ، فقوي بهما وأسلم بمكة نفر من ولد الأوس ، والخزرج) وهما قبيلتان من أهل (المدينة) وعادوا إليها ، فانتشر فيها الإسلام بهم ، ووفد على رسول الله جمع من أهلها يدعونه وأصحابه إلى الهجرة إليهم فهاجر ، وبهجرته إلى المدينة ابتدأ التاريخ الهجري .

ولم يقاتل رسول الله أحداً على الدخول في الدين بل كان أمره مقصوراً على التبشير والإنذار ، فلما ازداد طغيان أهل مكة ، وأخرجوا المسلمين من ديارهم ، وانتمروا مع غيرهم من مشركي العرب على قتل رسول الله ﷺ أذن الله سبحانه وتعالى بقتال المشركين كافة فكانت أول حرب بين رسول الله وبينهم في

(غزوة بدر) وثلاثتها غزواتٌ عدّةٌ كان النصر في أكثرها لرسول الله ولجماعته .

وبعث رسول الله رُسُلَهُ يدعون إلى الإسلام وهم دِحْيَةُ السُّكْبِيّ إلى هِرَاقِلَ ملك الروم ، وعبدالله بن حُذَافَةَ إلى (كسرى) ملك الفرس ، وشجاع الأَسَدِيّ إلى (الحارث القسّاني) ملك البلقاء بالشام ، والحاطب بن أبي بلتعة إلى (المقوقس) أمير مصر ، وسليط بن عمرو العامري إلى هَوْدَةَ (صاحب اليمامة ، وبعث عمرو بن أمية إلى النجاشي (أصحمة) ملك الحبشة فأسلم ، وعمرو بن العاص إلى (جيفر) وعبداً مَلِكِيّ عَمَانَ فأسلموا ، والعلاء بن عبد الله الحضرمي إلى (المنذر) ملك البحرين فأسلم ، وخالد بن الوليد إلى (بني عبد المदान) ، وعلي ابن أبي طالب إلى (بني مَذْحِج) في أرض (اليمن) فأسلموا ، وأسلمت (همدان) وتابعتها سائر أهل (اليمن) وملوك (حِمْيَرَ) ثم أقبلت بعد ذلك وفود العرب جميعاً على رسول الله ﷺ يبائعونه على الإسلام .

وحجّ رسول الله فخطب في الناس خطبة الوداع وهي أكثر خطبه استيعاباً لأُمُور الدين والدنيا ، وفي يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة توفي رسول الله بالمدينة وفيها دفن - وله من العمر ٦٣ سنة قريّة ، وثلاثة أيام .

الحديث النبوي

كان رسول الله ﷺ أفصحَ الناس وأبينهم وأحكمهم ، وكانت حياته كلها هداية ونوراً ، وأفعاله وأقواله جميعها مددّاً ، يستمد منه الخلق سدادهم ، وإرشادهم في معاشهم ومعادهم - ولهذا حرص المسلمون على حفظ ذلك الأثر العظيم حرصاً لم يوفق إلى مثله أمة في حفظ آثار رَسُولِها - فجمعوا من كلامه ، ووصف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام ، ووعّوا منها في صدورهم ما لا يدخل تحت حصر - وكلامه ﷺ منزّه عن اللغو والباطل ، وإنما كان في توضيح قرآن ،

أو تقرير حكم ، أو إرشاد إلى خير ، أو تنفير من شر ، أو في حكمة ينتفع الناس بها في دنيهم ودنيهم ، بعبارة هي في الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم ، ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب بالمنزلة التالية لكلام الله تعالى .

النثر - لغة التخاطب - الخطابة - الكتابة

كانت لغة التخاطب في مبدأ الإسلام بين العرب الخُلص والموالي النابتين قديمهم هي العربية الفصيحة المعربة - وكانت لغة الموالى الطارئين عليهم تقرّب من الفصيحة أو تبتعد عنها على حسب طول لبّهم فيهم ، أو قصر مقامهم عندهم ، ولما فتح المسلمون الأمصار ، وكثر عندهم سبي الأعاجم وأسرى الحروب ، ودخل في الإسلام منهم ألوف الألوف ، وأصبحوا هم إخواناً وشركاء في الدين وتم بينهم التزاوج والتناسل ، نشأ للعرب ذرية اختلطت عليهم ملكة العربية ، وكذلك كان الشأن في المتعربين من الأعاجم . أما العرب أنفسهم بعد الفتح فكانت لغتهم في جزيرتهم مثل ما كانت عليه في جاهليتهم ، أما سكان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر ، فالعامة منهم المخالطون للأعاجم لم تخل لغتهم من لحن أو هجعة ، والخاصة منهم تشددوا في المحافظة في سلاتهم ، وتحاموا التزوُّج بالأعجميات ، وبالغوا في تربية أبنائهم ، فكانوا يرسلونهم إلى البادية ليرتاضوا على الفصاحة ، أو يحضرون لهم المؤدّبين والمعلمين - كذلك كان يفعل خلفاء بني أمية وأمراؤهم اقتداءً بكبيرهم (معاوية بن أبي سفيان) في تربية ابنه (يزيد) ومن لحّن منهم عدداً ذلك عليه عساراً لا يحى وسبّة لا تزول ، ومن هؤلاء اللّحّانين عبيد الله بن زياد ، والوليد بن عبد الملك ، وخالد القسري - مع أن بعضهم كان من أبلغ الناس وأبينهم

ومن هنا يعلم السر في تسرع القوم إلى وضع النحو وتدوينه والشكل والإعجام

الخطابة في هذا العصر والخطباء

لما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أي أمة : إما دعوة دينية وإما دعوة سياسية ، كانت تلك الدعوة تستدعي السنة قوله من هلم لتأييدها ونشره والسنة من أعدائها وخصوصاً الإدحاضها والصد عنها؛ وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات - كان ظهور الإسلام من أهم الحوادث التي أنشطت الألسن من عقلم - وأثارت الخطابة من مكمنها فوق ما كانت عليه في جاهليتها؛ فكان العمل الأكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم باذئ أمره غير تبليغ القرآن وارداً من طريق الخطابة، ولأمر ما جعلها الشارع شعار كل الأمور ذوات البال ، ولذلك كان 'دعاة' النبي عليه الصلاة والسلام ورسله إلى الملوك وأمرأء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمّالهم كلهم خطباء مصاقع ولسناً مقاول، وأن الشرع صرفهم عن اللهو بالشعر الذي ينهض بأعباء الخطابة ولا سيما الدينية لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالخروج العقلية والوجدانية، وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقاب ، بعبارات تفهمها الخاصة والعامة . وكان لهم من القرآن وأدلته وحججه والاقتباس منه مددٌ أيما مدد - ولما حدثت الفتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان ، واغترقوا إلى عراقيين بزعامة الإمام عليّ - وشاميين بزعامة معاوية ، ولكل منهم دعوة يؤيدها ورغبةٌ يناضل عنها في تلك الحرب الشعواء التي لم ينكسب الإسلام بمثلها ، ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم، ولا يُشَقَّ غبارهم وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء الإمام (علي بن أبي طالب) وعلى رأس الشاميين (معاوية بن أبي سفيان)؛ ولم يعدم كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أوتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان .

والخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه من اللسان العربي ، حق من يعدُّ عليهم اللحن؛ ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة خطب مثل،

ما سَعِدَتْ به في هذا الصدر الأول، إذ كان القومُ ورؤسَاهُم عرباً خُلُصاً يسمعون القول فيَتَّبِعُونَ أحسنه .

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتجار العمامة، والاشتغال بالرِّداء، واختصار الخُصرة ، والخطبة من قيام .

وليس في عصور أدب اللغة عصرٌ أحفلُ بالخطباء من هذا العصر إذ كانت الخطابة فيه سَلَسَةَ القِيَادِ على خُلَفائِهِ وزُعمائِهِ ، لِطِطَرَتِهِمُ العَرَبِيَّةِ ، ومحلهم من الفصاحة والبيان ، وانطباعهم على أساليب القرآن واتساع مداركهم .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

وقف على باب للكعبة ، ثم قال :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يُدعى فهو تحت قَدَمِي هاتين ، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطم العند السوط والعصا فيه الدية مُغلظة فيها أربعون خليفة ، وفي بطونها أولادها . يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم خُلِقَ مِن تَرَابٍ ، ثم تلا هذه الآية : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍّ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

ومن خطبته في حجة الوداع

الحمد لله نحمدُهُ ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته ، وأستفتح بالذي هو خير (أما بعد) أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا مِنِّي أُبَيِّنُ لَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَأَعْلَى أَلْفَاكُم بَعْدَ

عامي هذا، في موقعي هذا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليّ تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت، أشهد ! فمن كانت عنده أمانةٌ فليؤدّها إلى من ائتمنّه عليها وإن رباً موضوعٌ ، وإن أول رباً أبدأ به رباً عمّي العباس بن عبد المطلب وإن الجاهلية موضوعة ، وأن أول دمٍ أبدأ به دمٌ عامر بن ربيعة بن الحارث المطلب ، وإن مآثرَ الجاهلية موضوعةٌ غير السدانةِ والسقاية ، والعمد وشبهُ العمدة ما قُتلَ بالعصا والحجر ، وفيه مائةٌ بعير ، فمن زاد فهو الجاهلية أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يُعبدَ في أرضكم هذه قد رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حق ، لكم : يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يُدْخِلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم بفاحشة ، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهنّ وتهجروهنّ في أ. وتضربوهن ضرباً غير مبرح : فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن و بالمعروف ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهنّ خيراً ، ألا هل بلغت أشهد ! أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ، فلا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا أن نفس منه ؛ ألا هل بلغت ... اللهم أشهد ! فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرنّ رقاب بعض ، فإني قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده : ك وسنتي ... ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ! أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم كلكم لآدم ، وآدمٌ من تراب ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس ل عجمي فضلٌ إلا بالتقوى ... ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ! قالوا : نعم ! قال الشاهدُ الغائب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَسِيثٍ أَصَابَ أَرْضًا ،
فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ
مِنْهَا أَجَادِبُ أُمَسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا
وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ
كَلَأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فِيهِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَعَلِمَ
وَعَلِمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ .

إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ
الْمَرَأْسُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ تَقَعُ فِيهَا ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ
فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا ، فَأَنَا أَخِذْتُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا .

أَدَّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ اتَّخَذَكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ .

إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ

تعالى بعقاب

مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى
مِنْهُ عِضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى .

أبو بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه

هو أبو بكر عبد الله عتيق بن أبي قحافة عثمان صاحب رسول الله ﷺ ،
وَأَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَيُحْتَمَعُ نَسَبُهُ مَعَ نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مُرَّةٍ
ابن كعب

وُلِدَ بَعْدَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ بِسِتَيْنِ وَبِضْعَةِ أَشْهُرٍ ، وَنَشَأَ مِنْ أَكْثَرِمْ قَرِيشٍ
خُلُقًا وَأَرْجَحِهِمْ حِلْمًا وَأَشَدَّهُمْ عِفَّةً ، وَكَانَ أَعْلَمَهُمْ بِالْأَنْسَابِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ
وَمُفَاخَرِهِمْ .

صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ قَبْلَ النَّبُوَّةِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَصَدَّقَهُ
فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ : وَلِذَلِكَ سُمِّيَ « الصَّدِيق » وَهَاجَرَ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَشَهِدَ

معه أكثر الغزوات ، وما زال ينفق ماله وقوته في معاضدته ، حتى انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

واختلفت العرب وارتدت عن الإسلام ، فجرد عليهم الجيوش حتى قمعهم ، وما مات إلا وجيوشه تهزم جيوش الفُرس والرُّوم ، وتستولي على مدائنهم وحصونهم ، وكانت وفاته عام ثلاثة عشر من الهجرة ، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال .

وكان فصيحاً بليغاً خطيباً مَفُوتَها قوي الحجة شديد التأثير ؛ يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة ، وذلك أنه لما مات رسولُ الله ﷺ اختلفت الصحابة فيمن يُبايعونه خليفة له عليهم ، فأبت الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم ، وأبى المهاجرون من قريش إلا أن يكون منهم ، واشتدَّ النزاع حتى كادت تقعُ الفتنة ، فخطبهم خطبة لم يلبث الجميعُ بعدها أن بايعوه (خليفة) ، وهي :

حَمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس نحن المهاجرون ، وأول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادةً في العرب ، وأمسهم رحماً برسول الله ﷺ . أسلفنا قبلكم ، وقدّمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار : إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفیء ، وأنصارنا على العدو ، آويناكم وواسيتكم ، فجزاكم الله خيراً ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تسدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ، فملا تنفّسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أيضاً حين بايعَ الناس البيعة العامة :

حَمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إني قد وليتُ عليكم ، ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني ،

أطيعوني ما أطيعتُ الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم — ألا إن أقوام
عندي الضعيف حتى أخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه .
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وخطب أيضاً الناس ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على
نبيه ﷺ :

أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم ، وهذا كم به ،
فإن جوامع هدي الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولّاه الله
أمركم فإنه من يطع الله وأولي الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فقد أفلح
وأدى الذي عليه من الحق وإيتاكم راتباً الهوى ، فقد أفلح من حفظ من الهوى
والطمع والغضب . وإياكم والفخر ! وما فخر من خلق من تراب ثم إلى
التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حي ، وغداً ميت ؟ إفاعلموا يوماً
بيوم ، وساء بساعة وتواقوا دعاء المظلوم ، وعدوا أنفسكم في الموتى واضربوا
فإن العمل كله بالصبر واحذروا ، والحذر ينفع ، واعملوا ، والعمل يقبل ،
واحذروا ما حذركم الله من عذابه ، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته وافهموا
وتفهموا ، واتقوا وتوقوا ، فإن الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم ،
وما نجى به من نجى قبلكم قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه ، وما يجب من
الأعمال ، وما يكره فلم يأتى لا آلوكم ونفسي . والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا
بالله واعلموا أنكم ما أخلصتم الله من أعمالكم ، فربكم أطيعتم وحفظكم حفظتم
واغبطتم ، وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا سلفكم
وتعطوا جرائتكم حين فقركم وحاجتكم إليها ثم تفكروا عباد الله في إخوانكم
وصحابتكم الذين مضوا وقد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه وحلوا في الشقاء أو
السعادة فيما بعد الموت ؟ إن الله ليس له شريك ، وليس بينه وبين أحد من خلقه

نَسَبَ يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره ، فإنه لا خيرَ في خيرٍ بَعْدَهُ النار ، ولا شرَّ في شرٍّ بَعْدَهُ الجنة .

من حكم سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

(١) صَنَائِعُ المعروف تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ (٢) ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة . (٣) ثلاثٌ مَنْ " كُنَّ فِيهِ " كُنَّ عَلَيْهِ البغي ، والنسكث ، والمكسر . (٤) كبر القول يُنسي بعضه بعضاً ، وإنما لك ما وُعي عنك . (٥) أصلح نفسك يصلح لك الناس .

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب القرشي - ثاني خليفة لرسول الله ﷺ ، وأول من تسمي من الخلفاء بأمر المؤمنين (وأول من أرتخ بالتاريخ الهجري ، ومصر الأمصار ، ودون الدواوين .
ولد رضي الله عنه بعد مولد النبي ﷺ بثلاث عشرة سنة ، حضر مع رسول الله الغزوات كلها ثم لما قبض أعان أبو بكر على تولية الخلافة ، ولما أحسن أبو بكر بالموت عهد بها إليه ، فقام بأعبائها خير قيام ، وأتم جميع ما شرع فيه أبو بكر : من فتح ممالك كسرى وقنصر .
وقتل غيلة الغلام الشقي أبو لؤلؤة ، عبد المغيرة بن شعبة ، المجوسي ، لأنه لم ينصفه على زعمه في تخفيض ما يدفعه لسيده من أجره عمله . وكان قتله سنة ٢٣ هـ .
ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام . وكانت رضي الله عنه من أبين الناس منطيقاً ، وأبلغهم عبارة ، وأكثرهم صواباً وحكمة ، وأرواهم للشعر وأنقدهم له .

ومن خطبه خطبته إذ ولي الخلافة

صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس . إني داع فأمّنوا :

اللهم ، إني غليظٌ فليُتني لأهل طاعتك بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغليظة والسدة على أعدائك وأهل الدُّعارة والنِّفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم ، اللهم إني شحيحٌ فسَخِّني في نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ، ولا رياء ولا سُمة ، واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقني خَفَضَ الجناح ، ولي الجانب للمؤمنين ، اللهم إني كثير الفعل والنسيان فألهمني ذكرك على كلِّ حال ، وذكر الموت في كلِّ حين ، اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاطَ فيها ، والقوةَ عليها بالنسبة الحسنة التي لا تكون إلا بمنزتك وتوفيقك . اللهم ثبتني باليقين ، والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك ، والحياء منك وارزقني الخشوعَ فيما يرضيك عني ، والحاسبة لنفسي ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات . اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك ، والفهم له والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيتُ ، بك على كل شيء قدير .

ومن خطبه في ذم الدنيا

إنما الدنيا أمل مخترم ، وأجل منقض ، وبلاغٌ إلى دار غيرها ، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله امرءاً أفكر في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه ، واستقال ذنبه ، بثس الجار الغني يأخذك بما لا يعطيك من نفسه ، فإن آبيت لم يعذرك ، وإياك والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ، ومؤدية إلى السقم ، وعليكم بالقصد في قوتكم ، فهو أبعد من السرف ، وأصح للبدن ، وأقوى على العبادة ، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

ومن حكم سيدنا عمر بن الخطاب

- (١) من كتم سره كان الخيار في يده . (٢) أشقى الولاة من شقيت به رعيتيه
- (٣) لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً .
- (٤) من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .

(٥) أعقل الناس أعذرهم للناس . (٦) لا تؤخر عمل يومك إلى غدك .
(٧) أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها . (٨) من يئس من شيء استغنى عنه .

ومن خطبته في القضاء الى أبي موسى الأشعري

« ما بعد » فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلي^١ إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس^٢ بين الناس في وجهك وعدلك ومحلك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك^٣ ، ولا يئس ضعيف من عدلك ، المينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرّم حلالاً ، لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ، الفهم ، الفهم ، فيما تلجلج^٤ في صدرك ، مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشياء والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقرها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمدأ ينتهي إليه ، فإذا أحضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا استحققت عليه القضية ، فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو محرّباً عليه شهادة زور أو ظنيماً في ولاء أو نسب^٥ ، فإن الله تولى منكم السرائر ، ودراً بلبينات والأيمان^٦ ، وإياك والقلق والضجر^٧ والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق في موطن الحق يعظم الأجر ، ويحسن به الذخر ، فمن صحّت نيته وأقبل على نفسه كفّه الله ما بينه وبين الناس ، ومن

(١) آس بين الناس : سو بينهم (٢) الحيف : الميل أي ميلك معه لشرفه .
(٣) تلجلج : تردد حتى كان موقع حيرة (٤) الكتاب : القرآن الكريم ،
والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير (٥) ظنين : متهم أي ينتسب
إلى غير أبيه أو يدعى إلى غير مواليه ، فليس أهلاً للشهادة (٦) درأ : دفع ، يريد
منه الحدود (٧) القلق والضجر ضيق الصدر وقلة الصبر .

تخلق^١ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله^٢ فما ظنك بشواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام^٣ .

عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشي الأموي ، ثالث الخلفاء الراشدين وموجد 'نسخ القرآن المبين' ، ولد في السنة السادسة من مولد النبي ﷺ وآمن في السابقين الأولين وبدل ماله الكثير في تأييد الإسلام ومعونة المجاهدين وشهد مغازي رسول الله كلها إلا بدرأ - وقد كان عمر قبل وفاته عهد بالخلافة إلى سنة هو منهم - تنتخب الأمة أحدهم خليفة ، فانتخبوا بالشورى عثمان ، فأكمل مغازي عمر ، ثم ثار عليه بعض الأعراب بحجة أنه يؤثر أقرابه بولاية الأقاليم ، فحاصروه في داره بالمدينة وقتلوه وهو يتلو القرآن الكريم سنة ٣٥ هـ فكان قتله سبب التفرق بين المسلمين ، ومدة خلافته اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً

وكان رحمه الله من بُلغاء الخطباء ، وأوجزهم لفظاً ، وأجزهم معنى ، وأسألهم عبارة ، ومن خطبه بعد أن بويع : وهي بعد الحمد والثناء :

أما بعد - فإني قد حملت وقد قبلت ، ألا وإني متبع ولست بمبتدع ، ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً : اتباع من كان قبلي فيما اجتمع عليه وسننتم ، وسنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن مالأ ، والكف إلا فيما استوجبتم - ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم ، فلا تركنوا إلى الدنيا ، ولا تشيقوا بها ، فإنها ليست بثقة - واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها .

(١) أي ظهر للناس في خلقه خلاف نيته .

(٢) شأنه ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله في الدنيا ورحمته في الآخرة .

ومن خطبه أيضاً وهي آخر خطبة خطبها :
 أما بعد - فإن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتزكوا إليها - الدنيا تنفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطلوا بها الدنيا ولا تشغلنكم عن الباقي ، فأثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله ، اتقوا الله عز وجل فإن تقواه جنته من بأسه ، ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير ، والزمو جماعتكم ، ولا تصيروا أحزاباً : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

من حكم سيدنا عثمان

(١) ما يزعج الله بالسلطان أكثر مما يزعج بالقرآن . (٢) أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال . (٣) يكفيك من الحاسد أنه يغمث وقت سرورك .

الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب ، وابن عم رسول الله ، وزوج ابنته ، ورابع الخلفاء الراشدين - ولد رحمه الله بعد مولد النبي ﷺ باثنين وثلاثين سنة ، وهو أول من آمن به الصبيان ، وكان شجاعاً لا يشق له غبار ، شهد الغزوات كلها مع النبي إلا غزوة تبوك ، وأبلى و نصرة رسول الله ما لم يُبْله أحد ، ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز . وامتنع عن بيعته معاوية ، وأهل الشام شيعة أمية ، غضباً منهم لمقتل عثمان ، وقلة عناية (الإمام علي) بالبحث عن معرفة القتل على حسب اعتقادهم ، فحدث من جرائ ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم إلى طائفتين فتحاربوا مدة من غير أن يستتب الأمر لعلي أو معاوية حتى قتل أحد الخوارج الإمام علياً غيلة بمسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ .

وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

وكان رحمه الله أفصح الناس بعد رسول الله وأكثرهم علماً وزهداً ، وشدة في الحق ، وهو إمام الخطباء من العرب على الإطلاق بعد رسول الله ﷺ وخطبه

كثيرة ، منها خطبته - كرم الله وجهه - بعد التَّحْكِيم ، وهي :
الحمد لله وإن أتى الدمر بالخطب الفادح ، والحدّث الجليل - وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له ، ليس معه إله غيره وأن محمداً عبده ورسوله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم « أما بعد » فإن معصية الناصح الشفيق ، العالم
الجرّب تورث الحيرة وتعقب الندامة ، وقد كنتُ أمرتكم في هذه الحكومة
أمري ونخلتُ لكم مخزون رأيي ، ١ لو كان يطاع لقصير أمرٌ ٢ فأبيتُم عليّ
إباء المخالفين الجفأة المنابذين العصاة ، حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضم الزائد
بقيد حه ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن

أمرتهم أمري بمنعرج - التلوي فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

ومن خطبة له حين خاطبه العباس وأبو ستيان في أن يُبايعا له بالخلافة : أيها
الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة ، وعرجوا عن طريق المنافرة وضمواعن
تيجان المفاخرة . أفلح من نهض يجناح ، أو استسلم فأراح ، هذا ماء آحين ،
ولقمة يقص بها آكلها ، ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه
فإن أقل يقولوا حرص على الملك ، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت ه هات
بعد اللثتيا والتي ، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بشدتي أمه ،
بل اندمجت على مكنون علم ، لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في
الطوي البعيدة .

من حكم سيدنا علي كرم الله وجهه

(١) روي الشيخ خير من مشهد الغلام . ٢ الناس أعداء ما جهلوا . (٣) الناس

(١) أي حكومة الحكّمين عمرو بن العاص ، وأبي موسى الأشعري .

(٢) هو مولى جذيمة الأبرش وكان حاذقاً ، وكان قد أشار على سيده جذيمة أن
لا يأمن الزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها لإجابة لدعوتها في قبولها زواجه
فقتلته فقال قصير (لو كان يطاع لقصير أمر) فذهبت مثلاً .

من خوف الذل في الذل (٤) الصبر مطية لا تكبو وسيف لا يذبو (٥) إذا
 قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدوة عليه (٦) قيمة كل امرئ ما
 يحسن (٧) المرء مخبوء تحت لسانه (٨) استغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج
 إلى من شئت تكن أسيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره (٩) خير أموالك
 ما كفاك وخير إخوتك من واساك (١٠) الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم
 (١١) ما هلك امرؤ عرف قدره (١٢) من كذب لسانه كثر إخوائه (١٣) نشر
 مال البخيل مجادث أو وارث (١٤) بالبر يستعبد الحر (١٥) إعادة الاعتذار
 تذكير للذنب (١٦) إذا تم العقل نقص الكلام (١٧) من أكثر فكره في
 العواقب لم يشجع (١٨) الشرف بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب (١٩) أكثر
 مصارع العقول تحت بروق الأطماع (٢٠) قلب الأحمق وراء لسانه ، ولسان
 العاقل وراء قلبه (٢١) يعيش البخيل في الدنيا يعيش الفقراء ، ويحاسب في
 الآخرة حساب الأغنياء (٢٢) الولايات مضامير الرجال (٢٣) الناس أبناء الدنيا ،
 ولا يلام الرجل على حُب أمه (٢٤) من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما
 يعنيه (٢٥) الحرمان خير من الامتنان .

سحبان وائل

هو سحبان بن زفر بن إياد الوائلي ، الخطيب المصقع المضروب به المثل في
 البلاغة والبيان ، نشأ في الجاهلية بين قبيلة وائل ، ولما ظهر الإسلام أسلم
 وتقلبت به الأحوال حتى التحق بمعاوية فكان يُعَدُّه للملِمَات ، ويتوكأ عليه
 عند المفاخرة .

قَدِمَ عَلَى معاوية وفد فطلب سحبان ليتكلم ، فقال : أحضروا لي عصاً ،
 قالوا ، وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال ما كان يصنع بها موسى
 وهو يخاطب ربه ، فضحك معاوية وأمر له باحضارها ، ثم خطب من صلاة الظهر
 إلى أن حانت صلاة العصر ، ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا تملكأ ولا

ولا ابتدأ في معنى وخرج منه ، وقد بقي منه شيء ، فما زالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون ، فقال معاوية ، أنت أخطبُ العرب ، قال سحبان : والمعجم والجن والإنس . وكان سحبان إذا خطب يسيلُ عرقاً ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ وبما يؤثر من خطبه قوله :

إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس : فخذوا من دار ممركم لدار مقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تحفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها بدائكم ، ففيها حيتكم ، ولغيرها خلقتكم .
إن الرجل إذا هلك ، قال الناس : ما ترك ؟ وقال الملائكة : ما قدّم ؟ قدّموا بعضاً يكن لكم ، ولا تحلفوا كلاً يكن عليكم .

زياد بن أبيه

هو أحد دُعاة العرب وساستها وخطبائها وقادتها .

منشؤه : كان للحارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب أمة تسمى 'سميّة' ، قد قرنها بمعبد له رومي يدعى عبيداً فولدت له 'سميّة' زياداً هذا (في السنة الأولى من الهجرة) فنشأ غلاماً فصيحاً شجاعاً ، فما افتتحت العرب الممالك والأمصار حتى عرف منه ذلك ، فاستكتبه أبو موسى الأشعري والي البصرة من قبل 'عمر' ، فأظهر من المهارة ما جمع القلوب على حبه .

ولما ولي أمير المؤمنين (علي) الخلافة اضطربت عليه فارس فسار إليها زياد يجمع كثير ، وتمكن بخداعه من إيقاع الشقاق بين رؤساء المشاغبين ، وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت ثائرتهم ، وبقي يتولى لعلّ الأعمال حتى قتل (علي) فخافه معاوية ، فأرسل له المغيرة بن شعبه يستقدمه ، فقَدِم عليه فادعاه أخاله واستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان ، وصار يسمى زياد بن أبي سفيان ، بدل زياد بن عبيد ، أو ابن سميّة ، أو ابن أبيه .

وولاه معاوية العرايين ، وهو أول من جمع له بينهما ، فسار في الناس سيرة
 لم بها الشعث ، وأقام المستعوج ، وكبح الفتنة ، واشتط في العقوبة ، وأخذ
 بالظسنة ، وعاقب على الشبهة ، حتى شمل خوفه جميع الناس فأمن بعضهم بعضاً ،
 وكان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد ، حتى يأتي صاحبه
 فيأخذه ، بل كان لا يفلق أحد أباه ، وكان زياد يقول : (لو ضاع جبل بيني
 وبين خراسان لعرفت أخذه) وكان مكتوباً في مجلسه عنوان سياسته وهي
 (الشدة في غير 'عنف واللين في غير ضعف ، المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء
 يعاقب بإساءته) .

وتوفي بالكوفة في رمضان سنة ٥٣ هـ .

ومن خطبه البليغة البتراء^١ حين قدم إلى البصرة والياً لمعاوية وهي :

أما بعد : فإن الجهالة الجهلة ، والضلالة العمياء ، والغىّ الموفى بأهله على
 النار ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حماؤكم ، من الأمور العظام التي ينبئت فيها
 الصفير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما
 أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن
 السرمدي الذي لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعته
 الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام
 الحدث الذي لم تسبقوا إليه : من ترككم الضعيف يقهر ، والضعيفة المسلوكة
 في النهار لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق ، ألم يكن منكم نهاة
 يمنعون الفواة عن دلج الليل وغارة النهار ، قربتم القرابسة ، وباعدتم الدين ،
 تمتدرون بغير العنذر ، وتغضون على النكر ، كل امرئ منكم يرد عن سفيهه ،
 صنع من لا يخاف عقاباً ولا يرجو معاداً ، فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم ،
 حتى انتهكوا حرّم الإسلام ، ثم أطرّقوا وراءكم كنوساً في مكانس الرّيب .

(١) البتراء التي لم يحمد الله فيها .

حرام عليّ الطعام والشراب حتى أصع هذه المواخير بالأرض هدماً وإحراقاً . إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوله « لينّ في غير ضعف ، وشدة في غير عنف » وإني لأقسم بالله - لأخذنّ الولي بالمولى ، والمقيم بالطاعين ، والمطيع بالعاصي ، حتى يلقي الرجل أخاه فيقول : « إنج سمعتُ فقد هلك سعيّد » أو تستقيم لي قناتكم ، إن كذبته الأمير ببقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم عليّ بكذبة ، فقد حلت لكم معصيتي ، وقد كان بيني وبين قوم إحسن فجعلت ذلك دُبراً أذني وتحت قدمي ، إني لو علمت أن أحداً قد قتله السُّلّ من بُغضي لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتِك له سِتراً ، حتى يُبدي لي صفحته ، فإذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم فربّ مُبتسّس بقدمنا سيُسّر ، ومسرور بقدمنا سيبتسّس .

أيها الناس : إنا قد أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم زادة ، نسوكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوّنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا .

الحجاج الثقفي

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، أحد جبابرة العرب وساستها ، وموطد ملك بني أمية ، وأحد البلغاء والخطباء المصاقع ، ولد سنة ٤١ هـ وشب في خلافة معاوية .

وخدّم الحجاج بولاية عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد - حتى كان ملكه ما بين الشام والصين - ومات سنة ٩٥ هـ في مدينة واسط بالعراق .

كان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحجّة وشجاعاً داهية عنيفاً ، قال الأصمعي : أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي ، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف ، وابن القرية ، وكان الحجاج أفصحهم ، ومن مآثره اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره ، ونسخه عدة مصاحف من مصاحف عثمان وإرسالها إلى بقية الأمصار ، ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميراً على العراق

فانه دخل المسجد - مُعْتَمِلاً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه، متقلداً سيفاً، متنكباً قوساً - يؤم المنبر ، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فبكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض: قُبِحَ الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق.

فلما رأى عيون الناس إليه حَسَرَ اللثام عن فيه ، ونهض فقال :

أنا ابن جَلَا وطلاخُ الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
يا أهل الكوفة، إني لأرى رؤساً قد أيسعتُ وحان قطافها، وإني لصاحبها،
وكأنني أنظر إلى الدماء تَرَقُّقُ بين العمام واللعى ، ثم قال :

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدَّي زيم قد لفها الليلُ بسواقٍ حُطْمُ
ليس براعي إبلٍ ولا غنم ولا يحزَّار على ظهر وضَمُ
ثم قال :

قد لفها الليل بعصلي أروَع خراج من الدوي
مُهاجر ليس بأعرابي

وقال :

قد شَمِرت عن ساقها فشدُّوا وجدَّت الحربُ بكم فجحدوا
والقوسُ فيها وترٌ عُرْدُ مثلُ ذراع البكر أو أشدُّ
لا بُدَّ مما ليس منه بُدُّ

إني والله يا أهل العراق ما يقعق لي بالشنان ، ولا يفغزُ جانبي كتغماز التين،
ولقد قررت عن ذكاء ، وفنشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين (أطال الله بقاءه)
نثر كنانته بين يديه ، فعجم عيدياتها ، فوجدني أمرها عُدوداً ، وأصلبها مكسيراً
فرماكم بي لأنكم طاماً أرضعتم في الفتنة ، واضجعتم في مراقد الضلال ، لأحزمنكم
حزْمُ السِّلعة ^١ ، ولأضرينكم ضَرْبُ غرائب ^٢ الإبل ، فإنكم لكأهل قرية

(١) نوع من الشجر وذلك لأن الأشجار تعصب أغصانها ثم تحتببط بالعصي
لسقوط الورق وهشيم العيدان .

(٢) وهي تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب .

كانت آمينة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنهم الله ، فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وإني والله ما أقول إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت ، ولا أخلق^١ إلا أفریت^٢

وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم ، وأن أوجعكم لمحاربة عدوكم مع المهلب^٣ بن أبي صفرة ، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه .

طارق بن زياد

هو أحد قواد جيوش الوليد بن عبد الملك ، وكان خطيباً مصقفاً ، وبطلاً مقداماً بعميد الهمة ، يعشقُ المجد ، وتصبو نفسه إلى الفتوحات ، خرج من المغرب سنة ٩٢ هـ بآلني عشر الف جندي من مواطنيه ، يقلهم أسطول قوي ، قد جهّز لذلك وعبر البحر إلى أسبانيا لفتحها ، فلما علم (رؤدريك) ملكها بقدوم المسلمين إلى بلاده قابلهم بجيش عظيم ، هالت طارقاً كثرة عدده وكال عُدده . فبادر طارق وأحرق أسطوله ليقطع أمل أصحابه في الرجوع ، وقال لهم : « أيها الناس الخ » فاندفعوا على الأسبان اندفاع اليائس ، وهزمهم شر هزيمة ، ثم وإلى طارق فتوحاته في أسبانيا حتى قبض على (رؤدريك) آخر ملوك الفيزيغوط بها ، وقتله سنة ٩٤ هـ ، وبعد ذلك بسنة استقدمه الوليد إلى دمشق إلى أن مات سنة ١٠١ هـ ، وها هي خطبته البليغة ،

أيها الناس ، أين المفر ، البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام ، في مأدبة اللثام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأسلحته وقواته موفورة ، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم ، وإن

(١) أقدر (٢) قطعت (٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري قائد قواد الأمويين ومبيد الخوارج ومبتدع الركب الجديد .

امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً ذهبتم ربحكم ، وتعوذت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألفت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوا ولا تحملتكم على خطي أرخص متاع فيها النفوس أرباً فيها بنفسي ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألد طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ، فيما حظكم فيه أوفر من حظي ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميقة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عزبانا ، ورضيكم للملك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعام واسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى وليّ إجمادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين ؛ واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم اليه ، وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم «لذريق» فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معي ، فإن هلكتم بعده فقد كفيتم أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقيل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكتم قبل وصولي ، فاخلفوني في عزيعي هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يخذلون .

الكتابة : خطية ، وإنشائية

الكتابة الخطية : كان الخط في مبدأ ظهور الإسلام هو الخط الأنباري الحيري المسمى بعد انتقاله إلى الحجاز بالحجازي ، وهو أصل الفسخ ، وكان يكتب به النذر اليسير من العرب عامة وبضعة عشر من قريش خاصة ، فلما انتصر النبي ﷺ على قريش في يوم بدر ، وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب ، فقبل الفداء من أميهم ، وفادى الكاتب منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة ،

فانتشرت الكتابة بين المسلمين ، وحضّ ﷺ على تعلمها ؛ ومن أشهر كتّاب الصحابة : زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (ولما فتح المسلمون الممالك ، ونزلت جُمهرة الكُتّاب منهم الكوفة عنوا بتجويد الخط العربي وهندسة أشكاله حتى صار خط أهل الكوفة ممتازاً بشكله عن الخط الحجازي ، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفي) وبه كانت تكتب المصاحف ، وحلى القصور والمساجد وسك النقود

وكان الصحابة وتابعوهم من بني أمية يكتبون بلا إعجام ولا شكل إلا قليلاً اعتماداً منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة ، واكتفأهم بالرمز القليل في قراءة اللفظ ، فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم ، وظهر اللحن والتشّحريف في الألسنة ، أشفق المسلمون على تحريف كتب الكتاب الكريم فوضع أبو الأسود الدؤلي علامات في المصاحف «بصَبَغ خالف» فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحروف ، والكسرة نقطة أسفله ، والضممة نقطة من الجهة اليسرى ، وجعل التشوين نقطتين ؛ وكان ذلك في خلافة معاوية رضي الله عنه .

ووضع بصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر الحجاج نقط الإعجام بنفس المداد الذي يكتب به الكلام ، حتى لا يختلط بنقط أستاذهما أبي الأسود ، وكان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان ، ثم شاع في الناس بعد .

الكتابة الإشائية قسمان : كتابة رسائل ودواوين ، وكتابة تدوين وتصنيف .

كتابة الرسائل والدواوين

كان زعماء العرب ونصحاؤهم كلهم كتّاباً ، ينشئون بملكتهم ، ولو لم يخطوا بيمينهم ، فكان النبي وأصحابه وخلفاؤه يُلون كتبهم على كتفهم بعبارتهم ، وبعضهم يكتبها بيده ، ولما اتسعت موارد الخلافة أصبحت في حاجة إلى إنشاء الدواوين لضبط ذلك ، فكان « عمر » أول من دَوّن الدواوين ، وكان كتّاب

الرسائل للخلفاء وعما لهم إما عرباً أو موالى يحميدون العربية ؛ أما كُتُبا الخراج ونحوه فكانوا في كل إقليم من أهل يكتبون بلغتهم ، ولما نَبَغ من العرد من يُحسن عملهم حُوِّلت هذه الدواوين إلى العربية زمنَ عبد الملك بن مروان والوليد ابنته ، وجرى خلفاء بني أمية في كتابة الرسائل على ما كان عليه الأمّ زمن الخلفاء الراشدين

ثم لما اتسعت رقعة المملكة ، وقسّرت أمور الدولة ، وازدادت الأعمال وشغِل الخلفاء على ان يَلُوا الكتابة بأنفسهم أو بخاصة عشيرتهم عهدوا بها إلى كبار كتّابهم حتى انتشرت وصارت صناعة "مُحَكِّمة" ، وكان كثيرٌ منهم يعرف اللغة الرومية أو الفارسية أو اليونانية أو السريانية ، وهي لغات أمم ذار حضارة وعلوم ونظام ورسوم

ومن دُولاء : سالم مولى هشام بن عبد الملك ، أحد الواضعين لنظام الرسائل وأستاذ (عبد الحميد الكاتب) الذي آلت إليه زعامة الكِتابَة آخر الدولة الأموية

مميزات الكتابة الانشائية

وتمتاز الكتابة في هذا العصر بالمميزات الآتية :

(١) الاقتصارُ في أعراضها على القدر الضروري لدولة عربية ، والاقتصار في معناها على الإمام بالحقائق ، وتوضيحها بلا مبالغة ولا تهويل ، واستعمال الألفاظ الفَحْلَة والعبارة الجزلة والأساليب البليغة ، إذ كان الكاتب والمكتوب إليه عرباً فصحاء .

(٢) مُراعاة الإيجاز غالباً إلا حيث يستدعي الحالُ الإسهاب ، وبقي الأمر على ذلك ، حتى جاء عبد الحميد الكاتب آخرَ الدولة الأموية ، فأسهب في الرسائل وأطال التحميدات في أولها ، وسلكَ طريقه من أتى بَعْدَهُ .

الكُتُاب

كُتُاب هذا العصر كثيرون ، فقد كان الخلفاء والأمراء والقواد كلهم

كثاباً ببلغاء ولما صارت الكتابة صناعة ، تداولها كثير من الأعاجم وغيرهم ، واشتهر من بين هؤلاء :

عبد الحميد بن يحيى الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري نسباً ، الشامي داراً ، شيخ الكتاب الأوائل وأول من أطال الرسائل ، ونشأ بالأنبار بليفاً حصيفاً .

وكان عبد الحميد في أول أمره معلم صبيان حتى فطن له مروان بن محمد أيام توليه أرمينية ، فكتب له مدّة ولايته ، حتى إذا بلغه مبايعة أهل الشام له بالخلافة فسجد مروان لله شكراً وسجد أصحابه إلا عبد الحميد ، فقال له مروان : لم لا تسجد ؟ فقال : ولم أسجد ؟ أعلى أن كنت معنا فطرت عنا ؟ قال : إذا تطير معي ، قال : الآن طاب لي الشّجود ، وسجد ، فاتخذ مروان كاتب دولته .

ولما دّهمت مروان جيوش خراسان أنصار الدعوة العباسية ، وتوالت عليه الهزائم ، كان عبد الحميد يلزمه في كل هذه الشدة ، فقال له مروان ، قد احتجت أن تصير مع عدوّي وتظهر الغدر بي ، فإن إعجابهم بأدبك ، وحاجتهم إلى كتابتك يحوجهم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي ، وإلا لم تنعجز عن حفظ حرّمي بعد وفاتي ، فقال له : إن الذي أشرت به علي أنفع الأمرين لك ، وأقبحهما بي ، وما عندي إلا الصبر ، حتى يفتح الله عليك ، أو أقتل مملك وأنشد

أسير وفاءً ثم أظهر غدره
فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهراً ؟
وبقي حتى قتل مروان سنة ١٣٢ هـ ، وأخذ عبد الحميد إلى السّفاح وقتله سنة ١٣٢ هـ .

منزلته في الكتابة : اتفقت كلمة البلغاء وأهل الأدب على أن عبد الحميد هو الأستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل ، وذلك أنه أول من مهّد سبلها

وميزَ فصولها ، وأطالها في بعض الشؤون ، وقصّرها في بعضها الآخر ، وأطالَ التّحميدات في صدرها ، وجعل لها صوراً خاصةً ببدئها وختمها على حسب الأغراض التي تُكتب فيها ؛ وكان لبلاغة عبد الحميد عمل يعجزُ عنه السّحرُ في خلب الأفتدة وجذب النفوس ، فيقال إنه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتبَ إليه عن مروان كتاباً يستجلبه به وضمنه ما لو قرىء لأدّى إلى وقوع الخلاف والفشل وقال لمروان : كتاباً متى قرأه بطلَ تدبيره ؛ فإن يكُ ذلك وإلا فاهلاك ، وكان الكتابُ لكبر حجه يُحمل على جمل ، فلما وصل الكتاب إلى داهية خراسان أبي مُسلم أمر بإحراقه قبل أن يقرأه ، وكتب على جذادة منه إلى مروان :

معا السيف أسطارَ البلاغةِ وانتحى عليك ليوثُ الغاب من كلّ جانب

التدوين والتصنيف

انقضى زمن الخلفاء الراشدين ، ولم يدون فيه كتاب إلا ما كان من أمر كتابة المصحف ، وكان مرجع الناس في أمر دينهم ودنياهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فإذا اشتبه عليهم أمر من أمور الدين رجعوا إلى الخلفاء ، وفقهاء الصحابة .

ثم لما انتشر الإسلام في زمن بني أمية ، واختلطت العرت بالمعجم ، ففسدت فيهم ملكة اللسان العربي ، وفشا اللحن ، وأشفقوا على القرآن من التحريف ، وعلى اللغة من الفساد دّونوا النّحو ؛ وكان أول من كتب فيه « أبو الأسود الدؤلي » وقد تلقى مبادئه عن « الإمام علي » وأخذ عنه فتيانُ البصرة ، وخصوصاً الموالى إذ كانوا أحوج الناس إلى النّحو ، واشتغلَ به أهل الكوفة بعد أن فشا بالبصرة ، ولم ينقُض هذا العصرُ حتى اشتغلَ به طبقتان من البصريين وطبقة من الكوفيين . ثم لما حدثت الفتن وتعددت المذاهبُ والنّحلُ وكثرت الفتاوى والرجوعُ فيها إلى الرؤساء ، ومات أكثر الصحابة ، خافوا أن يعتمد الناس على رؤسائهم ، ويتركوا سنة رسول الله ، فأذن أمير المؤمنين « عمر بن

عبد العزيز « لأبي بكر محمد بن عمرو بن حزم في تدوين الحديث ، وانقضى هذا العصر ، ولم يُدَوَّن فيه من علوم اللغة والدين غير النشو وبعض الحديث وبعض التفسير ، أما العلوم الأخرى فيروى أن خالد بن يزيد بن معاوية حبب إليه مطالعة كتب الأوائل من اليونان فترجمت له ، ونسبغ فيها ووضع كتباً في الطب والكيمياء ، وأن معاوية استقدم عبيد بن شربة من صنعاء فكتب له كتاب « الملوك وأخبار الماضين » وأن وهب بن منبه الزهري ، وموسى بن عتبة ، كتباً في ذلك أيضاً كتباً ، وأن زياد بن أبيه وضع لابنه كتاباً في مثالب قبائل العرب ، وأن ماسرجويه متطبب البصرة تولى في الدولة المروانية ترجمة كتاب أهرؤن بن أعين ، من السريانية إلى العربية ، وأن يونس الكاتب بن سليمان ألف كتاباً في الأغاني ونسبها إلى من غنى بها ، ولم يبلغ التصنيف شأواً يُذكر .

الشعر والشعراء في هذا العصر

جاء النبي الكريم ، والشعر ديوان العرب ، فأقام بالأمر العظيم ، والحادث الخطير ، حاملاً بإحدى يديه القرآن يدعو الناس إلى توحيد الله ، والتمسك بالفضيلة وشاهراً بالأخرى سيف الحق لحماية هذه الدعوة ، وما كان أشدّ ذهولهم لخطبهما وانزعاجهم من وقعها ، فهبوا يتحسسون الأول ، ويتمرسون أساليبه ومعانيه ويتفرسون ألفاظه ومغازيه ، ما بين معانيد يتلمس مطعناً فيه ومؤمن يستبينه ويستهديه ، وتأهبوا للثاني ، بين ضال يتناوئه ، ومهتد يعاضده فصار ذلك صارفاً لهم عن التشاغل بالشعر ، بحولاً مجرى أفكار المؤمنين منهم عن أكثر فنونه المنحرفة عن سنن الشرف والحق كالملاح بالباطل والهجاء والمغازلة ، وبغض إليهم تلك الفنون المرذولة بازدراء القرآن على الشعر بقوله : (والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا) ولهذا لم يكف شعراء المسلمين عن قوله فيما يطابق روح القرآن : كالوعظة

والإرشاد ، ومدح الرسول ﷺ وأصحابه ... الخ .

ولبت الحال على ذلك مدّة حياة النبي الكريم ، حتى إذا ما ثاروا لإسكان
فِتْن أهل الردة ، وفتح الممالك والأمصار ، أضافوا إلى ما ألفوه عن أغراض
الشعر الإكثار من التباهي بالنصر ، ووصف المعارك ، وأحوال الحصار وآلات
القتال .

ولما آل الأمر إلى بني أميّة ، وشغّب عليهم كثير من فرق المسلمين أصبح
الشعر لساناً يُعبر عن مقاصد كلّ حزب ، حتى أصبح حرفة عتيقة ، وصناعة
جديدة ومورد ثروة ، وأصبحت دراسته ونقده وروايته دأب العلماء والأدباء ،
حتى الخلفاء وأولياء عهودهم . وبصف ما كان عليه الشعر في هذا العصر من
حيث أغراضه ومعانيه وتصوراتهِ وعباراته بما يأتي :

أغراض الشعر وفنونه

(١) نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه ، وخاصة زمن النبي
ﷺ وخلفائه الراشدين

(٢) التحريض على القتال ووصفه - والترغيب في نبيل الشهادة رفعاً لكلمة
الله ، وذلك في أزمان غزوات النبي وحصار المدن وفتحها .

(٣) الهجاء - وكان أولاً في سبيل الدفاع عن الإسلام بهجور مشركي العرب
بما لا يخرج عن حد المروءة وبما رضىه النبي من حسان بن ثابت شاعره في هجاء
قريش وعشيرة النبي من بني عبد مناف ، وكان يتحرج عنه المسلمون ولولوا بالتحريض
زمن النبي وخلفائه ، ولذلك عاقب عمر أمير المؤمنين (الخطيئة) وهدده بقطع
لسانه لنبيله من بعض المسلمين ، ثم صار يتساهل في خطبه حتى كان الهجاء غاية
براعة الشاعر ، وإن لم يصل في الإقذاع والفحش إلى الحد الذي وصل إليه في
العصر التالي ، ومن ذلك التهاجي المشهور بين جرير والفرزدق والأخطل .

(٤) المدحُ - وقلّما كان مبدأ الإسلام في غير النبي من حيث الاهتداء بهديه ، ونشر الحق على يديه ، وكان خُلُفاؤه يأنفون بمدحهم بما تزهى به نفوسهم تتواضعا .

ثم استرسل الشعراء فيه وقبل ذلك منهم الخلفاء إلى أن كان المدح من أهم الدعائم لتوطيد أركان الدولة وتفخيم مقام الخلفاء والولاة والإشادة بعظمتهم .

معانيه وأخيلته وأساليبه وأوزانه

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصوراتهم وتخيّلهم عما ألفوه زمن الجاهلية وإن فاقدوهم كثيراً في ترتيب الفكر ، وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان بما هذب نفوسهم ، ورقق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسول الله ؛ وكذلك لم يخترجوا جملة في هيئة تأليف اللفظ ونسجه ومتانة أسلوبه عن نظائرها في الجاهلية وإنما آثروا جزالة اللفظ ومؤلفته لسابقه ولاحقه دون غرابته كما آثروا جودة الأسلوب ومتانته ، وروعة تأسيده ولا سيما أهل النسيب ، ولم يطرأ على أوزان الشعر العربي حدث غير ما عُرِف عنه في الجاهلية .

وإنما شاع في هذا العصر نظم الأراجيز ، والتطويل فيها واستعمالها في جميع أعراض القصيد ، حتى في افتتاحها بالنسيب ، والتخلص منه إلى المدح والذم ونحو ذلك .

الشعراء

شعراء هذا العصر ممن خلصت عربيتهم ، واستقامت ألسنتهم ، ولم يتد إلىهم اللحن ، ولقد زادتهم مدارس القرآن الكريم فصاحة وبلاغة ، وإحكاماً وإتقاناً حتى فصلهم بعض الرواة على سابقهم من الجاهليين - ومن أشهر شعراء هذا العصر كعب بن زهير ، والخنساء ، والحطيئة ، وحسان بن ثابت ، والنايفة

الجمدي وعمرو بن معديكرب من المخضرمين وعمر بن أبي ربيعة، والأخطل،
والفرزدق، وجريز، والكميت، وجميل، وكثير عزة، ونصيب،
والراعي، وذو الرمة من الإسلاميين.

كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين، ومادح النبي
الأمين، ولما ظهر الإسلام ذهب أخوه يحيى إلى رسول الله ﷺ، فغضب كعب
لإسلامه، وهجا رسول الله ﷺ وأصحابه، فتوعد النبي ﷺ وأهدر دمه،
فحذره أخوه العاقبة، إلا أن يحيى إلى النبي ﷺ مسلماً تائباً، فتهام كعب
على القبائل أن تحجبه فلم يجرد أحد، فلما ضاقت الأرض في وجهه جاء
أبا بكر رضي الله عنه بالمدينة، وتوسل به إلى الرسول ﷺ، فأقبل به عليه
وآمن، وأنشده قصيدته المشهورة الآتية.

فخلع عليه النبي برده، فبقيت في أهل بيته حتى باعوها لمعاوية بعشرين
ألف درهم، ثم بيعت للمنصور العباسي بأربعين ألفاً ومات سنة ٢٤ هـ.
شعره: كان كعب من الشعراء المحيدين المشهورين بالسبق وعُلو الكعب في
الشعر، وكان خلف الأحمر أحد علماء الشعر يقول: لولا قصائد لزهير ما فضلت
على ابنه كعب، وكفاه فضلاً أن الحطيطنة مع ذائع شهرته، رجاء أن ينوّه به في
شعره، فقال:

فمن للقواي شاتها من يحوكها إذا ما مضى كعب وفوز جروال
ومن شعره قوله:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفق وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمر ليس يُدرّكها والنفس واحدة والهيم منتشر
فالمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

(١) المخضرم من الشعراء من عاش في الجاهلية والإسلام.

ومن قوله أيضاً .

إن كنتَ لا ترهبُ ذمي لما تعرف من صفحي عن الجاهل
فاخش سكوتي إذا أنا مُنصِتٌ فيك لمسمع خنا القائل
فالسامعُ الذم شريكٌ له ومُطعمُ المأكول كالأكل
مقالةُ السوء إلى أهلها أسرعُ من مُنحدرِ سائل
ومن دعا الناس إلى ذمِّه ذمُّه بالحق وبالباطل

ومن قوله أيضاً قصيدة « بانث سعاد » اشهورة - وهي :

بانث سعادُ فقلبي اليومَ متبولٌ مُنيمٌ في إثرها لم يُفدَمَكبولٌ
وماسُعادُ غداةَ البين إذ برزت إلا أغنُ غضيض الطرف مكحولٌ^٢
تجلوعوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه متهلٌ بالراح معلولٌ^٣
'شجّت بذني شيمٌ من ماء حنيةٍ صافٍ بأبطح أصحى وهو مشمولٌ^٤
تنفي الرياحُ القذى عنه وأفرطه من صوب غاديةٍ بيضٌ يعاليلٌ^٥
ويلٌ أمها خلة لو أنها صدقت بوعدها ولو أن النصحَ مقبولٌ^٦
لكنها خلة قد سيطَ من دمها فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلٌ^٧

(١) بانث : فارقت والمتبول الذي أسقمه الحب . ومكبول : مقيد

(٢) الأغن : الذي في صوته غنة ، وهي أصوت محبوب ؛ غضيض الطرف : أي في طرفها كسر وقتور ٣ تجلو : تكشف والمراد بالعوارض هنا الأسنان ، ذي ظلم : أي ثغر ذي ظلم والظلم ماء الأسنان وبريقها . معلول : أي مسقى بالخمر مرة بعد أخرى ٤ شجّت أي مزجت بالماء لتذهب سورتها ؛ وبذني شيم أي بماء ذي شيم والشيم البرد والحنية : منعطف الوادي لأن ماءها يكون أصفى وأرق ؛ والأبطح : مسيل فيه دقائق الحصى ؛ والمشمول : الذي ضربته ريح الشمال حتى برد (٥) القذى : ما يسقط في الماء ؛ وأفرطه : أي ملأه . (٦) ويل أمها في رواية ابن هشام أكرم بها والخلة هنا الصديقة . (٧) سيط من ساط الماء ونحوه يسوطه : خلطه بغيره ؛ والفجع : الإصابة بالمكروه ، والولع : الكذب .

فما تقومُ على حال تكونُ بها كما تلوونُ في أثوابها الغول^١
ولا تمسِكُ بالعهدِ الذي زعمتُ إلا كما يُمسِكُ الماء الغرايبيل
كانت مواعيدُ عرقوب لها مثلاً وما مواعيدهُ إلا الأباطيل^٢
أرجو وأملُ أن تدنو مودتها وما إخالُ لدينا منك تنويل
فلا يفرنك ما مننت وما وعدت إن الأمانى والأحلام تضليل
أمت سعادُ بأرض لا يُبلَّسُ بها إلا العتاقُ السجياتُ المراسيل^٣
نبئتُ أن رسولَ الله أوعدني والعفوُ عند رسول الله مأمول^٤
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيطُ وتفصيل^٥
لا تأخذني بأقوال الوُشاة ، ولم أذنب ، ولو كثرت في الأقاويل
لقد أقومُ مقاماً لو يقومُ به يرى ويسمعُ ما قد أسمعُ الفيل^٦
الظلُ ترعدُ من وجدي بواده إن لم يكن من رسول الله تنويل^٧
ما زلتُ أقطعُ البِيداء مدراً جُنح الظلام وثوبُ الليل مسبول^٨
حتى وضعتُ يميني ما أنازها في كف ذي نقيبات قوله القبل^٩
فلهو أخوفُ عندي إذ أكله وقيل ، إنك منسوبٌ ومسئول^{١٠}

(١) الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تتراعى لهم في الفلوات تتلون لهم وتضلهم عن الطريق (٢) عرقوب يضرب به المثل في خلف الوعد ؛ قيل إنه وعد أخاً له ثم نخلة ؛ وقال ، انتني إذا أطلع النخل فلما أطلع قال : إذا أبلح فلما أبلح قال : إذا أزهى ؛ فلما أزهى قال : إذا أرطب ؛ فلما أرطب قال : إذا صار تمرأ فلما صار تمرأ جده من الليل ولم يعطه شيئاً (٣) العتاق . الإبل أو الحيل الكريمة ، والنجيات السريعات والمراسيل : جمع مرسال وهو السريع (٤) أوعد : هدد (٥) نافلة . عطية ، التفصيل : التبيين (٦) أي لقد شهدت برؤية الرسول مشهداً عظيماً الهيبة لو شهده الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد (٧) لظل يرعد : جواب لو في البيت السابق ، والبوادر جمع بادرة ، وهى هنا بين المنكب والعنق (٨) إدراع الظلام أي لبسه كأنه درع (٩) ما أنازها : أي لا أجاذبها ، والقبل : أي القول العجب (١٠) أخوف : أي أعظم مسبب للخوف ومنسوب : أي مسئول عن نسبك .

مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مَخْدَرَةٍ ۚ فِي بَطْنِ عَشِيرِ غَيْلٍ دُونَهُ غَيْلٌ ١
 يَخْدُو فَيُلْحِمُ ضَرْغَامِينَ عَيْشَهَا لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خِرَادِيلٌ ٢
 إِذَا يَسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَرَكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَقْلُودٌ ٣
 مِنْهُ تَقْطُلُ حَمِيرَ الْجَوِّ نَافِرَةً وَلَا تَمُتُّ بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ ٤
 وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ مُضْرَجُ الْبَزِّ وَالْدَّرَسِينَ مَاكُولٌ ٥
 إِنْ الرِّسُولَ لِلنُّورِ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْتَدٌ مِنْ سَيْفِ اللَّهِ مَسْلُودٌ
 فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُولُوا ٦
 زَالُوا ؛ فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كَشْفٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ مَيْلٌ مَعَاذِيلُ ٧
 يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرَ بَعْصَهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ ٨
 شَمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لِبُوسَهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سِرَابِيلُ ٩
 بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَلَقُ كَانَهَا حَلَقُ الْقَعْقَاءِ مَجْدُولُ ١٠

(١) من ضيغم : متعلق بأخوف في البيت السابق ؛ وضراء الأرض أي
 الأرض استوية التي تأويها السباع وبها نبذ من الشجر ؛ والمخدر : مكان إقامة
 الأسد ؛ وبطن عثر مأسدة ؛ أي مخدرة غيل من بطن عثر دونه غيل والغيل :
 الاجمة - يصفه بالمنعة والتوحش (٢) يلحم : أي يطعم اللحم ؛ معفور : أي
 ملقى في التراب والخراديل ؛ القطع (٣) يساور : يواكب ، والقرن : المائل ،
 ولا يحل : ولا يسوغ ، والفلول : المقد (٤) الجو : البر الواسع ، والأراجيل
 جمع رجيل ؛ وهو الرجل تير الراكب (٥) البز : الثياب ؛ والدرس : الثوب
 الخلق ، أي أن بوادي هذا الأسد تجد شعاعاً كانت يثق بنفسه فافترسه
 وأصبحت ثيابه خلقة ممزقة (٦) زولوا أي انتقلوا من مكة إلى المدينة
 (٧) النكس : الضعيف والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له ، والميل :
 جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب والممازيل : جمع
 معزول وهو من لا سلاح له (٨) الزهر : البيض ، وعرد : فر وأعرض والتنايل :
 القصار . (٩) شم العرانيين : شم الأنوف ؛ أي أعزة ، واللبوس : السرابيل .
 الدروع أي لباسهم دروع من نسج داود (١٠) بيض صفة للسرابيل ، والسوابغ :
 الطوال ، والقعقاء : نبات ينسبط على الأرض يشبه حلق الدروع .

ليسوا مفاريحَ إن نالت رماحهمُ قوماً ، وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا^١
لا يقطعُ الطعنُ إلا في نحورهمُ وليس لهم عن حياضِ الموت تهليل^٢

(٢) عمرو بن معديكرب الزبيدي

هو أبو ثور عمرو بن معديكرب الزبيدي المذحجي ، فارس اليماني ، وأحد الشعراء المعتمدين ، والخطباء الموقنين .

منشؤه وصفاته : نشأ عمرو بين قومه 'محققاً أكولاً ، لا يؤمّل' منه خير ، ولا تُلحظ فيه سيادة ، على ضخامة في جثة ، وجهارة في صوت ، حتى بلغ زبيداً أن خنعم ستشنّ الفارة عليهم ، فتأهبوا ، ودخل عمرو على أخته ، فقال : أشبعيني إن غداً الكتيبة ، فأخبرت أباه ، فقال : سَلّي هذا المائق ما يُشبعه ، فأكل عزراً بثلاثة آصع ذرة ، وأنتهم خنعم فتبلد حتى رأى لواءَ أبيه مال وانهمزت زبيد ، فثار وكرّ على خنعم ، وتراجع إليه قومه فهزموا الأعداء ؛ فأصبح يُسمى فارس زبيد بعد أن كان يُسمى مائق زبيد ، واشتهر بالشجاعة حتى هابت به أبطال العرب وضرب به المثل في الشجاعة ، وفي ذلك يقول أبو تمام :

إقدام عمرو ، في سماحة حاتم في حلم أحشف ، في ذكاء إياس
وفي شجاعته يقول عن نفسه : وسرّت بظعينة وحدي على مياه معدّ كلها
ما خيفت أن أغلبَ عليها - ما لم يلقني حرّاًها أو عبداها ؛ فأما الحرّان :
فعامر بن الطفيل ، وعيينة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان : فأسود بن عابس - يعني عنترة - والسليك بن السلكة ، وكلهم قد لقيت .

ولما فشا الإسلام في قبائل العرب ، وفد مع بعض قومه على رسول الله فأسلم ثم رجع إلى قومه ، ولما مضت الكوفة أقام بها حتى كانت وقعة نهاوند فحضرها تحت لواء النعمان بن مقرن ، ومات بها سنة إحدى وعشرين .

(١) المفاريح : جمع مفراح ، الشديد الفرح والمجازيع ، جمع مجزاع الشديد : الحزن . (٢) التهليل : الجبن والفرار .

ويُعدّ عمرو من الشعراء المخضرمين ، ويأتي شعره في الطبقة الثانية من الجودة ويغلب عليه وصف الوقائع والتحدث عن نفسه بالشجاعة ، وهو أحد الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كِسرى .

ومن شعره قوله في صدق عن نفسه في الحرب :

ولما رأيتُ الخيلَ زُوراً كأنها جداول زرع أُرْسِلت فاسبطرتِ
فجاشت إلى النفس أول مرة فرُدت على مكروها فاستقرتِ
علام تقول الرُمح يُثقل عاتقي إذا أنا أظعنُ إذا الخيلُ كُرتِ
ومن قوله أيضاً :

أمن ربحانة الداعي السميع يؤرّقني وأصحابي هُجوعُ
أشاب الرأس أيام طوالٍ وهم ما تَضَمَّنَه الضلوعُ
وسوق كتيبةٍ دلّفت لأخرى كأن نهارها رأسُ صليحُ
إذا لم تستطع شيئاً فدّعه وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ
وصيله بالزّماع فكلّ أمر سَمالك أو سموت له ولرعُ

(٣) الخنساء

هي السيدة تماضيرُ الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية ، أرقى شاعرة العرب وأحزن مَنْ بكى وسَدب .

كان أبوها عمرو ، وأخوها معاوية وصخر ، وكانت هي من أجمل نساء زمانها فخطبها دريد بن الصُّمة فارس جُشم ، فرَغبت عنه ، وآثرت التزوُّج في قومها ، فتزوجت منهم ، وكانت تقول المقطعات من الشعر ، فلما قُتل شقيقها معاوية ، ثم أخوها لأبيها صخر ، جرّعت عليها جزعاً شديداً ، وبكتُها بكاءً مرّاً ، وكان أشد وجدها على صخر ، لأنه شاطرُها هي وزوجها أمواله مراراً ، ولما جاء الإسلام

وفدت مع قومها على النبي ﷺ وأسلمت، وكان يُعجبه شعرها، ويستنشدُها ويقول (هيه يا خناس) ويؤمىء بيده .

وما فسّئت تبكي صخرأ قبل الإسلام وبعده حتى عميت ، وبقيت إلى أن شهّدت حرب القادسية مع أولادها الأربعة ، فأوصتهم وصيتها المشهورة وحضتهم على الصبر عند الزحف ، فقتلوا جميعاً ، فقالت : الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم ، ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها ، وتوفيت بالبادية سنة ٤٦ هـ في خلافة معاوية .

شعرها : أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعرَ منها ، ومن فضل ليلي الأخيالية عليها لم يُنكر أنها أرثى النساء ، وكان بشار يقول : لم تفل امرأة شعراً إلا ظهر الضعف فيه ، فقليل له : وكذلك الخنساء ، فقال : تلك التي غلبت الفحول . ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام ، فذلك النابغة الذبياني يقول لها ، وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها :

قدّى بعينيك أم بالعين عوّارُ أم ذرّفت إذ خلت من أهلها الدارُ

لولا ن أبا بصير (يعني الأعشى) أنشدني قبلك لقلت : إنك أشعرُ من بالسوق وسئل جرير : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، لولا الخنساء ، قيل : فم فضلكم ؟ قال : بقولها :

إن الزمان (وما يفنى له عجبٌ) أبقى لنا ذنباً واستؤصل الرأس
إن الجديدين في طوارٍ اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس
ومن جيد شعرها ترثي أخاها صخرأ :

أعيّسني جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفقى السيّد
رفيعُ العهاد طويل النجعا د سادَ عشيرتهُ أمردا

إذا القومُ مَدُّوا بأيديهم إلى المجد مَدَّ، إليه يدا
فنال الذي فوق أيديهمُ من المجد ثم انتمى مُصنَّعدا
يحمِّله القوم ما عاَلهمُ وإن كان أصغرهم مَوْلدا
وإن ذكِرَ المجدُ النَفِيسُ تآزَرَ بالمجد ثم ارتدى

ومن قولها ترثيه أيضاً

ألا يا صَخْرُ إن أبكيت عيني فقد أضَحَكْتَنِي زمناً طويلا
دَفَعْتَ بك الخطوبَ وأنتَ حَيٌّ فمن؟ إذا يَدْفَعُ الخطبَ الجليلا
إذا قَبَّحَ البكاءُ على قَتِيلٍ رأيتُ بكاءك الحسنَ الجميلا

ومن بديع قولها .

يَذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وأذَكَّرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
قُلُوبًا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي على إخوانهم لَقِيتُ نَفْسِي
وَلَكِنْ لَا أَزَالُ أَرَى عَجُولًا وَنَائِحَةً تَدُوحُ لِيَوْمِ نَحْسٍ
مَا كِلْتَامَا تَبْكِي أَخَاهَا عَشِيَّةَ رِزْيِهِ أَوْ غَيْبِ أَمْسٍ
وَمَا يَبْكِي مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أَسْأَلِي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي
فَقَدْ وَدَعْتَ يَوْمَ فِرَاقٍ صَخْرَ أَبِي حَسَنَ لَذَاتِي وَأَنْسِي
فَسَيَا لَهْفِي عَلَيْهِ وَلَهْفَ أُمِّي أَيُصْبِحُ فِي الضَّرِيحِ وَفِيهِ يُمْسِي

(٤) الخطيئة

هو أبو مُلَيْكَةَ جَرُولُ الخطيئة العبسي ، منشؤه معلول النسب ، وكان
جَشِيمًا سؤولا مُلَحِفًا دنيء النفس ، كثير الشر قليل الخير ، بخيلاً قبيح المنظر ،
رَثَّ الهَيْئَةِ فاسد الدين . وعاش الخطيئة مدة في الجاهلية ، وجاء الإسلام فأسلم ،
ولم يكن له صحبة برسول الله ﷺ ، ثم عاش متنقلاً في القبائل يمدح هذه تارة ،
ويذم تلك أخرى ، وَيَنْتَسِبُ إِلَى عَبْسٍ طَوْرًا ، وَطَوْرًا إِلَى ذُهْلٍ ، ويهجو

اليوم من يمدحه بالأمس ، وكل قبيلة تخطب وُدّه ، وتتقي شر لسانه ، حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حبّسه ، فما زال يسبّحُ إلى الناس وقول الشعر حتى أطلقه وهدّده بقطع لسانه إن هجا أحداً ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ولكنه نكث ، وأوغلّ في الهجاء بعد موت عمر ، وبقي كذلك حتى مات أوئل خلافة معاوية سنة ٥٩ هـ .

شعره : لولما وُصِمَ به الخطيئة من خِسةِ النفس ، ودناءة الخلق ، وجهالة النسب لكان بإجادته في كل ضربٍ من ضروب الشعر زعيم شعراء المخضرمين على الإطلاق ، إلا أنه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفاً لله والشرف ، وقلماً يوجد في كلام الخطيئة مظنة ضعيف ، أو مغرر لغامز من ركاكة لفظ ، أو غضاضة معنى أو اضطراب قافية .

ومن مدحه الذي لا يلحق له فيه غبار ، قوله :

يسوسون أحلاماً بعيداً أفاؤها	وإن غضبوا جاء الحفيظة والجدة
أقلوا عليهم (لا أباً لأبيكم)	من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا
أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا	وإن عاهدوا أو فُتوا وإن عقدوا شدُّوا
وإن كانت النعماء فيهم تجزوا بها	وإن أنعموا لا كدروها ولا كدُّوا
مطاعين في الهيجام كاشيف للدجى	بنى لهم آباؤهم وبنى الجدُّ
ويعذُّ لي أبناءُ سعدٍ عليهم	وما قلتُ إلا بالذي علِمْتَ سعدُ

ومن أبياته التي استعطف بها أمير المؤمنين عمر وهو في سجنه قوله :

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مرّخ	زُغِبُ الحواصلِ لاماءٍ ولا شجرُ
ألقيت كاسبهم في قعرٍ مظلمة	فاصفح ، عليك سلام الله يا عمر !
أنت الأمين الذي من بعد صاحبه	ألقي إليك مقاليد النشوى البشرُ
لم يُؤثروك بها إذ قدّموك لها	لكن لأنفسهم كانت بك الخيرُ

(٥) حسان بن ثابت

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري : شاعر رسول الله ﷺ وأشعر شعراء المخضرمين ، وهو من بني النجار أهل المدينة ، نشأ في الجاهلية ونُسب شأنه فيها ، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وأسلم الأنصار ، أسلم معهم ودافع عنه بلسانه ، كما دافع عنه الأنصارُ بسيوفهم .

وعاش حسان بعد النبي ﷺ محبباً إلى خلفائه مريضاً عنه ، وعمر قريبا من ١٢٠ سنة ، وبقي أكثر حياته متمتعاً بحواسه وعقله ، حتى وهن جسمه في أواخر عمره ، وكف بصره ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ .

شعره كان حسان شاعراً أهل المدّر في الجاهلية ، وشاعر اليانعة في الإسلام ولم يكن في أصحاب النبي ولا في أعدائه عند دعوته إلى الله أشعر منه ، ولذلك رمى مشركي قريش من لسانه بالداهية التي لم يكن لهم قيلٌ بها ، فأوجعهم وأخرسهم من غير فحش ولا هُجْر ، ولما أذن له النبي ﷺ في هجائهم قال له كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ قال : أسألك منهم كما تسأل الشعرة من العجين . وكان النبي ﷺ ينصب له منبراً بالمسجد ، ويسمع هجاءه في أعدائه ، ويقول : « أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس » . وكان في شعر حسان زمن الجاهلية شدةً وُغرابةً لفظ ، فلما أسلم وسمع القرآن ووعاه ، وكثر ارتجاله الشعر ، لأن شعره وسهل أسلوبه .

ومن شعره في الجاهلية :

ولقد ثقلدنا العشيرةُ أمرَها ونسودُ النائباتِ ونعتل
ويسوءُ سيدنا ججاجيحَ سادةٍ ويصيبُ قائلنا سواءَ المفصلِ
ونحاولُ الأمرَ المهمَّ خطابةً فيهم ونفصلُ كلَّ أمرٍ معضلِ
وتزورُ أبوابَ الملوكِ ركابنا ومتى نُحكّمُ في البرية نَعُدلِ

ومن شعره في الإسلام يُفاخر وقد تيم بقوم النبي ﷺ :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِيهِمْ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَيْنُوا سُنَنًا لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
 يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
 قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَارَكُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا
 سَجِيَّةٌ تِلْكَ فِيهِمْ غَيْرُ مَحْدَثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ (فَاعِلْم) شَرَّهَا الْبَيْدَعُ
 لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفَهُمْ عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَفَعُوا
 إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سِبْاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَقَمِهِمْ تَبِعُ
 وَعَفْهُ ذُكِّرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفْتُهُمْ لَا يَطْمَعُونَ وَلَا يَزِرِي بِهِمْ طَمَعُ
 لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خَوْرٌ وَلَا جَزَعُ

(٦) الناطقة الجعدي

هو أبو ليلى حسان بن عبد الله الجعدي العامري أحد القدماء المُمبَرِّين والشعراء المختصرين ، ووُصِّفَ الخيل المشهورين .

قال الشعر في الجاهلية ، ثم استعصى عليه دهرًا ، ثم نبغ في الشعر عند ظهور الإسلام وبعده ، ولذلك سمي (الناطقة) وهو ممن فكر في لجاهلية ، وأنكرَ الحُرَّ وما تفعلُ بالعقل ، وهجر الأَزلَام والأوثان ، وذكرَ دينَ إبراهيم ، وصام واستغفر ، ووفد على رسول الله ﷺ ، وأسلم .

وعاش طويلاً في الإسلام ، فأقام زمناً مهاجراً ، حتى أيام عثمان رضي الله عنه ، فأحس بضَعْفٍ في نفسه ، فاستأذن عثمان في الرجوع إلى البادية ، فأذن له ، ثم لما كانت خلافة (علي) شهد معه وقائع صِيفين ، وظاهره بيده ولسانه ، ونال من معاوية وبني أمية - ومات بأصبهان سنة ٥٨ هـ - بعد أن عمر مائة وثمانين سنة .

شعره : كان الناطقة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والإسلام ، وهو أول من سبق إلى الكناية في الشعر عن اسم من يعني إلى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال :
 أكني بغير اسمها ، وقد علم الله خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمٍ

وكان يَمَنُّ يَصِفُونَ الخيل ، فلا يُلْحَقُ له في ذلك غبار ، حتى 'ضرب به المثل .
قال الأصمعي : ثلاثة يصفون الخيل لا يُقَارِبُهُمْ أَحَدٌ ، طَفِيلُ الغنوي ، وأبو دواد
الإيادي والناطقة الجعدي ، وله في الفخر والهجاء والمديح والثناء شعر كثير .

ومن أشرَفَه قصيدته التي مدح بها الرسول الكريم ﷺ - وهي :
خليلي عَوجاً ساعة وتهجراً ونوحاً على ما أحدث الدهرُ أو ذَرَا
ولا تجزعا إنَّ الحياةَ ذميمةٌ فخفا لرَوَعاتِ الحوادثِ أو قَرَا
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى اللهُ واصبرا
ألم تريا أُنَّ الملامة نفعها قليلٌ إذا ما الشيءُ ولسى وأدبرا
تهيج البلاء والنَّدَامَة ثم لا تغيّرُ شيئاً غير ما كان قدراً
أتيتُ رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالبحرِ نيراً
أقيمُ على التقوى وأرضى بفعلها وكنتُ من النار الخوفةِ أحذرا
ومنها في الفخر :

وإننا لقومٌ ما تعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحسد وتنفرا
ونسُكِر يوم الروح ألوان خيلنا من الطمن حتى نحسب الجون أشقرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإننا لندجو فوق ذلك مظهِراً
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليمٌ إذا أورد الأمرُ أصدرنا

ولما سمع رسول الله (بلغنا السماء - البيت) قال له فأين المظهر يا أبا ليلى؟ قال . الجنة
يا رسول الله ، قال له : إن شاء الله ، ولما أتم قصيدته ، قال الرسول : أجدت ،
لا يفضض الله فاك ، فأتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انقضت من فيه سنٌ .

(٧) عمر بن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي الخزومي ، أشعر قریش
وأرق أصحاب الغزل ، وأوصف الشعراء لأحوال النساء .

وُلد بالمدينة ليلة مات أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضوان الله عليه ، وكانت أمه نصرانية ، وكان أبوه تاجراً مُوسراً ، وعاملاً لرسول الله ﷺ وللخلفاء الثلاثة من بعده ، فشب في نعيم وترف ، وقال الشعر صغيراً ، وسلك فيه طريق الغزل ، ووصف أحوال النساء ، وتزاوُرهن ومداعبة بعضهن لبعض وتعرض للمحادثات المتعففات من نساء قومه ومن غيرهن ، فوقع منه في بلاء عظيم ، وصرن يخفن الخروج إلى الحج ، لأنه كان يتلقاهن بمكة ، ويتقرب خروجهن للطواف والسعي ، ويصفهن وهن محرمات ، وحلّمت عليه رجالات قريش لمكانة نسبه منهم ، ولتقرب توبته وإقلاعه ، فلما ثمادى في أمره ، وشبّت بنات السادات والخلفاء غضب عليه عمر بن عبد العزيز ونفاه إلى جزيرة أمام مدينة مصوع ، ثم رأى أن يكفّر عن سيئاته بالتوبة والجهاد ، فغزا في البحر ، فاحترقت السفينة التي كان فيها ، واحترق هو أيضاً سنة ٩٣ هـ .

شعره : رقيق بلفظ رشيق ، ومعنى أنيق ، حتى قال فيه جرير هذا والله الذي أراذته الشعراء فأخطأته ، وقد سلك في الغزل طريقاً لم يسلكوه ، ومن قوله المشهور :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد	وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة	إنما العاجز من لا يستبید
زعوها سألت جاراتها	وتعرت ذات يوم تبترد ^١
أما ينعنني تبصير نسني ؟	ركن الله ! أم لا يقتصد ^٢
فتضاحكن ، وقد قلن لها :	حسن في كل عين من تود ^٣
حسداً حملنه من شأنها	وقديماً كان في الناس الحسد

(١) تبترد : تصب الماء البارد على رأسها .

(٢) وينعنني يصفني ، عمر كُن الله : أذكر الله ، يقتصد : يعتدل فلا يبالغ

(٣) أي أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .

غادة تفترُّ عن أشنبها حين تجلوه أقاح^١ أو برد^١
 ولها عينان في طرفيهما حورٌ منها، وفي الجيد غيد^٢
 قلت: من أنتِ؟ فقالت: أنا من شفه^٣ الوجد، وأبلاه^٣ الكمد^٣
 نحن أهل الخيف من أهل منى ما لمقتول قتلناه^٤ قود^٤
 قلت: أهلاً! أنشئ^٥ بُغيتنا فتسمين، فقالت: أنا هند^٥
 إنما ضلل قلبي فاحتوى^٦ صعدة^٦ في سابري^٦ تطسرد^٦
 إنما أهلك جيران لنا إنما نحن^٧ وهم شيء^٧ أحد^٧
 حدثونا أنها لي نفثت^٨ عقداً^٨، يا حبذا تلك العقد^٨
 كلما قلت: متى ميعادنا؟ ضحكت هند، وقالت: بعد غد!

(٨) الأخطل

هو أبو مالك غياث^١ الأخطل بن غوث التغلبي النصراني، شاعر الأمويين وأمدح
 ثلاثة شعرائهم المقدمين، والمتفرد بالتعميق بوصف الخمر دون الإسلاميين، قال الشعر
 وهو صبي، وما لبث أن زاحم شاعر تغلب وقتئذ كعب بن جعيل^٢ وماجاه وظهر
 عليه، ولما طلب يزيد بن معاوية قبل أن يلي الخلافة من كعب هجاء الأنصار،

(١) الغادة: المرأة اللينة؛ تفتر: تظهر، الأشنب: الفم في أسنانه ماء ورقة
 وعذوبة. تجلوه تكشفه، الأقاح: جمع أقحوان وهو البابونج البري من نبات
 الربيع له نور أبيض. البرد: ماء الغمام يسقط جامداً (٢) الحور: شدة سواد
 سواد العين مع شدة بياض بياضها. الجيد. العنق، غيد: نعومة (٣) شفه الوجد:
 أهزله الحب، الكمد: الحزن الشديد (٤) الخيف: ناحية من منى عند مكة،
 القود: القصاص. (٥) بُغيتنا: مطلبنا (٦) ضلل: صار ضالاً لا يهتدي؛ احتوى:
 اشتمل، الصعدة: القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج إلى مثقف، شبه محبوبته في
 اعتدال قدها بها؛ السابري: الثوب الرقيق الجيد تطرد. تمشي مستقيمة.
 (٧) شيء أحد: أي شيء واحد. (٨) نفثت عقداً: سحرتني، والنفث النفخ،
 والعقد تكون من خيوط ينثف بها قض السحر.

لتعرض عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري لأخته في شعره ، أبى عليه ذلك كعب ، وقال : لا أهجو قوماً نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ولكنني أدلك على الأخطل ، فبعث إليه وأمره بهجائهم ، فهجأهم بقصيدة منها :

ذهبت قريش بالساحية والندى واللؤم تحت عمائم الأنصار
فدعوا المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بني النجار

وبلغ الشعر كبار الأنصار فغضبوا ، وشكوه إلى معاوية ، فوعدهم بقطع لسانه ، فاستجار يزيد ، فما زال بأبيه حتى عفا عنه ، ولما ولي يزيد الخلافة قرّبه إليه ، وتابعه في ذلك خلفاء بني أمية ، وبخاصة عبد الملك ، إذ كان يستعين به على أعدائه ، فقربه إليه وأدناه ، وسمح له بالدخول عليه بلا إذن ، وأجزل له العطايا ، وسماه شاعر الخليفة .

ولما حدثت المهاجاة بين جرير والفرزدق ، وحكم فيهما أيّهما أشعر ؟ ؟ عرض بتفضيل الفرزدق ، فهجأ جرير ، فرد عليه الأخطل ، وكانت الشيخوخة قد بلغت منه ، فلم يلحق جريراً ، وكان الأخطل يُقيم أزماناً بدمشق ، وأحياناً ببلاده من أرض الجزيرة ، ومات في أول خلافة الوليد سنة ١٢٥ هـ ، وقد نيّف على السبعين .

شعره : كان الأخطل أحد الشعراء الثلاثة السابقين سواهم من فحول الإسلاميين وكان مطبوعاً على الشعر ، بعيداً عن التكلف والتعمق فيه ، وامتاز بإجادة المديح والإبداع في مآانيه ، قال يمدح بني أمية ، ويخصّ بشر بن مروان :

إن يجلّوا عنك فالأحلامُ شيمتهم والموتُ ساعة يحمى منهم الغضبُ
كأنهم عند ذاك ليس بينهم وبين من حاربوا قري ولا نسبُ
كانوا موالي حقّ يطلبون به فأدر كره وما ملوا ولا لغبوا
وإن يك للحق أسبابٌ يد بها ففي أكتفهم الأرسان والسبب
هم سعا بابن عفان الإمام وهم بعد الشّمس مروها ثمّت احتلبوا

ومنها .

إذا أتيت أبا مروان تسأله وجدته حاضراً الجود والحسب
ترى إليه رفاق الناس سائلةً من كل أوبٍ على أبوابه عُصَبُ
يحتضرون سجلاً من فواضله والخيرُ محتضر الأبواب منتهب
والمطعمُ الكوم لا ينفك يعقرها إذا تلاقى رواق البيت والهب
كأن جيرانها في كل منزلة قتلى مجردة الأوصال تستلب
ومن أفضل شعره قوله :

والناسُ مهمُّ الحياةُ ولا أرى طول الحياة يزيد غير خبال
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

(٩) الفرزدق

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي ، أفخرُ ثلاثة الشعراء
الأمويين وأجزلُ المقدمين في الفخر والمدح والهجاء .

وُلد سنة ١٩ هـ ونشأ بين البصرة والبادية - وأتى به أبوه يوماً إلى أمير المؤمنين
عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فسأله عنه ، فقال هذا ابني يُوشك أن
يكون شاعراً مجيداً ، فقال له أقرئه القرآن ، فأقرأه وحفيظه ، ثم رَحَلَ إلى
خلفاء بني أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم ، وأُخِصَّ من كان يمدحه منهم
« عبد الملك بن مروان » ثم أولاده من بعده ، وكان الفرزدق فوق إقداره في
الهجو ، وفحشه في السباب وقذف المحصنات ، يُرمى بالفجور ، وقلة التمسك
بشعائر الدين ، ثم تاب في أواخر شيخوخته على يد الحسن البصري ، وكان فيه
تشيع يستره أيام اختلافه إلى بني أمية ، ثم كاشف به آخر حياته حتى أمام
الخليفة « هشام » عندما رأى الناس تفسح طريق الطواف بالكعبة ، مهابةً
ولاجلاً « لعليّ بن الحسين » فسأل عنه كالتجاهل لأمر ، فشق ذلك على الفرزدق ،

وأشدد قصيدته الميمية الآتية يُعرّف « بعلي » ويُنكر علي « هشام » تجاهله ،
فحبّسه هشام ثم أطلقه ، وعاش الفرزدق قريباً من مائة سنة ، ومات بالبصرة
سنة ١١٤ هـ .

شعره : يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته ، وجزالة لفظه ، وكثرة غريبه
ومداخلة بعض ألفاظه في بعض ، ولذلك يعجب به أهل اللغة والمحو ، وكان
يقال (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة) . ويعتبر الفرزدق من أفخر شعراء
العرب ، وقد قضت العوامل السياسية والاجتماعية ان يشتبك مع جرير في التهاجي
والتسابح حتى أفحشا وشغلا الناس بنقائضها .

ومن جيد شعره قوله يمدح سيدنا زين العابدين (وهو علي بن الحسين) :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفهُ والحِلُّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى السيُّ الطاهرُ العلم
وليس قولك : من هذا؟ بضائره	ألعُربُ تعرف من أنكرت والمعجمُ
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
ينسى إلى ذروة العز التي قصرت	عن نيلها عرب الإسلام والمعجمُ
نغضي حياءً ويُدغى من مهابته	فلا يكلم إلا حين يبتسمُ
بكفه خيزران ريحها عبق	من كفّ أروع في عرينه شمم
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
ينشق ثوب الدجى من نور غرته	كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
من معشر حبيهم دين وبغضهم	كفر وق بهم منجى ومعتصمُ
إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم	أوقيل من خير أهل الأرض قيلم

(١٠) جرير

هو أبو حمزة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي اليربوعي ، احمد فحول

الشعراء الإسلاميين ، وبلغاء المداحين الهجائين ، وأنسب ثلاثتهم المفليّحين ، وهو من بني يَرْبُوعٍ أحد أحياء تميم ، ولد باليامة سنة ٤٢ هـ ونشأ في البادية ، وفيها قال الشعر ونبغ ، وكان يختلف إلى البصرة في طلب الميرة ومدح الكبراء ، فرأى الفرزدق وما أكسبه الشعر من المنزلة عند الأمراء والولاة وهوتيمي مثله ، وودّ لو يسبقه إلى ما ناله ، وأغراه قومه به للتنويه بشأنهم ، فوقعت بينهما المهادنة عشر سنين لعوامل سياسية واجتماعية ، وكان أكثر إقامة جرير أضيافها في البادية وكان الفرزدق مقيماً بالبصرة يملأ عليه الدنيا هجاءً وسباً ، فما زال به ينو يدع حتى أقدموه إلى البصرة ، واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده ، فعظم أمره ، وشرّق شعره وغرّب حتى بلغ الخليفة عبد الملك فحسد الحجاج عليه ، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة « يزيد بن معاوية » بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه ، ومن وقتئذٍ عند من مدّح خلفاء بني أمية ، ومات باليامة سنة ١١٤ هـ .

وكان في جرير على هجائه للناس عفة ودين ، وحسن خلق ، ورقة طبع

شمره : انفق علماء الأدب ، وأئمة نقد الشعر ، على أنه لم يوجد في الشعراء الذين نشأوا في ملك الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل ، وإنما اختلفوا في أيهم أشعر ، ولكل هوّى وميل في تقديمه صاحبه ، فمن كان هواه في رقة النسيب وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال اللفظ ولين الأسلوب ، والتصرف في أغراض شتى فضل « جريراً » ؛ ومن مال إلى إجادة الفخر ، وفخامة اللفظ ، ودقة المسلك وصلابة الشعر ، وقوة أسره ، فضل « الفرزدق » ؛ ومن نظر بعد بلاغة اللفظ ، وحسن الصوغ إلى إجادة المدح والإمعان في الهجاء واستهواه وصف الخمر واجتماع الندمان عليها حكم « للأخطل » . وإن لجرير في كل باب من الشعر أبياتاً سائرة ، هي الغاية التي يضرب بها المثل ، فيقال إن أغزل شعر قاله العرب هو قوله :

إن العيون التي في طَرْفها حَورٌ قَتَلْتُنَا ثُمَّ لَمْ تُحْيِينَا قَتَلَانَا
يَصْرَعُنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَأَحْرَاكُ بِهِ وَهُنَّ أضعفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانًا
وإن أمدح بيت قوله :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بِطُورِ رَاحٍ
وإن أفخر بيت قوله :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ رَأَيْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا
وإن أهنئ بيت مع التصوُّن عن الفُحْشِ قوله :
فَغَضُّ الطَّرَفِ لِبُكَ مِنْ تَمِيمٍ فَلَا كَعْبَاءَ بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا
وإن أصدق بيت قوله :

إِنِّي لأَرْجُو مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا وَالنَّفْسُ مَوْلَعَةٌ بِحَبِّ الْعَاجِلِ
وإنَّ أَشَدَّ بَيْتٍ تَهْكِمًا قَوْلُهُ :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا أَبْشِرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبِعَ
وَمَنْ جَيَّدَ شَعْرَهُ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ يَرْتِي بِهَا امْرَأَتَهُ ، وَهِيَ الَّتِي 'نَدَيْتَ بِهَا
نَوَارًا امْرَأَةَ الْفَرَزْدَقِ :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَاجَنِي اسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ وَالْجَبِيبُ يُزَارُ
وَلَقَدْ نَظَرْتُ وَمَا تَمَسَّعَ نَظْرَةً فِي اللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ الْإِحْفَارُ
وَلَسْتُ قَلْبِي إِذْ عَلِمْتُ نِيَّ كِبَرَةٍ وَذَوُ السَّمَائِمِ مِنْ بَنِيكَ صَفَارُ
لَا يَلْبِثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكْرَهُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ
صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ 'تَخَيَّرُوا وَالطَّيِّبُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ
فَلَقَدْ أَرَاكَ كُسَيْتٍ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةً وَوَقَارُ

(١١) الكُمَيْتُ

هو الشاعر الخطيب الراوية أبو المستهل الكُمَيْتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ ،

أشعرُ شعراء الشيعة الهاشمية ، ومثير عصبية العدنانية على القحطانية وُلد سنة ٥٦٠ هـ - ونشأ بالكوفة بين قومه بني أسد - إحدى قبائل العرب الفُصحاء من مُضر ، فُلِقنَ العربية ، وعرف الأدب والرواية ، وعلم أنساب العرب وأيامها ومثالبها بُمُدَارة العلم والأخذ عن الأعراب ، وكان له جدّان أدركتا الجاهلية تقصّان عليه أخبارها وأشعار أهلها . فخرج أعلم أهل زمانه في ذلك ، وأقرّ له (حماد) الراوية بالسبق عليه .

وقال الكُميتُ الشعر وهو صغير ، وكان لا يُذيعه ولا يتكسّب به ، ويكتفي بحرفته (تعليم صبيان الكوفة بالمسجد) ولما حصف شعره وقوي أثره ، ولا سيما قصائده التي أعلن فيها تشيُّعه (لبني هاشم وآل عليّ) أنشد الفرزدق مُستنصحا له في أمر إذاعته إذا أعجبه فأمره بإذاعته ، فقال قصائده البليغة المطولة المسماة (بالهاشميات) التي يقول فيها من قصيدة في مدح بني هاشم :

طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطرب	ولا لعباً مني وذو الشيبِ يلعبُ
ولم يُلْهني دارٌ ولا رسمُ منزلٍ	ولم يتطرّبني بناتٌ مُخَضَّبُ
ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيةً	أمرٌ سليم القرن أم مرٌّ أعضبُ
ولكن إلى أهل الفضائل والنهي	وخير بني حواء والخير يُطلبُ
بني هاشمٍ رهطِ النبي فإني	هم ولهم أرضى مراراً وأعضبُ
خففتُ لهم مني الجناح مودةً	على كنفٍ عطفاه أهلٌ ومرحّبُ
وما لي إلا آل أحمد شيعه	وما لي إلا مذهب الحقّ مذهبُ
بأيّ كتاب أم بأية سنة	يرى حبّهم عاراً عليّ ويحسبُ

شع ه - لشعره من التأثير السياسي والمذهبي أثر سيء شتّت شمل الوحدة العربية . وتوفي سنة ١٢٦ هـ .

الرواية والرواة

ظهر الإسلام وعمدة العرب في ضبط علومهم وآدابهم على الحفظ والرواية فجاءهم من كتاب الله وسنة رسوله بالأمر بالخير والعلَم الكثير فكانت عنايتهم بحفظها في الصدور أكثر من كتابتها في السطور .

ولما اتسع علم المسلمين بما أُضيف إليهما من تفسير الصحابة والتابعين ، ومن أقوالهم في الدين - تعددت طوائف الرواة للقرآن والحديث وفنون الأدب

ولما كان الإنسان عُرضة للنسيان ، وأحوال الناس تختلف في الصدق والكذب تشددت الصحابة والتابعون وتابعوهم في تصحيح الرواية ، وشدة التوثيق من صدق الرواة تحرجاً منهم أن يدخل في الدين ما ليس منه .

ولما خاف سيدنا (عمر بن عبد العزيز) أن تموت السنة الصحيحة بموت روايتها وبما وضعه الزنادقة والشيعية والخوارج ودسوه فيها ، أمر العلماء بتدوين الحديث وبقي الأمر في الشعر والأدب كما كان في الجاهلية : لكل شاعر راوٍ ، أو عدة رواة ، ومن أشهر هؤلاء - هذبة بن خشرم راوية الحطيطية ، وجميل راوية هذبة وكثير راوية جميل ، وأبو شفلع وعبيد أخو ربيعة بن حنظلة راوية الفرزدق ومرع راوية جرير والفرزدق معاً ، ومحمد بن سهل راوية الكميت ، وصالح بن سليمان راوية ذي الرمة ، وذو الرمة راوية الراعي .

وبقي الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر - فاشتغل العلماء بالرواية ، وصار الراوي منهم يروي لمئات من الشعراء والشواعر ، وإن لم يكن هو شاعراً .

وأكثر هؤلاء العلماء من الرواة أدرك العصر (عصر بني العباس) فيذكر فيه .

ومع تشدد الناس في تصحيح الرواية سنةً وأدباً حدث في الشعر والخطب كثير من التصحيف والتحريف والنقض والزيادة - ونحو ذلك .

العصر الثالث: عصر الدولة العباسية - أحوال اللغة العربية وآدابها ١٥٥

العصر الثالث : عصر الدولة العباسية ١ من ١٣٢ هـ ٦٥٦ هـ

أحوال اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كان بنو أمية شديدي التعصب للعرب والعربية ، فكان كل شيء في دولتهم عربي الصبغة وكانت جمهرة العرب منتشرة في كل مكان امتد إليه سلطانها ، فلما قامت الدولة العباسية بدعوتها ، لم تجد لها من العرب أنصاراً وأعواناً ، مثل ما وجدت من الفرس وسم الأعاجم ، فاكتمست بهم دولة بني أمية ، وأسست دولة قوية ، كان أكثر الثغوذ فيها للموالي . فاستخدمهم الخلفاء والأمراء في كل شيء من سقاية الماء إلى قيادة الجيوش والوزارة ، وابتدأ شأن العرب السياسي يتضاءل من ذلك الحين شيئاً فشيئاً ، واختلطوا بالأعاجم ، وكان من المجموع شعبٌ ممتزجٌ لغة وعادةً وخلقاً ، فأثر في اللغة لفظاً ومعنى وشعراً ونثراً ، كتابة وتأليفاً ، ولم يظهر ذلك بالطبع في جميع الممالك بنسبة واحدة بل كان في أواسط آسيا أظهر منه في مصر والشام ، أما حال ممالك العرب والأندلس صدر هذا العصر فلم يبيد كثيراً عما كان عليه في العصر الماضي ، ثم سرت إليها عدوى تقليدها المشارقة في أكثر الأمور .

(٢٤٨/٢٤٧)	محمد المنتصر	(١) خلفاء بني العباس إلى سنة ٣٣٣
(٢٥٢/٢٤٨)	أبو العباس أحمد المستعين	أبو العباس عبد الله السفاح (١٣٦/١٣٢)
(٢٥٥/٢٥٢)	أبو عبد الله المعتز	أبو جعفر المنصور (١٥٨/١٣٦)
(٢٥٦/٢٥٥)	محمد المهدي بالله	محمد المهدي (١٦٩/١٥٨)
(٢٧٩/٢٥٦)	أحمد المعتمد على الله	موسى الهادي (١٧٠/٦٩)
(٢٨٩/٢٧٩)	أحمد المعتضد بالله	هارون الرشيد (١٩٣/١٧٠)
(٢٩٥/٢٨٩)	علي المكتفي بالله	محمد الأمين (١٩٨/١٩٣)
(٣٢٠/٢٩٥)	جعفر المقتدر بالله	عبد الله المأمون (٢١٨/١٩٨)
(٣٢٢/٣٢٠)	أبو منصور محمد القاهر	أبو إسحق محمد المعتصم (٢٢٧/٢١٨)
(٣٢٩/٣٢٢)	أبو العباس أحمد الرازي	أبو جعفر هارون الواثق (٢٣٢/٢٢٧)
(٣٣٣/٣٢٩)	إبراهيم المتقي بالله	جعفر المتوكل على الله (٢٤٧/٢٣٢)

و'يمكن إرجاع جميع هذه التغيرات إلى ثلاثة أمور؛ الأول: ما يتعلق بالأغراض التي تُؤدّيها اللغة . الثاني: ما يتعلق بالمعاني والأفكار . الثالث: ما يتعلق بالألفاظ والأساليب .

أغراضُ اللغة

لما قامت الدولة العباسية وتشبّه الخلفاء بملوك الفُرس في أكثر أمور السياسة والمعيشة، وحاکتهم العامة في ذلك بتقليد أمثالهم من طبقات الأعاجم، تناولت اللغة في المشرق أغراضاً لم تعهد فيها من قبل، بنقل علوم تلك الأمم وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها .
ثم تناولت هذه الأغراض في الغرب بعدئذٍ بفرق يسير، فكان من تلك الأغراض ما يأتي :

(١) تدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية، ولم يُدَوّن في صدر الإسلام من ذلك إلا نذرٌ يسير وكذلك الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية .

(٢) تأدية مقاصد الصناعات المختلفة : وخاصة بعد دخول العرب في غمار الصناعات وبعد تعرّب الأعاجم .

(٣) تأدية المقاصد التي استدعّاها الانغماس في الترف بلذائذ الحضارة التي جرت فيها الأمم عصر الدولة العباسية إلى أمد بعيد، أو اقتضاها نظام الملك، والدفاع عنه كالإمعان في وصف الأشياء النفيسة ممّا لم يُعرف للعرب في صدر الإسلام أو عُرف وكان قليلاً بمقوتها صاحبها - كوصف البحر والأساطيل الحربية والمعارك البحرية - وامتاز بأكثر ذلك المغرب والأندلس كما امتازت الأندلس بالإجادة في وصف مناظر الطبيعة، ومحاسن الوجود للملاءمة بينتها لذلك، وكادت تلتحق بها في الوصف صقلية وإفريقية إبان ازدهائها .

(٤) تأدية مقاصد أنواع الخلعة والسخرية، مما قلّ نظيره في صدر الإسلام .

(٥) المحاضرة والمناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم .

المعاني والأفكار

إنَّ ما حدث في مشارق الممالك الإسلامية ومغارها، أثناء العصر العباسي من الانقلابات السياسية والاجتماعية، كان له نتيجة ظاهرة في الحركة الفكرية للمتكلمين بالعربية؛ ظهر ذلك في عباراتهم وأشعارهم بصور مختلفة، فمنها:

(١) ازديادُ شُيُوع المعاني الدقيقة، والتصورات الجميلة، والأحسية البديعة.

(٢) التعويلُ على القياس والتعليل في الأحكام الفكرية، بالإكثار من الحجج والبراهين العقلية، وانتحاء مذاهب الفلاسفة في الشعر والكتابة والتدريس، ولا سيما بعد عصر الترجمة، وأكثر ما كان ذلك بالشرق، وقلما عني به أهل المغرب.

(٣) التهويلُ والغلو في التفتيح المقتبس في المشرق من اللغة الفارسية والساري بعضه بالعدوى إلى أهل المغرب والأندلس.

الألفاظ والأساليب

غلب على عبارة اللغة العربية في هذه المدة أمران عظيمان: السهولة، والمحسنات البديعية، ويشمل ذلك ما يأتي

(١) انتقاءُ الألفاظ الرشيقة السهلة، وقلة الحاجة إلى الارتجال.

(٢) ازديادُ الميل إلى استعمال ألفاظ القرآن، والاقتباس منه والاستشهاد به.

(٣) الإكثار من ألفاظ المجاز، والتشبيه، والتعميل، والكناية، والمحسنات اللفظية.

(٤) التوسُّع في إدخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والأمراء والعظماء.

(٥) تفاقمُ الخطئ في استعمال الكلمات الأعجمية في كثير من الأشياء.

(٦) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وإدارة الحكومة وغيرها.

(٧) التسانق في صوغ العبارات وتوثيق الربط بينها والميل إلى استعمال السجع.

(٨) التطرف إلى غاية حدِّي الإطناب والإيجاز، ولكل منهما مقام.

(٩) حدوث لغة تأليفية لتعليم العلوم 'تقاس' بمقيار المنطق لا بمقيار البلاغة.

وإذا كانت اللغة إما نثراً ، وإما شعراً .
والنثر : 'محادثة' ، وخطابة ، وكتابة ، فاحفظ ما يتلى عليك .

النثر - المحادثة - أو « لغة التخاطب »

إن لغة التخاطب بين الخاصة من العرب في أواخر العصر الماضي كانت العربية الفصيحة الخالية من اللحن ، إلا من آحاد عُيُروا به ، وإن لغة العامة والسوقة من العرب المختلطين بالمعجم هي العربية المشوبة بشيء من اللحن ، ولغة المتعربين من المعجم تَقِيلُ عن هذه المصاحبة ، وتزيد عليها في اللحن بمراتب مختلفة .

فلما تمَّ امتزاجُ العرب بالمعجم « عصر الدولة العباسية » تكونت بين العامة في البلاد التي تكثر فيها جُمُهرُ العرب لغاتُ تخاطب علميةٌ ، إلا بين أهل جزيرة العرب فلم يزل تخاطبُهم باللسان الفصيح إلى أواسط القرن الرابع ، وبقيت لغاتُ التخاطب في البلاد التي تقل فيها جاليتُهم هي اللغات الوطنية الأعجمية مزوجة ببعض الألفاظ العربية التي أدخلها عليها الإسلام .

وخاف الخلفاء والخاصة من هَوُلِ تغلب العامية على أبنائهم ، وأشفقوا أن تستطيلَ على الفصيحة ، فيستغلقَ على المسلمين فهم الكتاب والسنة ، وهما كل الدين ، فحرضوا العلماء على تدوين اللغة والإكثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة ، ولكن ذلك كله لم يوقف تيار العامية الزاخر ، واستمر في طغيانه إلى أن غلبَ في النصف الأخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات التخاطب ، حتى لغة الخلفاء وعلماء العربية أنفسهم ، وأصبح لكل بلادٍ عربية لغة تخاطب عامية خاصةٌ بها ، ولكن لم تصبح العامية لغةَ علمٍ وأدبٍ ، كما وأن ذلك لم يكن طويلاً الأمد .

الخطابة والخطباء

لما كان قيام الدولة العباسية في المشرق ، والإدريسية في المغرب الأقصى ،

والأموية الثانية في الأندلس ، من الأمور التي ينشأ عنها كثير من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية ، وكان ذلك يستدعي تأليف العصابات ، ودعوة الناس إلى التشييع لزعماء الأحزاب ، كانت دواعي الخطابة متوافرة لتوافر أسبابها ؛ فكان بين قواد هذه الدول ودُعائها وخلفائها ورؤساء وفودها خطباء مصاقع . ثم لما فترت هذه الدواعي باستقرار الدول ، واشتد اختلاط العرب بالأعاجم ، وتولى كثير من الموالى قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم ، ضعف شأن الخطابة لضعف قدرتهم عليها . فلم يَمُضْ قرنٌ ونصفٌ من قيام تلك الدول حتى بطل شأن الخطابة إلا قليلاً في المغرب أيام الحفل وقدم الوُفود ، وبقيت الخطابة قاصرة على خطب الجمعة والعيد والمواسم وخطب الزواج ونحو ذلك وقل فيها الارتجال ، أو عُدِمَ جملةً ، وحل محل الخطابة في الأمور السياسية نشر المنشورات ، وفي الأمور الدينية مجالس الوعظ والتدريس في المساجد والمدارس ، واشتهر في صدر الدولة العباسية جملة خطباء ، أشهرهم : داود بن علي ، وشبيب بن شيبه .

داود بن علي

هو داود بن علي بن عبدالله بن عباس ، خطيب بني العباس ، وأحد مؤسسي دولتهم . نشأ هو وإخوته - وكانوا اثنين وعشرين رجلاً - في قرية الحميمة من أعمال نهمان - وكان الوليد بن عبد الملك أجلى « علي بن عبد الله بن عباس ، وأهل بيته إليها - سنة ٩٥ هـ غضباً عليه .

وكان داود أحد النابغين من إخوته وكان بليغهم ولسانهم وأخطبهم في وقته ، وعاجلته منيته قبل أن يستطير سلطانه في الدولة . ولأه أبو العباس عقب بيعته بالكوفة ولاية الكوفة وسوادها ، ثم ولأه إمارة الحج في هذه السنة ، ولأه معها ولاية الحجاز واليمن واليامة ، فقتل من ظفر بهم من بني أمية في مكة والمدينة سنة ١٣٢ هـ - وهو أول موسم ملكه بنو العباس - وخطبهم الخطبة الآتية وهي :

« شُكْرًا شُكْرًا ، إنا والله ما خرجنا لِنُخَفِّرَ فيكم نهراً ، ولا لِنُبْنِي فيكم قصرًا . أَظُنُّ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ؟ أَنْ رُوخِي لَهُ مِنْ خَطَامِهِ ، حَقٌّ عَثَرَ فِي فَضْلِ زَمَامِهِ ، فَالآنَ حَيْثُ أَخَذَ الْقَوْسَ بَارِيهَا وَعَادَتِ الْقَوْسُ إِلَى النَّزْعَةِ ، وَرَجَعَ الْمُلْكُ فِي نَصَابِهِ فِي أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوءَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَاللَّهُ لَقَدْ كُنَّا نَتَوَجَّعُ لَكُمْ وَنَحْنُ فِي 'فَرُشِنَا' ، أَمِنْ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ ، لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ ، لَكُمْ ذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَكُمْ ذِمَّةُ الْعِمَّاسِ ، لَا وَرَبَّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ - لَا نَهَيِّجُ مِنْكُمْ أَحَدًا ، ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ ١٣٣ هـ .

شبيب بن شيبه

هو شبيب بن شيبه بن عبد الله المنقري التميمي ، خطيب البصرة ، ونشأ بها ، وامتاز بنسبالة نفس وسخاء كف ، وحُسْنُ تواضع ونزاهة لسان ، كما امتاز بخطبه القصيرة البليغة ، القريبة من حد الإعجاز . قال الجاحظ : يقال إنهم لم يَرَوْا خطيباً كشبيب بن شيبه ، فإن ابتداءً بحلاوة ورشاقة ، وسهولة وعذوبة ، فلم يَزَلْ يزدادُ منها حتى صارَ في كلِّ موقفٍ يَبْلُغُ بقليل الكلام ما لا يَبْلُغُهُ الخطباءُ المصاقعُ بكثيره ، وقد يُطوَّلُ حتى يقول فيه الراجز :

إِذَا غَدَتِ سَعْدٌ عَلَى شَبِيبِهَا عَلَى فَتَاهَا وَعَلَى خَطِيبِهَا

مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغِيبِهَا عَجِبْتَ مِنْ كَثَرَتِهَا وَطِيبِهَا

وعرف شبيبُ أبا جعفر المنصور قبل خلافته ، ثم اتصل به بعدها ، فجعله في حاشية وليِّ عهده « المهدي » ، وبقي كذلك حتى وُلِّيَ المهدي الخِلافةَ ، فصار من خيرة سُمَّارِهِ وجُلَّسائِهِ ، إِلَى أَنْ مَاتَ فِي حُدُودِ سَنَةِ ١٧٠ هـ .

ومن خطبه القِصر ، ما عَزَى بِهِ المهدي يوم ماتت ابنته « البانوقة » ، وجزع

عليها جزعاً شديداً - أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجراً، وأعقبك صبراً ولا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا نزاع منك نعمة ، ثواب الله خير منها ، رحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده .

الكتابة - خطية وإنشائية

الكتابة الخطية : تنوع في هذا العصر الخط الكوفي إلى أنواع أُرِبت على خمسين نوعاً : - ومن أشهرها - المحرّر ، والمشجر ، والمربع ، والمدور ، والمتداخل وبقي 'مستعملاً في المباني وسكة إلى حدود الألف . ثم نسي جملة وقد جددت منه أنواع في عصرنا ؛ أما تاريخ خطها المستعمل الآن فحدث في آخر الدولة الأموية أن استنبط (قطبة) الحرر من الخط الكوفي والحجازي خطأ هو أساس الخط الذي يكتب به الآن ، واخترع القلم الحليل الذي يكتب به على المباني ونحوها وقلم الطومار (الورقة الكبيرة) وهو أصغر أنواع الحليل وحسن عمله غيره من كتاب صدر الدولة العباسية حتى ظهر إبراهيم الشحري ، وأحود يوسف من كتاب أواخر القرن الثاني فولد إبراهيم من الحليل قلم الثلاثين وولد يوسف من الحليل القلم الرياسي ، وهو قلم التسوقيع ، وعن إبراهيم أخذ الأحول الحرر من (صنائع البرامكة) واخترع قلم الصفا

هذه هي أشهر الخطوط وقد تولد منها نحو ٢٠ خطاً يختص كل منها بغرض خاص ، واتفقوا على أن طول الألف يعتبر معياراً لارتفاع بقية الحروف . وأن يكون طول الألف مرعاً مقدار قطرة القلم

وعن الأحول - أخذ مهندس الخط الأعظم ، الوزير (أبو علي محمد بن مقلة) وأحود أبو عبد الله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ - وهما اللذان تم على أيديهما هندسة خط النسخ والحليل وفروعه على الأشكال التي نعرفها الآن - وأتما العمل الذي بدأ به (قطبة) فهندس الحروف ، وقدّرا مقاييسها وأبعادها وضبطاها (١١ - جواهر الأدب ٢)

ضبطاً محكماً ، واختراعاً له القواعد - وعن الوزير ابن مقلة أخذ أبو عبد الله بن أسد القساري المتوفى سنة ٤١٠ هـ وعنه أخذ أبو الحسن علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب - المتوفى سنة ٤١٣ هـ - وهو الذي أكمل قواعد الخط واخترع عدّة أقلام - وإليه انتهت الغاية . وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته كأمين الدين ياقوت الملّكي المتوفى سنة ٦١٨ هـ - كاتب السلطان ملكشاه السلجوقي - أما الأندلسيون والمغاربة فلم يعبأوا بهذا الاصطلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط الحجازي إلى الآن بنوع من التعديل - واخترع الجليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمة واواً تكتب فوق الحروف ؛ والفتحة الفاء ، والكسرة ياء والشدة رأس شين ، والسكون رأس خاء وهمزة القطع رأس عين ، ثم اختزل شكلهما وزيد عليها حتى آلت إلى الشكل المعروف الآن ، وهاك ترجمة الخطاط المتفنن المشهور :

ابن مقلة

هو الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مقلة إمام الخطاطين . وأحد كبار الكتّاب البارعين ، أخذ الخط عن الأحوال الحرر صنيعة البرامكة ، وتم على يديه ويدي أخيه الحسن نقل الخط من الكوفي إلى الشكل المعروف في زماننا وكان ابن مقلة يتولى في أوّل أمره بعض أعمال فارس ، يجبي خراجها ، وتنقلت به الأحوال إلى أن استوزره الإمام المقتدر بالله سنة ٢١٦ هـ - ثم كاد له أعداؤه عنده فقبض عليه سنة ٢١٨ هـ ، ونفاه إلى فارس - ثم وزر للرّاضي فوشى به أعداؤه عنده فقبض عليه وعزل - ثم أطعمه نحسه أن يكيد لابن رائق أمير الأمراء ببغداد عند هذا الخليفة ، فقبض عليه ابن رائق وقطع يده اليمنى ثم عاد فقطع لسانه أيضاً - حتى مات سنة ٢٢٨ هـ - ومن قوله في تلك الحوادث :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فإنّ البعض من بعض قريب

وقوله :

ما سئمتُ الحياةَ لكن توثقت بأيمانهم فبانتُ يميني
رُبعتُ ديني لهم بدُنياي حتى حرموني دُنْياهمو بعد ديني
ولقد حُطَّتْ ما استطعتُ يجهدني حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعدَ اليمين لذّةُ عيش يا حياتي بانت يميني فبينني

الكتابة الانشائية في الرسائل الديوانية والاخوانية

كانت كتابة الرسائل في أوائل حُكم بني العبّاس جارية على نظام كتابتها في أواخر عهد بني أميّة ، سالكة الطريق التي سلكها (عبد الحميد ، وابن المقفع ، والقاسم بن صبيح ، وعمار بن حمزة ، ونظراؤهم ، من العناية بعمل عبارتها جزلة بليغة متناسقة الوضع والأسلوب ، لا يقصد بها إلا إقحام المعنى الجيد بوضوح وبلاغة وقوة حُجة ، غير منظور فيها إلى زُخرف اللفظ وبخسانته - وبقيت كذلك بل رادت حُسناً وجمالاً ومُراعاة لمقتضى الحال إلى أوئل القرن الرابع ثم أخذت الصناعات اللفظية تغلبُ عليها تدريجياً بتضاؤل ملكة البلاغة في الكتاب وتقاصر همهم عن استيفاء أدائها لتغلب الأعاجم من الديلم المويّهين والترك السلجوقيّين على سُلطان الخلفاء في الشرق ، وتغلب البربر على شمالي أفريقيا والأندلس في الغرب ، فلم يعد في الملوك والأمراء من يعنهم أمر العربية وبلاغتها . وما زالت كذلك حتى سقطت الدولة العباسية على أيدي الأعاجم من التتار فكان ذلك عصر ابتداء اضمحلال الكتابة ، واضمحلال اللغة في الجملة .

الكتّاب

كان أكثر كتّاب المشرق في هذا العصر ، من سلالة فارسية أو سوادية ، بلغوا بجدّهم سياسة الملك ونبوغهم في البلاغة أن ارتقوا عند خلفاء العباسيين إلى مرتبة الوزارة - وأول من ارتقى منهم إليها هو أبو سلمة الخلال وأشهر من

بلغ نفوذُه وسلطانهُ مبلغاً زاحماً فيه الخليفة ، يحيى بن خالد بن برمك ، وابناه جعفر والفضل ثم محمد بن الزيات في زمن المعتصم ، والواثق) وكان كتاب الأندلس والمغرب أكثرهم من سلالة عربية ، ومن أشهر كتّاب هذا العصر في الشرق ، ابن المقفع ، ويحيى بن خالد بن برمك ، وابناه جعفر والفضل ، وإسماعيل ابن صبيح ، وعمر بن مسعدة ، وأحمد بن يوسف ، وابن الزيات ، والحسن بن وهب ، وعلي بن الفرات ، وابن مقلّة ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وأبو بكر الخوارزمي ، والبديع ، والصابي ، والعماد الكاتب ، والقاضي الفاضل) . ومن أشهر كتّابه في الأندلس (ابن شهيد ، وأبو المطرف بن عميرة ، وابن زيدون ، ولسان الدين بن الخطيب) .

ابن المقفع

هو محمد بن عبدالله بن المقفع - أحد فحول البلاغة ، و في اثنين مهدي للناس طريق التّرسل ورفعا لهم معالم صناعة الإنشاء - وأولهما (عبد الحميد) .

منشؤه - نشأ ابن المقفع بين أحياء العرب . فكان أبوه (داؤد بن) المقفع الفارسي يعمل في جباية الخراج لولاية العراق من قبل بني أمية ، وهو على دين المجوسية ثم أسلم في آخر عمره ، وولد له ابنه هذا سنة ١٠٦ هـ - وسمّاه (رَوْزَبَة) فلشأ بالبصرة وهي يومئذ حلبة العرب ومُنْتَدَى البلقاء والخطباء ، والشعراء فكان لكل ذلك فوق ذكائه المفرط وتأديب أبيه له - أعظم أثر في تربيته وتهيبته لأن يصير من أكبر كتّاب العربية ، وعلمائها أودباؤها والمترجمين إليها ، وقد أسلم بمحضر من الناس وتسمّى (عبد الله) وتكنى بأبي محمد .

أخلاقه وبلاغته - وكان نادرة في الذكاء ، غاية في جميع علوم اللغة ، والحكمة وتاريخ الفرس مُدباً متعمقاً قليل الاختلاط إلا بمن على شاكلته ، كثير الوفاء لأصحابه .

وكان أمةً في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني إلى بيان غرض وسهولة

لفظ ، ورشاقة أسلوب ، ولا توصفُ بلاغته بأحسن مما وصف هو البلاغة ، حيث يقول (البلاغة هي التي إذا سمعها الجاهلُ ظنَّ أنه يحسنُ مثلها) .

ومن رسائله أنه عزى بعضهم فقال :

(أما بعدُ) فإن أمر الآخرة والدنيا بيد الله ، هو يدبرهما ويقضي فيهما ما يشاء لا رادَ لقضائه ، ولا مُعقب لحكمه ، فإن الله خلق الخلق بقدرته ، ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة ، لئلا يطمع أحدٌ من خلقه في خُلد الدنيا ، ووقَّت لكل شيء ميقاتَ أجل ، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ، فليس أحد من خلقه إلا وهو مُستيقنٌ بالموت ، لا يرجو أن يخلصه من ذلك أحد ، نسأل الله تعالى خير المنقلب ؛ وبلغني وفاة فلان ، فكانت وفاته من المصائب العظام التي يحتسب ثوابها من ربنا الذي إليه مُنقلبنا ومعادُنا وعليه ثواننا .

فعليك بتقوى الله والصبر وحُسن الظن بالله ، فإنه جعل لأهل الصبر صلوات منه ورحمة ، وجعلهم من المهتدين .

وقد ترجم كتباً عديدة من أشهرها كتاب (كلية ودمنة) وقيل إن هذا الكتاب من وضع ابن المقفع - وهو قول مقبول لا بأس به - وله كتاب (الأدب الكبير) و (الأدب الصغير) و (الدرة اليتيمة) وقتله والي البصرة سفيان بن معاوية سنة ١٤٢ هـ لاثامه بالزندقة والكيد للإسلام بترجمة كتب الزندقة .

إبراهيم الصولي

هو أبو إسحق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، كاتب العراق ، وأشعر أصحاب المقطعات ، نشأ ببيقداد ، فتلقى العلم والأدب عن أئمة زمانه ، واشتغل بالشعر في حداثته ، فبرع فيه ، وتكسب به ، ورحل إلى العمال والأمرء يمدحهم ويستميح جدواهم ، ثم قصد الفضل بن سهل وزير المأمون أيام مقامه معه

بجُراسان ، وَمَدَحَه فوهِبَ له عشرة آلاف درهم ، وجعله الفضلُ كاتباً لأحد قوَّاده وبقي يتنقل في أعمال النواحي والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الأهواز ، فتحامل عليه وزيره ابن الزيات ، فعزله وسجنه بها ، فكتب إليه يستعطفه ، فلم يزدْ بذلك إلا جفاءً وغلظة ، ثم أطلع الواثق على ذلك فأطلقه وتولى ديوان الضياع والنفقات في خلافة المتوكل ، ومات سنة ٢٤٢ هـ ومن رسائله تعزية عن لسان المنتصر بالله إلى طاهر بن عبدالله مولى أمير المؤمنين .

« أما بعد » تولى الله توفيقك وحيأطتكَ ، وما يرْتَضِيهِ منك ويرضاه عنك ؛ إنَّ أفضلَ النعمِ نعمةٌ تُلقِيَتْ بِحَقِّ الله فيها من الشكر ، وأوفرَ حادثة ثواباً حادثة أدَّى حَقُّ الله فيها من الرِّضا والتسليم والصبر ، ومثلك من قدم ما يجبُ لله عليه في نعمة فشكرها ، وفي مُصيبة فأطاعه فيها ، وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن إسحاق مولى أمير المؤمنين - عفا الله عنه ! - قضاءه السابق والموقع ، وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين - أدام الله عزه ! - وتقدير ما يقدمُ مثله أهل الحجا والفهم ، ما اعتاضه مُعتاضٌ وقدمه موفق ، فليكن الله عز وجل وما أطعته به وقدَّمْتَ حقه أولى بك من الأمور كلها ، فإنك إن تتقرَّبَ إليه في المكروه بطاعته ، يحسن ولايتك في توفيقك لشكر نعمه عندك .

ابن العميد

هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد ، كاتب المشرق وعمادُ ملك آل بويه وصدر وزرائهم ، نشأ شغوفاً بمعرفة العلوم العقلية واللسانية فبرَعَ في علوم الحكمة والنجوم ، ونبغَ في الأدب والكتابة وابتدَعَ طريقة الشعر المنشور ، حتى قيل فيه (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) ثم رحل عن أبيه إلى آل بويه ، وتقلد شريف الأعمال في دولتهم - إلى أن تولى وزارة

ركن الدولة سنة ٣٢٨ هـ فساس دولته ووطد أركانها، وتَشَبَّه بالبرامكة ففتح بابَه للعلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء ، وكان يشارِكهم في كل ما يعلمون إلا الفقه ، وما زال في وزارته عَطَّ الرَّحَال ، وكِبَّة الآمال حتى توفاه الله تعالى سنة ٣٦٠ هـ .

ومن رسائله إلى أبي عبد الله الطبري : كتابي إليك ، وأنا بحال لو لم يُنْعَضْها الشُّوقُ إليك ، ولم يُرْتَقِ صفوها النزوعُ نَحْوَكَ ، لَعَدَدَتْها من الأحوال الجميلة ، وَعَدَدْتُ حَظِي منها في النِّعَمِ الجميلة ، فقد جَمَعْتُ فيها بين سلامة عامة ، ونِعْمَةٍ تامة ، وحَظِيْتُ منها في جِسْمِي بِصَلاح ، وفي سَعْيِي بِنِجَاح ، لكن ما بَقِيَ أن يَصْفُو لي عَيش مع يُعْغِدي عنك ، وَيَخْلُوَ ذَرْعِي مع خُلُوِّي منك ، وَيَسُوغ لي مَطْعَم ومَشْرَب مع انفرادي دونك ، وكيف أَطْمَع في ذلك وأنتَ جُزءٌ من نَفْسِي ، وناظِمٌ لَشَمْلِ أُنْسِي ، وقد حُرِمْتُ رُؤْيَاكَ ، وَعَدِمْتُ مِشَاهِدَتَكَ ، وهل تَسْكُنُ نفسٌ مُتَشَعِّبَةً ذات انقسام ، وَيَنْفَعُ أنْسٌ بَيْتَ بلا نظام ، وقد قرأت كتابك ، جَعَلَنِي الله وِدَاءَكَ ، فامتَلأتُ سُرُوراً بِمِلْحَظَةِ خَطِّكَ ، وتَأْمُرُ تَصَرُّوكَ في لَفْظِكَ

وما أَقْرَظْهُما فكل خِصَالِكَ مَقْرَظٌ عِنْدِي ، وما أَمْدَحْهُما فكل أَمْرِكَ مَعْدُوحٌ في ضَمِيرِي وَعَقْدِي .

بقية خلفاء العباسيين

عبد الله المستكفي بالله (٣٣٣/٣٣٤)	المنصور الراشد بالله (٥٢٩/٥٣٠)
القاسم الطبيع لله (٣٦٣/٣٦٤)	محمد المقتفي لأمر الله (٥٣٠/٥٥٥)
أبو بكر الطائع لله (٢٦٣/٢٨١)	يوسف المستنجد بالله (٥٥٥/٥٦٦)
أحمد القادر بالله (٣٨١/٤٢٢)	حسن المستضيء بأمر الله (٥٦٦/٥٧٥)
عبد الله القائم بأمر الله (٤٢٢/٤٦٧)	أحمد الناصر لدين الله (٥٧٥/٦٢٢)
عبد الله المقتدي بأمر الله (٤٦٧/٤٨٧)	محمد الظاهر بأمر الله (٦٢٢/٦٢٤)
أحمد المستظهر بالله (٤٨٧/٥١٢)	منصور المستنصر بالله (٦٢٣/٦٤٠)
فضل المسترشد بالله (٥١٢/٥٢٩)	عبد الله المستعصم بالله (٦٤٠/٦٥٦)

وأرجو أن تكون حقيقةُ أمرِك مُوافقةً لتقديري فيك ؛ فإن كان كذلك وإلاّ فقد غَطَى هَواك وما أَلْقَى على بَصَرِي .

الصاحب بن عباد

هو كافي الكُفأة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزيرُ آل بُويه وكاتبُهم ، وُلِدَ سنة ٣١٦ هـ بطالقان قزوین ، وتعلّم العلم والادب من أبيه ، ثم اتّصل بابن العميد ، فلزم صُحبته ، وأخذ عند الأدب ، وتولى له كتابة خاصّته ، ثم تنقّلت به الأحوال في خدمة ملوك بني بُويه ، فكان وزيراً لمؤيد الدولة ، ثم لأخيه فخر الدولة ، وله في ملكها السندُ المطلقة ، والأمرُ النافذ حتى مات سنة ٣٨٥ هـ .

ويُعدّ ابن عباد في الكتابة ثاني ابن العميد في حلّيته ، وأبلغ من سلك طريقته غير أنه أُولع بالسجع والجناس ، ولا يعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والأدب مبلغهما ، ولا حلّ من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما ، ومن رسائله ما كتب به إلى بعض السادة ، وقد أهدى إلى ابن عباد مُصحفاً .

ألبس ، أدام الله السيد ، أنواع ، تطولُ به أبواع ، وتقصرُ عنه أبواع ، فإن يكن فيها ما هو أكرم منصباً ، وأشرف منسباً ، فتحفةُ السيد ، إذ أهدى ما لا تشاكلة النعم ، ولا تُعادلُه القيسم : كتابُ الله وبيانه ، وكلامه وفُرقانه ، ووَحيه وتُزِيلُه وهُداه وسبيله ، ومعجزةَ رسول الله ﷺ ودليله ، طسيع دون معارضة على الشفاء وختم على الخواطر والأفواه ، فقصر عنه الثقلان ، وبقي ما بتمّ البوان ، لائحُ سراجِه ، واضحُ منهاجِه ، منيرٌ دليله ، عميقٌ تأويله ، يقصم كلّ شيطانٍ مريد ، وينذل كلّ جبارٍ عنيد ، وفُضائلُ القرآن لا تُحصى في مُطوّلات الأسفار ؛ فأصِفُ الخط الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام ، وزاد في نخوة الأقلام ، بل أصفه بترك الوصف فأخباره

آثاره ، وعينه 'فراره' ، وحقاً أقول إني لا أحسبُ أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت وابتدع في استكثافها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لرائد عن جميع زيادة الفرع على الفرعة ، بل زيادة الحج على العمرة

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، الكاتب الشاعر اللغوي الأديب الرحالة ، ولد بخوارزم سنة ٣٢٣ هـ ونشأ بها ، وكان ضليعاً من كل فن من فنون العربية ، وخاصة الكتابة والشعر ، جاب الأقطار ، ودخل الأمصار من الشام إلى أقصى خراسان ، في استفادة العلم والأدب وإفادتهما ، وكان كثير الحفظ للشعر غزير مادة اللغة .

وتقلب الخوارزمي في خدمة كثير من الملوك والأمراء والوزراء - حتى ألقى عصا التسيار بمدينة نيسابور ، وطاب عيشه بها إلى أن 'مني' في آخر أيامه بمساجلة بديع الزمان الهمداني ومناظرته ومناضلته ، وأعانه عليه قوم من أعيان البلدة ووجهها ، فانخدل الخوارزمي انخدالاً شديداً ، وكسف باله ، ولم يحل عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ هـ .

وكان الخوارزمي ممن يجري على طريقة ابن العميد في الكتابة 'متوخياً جزالة الألفاظ ، محتفلاً بصحة المعاني مع ميل فيه إلى الغريب ، وتقديم له كثير من الرسائل .

بديع الزمان الهمداني

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع .

منشؤه ، نشأ بهمدان ، ودرس العربية والأدب ، ونبع فيها ، وضرب في الأرض يتكسب بأدبه ، ثم أقام بنيسابور مدة أملى بها أربعمائة مقامة ، بلفظ رشيق وسجع رقيق ، وعلى منوالها نسج الحريري ، ثم شجر بينه وبين

الخوارزمي" ما كان سبباً في هبوب ريحه، وبعد صيته، إذ لم يكن في الحُسبان أن أحداً يجترئ، على الخوارزمي .
وبموت الخوارزمي خلا له الجوُّ عند الملوك والأمراء، فجوّل في حواضرهم، ثم استوطن هراة، وصاهر أحد أعيانها العلماء، فحسنت حاله، ونعم به، ولكن المنية عاجلته وهو في سن الأربعين سنة ٣٩٣ هـ، وتقدم له كثير من الرسائل والمقامات المشهورة .

ابن زيدون

هو الكاتبُ الشاعرُ ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله المشهور بابن زيدون الخزومي الأندلسي، ولد سنة ٣٥٤ هـ، ونشأ في مدينة قرطبة، وتأدّب على كبار أئمتها، وقال الشعر وأجاده، ولما نسبته شأنه بين شعراء قرطبة، اتّصل بأبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف فحظي عنده ومدحه حتى أصبح لسان دولته الناطق، وحاسمها المسلول، فأفسد أعداؤه ما بينه وبين ابن جهور، فاعتقله ومكث في محبسه مدةً استشفع فيها إليه بقضاء أمدّها، ورسائل استنفدت فيها جهده، فما ألانت له قلباً، فأعمل الخيلة في فراره من سجنه، وخلص إلى المعتضد بن عبّاد ملك إشبيلية إذ كان أشدّ ملوك الطوائف رغبةً فيه، وأكثرهم تمسكاً بالأدباء، فألقى إليه مقاليد وزارته، وأصبح صاحب أمره ونهيه، ولما مات المعتضد وخلفه ابنه المعتمد كان له كما كان أبوه، وأغدق عليه برّه ونعمته .
ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ .

القاضي الفاضل

هو أبو علي عبد الرحيم البيهقي اللخمي، ولد بمدينة عسقلان سنة ٥٢٩ هـ، وتعلم على أبيه وغيره، قدّم مصر وهو شاب، وتولى رئاسة ديوان الإنشاء في أواخر الدولة الفاطمية .

وتعلم في ديوان ابن حديد قاضي الاسكندرية ، وظهر فضله فيما كان يرسله إلى القاهرة من الرسائل فاستقدم أيام الظافر إليها وكان من كتاب ديوانه ، ولازم خدمة أكبر القضاة والكتّاب في الديوان وأخذ عنهم ، وحاسا كلهم بل فاقهم فصاحة وبلاغة لسعة إطلاعه ، وغزارة مادته وسرعة بديته ، وصفاء خاطره .

ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى وزارة صلاح الدين بن أيوب ، وكان يتردد بين مصر والشام في الحروب الصليبية ، ودبر أحسن تدبير - وبقي في الوزارة حتى مات صلاح الدين فوّرر لابنه العزيز على مصر ، ثم وّرر من بعده لأخيه ، ومات سنة ٥٩٦ هـ . ومن رسائله القصيرة رسالة كتبها على يد خطيب عيذاب إلى صلاح الدين يتشفع له في توليته خطابة الكرك وهي :

أدام الله السلطان الملك الناصر وثبته ، ونقبل عمله بقبول صالح وأثبتته ، وأرغم أنف عدوّه بسيفه وكتبته

خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب ، ولما نبأ به المنزل عنها وقلّ عليه المرفق منها وسمع هذه الفتوحات التي طلق الأرض ذكرها . ووجب على أهلها شكرها - هاجر من هجير عيذاب وملحها . سارياً في ليلة أمل . كلمها نهار فلا يسأل عن صباحها ، وقد رغب في خطابة الكرك وهو خطيب وتوسّل بالمملوك في هذا الملتبس وهو قريب ، ونزع من مصر إلى الشام ، وعن عيذاب إلى الكرك وهذا عجيب ، والفقر سائق عنيف ، والمذكور عائل ضعيف ، ولطف الله بالخلق بوجود مولانا لطيف والسلام .

التدوين والتصنيف

كانت الحاجة إلى التدوين قد اشتدت في مبدأ الدولة العباسية لاتساع ممالك الإسلام ، فهب العلماء إلى تهذيب ما كتب في الصحف المتفرقة ، وما حفظوه في

الصدور، ورتبوه وبوّبوه وصنفوه كتباً، وكان من أقوى الأسباب لإقبال العلماء على التصنيف حدثُ الخليفة أبي جعفر المنصور عليه، وحمله الأئمة والفقهاء على جمع الحديث والفقه، ولم يقتصر على 'معاودة العلوم الإسلامية، بل أوعز إلى العلماء والمترجمين أن ينقلوا إلى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب والسياسة والحكمة والفلك والتنجيم والآداب، وتابعه في ذلك أولاده وأحفاده، حتى زخرت بحور العلم، واختُرعت الفنون، وتفرعت المسائل ودوّنت الكتب في كل فن.

كتابة التصنيف والتدوين

وكانت كتابة التصنيف والتدوين في القرن الأول وبعض الثاني من النهضة عبارة عن سلسلة من الروايات المسندة إلى روايتها، وبعضها يُروى بلفظ أصحابها غالباً كما في الشعر والخطب والرسائل، وبعضها بلفظ الراوي كما في أخبار الفتوح والتاريخ والقصص، ثم ظهرت بعد ذلك في العلوم الشرعية واللسانية طبقات الاستنباط والتعليل، والتفريع والشرح والاختصار، وجمع الفروع تحت كليات عامة، فلم يكن للمؤلفين بُدٌّ من حذف أسانيد الروايات، وترك المحافظة على نقلها بلفظها إلا في الحديث ونحوه.

أما كتب العلوم المترجمة فكانت عبارتها هي تفسير ألفاظها الأعجمية بالعربية، ولم تكن ترجمتها جيدة في (عصر المنصور) ثم صحت ترجمتها في زمن الرشيد والمأمون، ثم لما أتقن كثير من فلاسفة المسلمين هذه العلوم كتبوا فيها بعباراتهم، وكانت أول أمرها بليغة مفهومة، ثم عموها على بعض الفقهاء المكفرين لهم، والمفترين الأمراء بقتلهم حتى أصبحت عبارة كتب الفلسفة والنوحيد أصعب ما يُقرأ باللسان العربي.

العلوم اللسانية ونشأتها

العلوم اللسانية هي الأدب، والتاريخ، والعروض، والنحو، واللفظ، والبلاغة

علم الأدب - كانت 'كتبه في أول هذا العصر رسائلَ يَبْحَثُ كلُّ منها في ضرب خاص من ضروبه ، كرسائل ابن المقفع ، ورسائل سهل بن هرون : في الأخلاق ، وكتاب النوادر ، وكتاب الأراجيز ، وكتاب الشعر للأصمعي ، وكتاب الشعر والشعراء لأبي عبيدة ، وإذا تابعنا مَنْ يقول إن ابن انقفع هو الذي ابتدع كتاب (كلية ودمنة) ونحله المهد والفرس ، كان هذا الكتاب أول كتاب ظهر في (الأدب العربي) الخاص بموضوع واحد ، وأول كتاب ظهر فيه جامع لفنون كثيرة : منه كتاب (البيان والتبيين) ، وكتاب (الحيوان) للجاحظ ، واقتفى أثره أحمد بن طيفور في كتابه العظيم (المنظوم والمنثور) في أربعة عشر جزءاً . ثم أبو العباس محمد المبرّد في الكامل ، والروضة) ، ثم أبو حنيفة الدينوري وأبو بكر محمد الصولي ، وابن قتيبة صاحب (أدب الكاتب) ، وابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد) ، وأبو علي الهادي صاحب (الأمالي) ، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب (الأغاني) ، وغيرهم ، ومز أشهر المؤلفين في الأدب : الجاحظ ، وأحمد بن عبد ربه ، والحري ، وها هي ترجماتهم .

الجاحظ

هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكِنَاني البَصْري ولدَ حوالي سنة ١٦٠ هـ بمدينة البصرة ونشأ بها فتناول كل فن : ومارس كل علم عُرِف في زمانه بما وُضِعَ في الإسلام ، أو نُقِلَ عن الأمم الأوائل ، فأصبح له مشاركة في علم كل ما يقع عليه الحسُّ أو يخطرُ بالبال ، فهو راوية متكلمٌ فيلسوفٌ ، كاتبٌ مُصنّفٌ ، مترسلٌ شاعرٌ ، مؤرخٌ عالمٌ بالحيوان والنبات والموات ، وصافٌ لأحوال الناس ووجوه معاشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحياتهم - إلا أنه غلب عليه أمران : الكلام على طريقة المعتزلة ؛ والأدب المزوجُ بالفلسفة والفكاهة ، وكان غاية في الذكاء ، ودقة الحس ، وحسن

الفِراسة، وكان سَمِجاً جواداً كثيرَ المواساةِ لإخوانه ، وكان على دَمَامَةٍ خَلْقِيَةٍ .
وتناقض خُلُقُهُ خفيف الروح فكهُ المجلس غاية في الظرف وطيب الفِكاكَة
وحلاوة الكلام - وهو على الجملة أحدُ أفذاذِ العالم وإحدى حُجَجِ اللسان
العربي - وأقام الجاحظُ أكثرُ عمره بالبصرة يعيش معيشة الأدباء والعلماء ،
محبوباً لولائها وأعيانها ، تحبُّونَهم بالعطايا والمنح ، بما يُصنِّفه لهم من
الكتب المتفكة مع أهوائهم المختلفة - وكان كثير الانتجاعِ للخلفاء ببغداد -
وسُرَّ مَنْ رَأَى (حتى فُلجَ بالبصرة وبقي مفلوجاً مدة إلى أن انتقل إلى بغداد
فمات بها ودفن بمقبرة الخيزران (أم الرشيد) سنة ٢٥٥ هـ ، وله أكثر من مائتي
كتاب .

أحمد بن عبد ربه

هو أديبُ الأندلس وشاعرها أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي
وُلِدَ سنة ٢٤٦ هـ ونشأ بمدينة قرطبة ، ودرس علوم العربية فنسج في جميعها
وحفظ منها ما لم يحفظه أحد من علماء زمانه ، وقرأ رسائلَ المحدثين من المشاركة ،
وما ترجم من كتاب الأوائل في أكثر العلوم ، وأودعَ زُبْدَ ذلك في كتابه
(العَقْدُ الْفَرِيدُ) . وكان يشتغل في حديثه بالشعر ، ويجري في مضمار اللهم-و
والطرب ، ونظم في ذلك من القصائد والمقطعات الرقيقة الجميلة ما جعل المتنبي
على صُلْفِيهِ وكِبَرِهِ حين سَمِعَ شِعْرَهُ يسميه (مليح الأندلس) ثم أفلح في كِبَرِهِ
عن صَبُوتِهِ ، وأخلص لله في تَوْبَتِهِ . فاعتدَّ أشعاره التي قالها في الغزل واللمو
عملاً باطلاً . وعَمِلَ على أعاريضها وقوافيها قصائد في الزُّهْد يُعارضها بها ،
وسمّاها (الْمَحَصَّات) ونال من خلفاء بني أمية بالأندلس قبولاً ، وحلَّ عندهم
في المكان الأسمى - وبقي بقرطبة رئيساً مُسَوِّداً - حتى فُلجَ ، وعاش بعد
ذلك عدَّة سنين - ثم مات بها سنة ٣٢٨ هـ .

الحريري

هو أبو محمد القاسم بن محمد بن عثمان الحريري البصري ، المولود سنة ٤٤٦ هـ

الكاتب الشاعر اللغوي النحوي صاحب البدائع المأثورة في مقاماته المشهورة التي نسجها على منوال مقامات بديع الزمان الهمذاني وأنشأ خمسين مقامة، أتى فيها على كثير من مواد اللغة وفنون الادب وأمثال العرب وحكمها، بمباراة مُسجعة مُزينة بأنواع البديع، ولا سيما الجناس، ترغيباً للطلاب في حفظ اللغة وأدبها، وتفكيكها لهم بطلعتها، ونحل وقائمه أبا زيد السروجي (وهو أع ابي فصيح من سروج، كان قد قدم البصرة وأعجبه بها علماؤها، وسمى راويها عنه (الحارث بن كهمام) - يريد نفسه - وأهداها إلى الوزير جمال الدين بن صدقة وزير المسترشد العباسي، وله غير المقامات شعرٌ كثير ورسائل بديعا وكتب في النحو واللغة؛ منها كتابه (دُرّة الفَوَاصِص في أوْهام الخواص) و (ملحّة الإعراب في النحو) وتوفي بالبصرة سنة ٥٢٢ هـ .

فن التأريخ

أول ما وُضع في التأريخ باللغة العربية بية الكتاب الذي وضعه عُبَيْدُ بن شربة لمعاوية، وفي صدر الدولة العباسية وضع كثير من العلماء كتباً في التأريخ بأقسامه التي من أشهرها :

- ١ (فن التيسير والمعازي ؛ وأشهر من ألف فيه من الأوائل : محمد بن إسحاق .
- ٢ (فن الفتوح ؛ وأشهر من ألف فيه منهم . الواقدي ، والمدائني ، وأبو مخنف
- ٣ (فن طبقات الرجال ؛ وأشهر علمائه ابن سعد كاتب الواقدي ، والبخاري
- ٤ (فن النسب ؛ وأشهر قدماء علمائه : الكلبي ، وابنه
- ٥ (فن أخبار العرب وأيامها ؛ وأشهر علمائه : أبو عُبَيْدة ، والأصمعي .
- ٦ (قصص الأنبياء ؛ وكتب فيه كثيرون .
- ٧ (تاريخ الملوك ؛ ومن أقدم من كتب فيه : ابن قتيبة الهيثم بن عدي ، وابن واضح اليعقوبي ، ثم شيخ المؤرخين وعمدهم محمد بن جرير الطبري الجامع كتابه هذه الفنون السابقة . تبأ على حسب السنين الهجرية .
- وحاكاها بعده ابن الأثير في تاريخه (الكامل) .

العروض والقافية

أول من اخترع علم العروض « الخليل بن أحمد » من غير سابقة تعلّم على أستاذ أو تدرّج في وضعه ، بل ابتدعه ، وحصر فيه أوزان العرب في خمسة عشر بحراً ، وزاد عليه تلميذه الأخفش بحراً آخر ، ثم لم يزد سلبها أحداً يُعتمد به .

أما القافية ، فقد كان العلماء قبل الخليل يتكلمون فيها ، ولكن الخليل هو أول من فصل الكلام فيها ، وجعلها علماً مدوناً .

النحو

جاءت الدولة العباسية والنحو علم يُدرّس في المعاهد ، ولكن البصريين سبقوا الكوفيين في الاشتغال به ، كما سبقهم الكوفيون في الاشتغال بالشعر وعلم الصرف .

ومن أكبر الأئمة الذين اشتغلوا بالنحو وهذبوه من البصريين أبو عمرو بن العلاء وتلميذه الخليل ، وتلميذ الخليل « سيبويه » الواضع لأول كتاب جامع في النحو ، ثم بعده « الأخفش » شارح كتابه .
ومن الكوفيين : معاذ الهراء ، والرؤاسي ، وتلميذهما الكسائي ، وتلميذه الفراء .

علم اللغة

ويسمى « متن اللغة » ونعني به معرفة معاني ألفاظها المفردة ، وأول ما وضع الأئمة فيه رسائل وكتب صغيرة في موه وعات خاصة ، فلما ظهر الخليل أحصى ألفاظ اللغة بطريقة حسابية في كتاب ورتبه على حروف المعجم مُقدّماً حروف الحلق ، ومُبتدئاً منها بالعين ، ولذلك سُمي مُعجمه كتاب العين) ثم ألف أبو بكر بن دُرَيْد مُعجمه العظيم الذي سُمي (الجمهرة) مرتباً على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن . وأدرك عصر الازدهار فآلف كتاب (التهذيب) على ترتيب

الخليل، ثم وضع الجوهرى كتابه المسمى (بالصحيح) على ترتيب المصحف وابن سيدة الأندلسي كتابه المحكم على ترتيب الخيل، وابن فارس كتابه (المجمل) والصاحب بن عباد كتابه المحيط وهذه هي أصول كتب اللغة وما بعدها من (المعاني، والتكملة، ومجمع البحرين) للصغاني، و(النسبة) لابن الأثير، و(لسان العرب) لابن مكرم و(المصباح) للفيومي، و(القاموس) للفيروزبادي. فهو جمع لها أو اختصار منها.

علوم البلاغة - المعاني والبيان والبديع

أول كتاب 'دوّن' في علم البيان كتاب (بجاء القرآن) لأبي عبيدة تلميذ الخليل ثم تبعه العلماء. ولا يعلم أول من ألف في المعاني بالضبط، وإنما أثر فيها كلام عن البلغاء وأشهرهم الجاحظ في (إعجاز القرآن) وغيره. وأول من دون كتباً في علم البديع ابن المعتز وقدّامة بن جعفر، وقبل ذلك كان البديع يستعمل في الشعر عملاً، وبقيت هذه العلوم تتكامل، ويزيد فيها العلماء حتى جاء فحل البلاغة عبد القاهر الجرجاني فألف في المعاني كتابه (دلائل الإعجاز) وفي البيان كتابه (أسرار البلاغة)، وجاء بعده السكاكي فألف كتابه العظيم (مفتاح العلوم).

الخليل بن أحمد

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم الفرّاهيدي الأزدي البصري، مخترع العروض ومبتكر المعجمات، وواضع الشكل العربي المستعمل حتى الآن. ولد سنة مائة هجرية بالبصرة، ونشأ بها، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه، وأكثر الخروج إلى البوادي، وسمع الأعراب الفصحاء، فنبغ في العربية نبوغاً لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه، وكان غاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه، ولقّن ذلك تلميذه سيبويه ومما يشهد له بجدّة الفكر وبعمد النظر، اختراعه العروض علماً كاملاً، لم يحتاج إلى تهذيب بعده، وابتكاره طريقة تدوين المعجمات بتأليف كتاب (١٢ - جواهر الأدب ٢)

«العين» وتدوينه كتاباً دقيقاً في الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية واشتغال بلهو، وزاد في الشطرنج قطعة سماها «جبلا» لعب بها الناس زمناً، وبقي الخليل مقيماً بالبصرة طول حياته، زاهداً متمسكاً مكتباً على العلم والتعليم - حتى مات في أوائل خلافة الرشيد سنة ١٧٠ هـ بصدمة في دعامة مسجد ارتج منها دماغه .

سيديويه

هو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر - إمام البصريين ، وحجة النحويين . ولد بالبيضاء من سلالة فارسية ونشأ بالبصرة ، وكان يطلب أول أمره الحديث والفقه . فعميت عليه لجنة لحنها في مجلس شيخه ، فحجل وطلب النحو ولازم الخليل ، وأخذ عن غيره أيضاً ، وكان الخليل يؤثره على أصحابه ، فدوت جميع ما أخذه عنه ونقله عن غيره في كتابه الذي لم يجمع قبله مثله - ولولا هذا الكتاب الذي رواه عنه ، وشرحه تلميذه الأخفش ، ما كان لسيديويه خبرٌ يشهر لوفاته كهلا ، ولقطة من أخذ عنه هذا الكتاب ، ولأنه لا يعرف له كتاب غيره ، وبحسبك هو ، ومات ببلدته البيضاء بفارس سنة ١٨٠ هـ - وسنه نيف وأربعون سنة .

الكسائي

هو أبو الحسن علي بن حمزة - أحد القراء السبعة ، وإمام الكوفيين في النحو واللغة - نشأ بالكوفة ، وتعلم على الكبر بعد لجنة لحنها أمام جمع من طلبة العلم ، فلأزم أئمة الكوفة حتى أنفد ما عندهم ، ثم خرج إلى الخليل بالبصرة وجلس في حلقاته ، وأعجبه علمه ، فقال له : من أين علمك هذا ؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج إليها ، وأنفد خمس عشرة قينة حبر في الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظ عنهم ، ولما رجع من البادية وجه إليه المهدي فخرج إلى بغداد فحظي عنده ، وضمه إلى حساشية ابنه الرشيد ، ثم جعله الرشيد مؤدب ولده الأمين ، وكان يجلسه هو والقاضي محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام

الأعظم أبي حنيفة على كرسيين 'مميزين' بحضرته ، وما زال على هذه الكرامة حتى خرج الرشيد إلى الريّ وما في صحبته فماتا في يوم واحد فبكاهما ، وقال : دفنت الفقه والعربية بالريّ - وذلك سنة ١٨٩ هـ . وقد انتهت إليه إمامة القراءة والعربية بالكوفة وبغداد - وكان يرؤي الشعر ، وليس فيه جيدٌ نظر

العلوم الشرعية

التفسير - لم يدوّن في كتب جامعة تجمع سور القرآن الكريم كلها إلا في عصر الدولة العباسية . وكان التفسير عبارة عن نقل روايات عن النبي ﷺ وأصحابه تبين المراد من آياته ، وأول طبقة من المفسرين أدركت الدولة العباسية أو أنشئت في صدرها طبقة سفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ، وإسحاق بن راهوية ، ومقاتل بن سليمان ، والفراء .

كتب الحديث

أول كتاب جمع في الحديث الكتاب الذي أمر الخليفة الأموي « عمر بن عبد العزيز » بتدوينه ولم يعرف له خبر بعد ، ثم أخذ العلماء يدونون فيه بحض الخليفة أبي جعفر وأولاده فدون الإمام مالك « موطأه » . ولما اشتدت رغبة الناس في طلب الحديث وضع كثير من الزنادقة واليهود المتظاهرين بالإسلام كثيراً من الأحاديث ، فتجرّد لها الأئمة الأعلام ، وبينوا صحيحها من فاسدها ، كما إسحاق ابن راهوية وتلميذه محمد بن إسماعيل البخاري الذي دوّن كتابه في الأحاديث الصحاح فقط ، وتبعه تلميذه مسلم بن الحجاج ، والإمام أحمد بن حنبل ، وأصحاب الكتب الستة الصحاح ؛ وهم : الترمذي ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والبخاري ، ومسلم .

هذه هي أصول الكتب الصحيحة في الحديث .

الامام البخاري

هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، إمام المحدثين .
 وصاحب « الجامع الصحيح » أجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله العزيز .
 ولد ببخارى من سلالة فارسية سنة ١٩٤ هـ . ونشأ بها يتيماً فحفظ القرآن
 وألم بالعربية وهو صبيّ وحُبِّبَ إليه سماعُ الحديث ، فكان أولُ سماعه من علماء
 بخارى وهو لم يناهز البلوغ ، حتى حفظ عشرات الألوف من الأحاديث ودخل من
 أجلها أكثر ممالك المشرق ، وأخذ عنه علمها وأتمتها ، ومنهم أحمد بن حنبل ؛
 وتفقه مبدئياً على مذهب الشافعي . واستخرج كتابه « الجامع الصحيح » من
 ستمائة ألف حديث ، في ست عشرة سنة ، جمع فيه تسعة آلاف حديث مُكرَّر
 بعضها بتكرُّر وجوها ؛ وقال : إني جعلته حُجَّةً بيني وبين الله . فأجمع علماء
 السنة على أنه لم يكن فيها أصح منه ، ومات سنة ٢٥٦ هـ .

علم الفقه

لما كان المروي عن رسول الله ﷺ وظاهر نص القرآن لا يستتوي عباد
 كلِّ أحكام الوقائع المختلفة المتجددة بتجدد الزمان والمكان ، كان الاجتهاد
 ضرورياً في الدين ؛ وجاءت الدولة العباسية وأهل الحجاز يرجعون جانب
 الأخذ بالحديث لكثرة رواة بينهم ، وإمامهم في مذهبهم « مالك بن أنس »
 وأهل العراق يرجعون الأخذ بالقياس ، وإمامهم في مذهبهم « أبو حنيفة »
 لكثرة ما وضعه متزندق العراق في الحديث . ثم لما دخل أهل الحجاز العراق ،
 وتسايى الفريقان في معرفة الحديث عملوا بها ونشأ من ذلك عدة مذاهب
 أشهرها (مذهب أبي حنيفة ، ومذهب مالك ، ومذهب الشافعي ، ومذهب
 أحمد بن حنبل) . وهذه المذاهب الأربعة هي التي ارتضاها معظم الأمة في أمر
 دينها ودنياها ثم كان لكل مذهب أئمة يجتهدون فيه .

الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان

هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت فقيه العراق. وُلد سنة ٨٠ هـ من سلالة فارسية، ونشأ بالكوفة، وعاصر بعض الصحابة، وأخذ كل علمه عن شافه الصحابة ونسقل عنهم واستنبط فقهه من القرآن الكريم وما صح عنه من الحديث مع استعمال الرأي والقياس، وكان من أعبد الناس وأكثرهم تهماً وقراءة للقرآن الكريم، وأكثرهم ورعاً وتوخيّاً للكسب من وجه حلّ، رضي أن يعيش تاجر خزّ، ورغب عن وظائف الملوك والخلفاء، وعرض عليه القضاء من قبل أمراء بني أمية، ثم المنصور فأبى، فسجنه وآذاه، حتى قيل إنه مات في سجنه، وكان يعتذر بأنه لا يأمن نفسه أن تزلّ، وقرأ عليه علماء الكوفة وبغداد، تخرج عليه منها الأئمة من أصحابه كمحمد بن الحسن، وأبي يوسف، وزفر. ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ.

الإمام مالك

هو أبو عبد الله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، وسيد فقهاء الحجاز، وهو عربي من سلالة أقيال حنير. وُلد سنة ٩٥ هـ بالمدينة المنورة ونشأ بها، وأدرك خيار التابعين من الفقهاء والعباد، ورحل إليهم وأخذ عنهم، وما زال يدأب في التحصيل وجمع السنة حتى صار حجة من حجج الله في أرضه، وضرب به المثل، فقيل: «لا يفتي ومالك بالمدينة» وعرف الخلفاء قدره فأجلوه، حتى أن الرشيد رحل هو وأولاده إليه بالحجاز ليرسم «موطأه» فسمعه وأغذق عليه.

وكان مالك أول أمره فقيراً، فلما كثرت منج الخلفاء له حسن حاله، فأظهر نعمة الله عليه، ووصل أهل العلم وأشرّكهم في ماله، ومنهم الشافعي، وأما أخلاقه من حيث الكرم والطلاقة والوقار والنبل والتواضع والحب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تجل عن الوصف حتى أنه كان لا يركب دابة في المدينة إجلالاً لأرض ضمت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ١٧٩ هـ بالمدينة - ودُفن بالبقيع

الإمام الشافعي

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، عالم قریش وفخرها ، وإمام الشريعة وحبرها ، وهو من ولد المطلب بن عبد مناف ولد بمدينة غزة سنة ١٥٠ هـ ، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين ، ونشأ بها فقيراً تربيه أمه ، ويواسيه ذوو قرابته من قریش ، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وأولع بالنحو والشعر واللغة ، ورحل إلى البادية في تطلبها ولم يُناهِز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئاً كثيراً ، ثم تفقه وحفظ (موطأ مالك) وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة ، ثم رحل في هذه السن إلى مالك . وقرأ عليه الموطأ من حفظه ، فقال مالك : إن كان أحدٌ يفلح فهذا الغلام ، وأصافه وخدمه بنفسه ، ثم رجع إلى مكة ، وعلم بها العربية والفقه ، وصحح عليه الأصمعي شعر الهذليين ، ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ هـ ، فاجتمع عليه علماءها وأخذوا عنه ، وفي سنة ١٩٩ هـ ، أو سنة ٢٠٠ هـ خرج إلى مصر وسكن القسطنطينية فكانت دار هجرته ، وبها أملى مذهبه يجامع عمرو ، وتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ .

الإمام أحمد بن حنبل

هو الإمام الصابر المحتسب أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني . ولد ببغداد من سلالة عربية . سنة ١٦٤ هـ ، فتعلم وطلب الحديث وسمع من أئمة وقته ، حتى حفظ مئات الألوف من الأحاديث ، واختار منها ثبوتاً وأربعين ألف حديث ضمنها كتابه (المسند) واستنبط مذهبه من السنة مشوباً بشيء من القياس والرأي ، وظهرت في مدته فتنة (خلق القرآن) فامتحن بها في

مجلس المعتصم ليجيبهم إلى القول بخلق القرآن ، فلم يفعل ، فضرب حتى أغشى عليه ، وبقي مدة مريضاً ، ثم عُوفي واشتغل بالعلم والتعليم ببغداد - حتى مات سنة ٢٤١ هـ .

علم الكلام

كان السلفُ الصالح من الصحابة والتابعين يستدلون على عقائدهم بظواهر الكتاب والسنة ، وما رقع فيها من المتشابه ، أو أوم التشبيه المنافي لتنزيه المعبود توقّفوا فيه خوف أن يحيد بهم فهمهم في التأويل عن القصد غير أن ذلك لم يقنع من دخل في الإسلام فكثرت جدّ لهم ، واضطر العلماء أن يعارضوهم ، وساعدهم الخلفاء ، وأولهم المهدي الذي حرضهم على تدوين علم الكلام «التوحيد» فافترق المرضي عن مذهبهم من علماء الكلام فرقتين ، فرقة اعتقدت ما يقرب من مذهب السلف وسمّوا الجماعة (أو أصحاب الحديث) ، وفرقة اعتزلتها وخالفوها في بعض المسائل وسمّوا المعتزلة (أو أصحاب العدل ، وجرى رجال الحكومة العباسية على هذا المذهب ونصروه ، حتى ظهر أبو الحسن الأشعري فألف مذهب الكلامي الذي سمي بعدُ بمذهب الأشاعرة ، وغلب على كل مذهب سواه إلا بعض مذاهب قليلة كمذاهب الشيعة ، وبقي كثير منها إلى الآن ، ومذاهب الخوارج وبقي منهم إلى عصرنا بقية في الجبل الأخضر من برقة ، وفي جزيرة جربة على ساحل تونس وبلاد البحرين .

أبو الحسن الأشعري

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ ونشأ بها ، وأخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ، وتبعه في الاعتزال ، واحتج له حتى صار لسان المعتزلة أكثر من ثلاثين عاماً ، ثم هداه البحث أخيراً فرأى أن كلا الفريقين من هؤلاء

ومن المعتزلة غالب في نظره ، فستوسط ، وتغيب عن الناس مدة ألف فيها كتبته في 'نصرة أهل السنة' ، والرد على أكثر عقائد المعتزلة ، وكان شافعي المذهب .
'نوفي سنة ٣٢٤ - ومن نصر مذهب الفخر الرازي ، وقاربه في مذهبه القاضي أبو منصور الماتريدي .

الامام الغزالي

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي ، حجة الإسلام ، ولد سنة ٤٥٠ هـ ونشأ بطوس وتعلم بها مبادئ العلوم ، ثم رحل إلى نيسابور ، ولازم إمام الحرمين الجويني ، وهو يؤمن بعالم الشافعية في الشرق ، فما زال يتلقى عنه العلم حتى صار من أكابر متكلمي الأشاعرة وفقهاء الشافعية ، ولما مات الجويني ذهب إلى بغداد ولقي الوزير نظام الملك صاحب المدرسة النظامية الشهيرة وناظر بحضرته العلماء فظهر عليهم ، وأقر له فحول العراق بالفضل ، فتولى التدريس بالمدرسة النظامية أربع سنوات - ثم حج وذهب إلى الشام يدرس ويسمح لزيارة بعض مشاهد أنبيائها ، ثم دخل مصر وأقام بالاسكندرية مدة ثم عاد إلى وطنه طوس ، واشتغل بتأليف الكتب الجليلة وفي مقدمتها كتاب 'إحياء علوم الدين' ثم ألزم التدريس بنيسابور ، ثم عاد إلى وطنه حيث مضى بقية عمره بين التدريس وروعة الصوفية وعمل البر ، ثم مات بالطائبران قسبة طوس سنة ٥٠٥ هـ .

نشأة العلوم الكونية المنقولة

وترجمتها وأشهر مترجمين والمشتغلين بها

وكانت تسمى علوم الفلفة والحكمة وتشمل أربعة علوم : المنطق ، والطبيعيات ، والرياضيات ، والإلهيات ، وتشمل الطبيعيات علم الطبيعة ، والكيمياء ، وفن المواليد الثلاثة ، والطب والصيدلة والفلاحة .

وتشمل الرياضيات : علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات (الميكانيكا) وعلم الفلك الشامل للهيئة والتنجيم ، ومن متعلقاته علم الجغرافيا والرياضة ، ويلحق بهذه العلوم علم السياسة وتدبير المنزل والمال وعلم الأخلاق وفنون الموسيقى .

وتشمل الإلهيات علم ما وراء الطبيعة من الرؤى وحانيات والمدرجات العقلية كالبحث عن صفات الخالق والقوى النفسية والجن والملائكة ، ونحو ذلك .

وهذه العلوم فطرية في الإنسان من حيث إنه متفكر متمدين لا تختص بها أمة دون أخرى ، فكان الاشتغال بها ضرورياً لكل أمة أصبحت ذات حضارة ، ولذا ترجم المسلمون بعضها في عصر بني أمية ، واستقدم المنصور العباسي ، كثيراً من الأطباء والمترجمين ، فترجموا له كتب اليونان والفرس والهنود في الطب والفلك والسياسة .

ولما مات المنصور فتر أمر الترجمة إلى زمن الرشيد والبرامكة فحثوا العلماء على ترجمة الكتب اليونانية ، وصححوا بعض ما ترجم زمن المنصور .

ثم جاء عصر « المأمون » فزخرت بحور الترجمة ، وبعث إلى بلاد الروم جماعة من المترجمين كابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة والحجاج بن مطر وحنين ابن إسحاق ، فاختروا كتباً أحملوها إلى بغداد وُترجمت ، وتعلمها الناس وصححوا أغلاطها ، واستدر كوا عليها . ولم يمض قرن من تأسيس الدولة العباسية حتى برع المسلمون في هذه العلوم كلها ، وظهر بينهم من الحكماء والفلاسفة من كاد يلحق فلاسفة اليونان ، ومن هؤلاء فيلسوف الإسلام والعرب أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن الصبّاح الكندي ، وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسي ، وبنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحن أشهر رياضيي هذا العصر ، وأول المخترعين من المسلمين في الحيل والهندسة ، ومحمد بن موسى الخوارزمي مخترع علم الجبر والمقابلة ومُذيع الحساب الهندي بين العرب ، ثم ذهب طور الترجمة والتصحيح وتلاه طور التأليف والتكميل والاختراع فأنتج فيه بالحبب المضجج

أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي الحكيم الكبير مخترع آلة الطرب المسماة بالقانون؛ والتي استنبط الأفرنج بمحاكاتها آلة المنزف (البیانو) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، وأبو بكر بن محمد زكريا الرازي الطبيب الكيميائي الشهير المتوفى سنة ١٦١ هـ ، والشيخ الرئيس حكيم المشرق أبو علي الحسين بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، وأبو الريحان أحمد بن محمد البيروني الفلكي الرياضي المقوم المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

وكان لدولة الفاطميين في مصر اشتغال بهذه العلوم ، فاشتهر في دولتهم في الفلك والرياضيات ابن يونس ، وفي الطب ابن رضوان وغيرهما .

ولم يُعنَ أهل الأندلس بهذه العلوم عناية أهل المشرق ، وأشهرُ مَنْ نبغ منهم فيها أبو الوليد القاسي أحمد بن رشد ، وأبو القاسم الزهراوي ، ومن كتب هؤلاء الأغة وأمثالهم اقتبس أهلُ أوروبا كثيرًا من أصول مدنياتهم الحاضرة .

الشعر والشعراء

قد كان للشعر عند الخلفاء والوزراء والقواد سوقٌ نافعة ، حتى عند رؤساء الأعاجم من الديلم والترك ، ودام كذلك إلى انتهاء الدولة العباسية ، وهذه العناية العظيمة بل وكثرة قائليه تفنن الناس وأدخلوا عليه فنونًا لم تُعهد فيه واستعملوه في كل غرض حتى التعبّد به ، وتشكل أسلوبه ، وتنوعت معانيه بما يُطابق أغراض استعماله .

ولم يقتصر الشعر على الموالي في صدر الدولة العباسية كالكتابة بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من أعراب البادية أحيانًا ، ومن سلاسل العرب بالأمصار أخرى ، غير أن بضعةً من فحول صدر الدولة كانوا موالي مثل بشار ، وأبي نواس ، ومسلم وأبي العتاهية ، وابن الرومي .

ومن أشهر شعراء الأمصار من العرب أبو تمام ، والبحتري ، وابن المعتز ، والمتنبي

وأبو فراس وأبو العلاء المعري ، وابن هانئ الأندلسي ، والشريف الرضي .

(١) بشار بن برد

هو أبو معاذ بشار المرعشي بن برد ، أشعرُ مخضرمي الدولتين ، ورأس الشعراء المحدثين ومهد طريق الاختراع والبديع للمتقنين ، وأحد البلغاء المكفوفين وأصله من فارس طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة ، فنشأ بشار فيهم ، واختلف إلى الأعراب الضاريين بالبصرة ، حتى خرج نابغة زمانه في الفصاحة والشعر ، وكان أكمه مجدور الوجه ، قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخم الجثة ، متوقد الذكاء لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة ، ولا يالف ولا يؤلف .

شعره : قد أجمع رواة الشعر ونقده على أن بشاراً هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى معاطاة البديع ، وطرق أبواب المحون والخلاعة والغزل والهجاء ، وأنه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ، وفتق عن المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة ، حتى عُدَّ شعره برزخاً بين الشعر القديم والحديث ، ومجازاً يعبر عليه الشعر من مرابع البداوة إلى مقاصير الحضارة ومات مقتولاً سنة ١٦٧ هـ ، ومن شعره في المشورة والحكم والنصائح قوله :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعين برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخواني قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الفيل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينى للضعيف ولا تكن تؤوماً فإن الخير ليس بنائم
وقوله :

ظل اليسار على العباس ممدود وقلبه أبداً بالبخل مسعود
إن الكريم ليخفي عنك عسرتة حتى تراه غيباً وهو مجهود
وللخبيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود
إذا كرهت أن تعطي القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود

بُثَّ النِّوَالُ وَلَا تَمْنَعُكَ قَلْتُهُ فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمودُ
وقال :

إذا كنت في كلِّ الأمور مُعَاتِباً صديقك لم تلقِ الذي لا تُعَانِبُهُ
فَعَشْ واحداً أوِ صِلْ أخاك فإنه مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَهُجَانِبُهُ
إذا أنت لم تشرب مرَّاراً على القَنْدِي ظمئت وأي الناس تصفو مشاربُهُ
وقال :

خَلِيلِي إِنْ الْمَالَ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَنْبَلْ مِنْهُ أَخٌ وَصَدِيقُ
وَكُنْتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَحَلَّةٌ تَيَمَّمْتُ أُخْرَى مَا عَلَيَّ مُضِيقُ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ لَهُ فِي التَّقَى أَوْ فِي الْحَامِدِ سُوقُ
وَمَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنْ مَتَعَفِّهِ وَلَكِنْ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ تَضِيقُ

(٢) أبو نواس

هو أبو علي الحسن بن هانئ ، الشاعر المتفنن ، والجادُّ الماجن ، صاحب
الصيت الطائر ، والشعر السائر ، ورأس المحدثين بعد بشرار ، وهو فارسي
الأصل ، ولد بقرية من كورة خوزستان سنة ١٤٥ هـ ، ونشأ يتيماً ، فقدمت به
أمه البصرة بعد سنتين من مولده ، فتعلم العربية ورغب في الأدب ، فلم تنعأ أمه
بجالة وأسلمته إلى عطار بالبصرة فمكث عنده لا يفتر عن مُعَانَاة الشعر ، إلى أن
صادفه عند العطار (والبة بن الحباب) الشاعر الماجن الكوفي ، في إحدى
قدماته إلى البصرة ، فأعجب كل منها بالآخر ، فأخرجه والبة معه إلى الكوفة
فبقي معه ومع ندمائه من خلعاتها ، وتخرج عليهم في الشعر وفاقهم جميعاً ،
وقدِمَ ببغداد فبلغ خبره (الرشيد فأذن له في مدحه فمدحه بقصائد طنانة ، ثم
انقطع إلى مدح محمد الأمين الخليفة العباسي ، وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره
فسجنه ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد عام ١٩٨ هـ وكان أبو
نواس جميل الصورة ، فكه المحضر ، كثير الدعابة ، حاضراً البديهة ، متيناً في
اللغة والشعر والأدب .

شعره : أجمع أكثر علماء الشعر ونقّده وفحول الشعراء على أن (أبا نواس) أشعر المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفنّناً وأبدعهم خيالاً ، مع دقة لفظ ، وبديع معنى وأنه شاعر مطبوعٌ برّز في كل فن من فنون الشعر ، وامتاز بقصائده المخريات ، ومقطعاته المجونيات ، وأراجيزه الطرديات (أقواله في تبكيه إلى الصيد ومطاردته) وكان شعره لقاح الفساد ، والقذوة السيئة لمفسد الغزل من أوصاف المؤنث إلى المذكر وإبداعه في وصف الحمر ، فكان نموذج سوء لمن تأخر ، ومن ذلك قوله :

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللُّومَ إِغْرَاءُ وداوني بالتي كانت هي الدَّاءُ
صفراءُ لا تنزلُ الأحزانُ ساحتها لو مسّها حَجَرٌ مَسَتْهُ سَرَاءُ
رَقِيتُ عَنْ الْمَاءِ حَقِي مَا يَلَاثِمُهَا لطافاً ، وجفا عن شكلها الماءُ
فلو مزَجْتِ بِهَا نوراً لَمَارَجَهَا حتى تُولدَ أنوارُ وأضواءُ
ومن قوله لما حضرته الوفاة :

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فلقد علمتُ بأن عَفْوِكَ أعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ ؟
أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعاً فإذا رَدَدْتَ بِيدي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ ؟
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وجميل عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

(٣) مسلم بن الوليد

هو صريع القَوَانِي أبو الوليد مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ ، أحد الشعراء المفلّحين ، قال الشعر في صباه ، ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء ، مكتفياً بما يناله من قليل الغطاء ، ثم انقطع إلى يزيد بن يزيد الشيباني قائد الرشيد ، ثم اتصل بالخليفة (هرون الرشيد) ومدحه ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه ، ولما أصبح الحلّ والعقد بيد ذي الرّياستين (الفضل بن سهل) وزير المأمون في أول خلافته قرّبه وأدناه وولاه أعمالاً يجرّحان ، ثم الضياع بأصبهان ، واكتسب

منها مئات الألوف وأنفقها في لذاته وشهواته ، ولما مات الفضلُ لزم منزله ونسكٌ ، ولم يمدح أحداً حتى مات يجر جان سنة ٢٠٨ هـ .

شعره : أول من تكلف البديع في شعره ، واستكثر منه في قوله ، ومزجَ كلام البدويين بكلام الحصريين ، فضمنه المعاني اللطيفة ، وكساه الألفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ، ورقة الحصريين .

ومن جيد قوله يمدح داود بن يزيد المهلبى :

نفسى فداؤك يا داودُ إذ علقتُ أيدي الردى بنواصي الضمير القودِ
تجودُ بالنفس إن ضمنَ الجواد بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ
وقوله :

دلت على عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهرُ مما كان أعطاني
ما كنت أدخِرُ الشكوى لحادثة حتى ابتلى الدهر أسراري فأشكاني

(٤) أبو العتاهية

هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد ، أطلع أهل زمانه شعراً ، وأكثرهم قولاً ، وأسهم لفظاً ، وأسرعهم بديهة وارتجالاً ؛ وأول من فتح للشعراء باب الوعظ والتزهيد في الدنيا ، والنهي عن الاغترار بها ، وأكثر من الحكمة .

ولِدَ بعين التمر قرب الأنبار سنة ١٣٠ هـ ، ونشأ بالكوفة في عمل أهله وكانوا باعة جرار ، إلا أنه رباً بنفسه عن عملهم ، وقال الشعر في صباه وامتزج بلحمه ودمه ، فذاع صيته وسلك طريق خُلعاء الكوفة ، ثم قدم بغداد ومدح المهدي ، ثم عرّضت له حالٌ امتنع فيها عن قول الشعر ، حتى حبسه الرشيد لعدم تلميحته ما اقترحه عليه من القول فيه ، ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبته ، وعاد إلى قول الشعر على عادته ، وترك الغزل والهجاء وبقي على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون ، حتى مات سنة ٢١١ هـ ببغداد .

شعره : يمتاز بالسهولة المتناهية بالنسبة لأهل عصره ، ومن قوله يمدح المهدي

أتمه الخلافة • مُنْقَادَةً إِلَيْهِ 'تَجَرَّرَ أَذْيَالُهَا
فَلَمْ تَكْ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكْ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزَلَزَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا
وَلَوْ لَمْ تَطْعَمْهُ بَنَاتُ الْقُلُوبِ بَلَّمَا قَبِيلَ اللَّهِ أَعْمَالَهَا
وَأِنْ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَغْضٍ لَا إِلَيْهِ لِيُبَغِضَ مِنْ قَالَهَا

وكتب على البديهة في ظهر كتاب :

أَلَا إِنَّا كُلُّنَا بَائِدٌ وَأَيُّ بَنِي آدَمَ خَالِدٌ
وَبَدْوُهُمْ كَانَ مِنْ رَبِّهِمْ وَكُلٌّ إِلَى رَبِّهِ عَائِدٌ
فِيَا عَجَبًا كَيْفَ يُغْضَى إِلَهُ أَمْ كَيْفَ يُجْحَدُ الْجَاهِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدٌ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

(٥) أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، أسبق ثلاثة الشعراء الذين سارت
بذكرهم الرُّكبان ، وخلد شعرهم الزمان ، ثانيهم البُحْثَرِيُّ ، وثالثهم المتنبي .

ولد من سلالة عربية سنة ١٩٠ هـ بقرية جاسم من أعمال دمشق ، ونُقِلَ صَغِيرًا
إلى مصر ، فلشأ بها فقيرًا ، وكان يسقي الماء بالجرَّة في جامع عمرو ، وتعلم العربية
وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ونسخ في قوله ، ثم خرج إلى مقر الخلافة
فمدح المعتصم وحظيَّ عنده ، ومدح وزيره محمد بن الزيات ، والحسن بن وهب ،
الذي ولاه بريد الموصل فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ هـ .

شعره : يعدُّ أبو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين ، انتهت إليه معاني
المتقدمين والمتأخرين ، وظهر والدنيا قد ملئت بترجمة علوم الأوائل وحكمها

من اليونان والفرس والهند، فحَصَفَ عقله وَلَطَّفَ خياله بالاطلاع عليها، وهو الذي مهد طريق الحسك والأمثال للمتنبى وأبي العلاء وغيرهما، ولذلك كان يقال: إنَّ أبا تمام والمتنبى حكيمان، والشاعر هو البحتري

وأجاد أبو تمام في كل فن من فنون الشعر، أما مرثيته فلم يعلّق بها أحدٌ جاش صدره بشعر، وأشهرها القصيدة التي رثى بها محمد بن حميد الطائي، ومنها:

كذا فليجِلْ الخطبُ وليفدَحْ الأمرُ	فليسَ لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عذُرُ
تَوَفَّيتِ الآمالُ بعدَ محمدٍ	وأصبح في شُغلٍ عن السفرِ السفرُ
وما كان إلا مالَ مَنْ قَلَّ ماله	وذخراً لمن أَمسى وليس له ذخِرُ
وما كان يدري مُجْتَنِدِي جُودَ كفه	إذا ما استهلَّتْ أنه خُلِقَ السُرُ
ألا في سبيلِ اللهِ مَنْ عَطَلَتْ له	فِجَاجِ سبيلِ اللهِ وانثَغَرَ الثَغَرُ
ففي كلِّها فاضَتْ عيُونُ قَبِيلَةٍ	دماً ضحكت عنه الأحاديثُ والذِكرُ
ففي دهره شطران فيما ينوبُه	ففي بأسِه شطرٌ وفي جوده شَطَرُ
ففي مات بين الطعن والضرب ميتة	تقوم مقام النصرِ إن فاته النصرُ
وماماتٍ حتى ماتَ مَضْرِبُ سيفِه	من الضربِ واعتلت عليه القَتَا السُّنُورُ
وقد كان فوتُ الموتِ سهلاً فرَدَّه	إليه الحِفاظُ المرُّ والخَلِيقُ الوَعَرُ
ونفسٌ تَعافُ العارَ حتى كأنما	هو الكفرُ يومَ الرُّوعِ أو دونَه الكُفَرُ
فأثبت في مُسْتَنْقَعِ الموتِ رِجْلَه	وقال لها من تحت أَخْصِيكِ الحِشْرُ
غداً غُدُوَّةٌ والحمدُ نسجُ رِداثه	فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجرُ
تردَّى ثيابَ الموتِ حمراً فما دجا	لها الليلُ إلا وهي من سُنْدُسٍ خضرُ

(٦١) البحتري

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي - أشعر الشعراء بعد أبي نواس

وُلد سنة ٢٠٦ هـ بناحية مَنبُيج في قبائل طيء وغيرها من البدو الضَّارِبين في شواطئ الغرات - ونشأ بينهم فغلبيت عليه فصاحة العرب ، ولازم وهو فقياً أبا تَمَّام وعليه تخرج ثم خرج إلى العراق وأقام في خدمة المتوكل والفتح (ابن خاقان) محترماً عندهما إلى أن قُتل في مجلس كان هو حاضره ، فرجع إلى مَنبُيج بين أعراب طيء ، وبقي يختلف أحياناً إلى رؤساء بغداد ، وسُرَّ من رأى ، حتى مات سنة ٢٨٤ هـ .

وكان على فَضله وفَصاحته من أنجَل خلق الله وأقْدَرهم ثوباً ، وأكثرهم فخرأ بشعره - حتى كان يقول إذا أعجبته شعره (أحسنتُ والله !) ويقول للمستمعين مالكم لا تقولون أحسنت . والكثير على أنه لم يأت بعد أبي نواس من هو أشعر منه .

شعره - كله بديع المعنى ، حسن الدِّباجة ، صقيل اللفظ سلس الأسلوب كأنه سيلٌ ينحدر إلى الأسماع مجَّوداً في كل غرض سوى الهجاء - ولذلك اعتبره كثير من أهل الأدب هو الشاعر الحقيقي واعتبروا أمثال أبي تَمَّام والمتنبي والمعري حُكَّاء ، ولسهولة شعره ورقته كان أكثر الأصوات التي يتغنَّى بها في زمنه من شعره المطبوع في ديوان حافل . ومن قوله يمدح الخليفة المتوكل ويصف موكب خروجه لصلاة عيد الفطر :

بالبر صممت وأنت أفضل صائم	وبسنة الله الرضية نفطر
فانعم بيوم الفطر عيداً إنه	يوم أغر من الزمان مشهر
أظهرت عز المليك فيه يحفل	لحب يحاط الدين فيه ويُنصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت	عُدداً يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تنصهر والفوارس تدعي	والبيض تلمع والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بثقلها	والجود معتكر الجوانب أغبر

والشمس طالعة توفد في الضحى
حق طلعت بضوء وجهك فأنجلت
فافتن فيك الناظرون فاصبغ
يحدون رؤيتك التي فازوا بها
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا
حق انتهت إلى المصلى لابساً
ومشيت مشية خاشع متواضع
فلو ان مشتاقاً تكلف فوق ما
أبدت من فصل الخطاب بحكمة
ووقفت في برد النبي مذكراً
طوراً ويطفئها العجاج الأكدراً
تلك الدجى والنجاب ذاك العنسيراً
يوماً إليك بها وعين تنظر
من أنعم الله التي لا تكفر
لما طلعت من الصفوف وكبروا
نور الهدى يبدو عليك ويظهر
لله لا يزهي ولا يتكبر
في وسعه لسعي إليك المنسبر
تنبي عن الحق المبين وتحبر
بالله تنذر تارة وتبشر

(٧) ابن الرومي

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي مؤلف بني العباس ، الشاعر
المكثر المطبوع ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، والمعاني الخترعة
والأهاجي المقدرة

وُلد ببغداد سنة ٢٢١ هـ ونشأ بها ، وأقام كل حياته بها وكان كثير التطير
جداً وكان القاسم بن عبيد الله وزير المعتز يخاف هجوه وقلبات لسانه ، فسلط
عليه من دس له السم في الدسم إلى أن مات سنة ٢٨٣ هـ ببغداد .

شعره - قال الشعر في كل غرض ، ولا سيما الوصف والهجاء ، ونسبغ في الشعر
نبوغاً لم يقصر به كثير أعز درجة البحتري ، وربما فاقه في اختراع المعاني
النادرة أو توليدها من معاني من سبقه بشكل جديد ، ووصفها في أحسن قالب .
ومن جيد قوله :

ولإذا أمرؤ مدح أمراً لنواله وأطال فيه فقد أطال هجاءه
لو لم يُقدّر فيه بُعد المستقى عند الورود لما أطال رِشاه

(٨) ابن المعتز

هو أبو العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي أشعر بني هاشم وأبرع الناس في الأوصاف والتشبيهات .

وُلد سنة ٢٤٩ هـ في بيت الخلافة وتربى تربية الخلفاء وأخذ عن المبرد وثلعب ومهرّ في كل علم يعرفه أئمة عصره ، وفلاسفة دهره ، حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كتّابها ، وعملوا على أن لا يقلدوه الخلافة ، خشية أن يكف أيديهم عن الاستبداد بالملك ، ولوا المقتدر صبيّاً ، ثم حدثت فتنة عظيمة ، فتسرع محمد بن داود بن الجراح وجمع العلماء وخلعوا المقتدر ، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة ، فلمّا رأى غلمان المقتدر أن الأمر سيخرج من أيديهم تأمروا على قتله ، وخُنق من ليلته سنة ٢٩٦ هـ وشعره - سهل العبارة مع رشاقة وقلة تكلف وتصنع - يعرف فيه نضرة النعيم .

(٩) أبو الطيب المتنبي

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي المتنبي الشاعر الحكيم ، صاحب الأمثال السائرة ، وخاتم الثلاثة الشعراء ، وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ في محلة كندة ، ونشأ بها ، وأول ما تعلم الشعر من صباه وخرج إلى بادية بني كلب فأقام بينهم مدة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة فمظّم شأنه بينهم ، حتى وشى بعضهم إلى لؤلؤ أمير حمص من قبيل الأخشيديّة بأن أبا الطيب ادّعى النبوة في بني كلب ، وتبعه منهم خلق كثير ، ويخشى على ملك الشام منه ، فخرج لؤلؤ إلى بني كلب وحاربهم ، وقبض على المتنبي وسجنه طويلاً ثم استتابه وأطلقه .

فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبي مع كراهته له ، ثم تكسب بالشعر مدة انتهت بلحاقه بسيف الدولة ابن حمدان ، فمدحه بما خلد اسمه أبدا الدهر .

ثم قصد كافورا الأخشيدي أمير مصر ومدحه ، ووعدته كافور أن يقلده إمارة أو ولاية - ولكنه لما رأى تفاليه في شعره وفخره بنفسه عدل عن أن يوليه ، وعاتبه بعضهم في ذلك فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ أما يدعي المملكة بعد كافور ؟ فحسبكم - فعاتبه أبو الطيب واستأذن في الخروج من مصر فأبى ، فتغفله ليلة عيد النحر سنة ٣٥٠ هـ - وخرج منها يريد الكوفة - ومنها قصد عضد الدولة ابن بويه بفارس ماراً ببغداد فمدحه ومدح وزيره ابن العميد فأجزل صلته وعاد إلى بغداد ، وخرج إلى الكوفة فخرج عليه أعراب بني ضبة وفيهم فاتك بن أسد وكان المتنبي قد هجاه هجاء مقذعاً ، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل المتنبي وابنه وغلّاه سنة ٣٥٤ هـ .

شعره - لا خلاف عند أهل الأدب في أنه لم يبلغ بعد المتنبي في الشعر من بلغ شأوه أو دانه ، والمعري على بعد غوره ، وفرط ذكائه ، وتوقد خاطره ، وشدة تعمقه في المعاني والتصورات الفلسفية يعترف بأبي الطيب ويقدمه على نفسه وغيره ، ويؤخذ هذا من قوله :

إدرايتَ نيوبَ الليثِ بارزة	فلا تظنن أن الليثَ يلبسُ
أعيدُها نظراتِ منك صادقة	أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي	وأسمعتُ كلماتي من به صمم
وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظره	إذا استوت عندهُ الأنوارُ والظلم
يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم	وجداننا كلُّ شيء بعدكم عدم
إن كان سرُّكم ما قال حاسدنا	فما لجرح إذا أَرْضاكم ألم

وبيننا لو رَعَيْتُمْ ذاك معرفة إن المعارف في أهل النشء ذِمَمُ
كم .تطلبون لنا عيباً فيعجزكم وَيَكْرَهُ الله ما تَأْتُونَ والكَرَمُ
إذا تَرَحَّلْت عن قوم وقد قَسَدَرُوا أَلَا تُفَارِقُهُم فالرَّاحِلُونَ هُمُ

وقوله :

ذو العَقْلِ يَشْقَى في النعم بمَعْقِلِهِ وَأَخْضُوا الجِهَالَةَ في الشقاوة ينعمُ
لا يَخْدَعُنكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ وارحم شَبَابَكَ من عَدُوٍّ تَرَحَّمُ
لا يَسْلَمُ الشرف الرَفِيع من الأذى حق يُرَاق على جوانبه الدَّمُ
والظلمُ مِنْ شِمِ النفوس فإن تجد ذا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ
وَمِنَ البليَّةِ عَذل من لا يَرْعَوِي عن غِيَةِ وخطابُ من لا يَفْهَمُ
وَمِنَ العداوةِ ما يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنَ الصَّدَاقَةِ ما يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ

وقوله :

ما كنت أَحْسِبُ قَبْلَ دَفْنِكَ في الثرى أن الكواكِبَ في الترابِ تَمُورُ
ما كنت أَمَلُ قَبْلَ نَعَشِكَ أن أرى رَضُوَى على أيدي الرِّجَالِ يَسِيرُ
خَرَجُوا بِهِ وَالْكَلُّ بِالْكَ حَوْلَهُ صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ ذَلِكَ الطُورُ
حتى أَتَوْا جَدًّا كَأَنَّ ضَرْبَهُ في 'كَلِّ' قَلْبٍ مُوجِدٍ مَحْفُورُ
كفل الثناءُ له يَرِدُ حَيَاتِهِ لَمَّا انطوى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ

(١٠) ابن هانيء الأندلسي

هو القاسم محمد بن هانيء الأزديُّ الأندلسي ، شاعرُ الغرب ومتنبئيه .
وُلِدَ بِأشبيلية سنة ٣٢٦ هـ ولما نبه شأنه اتصل بعامِلِ إشبيلية زمن المستنصر
الأموي ، ومدحه بفرر القصائد ، فأحله منزلة سنية ، وأغدق عليه العطايا ،
فأكبَّ على اللِّثْو والطرب والاستمثار ، واتسم بالزندقة والكفر لاشتغاله
بالفلسفة .

ولما شاع ذلك عنه نغم عليه أهل إشبيلية ، وأشركوا عاملها في التهمة ،

وكادوا يهيمون به ، فأشار عليه بالهجرة من إشبيلية ، فاجتاز البحر إلى عدوة المغرب ، ومدح ولاته من قبل المعز الفاطمي ، ثم نمي خبره إلى المعز فوجه في طلبه ، فوفد عليه بإفريقية ، ومدحه فاصطفاه واتخذ شاعر دولته .
ولما فتح جوهر مصر ، وبني القاهرة ، ورحل إليها المنصور ليتخذها دار ملكه شيعه ابن هانيء ، ورجع لأخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه ، ولما وصل إلى برقة مات بها سنة ٣٦٢ ، وعمره ٣٦ سنة .

شعره : لم ينبغ في شعراء جزيرة الأندلس ولا بر المغرب جميعه من يفوق « ابن هانيء » في صناعة الشعر أو يساويه ، فقد كان عندهم في الشهرة والإجادة وشرف الشعر بمنزلة المتنبي عند المارقة ، ومن قوله في وصف الخيل :

وصواهيل لا الهضب يوم مغارها هضب ولا البسد الحزون حزون
عُرِفَتْ بساعة سبقها لا أنها عَلِقَتْ بها يوم الرهان عيون
وأجل علم البرق فيها أنها مَرَّتْ بجاحتيه وهي ظنون
ومن قوله الموم الكفر في مطلع قصيدة يدح بها المعز :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

(١١) أبو العلاء المعري

هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري التميمي ، الشاعر الفيلسوف ولد بمعرة النعمان سنة ٣٦٣ ، وجدر في الثالثة من عمره فكف بصرد وتعلم على أبيه وغيره من أئمة زمانه ، وكان يحفظ كل ما يسمعه من مرة واحدة ، وقال الشعر وعمره إحدى عشرة سنة ، ودخل بغداد ، وأقبل عليه السيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ إقبالا عظيما ثم جفاه ، ولما رجع إلى المعرة أقام ولم يبرح منزله ، ونسك وسمى نفسه رهن الحبسين : (محبس العمى ، ومحبس المنزل) وبقي فيه مكربا على التدريس والتأليف ، ونظم الشعر مقتنعا بمشرات من الدنانير في العام يستغلها من عقار له ' محسوبا ' أكل الحيوان وما

يُخرجُ منه مدة ٥٠ سنة مُكتفياً بالنبات والفاكهة والدّبس ، مُتعللاً بأنه فقير ، وأنه يرحم الحيوان . وعاش عَزَباً . وعُمِّرَ إلى أن مات سنة ٤٤٩ هـ من الهجرة بالمرّة وأوصى أن يُكتب على قبره :

هذا جَنَاهُ أَبِي عَلِيٍّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ

شعره : وله كثيرٌ من الشعر يُناقضُ بعضه بعضاً في حقيقة العالم والشرائع والمعبود ، وللناس في اعتقاده أقوالٌ كثيرة ، والظاهر أنه كان شاككاً متحيّساً ، وهو أحكم الشعراء بعد المتنبي ويُفضل عليه في الغريب والأخيلة الدقيقة والطبيعات والاجتماعيات والأخلاق ، والقوانين ونظام الحكومات ، والفلسفة والشرائع والأديان ، ولذلك يفضلهُ الإفرنج عليه ، وهو في هذه الأمور معدوم النظر ، ومن مرائيه الجيدة قوله :

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نَسُوخُ بَالِكٍ وَلَا تَرَنَّمُ شَادٍ
وَشَبِيهُ صَوْتِ النَّعْمَى إِذَا قَيْسَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ
أَبَسَكْتُ تِلْكَ الْمَهَامَةَ أَمْ غَسَّتُ عَلَى فَرْعٍ غُصْنَهَا الْمِيَادِ
صَاحَ هَذَا قَبُورُنَا تَمَلُّ الرُّحْبَ فَأَيْنَ الْقُبُورِ مِنْ عَهْدِ عَادِ
خَفَقَ الْوَطْءُ مَا أَظَنَّ أَدِيمَ الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
وَقَبِيحٌ بَنَّا وَإِنْ قَدَّمُ الْعَهْدُ هَوَانَ الْآبَاءِ وَالْأَجْسَادِ
سِرٌّ إِنْ اسْطَعْنَتْ فِي الْهَوَاءِ رَوِيداً لَا اخْتِيَالاً عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ
رَبِّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لِحْدُاً مَرَاراً ضَاحِكٍ مِنْ تَرَاحُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ
فَاسْأَلِ الْفَرَقْدَيْنِ عَمَّنْ أَحَسَا مِنْ قَبِيلِ وَأَنْسَا مِنْ بِلَادِ
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ وَأَنَارَا الْمَدْلِجَ فِي سَوَادِ
تَمَعَّبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبُ إِلَّا مَنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ
إِنَّ حُزْنَنا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
خَلَقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ

إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَالٍ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رِشَادٍ
ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقَنْدَةٌ يَسْتَرِيحُ السَّجْمُ فِيهَا وَالْمَيْشُ مِثْلَ الشَّهَادِ
وَمِنْهَا :

بَانَ أَشْرُ الْإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادٍ
وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جِمَادٍ
فَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَرُّ بِكَوْنِهِ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ
وَلَهُ :

ضَحَكْنَا وَكَانَ الضَّحْكُ مِثْلَ سَافَاهَةٍ وَحَقٌّ لِسُكَّانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا
'تَحْتَطُّمُنَا الْيَوْمَ حَتَّى كَانْنَا زَجَاجٌ' وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكُكَ

(١٢) ابن خفاجة الأندلسي

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خفاجة (شاعر شرقي الأندلس)
وأشهرُ وصاف الطبيعة . وُلِدَ بِجَزِيرَةِ شُقْرٍ مِنْ أَعْمَالِ بِلَنْسِيَّةٍ شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ
سَنَةَ ٤٥٠ هـ ، فَعَلِمَ وَنَظَّمَ الشَّعْرَ ، وَكَتَبَ الرِّسَالَةَ الْإِخْوَانِيَّةَ الْبَلِيغَةَ ، وَمَا
زَالَتْ شَمْسُ أَدَبِهِ فِي صُعُودٍ حَتَّى صَارَ وَاحِدَ زَمَانِهِ فِي الْأَنْدَلُسِ ، وَغَلَبَ عَلَى
شَعْرِهِ وَصْفُ الْحَوَادِثِ الْجَوِيَّةِ ، وَمَنَاظِرُ الطَّبِيعَةِ بِأَخِيلَةٍ جَمِيلَةٍ وَتَشْبِihَاتٍ بَدِيعَةٍ .
وَلَهُ غَزَلٌ رَقِيقٌ ، وَمَدْحٌ بَارِعٌ ، وَرثَاءٌ بَلِيغٌ .

شعره : يمتاز بالجزالة وكثرة المعاني وازدحامها في اللفظ ، حتى يحتاج في
فهمها إلى التأمل على خلاف مذهب الأندلسيين . وتوفي سنة ٥٣٣ هـ .

ومن قوله يصف زهرة :

وَمَائِسَةٌ زُرْهُمِي وَقَدْ خَلَعَ الْحَيَا عَلَيْهَا حُلِيَّ حُمْرًا وَأَدِيَّةَ خُضْرَا
يَذُوبُ لَهَا رَيْقُ الْغَنَائِمِ فَيْضَةً وَيَحْمَدُ فِي أُعْطَافِهَا ذَهَبًا نَضْرَا

وقوله :

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسِ لِلَّهِ دَرَكٌ مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ

ما جَنَّةُ الخُلْدِ إلا في دياركم ولوتخَيَّرْتُ، هذِي كُنْتُ أختَارُ
لا تَحْتَشُوا بعدَ ذَا أن تدخلوا سَقَرًا فليس تُدْخَلُ بعدَ الجنةِ النارُ
وقال في ذم علماء السوء من المسلمين والنصارى :
دَرَسُوا العلومَ لِيَمْلِكُوا يَجِدَالَهُمْ فيها صُدُورَ مراتبٍ ومجالسِ
وتزَهَّدوا حتى أصابوا فرصةً في أخذ مالٍ مَسَاجِدٍ وكنائسِ

(١٣) الطغرائي ١

هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن محمد
الطغرائي ، صاحب (لامية العجم) وهو أصبهاني الأصل ، برع في الكتابة
والشعر حتى كان أوجدَ زمانه ، ولم ينبغ بعده في الشرق من يُضاهيه ، وترقت
به الحال في خدمة سلاطين آل سلجوق إلى أن صار وزيراً للسلطان مسعود بن
محمد السلجوقي صاحب الموصل ، ولما قهره أخوه السلطان محمود كان أول من
اعتقل الوزير أبو إسماعيل الطغرائي ، فدس بعض حسدته من رؤساء الكتاب
إلى السلطان محمود أنه مُلجِد ، فقتله ظلماً سنة ٥١٣ هـ .
ومن شعره لامية العجم المعتبرة من عُيون الشعر ، وقد كان قالها ببغداد
سنة ٥٥٥ هـ .

(١٤) البهاء زهير

هو الوزير الشاعر الكاتب أبو الفضل بهاء الدين زهير بن محمد بن علي المهلبی
الأزدي المصري ، صاحب السهل الممتنع ، والغزل الرقيق والعتاب الرقيق .
وُلد بوادي نخلة قرب مكة سنة ٥٨١ هـ . ونشأ بمصر ببلدة قوص ، ثم اتصل
بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وخرج معه في خدمته إلى بلاد الشام
والجزيرة ، فلما نُكِب الملك الصالح بخيانة عسكره وانضواهم إلى ابن عمه
(١) الطغرائي من يكتب الطغراء (وهي الطرة) وكانت تكتب في الدولة
السلجوقية فوق البسمة بخط معلق فيها نعوت السلطان وألقابه .

الملك الناصر ، صاحب الكرك وقبض على الصالح واعتقله ، حَفَظَ البهاء عهدَ صاحبه ، ولم يخدم غيره ، وأقام بنابلس حتى استردَّ الصالح ملك الديار المصرية فقدم إليها في خدمته واتخذه وزيراً - حتى مات بوباء في شوال سنة ٦٥٦ هـ . شعره - كانت سهولة طباع زهير تفوق سهولة شعره الذي هو أسهل نظماً ولفظاً .

الرواية والرواة

جاءت الدولة العباسية وقد اتسع نطاق الرواية ، واختص كل فريق من الناس برواية شيء فلما دُوِّنت الكتب في عصر الدولة العباسية أفرغ الرواة ما حَفِظُوهُ فيها ، وأخذ أمر الرواية يضمحل شيئاً فشيئاً في أكثر العالوم ، ولا سيما الأدب ثم اقتصر في الرواية على تصحيح النطق والأداء - ولكل علم رُوَاة مشهورون .

وأما رُوَاة الأدب والشعر خاصة فأشهرهم «حماد» الراوية الكوفيُّ و«خلف» الأحمر البصري (وأبو عمرو الشيباني الكوفيُّ ، والسكري البغدادي . ومن رُوَاة الأدب بجميع فنونه لغة وشعراً وأخباراً - أبو عمر بن العلاء وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، والأصمعي ، وأبو زَيْد الأنصاري ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، ومحمد بن سلام الجمحي ، وغيرهم ؛ وهاك ترجمة أشهرهم في الرواية .

الأصمعي

هو شيخ رُوَاة الأدب ، الإمام الثبت الحجة الثقة التقى ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي البصري . ولد سنة ١٢٣ هـ - ونشأ بالبصرة ، فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة البصرة ، وأخذ عن فصحاء الأعراب ، وأكثر الخروج إلى البادية ، وشافه الأعراب وساكنهم ، وتعلم من «خلف الأحمر» نقد الشعر ومعانيه ؛ وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال مرة : إني أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة ، فقال له رجل : «منها البيت والبيتان» فقال : «ومنها المائة والمائتان . وعمر حتى أدرك زمن «المأمون» وأراد وزيره أن يقدمه إليه فاعتذر بكبر السن ، ومات سنة ٢١٦ هـ ، وله مؤلفات كثيرة .

العصر الرابع عصر المماليك التركية : ٦٥٦ - ١٢٢٠ هـ حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

لما اكْتَسَحَ التُّتَارُ ممالك الدولة العباسية افترقوا إلى ممالك متعددة بآسيا وشرقي أوروبا ، ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أسلموا ، وشرعوا يخدمون الإسلام بتقريب العلماء إليهم ، وترغيبهم في التأليف ، فأفاد ذلك في إدامة الحركة العلمية في الجملة ، وإن لم يفد اللغة العربية فائدة تذكر لمسكان العُجْمَة منهم ، أما علوم العربية وآدابها فلم يكن لها مَبَاءةٌ ترجع إليه إلا البلاد العربية كالشام ومصر ، غير أن اللغة التركية العثمانية أصبحت هي اللغة الرسمية للأعمال الدبلوماسية والسياسية في جميع الممالك العثمانية ، فنزاحت اللغة العربية ودخل في اللغة أثناء دولتي المماليك والعثمانيين كثير من الالفاظ التركية والفارسية .

النثر - لغة التخاطب

كادت تحل محل اللغة العامية العربية (في أعالي الجزيرة وشرقي العراق) اللغة الفارسية والتركية والكردية ممزوجة بشيء من الالفاظ العربية . أما في بقية الجزيرة والعراق ومصر والشام فقد بقيت العامية العربية لسان الجميع لغلبة العناصر العربية فيها ، ثم أخذت العناية بها في الانحطاط .

الخطابة

لم تتغير الخطابة عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيث قصورها على خطب الجُمُع والاعياد ، وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات ، وبقيت لغة الخطابة العربية وحدها ، أو مع الترجمة إلى الاعجمية .

الكتابة ، الكتابة الخطية

دَرَجَ الخط في هذا العصر في الطريق التي مهدها ابن مقلة ، وابن البواب

وياقوت المكي ، وياقوت المستعصي ، واستعملت فيه أكثر أنواعه ، وما زال الخط يجري في مضماره ، حتى قبضَ على عيَّانه مُكْتَبُو التُّرك العثمانيين ، فأبدعوا في تحسينه بما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق ، ومن أشهرهم الشيخ حمد الله الأماسي إمام الخطاطين العثمانيين ، وجمال الدين ، ودرويش علي ، والحافظ عثمان المتوفى سنة ١١١٠ هـ .

الكتابة الانشائية -- كتابة الرسائل

اتبعت في كتابة الرسائل أثناء العصر طريقة القاضي الفاضل التي أساسها المعاني الخيالية ، والترام السجع والحسنات البديعية ، وعضد هذه الطريقة من كتاب هذا العصر - شهاب الدين محمود الحلبي المتوفى سنة ٧٥٥ هـ - ومحيي الدين ابن عبد الظافر وابن فضل الله العمري وأولاده ، وبقيت هذه الطريقة مرعية في مصر والشام حتى نهاية دولة المماليك ، وصدر حكومة العثمانيين ، ولما غلبت التركية العثمانية على كتابة الدواوين وأصبحت رسمية في الحواضر والأمصار أخذ شأن الكتابة العربية في الاضمحلال

الكتاب

(١) القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عمدا الله الطاهر الجذامي المصري ، ولد سنة ٦٢٠ هـ ، ورَبَّاه والده ، وبرع في كتابة الرسائل ، سلكاً طريقة القاضي الفاضل ، وخدم في ديوان الإنشاء مدة الملك الظاهر بيبرس وولديه ، وبعض أيام المنصور قلاوون ، ويعتبر محيي الدين وابنه محمد فتح الله من واضعي اصطلاح الإنشاء ونظام ديوانه الذي ظلَّ مرعياً في مصر والشام حتى نسخ النظام التركي العثماني ، وتوفي سنة ٦٩٢ هـ ، وله من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يرد على صاحب اليمن في تعزيتة على موت ابنه ، ويظهر التجلد على فقده :

ولنا (والشكر لله) صبرٌ جميلٌ ، ولا نأسفُ معه على فائت ، ولا نأبى على مفقود ، وإذ علم الله (سبحانه وتعالى) حسنَ الاستبانة إلى قَضائِهِ ، والاستمكانة إلى عطائِهِ ، عَوَّضَ كُلَّ يَوْمٍ ما يقولُ المبشرُ به : هذا مولى مولود ، وليست الإبل بأغلظ أكباداً ممن له قلب ، لا يُبالي بالصدّامات كثرت أو قلت ، ولا بالتباريح حقّرت أو جلت ، ولا بالأزمات إن هي تَوَّالت أو تَوَلَّتْ ، ولا بالجفون إن أُلقت ما فيها من الدموع والهجوع وتحلّت ، ويخاف من الدهر من لا حلّ لبِ أشطره ، ويأسفُ على الفائت من لا بات نبياً بالخطوب الخطرة ؛ على أن الفادح بموت الملك الصالح (رضي الله عنه) وإن كان مُنكياً ، والنّافح بِشجْوٍ وإن كان مُبكياً ، والنائح بذلك الأسف وإن كان لنار الأسفِ مذكياً ، فإن وراء ذلك من تثبّيت الله عز وجل ما يَنسفهُ نفساً ، ومن إلهامه الصبرَ ما يحدّدُ لتمزيق القلوب أحق ما به ترفاً ، وبكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ عندنا حسن اقتداء يضرب عن كل رثاء صفحاً .

(٢) شهاب الدين بن فضل الله العمري

هو الشاعر الكاتب المصنّف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محيي الدين يحيى بن فضل الله العمري ، سليل عمر بن الخطاب ، وصاحب كتاب « مسالك الأبصار » ولد بمدينة دمشق سنة ٧٠٠ ؛ وتفقه وتأدّب على أبيه وغيره وتوفي سنة ٧٤٩ هـ ومن إنشائه في وصف (قطّ زباد) من رسالة طويلة : « (وقط الزباد) الذي لا تحكيه الأسود في صورها ، ولا تسمع غزلان المسك بما يخزّنه من عرقه الطيب في سرّرها ؛ كم تمقل في بيوت طابّت موطناً ، ومشى من دار أصحابه فقالوا : (ربّنا عجل لنا قطاً) » .

(٣) لسان الدين بن الخطيب

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي المعروف بلسان

الدين بسن الخطيب وزير بني الأحمر ملوك غرناطة ، وكان وزيراً لأبي الحجاج يوسف وُلِدَ سنة ٧١٣ هـ بمدينة غرناطة ، وتأدب وتفقه واجتمع له من الحكمة والأدب ملكة يبدى بها أدباء الأندلس كتابة وشعراً وتصنيفاً وسياسة ومات مقتولاً سنة ٧٧٦ هـ .

ومن قصار رسائله رسالة في الشوق ، كتبها إلى ابن خلدون ، وهي بعد الديباجة . « أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج » ، وأما الصبر فصل به أية درَج ، بعد أن تجاوزَ اللوى والمنعرج ، لكن الشدة تعشق الفرج ، والمؤمن ينشق من روح الله الأرج ، وأنسى الصبر على إبر الدبر ؟ ومطاوله اليوم والشهر ، حتى حكم القهر ، وهل للعين أن تسلو سلو المقصر ، عن إنسانها المبصر ؟ أو تذهل زهول الزاهد عن سرها الرائي والمشاهد . وفي الجسد مضغة يصلح إذا صلحت ، فكيف حاله إن رحلت عنه ونزحت ؟ وإذا كان الفراق هو الحمام الأول ، فعلام المعول ؟ أعيت مر اوضة الفراق على الراق ، وكادت لوعة الاشتياق أن تفضي إلى السياق :

تركتهموني بعد تشييعكم أوسيعُ أمرَ الصبر عصياناً
أقرعُ سني ندماً تارة وأستمح الدمع أحياناً

التدوين

ألف علماء هذا العصر تأليف جمة أخلقت على العربية بعض ما أباده التتار والصليبيون من الكتب النفيسة . ويرجع أكثر الفصل في ذلك إلى علماء مصر والشام وجالية الأندلس . أما أعاجم المشرق وإن ألفوا في العلوم الإسلامية والفلسفية فإن تأثير بيئتهم الأعجمية جعل كتبهم صعبة التناول ، ضعيفة الأثر .

الأدب

قد كان لأدباء القاهرة من الكتاب السبق في وضع الكتب الجامعة التي

تبحث في عدة علوم أدبية أو ملحقة بها ، ومن هؤلاء : شهاب الدين النويري صاحب نهاية الأرب ، وابن فضل الله العُمَري صاحب مسالك الأبصار ، وشهاب الدين القَلَقَشَندي صاحب صبح الأعشى . ومن أَلَف في الأدب بمناح مختلفة : جمال الدين الوطواط صاحب الغرر والعرر ، وشهاب الدين الحلبي صاحب منازل الأحاب ، وحسن التَّوَسَل إلى صناعة التَّوَسَل ، وشهاب الدين الأَبشيبي صاحب المستطرف ، والنوَّاجي صاحب حَلَبَة الكَيْت .

بقية العلوم الإسلامية

لما أباد التتار بقية العلماء والنحاة في الشرق ، كاد أفق المشرق والشام ومصر يصفر من النحاة وأهل اللغة ، لولا أن تدَارَكها الله بدخول التتار في الإسلام ومعاضدتهم هم والدول التي خَلَفَتْهم للعلم والعلماء ، ويجلاء بعض كبار النحاة واللغويين من الأندلس والغرب قبيلَ حادث تتار وبعده كابن مالك والشاطبي وأبي حيَّان وابن مَنظور الإفريقي ، فجددوا النحو واللغة بمصر والشام ، وتخرج عليهم تلاميذ أفاضل كانوا كواكب العصور المتأخرة فَدَوَّوْا العلم وحفظوه من أن أتى بعدهم من نشأوا في العصور المظلمة .

كتابة التدوين والتصنيف

أما كتابة التدوين فكانت في المتون ونحوها موجزة جداً ، وكانت في الشروح والمطولات مبسطة . ومن أشهر المؤلفين في هذا العصر : ابن خَلِّكان ، وابن خَلْدُون والسيوطي ، وابن مَكْرَم ، والفيرُورَآبادي ، وعز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ وابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . وابن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦١ هـ - ولسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ - وسعد الدين الافتازاني المتوفى سنة ٧٩١ هـ والسيد الجرجاني المتوفى ٨١٦ هـ - والشهاب الحفاجي .

(١) ابن خلكان

هو قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر خلكان الإربلي ، ولد سنة ٦٠٠ هـ بمدينة إربل : وأقام بها إلى سنة ٦٢١ هـ ، ثم رحل إلى حلب ومكث بها سنتين ، ثم عاد إلى دمشق ، وأقام بها مدة ، ثم أقام بمصر ، وتولى القضاء بها وفيها ألف أكثر تاريخه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ثم تقلبت به الأحوال بين مصر والشام - إلى أن مات سنة ٦٨١ هـ . ثم تم عليه محمد بن شاكر الكشي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ كتابه (فوات الوفيات) .

(٢) ابن خلدون

هو عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون ، ولد بتونس سنة ٧٣٢ هـ ، وتلقى العلم والأدب من أبيه ومن أكابر العلماء ، وقرأ الكتب العقلية والفلسفية على بعض حكماء المغرب ، واحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يطر شاربته ، ثم وصل بعد ذلك إلى ملوك بني الأحمر ؛ فحظي عندهم .

وألف تاريخه في خلال أربعة أعوام ، ومقدمته التي لم ينسج أحد على منوالها ثم عزم على الحج ، فدخل مصر سنة ٧٨٤ هـ ، زمن سلطانها بركات ، ثم استقدم أهله وولده من المغرب ، ففرقت بهم السفينة ، فأقام بمصر حزينا ، وجلس للتدريس بالجامع الأزهر ، وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ هـ إلى أن مات سنة ٨٠٨ هـ .

(٣) جلال الدين السيوطي

هو عبد الرحمن جلال الدين بن الإمام كال الدين الخُضيري السيوطي ، ولد سنة ٨٤٩ هـ ، ونشأ يتيما وحفظ القرآن وعمره دون الثمان ، وأخذ العلم عن مشايخ وقته ، وابتدأ في التصنيف وسنه ١٧ سنة ، ثم لازم الأشياخ وطلب العلم في بقاع الأرض ، ونسج في كثير من العلوم ، وتولى التدريس والإفتاء ، ولم يكن أشهر منه في زمنه ، وقد ترك للناس أكثر من ثلاثمائة مصنف وتوفي سنة ٩١١ هـ بالقاهرة .

الشعر

لما كان أكثر الملوك والأمراء في هذا العصر أعاجم بالفطرة كانت ميلهم إلى الشعر العربي غير طبيعي ، ولذلك انقرض الشعر العربي من أواسط آسيا ، وبقيت صباية منه بالعراق والجزيرة ، وبقي على شيء من الرونق في الشام ومصر والأندلس والمغرب ، غير أنه قل التكسب به فيها ، فمال أكثر الشعراء إلى انتحال الكتابة في الدواوين صناعة ، واستعملوا الشعر في تملق الملوك والرؤساء وفي إظهار التفصح والتسلية ، فمجر قوله في الأغراض الهامة ، وعند به إلى أغراض أخرى .

الشعراء

ظهر في هذا العصر شعراء كثيرون ، من أشهرهم ، شرف الدين الأنصاري المتوفى سنة ٦٦٢ هـ ، وجمال الدين بن نباتة المصري المتوفى سنة ٥٧٦٨ هـ ، وشهاب الدين التلعفري المتوفى سنة ٦٧٥ هـ ، والشاب الظريف المتوفى سنة ٦٩٥ هـ ، والإمام البوصيري المتوفى سنة ٦٩٥ هـ ، وابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، وأبو بكر بن حجة الله المتوفى سنة ٨٣٧ هـ ، وصفي الدين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ ، وفخر الدين بن مكائس المتوفى سنة ٨٦٤ هـ ، وابن معتوق الموسوي المتوفى سنة ١١١١ هـ .

١ - البوصيري

هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري ، صاحب البردة والهمزية ، ولد بدلاص ، ونشأ ببوصير . ثم انتقل إلى القاهرة ، وتعلم علوم العربية والأدب ، فقال الشعر البليغ في جده وهزله ، ومن شعره الجيد قوله في برده :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى في قلعة بدم

أم هبت الريحُ من تلقاءِ كاظمة وأومضَ البرقُ في الظلمات من إضم
فما لعينيك إن قلت اكفها ممتا وما لقلبك إن قلت استفق بهم
أيحسبُ الصب أن الحب منكم ما بين منسجم منه ومضطرم

ومنها :

والنفس كالطفل إن تهمل شبَّ على حب الرصاص وإن تفتطمه ينقطع
فاصرف هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولى يضم أو يصم
وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدرك أن السم في الدسم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع قرب مخمصة شر من التخم
واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حيلة الندم

ومن قصيدته الهمزية في مدح النبي عليه الصلاة والسلام التي أولها :

كيف ترقى رُقيك الأنبياءُ يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساورك في علاك وقد حال سنا منك دونهم وسناء
وتوفي البوصيري سنة ٦٩٥ هـ بالاسكندرية ، وقبره بها مشهور يزار .

٢ - صفى الدين الحلبي

هو عبد العزيز بن علي الشهير بابن سرايا الطائي الحلبي شاعر الجزيرة .
ولد سنة ٦٧٧ هـ ونشأ بمدينة الحلة من مدن الفرات ، فتأدب ونظم الشعر
وتوفي سنة ٧٥٠ هـ ؛ ويعتبر صفى الدين من أئمة البديع المبتدعين في أنواعه
المغالين في استعماله من شعرهم بلا كثير تكلف ، وهو أول من نظم القصائد
النبوية الجامعة لأنواع البديع المسماة بالبديعيات ، مثال بردة البوصيري ومن قوله
في الأدب :

إسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجلا بنطقك قبلما تتفهم
لم تعط مع أذنيك نطقاً واحداً إلا لتسمع ضعف ما تتكلم

وله :

بقدر لغاتِ المرءِ يكثرُ نفعُهُ فتملكُ له عِندَ الشدائدِ أعوانُ
تَهافتُ على حِفْظِ اللغاتِ مجاهداً فكلُّ لِسَانٍ في الحَقِيقَةِ إنسانُ

٣ - ابن نباتة المصري

هو جمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن نباتة ، أشعر شعراء المصريين زمن المماليك. ولد سنة ٦٨٦ هـ. ونشأ بالقاهرة ومات سنة ٧٦٧ هـ ، ومن شعره قوله :
يا مشنكي الهمّ دعه وانتظر فَرَجاً ودار وفتك من حينٍ إلى حينٍ
ولا تعانِدْ إذا أصبحت في كَدَرٍ فإنما أنت من ماءٍ ومن طينٍ

٤ - ابن معتوق الموسوي

هو شهاب الدين بن معتوق الموسوي ، شاعر العراق في عصره ، وسابقُ حليته في رقة شعره . وُلد سنة ١٠٢٥ هـ ، ونشأ بالبصرة .
وابن معتوق من كبار شعراء الشيعة مَدح عليّاً والشهيد بن مَما يخرج عن حدّ الشرع والعقل . ومات سنة ١١١١ هـ
ويمتاز شعره بالرقة وكثرة الجازات ، حتى لتكاد الحقيقة تهمل فيه جملة .

العصر الخامس : عصر النهضة الأخيرة

محمد علي - سنة ١٢٢٠ هـ

قَسَدِمَ « محمد علي » إلى مصر ضابطاً في الحملة التي وَجَّهَتْها تركيا لإخراج الفرنسيين من مصر ، وكان راجح العقل ، استطاع أن يجمع حوله أعيان المصريين وكبار علماءهم بلطف مُعاملتهم وحُسن معاشرتهم ، فأحبُّوه وآثروه ، وأعانوه على الحكومة التركية حتى قلده ولاية مصر وهي لذلك كارهة .
وكان أولَ همِّ محمد علي في ولاية الحكم أن يتخلص من المماليك ، فأوقع بجمهرتهم في القلعة سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م) .
بعد ذلك وَجَّهَ همَّته إلى أن يُنشِئ جيشاً له كلُّ ما للجيش الحديثة ، فأنشأ

في قصر ابن العيني مدرسة حربية إعدادية سنة ١٨٢٥ م وجمع فيها التلاميذ من طوائف مختلفة إلا المصريين ، غير أن هذه التجربة أخفقت فاضطُرَّ إلى أن يجعل أكثر التلاميذ بعدد من المصريين ، وكانت لغة التعليم الأساسية هي التركية ، وكانت تُدرَّسُ إلى جانبها العربية وغيرها ، وكان قد سبق فأرسل طائفة من المماليك إلى بعض البلاد الأوروبية لدراسة الفنون الجسدية .

ثم أنشأ مدرسة أركان الحرب في جهة أبي زعبل من ضواحي القاهرة ، ودعا لها بأساتذة من الفرنسيين .

مدرسة الطب

علمت أن مهمة محمد علي اتجهت بادية الأمر إلى إنشاء جيش منظم مجهز بجميع الوسائل الحديثة ، ولم يكن في مصر إلى ذلك الوقت أطباء اللهم إلا نفرًا قليلًا من الإفرنج لتطبيب مرضى الجاليات الأجنبية ، وكانت إذا نشبت المعارك الحربية يُدعى بالحلّاقين ليأسوا الكلام ويضمّدوا الجروح ، لهذا عهد محمد علي إلى إنشاء مدرسة طبية يجهة أبي زعبل في سنة ١٣٤٢ هـ (١٨٢٦ م) يقوم بإزاؤها مستشفى كبير ، ودعا لها بأساتذة من الإفرنج ، وكان التعليم في هذه المدرسة شاقًا مجهدًا ، فإن أساتذها لم يكونوا يعرفون العربية ، وطلّابها لا علم لهم باللغات الأجنبية ، فدعت هذه الضرورة إلى أن يقوم بين الأساتذة وتلاميذهم مترجمون .

إيقاظ محمد علي الشرق بحسن بلائه في السياسة والحرب

استمكن سلطان محمد علي بما أعدّه من جيش قويّ في البرّ ، وأسطول عظيم في البحر ، وعلم عالٍ يأخذ به أبناء البلاد ، ومعامل ومصانع أغنته عن كثير مما يرد من الغرب ، ومشروعات للري ضاعف بها استثمار الأرض ، وغير ذلك من وسائل الإصلاح ، ولقد استعانت به تركيا في إخماد الفتن في أطراف بلادها ، كما استعانت به في حروبها مع الدول الأخرى ، كما تمكن يجيشه من فتح السودان

كما اقتطع شطراً من أملاك تركيا بعد أن شجر الخُلُف بينه وبينها ، وكاد يظفر بحاضرة مُلكها لولا أن تألّبت عليه الدول الأوربية وحُلّسن بينه وبين غايته . أما الأسطول الضخم الذي بناه محمد علي ، فقد أحرقت تلك الدول غيلة في واقعة « نافارين » ، ولقد أتى بالعلماء والأساتذة وأهل الفنون من أوروبا ، وبعث البعث إلى بلادها ، وأقام المدارس في مصر على نهج مدارسها ، وتقدم بترجمة ما يحتاج إليه في وسائل الحياة المختلفة ، وبهذا وغيره انتظمت العلاقات بين الشرق والغرب .

إسماعيل وإتمامه بناء جدّه .

'قبض محمد علي باشا في سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) بعد أن حكم مصر أكثر من أربعين سنة بعثها فيها من الموت بعثاً ، وأنهضها نهضة قوية تليق لها وجهه ' التاريخ ، وما كاد الملك يصير إلى حفيده عباس الأول حتى خبّت تلك النهضة فأغلقت المدارس ، وعُطلت المصانع وفترت تلك الحركة العظيمة التي تناولت جميع مرافق الحياة في البلاد ، وكذلك كان شأن خلفه سعيد بن محمد علي طول أيام حكمه ، حتى إذا انتهت ولاية مصر في سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٣ م) إلى إسماعيل ابن إبراهيم بن محمد علي تأثر في سبيل الإصلاح بخطى جدّه العظيم وراح يتّيم ما بُني لمجد مصر ، ونهض بوجوه الإصلاح التي تقوم عليها الثروة والقوة والعلم والنظمة في كل البلاد .

مظاهر النهضة الحديثة في العلم والأدب

لم يكن للبعث العلمية التي أوفدها محمد علي في مُبتدأ الأمر إلى أوروبا شأن جليل . وأولها كان في سنة (١٨١٣ م) على أنه ما برح يُوالي لإرسال البعث حتى كانت سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) إذ أوفد إلى أوروبا بعثة عظيمة يزيد عدد

طلابها على الأربعين ، أحرزوا قبل سفرهم قدراً صالحاً من التعليم والتثقيف . وظل بعد هذا يوفد البعث العلمية إلى مختلف البلاد الأوروبية للتبحر في العلوم والفنون ، ولم يفتنح بهذا بل أقام في باريس نفسها «مدرسة» جمعت نحو الأربعين طالباً ، فيهم بعض الأمراء من أولاده وأحفاده .

الترجمة والتأليف

كان أوّل عهد مصر بالترجمة في هذا العصر ، ما قام به أولئك المترجمون الذين جاء بهم محمد علي ليؤدّوا بالعربية إلى طلبة مدرسة الطب ما كان يُلقيه عليهم أساتذتهم من الدروس باللغة الأجنبية . فلما أخرج بعض هؤلاء الأساتذة بلغاتهم كتباً ورسائل في فنون الطب ، وأريد ترجمتها إلى العربية جاء محمد علي بطائفة ممن تفقهوا في العربية لمعاونة أولئك المترجمين على تحرير العبارة وضبط المصطلحات العلمية ، بقدر ما اتسع له علمهم بالعربية ، وما عثروا عليه من مصطلحاتهم ، وكان هذا عملاً شاقاً مضمناً .

وكانت جَمهرة المترجمين أوّل الأمر من الأطباء ، لأن الطب أوّل العلوم الحديثة التي عُنِيَ بدراستها في مصر بعد العلوم الحربية ، ثم توالى الترجمة في العلوم والفنون الأخرى على يد من تحسّروا فيها من الطلاب . أما التأليف في العلوم الحديثة فكان في مبدأ الأمر ضئيلاً ، وكان أكثره من وضع الأجانب الذين جاء بهم محمد علي ليدتغمي بهم وسائل الإصلاح المنشود . على أن المصريين قد جعلوا يُقْبِلون على مُعالجته ، وخاصة من عهد إسماعيل حتى بلغ اليوم غاية محمودة ، ما زالت البلاد تتطلع منها إلى المزيد ^١ .

(١) ومن أبرع من برعوا (في أثناء هذه النهضة) في التأليف والترجمة في فنون الطب والصيدلة مرتبين على حسب تاريخ وفياتهم: إبراهيم بك النبراوي ١٢٧٩ هـ (١٨٩٢ م) وأحمد بك حسن الرشيدى ١٢٧٢ هـ (١٨٦٥ م)، ومحمد علي باشا البقلي ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) وأحمد بك ندى ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) وسالم باشا سالم =

حالة اللغة العربية وآدابها في هذا العصر

كانت حالة البلاد العربية في أوائل القرن الثالث عشر غايةً ما وصلت إليه من الفساد والاضمحلال، فلما استولى محمد علي باشا على مصر رأى - كما علمت سابقاً - أن يُريّس من يكون خبيراً واسطة لنقل المعارف الأوروبية إليها، فبعث إلى أوروبا بثلاثة بعوث علمية في أزمنة مختلفة، كوّنبت بعد ذلك ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والمهندسين والضباط، فنقلوا إلى اللغة العربية عشرات الكتب الجليلة

= ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م)، ومحمد الدري باشا ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م)، وحسن محمود باشا ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م). ومن برعوا كذلك في العلوم الرياضية ترجمة وتأليفاً: محمد بك بيومي ١٢٦٨ هـ (١٨٥١ م)، وبهجت باشا ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م)، ومحمود باشا الفلكي ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م)، وشفيق بك منصور ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م)، ومختار باشا المصري ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)، وإسماعيل باشا الفلكي ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م).

ومن خير من ألفوا أو ترجموا في العلوم المختلفة في صدر هذه النهضة: الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م)، والشيخ شهاب الدين المصري ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م)، ورفاعة بك رافع الطهطاوي ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م)، ومحمد قدري باشا ٣١٣ هـ (١٨٨٥ م)، وأحمد فارس الشدياق ١٣٠٥ هـ (١٨٧٨ م)، والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م)، والشيخ حسين المرصفي ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)، والشيخ محمد بيرم ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)، وعلي مبارك باشا ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م)، والشيخ محمد العباسي المهدي ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)، وعثمان بك جلال ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م)، وأمين فكري باشا ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م)، والشيخ إبراهيم اليازجي ١٣٢٣ هـ (١٩٠٦ م)، وقاسم بك أمين ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م)، وعمر بك لطفي (١٩١٤ م) وعلي أبو الفتوح المتوفى سنة ١٩١٣ م، ومحمد بك النجار ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م)، وأحمد فتحي زغلول باشا ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) وجرجي زيدان (١٩١٤ م) وإسماعيل سرهنك باشا (١٩٢٤ م)، والشيخ محمد بك الحضري (١٩٢٦ م)

ولا شك في أن هذه النهضة الحديثة مدينة في مستهلها للشيخ المترجمين على الإطلاق رافع بك كما أنها مدينة لأكبر السابقين من المؤلفين المصلح العظيم علي مبارك باشا.

في العلوم المختلفة ، فأحدث ذلك في اللغة العربية انقلاباً عظيماً واكتسبت من سعة الأغراض والمعاني والألفاظ العلمية والأساليب الأجنبية وطرق البرهنة والاستنباط وترتيب الفكر ثروة طائلة ، ورأى العلماء والأدباء أنه صارت لهم دولة منظمة مستحضرة تتقبل منهم بقبول حسن كل ما يحسبونه من نتيجة كدهم ، وثمره أفكارهم ، فالتفوا حولها ؛ وصار أيضاً للدولة كتاب وشعراء ومنشئون ، ومن الأسف أن هذه النهضة لم يستمر سيرها في مصر كما استمر في الشام بل ركدت ريجها في زمن عباس باشا الأول ، ورمن سعيد باشا ، ثم تنسّمت في عصر إسماعيل وما لبثت أن صارت رُخاء طيبة وأعاد سيرة جدّه في نشر العلم ، وظهرت ثمرة أعماله في حياته ، وكادت مصر تؤشك أن تكون قطعة من أوروبا .

النثر - المحادثة - أو لغة التخاطب

كانت العامية في أوائل هذه العصور غاية في الانحطاط ، ثم لما انتشر التعليم بين طبقات المصريين ، دخل في عباراتهم كثير من الفصح ، وانتقل ذلك لمعاصريهم من الأميين ، وبعض النساء ؛ وبما ساعد على ذلك جعل التقاضي باللغة الفصيحة وكثرة الصحف والمجلات والروايات .

الخطابة

كان المصريون والسوريون في أوائل هذا العصر لا يستمعون الخطابة في غير الأغراض الدينية ، ثم اتسعت دائرة الأفكار في عصر إسماعيل باشا ، وصادف ذلك مجيء السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر ، والتف لفيف حوله من أدباء المصريين والسوريين ، فأدحلهم في عداد جمعيته ، وألف منهم أندية كانوا يتناوبون الخطابة فيها في الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية ، وانتشرت الخطابة بين شبان مصر ، وفشت بعد عصر إسماعيل في زمن توفيق باشا وعباس حلمي باشا ، ومن أشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم المتوفى عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) والشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ومصطفى باشا كامل المتوفى عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) وسعد باشا زغلول المتوفى عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٧ م) والشيخ

عبد العزيز جاويش بك المتوفى عام ١٩٢٧ م وغيرهم ، حتى بلغت الخطابة في عصرنا هذا مبلغاً عظيماً

الكتابة الخطية

وقف الخط في سبيل تقدمه على الحد الذي رسمته له الطبقة الناشئة في القرن العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر من خطاطي الترك، وكل من نشأ بعدهم فإنما هو متبوع طريقتهم . وأشهرهم : عبد الله زهدي ، وهو الذي خط بالقلم الحليل جدران المسجد النبوي، وجدران سبيل والدته عباس باشا الأول بالصليبية بالقاهرة ، ومحمد مؤنس أفندي، وتخرج عليه وعلى تلميذه محمد جعفر بك جميع خطاطي قطرنا المصري .

الكتابة الانشائية

مضى العصر المتقدم وليس لكتاب الدراوين في أواخره شأن يُذكر ، لجعل التركية هي اللغة الرسمية، وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغير في المالك العثمانية إلا قليلاً ، وشرعت تتغير في مصر ، ثم لما أنشئت المدارس النظامية ، نشأت طبقة من كتاب الدراوين رَقُوا كتابتها، وقد هُجِر السجع الذي أكثر منه الأقدمون إلا أن (عبد الله باشا فكري) أشهر المصلحين للكتابة الديوانية القصيدة أَلَسَمَ به في كثير من مكاتباته الرسمية ، وقد سبق كثير من رسائله في فن المكاتبات ، وأما كتابة التأليف والصحف فأخذت تَنَحُّو منحى كتابة ابن خلدون في مقدمته، ولما وَلَسَتْ الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير (الوقائع الرسمية، والإشراف على تحرير الجرائد ترقّت كتابتها كثيراً، ودَرَجَتْ في سبيل التقدم إلى الآن

كتابة التدوين

كان أكثر الكتب التي ألفت أو تُرجمت في مصر علمية، لشدة احتياجها لها، أما سوريا فكانت حالة الأدب فيها في النصف الأول من العصر الحاضر خيراً منها في مصر ولكن مصر نهضت في النصف الثاني ، واسترجعت حياتها الأدبية ،

وأدخلت دراسة أدب اللغة في مدارسها، وألف فيه عدة كتب . والنحط شأن سوريا في العربية فلم ينبغ في اللغة من السوريين في السنوات الأخيرة من يضارع سابقهم . ومن أشهر علماء الأزهرين في هذا العصر: الشيخ عبد الرحمن الجببرتي المتوفى في ١٢٤٠هـ (٨٢٥ م) والشيخ حسن العطار المتوفى في ١٢٥٠هـ (١٨٣٤ م) ومن غير الأزهرين من أهل النهضة الحديثة: رفاعة بك شيخ المترجمين والمؤلفين ، وعلي مبارك باشا المتوفى في ١٣١١هـ (١٨٩٣ م) وجمال الدين الأفغاني المتوفى في ١٣١٤هـ (١٨٩٧ م) وجورجي بك زيدان المتوفى في ١٣٣٢هـ (١٩١٤ م) وأحمد فارس الشدياق اللبناني المتوفى ١٣٠٥هـ (١٨٨٧ م) والدكتور يعقوب صرّوف صاحب مجلة المقتطف المتوفى في ١٣٤٦هـ (١٩٢٧ م) وولي الدين بك يكن المتوفى في ١٣٣٩هـ والشيخ محمد عبد المطلب المتوفى في ١٣٥٠هـ (١٩٣١ م) والشيخ محمد بك الحضري المتوفى في (١٩٢٧ م) والشيخ أحمد مفتاح المتوفى في ١٣٢٩هـ . وفتحي باشا زغلول المتوفى في (١٩١٤ م) والشيخ نجيب الحداد المتوفى في (١٨٩٩ م) وعبد الله باشا فكري، والشيخ حسين المرصفي المتوفى في ١٣٠٧هـ (١٨٨٩ م) والشيخ ناصيف اليازجي المتوفى في ١٢٨٧هـ ، وإبراهيم بك المويلحي المتوفى في ١٣٢٣هـ ، ومحمد بك المويلحي المتوفى في (١٩٣٠ م) وقاسم بك أمين المتوفى في ١٣٢٦هـ والسيد لطفي المنفلوطي المتوفى في (١٩٢٤ م) والشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى في ١٣٢٣هـ (١٩٠٦ م) وحفني بك ناصف المتوفى في ١٣٣٧هـ والشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد المتوفى في ١٣٣١هـ (١٩١٣ م) وأديب إسحاق المتوفى في ١٣٠٣هـ (١٨٩٢ م) ومصطفى بك نجيب المتوفى في ١٣٣٠هـ وإسماعيل باشا صبري، وبطرس البستاني المتوفى في ١٣٠١هـ (١٨٨٣ م) وسليم باشا تَقْلَا المتوفى في ١٣١٠هـ (١٨٩٢) .

وهاك ترجمة بعض زعماء النهضة الحديثة :

(١) رفاعة بك الطمطاوي المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ

هو الكاتب الشاعر السيد رفاعة بك الحسيني الطمطاوي ، شيخ المترجمين ، وإمام النهضة الحديثة ، ولد بطمطا من أسرة شريفة ، وتأدب وتعلم في الجامع الأزهر ثم انتخب إماماً لبعض فرق الجيش ؛ ولم يلبث أن اختاره المرحوم محمد علي باشا إماماً ومعلماً لأول بعث علمي أرسل إلى فرنسا سنة ١٢٤١ هـ فسرأفته علوم أوروبا وعظمتها فأكبّ بنفسه على تعلم اللغة الفرنسية ، فلما عاد إلى مصر سنة ١٢٤٧ هـ اختاره محمد علي باشا رئيساً للترجمة بمدرسة أبي زعبل . واشترك هو وأستاذه الشيخ حسن العطار في إنشاء جريدة « الوقائع المصرية » وتحريرها ثم نُقلَ إلى مدرسة المدفعية (الطبية) ثم صار مديراً لمدرسة الألسن والترجمة ، ثم انتخب عضواً بلجنة المدارس ، وتولى إدارة مجلة (روضة المدارس المصرية) وعكف على الترجمة والتأليف حتى توفّي عام ١٢٩٠ هـ تاركاً لمصر كتباً ورجالاً هم أركان النهضة الحديثة ، وآخر ما ألفه كتاب « نهاية الإيجاز » في سيرة ساكن الحجاز .

(٢) عبد الله فكري باشا المتوفى عام ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م

عبد الله فكري بن محمد بليغ الضابط ابن الشيخ عبد الله العالم الأزهري ، وهو من أركان النهضة الأدبية في الديار المصرية ولد عام ١٢٥٠ هـ ، وأكبّ على تعلم علومه بالأزهر ، مُشتغلاً أيضاً باللغة التركية ، واستخدم من أجلها مترجماً للعربية والتركية في عدة مناصب ، آلت إلى نقله إلى حاشية سعيد ثم إسماعيل باشا ، فمُهد إليه بتأديب بنيه الكرام وغيرهم من أمراء بيت الملك . ثم تقلّب في جملة مناصب آخرها نظارة المعارف عام ١٢٩٩ هـ وبقي بها حتى زمن الثورة العربية ، فسقط مع الوزارة ، واتهم في الثورة فقبض عليه ، ثم اتّضحت براءته فأطلق ورُدّ إليه معاشه ؛ بعد أن استعطف الخديوي توفيق باشا بقصيدة طويلة وتوفي عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) .

وكان فكري باشا كاتباً بليغاً ، سلك في كتابته طريقة كتّاب القرن الرابع

كالبيديع الهمداني ، والخوارزمي من التزام السجع القصير ، القليل التكلف ولذلك يقول فيه المرحوم الشيخ حسين المرصفي مدرس دار العلوم « لو تقدم به الزمان ، لكان فيه بديعان ، ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همدان » .

(٣) علي مبارك باشا المتوفى عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٣ م

هو أبو المعارف المصرية ، العالم المؤرخ المؤلف المترجم ، المربي العظيم علي بن مبارك بن سليمان بن إبراهيم مؤسس دار العلوم ، ودار الكتب العربية . وُلد عام ١٢٣٩ هـ ، وكان والده يُرسِلُه إلى مُعلم قاس يتعلم عليه القرآن الكريم فحفظه ، وهرب من العلم لقسوته وضربه ، وأخذ يتعلم الكتابة على بعض الكتّاب حتى عثر في بعض خرجاته بتلاميذاهين إلى مدرسة أبي زعليل فصحبهم ودخل المدرسة ثم اختير في جملة من تلاميذها إلى مدرسة قصر العيني ، وعمره ١٢ عام ، ودرس الرياضة فبرع فيها ، فاختير طالباً بمدرسة الهندسة ، فأكمل في خمسة أعوام درس فن الهندسة ، وأُرْسِلَ إلى أوروبا عام ١٢٦٠ هـ ليتعم علومه بها ، فكتب نحو أربعة أعوام درس فيها فن الهندسة والحرب ، ثم عاد إلى مصر ضابطاً بالجيش ، ثم قدّم لعبّاس باشا الأول مشروعاً بنظام المدارس المصرية فأعجبه وعهد إليه رئاسة ديوانها ، فقسام به خير قيام ، وألف بعض الكتب الدراسية ، فكان أول من نظم المدارس المصرية ، وتزاحمت عليه المناصب فكان مديراً للسلك الحديدية وناظراً للمعارف وللأشغال وللأوقاف والقناطر الخيرية ، فقام بذلك جميعاً في آن واحد خير قيام ؛ ومن أعماله العظيمة إنشاء دار الكتب وإنشاء مدرسة دار العلوم ليوفّق بين طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث ، ومات عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٢ م .

(٤) الشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م

هو المصلح الكبير المجتهد الكاتب الخطيب الإمام الشيخ محمد عبده ، أحد أركان النهضة العربية ومؤسسي الحركة الفكرية ، وُلد عام ١٢٦٦ هـ بإحدى

قري مديرية الغربية ، ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديرية البحيرة وترك بلا
تعليم حتى ناهزت سنه العاشرة ، ثم رغب في التعلم فحفظ القرآن الكريم وطلب
العلم بالجامع الأحدي ، ثم انتقل إلى الأزهر ونسج في علومه - ولما قدم مصر
السيد جمال الدين الأفغاني سنة ١٢٨٦ هـ ، وأعاد إلى مصر دراسة الفلسفة وعلوم
الحكمة لزمه الشيخ محمد عبده ، وكان أنبغ تلاميذه ، وأحرصهم على ملازمته ،
والاستفادة منه ، ونال درجة العالمية سنة ١٢٩٤ هـ ، واختير سنة ١٢٩٥ هـ مدرساً
للأدب والتاريخ العربي بدار العلوم ، ومدرسة الألسن ، ثم اختير لإصلاح لغة
(الوقائع المصرية) ثم صار رئيس تحريرها - وفي هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً
على كتابة الجرائد وتحريرها - وحدثت عقب ذلك الثورة العرابية ، ونفي
من مصر إلى سورية ، وتولى التدريس بمدارسها ، ثم انتقل إلى أوربا فالتقى بالسيد
جمال الدين بباريس ، فأنشأ معاً جريدة (العروة الوثقى) ثم عفا عنه الخديوي
وعاد إلى مصر قاضياً بالمحاكم الأهلية ، ثم مفتياً للديار المصرية ، وتولى التدريس
بالأزهر وإليه يرجع الفضل في إصلاحه ، وما زال كذلك حتى توفي سنة
١٣٢٣ هـ .

(٥) الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٨ م

هو الشيخ الوقور ، اللغوي ، الحجة ، التقى ، الشيخ حمزة فتح الله .

وُلِدَ رحمه الله بشعر الإسكندرية سنة ١٣٦٦ هـ / ١٨٤٩ م ونشأ بها وبعد
أن حفظ القرآن الكريم انتظم في سلك طلبة العلم يح مع الشيخ إبراهيم باشا - ثم
أكمل دراسته بالأزهر الشريف ، وأمعن في قراءة الأدب واللغة ، وقرض الشعر
وحزّن الرسائل ، وحفظ الغريب ، ثم عاد إلى الإسكندرية ، واختير في منتصف
العقد الثالث من عمره (محرراً في إحدى الصحف التونسية فكث هناك حوالي
ثماني سنوات اكتسب فيها الدربة على كتابة الصحف السياسية ، ثم عاد إلى مصر
فوجد نار الثورة العرابية مستعرة ، فانضم إلى حزب الخديوي توفيق ، وكتب

وخطب في تأييده، وبعد أن انتهت الثورة العربية استخدم في وزارة المعارف ومكث بها زهاء ثلاثين سنة ، متنقلاً بين التفطيش والتدريس حتى مات سنة ١٩١٨ م

علمه وأعماله كان الشيخ كثير القراءة في كتب اللغة، والأدب، والحديث شديد الحفظ والذكر ، قلما تحدث أمامه حادثة أو تذكر إلا روى فيها شعراً، أو مثلاً أو قصة وكان فكه المحاضرة ، صحيح العبارة يحوكمها على سنن العربية الفصيحة وهو أعلم من شاهدناه باللغة والأدب والصرف

عهد إليه بالتدريس في دار العلوم فأحيا بتدريسه وتأليفه ما دثر من آثار السالفين كالجاحظ والمبرد والقيالي والمُرْتَضَى ، وأظهر ما كان ذلك في (مواهب الفتحية) .

أسند إليه تفتيش اللغة العربية في مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها . فرأى المجال فسيحاً لتخليصها من أدران العامية ، وأوضار الدّخيل ، وفساد التراكيب وعجمة الأساليب ، فأخذ يرشد المعلمين إلى ما يعثر عليه من ذلك في كتابة التلاميذ ويتحفظهم بمراذفه تارة ، ويرشدهم إلى المظانّ أخرى ، فيتنبه بذلك الغافل .

أخلاقه : كان الشيخ حليماً رحيماً ، تقيّاً ورعاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

كان يحب العرب والعربية ، ويرى أن الله خصهما بكل مزية . مؤلفاته : بما عُرف من مؤلفاته ، كتاب المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية وباكورة السلام في حقوق النساء في الإسلام ، ورسالة في التوحيد ، وكتيب في المفردات الأعجمية التي في القرآن الكريم ، وغير ذلك .

شعره وكتابه : كان بدوي الشعر من حيث ألفاظه ومعانيه ، وتراكيبه وأساليبه . وتشبيهاته واستعاراته على طريقة شعر العلماء فمنه قوله :

كم جامعٍ بالثريّا راضه سفر فوق الثرى بين أكوار وأقناب

إن الشَّواء ثواءً والقصور قبسو
ومن بَغَى نَبيل مجدٍ وهو في دَعَا
والمرءُ في مَوطن كالذرِّ في صدَفٍ
والسيفُ مثلُ العصا لمن كان مُعْتَمداً
وأزهدُ الناس في علم وصاحبه
أدنى الأحبة من أهلٍ وأصحاب

(٦ : باحثة المادية السيدة ملك حفني ناصف المتوفاة سنة ١٣٣٧ هـ)

هي المفكرة ، الكاتبة ، الشاعرة ، السيدة ملك حفني ناصف .

ميلادها ونشأتها : ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م ؛ ولما ميزت أرسلها والدها إلى إحدى المدارس الأولية ، ثم إلى المدرسة السنية فحصلت منها على شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩٠٠ م (وهي أول سنة تقدمت فيها الفتيات لنيل هذه الشهادة) ثم أتمت دراستها في قسمها العالي ، واختيرت مُدرسة في مدارس البنات بالقاهرة ، وفي سنة ١٩٠٧ تركت التعليم العلمي واشتغلت بالتعليم العملي في بيت زوجها .

أخلاقها وأعمالها : كانت مُدة دراستها خير نموذجٍ لقريبتها ، من أخلاق سامية وسريرة صافية ، ونفس أبيّة ، ومشاركة على العمل .

وكانت بعد زواجها تباشر أكثر أعمال بيتها بنفسها ، لا لسبب ، سوى أن تكون قدوة لغيرها من السيدات اللاتي يتركن بيوتهن إلى من لا يحسن القيام عليها والتدبير فيها ، فيوقعن أزواجهن في الفقر المدقع ، والبلاء الشديد ، وكانت إذا فرغت من شئون منزلها ، عكفت على قراءة الكتب النافعة ، وتعرف أحوال السيدات ، وزيارة مدارس البنات ، وفحص مناهج التعليم .

كل أولئك لتكون لها رأياً صحيحاً ، وفكراً ناضجاً في تربية البنات وإصلاح حال الامهات ، وظلت تستسهل في ذلك الصعب ، وتستحلي المرء .

وكان من رأيها في تربية المرأة أن تباشر من أعمال الرجال ما لا بد من الشرع الشريف ، وألا تكون زينتها مشغلة لها ولا عبئاً ثقيلاً ينوء به بـعلمها ، ولها في ذلك خُطْب في محافل نسوية ، كان لها تأثير في عدول الكثيرات منهن عن جمودهن وأفكارهن القديمة ، وكان بيتها مقصداً لزيارة كثير من السيدات الغربيات والشرقيات يستنرن به في الوقوف على مبلغ رُقي المرأة المسلمة ، وما ينتظرن من شؤونها المستقلة ، ولم يكن شيء من ذلك كله لينسيها ما يجب لزوجها ، والبرّ بدوي قرباها ومن يقع تحت نظرها من أجهدهم الفقر ، وأشد ما كان برّها لوالدها .

آثارها العلمية :

(١) كتابها الذي أسمته (النساءيات) وهو مجموع ما خطبته وكتبته في الجريدة خاصة بالمرأة . (٢) حقوق النساء ، وهو كتاب لم يطبع بعد ؛ أنجزت منه ثلاث مقالات ، الأولى في الموارد بين المرأة المسلمة الشرقية والمرأة المتدينة الغربية في الحقوق المالية ، والثانية في حقوق المرأة المسلمة من جهة إدارة الأعمال العامة ، والثالثة في المرأة المسلمة من جهة الانتخاب (٣) رسالة ضافية قدمتها للمؤتمر المنعقد في مايو عام ١٩١١ بمصر الجديدة ضمنها آراءها السديدة في وسائل ترقية المرأة المصرية .

ثم عاجلتها الحمى الإسبانية عام ١٣٣٨ هـ فاحتضت وهي في ريعان شبابها ويانع عمرها ، فتركت بفقدائها في العالم النسوي المصري فراغاً لم يُشغل بعد .

كتابتها : إن الناظر في كتاباتها المختلفة يرى عبارة سهلة ، صحيحه الالفاظ عربية الاسلوب ، خالية من تصنع السجع ، وترى ذلك واضحاً في كتابها « النساءيات » .

شعرها : قالت الشعر وهي في الحادية عشرة من عمرها وكان بدء أمرها فيه أن تقوله معارضة لما تحفظه في المدرسة دونه حياءً ، وتارة هزلًا ؛ وشعرها

حسن الديباجة ، جميل الأسلوب يعد في الدرجة الوسطى من شعر هذا العصر .
وهاك نموذجاً من نثرها وشعرها - رسالة كتبتها من رمل الإسكندرية
لصديقة لها - وهي :

« عزيزتي السيدة بلسم ،

أحييك ، ولولا برودة البحر لالتَهَبْتُ إليك شوقاً ، ولولا تصبّري
لطِرْتُ إليك حباً ، وإني لم يذسني صفاء السماء صفاء ودك ، ولا رقة النسيم رقة
حديثك إنما شجاني وذكرني ، ولم أكن ناسية .

حبيبتى : ليتك معي ترين الطبيعة يحمالها، ترين البحر يزخر كالرعد والأمواج
تتلاطم زرافات، ووحداً ، صفاء في البحر ، وصفاء في السماء ، كأنها قلبانا ،
وتسمعين تغريد الطيور، وحفيف الأشجار، إنها لعمرك مناظر تلهي المرء، ولكن
هيات لئلي أن تلهو، وهي تعلم ما يُكِنُّهُ الدهر، وما يخبئه الليل والنهار، تقبلي
مني أحرّ قبلاقي ، وأوفر أشواقي . ومن شعرها مخاطب المرأة المصرية :

سيري كسير الشَّحْب لا تَأْنَسِي ولا تَتَعَبْجِي
لا تَكْنِسي أرضَ الشُّرَا رع بالْإِزار المَسْبَلِ
أَمَّا السُّفُور فَحُكِّهِ فِي الشَّرْعِ لَيْسَ بِمُسْتَحْلٍ
زَهَبُ الْأَثْمَةِ فِيهِ بَيْنُ مُحَرَّمٍ وَمُحَلَّلٍ
ويجوز بالإجماع منهم عند قصد تأمّل
ليس النِّعَابُ هو الحِجَاب فَقْصُرِي أو طَوِّي
فإذا جهلت الفرق بينهما فدونيكَ فاسألِي
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لِقُولِي
لا أبتغي غير الفَضِيلَةِ للنساء فأجْمَلِي

الشعر

كانت حالة الشعر في النصف الأول من هذا العصر لا تزيد شيئاً المذكوراً على

ما كانت عليه في العصر الماضي ، إذ كانت حكومة (محمد علي باشا) في أوّل أمرها تركية الصّبغة ، وكان هو أميّاً لا يحلّ عنده الأدب محلّ العلم الذي عليه مدارُ تأسيس المملكة ، ولكن الشعر أخذ بعد ذلك في التّرقى .

وسارت مصر في طريقه ، وانتشرت بينها العربية حتى زمن (إسماعيل باشا) وكان هو متأدّباً ، وعصره غاصّاً بالأدباء ، فتقدم الشعر في عصره خطوات تمثّلت في شعر السيد علي أبي النصر ، والشيخ علي الليثي ، ثم طفر طفرة إلى عظيم الشعراء (البارودي) .

ولم يزل للعلم والعلماء مع ذلك المقام الأوّل في مصر ، حتى كان العصر الحاضر ، ونالت مصر بعض حاجاتها من العلم وكتبه ، فهبّ أهلها يتفكّهون بالأدب وكتابته والتأليف فيه ويستمعون الشعر ، ويحضرون المجمع العظيمة لإنشاده ، فأقبل الشعراء على نظمه في كل أغراضه القديمة والحديثة ، ونحوا به نحو الشعر الإفرنجي من وصف المناظر الطبيعية ، وأحوال الوجّدان ، والعواطف النفسية ، وكثير من الشعراء بعد البارودي ، لم يحالِكِ القدماء في نَدَب الديار ، ووصف الظمائن ، وحث المطايا مستغنياً عن ذلك بوصف القِطار ، والكهرباء ، والمسرّة ، والبرق ، ويقول الآن الشعر على هذه الطريقة مئات من الشعراء في مصر والشام والعراق ، إلا أن المصريين سبقوا السوريين بمراحل في هذا العصر .

ومما يمتاز به شعرُ هذا الوقت ، خلوه من تكلف البديع والجناس ، والرجوع به إلى حالته القديمة الطبيعية حتى صار شعر فحوله يشبه شعر أهل القرن الرابع والخامس .

نماذج من النظم

كان المرحوم السيد علي أبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م :

بصادر آمالي ووارد خاطري كَلِفْتُ فيا نفسي الأبيّة خاطري

ولا تجزعي إن هال خطب فربا تدين الأماني لامرئ غير قادر
وكوفي على حمل الأذى مستعدة فكم عادل أرخى العنان لجائر
ولا تشتكي الأيام إلا لمنصف فلا خير في الشكوى إلى غير ناصر
ومن لم يكن ذا همّة هاشمية أخافته في الهيجا بروق البواتر

وقال محمود صفوت الساعاتي المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ يمدح شريف مكة ويعاتبه:

ترنو النجوم بلحظها البراق والجو في الإرعاد والإبراق
فإذا تبسّمت البروق لغبطة بكمت السماء بدمعها المهرق
عاملتهموني بالجفاء رؤيكم الورد ذو أراج بلا إحراق
مالي أراكم تنكرون مكانتي الشمس لا تخفى مع الإشراق
قلدتم غيري الجميل وقلتم حسب المغرّد زينة الأطواق
أسديتم الجدوى له وسددتم طرق الرّجاء عليّ بالإطراق
إن لم يكن مثلي يسيء ومثلكم يفضي فأين مكارم الأخلاق

وفي الحكم للمرحوم الشيخ علي الليثي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م :

كل حال لصدّه يتحوّل فالزم الصبر إذ عليه المعوّل
يا فؤادي استرح فما الأمر إلا ما به يحكم القضاء تنزّل
قدرت غالب وسرّ الخفايا فوق عقل الأريب مهما تكسّل
رب ساع لحقه وهو بمن ظنّ بالسعي للعلا يتوصّل

وقال المرحوم الشيخ شهاب الدين المتوفى في سنة ١٢٧٥ هـ يرثي إبراهيم باشا:

صبراً على ما قد مضى إذ لا مخلص من قضا
كيف التصبّر والمنأ يا ذات غضب مُنتضى
أردّت إبراهيم منذ بلغ المقام المُرتضى
وإليه آل الأمر في حكم (الإيالة) وانقضى

حفنى وقلت مؤرخاً (الله يرحم من .ضى)

٦٦ ٢٥٨ ٩٠ ٨٥٠ = ١٢٦٤ هـ

حفنى ناصف بك المتوفى ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م

هو القاضي الماضل الشاعر الكاتب ، محمد حفنى ابن الشيخ اسماعيل ابن الشيخ خليل ابن ناصف ، ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية سنة ١٢٧٢ هـ بيتاً فقيراً ، فكفلته جدته أم أبيه .

ولما ترعرع تعلم القرآن على معلم كان يُفَرِّط في ضربه ، ففرّ ماشياً على قدميه إلى الأزهر وجوّد فيه القرآن ، وحفِظَ فيه المتون ، ودرس فقه الشافعي ، وعلوم اللسان العربي واشتغل بالأدب والشعر فبرع فيهما حتى أصبح من شعراء الأزهر المعدودين ، وكان أول الناجحين من الطلبة المقبولين في دار العلوم ، وبقي أولهم حتى خرج من المدرسة ثم اختير مدرّساً وضابطاً لمدرسة الحرس والعميان ، ثم نقل إلى النيابة كاتب سر للمرحوم شفيق بك منصور يكن ، ثم نقل مدرّساً بمدرسة الحقوق ، وفي أثناء ذلك كلفته نظارة المعارف مع آخرين تأليف سلسلة كتب سهلة ، لتعليم النحو والصرف والبلاغة فألف خمسة كتب لم يزل العمل في التعليم جارياً عليها ثم نقل إلى القضاء الأهلي ، فمكث يترقى في درجاته مدة عشرين سنة ، كان في خلالها مثال العدل والنزاهة ، ونقل من وكالة محكمة طنطا الأهلية مفتشاً أول للغة العربية بوزارة المعارف .

وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير سنة ١٩١٩ م ، ودفن يوم الأربعاء بمقبرة الإمام ، وكان رحمه الله من أطيب خلق الله حديثاً ، وأرقّتهم فكاهة ، وأملحهم نادره وأحضرهم جواباً ، مع دعة فيه .

شعره : لم ينكر الأدباء عليه أنه أبو الطبقة التي نشأت بعد طبقة البارودي ، وعبد الله باشا فكري ، وكل من نبغ بعد من انتهت إليهم الرياسة في الشعر فعليه تسلّم ، وله قلند ، حتى أصبحوا شعراء هذا الزمان .

وأكثر شعره من نوع السهل الممتنع ، الكثير الملح المطربة ، والنثكت الأدبية المعجبة ، حتى في المراثي ، لتمثيلها في صورة جديدة بديعة ، فمن ذلك قوله :

أنقضي معي إن حان حيني تجاربي وما نلتها إلا بطول غنائي
وأبذلُ جُهدِي في اكتساب معارفٍ ويَفنى الذي حصَّنتُه بفنائي
ويُحزُّنني ألا أرى لي حيلة لإعطائها مَنْ يستحق عطائي
إذا ورَّث الجهال أبناءهم غنىً وجاهاً فما أشقى بني الحكماء

ومن شعره أيضاً يخاطب أحد الرؤساء :

أحييت آمالي وكنت أمتها من طول ما لقيتُ من إخواني
أدلي بإخلاصي لهم وأدود عن أعراضهم بجوارحي ولساني
محضتهم ودِّي فلمّا أسروا كانت بداية أمرهم نسياني

مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

هو مصطفى بن علي أفندي محمد المهندس ، المولود بالقاهرة في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ م ولما بلغ السادسة من عمره أدخله والده المكاتب الأولية ، ثم انتقل إلى مدرسة والده عباس باشا الأول ، وفي أثناء وجوده في هذه المدرسة توفّي والده فانتقل إلى مدرسة القربية ، فأتمّ فيها الدراسة الابتدائية سنة ١٨٨٧ م ثم تحوّل إلى المدارس الثانوية ، ونال في نهايتها شهادة البكالوريا بتفوّق باهر ، وذلك فادر ، مما لفت إليه نظر المرحوم علي باشا ناظر المعارف ، فاختصه بمرتبة شهرى يُسرف إليه مساعدة له ، وكان منظوراً إليه بعين الإجلال والاحترام من إخوته ومعلميه ورؤسائه لما امتاز به من حسن الإلقاء ، وفصاحة اللسان ، وصراحة القول واستقلال الفكر ومناقشته في المسائل العلمية والاجتماعية ، والكل يعجبون به ، ويتوقعون له مستقبلاً مجيداً ، ثم دخل مدرسة الحقوق الخديوية نهراً ، ومدرسة الحقوق الفرنسية ليلا فكان يتلقى دروسهما حتى نال الكفاية

منهما، ثم ذهب إلى (طولوز بفرنسا) وأدى فيها الامتحان ونال الشهادة النهائية، وفي أثناء دراسته للحقوق تذبذبه خاطره إلى المسائل السياسية، وأصبح همه إنقاذ مصر من الاحتلال، وكان يتردد على الجرائد الوطنية، فيكتب فيها آيات الوطنية، وأنشأ المجلة المدرسية، وألف كتاب المسألة الشرقية، ورواية فتح الأندلس، وكتاباً في حياة الأمم والرق عند الرومان، وكلها ترمي إلى تحبيب الاستقلال، وإحياء الشعور الوطني في أفكار المصريين، واجتمع مصطفى بالمرحوم «عبد الله النديم» الخطيب المفوّه والكاتب البليغ ومشعل نار الوطنية من قبل، فاقنّبس مصطفى منه الأساليب والتعليقات العظيمة، وأضاف ذلك إلى معلوماته الماضية، ونهض نهضة الأسد إلى فريسته، وأذكى أوار الوطنية في عقول الشباب الناهض، وتطوّرت مصر الفتاة إلى يومنا هذا في مراقي التقدم والنجاح، وقد طار صيته في الآفاق، وأنشأ جرائد اللواء العربي والفرنسي والإنكليزي لهذا الغرض، وتوفي يوم الأربعاء ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ م وخطبه الطنّانة كثيرة لانطيل بذكرها

محمد بك فريد المتوفى سنة ١٩١٩ م

هو المخلص الأمين، محمد بن أحمد باشا فريد، والدته أميرة من فضليات سيدات الخلفاء العباسيين، وكان ميلاده في ٢٧ رمضان سنة ١٢٨٤ هـ، وعاش ٥٢ سنة، ولما كان عمره ٧ سنوات أدخله المرحوم والده مدرسة خليل أغا، ثم دخل المدارس الثانوية وفاز بشهادة البكالوريا، ثم دخل مدرسة الحقوق حتى نال الشهادة النهائية في شهر مايو سنة ١٨٨٧ م، وعقب ذلك عينته الحكومة المصرية بقلم قضايا الخديوي عباس باشا بالرتبة الثانوية، ثم تدرّج في وظائف القضاء إلى أن صار أحد رؤساء النيابة العمومية، وفي خلال ذلك كان يكتب أمهات الصحف العربية والإفرنجية، حتى استقال من خدمة الحكومة في ٢١

نوفمبر عام ١٨٩٦ ، واشتغل بالمحاماة ، وانضم بكل قواه إلى الحزب الوطني لتحرير مصر والسودان ، ولأزم صاحبه المرحوم مصطفى باشا كامل ، وقد أُلّف كتاب البهجة التوفيقية في تاريخ العائلة الخديوية ، وتاريخ الدولة العثمانية ، وتاريخ الرومان ، وأنشأ مجلة « الموسوعات » وكتب آلاف المقالات في المؤيد واللواء والصحف الأوربية ، وألقى مئات من الخطب في بلاد الشرق والغرب ، وتعرّف بكثير من ساسة العالم .

ولما شعر المرحوم مصطفى كامل باشا بدنو الأجل ، جمع رجال الحزب الوطني وأوصاهم بانتخاب « فريد » بعده رئيساً ، فقام برياسته خير قيام ، وقد ضحّى بنفسه وأولاده وأهله وماله ومناصبه حباً في الوطن ، حتى مات غريباً في يوم الاثنين ١٥ نوفمبر عام ١٩١٩ م ، ونُفِّلَتْ جثته من بلاد ألمانيا لدفنها بالقاهرة ، فوصلت صباح يوم الثلاثاء ٨ يونيه عام ١٩٢٠ م ، وشيِّعت باحتفال مهيب ، ورُكِّبَتْ صحافة العالم شرقاً وغرباً ..

فمن رثاء المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم المتوفى عام ١٣٥٩ هـ ، قال من قصيدة طويلة :

من لسيوم نحن فيه ، من لغد	مات ذو العزومة والرأي الأسد
أيها النيل لقد جل الأنسى	كن مداداً لي إذا الدمعُ نَقْدُ
فلقد ولي فريد وانطوى	ركن مصر وفتاها والسند
خالداً الآثار لا تخش البلى	ليس يبلى من له ذكرٌ خَسَدُ
قل لصب النيل إن لاقيتَه	في جوار الدائم الفرد الصمد
إن مصرأ لا تني عن قصديها	رغم ما تلقى ، وإن طال الأمد
فاسترح وانما في غبطة	فلقد بذرت الحب والشعب حصد

(٧) سعد باشا زغلول

هو الزعيم الأكبر سعد ابن الشيخ إبراهيم زغلول المولود ببلدة إبنيانه بمديرية الغربية عام ١٢٧٧ هـ ، قرأ القرآن الكريم ودخل الأزهر الشريف ، وحضر علوم اللغة والأدب والنحو والمنطق والتوحيد وعلوم التشريع ، وغير ما على فطاحل العلماء ثم تعين محرراً لجريدة « الوقائع المصرية » الرسمية بالداخلية ، ثم انتقل معاوناً بنظرارة الداخلية في مدة وزارة « محمود سامي باشا البارودي » ثم تعين مديراً لقلم قضايا مديرية الجيزة ، وذلك مدة اشتداد الثورة العربية ، ثم استقال واشتغل بالمحاماة وقد انتخبته الجمعية عضواً في لجنة تنقيح قانون الجنائيات بالاستئناف ، ثم اختاره اللورد « كرومر » أن يكون وزيراً للمعارف ، ثم وكيلاً للجمعية التشريعية لى أن تطورت الحالة الوطنية في القطر المصري ، فانتخبته الأمة وكيلاً عنها في مطالبة المجلثا بالجلء عن مصر والسودان .

ومن كلماته الماثورة في الوطنية :

١ - لا استعباد ، لا استعمار ، لا حماية ، لا رقابة ، لا تدخل ل أحد في شأن من شؤوننا ، هذا ما نريد ، وهذا ما لا بد أن نحصل عليه .

٢ - أقسم بالوطنية وعزتها : لو كنت أعرف أني أقود أمةً بلهاء تنقاد لكل زعيم بدون تصور ولا إدراك ، كما يصفها أعداؤها ، ما رضيت أن أكون قائداً لها .

٣ - إن قوتنا ليست مستمدة من الخارج ، بل هي في نفوسنا ، فلتكن نفوسنا قوية نصل إلى غايتنا .

٤ - الإرادة متى تمكنت من النفوس وأصبحت ميراثاً يتوارثه الأبناء عن الآباء ذلت كل صعب ، ومحت كل عقبة ، وقهرت كل مانع مهما كان قوياً ، ووصلت عاجلاً أو آجلاً إلى الغاية المطلوبة .

٥ - لا يمكن أن نعتبر للكحوميين مذهباً، لأن المذهب يقتضي مبادئ، وقواعد، أمّا هم فقاعدتهم القوة، وما يعتمد على القوة لا يصح أن يسمى مذهباً.

ومن كلماته الماثورة في الحرية وحدودها

١ - كل أمر يقف في طريق حريتنا لا يصح أن نقبله مطلقاً، مهما كان مصدره عالياً، ومهما كان الأمر به.

٢ - كل تقييد للحرية لا بد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية نفسها وإلا كان ظالماً.

٣ - الصحافة حرة، تقول في حدود القانون ما تشاء، وتنتقد من تريد، فليس من الرأي أن نسألها لم تنتقدنا، بل الواجب أن نسأل أنفسنا لم نفعل ما تنتقدنا عليه.

٤ - نحن نحب الحرية، ولكننا نحب أكثر منها أن تستعمل في موضعها.

٥ - جميل جداً أن يقال: لا تحجروا على الناس، ولا تقيّدوا حريتهم، وإنها لنقمة لذينة يحسن وقعها في الأسماع والقلوب، ولكننا لا نريد الحجر على الناس ولا تقييد حريتهم، نريد حماية الحق وصيانتة من أن يتمشع به غير صاحبه من حيث يحرم منه صاحبه.

ومن آرائه في التشريع

١ - كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهي شريعة باطلة.

٢ - لا تصدقوا أن هناك قاعدة يرجع إليها القاضي في تقدير العقوبة، أو أن هناك ميزاناً توزن به الجزاءات، وإنما هي أمور اجتهادية يلهم بها القاضي إلهاماً.

٣ - الحق فوق القوة، والأمة فوق الحكومة.

٤ - إننا إذا احترمنا أمراً للحكومة، نحترمه لأنه نافع للأمة، لا لأنه صادر من تلك القوة المسيطرة.

٥ - يجب أن ننقاد للقانون، وألا نعتبر الانقياد إليه مهانة ومذلة، بل عزّاً وشرفاً.

٦ - إن كانت الحكومة تريد أن نكون في صفتها، مُدافعين عنها فما عليها إلا أن تتببع الحق والعدل ، وتحترم القانون .

٧ - 'يُعبجُبني الصدق في القول والإخلاص في العمل' ، وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون .

٨ - الذي يلزمنا أن نفاخر به هو أعمالنا في الحياة ، لا الشهادة التي في أيدينا .

٩ - أعاهدكم عهداً لا أحيد عنه على أن أموت في السعي إلى استقلالكم فإن فزتُ فذاك ، وإلا تركت لكم تميم ما بدأت به .

هذا قليل من كثير لا نحيط به جمعاً ، خصوصاً خطبه المطولة المتممة التي تكاد أن تكون في درجة الإعجاز ، ولا غرابة في ذلك فقد كان معروفاً ، اشجاعة والصراحة يمتلك في يده أعينة الألفاظ ويتصرف فيها كيف يشاء حتى إنه ليعبر عن أقصى المعاني وأخشنها بأرقّ الألفاظ وأعذبها وأخفها وقعاً على النفوس والأسماع خصوصاً وأنه قدبر على التأثير على نفس السامع ، وامتلاكه أزمة الأهواء وتلاعبه بالعواطف والقلوب ، واقتداره على إسناد كل جزئية من جزئيات المسائل الاجتماعية أو القانونية أو الأخلاقية أو السياسية إلى قاعدتها العامة التي توضّح طريقها وتكشف الغامض منها .

ولقد كان مُتشرعاً يبعث النظامات ويدققها ، وسياسياً يبارز خصمه مبارزة الرجل الذي يحسن تقليب الحسام بين يديه ، فلا كلماته تخرق حجب الآداب ، ولا تتجاوز حدّ اللباقة ، لقد كان كلامه ينزل على السامعين نزول الندى على أكام الزهر فلا يرتفع صوت ، ولا تبدو حركة مع طول خطابه نحو ساعتين وأكثر ، حتى وافاه القدر المحتوم في أواخر أغسطس سنة ١٩٢٧ م ، وعمره نحو ٦٧ سنة وقد خلفه في زعامة الوفد المصري ، حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

(٨) مصطفى النحاس

هو « مصطفى » ابن الشيخ محمد النحاس من أعيان بندر سمود .
وُلد « مصطفى النحاس » من أبوين كريمين عريقين في الحسب والنسب ، في
يؤنيه سنة ١٨٧٩ م

وتربى تربية منزلية قوية طبعته على الأمانة والاستقامة والنزاهة وأنشأته
على الخير والعدل والصلاح والتقوى ، فشب على مكارم الأخلاق من الصغر:
رَضَعَ الأخلاق من ألبانها إن للأخلاق وقعاً في الصغر

وما بلغ السادسة من عمره إلا وهو يزاول مبادئ التعليم في أحد مكاتب
البلدة وما تجاوز العاشرة من عمره إلا وكان حافظاً لجميع القرآن الكريم حفظاً
جيداً ، ثم ارتحل به والده إلى القاهرة وأدخله مدرسة الناصرية الابتدائية بنظارة
أمين سامي في ذلك الوقت ، فأمر بامتحانه للقبول فاجتازه بتفوق باهر وعكف
على دروسه حتى كان في كل امتحاناته أول فرقة ، وبعد إتمام الدراسة الابتدائية
التحق بالمدرسة الحديوية الثانوية بالقسم الداخلي ، وأظهر جداً واجتهاداً وتفوقاً
ونموغاً منقطع النظير ، حتى المرحلة الأخيرة التي كللت بنجاح عظيم ، لفت
نظر رؤسائه إليه حتى وصل خبره إلى اللورد « كتشير » الذي رغب في رؤيته ،
ثم التحق بمدرسة الحقوق وتخرج منها في يؤيه سنة ١٩٠٠ م ، واشتغل بالمحاماة
إلى أوائل سنة ١٩٠٤ م ثم عُيِّن قاضياً بالمحاكم الأهلية وظلّ يخدم العدالة نيفاً
 وخمسة عشر عاماً ، حتى نادى المغفور له « سعد زغلول » بوجود المطالبة بحق
مصر في الاستقلال فانضم إليه ، وانضوى تحت لوائه ، وأخذ يسعى في تحرير
وطنه بكل إخلاص وتضحية عظيمة .

وقد تقلد رئاسة الحكومة المصرية ست مرات .

الأولى سنة ١٩٢٨ ، والثانية سنة ١٩٣٠ ، والثالثة سنة ١٩٣٦ ، والرابعة سنة ١٩٣٧ بعد جهاده الذى نالت ففه مصر استقلالها التام ، وإلءاء الامتيازات الاءنبفة .

هذه لمحة وجيزة من تأرفخ ءفاة مصطفف النءاس (مءامفأ ، وقاضفأ ، وءطفبفأ ، وءصفا سفاسفأ ، ووزرفأ ، ورئفسأ للوزارة) .
ومن ءطبه :

« لا شك أن من فءولف الدفاع عن ءقوق الافراء وءرففهم مءفوعا بواجب . مهنفة وشعور التفءفس لطائففة إنما هو مسوق ءمأ للاشءبال فى الدفاع عن ءقوق المءموع وءرفاء المءموع ، لأن ءقوق المءموع وءرفاء المءموع إنما هف مءموع وءرفاء الافراء وءقوق الافراء ،

ومن قولة :

- (١) لفس مشر الصراءة سفاسة "ناءمة" فى وقت الءطر .
- (٢) إن القلوب اذا اءصلت لا ءءوى على فصلها قوة "مها فءكء أو بطشء .
- (٣) ما كان لقوة فى الوءوء أن ءءق آمال شعب ، ولا أن ءبءءـ .
وآءءة أمة .

- (٤) إنما الموء فى سبفل الاوطان آءاة
- (٥) لفس مصفر الامم لعة فى أفءف اللاعفن ولا هو ءءربة فى أفءف المءرففن .
- (٦) إن للءق قوة معنوفة هف من روء الله فقففها على الباطل فءءمغه فإذا
هو زامق .

- (٧) مصر أمة ءءفرة ءقا بأن ءكون مصدر السلطاء .
- (٨) إن الامر فى قضية الامة أمر الامة وءءها لا كلمة لسواها ولا معول .
على رفر رضاها .

(٩) الأمم الحية لا تغلب وقد تعودت مصر أن تكهر قاهرها ، والدهر
« قلوب » إن صفا اليوم لشخص ففي غدر يتقلب

(١٠) اضطهاد الأحرار يزيد تمسكا بالحرية أضعافا مضاعفة .

(١١) إذا كان اعتناق المبدأ القويم فضيلة فإن الثبات على هذا المبدأ هو
فضيلة الفضائل

(١٢) إن الأمة هي الأول والآخر ، وهي الأصل الذي يجب أن ترجع
إليه كل الأمور .

(٩) الغازي مصطفى كمال

أشهر حماة الشرق ، وداهية أقطاب السياسة الغازي « مصطفى كمال » المولود
في سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م ، ولما بلغ السنة السادسة من عمره أدخله
والده مدرسة ابتدائية ، وما لبث أن تركها على أثر وفاة والده ، ثم انتقل إلى
قرية أخرى مع والدته بها خاله الذي كفله ، وعهد إليه القيام بحراسة الحقول
والاشتغال بالزراعة مدة فأوجست والدته خيفة من ضياع إبان شبابه بدون جدوى ،
وصحت عزيمتها على إرساله إلى دار جدته في (سلانيك) ودخل في (المدرسة
الملكية الإعدادية) غير أنه لم يوفق للتعلم بها - وذلك لشغفه بحب (المدرسة
الرشدية العسكرية) الابتدائية ، فدخلها وأخذ يتبحر في الرياضيات ويناقش
أستاذه المدعو مصطفى بك القائل له « إن بين اسمي واسمك اشتباها ، فيجدر
أن أضيف إلى اسمك لفظة « كمال » للتمييز بيننا ، وقد أتم الدراسة في هذه المدرسة
العسكرية الابتدائية ، وفاق زملاءه في العلوم الرياضية بحيث لم يصادف أية صعوبة
في امتحان المدرسة الإعدادية العسكرية الثانوية في (مناستر) وتروى بقبس
وافر في اللغة الفرنسية - وفي خلال ذلك كان يجتمع بالمرحوم الشاعر التركي
المشهور (عمر ناجي بك) فارتشف من منهل العذب ، وتأدب بأدبه ودرس عليه
آداب اللغة التركية ، وضرب بسهم فيها حتى صار الشعر هو المادة

التي تنجذب نفسه إليها وترتاح بها، رغم النصائح التي كان يلقيها عليه بعض معلميه العسكريين بقولهم: «إذا أردت أن تكون جندياً حقيقياً فاترك الأدب وخيال الشعراء»، وبعد إتمامه الدراسة في تلك المدرسة سافر إلى الأستانة سنة ١٣١٣ هـ، والتحق بالمدرسة الحربية، وكان شغفه عظيماً بالعلوم والأدب، ومزاولة الخطابة وأساليبها فتولد من ذلك توفقه إلى حُب الاشتغال بالسياسة، خصوصاً وقد وقعت في يده كتب الوطني العظيم «نامق بك كمال» فطالها مراراً، ووقف على ما فيها وأدرك مراميها فرسخت في عقيدته «الوطنية» وكان ذلك في عهد المرحوم «السلطان عبد الحميد» الداهية العظيم، ومع ذلك تخرج من هذه المدرسة برتبة «مُلازم ثانٍ»، ولما انتقل إلى مدرسة أركان حرب بدأ يتعرف مع بعض إخوانه من الطلبة ما يكتنف إدارة البلاد وسياستها من السوء والفساد، فكان أول ما فكر فيه أن يُفهم زملاءه البالغ عددهم ٥٠٠٠ طالب، موقف البلاد الإداري والسياسي.

وقد فكروا جميعاً في تأسيس جريدة تكون لسان حالهم، وقد أخذ على عاتقه تحرير الكثير من مقالاتها وأبحاثها. غير أن «إسماعيل» مفتش المدارس وقف على حركتهم ثم وشى بهم إلى السلطان، وقال له: إن ناظر المدرسة «رضا» هو المسئول عن حركة الطلبة فاستدعاه السلطان فأقنعه بعدم وجود حركة سياسية. واستمر مع رفاقه على إصدار جريدتهم حتى آخر سني مدرسة أركان حرب.

وبعد أن خرج من المدرسة برتبة «يوزباشي» في أركان الحرب العامة واستأجر لنفسه مكاناً خاصاً في «بك أوغلي» رغبة في استئناف العمل وعقد الاجتماعات، وأصدر القرارات لصالح الوطن، ولكن لم تمض مدة وجيزة حتى اعتُقل بضعة أشهر، ثم أطلق سراحه وأصرَّ على اشتغاله بالسياسة حتى نَفَثَته الحكومة إلى ولاية الشام للخدمة في الجيش - وقد أسس هناك «جمعية الحرية» وأسس لها فروعاً في بيروت ويافا والقدس، وفي كل مدينة حَلَّ فيها ونزل بها، ولما

كان انتشار مبادئ الجمعية غير ممكن في تلك المدن عَزَمَ على السفر إلى «مكة-ونيا» حيث هناك الأرض صالحة لبذر تلك المبادئ ، والعمل على إنمائها وإنباتها نباتاً حسناً ، وأطلع جمعياته على رأيه ، وعلى ذلك سَعَى أفرادها وتمكن من إصدار إذن يَسْتَطِيعُ به السفر في بادئ الأمر إلى «أزمير» وعلى إثر ذلك أرسل رسالة خاصة إلى (شكري باشا) المعروف بوطنيته الحارة ، وطلب منه مساعدته ، ولما شدد الرحال إلى مقدونيا ، وركب البحر غَيرَ وَجْهَتِهِ إلى مصر ، ومنها إلى بلاد اليونان ، ثم إلى سلاويك رغبة في إخفاء أغراضه عن أعين الجواسيس وقد أسس في مدينة سلاويك فرعاً عاماً للجمعية ، وما كادت حكومة الآستانة تتلقى تقرير الجواسيس عن أعماله حتى - فر إلى (يافا) وعلى أثر ذلك ظهرت مسألة العقبة ، فاستصدرت جمعية الحرية أمراً بتعيينه على الحدود المصرية .

وقد مكث في سوريا ثلاثة أعوام ، طلب من الحكومة نقله إلى مقدونيا ، فقبول طلبه بالقبول ، وعلم بعد وصوله إلى سلاويك أن جمعية الحرية غَيرَت اسمها باسم جمعية « الاتحاد والترقي » وما وافى إعلان الدستور حتى برز إلى ميادين السياسة بفضل إعلانه جميع الأسرار .

ولما نشبت الثورة الرجعية في الآستانة سنة ١٩٠٩م أخذها واستتبَّ الأمن ، ثم تعين بمهمة الإصلاح على ولاية طرابلس .

وكان كثيراً ما يكتب لإصلاح شأن الجيش ، فكان ذلك من الأسباب الجوهرية التي بعثت بعض القواد القدماء على حقدهم عليه ، وكان جزاؤه تعيينه قائداً للآلای الثلاثين ، فجاء هذا التعيين على عكس غرضهم الأساسي ؛ إذ أفسح له مجالاً واسعاً لإلقاء بعض المحاضرات الفنية وشرح أساليب الخطط الحربية للضباط والقواد . ثم بعد ذلك دعت حكومة الآستانة ، ضمن أركان الحرب العامة فيها ، وقام بصحبة المرحوم (شوكت باشا) بالحركات الحربية لإخماد الثورة في بلاد ألبانيا .

وقد ذهب متنكراً إلى مصر على أثر إعلان الحرب الإيطالية سنة ١٩١١ م ، وسافر منها إلى بنغازي ، ثم عاد إلى الآستانة بعد نشوب الحرب بين الترك والبلغار ، وتعين رئيساً لأركان الحرب ، بعدها عاد إلى الآستانة ، وتعين مُلحقاً عسكرياً في سفارة « صوفيا » عاصمة بلغاريا ، ومكث هناك مدة سنة كاملة .

ولما نشبت الحرب العامّة سنة ١٩١٤ م تعين قائداً للفرقة السادسة عشرة في (تكفور طاغ) ثم تعين قائداً لفيلق ديار بكر ، وبعدهما تولى قيادة الجيوش ، وعُين بعد ذلك قائداً للقوات الحجازيّة ، ثم عاد إلى ديار بكر ، ومنها عاد إلى الآستانة وأخذ القيادة على عاتقه ، وحصل بينه وبين كبار القواد الألمانين مناقشات أدّت إلى استقالته ، وسافر من الآستانة مع « ولي العهد » إلى ألمانيا ، وفيها تقابل مع القائدين (هندنبورج ، ولوندر ف) .

وقد صحت عزمته على ترك الآستانة والتّوغل في داخلية البلاد ، وقد بذل جهده في العمل على إنقاذ الوطن خاصة والشرق عامة ، وبينما كان مشغولاً بتهيئة الأسباب لذلك ، إذ تلقى أمراً بتعيينه قائداً ومفتشاً لجيش (الصاعقة) مع ضرورة ذهابه إلى الأناضول ، فتقبّل ذلك بالسّرور العظيم ، وقام إلى الأناضول ، وهو حاصل على رتبة القائد والمفتش معاً لذلك الجيش ، وكان ذلك من أهم العوامل الفعّالة للوصول إلى تحقيق إنقاذ الوطن ، ولما شعرت الحكومة بخطئها استدعته في الحال إلى الآستانة ، فرفض واستقال ، وسعى في جمع نواب الأمة في الأناضول وقد افتتح المجلس الوطني الكبير يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٠ م ، وأخذ في مباشرة الأعمال والقيام بواجب البلاد ، وكان شغله الشاغل كيف يُتمثل إرادة الأمة أحسن تمثيل (؟؟) .

وقد تمّ له ما أراد ، ففاز بالتّصر والسّداد ، وفق الله أمثاله إلى ما فيه صلاح العباد ، وقد اجتمع بين يديه إمارة السّيف والقلم ، وخطبه أشهر من أن تُذكر .

ومن أقواله في حُبِّ الوطن العزيز : إنّ وطننا العزّ يزلايموت ولن يموت ،

وإذا فرّصنا المُحال وسَلَمنا بموته (لاقدّر الله) فكاهِلُ الكُرّة الأرضية لن
يستطيعَ حَمَلُ تابوته الجسيم . نعمَ لا يسقطُ مُهشماً ، مقطّع الأوصال ، ما
دام فرْدُ منا يتنسم نسيم الحياة .
ومن آرائه في تعليم المرأة : تعليم المرأة (أم الوطن) وثقْبُ عَقْلِها بالعلوم الدّينية
والمعارف الأهلية من أهمّ ما ترمي إليه نهضتُنا العلمية الوطنية .
ومن وصفه للفلاح : سيد تركيا ، بل سَيّد العالم الحقيقي (الفلاح) لأن
هو العنصر الأول في تكوين عناصر الأمة وكيانها ، والوطن بدونه لا شيء ،
بل الوطنُ هو ، فيتعين أن نعتني به عناية خاصة ، وأن نضع قبل كل شيء ،
سعادته نصب أعيننا .

شعراء العصر الحاضر

(١) محمود سامي باشا البارودي

هو ربُّ السيف والقلم ، أميرُ الشعراء ، وشاعرُ الأمراء (محمود سامي باشا
ابن حسن حُسَني بك البارودي) أحد زعماء الثورة العربية ، وأشعر الشعراء
المتأخرين بالديار المصرية - وُلد سنة ١٢٥٥ هـ ، وتادّب وأدخِلَ المدرسة الحربية
وما زال يترقى حتى ولاّه المرحوم الخديوي توفيق باشا نظارتِ الحربية والأوقاف ،
ثم وُلّي رئاسة مجلس النّظار قبيل الثورة العربية ، فلما اضطربت نيران الثورة
أرغمه زعماءُها على اصطلاء نارها فخبّ فيها ووضع ، وحسبكم عليه بعد انقضائها
بالنفي إلى جزيرة (سيلان) حقّ عَمِيّ ، وشفّع فيه فأزِنَ له بالقُدُوم إلى مصر
بعد مُضي ١٧ سنة من منّفاه ، وبقي في منزله يشتغل بالأدب إلى أن مات سنة
١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م ومن قوله :

والدّهرُ كالبحر لا ينمك ذا كدر وإنما صفوه بين الوري لِسَمْعٍ
لو كان المرءُ فِكر في عَوَاقبه ما شان أخلاقه حِرْصٌ ولا طمَعٌ

(١٦ - جواهر الأدب ٢)

وكيف يُدْرِك ما في الغيب من حدث مَنْ لَمْ يَزَلْ يَغْرور العيش يَنْخَدِعُ
 دَهْرُهُ يَغُرُّ وَأَمَالُهُ تَسُرُّ وَأَعْدُ بَارُهُ تَمُرُّ وَأَيَّامُهَا خِدَعُ
 يَسْمَعِي الْفَتَى لَأُمُورٍ قَدْ تَضُرُّ بِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ مَا وَمَا يَأْتِي يَدَعُ
 يَا أَيُّهَا السَّادِرُ الْمَزُورُ مِنْ صَلَفٍ مَهْلًا فَإِنَّكَ بِالْأَيَّامِ مُنْخَدِعُ
 دَعُ مَا يُرِيبُ وَخُذْ فِيمَا خُلِقْتَ لَهُ لَعَلَّ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ يَنْتَفِعُ
 إِنَّ الْحَيَاةَ لَتُؤَبُّ سَوْفَ تَخْلَعُهُ وَكُلَّ ثُوبٍ إِذَا مَا رَثَ يَنْخَلِعُ

ومن قوله في الحماسة والفخر (وهو آخر ما قاله) :

أنا مصدرُ الكلامِ البوادي بينَ الحاضرِ والنوادي
 أنا فارسُ أنا شاعرُ في كلِّ مَلْحَمَةٍ وَنَادِي
 فإذا رَكِبْتُ فإِنِّي زَيْدُ الْقَوَارِسِ فِي الْجِلَادِ
 وإذا نَطَقْتُ فإِنِّي قَسُّ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي

وقال يَصِفُ هَرَمِي الحِيزَةَ وَأَبَا الْهُوَلِ :

سَلِ الْحِيزَةَ الْفَيْحَاءَ عَنْ هَرَمِي مُضِرِّ لَعَلَّكَ تَدْرِي غَيْبَ مَا لَمْ تَكُنْ تَدْرِي
 بِنَاءِ إِنْ رَدَّ صَوْلَةَ الدَّهْرِ عَنْهَا وَمَنْ عَجِبَ أَنْ يَغْلِبَا صَوْلَةَ الدَّهْرِ
 أَقَامَا عَلَى رَغَمِ الْخُطُوبِ لِيَشْهَدَا لِبَانِيهِمَا بَيْنَ الْبَرِيَّةِ بِالْفَخْرِ
 فَكَمْ أُمٌّ فِي الدَّهْرِ بَادَتْ وَأَغْصَرِ خَلَتْ وَهَمَا أَعْجُوبَةُ الْعَيْنِ وَالْفَكْرِ
 تَلُوحُ لَأَثَارِ الْعَقُولِ عَلَيْهِمَا أُسَاطِيرُ لَا تَنْفَكُ تُتْلَى إِلَى الْحُشْرِ
 رُمُوزُ لَوِاسِطٍ تَلَمَّحَتْ مَكْنُونٍ سِرِّهَا لِأَبْصَرَتْ بِمَجْمُوعِ الْخَلَائِقِ فِي سَطْرِ
 فَمَا مِنْ بِنَاءٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ يُدَانِيهِمَا عِنْدَ التَّمَامِ وَالْخُبْرِ
 يُقْصَرُ حُسْنًا عَنْهَا صَرْحُ بَابِلَ وَيَعْتَرِفُ الْإِيوَانُ^(١) بِالْعَجْزِ وَالْبَهْرِ
 كَأَنَّهَا تُدَانِي فَاضًا بِدَرَّةٍ مِنَ النَّيْلِ تَرُوي غَلَّةَ الْأَرْضِ إِذَا تَجَرَّى

(١) هو إيوان كسرى، كان بهواً عظيماً في قصره بالمداين وسقفه أزج معقود

وبه سمي قصره الأبيض .

وبينهم بلهيب^١ في زِيّ رابيض أكب على الكفتين منه إلى الصدر
يُقلِّبُ نحوَ الشرقِ نظرةَ وامي^٢ كأنّ له شوقاً إلى مَطلَعِ الفجرِ
مَصانِعُ فيها للعلوم غوامض تدل على أنّ ابن آدم ذو قدرِ
رسا أصلها، وامتدّت في الجوّ فرغها فأصبح وكرّ اللسمّاكين^٣ والنسر^٤

(٢) أحمد شوقي بك المتوفى سنة - ١٣٥١ - ١٩٣٢ م

أشهر شعراء العربية في العصر الحاضر ، وأقدرهم على التصورات البديعية
شاعر النيل المرحوم أحمد شوقي بك ابن أحمد شوقي بك ، المولود بمصر سنة
١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م .

شعره - ينظم بين أصحابه ، فيكون معهم وليس معهم ، وينظم حين يشاء ،
وحيث يشاء ، لا يُجهد فكره ، ولا يكدره في معنى أو في مبنى . فأما المعنى
فيجيئه على مرامه أو على أبعد من مرامه ، ولا ينصب عنده ، لأنه يستخلصه
من عقلٍ فتوّار الذكاء ومعارف جامعة إلى أفانين الآداب ، في لغات الإفرنج
والأعراب ، فلسفة الحقوق وحقائق التاريخ ، وغرائب السير التي يحفظ منها غير
يسير ، إلى مشاركات علمية وتنبيهات فنية ، استفادها من مطالعته في صنوف
الكتب واتخذها عن ملاحظاته ومسموعاته في جولاته بين بلاد الشرق والغرب .
وأما المبنى فله فيه أذواق متعددة بتعدد مقامات القول ، ترى فيه من نسج
(البُحاري) ومن صياغة (أبي تمام) ومن وثبات المتنبي (ومن مفاجآت (الشريف)

ومن مُسلّسلات (مهيّار) . ومن قوله (يصف هَيْكَل أنس الوجود) :
أيها المتّنجي (بأسوان) داراً كالثريّا تُريدُ أنْ تَنقِصاً

(١) اسم لأبي الهول عرف به صدر الإسلام . ولعل أبا الهول محرف عنه .

(٢) السما كان نجمان نيران في السماء أحدهما السماك الرامح والثاني السماك الاعزل .

(٣) النسر كوكبان : الواقع والطائر . وفي النسر تورية .

إِخْلَعِ النَّعْلَ وَاخْفِضِ الطَّرْفَ وَاخْشَعِ
 قَفْ بِتِلْكَ (القصور) فِي الْيَمِّ غَرَقَسِي
 كَمْ ذَارَى أَخْفِيشَ فِي الْمَاءِ بَضًّا^١
 مُشْرِفَاتٍ عَلَى الزَّوَالِ وَكَانَتْ
 شَابَ مِنْ حَوْلِهَا الزَّمَانُ وَشَابَتْ
 رُبَّ (نَشْقَشِ) كَأَنَّمَا نَقَضَ الصَّ
 وَ (دِهَانِ) كَلَامِ الزَّيْتِ مَرَّتْ
 وَ (خَطُوطِي) كَأَنَّمَا هُدُبُ رِيْمٍ^٢
 وَ (ضَحَايَا) تَكَادُ تَشِيُّ وَتَرَعِي
 وَ (مَحَارِيبَ) كَالْبُرُوجِ بَنَتْهَا
 شَيَّدَتْ بِعُضَاهَا الْفَرَاعِينَ زُلْفَى^٣
 وَ (مَقَاصِيرَ) أَبْدَلَتْ بِفُتَاتِ الْمَسْكِ تَرِبًا^٤ وَبِالْيَوَاقِيتِ قُضَا^٥
 حَظَّيْهَا الْيَوْمَ هَدَى وَقَدِيمًا
 سَقَتْ الْعَالَمِينَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ إِلَى أَنْ تَعَاطَتْ النَّحْسُ حُضَا^٦
 صَمَمَةٌ تُدْهِشُ الْعُقُولَ وَفَنٌ
 يَا قُصُورًا نَظَرْتُهَا وَهِيَ تَقْضِي^٧
 أَنْتِ سَطْرٌ وَبَجْدٌ مَصْرٌ كِتَابٌ
 وَأَنَا الْحَنَنْفِيُّ بِتَارِيخِ مَصْرٍ
 رُبَّ سِرٍّ يَجَانِبِيكَ مَزَالِ
 لَا تُحَاوِلْ مِنْ آيَةِ الدَّهْرِ غَمَضًا
 تُنْسِكًا بَعِضُهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْضًا
 سَابِحَاتٍ بِهِ وَأَبْدِينَ بَعْضًا
 مُشْرِقَاتٍ عَلَى الْكَوَاكِبِ نَهَضًا
 وَشَبَابُ الْفَنُونِ مَا زَالَ غَضًا
 نَعُ مِنْهُ الْيَدَيْنِ بِالْأَسْرِ نَقْضًا
 أَغْصُرُ بِالسَّرَاجِ وَالزَّيْتِ وَضَا^٨
 حَسُنَتْ صُنْعُهُ وَطَوْلًا وَعَرُضًا^٩
 لَوْ أَصَابَتْ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ نَبْضًا
 عَزَمَاتٌ مِنْ عَزْمَةِ الْجَنِّ أَمْضَى^{١٠}
 وَبَنَى الْبَعْضَ أَجْنَبٌ يَتَرْضَى^{١١}
 وَبِالْيَوَاقِيتِ قُضَا^{١٢}
 صَرَفَتْ فِي الْحِظْوِطِ رَفْعًا وَخَفَضًا
 سَقَتْ الْعَالَمِينَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ إِلَى أَنْ تَعَاطَتْ النَّحْسُ حُضَا^{١٣}
 صَمَمَةٌ تُدْهِشُ الْعُقُولَ وَفَنٌ
 يَا قُصُورًا نَظَرْتُهَا وَهِيَ تَقْضِي^{١٤}
 أَنْتِ سَطْرٌ وَبَجْدٌ مَصْرٌ كِتَابٌ
 وَأَنَا الْحَنَنْفِيُّ بِتَارِيخِ مَصْرٍ
 رُبَّ سِرٍّ يَجَانِبِيكَ مَزَالِ
 لَا تُحَاوِلْ مِنْ آيَةِ الدَّهْرِ غَمَضًا
 تُنْسِكًا بَعِضُهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْضًا
 سَابِحَاتٍ بِهِ وَأَبْدِينَ بَعْضًا
 مُشْرِقَاتٍ عَلَى الْكَوَاكِبِ نَهَضًا
 وَشَبَابُ الْفَنُونِ مَا زَالَ غَضًا
 نَعُ مِنْهُ الْيَدَيْنِ بِالْأَسْرِ نَقْضًا
 أَغْصُرُ بِالسَّرَاجِ وَالزَّيْتِ وَضَا^{١٥}
 حَسُنَتْ صُنْعُهُ وَطَوْلًا وَعَرُضًا^{١٦}

(١) بضاً : البض، الرخص الجسد. (٢) وضاً : وضاء. (٣) ريم : غزال.

(٤) أَمْضَى : أَحَد. (٥) زُلْفَى : تَقْرِبًا. (٦) يَتَرْضَى : يَطْلُبُ الرِّضَا.

(٧) قُضَا : حُصَا. (٨) حُضَا : خَالِصًا. (٩) تَقْضِي : تَقْنِي.

قل لها في الدعاء لو كان يجدي
 حار (فيك) المهندسون عقولاً
 أين ملك حيالها وفريد
 أين (فرعون) في المواكب تترى
 ساق للفتح في الممالك عرضاً
 أين (إيزيس) تحتها النيل يجري
 أسدل الطرف كاهنٌ ومليك
 يعرض المالكون أسرى عليها
 مالها أصبحت بغير مجير
 هي في الأسر بين صخر وبحر
 أين (هوروس) بين سيف ونطع
 ليت شعري قضى شهيد غرام
 رُب ضرب من سوط فرعون مضى^(١)
 وهلاك بسيفه وهو فان
 قتله فهل لذلك حديث
 يا إمام الشعوب بالأمس واليو
 مصر^(٢) بالنازلين من ساح معن^(٣)
 كن ظهيراً^(٤) لأهلها ونصيراً
 قل لقوى على (الولايات) أيقا
 شيمة النيل أن يفي وعجيب^(٥)
 يا سماء الجلال لا صرت أرضاً
 وتولت عزائم العلم مرضى
 من نظام النعم أصبح فضا^(٦)
 يركض المالكين كالخيل ركضاً
 وجلاً للفخار في السلم عرضاً
 حكمت فيه شاطئين وعرضاً
 في ثراها وأرسل الرأس خفضاً
 في قيود الهوان عانين جرضى^(٧)
 تشبكي من نوابب الدهر عضاً
 ملكة في السجون فوق حضوضى^(٨)
 أهذا في شرعهم كان يقضى ؟
 أم رماه الوشاة حقداً وبغضاً
 دون فعل الفراق بالنفس مضاً
 دون سيف من اللواحق ينضى^(٩)
 أين راوي الحديث نثراً وقرضاً ؟
 م ستمطى من الشئاء فسترضى
 ورحى الجود حاتم الجود أفضى
 وابذل النصيح بعد ذلك محضاً
 ظي إذا ذقت البرية غمضاً
 أخرجوه فضيغ العهد نقضاً

(١) فضا : مفوض . (٢) جرضى : مغموين .

(٣) حضوضى : جبل في البحر . (٤) مض : مرجع . (٥) ينضى : يسيل

(٦) معن : هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب . (٧) ظهيراً : نصيراً

حاشية^١ الماء فهو صيد كريم ليت بالنسيْل يوم يسقط غيضا^٢
شيّدوا المال ، والعلوم قليل^٣ أنقذوه بالمال والعلم نقضا^٣

وقال أيضاً في استنهاض مِمَّ العمال من قصيدة :

أيها العمالُ أفنوا العم رَ كدّاً واكتسابا
واغمرُوا الأرضَ قُلُولا سعيُكم أمست يباباً
أتقنوا الصنعة حق أخذوا الخلد اغتصابا
إنّ للمتقين عند الله والناس ثوابا
أتقنوا يحببكم الله ويرفعكم جنابا
أرضيتم أن تُرى مص ر من الفن خرابا
بعد ما كانت سماء للصناعات وغابا
أيها الغادون كند حل ارتياداً وطلابا
في بكور الطير للرز ق مجيئاً وذهابا
اطلبوا الحق برفق والجمعوا الواجب دابا
واستقيموا بفتح الله لكم باباً فبابا
اهجروا الخمر تطيعوا الله أو ترضوا الكتابا
إنها رجسٌ فطوبى لأمريء كفّ وثابا
تُرْعش الأيدي ومن ير عش من الصنّاع خابا
إنما العاقل من يجعلُ للدمر حسابا

(١) حاشية : من حاش الصيد ، أخرجه في كل مكان .

(٢) غيضا : من غاض الماء غيضا ، نقص أو غار فذهب في الأرض .

(٣) نقضا . النقص ما انتقض من البناء ، أي انتكث .

(٤) الأرض واليباب الخراب .

وقال أيضاً في وصف الصحافة من قصيدة :

لكل زمان مضي آية^١ وآية هذا الزمان الصحف
لسانُ البلاد ونسبُ العبا د وكهفُ الحقوق وحربُ الجَنَفِ^٢
تسيرُ مسير الضحى في البلا د، إذا العِلْمُ مزقَ فيها السدَفَ^٣
وتشي 'تعلم' في أمةٍ كثير بها لا يَخُطُ الألفُ !
فيا فتية الصحف صبراً إذا نبا الرزقُ فيها بكم واختلف
فإن السعادة غيرُ الظهور ، وغير الثراء ، وغير الترف
ولكنها في نواحي الضمير إذا هو باللؤم لم يَكْتَنِفُ^٤
خذوا القصدَ واقتنعوا بالكفا ف وخلوا الفضولَ يغلها السرف^٥
وروموا النبوغَ فمن ناله تلقى من الحظ أسنى التثخف
وما الرزق مجتنبُ حرفة إذا الحظ لم يهجرُ المحترف
إذا آخت الجوهريّ الحظو ظُ كفلنَ اليتيمَ له في الصدف^٦
وإن أعرضتْ عنه لم يحلُ في عيونِ الخرائدِ غيرُ الخزف

(٣) المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم المتوفى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

هو الشاعر الكبير المرحوم محمد حافظ بن إبراهيم أفندي فهمي المولود سنة ١٢٨٨ هـ يقول الشعر في كل مكان يتفق له فيه أن يخلو بنفسه ، ويتمتع في قرض قريضه تعب النحات الماهر في استخراج تمثال جميل من حجره .

يؤثر الجزالة على الرقة ، وله فيها آيات ، يطرق ا. وضوح في الغالب من جواهره وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع ، شأن الصانع القدير الذي يبدأ بأصعب ما

(١) الجنف : الحيف . (٢) السدف الظلام .

(٣) الفضول : فضلات المال الزائدة عن الحاجة . وغالها السرف ينفوها أتى عليها .

(٤) اليتيم : اللواؤ المنقطع النظير . (٥) الخرائد : العذارى .

بين يديه ، آمناً أن تن عزيمته دون الإجادة بعد ، عالماً أن الكلام لا بد أن يأتيه في أي مقام طبعاً ولو بعد حين .

حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ، ينسج على منوالها ، ويتخير نفائس مفرداتها ، وأعلاق حلاها . له غرام باللفظ لا يقل عن الغرام بالمعنى ، وفي أقصى ضميره يؤثر البيت المجاد لفظاً على المجاد معنى . فإذا فاتته الابتكار حيناً في التصور لم يفته الابتكار حيناً في التصوير ، أولع بالاجتماعات فقال فيها وأجاد ما شاء . فهو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الأدب العربي في مصر لهذا العصر ولكل من تلك المهجوم منزلته ، وإضاءته وأثره الخالد .

أما شعره فشعر البيان ، وإن من البيان لسحراً — ومن شعره الاجتماعي قوله :

كم ذا يكابد عاشق ويُلَاقِي	في حُب مصر كثيرة العشاقِ
إني لأحملُ في هوائِ صباية	يا مصر، قد خرجت عن الأطواقِ
لهفي عليك ، متى أراكِ طليقة	يحمي كريم حماكِ شعبٌ راقِ
كلِّفُ بمحمود الخلالِ مُتَيِّمٌ	بالبذلِ بين يديكِ والإنفاقِ
إني لتُطربني الخلالُ كريمةٌ	طربَ الغريب بأوبةٍ وتلاقِ
ويَهزُّني ذكر المروءة والندى	بين الشائل هزةَ المشتاقِ
ما البابية في صفاء مزاجها	والشربُ بين تنافس وسباقِ
والشمس تبدو وفي الكشوس وتختفي	والبدْرُ يشرقُ من جبين الساقِ
بألد من خُلُقِ كريم طاهر	قد مازجتهُ سلامة الاذواقِ
فإذا رنَّ رنقتَ خليفة محمودة	فقد اصطفاك مقيم الارزاقِ
فالناسُ هذا حظه مالٌ ، وذا	علمٌ ، وذاك مكارم الاخلاقِ
والمال إن لم تدخرهُ محصنا	بالعلم كان نهاية الإملاقِ
والعلم إن لم تكتنفهُ شمائلٌ	تعليمه كان مطية الإخفاقِ

لا تحسبن العلم ينفع وحده
من لي بتربية النساء فإنها
الأم مدرسة ، إذ أعددتها
الأم روضاً إن تعهده الحيا
الأم أستاذ الأساتذة الألى
أنا لا أقول: دعوا النساء سوافراً
يدرن جن حيث أردن ، لا من وازع
يفعلن أفعال الرجال لو اهيأ
في دورهن شؤونهن كثيرة
كلا ، ولا أدعوكم أن تسرفوا
ليست نساؤكم حلى وجواهاً
ليست نساؤكم أثاثاً يقتنى
تشكل الأزمان في أدوارها
فتوسطوا في الحالتين ، وأنصفوا
ربوا البنات على الفضيلة ، إنها
وعليكم أن تستبين بناتكم

ما لم يسوّج ربّه بخلاق
في الشرق عِلّة ذلك الإخفاق
أعددت شعباً طيب الأعراق
بالرثي ، أوزق أيسما إيراقي
شغلت مآثرهم مدى الآفاق
بين الرجال يحلن في الأسواق
يحذرن رقبتيه ولا من واق
عن واجبات نواعس الأحداق
كشئون ربّ السيف والمزراق
في الحجب والتضييق والإرهاق
خوف الضياع تصان في الأحقاق
في الدور بين مخادع وطباق
دولاً ، وهن على الجمود بواق
فالشر في التقييد والإطلاق
في الموقفين لهن خير وثاق
نور الهدى ، وعلى الحياء الباقي

(٤) المرحوم إسماعيل باشا صبري المتوفى سنة ١٩٢٣ م

هو أحد شعراء الطبقة الأولى في هذا العصر ، ويمتاز بحمال مقطعاته وعذوبة أسلوبه إلى ما لا يحاربه فيه مجار .

وأكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله ، من مثل حادثة يشهدا ، أو خبر ذي بال يسمعه ، أو كتاب يطالعه . ينظم المعنى الذي يعرض له في بيتين عادة إلى أربعة إلى ستة ، وقلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصد قصيدة .

وهو شديد النقد لشعره، كثير التبديل والتحويل فيه حتى إذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة اللفظ، وفصاحة الأسلوب أهمله ثم نسيه؛ ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٤ م، وتوفي سنة ١٩٢٣ م.

ومن قوله يصف الأهرام :

لا القوم قومي ولا الأعوان أعواني
ولست أن لم تؤيدني فراءة
ولست جباراً ذا الوادي إذ سلمت
لا تقشروا النيل إن لم تعملوا عملاً
ردوا المجرّة كدّادون مؤرّده
وابنوا كما بنّت الأجيال قبلكم
أمرتكم، فأطيعوا أمر ربكم
فالمملك أمّ وطاعات تسابقه
لا تتركوا مستحيلاً في استحالت
مقالة قد هوت عن عرش قائلها
مادت لها الأرض من دُعرودان لها
لو غير فرعون ألقاها على ملا
لكن فرعون إن نادى بها جبلاً
وآزرتة جماهير تسيّل بها
يبنون ما تقف الأجيال حائرة
من كل ما لم يلد فكر ولا فتحت
ويشبهون إذا طاروا إلى عمل
برأبذي الأمر لا خوفاً ولا طمعاً

إذا ونسى يوم تحصيل العلى وإن
منكم بفرعون عالي العرش والشان
جبالة تلك من غارات أعواني
فماؤه العذب لم يخلسق لكسلان
أو فاطلبوا غيره ريتاً لظمان
لا تتركوا بعدكم فخراً لإنسان
لا يثن مستمعاً عن طاعة ثان
جنباً إلى جنب إلى غايات إحسان
حق يميّط لكم عن وجه إمكان
على مناكب أبطال وشجعان
ما في المقطّم من صخر وصوان
في غير مصر لعُدّت حلم يقظان
لبت حجارتها في قبضة الباني
بطاح وادٍ بماضي الدزم ملآن
أمامه بين إعجاب وإذعان
على نظائره في الكون عينان
جنّا يطير بأمر من سليمان
لكنهم خلّقوا طلاب إنقان

أهرامهم تلك، حيّ الفن متخذاً من الصخور بروجاً فوق كيوان
 قد مرّ دهرٌ عليها وهي ساخرة بما يُضغَضِيعُ من صرّح وإيوان
 لم يأخذ الليل منها والنهار سوى ما يأخذ النمل من أركان ثهلان
 كأنها والعوادي في جوانبها صرعى بناء شياطين لشیطان
 جاءت إليها وفود الأرض قاطبة تسعى اشتياقاً إلى ما خلّدت الفاني
 فصغرت كل موجود ضخامتها وغضّ بنيانها من كل بنيان
 وعاد مُنكرُ فضل القوم مُعترفاً يُشني على القوم في سرّ وإعلان
 تلتطالها كل في الأمصار شاهدة بأنهم أهل سبق، أهل إمعان
 وأن فرعون في حَوْلٍ ومقدرة وقوم فرعون في الإقدام كفان
 إذا أقام عليهم شاهداً حَجَرٌ في هيكَل قامت الأخرى ببرهان
 كأنما هي والأقوام خاشعة أمامها صُحُف من عالم ثان
 تستقبل العين في أثنائها صوراً فصيحة الرّمز دارت حول جُدران
 لو أنها أعطيت صوتاً لكان له صدّى يروّع صمّ الإنس والجان
 أين الألى سجّلوا في الصخر سيرتهم وصغروا كل ذي ملك وسلطان
 بادوا، وبادت على آثارهم دُول وأدرجوا طي أخبار وأكفان

(٥) خليل بك مطران

هو شاعر الشعور والخيال ، وشاعر بعلبك والأهرام ، ولد عام ١٨٧١ م ببعلبك وتعلم بها، ثم قديم مصر عام ١٨٩٣ م ، واشتغل بمكاتبة الصحف، وأنشأ باسمه « المجلة المصرية » عام ١٨٩٩ م ، وأنشأ أيضاً (جريدة الجوائب المصرية) ، وله ديوانه المسمى (ديوان الخليل) .

شعره - مجمع الصور، وملعب الخيال ، ونفسه كالصحيفة الحساسة، ينطبع

عليها كل مسامر بها . بل الغصن الرطب يميل به كل نسيم ، بل وحه البحيرة الصافي يجر كه كل ريح .

ومن قصيدته يصف ضرب الأسطول الإيطالي لـ واصل الشام ويستنهض الهمم :

بلادي لا يزالُ هواك مني كما كان الهوى قبلَ الفِطامِ
أقبلُ منك حيث رمى الأعادي رَغاماً طاهراً دون الرِّغامِ
وأفدي لى جُلمود فتيتٍ وهى بقنابل القومِ اللثامِ
لحى الله المطامعَ حيثُ حلتُ فتلك أشدُّ آفاتِ السَّلامِ
تَشوبُ الماء وهو أغرُّ صابٍ وغشي في المشاربِ بالسقامِ
أقول : وقد أفاق الشرقُ دُغراً من الحالِ الشبيهة بالمنامِ
على صُخبِ المدافعِ في حِماةٍ ورقصُ الموتِ بين طلى وهامِ
أقول : بصوته الحُماة دار رماها منُ بناءِ الغربِ رامِ
أبـة الضيم من عربٍ وترك 'نُورَ الشَّمِّ آسادِ الموامي
قرومَ البصرِ فرساناً ورجلاً نجومَ الكُرِّ من خلفِ اللثامِ
بنا مرضَ النعيمِ فنسَمونا وغىَّ يشفي من الصفو العقامِ
بنا بردُ المكوثِ فأدْفنونا بحمى الوثبِ حيث الخطبُ حامِ
بنا عطلُ السماعِ فشنَّفونا بقمعة الحديدِ لدى الصِّدامِ
على هذا الرجاءِ ونحنُ فيه نسيرُ مؤفِّقينَ إلى الأمامِ

وقال أيضاً في « نابليون » وهو يَرَقبُ السماء في آخر أيامه

قالوا لنابليون ذات عَشية إذ يَرَقبُ كان في السماء الأنجما
هل بعد فتح الأرض من أُمينةٍ فأجاب أنظر كيف أفتتحُ السما

أبواب الشعر العربي - الباب الأول في المديح

قال أمية بن أبي الصلت المتوفى في أول ظهور الإسلام حامداً شاكراً الإله :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا
ملك على عرش السماء مهيم
فسبحان من لا يعرف الخلق قدره
هو الله باري الخلق والخلق كلهم
ملك السماوات الشداد وأرضها
يديم ويبقى ، والخلقة تنفذ
فلا شيء أعلى منك مجداً وأجد
لعزته تمنو الوجوه وتسجد
ومن هو فوق العرش فرد مؤحد
إمام له طوعاً جميعاً وأعبد
يديم ويبقى ، والخلقة تنفذ

وقال أيضاً في الكونيات وذكر الفناء وما يلقاه الناس بعد ذلك :

إله العالمين وكل أرض
بناها وابتنى سبعا شداداً
وسواها وزيتها بنور
ومن شهب تلالاً في دجاها
وشق الأرض فانبجست عيوناً
وبارك في نواحيها وزكى
فكل معمر لا بد يوماً
ويفنى بعد جده ويهلى
وسيق المجرمون وهم عراة
فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً
فليسوا ميتين فيستريحوا
وحل المتقون بدار صديق
لهم ما يشتهون وما تمنوا
ورب الراسيات من الجبال
بلا عمد يرتين ، ولا رجال
من الشمس المضيئة والهلل
مرامها أشد من النصال
وأهزاراً من العذب الزلال
بها ما كان من حرث ومال
وذي دنيا يصير إلى زوال
سوى الباقي المقدس ذي الجلال
إلى ذات المقام والنسكال
وهجوا في سلاسلها الطوال
وكلهم بجر النار صالي
وعيش ناعم تحت الظلال
من الأفراح فيها والكمال

وقال محمود سامي البارودي باشا مادحاً سيد الأمة ، من قصيدة كشف الغمة :

محمد خاتم الرسل الذي خضعت
سمير وخي وحنى حكمة وندي
له البرية من غرب ومن عجم
سماحة وقرى عاف وري ظم

قد أبلغ الوحي عنه قبل بعثته مسامح الرسل قولاً غير منكم
فذاك دعوة إبراهيم خالقه وسر ما قاله عيسى من القدام
أكرم به ، وبآباء محبة جاءت به غرة في الأعصر الدهم
قد كان في ملكوت الله متخراً لدعوة كان فيها صاحب العلم
نور تنقل في الأكوان ساطعه تنقل البدر من صلب إلى رحم

وقال شوقي مادحاً أفضل الخلق على الإطلاق من قصيدة نهج البردة :

« محمد » صفوة الباري ورحمته وبغية الله من خلق ومن نسَم
وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة : متى الورود؟ وجبريل الأمين ظمي
سناؤه وسناء الشمس طالعة فالجرم في فلك والضوء في عاصم
قد أخطأ النجم ما نالته أبوته من سؤدد باذخ في مظهير سَم
نوا إليه فزادوا في الورى شرفاً ورب أصل لفرع في الفخار نَم
حواه في سُبحات الطهر قبلهم نوران قاما مقام الصلب والرحم
لما رآه بحيراً قال نعرفه بما حفظنا من الأسماء والسيَم
وقال أبو تمام مادحاً المعتضد بالله :

إلى قطب الدنيا الذي لو بفضله مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله
من البأس والمعروف والجود والنقى عيال عليه رزقهم شمائله
هو البحر من أي النواحي أتيته فلهجته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتنق الله سائله

(١) يشير إلى قوله تعالى: (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) .

(٢) يشير إلى قوله جل ذكره (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .

الباب الأول في المديح : أبو العلاء المعري - أبو الطيب المتنبي ٢٥٥

وقال مادحاً المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد من قصيدة :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكِتُبِ	فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَالْعَبِّ
بِضُّ الصَّهَائِجِ لَسُودِ الصَّحَائِفِ فِي	مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
فَتَحُّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ	وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِ الْقَشْبِ
غَادَرَتْ فِيهَا هَيْمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضُحَى	يُقِيلُهُ وَتَسْطُهَا صُبْحُ مِنَ اللَّهَبِ
حَتَّى كَانَ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغَبَتْ	عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَغِبْ
أَجَبَتْهُ مُعَلَّنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلَّتَا	وَلَوْ أُجِبَتْ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبْ
خَلِيفَةُ اللَّهِ جَازَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ	جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ	مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي تُنْصِرْتُ بِهَا	وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ

وقال أبو العلاء المعري :

إِلَيْكَ تَنَاهَى كُلُّ فَخْرٍ وَسُودَدِ	فَأَبْلَى اللَّيَالِي وَالْأَنَامَ وَجَدَدِ
لَجْدِكَ كَانَ الْمَجْدُ ثُمَّ حَوِيَتْهُ	وَلَابَنُكَ يُبْنَى مِنْهُ أَشْرَفُ مَقْعَدِ
ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ هِيَ الدَّهْرُ كُلُّهُ	وَمَا هُنَّ غَيْرُ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَالْغَدِ
مَا الْبَدْرُ إِلَّا وَاحِدٌ غَيْرَ أَنَّهُ	يَغِيبُ وَيَأْتِي بِالضُّيَاءِ الْمُجَدِّدِ
فَلَا تَحْسِبِ الْأَقَارَ خَلْقًا كَثِيرَةً	فَجَمَلَتْهَا مِنْ نَيْرٍ مُتَرَدِّدِ
وَالْحَسَنَ الْحُسْنَى وَإِنْ جَادَ غَيْرُهُ	فَذَلِكَ جُودٌ لَيْسَ بِالْمَتَمِّدِ

وقال أبو الطيب المتنبي مادحاً سيف الدولة :

ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَ الْأَرْضَ عَنْ مَلِكٍ	مِيلُ الزَّمَانِ وَمِيلُ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
فَنَحْنُ فِي جَنْدَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ	وَالْبَرْقُ فِي شَغْلٍ وَالْبَحْرُ فِي تَخَجَلٍ
لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ	فَمَا كَلِيبٌ وَأَهْلُ الْأَعْيُنِ الْأَوَّلِ
خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ	فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

وقد وجدت مكان القول ذا سعة
إنَّ الإمام الذي فسَّخَرُ الأنام به
تسمي الأمانى صرعى دون مبلغه
فإن وجدت لساناً قائلًا فسَّخُلْ
خير السيوف بكففي خيرة الدول
فما يقولُ لشيءٍ ليتَ ذلك لي

وقال أيضاً يمدح أبا شجاع :

لا تخيلَ عندك تهديها ولا مالُ
واجنزا الأمير الذي نُعماهُ فاجئةُ
فربما جزتَ الإحسانَ مُولِيَه
وإن تكن محكمات الشكل تمنعني
وما شكرتُ لأن المال فرّحني
لكن رأيتُ قبيحاً أن يجادلنا
فكنت مُسبِّتَ رَوْضِ الحزن باكره
غيثٌ يُبَيِّنُ للنشطار موقعهُ
لا يُدرك المجدَ إلا سيدُ فطنُ
لا وارثُ جهلتُ يناهُ ما وهبتُ
قال الزمانُ له قولاً فأفهمه
تدري القناةُ إذا اهتزتِ براحتي
كفاتك، ودخول الكاف منقصةُ
القائدُ الأسدُ غدتها بَرائِنه

فليُسعدِ النطق إن لم تُسعدِ الحالُ
بغير قولٍ وُنعْمى الناس أقوالُ
خريدةٌ من عذاري الحبي مكسال
ظهور جري فلي فيهنّ تصهال
سيان عندي إكثارُ وإقلالُ
وإننا بقضاء الحق بخال
غيث بغير سباح الأرض هطال
أن الغيوث بما تأتيه جهالُ
لما يشق على السادات فعمالُ
ولا كسوبٌ بغير السيف سئال
أن الزمان على الإمامك عذالُ
أن الشقي بها خيلُ وأبطالُ
كالشمس قلت وما للشمس أمثالُ
بمثلها من عِداه وهي أشبالُ

وقال أيضاً يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه قلعة الحدث عام ٣٤٣ هـ :

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ
وتعظمُ في عين الصغير صفارها
يكلف سيفُ الدولة الجيش همه
وتأتي على قسَدِ الكيرام المكارمُ
وتصغرُ في عينِ العظيم العظامُ
وقد عجزت عنه الجيوش الخضارمُ

ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم
يفدّي أتم الطير عمراً سلاحه نسورُ الفلأ أحداثها والقشاعيمُ
وما ضرها خلقٌ بفسير مخالب وقد خلقت أسيافه والقوائم
هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أيّ الساقين الغنائم
سقتها الغمام الغرّ قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا تفرع القنسا وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جث القتلى عليها نائم
طريدة دهر ساقها فرددتها على الدين بالخطي والدهر راغم
تبديد الليالي كل شيء أخذته وهنّ لما يأخذن منك غوارم
وكيف ترجي الروم والفرس هدماً وذا الطعن أساس لها ودعائم

وقال جرير يمدح عبد الملك بن مروان :

تعزت أم حزرة ثم قالت رأيت الواردين ذوي امتناح
ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح
سأشكرُ إن رددت إلي ريشي وأنبت القوادم في حناحي
ألستم خير من ركب المطايا وأنشدى العالمين بطون راح

وقال أيضاً يمدح عمر بن عبد العزيز ويستعطفه :

كم باليامة من شعثاء أرملة ومن يتيم ضئيف الصوت والنظر
ممن يمدك تكفي فقد والدك كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به خبلاً من الجن أو مساً من البشر
إننا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر
أتى الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن حاجة هذا الأرملة الذكر ؟

وقال أيضاً يمدحه :

يعودُ الفضلُ منك على قرّيش وتفرجُ عنهم الكربَ الشدادا
وقد أمّنتَ وحشهمُ برفق ويعيي الناسَ وحشكَ أن يصادا
وتدعو اللهَ بجهدٍ ليرضى وتذكر في رعيتك المادّا
وما كعبُ ابنِ مامةٍ وابنِ سعدى بأجودَ منك يا عمرُ الجوادا

وقال الثعالبي المتوفى سنة ٤٣٩ هـ مادحاً الأمير أبا الفضل الميسكالي :

لك في المفاخر معجزاتٌ حجة أبداً لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحرٌ في البلاغة شابه شعرُ الوليد وحسنُ لفظ الأصمعي
وترسل الصابي يزين علوه خط ابن مقلة ذو الحبل الأرفع
كالنور أو كالسحرا أو كالبدراو كالوشى في برد عليه موشع
شكراً فكم من فيقرة لك كالغنى وافى الكريمُ بعيندَ فقر مدقع
وإذا تفتق نورُ شعرك ناضراً فالحسن بين مرصع ومرصع
أرجلت فرسان الكلام ورض تأسرأس البديع وانت أعجد مبدع
ونقشت في فص الزمان بدائعاً تزري بآثار الربيع المعرع

وقال أبو محمد اليمني المتوفى سنة ٥٦٩ يمدح الملك الفائز ووزيره الصالح :

أقسمتُ بالفائز المعصوم معقده فوز النجاة وأجر البر في القسم
لقد حمى الدين والدنيا وأهلها وزيره الصالح الفرّاج للأقسم
اللابس المجد لم تنسج غلائله إلا يد الصانعين : السيف والقلم
قد ملكته العوالي رق مملكة تعيرُ أنف الثريا عزة الشمم
أرى مقاماً عظيمَ الشأن أوهمي في يقظتي أنه من جملة الحلم
ليت الكواكب تدنولي فأنظمها عقود مدح فما أرضى لسكم كلمي
خليفة ووزير مدّة عدلها ظلا على مفرق الإسلام والأسم
زيادة النيل نقص عند فيضها فما عسى يتعاطى هاطلُ الديم

وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم يمدح المرحوم الشيخ محمد عبده ويهينه :
 رأيتك والأبصارُ حولك خُشِعَ فقلت أبو حفص ببرّ ديك أم علي
 وخففتُ من حزني على مجد أمة تداركتها والخطبُ للخطب يعتبلي
 طلعت بها باليمن من خير مطلع وكنت لها في الفوز قدح ابن مقبل
 وجردت للفتيا حسامَ عزيمة بحديثه آياتُ الكتاب المنزل
 محوت به في الدين كل ضلالة وأثبتت ما أثبتت غير مضل
 لئن ظفرت الإفتاء منك بفاضل لقد ظفرت الإسلامُ منك بأفضل

الباب الثاني في الفخر والحماة

قال السموأل بن عاديا المتوفى سنة ٦٢ قبل الهجرة :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل^١
 وإن هو لم يحمل على النفس صيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل^٢
 تعيرنا أنا قليل عديدا فقلت لها : إن الكرام قليل^٣
 وما قل من كانت بقاياها مثلنا شباب تسامى للعلماء وكهول^٤
 وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكرين ذليل^٥
 لنا جبل يحتله من نجير^٦ منيع يرد الطرف وهو كليل

(١) اللؤم اسم جامع للخصال المذمومة : والمعنى أن الإنسان إذا لم يتدنس
 باكتساب اللؤم واعتياده فأني ملبس بلبسه بعد ذلك كان جميلا . (٢) وإن هو لم
 يحمل إلى آخر البيت : أي من لم يصبر النفس على مكارها فلا سبيل له إلى اكتساب
 حسن الثناء وليس معنى الضيم ضم الغير لهم لأنهم يأنفون من ذلك ويعدونّه تذلا
 (٣) يقال عيرته كذا وعيرته بكذا والاول المختار . (٤) الشباب . جمع شاب
 كالشبان ، وقوله تسامى أراد تتسامى فحذف إحدى التاءين ، والكهول جمع كهل ضد
 الشبان . (٥) وما ضرنا يجوز في إما أن تكون نافية ، والمعنى لم يضرنا ويجوز
 أن تكون استفهامية على طريق التقرير (٦) قيل إنه أراد بذكر الجبل العز
 والسمو : وقيل ان هذا الجبل هو حصن السموأل الذي يقال له الأبلق الفرد
 بناه أبوه ، وقيل بناه سيدنا سليمان عليه السلام !

زَسَا أصله تحت الثرى وسما به
هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره
وإنما لقوم لا نرى القتل سبته
يقرب حب الموت آجالنا لنا
وما مات منا سيد حتف أنفه
تسيل على حد الطبات نفوسنا
صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا
علونا إلى خير الظهور وحطنا
فنحن كماء المزن ما في نصابنا
وننكر إن شئنا على الناس قولهم
إذا سيد منا خلا قدام سيد

إلى النجم فرع لا ينال طويل^١
يعز على من رame ويطول^٢
إذا ما رآته عامر وسلول^٣
وتكرهه آجالهم فتطول^٤
ولا ظل منا حيث كان قتيل^٥
وليس على غير الطبات تسيل^٦
إناث أطابت حملنا وفحول^٧
لوقت إلى خير البطون نزول^٨
كهام ولا فينا يعد بخيل^٩
ولا ينكرون القول حين نقول^{١٠}
قؤول لما قال الكرام فعول^{١١}

(١) رسا أصله إلى آخر البيت يريد به أنه أثبت جبل في الأرض وأعلى طود
عليها (٢) الأبلق الفرد الذي شاع ذكره هو حصن السموأل بناه أبوه وقيل
سليمان عليه السلام بأرض تيماء وقصدته الزباء فمعجزت عنه وعن مارد فقالت تورد
مارد وعز الأبلق (٣) السبة العار ، وعامر وسلول قبيلتان : يقول إذا حسب
هؤلاء القتل عاراً عدته عشيرتي فخراً (٤) يقرب إلى آخر البيت يشير به إلى
أنهم يفتبطون لاقتحامهم المنايا وأن عامراً وسلولاً يعمران لمجانبتهم الشر كراهة
لموت وحبا للحياة (٥) يقال مات فلان حتف أنفه إذا مات من غير قتل ولا
ضرب . قيل إن أول من تكلم بقولهم حتف أنفه النبي صلى الله عليه وسلم .
(٦) الطبات : جمع ظبية وهي حد السيف قيل أراد بالطبات السيوف كلها فأضاف الحد
إليها أي أنهم لشجاعتهم وشرفهم لا يقتلون إلا بالسيف ولا يقتلون بالعصي ولا
بالحجارة كما يقتل رعا الناس (٧) المراد بالسر هنا الأصل الجيد (٨) علونا
إلى آخر البيت يشير به إلى صريح نسبهم وخلوصه مما يحيط بشرفهم (٩) كماء
المزن يريد بذلك تشبيه صفاء أنسابهم بصفاء المطر والنصاب : الأصل ومنه نصاب
السكين والكهام الكليل الحد يقول نحن كماء المزن وكل منا نافذ ماض ولا فينا بخيل
فيعد (١٠) ولا ينكرون إلى آخر البيت معناه أنهم لشدة بأسهم وحماستهم
يخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم (١١) يعني أن السيادة مستقرة فينا حتى إذا
خلا منا سيد خلفه سيد يقول ما تقول الكرام ويفعل ما تفعل .

وما أحمَدتُ نارُ لنا دون طارقٍ ولا ذمَّنا في النازلينَ نزيلُ^١
وأيا منَّا مشهورة في عدوِّنا لها غررٌ معلومة وحجول^٢
وأسيافُنا في كلِّ شرِّقٍ ومغربٍ بها من قراع الدَّارعينَ فلولُ^٣
معوَّدةٌ ألا تُسلَّ نصالُها فتُعمد حتى يُستباحَ قبيلُ^٤
سلي إن جهلتِ الناسَ عنا وعنهم فليسوا سواءَ عالمٌ وجهولُ^٥
فإن بني الديان قطبٌ لقومهم تدورُ رحاها حولهم وتجولُ^٦
وقال عنتره العبسي المتوفى سنة ٧ قبل الهجرة :

لعمرك إن المجد والفخر والعلا ونيل الأمان وارتفاع المراتبِ
لمن يلتقي أبطالها وسراتها بقلب صبور عند وقع المضارب
ويبني مجد السيف مجداً مشيداً على فلك العلياء فوق الكواكب
ومن لم يروِ رُحاه من دم العدا إذا اشتبكتُ سمر القنا بالقواضب
ويُعطي القنا الخطي في الحرب حقه ويبري مجد السيف عرض المناكب
يعيش كما عاش الذليل بغصّة وإن مات لا يحري دموع النواذب
فضائلُ عزِّم لا تباعُ لضارع وأسرار عزِّم لا تداع لمائب
برزتُ بها دهرأ على كلِّ حادث ولا كحلَّ إلا من غبار الكتائب

(١) وما أحمَدتُ نار لنا يشير بذلك إلى أنهم لكثرة كرمهم يديمون إيقاد نار الضيافة ولا يطفئونها دون طارق ليل وأنهم يثني عليهم كل نزيل (٢) الحجول : جمع حجل وهو الخلخال يقول وقعاتنا مشهورة في أعدائنا فهي بين الأيام كالأفراس الغر المحجلّة بين الخيل . (٣) القراع بكسر القاف المقارعة والمضاربة والدارعين أصحاب الدروع (٤) القبيل الجماعة من آباء شتّى وجمعه قبائل يقول عودت أسيافنا أن لا تجرد من انمادها فترد فيها إلا أن يستباح بها قبيل ، وفي رواية قتيل (٥) عنا وعنهم ويروي عما فنخبري معناه إن كست جاهلة بنا فسلي الناس تخبري بجاننا قال العالم والجاهل مختلفان (٦) القطب الحديد المفروس في الطبقة الأسفل من الرحي يدور عليه الطبقة الأعلى منها والمعنى أن أمر قبيلتهم لا يستقيم ولا يتم إلا بهم مثل الرحي لا يتم أمرها إلا بالقطب .

إذا كذب البرقُ اللوعُ لشائم فبرقُ حُسامي صادق غير كاذبُ

وقال في الحماسة والفخر :

سكتُ ففرَّ أعدائي السكوتُ وظلُّوني لأهلي قد نسيْتُ
وكيف أنامُ عن سادات قوم أنا في فضلِ نعمتهم رُبِيتُ
وإن دارت بهم خيلُ الأعادي ونادَوْنِي ، أُجبتُ متى دُعيتُ
بسيفِ حَدِّهِ موجُ المنايا ورُمحِ صدرهِ الحنفِ المميتُ
خُلقتُ من الحديدِ أشدَّ قلباً وقد بليَ الحديدُ وما بليتُ
وإني قد شربتُ دمَ الأعادي بأقنحافِ الرؤوسِ وما رويتُ
وفي الحربِ العَوانِ ولدتُ طفلاً ومن لبِنِ المعامعِ قد سقيتُ
فما للرمحِ في جسمي نصيبُ ولا للسيفِ في أعضائي قوتُ
ولي بيتُ علا فلِكَ الثريَّا تخِرُّ لعظمِ هيبتِهِ البيوتُ

وقال أيضاً في الحماسة والفخر يوم المصانع :

إذا كشف الزمان لك القناعا ومدَّ إليك صرفُ الدهرِ باعا
فلا تخشِ المنيةَ والتقيها ودافع ما استطعت لها دفاعا
ولا تخترُ فراشاً من حريرٍ ولا تبكِ المنازلَ والبقاعا
وحولك نِسوةٌ يندبنَ حزناً وهتِكُنَ البراقعَ واللفاعا
يقول لك الطبيب دواك عندي إذا ما جسَّ كفك والذراعا
ولو عرف الطبيب دواء داءٍ يرُدُّ الموتَ ما قاسى النزاعا
وفي يوم المصانع قد تركنا لنا بفعالنا خيراً متاعا
أقمنا بالذوابلِ سوقَ حربٍ وصيرنا النفوسَ لها مصاعا
حصاني كان دلالَ المنايا فخاض غمارها ، وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طبيبياً يُداوي رأس من يشكو الصداعا
أنا المبدؤ الذي خُبِرْتُ عنه ، وقد عاينتني فدعِ السماعا

ولو أرسلتُ ربحي معَ جبانٍ لكانَ يهيبني يلقى السباعا
ملأتُ الأرضَ خوفاً من حسامي وخصمي لم يحيد فيها اتساعا
إذا الأبطالُ فرّتْ خوفَ بأسِي ترى الأقطارَ باعاً أو ذراعاً

وقال أيضاً في الفخر والحماسة :

أعادي صرف دهر لا يُعادي وأحتملُ القطيعةَ والسعادا
وأظهرُ نصحَ قومٍ ضيعوني وإن خانت قلوبهمُ الودادا
أعللُ بالني قلباً عليلاً وبالصبر الجميل وإن تُمادا
تُعيرني العدا بسوادٍ جلدي وبيضُ خصائلي تمحو السوادا
وردتُ الحربَ والأبطالُ حولي تهزُّ أكفها السُمرُ الضعادا
وخضتُ بمهجتي بحر المنايا ونارُ الحرب تتقد انتقادا
وعُدتُ مُخضّباً بدمِ الأعادي وكربُ الركض قدخضب الجوادا
وسيفي مُرهف الحدين ماضٍ تقدُّ شفاره الصُّخر الجهادا
وربحي ما طعنتُ به طعيناً فعاد بعينه نَظَرَ الرِشادا
ولوك صارمي وسنان رُحبي لما رفعت بنو عبس عمادا

وقال يتوعّد النعمان بن المنذر ملك العرب ، ويفتخر بقومه :

لا يحملُ الحقدَ من تعلو به الرتبُ ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ
للهِ دَرٌّ بني عبس لقد نسلوا من الأكارم ما قد تنسلُ العربُ
قد كنتُ فيما مضى أرعى جمالهم واليوم أحمي حاهم كلما نُكِبوا
لئن يعيبوا سوادي فهو لي نَسَبُ يومَ التزال إذا ما فأتني النسبُ
ان كنت تعلم يا نَعْمَانُ أنْ يدي قصيرةٌ عَنْكَ فالأيامُ تنقلبُ
ان الأفاعي وان لانت ملامسها عند التقلب في أنيابها المطبُ
اليومَ تعلم يا نَعْمَانُ أيُّ فتيٍّ يلقى أخاك الذي قد غرّه العصبُ

فقي يخوض غمار الحرب مُبْتَسِمًا وَيَبْثُنِي وَسَنَانُ الرُّمَحِ مَحْتَضِبُ
 ان سل صارمته سالت مضاربته وَأَشْرَقَ الْجَوُّ وَانْشَقَّتْ لَهُ الْحُجُبُ
 والخيل تشهد لي أفي أكسفكها وَالطَّعْنُ مِثْلُ شَرَارِ النَّارِ يَلْتَهَبُ
 اذا التقيت الأعادي يوم معركة تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ الْمَفْرُورَ يُنْتَهَبُ
 لي النفوس وللطير اللحوم ولا وَحَشَ الْعِظَامُ وَلِلْخِيَالَةِ السَّلْبُ
 لا أبعد الله عن عيني غطارفة إِنْسًا إِذَا نَزَلُوا جَنًّا ، إِذَا رَكَبُوا
 أسود غاب ولكن لا نيوب لهم إِلَّا الْأَسِنَّةُ وَالْهَنْدِيَةُ الْقَضْبُ
 تعدو بهم أعوجيات مضمرة مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْقَبْ
 مازلت ألقى صدور الخيل مندفا بِالطَّعْنِ حَتَّى يَضْجُ السَّرَجُ وَاللَّبْ
 فالعُمى لو كان في أجفانهم نظروا وَالْخُرْسُ لَوْ كَانَ فِي أَفْوَاهِهِمْ خَطَبُوا
 والنقع يوم طراد الخيل يشهد لي وَالضَّرْبُ وَالطَّعْنُ وَالْأَقْلَامُ وَالْكَتَبُ

وقال أيضاً في اغارته على بني حريقة :

حَكَّمْتُ سَيْوْفَكَ فِي رِقَابِ الْعَذَلِ وَإِذَا نَزَلْتَ بَدَارُ ذُلِّ فَارْحَلِ
 وإذا الجبان نهاك يوم كرهية خَوْفًا عَلَيْكَ مِنْ اِزْدِحَامِ الْجَحْفَلِ
 فاعص مقالته ولا تحفل بها وَأَقْدَمَ إِذَا حَقَّ الْاَلْقَا فِي الْأَوَّلِ
 واختر لنفسك منزلاً تعلو به أَوْ مَتَّ كَرِيمًا تَحْتَ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
 ان كنت في عدد العبيد فهمتي فَوْقَ الثَّرِيَّةِ وَالسَّيِّمَاتِ الْأَعْزَلِ
 أو أنكرت فرسان عبس نسبتني فَسَيِّانَ رُحْمِي وَالْحُسَامِ يَقْرُّ لِي
 وبذابي ومهنتي نلت العلى لَا بِالْقَرَابَةِ وَالْعَدِيدِ الْأَجْزَلِ
 ورميت رُحْمِي فِي الْعَجَاجِ فَخَاضَهُ وَالنَّارُ تَقْدَحُ مِنْ شِفَارِ الْأَنْصَلِ
 خاض العجاج محجلاً حتى اذا شَهِدَ الْوَقِيعَةَ عَادَ غَيْرَ مُحْجَلِ
 ولقد نكبت بني حريقة نكبة لَمَّا طَعَنْتُ صَمِيمَ قَلْبِ الْأَخِيلِ
 وقتلت فارسهم ربيعة عنوة وَالْهَيْدَبَاتِ وَجَابِرِ بْنِ مَهْلِلِ

لا تسقي ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كاس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

وقال هبة الله بن سناء الملك المتوفى سنة ٢٣٥ هـ :

سواي يهاب الموت أو يهرب الردى وغيري يهوى أن يعيش مخدلا
ولكنني لا أهرب الدهر إن سطا ولا أحذر الموت الزؤام إذا عدا
ولو مدّ نحوي حادث الدهر كفه لحدثت نفسي أن أمدّ له يدا
توقد عزمي يترك الماء جرة وحلية حلمي تترك السيف مبردا
وفرط احتقاري للأنام لأنني أرى كل غار من حلى سوددي سدا
ويأبى إياي أن يراني قاعدا ولاني أرى كل البرية مقعدا
وأظلم إن أبدى لي الماء منة ولو كان لي نهر البحرة موردا
ولو كان إدراك الهدى بتدلّل رأيت الهدى ألا أميل إلى الهدى
وقدما بغيري أصبح الدهر أشيبا وبني وبفضلي أصبح الدهر أمردا
وإنك عبدي يا زمان وإنني على الرغم مني أن أرى لك سيّدا
وما أنا راض أنني واطيء الثرى وليمة لا ترضي الأفق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتي لحرت جميعا نحو وجهي سجدا
أرى الخلق دوني إذ أراهم فوقهم ذكاء وعلماء واعتلاء وسوددا
وبذل نوالي زاد حق لقد غدا من الفيض منه ساكن البحر مزبدا
ولي قلم في أنمي إن هزرت فما ضررتي ألا أهز المهندا
إذا صال فوق الطرس وقع صريه فإن صليل الشرقي له صدى

وقال حسان بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة ٥٤ هـ .

لعمري أبك الخير يا شعث ما نبا على لساني في الخطوب ولا يدي
لساني وسيفي صارمان كلاهما ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي
وإن أك ذا مال كثير أجسد به وإن يهصر عودي على الجهد يحمدي

فلا المال يُنسيني حياتي وعِفتي ولا واقعاتُ الدهر يفلتن مبردي
وإني لمُعط ما وجدت وقائلٌ لموقدِ ناري ليلة الرّيح أو قد
وإني لقوَالٌ لذي البث مرحباً وأهلاً إذا ما جاء من غير مرصد
وإني ليدعوني الندى فأجيبه وأضربُ بيض العارض المتوقّد
وإني لحلوٌ تعترني ممرارةٌ وإني لستراكُ لما لم أعود
وإني لمزجٍ للمطي على الوجى وإني لستراك الفيراش الممهّد
وقال الفرزدق :

لنا العِزةُ القعساءُ^١ والعدد الذي عليه إذا عدّ الحصى يتخلف^٢
ومنا الذي لا ينطقُ الناس عنده ولكن هو المستأذن المتصرف^٣
تراهم قعوداً حوله وعيونهم مكسرة أبصارها ما تُصرف^٤
تري الناس إن سرنا يسرون خلفنا^٥ وإن نحن أومأنا إلى الناس وقتفوا^٦
ولا عِز إلا عزنا قاهر له ويسألنا النصف الذليل فننصف^٧
وما قام عنا قائم في نديتنا^٨ فينطق إلا بالتي هي أعرف^٩
وقال وقد نزل في بادية وأوقد ناراً فرأها دثب فأثاه فاطعته من زاده وأنشد:
وأطلس عَسالٍ وما كان صاحباً^{١٠} دعوتُ بناري مَوْهِناً فأتاني^{١١}

(١) العزة القعساء أي القوة والمنعة الشاخنة الثابتة . (٢) يعني عددنا كثير ، وعدد الحصى أقل منه . (٣) يعني منا من لا يتكلم في مجلسه إلا بإذنه ولا يفعل إلا بأمره (٤) يعني ما تنظر بمنة ولا يسرة من مهابة وجلالته (٥) يعني نحن سادة أشراف نخشي أمام الناس . (٦) يعني إذا أشرنا إلى الناس أن قفوا أوقف بعضهم بعضاً طوع إشارتنا . (٧) ويطلب منا الضعيف البصقة والعدل فمنعك منه من ذلك (٨) الندى كغنى والسادى مجتمع القوم . (٩) يعني لا نطق إلا حيث يحسن الكلام وإذا نطق جاء بالقول الصادق الذي لا يمكن لأحد أن ينكره . (١٠) الأطلس الذئب الحبيث الذي في لونه غبرة مائلة إلى السواد، والعسال الذي يضطرب في عدوه ويهز رأسه . (١١) الموهن : الساعة الأولى بعد نصف الليل أي دعوته بسبب إيقاد النيران في الساعة الأولى بعد نصف الليل فجاء إلى .

فلما أتى قلتُ أدنُ دونك^١ إنني
فبتُ أقدُّ الزاد بيني وبينه^٢
وقلتُ له لما تكشَّرَ ضاحكا^٣
تعشَّ فإن عاهدتني لا تخونني
وأنت امرؤٌ يا ذئبُ والغدر كنتما
ولو غيرنا نهت تلتمسُ القرى
وقال الشريف الرضي^٤ :
لغير العلى مني القلى والتجنبُ
إذا الله لم يعذرَكَ فيما ترومه
ملككت بحلمي فرصة ما استرقها
لئن تكُ كفي ما تطاولَ باعها
فحسبي أني في الأعداي مُبَغِضُ
وللحلم أوقات وللجهل مثلها
يصولُ عليّ الجاهلون وأعتلي

وإياك في زادي لمشتركان
على ضوِّ نار مرة ودُخان
وقائم سيفي في يدي بمكان^٥
نكن مثل من ياذبُ يصطحبان^٦
أخيَّيرُ كانا أرضِما بلبان^٧
رماك بسهم أو شِباة سنان^٨
ولولا العلى ما كنت في الحب أرغب
فما الناسُ إلا عاذلٌ ومؤنبُ
من الدهر مفتول الذراعين أغلب
فلي من وراء الكف قلبٌ مُدرَّب
وأنى إلى عزِّ المعالي محب
ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب
ويُعجم في القائلون وأعرب

(١) أي لما جاء وقف فقلت له اقترب وخذ: إشارة إلى اعطائه لزاد (٢) أقد أي أقطع والزاد الطعام ولعل طعامه كان لحما بدليل القد (٣) لما تكشَّر لما أبدى ضاحكا أي كأنه يضحك (٤) يعني ومقبض سيفي ثابت في يدي . (٥) يعني إذا لم تظهر عليك علامة الغدر بقيت معك وبقيت معي كالمصطحبين . (٦) يعني مع أني أعرف أنك والغدر متلازمان لا تفترقان ومعناه أن شيمته الغدر . (٧) تلتمس القرى تطلب الضيافة وشِباة السنان حده . ١٨ هو أبو الحسين محمد ابن الحسين بن موسى الأبرش الشريف الملقب الرضي ذي الحسين نقيب الطالبيين المولود سنة ٣٦٩ هـ وتوفي ٤٠٦ هـ ثم نقل إلى مشهد سيدنا الحسين عليهما السلام بكربلاء ، دفن عند أبيه ، ومن شعره ما كتبه إلى الإمام أبي العباس أحمد المقتدر :

عطفا أمير المؤمنين فإننا في دوحه العلياء لا نفترق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فلاني أنا عاطل منها وأب مطوق

يرون احتمالي غصة ويزيدهم
وأعرض عن كأس النديم كأنها
وقور فلا الأجان تأسر عزمي
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها
تحلثم عن كرك القوارض شيمتي
لساني حصاة يقرع الجهل بالحجا
ولست براض أن تمس عزائي
عرائب آداب حبائي بحفظها
تعلم فإن الجود في الناس فطنة
لواعج ضغن أنني لست أغضب
وميض غمام غائر المزن خلب
ولا تمكر الصهباء بي حين أشرب
ولا أنطق العوراء والقلب مغضب
كان معيد المدح بالذم مطنب
إذا نال مني العاضه المتوثب
فضالات ما يعطي الزمان ويسلب
زمانني وصرف الدهر نعم المؤدب
تقوم بها الأحرار والطبع أغلب

وقال العميد مؤيد الدين الطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ :

أبى الله إن أسمو بغير فضائي
وإن كرمتم قبلي أوائل أسرتي
وما منصب إلا وقدري فوقه
إذا شرفت نفس الفتى زاد قدره
كذلك حديد السيف إن يصف جوهرأ
وما المال إلا عارة مستردة
إذا لم يكن لي في الولاية بسطة
ولا كان لي حكم مطاع أجزه
فأعذر إن قصرت في حق مجتد
ولولا تكاليف العلى ومغارم
لأعطيت نفسي في التخلي مرادها
إذا ما سما بالمال كل مسود
فإني بحمد الله مبدأ سؤدي
ولو حط رحلي بين نسر وفرقد
على كل أسنى منه ذكراً وأجد
فقيمته أضعافه وزن عسجد
فهيلا بفضلني كاثروني ومحتدي
يطول بها باعي وتسطو بها يدي
فأرغم أعدائي وأكبت حسدي
وآمن أنت يعتادني كيد معتد
ثقال وأعقاب الأحاديث في غد
فذاك مرادي مذ نشأت ومقصدي

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب :

مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفورا.

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم
مهلاً بني عَمَّنَا من نَحْتِ أَثْلَتْنَا
الله يعلم أَنَّنَا لَا نَحْبُكُم
كل له نيةٌ في بَغْضِ صاحبه
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ :

لا أَدْفَعُ ابْنَ الْعَمِّ يَتَشَى عَلَى شَفَا
ولكن أَوَاسِيهِ وَأُنْسِي ذُنُوبَهُ
وحسبُكَ من ذُلِّ وسوءِ صنِيعَةٍ
وَقَالَ حِطَّانُ بْنُ الْمَعْلِيِّ :

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حَكْمِهِ
وَعَالِي الدَّهْرِ بِوَقْرِ الْغَنَى
أُبْكَايَ الدَّهْرَ وَيَا رَبِّمَا
لولا بُنْيَاتُ كَرْغَبِ الْقَطَا
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ
وَأَمَّا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا
لو هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ

وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حُبْنَاءَ :

إذا المرءُ أَوْلَاكَ الْهُوَانَ فَأُولَهُ
فإن أنتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تَهِينَهُ
وقارب إذا مَا لَمْ تَكُنْ لَكَ حِمْلَةٌ

وَقَالَ سَعْدُ بْنُ نَاشِبٍ :

تَفَنَّدَنِي فَمَا تَرَى مِنْ شَرَّاسَتِي
وشدة نفسي أم سعد وما تدري

فقلت لها انّ الكريم وان خلا
وفي اللين ضعف وفي الشراسة هيبة
وما بي على من لان لي من فظاظه
وقال ابراهيم النبهاني :

تعزّ فإن الصبر بالحر أجمل
فلو كان يغني أن يرى المرء جازعاً
لكان التعزّي عند كل مصيبة
فكف وكلّ ليس يعدو حمامه
فإن تكن الأيام فينا تبدّلت
فما لينت منا قناة صليبة
ولكن رحلناها نفوساً كريّة
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا
وقال آخر :

إن يحسدوني فلني غير لائمهم
فدام لي ولهم ما بي وما بهم
انا الذي يحسدوني في صدورهم
وقال سالم بن وابصة :

عليك بالقصد فيما انت فاعله
وموقف مثل حد السيف قت به
فما زلقت ولا ابديت فاحشة
وقال تأبط شرأ :

إذا المرء لم يحتل وقد جدّ جده
اضاح وقاسى امره وهو مدبر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً به الخطب إلا وهو للقصد مبصر
وقال حبيب بن أوس أبو تمام الطائي :

أنا ابن الذي استرضع الجود فيهم وقد ساد فيهم وهو كهل ويافع
نجوم طواليص جبال فوارع غيوث هواميع سيول دوافع
مضوا وكان المكرمات لديهم لكثرة ما أوصوا بهن شرائع
فأي يد في الحل مدّت فلم يكن لها راحة من جودهم وأصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا فضع وما ضاعت لدينا الودائع
بهاليل لو عاينت فيض أكفهم لأيقنت أن الرزق في الأرض واسع
إذا خفقت بالبذل أرواح جودهم حداها الندى واستنشقتها المدامع
رياح كريخ العنبر الغض في الندى ولكنها يوم اللقاء زعازع
هي السم ما تنفك في كل بلدة تسيل به أرماحهم وهو نافع
أصارت لهم أرض العدو قطائعا نفوس لحد المرفقات قطائع
بكل فتى ما شاب من روع وقعة ولكنه قد شبن منه الوقائع
إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر أغارت عليهم فاحتوته الصنائع
فتعطي الذي تعطيهم الخيل والقنا أكف لإرث المكرمات موانع
وقال أبو فراس الحمداني المتوفى سنة ٣٥٧ هـ :

ووالله ما قصرت في طلب العلا ولكن كان الدهر عني غافل

(١) هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة
وناصر الدولة توفي سنة ٣٥٧ هجرية عن عمر ٣٧ سنة ، وكان فرد دهره وشمس
عصره أدبا وفضلا وكرما ومجداً وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة ، فله دره
شاعراً من قبل ومن بعد . وأنشد وهو يحضر يخاطب ابنته :

ابنيتي لا تجزعي كل الأنام إلى ذهاب
نوحى عليّ بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلمتني فعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا س لم يمتع بالشباب

مواعيد آمال متى ما انتجعتها
تدافعني الأيام عما أريده
فثلي من نال الأعادي بسيفه
ومالي لا تمسي وتصبح في يدي
أحكم في الأعداء عنها صوارماً
وما زال بحمي الحائل عنوة
ينال اختيار الصفع عن كل مذنب
لنا عقب الأمر الذي في صدره
أصاغرنا في المكرمات أكابر
إذا صلت صولاً لم أجد لي مصاولاً

حلبت بكيات وهن حوافل
كما دفع الدين الغريم المباطل
ويا ربما غالته عنها الغوائل
كرائم أموال الرجال العقائل
أحكمها فيها إذا ضاق نازل
سوى ما أفلت في الجفون الحائل
له عندنا ما لا تنال الوسائل
تطاول أعناق العدى والكواهل
وآخرنا في المأثرات أوائل
وإن قلت قولاً لم أجد من يقاويل

وقال : إنا إذا اشتد الزما
ألفيت حول بيوتنا
للقا العدا بيض السيوف
هذا ، وهو دأبنا

ن' وثاب خطب' وادلهم
عدد الشجاعة والكرم
ف وللندی حمر النعم
يودى دم' ويراق' دم'

وقال :

واني لنزال بكل مخوفة
ولاني لجرار لكل كتيبة
ولا راح يطغيني بأثوابه الغنى
وما حاجتي في المال أبغي وفوره
اسرت وما صجي بعزل لدى الوغى
ولكن اذا حم القضاء على امرئ
وقال اصيحنابي الفرار امرئ
ولكنني أمضي لما لا يعيبي

كثير إلى نزالها النظر الشرر
معودة الا يحل بها النصر
ولا بات يثني عن الكرم الفقر
إذا لم اقر عرضي فلا وفر الوفور
ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
فليس له بر يقية ولا بحر
فقلت ما امران احلاهما مر
وحسبك من امرين خيرهما الأسر

ومنها : يُنْشُونَ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي وَإِنَّمَا
 وَقَائِمُ سَيْفٍ فِيهِمْ دَقُّ نَصْلِهِ
 سَيَذْكُرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدُّ جَدُّهُمْ
 وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدَتْ اِكْتَفُوا بِهِ
 وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا تَوَسَّطَ بَيْنَنَا
 أَعْزُ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا
 وقال : غَيْرِي يَغْيِرُهُ الْفِعَالُ الْجَسَافِي
 لَا أُرْتَضَى وَدَأْ إِذَا هُوَ لَمْ يَدُمْ
 إِنْ الْغَنَى هُوَ الْغَنَى بِنَفْسِهِ
 مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا
 وَتَعَافٍ لِي طَمَعُ الْحَرِيصِ فُتُوَّتِي
 وَمَكَارِمِي عَدَدُ النُّجُومِ وَمَنْزِلِي
 وقال : أَتَدْعُو كَرِيمًا مِنْ يَحُودٍ بِمَالِهِ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ يُنْجِي الْفَرَارُ مِنَ الرَّدَى
 لِعَمْرِي لَقَدْ أَعْذَرْتَ لَوْ أَنَّ مُسْعِدًا
 وَمَا عَابَكَ ابْنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْعُلَا
 وَمَالِكَ لَا تَلْقَى بِمُهْجَتِكَ الْقَنَا
 عليّ ثيابٌ من دماهمُ حمزُ
 وأعقابُ رُمحٍ فيهم حطمُ الصدرِ
 وفي الليلة الظلماء يفتقدُ البدر
 وما كان يُغني التبرُ لو نفقَ الصفر
 لنا الصدرُ دون العالمين أو القبر
 وأكرمُ من فوق التراب ولا فخر
 ويحولُ عن شيم الكريم الوافي
 عند الجفاء وقيلة الإنصافِ
 ولو أنه عاري المناكب حاف
 وإذا قنعت فبعضُ شيء كاف
 ومروءتي وقناعتي وعفافي
 مأوى الكرام ونزل الأضيافِ
 ومن جاد بالنفس النفيسة أكرمُ
 على حاله فالصبرُ أرْحَى وأحزمُ
 وأقدمتُ لو أن الكتابُ تُقدِّمُ
 تأخّرُ أقوامٍ وأنت مُقدِّمُ
 وأنتَ من القوم الذين همُ همُ

وقال أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ :

أطاعنُ خَيْلاً مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
 وَأَشْجَعُ مَنْسِي كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَتِي
 غَرَسْتُ بِالْأَفَاتِ حَقَّ تَرْكُتْهَا
 وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْأَبِيِّ كَانَ لِي
 وحيداً وما هو لي كذا ومعي الصبرُ
 وما ثبتتُ إلا وفي نفسها أمرُ
 تقول أمات الموتُ أم ذعير الذعر
 سوى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتَرُ

تذر النفس تأخذُ وسمها قبلَ يديها ففترقُ جاران دارُهما العُمرُ
ولا تحسبنَ المجدَ زرقاً وقينة فما المجدُ إلا السيفُ والفتكةُ البكرُ
وتضربُ أعناقَ الملوكِ وأن ترى لك الهيات السود والعسكرُ المجرُ
وتركك في الدنيا دويّاً كأنما تداول سمعَ المرء أمثله العشرُ
إذا الفضل لم يرفعك عن شكرِ ناقص على هبةٍ فالفضلُ فيمن له الشكرُ
ومن يُنفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ ، فالذي فعلَ الفقرُ

وقال صفى الدين الحلي المتوفى سنة ٧٤٠ هـ :

سَلِّ الرِّمَاحَ العوالي عن معالينا واستشهد البيضَ هل خاب الرِّجافينا
لقد سَعِينَا فلم تضعف عزائمنا عما نرومُ ولا خابت مساعينا
قوم إذا استخضمو كانوا فراعنة يوماً وإن حَكَمُوا كانوا موازيننا
إذا ادَّعَوْا جاءت الدنيا مُصدِّقة وإن دَعَوْا قالت الأيام آمينا
إنا نقومُ أبَت أخلاقنا شرفاً أن نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا
بيض صنائعنا سودٌ وقائعنا خضر مرابعنا حُمُر مواضعنا
لا يَظهر العجزُ متادون نيل منى ولو رأينا المنايا في أمانينا

وقال أبو العلاء المعري :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعيل عفافٌ وإقدام وحزم ونائل^١
أعندي وقد مارست كل خفيّة يُصدّق واشٍ أو يخيب سائل^٢
تعد ذنوبي عند قومٍ كثيرة ولا ذنب لي إلا العلل والفضائل^٣

(١) أي قد جمعت العفة والشجاعة والحزم والجود، وسلوك هذا الطريق هو المجد أي أن أفعالي كلها واقعة في سبيل المجد ثم فصل أفعاله، وعدّها وكانت كلها من خلال المجد . (٢) أي بعد أن جربت الأمور التي تخفى وعرفتّها لا أصدق الساعي بيني وبين إخواني بالإفساد أو أخيب من يرجو معروفى ويطلب نائلي أي أني لا أفعل ذلك استفهام بمعنى الإنكار . (٣) أي ذنوبي كثيرة عند من لا يناسبه حالي لقصوره ونقصه ولا ذنب لي إلا فضائلي وعلو شأني .

كأني إذا طلعتُ الزمان وأهله
وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم
يهمُ الليالي بعضُ ما أنا مضمر
وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانه
وأغندو ولو أن الصبح صوارم
وإني جواد لم يحلّ لجامه
فإن كان في لبسِ الفقى شرف له
ولي منطبق لم يرض لي كنه منزلي
رَجعتُ وعندي للأفام طوائل^١
بإخفاء شمسِ ضوءها متكامل^٢
ويُثقلُ رضوى دون ما أنا حامل^٣
لأترب بما لم تستطعهُ الأوائل^٤
وأُسري ولو أن الظلام جحافل^٥
ونصلُ يمان أغفلته الصياقل^٦
فما السيف إلا غمدُهُ والحائل^٧
على أنني بينَ السماكين نازل^٨

(١) الطوائل: جمع طائل وهو الثروة، يقول متى فقت أهل العصر بالفضائل أبغضوني وعادوني^١ وصرت كأني وترت الناس وأن عندي لهم ديونا يطالبونني بها (٢) أي يحسد حسادي في ستر حالي وإخفاء أمري وكيف يمكنهم ذلك وقد سار صيتي في البلاد مسير الشمس ومن يضمن للحساد إخفاء شمس قد تكامل ضوءها وشعاعها أي لا يضمن ذلك أحد لأنه غير ممكن فكذلك إخفاء ذكرى غير ممكن. (٣) الليالي في موضع نصب لأنه مفعول به، وسكن لضرورة الشعر أي بهم بعض ما أضمر من الهموم الليالي (٤) أي أني وإن كنت الذي آخر زمانه أفعَل من الأمور العجيبة، ما عجزت الأولون زماناً عن مثاله أي سبقت الأوائل في المساعي وإن تأخر زمانى (٥) لا يصرقني عن همى أمر من الأمور بل أغدو أول النهار لحاجاتي ولو كان الصباح سيوفاً لم يثنني عن قصدي والصبح يشبه بالسيف لبياضه وهيبته وأسري في الليل المظلم لما يهمني ولا تغنني ظلمة الليل عن همى ولو كان جحافل وهي جمع جحفل وهو الجيش العظيم والظلام يشبه بالحيش وبالعكس (٦) يصف اعتزاله الأمور وإثاره ملازمة الخمول والتزهد عن الأعمال مع استعداده للانهاض إلى معالي الأمور مشبهاً حاله بحال جواد عطل عن تحلية لجامه وبسيف يعني قد سدىء لطول عهده بالصقل، أي كما لا يزرى بعنق الجواد وجوهر السيف فكذلك لإثاره العزلة والتزهد عن الأعمال لا يذري بمنصبه ومكانه (٧) أي ليس الشرف في ملابسه الأعمال ولبس الفاخر من اللباس ولو كان ذلك لكان قيمة السيف بحسب نفاسة غمده وجمائله، وليس كذلك وإنما قيمة السيف بجوهره وكذلك شرف ذات الفقى بالتعلي بأوصاف الشرف ومعالي المجد (٨) أي منطقي لا يرضى لي بغاية منزلي هذه مع ارتفاعها وعلوها فلإنها قد بلغت السماكين بل يقتضي أعلى وأشرف منها

لدى مَوْطَنٍ يشْتاقُه كلُّ سِيدٍ ويقصُرُ عن إدراكِه المتناولِ ١
ولما رأيتَ الجَهْلَ في الناسِ فاشياً تجاهلتُ حقَّ ظُنِّ أنيَ جاهلٍ ٢
فتَواعجِبُ كمَ يدَّعي الفضلَ ناقصٍ ووا أسفاً كمَ يُظهِرُ النقصَ فاضلٍ ٣
وكيفَ تنامُ الطيرُ في وكناتها وقد نُصِبَتِ للفرْقدينِ الجبائِلُ ٤
ينامُ يومي في أمسي تشرِّفاً وتحسُدُ أسحاري عليّ لأصائلٍ ٥
وطالَ اعترُ في الزَّمانِ وصرْفُهُ فلستُ أبالي مَنْ تسولُ القوائِلُ ٦
فلو بانَ عُني ما تأسَفُ منكبي ولوماتِ زندي ما بكتهُ الأنايلُ ٧
إذا وصفَ الطائيُّ بالبخلِ مَادِرَ وعيَّرتُ قسماً بالفهامةِ باقلٍ ٨
وقال السَّهْمِيُّ للشمسِ أنتَ ضئيلةٌ وقال الدجى يا صبحُ لونك حائلٌ ٩

(١) اي منزلي عند محل يتمنى كل سيد ان يبلغه ويرقى إلى حده . ويتقاصر من يريد تناوله عن الوصول إليه (٢) اي لما كثر الجهل في الناس وعز العلم والفضل وجعل قدرها تكلفت الجهل وستر فضلي تشبها بأهل زمانى حق ظن بي انى جاهل مثلهم (٣) يتمعجب من ادعاء الناقص التحلي بالفضل زورا - ويتأسف من إظهاره النقص مع فضله تشبها بالجاهلين في زمانه (٤) الوكناات: جمع وكنة وهي الموضع الذي ينام فيه الطير والجبائل جمع حباله وهي الشبكة التي ينصبها للصيد ضرب لنفسه مثلاً بالفرقدين علواً ولغيره بالطير في اوكارها (٥) ينافس يفاخر أي ان الوقت الذي اكون فيه يتشرف بي ، فسائر الأوقات يحسد الوقت الذي اكون فيه فصار امسي المقتضى يحسد يومي الحاضر لكوني فيه - وكذلك تحسد الأصائل الأسجار التي اكون فيها . (٦) طالما عرفت الزمان واحواله ، ونالت مني حوادثه وصرفه ، وتمرنت نفسي على نوائبه فصرت لا اجزع على المصائب ولا ابالي بمن تنزل نوازل الدهر . (٧) يهون على نفسه خطوط الزمان بعد معرفته بصرفه حتى لو اصاب عضده وبان لم يتأسف اي لم يجزع منكبه عليه ، ولومات زنده لم تبك انامله عليه مع ان الكف لا تبطش إلا بواسطة قوة الزند وما دانه (٨) يعني بالطائي حاتم الطائي وقد سار به المثل في الجود ، ومادر رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة يضرب به المثل في البخل ، وإنما قيل له مادر لأنه سقى إبله من بعض الحياض فلما شربت إبله وصدرت عن المساء سلح في الحوض ومدر الحوض اي لطحه بالطين لئلا يشرب منه غيره فسمي مَادراً ، وقيل البخل من مادر (٩) السها كوكب خفي تمتحن به الأبصار، اي وحين ينبعكس الأمر بأن يصف السهم الشمس الخفاء مع جهائها، ويصف الدجى الصبح بأنه حائل اللون اي متغير.

وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهةً^١ وفاخرت الشهبُ الحصى والجنادلُ^٢
فيا موت زُرْ إن الحياةَ ذميمةٌ^٣ ويانفسُ جدِّي إن دهرَكَ هازلُ^٤

وقال المرحوم محمود سامي باشا البارودي :

ولي شيممةٌ^٥ تأبى الدنيا وعزمةٌ^٦ تردُّ لهامَ الجيش وهو يمورُ^٧
إذا سرتُ فالأرضُ التي نحن فوقها مرادٌ لمهري والمعاقلُ دور^٨
فلا عَجَبٌ إن لم يصرنِّي منزل فليس لمقبان الهواءِ وُكُور^٩
همامة نفس ليس ينفي ركلها رواح على طول المدى وبُكُور^{١٠}
مُعَوَّدةٌ^{١١} ألا تكفَّ عنانها عن الجدِّ إلا ان تَمُ أمُور^{١٢}
لها من وراء الغيب أذنٌ سميمة رقيةنتُ بما ظنَّ الكرام فراسه^{١٣}
وأصبحتُ محسودَ الخلال كأنني على كلِّ نفسٍ في الزمان أمير^{١٤}
إذا صُلَّتْ كَفَّ الدهرُ من غلوائه وإن قلت غُصَّتْ بالقلوب صدور^{١٥}
ملككت مقاليد الكلام وحكمة لها كوكبٌ فخمُ الضياء منير^{١٦}
وإنني امرؤٌ صعب الشكيمة بالغُ بنفسِي شأواً ليس فيه تكير^{١٧}

وقال أيضاً :

سوايَ بتحجانٍ الأغاريد يطرب وعيريَ بالذات يلهو ويلعبُ^{١٨}
وما أنا ممن تأسر الخمرُ لُبُه ويملكُ سمعِيه السيراع المثقب^{١٩}
ولكن أخوهم إذا ما ترجَّحت به سورةٌ نحو العُلا راح يدأب^{٢٠}
نَفَى النومَ عن عينيهِ نفسٌ أبيةٌ لها بين اطراف الأسنَةِ مطلب^{٢١}

١١ اي إذا كانت الأرض تباهي السماء من جملها وتفاخر الحصى والحجارة
الكواكب في العلو ٣١ اي إذا كانت الأمور معكوسة كما وصف لم تبقى رغبة في
الحياة وصارت مذمومة وكان الموت بحيث يتمنى إنامه ليقطع الحياة الذميمة التي
لا يحمد لها صاحبها لما ترى من الأمر المحال: ويأمر الحازم نفسه بالجد فيما يعينها غير
معرجة على شيممة الدهر في ثلونه وعدم ثباته .

لُبَّانَةٌ نَفْسٍ أَصْغَرْتُ كُلَّ مَأْرَبٍ فَكَلَّمْتُ الْأَيَّامَ مَا لَيْسَ يَوْهَبُ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا فَلَا عَزَنِي خَالٌ وَلَا ضَمْنِي أَبُ
وَمَنْ تَكُنِ الْعَلِيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبُّ

وقالت السيدة عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٢٠ هـ :

بَيْدَ الْعَفَافِ أَصَوْنٌ عِزِّ حِجَابِي وَبِعَصْمَتِي أَسْمُو عَلَى أُرَابِي
وَبِفِكْرَةٍ وَقْتَادَةٍ وَقَرِيحَةٍ نَقَّادَةٍ ، قَدْ كَلَّمْتُ آدَابِي
مَا ضَرَّنِي أَدَبِي وَحَسَنُ تَعْلَمِي إِلَّا بِكُونِي زَهْرَةَ الْأَلْبَابِ
مَا عَاقَنِي خَجَلِي عَنِ الْعَلِيَاءِ ، وَلَا سَدَلُ الْخِطَابِ بَلَقَتِي وَنَقَابِي
عَنْ طِيٍّ مِضْمَارِ الرِّهَانِ إِذَا اشْتَكَّتْ صَغْبَةَ السَّبَاقِ مَطَامِحِ الرُّكَّابِ
بَلَّ صَوْلَتِي فِي رَاحَتِي ، وَتَفَرَّسِي فِي حُسْنِ مَا أَسْعَى لِخَيْرِ مَا بِ

وقال المرحوم الشيخ عثمان الزناتي المتوفى سنة ١٩٣٤ م .

أَرَقْتُ وَأَصْحَابِي خَلِيُونَ نُومٌ وَمَا أَنَا ذُو نَأْرٍ وَلَا أَنَا مُغْرَمٌ
وَلَكِنْ مِمَّا بَيْنَ جَنِيٍّ هَاجَةٍ عَلَيَّ ذُو الْقُرْبَى ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
فَإِنْ بَكَ حُلْمِي مَدَّ اعْتِاقَ جَهْلِهِمْ فَلَا زِلْتُ فِيهِمْ يَجْهَلُونَ وَأَحْلَمُ
وَمَا أَنَا مِنْ يَغْلِبُ الْجَهْلُ حِلْمَهُ وَيَنْزُو عَلَى الْأَرْضِ أَوْ يَتَهَجَّمُ
وَلَكِنْ صَفُوحٌ حِينَ أَظْلَمَ قَادِرًا وَإِنْ كُنْتُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَاءِ أَظْلِمُ
فَإِنْ كَانَ حُلْمُ الْقَادِرِينَ مَذَلَّةً فَإِنِّي ذَلِيلٌ عَيْرَ أَنِّي مُكْرَمٌ
هَمَّائِلُوا عِرْضِي لِفَيْرِ جَرِيرَةٍ سِوَى أَنَّهُمْ مِنِّي وَأَنِّي مِنْهُمْ
أَوْطَسْتُ أَكْثَرًا فِي لَهْمٍ وَأَحْوَطُهُمْ مِنَ الدَّهْرِ لَا اشْكُو وَلَا اتَّهَرَّمُ
يَطْرَأُ عَلَيَّ اللَّيْلُ إِنْ طَالَ لَيْلُهُمْ وَمَهَا يَطْلُ لَيْلِي فَهَمُّ عَنْهُ نُومٌ
وَيُسْكِرُ أَدْنَاهُمْ عَلَيَّ فَضَائِلِي وَمَا ضَرَّنِي لِنَكَارِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ

الباب الثالث في شكوى الزمان والحال

قال الشنفرى^١ المتوفى سنة ٥١٠ هـ :

أقيموا بني أمي صدور مطيئكم فإني لقوم سواكم^٢ لأميل^٣
فقد حمت الحاجات والليل مقمر^٤ وشدت لطيات مطايا وأرحل^٥
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلي متعزل^٦
لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ^٧ سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل^٨
ولي دونكم^٩ أمولون سيد^{١٠} عملس^{١١} وأرقط زهلول^{١٢} وعرفاء جبال^{١٣}

(١) هو ثابت بن اوس الأردني الشاعر المشهور من اهل اليمن من شعراء الطبقة الثانية ومن جيد شعره هذه القصيدة المشهورة بلامية العرب مات سنة ٥١٠ م والشنفرى هو العظيم الشفتين وهو شاعر الأزدي من العدائين . وكان في العرب من العدائين من لا تلحقه الخيل ، منهم هذا وسليك بن سليكة ، وعمر بن برق ، واسير بن جابر ، وتأبط شرا - وكان الشنفرى حلف ليقتلن من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين وكان اذا وجد الرجل منهم يقول الشنفرى لطرفك ثم يرميه فيصيب عينيه ، فاحتالوا عليه فأمسكوه وكان الذي امسكه اسير بن جابر احد العدائين وقد رصد له حتى نزل في مضيق ليشرب الماء فوقف له فيه فأمسكه ليلاً ثم قتلوه فمر رجل منهم يجمعته فضر بها رجله فدخلت فيها شظية من الحجمة فمات منها فتمت القتلى مائة والله اعلم بذلك . (٢) مطا جد في السير . والمطية الدابة تمطو في سيرها جمعها مطايا ومطى (٣) حم الأمر حماقضى ، والطيات جمع طية وهي النية (٤) نأى عنه بعد ، والقلى بكسر القاف شدة الكراهة وتعزل عنه تنجى (٥) (المعنى) وحياتك أن الأرض لا تضيق على الإنسان العاقل الذي يستعمل عقله في إدراك المرغوب وترك المرهوب (٦) السيد بالكسر الأسد والذئب والعملس يفتح العين والميم واللام المشددة القوي على السير السريع والذئب الخنيث والأرقط النمر ، والزهلول كعصفور الأملس والعرفاء الضبع لكثرة شعر رقبتها الذي هو بمنزلة عرف الفرس ، وجباله وجبال ممنوعتان من الصرف وجبل بلا همزة الضبع .

همُ الأهلُ مُستَبودَعُ السَّرِّ ذائعٌ لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخْذَلُ^١
وكلُّ أيٍّ باسِلٌ غيرُ أنِّي إذا عرَضتْ أُولَى الطرائدِ أبْسَلُ^٢
وإنْ مُدَّتْ الأيدي إلى الزادِ لم أكن بأعجلهم إذ أجشعُ القومِ أعْجَلُ^٣
وما ذاك إلا بَسْطَةُ عَنْ تَفْضُلٍ عليهم ، وكان الأفضَلُ المتفضَّلُ^٤
وإني كفاي ففقدُ من ليس جازياً بحسنى ولا في قُربهِ متعلِّلُ^٥
ثلاثة اصحاب: فؤادٌ مُشيعٌ ، وأبيضُ إصْلِيَتٌ ، وصفراءُ عَيْنِطَلُ
هَتُوفٍ مِنَ المَلْسِ المتون يَزِينُها رصائعٌ قد نِيَطتْ إليها وَحَمَلُ^٦
إِذا زَالَ عنها السهمُ حَنَّتْ كأنها مَرَزَاةٌ تُكَلِّي تَرْنَ وتَعْمَلُ
ولست بمهيف يُعَشَى سوامه مُجْدَّعةٌ سَقْبَانُها وهي يُهَيِّلُ^٧

(١) جر على نفسه وغيره جريرة اي ذنبا والجريرة الذنب والحيانة (٢) الأبي كعلي من يكره الدنيا ولا يحتمل الضيم والباسل الأسد الشجاع والطريدة ما طردته وابعده من ناحية وضمته إليك من الصيد والفرسان (٣) الجشع بالتحريك شدة الحرص واسوؤه اخذ الإنسان نصيبه والطمع في غيره (٤) [المعنى] وما دعاني إلى ذلك إلا توسمي بالفواضل عليهم لأن افضل القوم هو المتفضل عليهم (٥) تعلل بالأمر تشاغل وشيع فلان شجعه ويأتي ايضا بمعنى خرج معه ليودعه ، والإصليت السيف الصقيل الماضي والاطل الهوس الطويلة العنق الصلبة المتن (٦) قوس هتوف ذات صوت حنون ، والملس الناعمات والمتون جمع متن بمعنى الصلب والرصائع جمع رصيعة حلية السيف المستديرة او كل حلقة مستديرة في سيف او سرج او غيره ، ونيطت اليها علقت بها وزل السهم عن القوس خرج منها بسرعة والمرزاة المصابة بالزرايا ، والشكلي الفايدة اولادها ، وأعول رفع صوته بالبكاء والصياح [المعنى] قوس طنانة رنانة من نبات مزينة بالحلى ترن عند خروج السهم منها بحنين كأنها امرأة عاجلها فقد ابنم الغالي فهي تبكي وتعمل لفقده. (٧) المهيف: السريع العطش ، والسوام : الإبل الراعية ، وناقاة باهل لاصرار عليها ولا خطام ولا سمة لها ، [يقال] بهلت الناقاة حل صرارها او مجدعة محبوسة على غير علف وسقبان جمع سقب وهو ولد الناقاة .

ولاجِبْتَاءٍ أَكْنَهَى مُرَبِّ بَعْرِسِهِ يطالِعها في شأنه كَيْفَ يَفْعَلُ^١
ولا خَرْقٍ هَيْقَ كَأَنَّ فَوَّادَهُ يَظْلُ^٢ به المِكَاءُ يَعْلُو وَيَسْفَلُ^٣
ولا خَالِفٍ دَارِيَّةٍ مُتَعَزِّلٍ يروح وَيَعْتَدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ^٤
ولست بِعَمَلٍ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ أَلْفٌ إِذَا مَا رُعْنَتَهُ اهْتَاجَ أُعْزَلُ^٥
ولست بِمُخَيَّرِ الظَّلَامِ إِذَا انْتَحَتْ هدى الهوجل العِصْفُ يَهْمَاءُ هوجلُ^٦
إِذَا الِامْعَزُ الصَّوَّانَ لَاقَى مَنَاسِمِي تطَايرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُفْكَسَلُ^٧
أَدِيمُ مِطَالِ الْجُوعِ حَقَّ أُمَيْتِهِ وَأَضْرَبَ عَنْهُ الذِّكْرُ صَفْحًا فَأَذْهَلُ^٨

(١) جباً كنصر : جبن والأكهى الجبان الضعيف ومرب بعمره اي زوجته
لزمها وقعد معها كأرب [المعنى] ولست بالجبان الضعيف الذي يلزم قرينته
ويطلعها على امره ويأخذ رأيها فيه . (٢) الخرق : ككتف الذي يندesh ويبهت
لأقل شيء والهبق الواحد من النعام ويسمى بالظلم ، والمكاء كزمان : نوع من الطير
(٣) يقال فلان خلفه اهل بيته وخالفهم بمعنى انه غير نجيب لا خير فيه إذ انه
يقعد بعدهم ويأتي خالف بمعنى احمق والدارية الملازم لبيته . (٤) العل الصغير الجسم
الضعيف والألف الرجل الثقيل اللسان العي بالأمور والأعزل الخالي من السلاح
[المعنى] ولست من سقط الرجال الذين يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم الذين
يرتبكون في الأمور ويرتاعون لكل مروع حيث لا سلاح لهم يقيهم من الخوف .
(٥) يقال نحاه وانتحاه بمعنى قصده ، الهوجل المفازة البعيدة لا علم بها ، والناقعة
بها هوج من سرعتها والرجل الأهوج والدليل والعصيف صيغة مبالغة من عسف .
في السير خبط فيه خبط عشواء ، واليهما عند اهل البادية السيل والجل الهائج
الصَّوْلُ ، وعلى ذلك يمكن ان يقال ناقعة يهماء . (٦) المعز : الصلابة ، ومكان امعز :
صلب وارض معزا : صلبة ، والصوان نوع من الحجارة شديدة الصلابة ، والمنسم
كمجلس خف البعير ، والمفلل المكسر والمراد بالقادح هنا الحجر الذي يضرب بغيره
فيفتته ويخرج منه الشرر . (٧) صفحاً إما مصدر من صفح عنه أعرض مفعولاً له
على معنى اصرف عنه التذكر إعراضاً عنه وإما ظرف بمعنى الجانب على معنى
انحى التذكر عنه جانباً كما تقول ضعه جانباً .

وَأُسْتَفُّ تَرْبَ الْأَرْضِ كِي لَا يَرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطُّوْلِ أَمْرٌ وَمَتَّوَلٌ^١
 وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الدَّامِ لَمْ يُلَفْ مَشْرَبٌ^٢ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَأْكَلٌ^٣
 وَلَكِنْ نَفْسًا حَرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى الضِّمِّ إِلَّا رَيْثًا أَمْحُوَلٌ^٤
 وَأَطْوِي عَلَى الْخَمَصِ الْخَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خُيُوطُهُ مَارِيٍّ تُغَارُ وَتُفْتَلُ^٥
 وَأَغْدُو عَلَى الْقَوْتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ^٦
 غَدَا طَاوِيًا لِلرَّيْحِ يَعْزِضُ هَافِيًا يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشُّعَابِ وَيَعْمَلُ^٧
 فَلَمَّا لَوَاهُ الْقَوْتِ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ دَعَا ، فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحْلُ^٨
 مُهْلَلَةٌ شَيْبُ الْوَجْهِ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ بِكَفْسِي يَاسِرٍ تَتَمَلَّقُلُ^٩

(١) الطول: الفضل والإنعام وتطول عليه امتن وانعم (٢) الدام "المسيب والذم [المعنى] ولولا اني اخشى العار والمذمة التي تلحق الماذلين ماء وجوهمهم لأجل المأكول والمشرب لكان عندي من اشكالها وألوانها كل ما تشتهي النفس (٣) الضم: الذل ؛ وريثا معناها مقدار ما (٤) الخمص: الجوع والخوايا جمع حوية كغنيمة ما تحوي وانطوى بعضه على بعض من الأمعاء والخيوطة جمع خيط ، وماري اسم صانع مشهور بقتل الخيوطة واغار شد القتل [المعنى] واضمر امعاني بالجوع حق تصير مثل الخيوطة يشد قتلها ماري المشهور بقتل الخيوطة . (٥) الزهبد : القليل والأزل السريع والموصوف به هما الذئب بدليل ما بعده ، التنوفاة المفازة والأرض الواسعة البعيدة الأطراف او الفلاة لا ماء بها ولا انيس ، وإن كانت معمشة وجمعها تنائف ، والطحلة لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل وذئب اطحل لونه الطحلة (٦) غدا طاويا اي بكر بالضرب في الأرض جاثما ويعارض الريح يسابقه وهافيا مسرعا ، وخات البازي انقض على الصيد وخات الرجل اختطف ، واذناب الشعاب اطراف الأراضي التي بين الجبال ، وعسل الذئب يعمل عسولا وعسلا : اشتد اهتازاه في عدوه . (٧) لواه القوت قتله وضمه ، وأمه قصده ، ونظائر نحر . يعني امثاله . (٨) المهلة الضامرة المنقوشة ، والقداح جمع قدح وهو السهم قبل ان يراش ويركب عليه نصله .

أوالحشرم المبعوث حشحت دبره محابيض أرساهن ساء مِعسل^١
 مُهرّته فوه^٢ كأن شدوقها شقوق العصي كالحات^٣ وبُسَل^٤
 فضج وضجت بالبراح كأنها وإياه نوح^٥ فوق علياء ثكل^٦
 وأغضى وأغضت واتسى واتست به مراميل عزّاهما وعزّته مُرمل^٧
 شكوا شكمت ثم ارعوى بعدوارعوت وللصبر^٨ إن لم ينفع الشكو أجل^٩
 وفاء وفاءت بادرات وكلها على نكظ مما يكاتم مجمل^{١٠}
 وتشرب أساري القطا الكدر بعدما سرت^{١١} قريباً أحشاؤها تتصلصل^{١٢}

(١) الحشرم كجهر جماعة النحل وامير النحل ومأواها ، وحشحت كحت
 حض وحرض والدبر بفتح الدال جماعة النحل ، ومحابيض جمع محبض كمنبر. عود
 يشتر به العسل او يطرد به الدبر ، وهي هنا منصوبة على نزع الخافض والمعنى
 إلى محابيض ، وارسى وقف وأوقف ، وسام مرتفع ومِعسل : طالب العسل .
 (٢) المهرّته الواسعة ، والفوه جمع الأفوه وهو الواسع الفم او الذي يخرج اسنانه
 من الشفتين ، والشقوق اطراف الفم من باطن الحدين ، وكالحات شديدة العبوس ،
 وبسل كرهيات المنظر . ٣١ البراح كسحاب المتسع من الأرض التي لا زرع بها
 ولا شجر . (٤) اغضى على الشيء سكت ، واتسى اقتدى والمرمل الذي نفد زاده ،
 وعزّاهما سلاها على مصابها [المعنى] ثم سكت فسكتت اقتداء به وسلاها على
 جوعها وسلته على تخمضته . (٥) الارعواء النزوع عن الجهل وحسن الرجوع منه
 [المعنى] شكوا فلما لم تنفع الشكوى رجعوا عنه وصبروا على الجوع - والصبر
 احسن من الشكوى التي لا تفيد . (٦) فاء رجع ، وبادرات مسرعات ، والنكظ
 محرّكة الجوع الشديد . (٧) أسار: جمع سؤر وهو بقية الماء بعد الشرب والقطا:
 نوع من الطير صوته قطا قطا وهو ثلاثة اضرب كدري وجوني وغطاط - فالكدر
 الغبر الألوان الرقش الظهور والبطون الصفر الحلق وهو الطف من الجوني ،
 والجوني السود البطون والأجنحة وهو اكبر من الكدري ، والغطاط كسحاب ، =

مَهْمَتٌ وَهَمَّتْ، وَابْتَدَرَتْ وَأَسْدَلَتْ وَشَمَرَ مَنِي فَارِطٌ مُنْتَهَمٌ^١
 فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ يَبَاسِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وَحَوْصَلٌ^٢
 كَانَ وَغَامًا حَجَرِيَّتِهِ وَحَوْلَهُ أَضَامِيمٌ مِنْ سَفَرِ الْقِبَائِلِ نَزَلٌ^٣
 تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَهَا كَمَا ضَمَّ الْأَذْوَادَ الْأَصَارِيمَ مِنْهَلٌ^٤
 فَمَبَّتْ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا مَعَ الصَّبْحِ رَكِبْتُ مِنْ أَحَاطَةِ مَجْعَلٍ^٥
 وَآلِفٌ وَجْهَ الْأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِهَا بِأَهْدَأْ تَنْبِيهِ سَنَاسِنُ قَحْلٌ^٦

= الغبر الظهور والبطون والأبدان سود بطون الأجنحة طوال الأرجل والأعناق
 لطاف لا تجتمع أسرابا بل أكثر ما يكون ثلاث واثان الواحدة غطاطة ويقال
 إن القطا يطلب الماء على مراحل عديدة أبلغها بعضهم إلى عشرين.

(١) سدل ثوبه وشعره واسدله: ارخاه وارسله، وفرط القوم يفرطهم فرطا
 وفراطة فهو فارط تقدمهم إلى الورد لإصلاح الحوض والدلاء. (٢) تكبو تنكب
 على وجهها، والعقر بضم العين والمراد به هنا الماء في أقصى الحوض والذقون جمع
 ذقن وهو مجتمع اللحيين، والحوصلة للطيور كالمعدة للإنسان [المعنى] وقد انصرفت
 عنهم بعد ما رويت وتركتها تنفس بأذقانها وحواصلها في الماء لتزتوي من شدة
 العطش التي أصابتها من إجهادها نفسها في الطيران (٣) الوغى كالفتى الصوت.
 والجلبة، والحجرة الناحية والأضاميم جمع إضامة بكسر الهمزة وهي الجماعة
 والسفر القوم المسافرون (المعنى) كان جلبتها بجانب الماء وحوله ضوضاء الجماعات
 من القبائل المسافرين عند حطهم من السفر. (٤) توافين إليه تلاحقن إلى الماء
 وشتى أي من جهات متفرقة والأذواد جمع ذود وهو جماعة الإبل والأصاريم
 جمع صرم بكسر الصاد وهو جماعة الأعراب (٥) العب جرج المساء وابتلاعه
 كتلة واحدة كما تفعل الحمامة في شربها، وغشاشا أي عبا قليلا عجلا غير مرئي
 واحاطة بن سعد بن عوف أبو قبيلة من حمير إليه ينسب مخلاف احاطة باليمن
 والمحدثون يقولون وحاطة واجفل النعام فهو مجفل حركها وطردها. (٦) الأهدأ
 المنكب المسترخي اللحم وتنبية ترفعه والسناسن حروف فقار الظهر وقفل
 مجردة من اللحم.

وأعدِلْ مَنحوضاً كَأَنَّ فصوصه كِعَابٌ دحاهما لاعب فهي مُثَلٌّ^١
 فإن تبتشسُ بالشنفري أمٌ قسطل لما اغتبطت بالشنفري قبل أطول^٢
 طريدُ جنائيات تياسرنَ لحمه عقيرتَه لأبها حمٌ أول^٣
 تنامُ إذا ما نامَ يقظي عيونها حثائاً إلى مكروهه تتفكفل^٤
 وإلفٌ هموم ما تزال تعودُه عياداً كحمى الربيع أو هي أثقل^٥
 إذا وردتْ أصدرتها ثم إنها تؤوب فتأتي من تحيت ومن عل^٦

(١) أعدل معناه هنا أسوي أو أفرش لرأسي وأجمل لها وسادة . ومنحوضاً يعني ساعداً قليل اللحم : والفصوص المراد بها هنا الأصابع والكعاب لعب على شكل الأقماع ودحاهما بمعنى بسطها . ومثل معناها مائلة وقائمة بين يدي اللاعب .

(٢) تبتشس تحزن وأم قسطل الحرب واغتبطت سرت وقرت عيناً

(٣) كان من عادات العرب غير المحموده إذا أرادوا أن تحصل لهم ميسرة بدون كبير كد ولا عظيم تعب أن يشتروا ناقة نسيئة وينحروها ويقسموا لحمها جملة أقسام ويحملوا لها سهاماً بعضها ذوات أنصباء وبعضها غفل بلانصيب ليستوفوا ببيعها بقدر زهيد. ثم الناقة ثم يقترعون السهام فيفوز من تخرج لهم ذوات الأنصباء ويحرم من تخرج لهم الغفل وهذه هي لعبة الميسر (القمار) المشهورة الفساد وحرمتها الدين الحنيف والقوم الذين يجتمعون على الميسر يقال لهم : يسر ، والناقة التي تذبح فيه يقال لها جزور . ويقال لها عقيرة لأنها تعقر وتنحر ويقال تياسروا أي أخذوا الأنصباء من اللحم ، ويقال حم بمعنى دنا وقرب .

(٤) تنام أي الجنائيات والمراد أصحابها وحثائاً سراعاً وتتفكفل تدخل بشدة (٥) الإلف والأليف الحليف المعاود ، والعودة والرجوع مرة بعد أخرى ووربت عليه الحمى جاءت رباعاً يعني ترددت عليه في كل أربعة أيام مرة تتركه في الثلاثة وتأتيه في الرابع وتسمى هذه الحمى حمى الربيع .

(٦) تؤوب ترجع ، المعنى كلما ثارت علي جيوش الهموم وأحاطت بي من كل جانب رددتها عني بعزم ماض وصبر جميل .

فإما تراني كابتنة الرمثل ضاحياً على رقعة أحفى ولا أتنسّل^١
 فإني لمولي الصبر أجتأب بزه على مثل قلب السمع والحزم أفعل
 وأعديم أحياناً وأغنى ، وإلماً ينال الغنى ذو البعدة المتبذل^٢
 فلا جزع من خلة متكشف ولا مزح تحت الغنى أتحيل^٣
 ولا تزدهي الأجهال حلمي ولا أرى سئلاً بأقمار الأقاويل أنمل^٤
 وليلة نحس يصطلي القوس ربهما وأقطعه اللاتي بها يتنبسل^٥
 دغشت على غطش وبغش وصحبي سعار وإرزيز ووجر وأفكل
 فأيمت نسواناً وأيتممت ولدة وعدت كما أبدأت والليل أليّل^٦

(١) إما تراني، بإهمال ان حملا على لو، كقراءة طلحة: فإما ترن بياها ساكنة ونون مفتوحة وابنة الرمل معناها الحية أو البقرة الوحشية ، وضاحياً بارزاً للشمس ، وعلى رقعة معناها سوء العيش ، ومولي الصبر واليه ، واجتأب القميص لبسه ، والبز الثياب ؛ والسمع بالكسر ولد الذئب من الضبع يزعمون انه لا يموت حتف انفه كالحية وانه في عدوه اسرع من الطير ووثبه تزيد على ثلاثين ذراعا. (٢) اعدماً واعدماً بالضم افتقر وذو البعد بالضم اي صاحب الاعتماد في الأرض، والمتبذل من لا يصون نفسه . (٣) الجزع نقيض الصبر الخلة الحساجة والفقر والمرح البطر والاختيال (المعنى) الفقر لا يظهر على ترحا والغنى لا يبدي منى مرحا . (٤) تزدهي: تستخف والأجهال جمع جهل شذوذاً لأن قياسه اجهل وجاهل إلا انه حسنه كون عينه الهاء الشبيهة بحرف اللين، والباء في «بأعقاب» بمعنى عن؛ والأنمل: النمام وهو نمل ونامل ومنمل كمجلس ومنبر، ونمال كشداد نمام؛ وقد نمل كنضر وعلم ، وانمل نم. (٥) اصطلي استدفاً والأقطع جمع قطع وهو القضيبي تبرى منه السهام وتنبل بالأقطع اتخذها نبلا ، ودغش عليه كمنع هجم وفي الظلام دخل ، والغطش الظلمة والبغش المطر الخفيف والسعار بضم السين شدة الجوع والأرزيز برد صفار كالمخ : الوجد والحقد والغل والغيظ والأفكل الرعدة . (٦) ايمت نسوانا يعني قتلت رجلاهن فتركتهن بلا ازواج ، وايتممت ولدة بكسر الواو جمع ولد يعني قتلت آباءهم : وابدأت بدأت والليل أليّل يعني طويل الظلمة .

وأصبح عني بالغميصاء جالساً فتريقان مَسْئُولٌ وآخرُ يسألُ^١
فقالوا : لقد هَرَّتْ بليلى كلابُنَا فقلنا أذُنُ بَعْسٍ ، أم عَسَ قَرَّعِلُ^٢
فلم يكُ إلا نبأةٌ ثم هَوَّمتُ فقلنا قطاة ربيعٌ ، أم ربيع أجدل
فإن يكُ من جن لأبرح طارقاً وإن يكُ إنساً ما كها الإنس يفعل
ويوم من الشعرى يذوبُ لعابه أفاعيه في رَمَضَانِهِ تَتَمَلَّلُ^٣
نَصَبْتُ له وجهي وذالكن دونه ولا سترَ إلا الأتحمي المرعبلُ^٤
وضاف إذا هَبَّتِ الرِّيحُ طيرت لبائداً عن أعطافه ما تَرَجَّلُ^٥
بعيدٌ بمسِّ الدهن والفلي عهدُه له عبس عافٍ مِنَ الفَسَلِ محولٌ^٦

(١) الغميصاء موضع أوقع فيه خالد بن الوليد رضي الله عنه ببني خزيمة .
(٢) هر الكلب هريراً صوت صوتاً دون النباح وعس طاف بالليل والفرعل بالضم ولد الضبيع والنبأة الصوت الخفي وهوم هز رأسه من النعاس ، والقطا جمع قطاة نوع من الطير صوته قطا قطا والأجدل الصقر وريع أخيف ولأبرح معناه لقد أتى بالأبرح وهو الشدة وها في كها ضمير القصة دخلت عليه الكاف شذوذاً .
(٣) الشعرى نجم يطلع في شدة القيظ واللعباب معناه هنا ما تراه في شدة الحر كأنه منحدر من السماء إذا قام قائم الظهيرة ويكون على هيئة البخار أو على هيئة نسج العنكبوت ويسمى أيضاً لعاب الشمس ، والرمضاء الأرض الشديدة الحرارة وتلعل تقلب والكن الستر والأتحمي برد معروف . والمرعبل الممزق .
وضاف صفة الشعر المحذوف ومعناه طويل ولبائداً جمع لبدة وهي الشعر المتراكم وأعطافه جوانبه وترجل تمشط (المعنى) وكَم يوم من أيام الشعرى التي تتصاعد فيها الأبخرة وتتلعلل فيها الأفاعي من شدة الحر عرضت له وجهي بغير ستر ومشيت فيه ولا شيء على جلدي إلا ثوب ممزق وشعر مسترسل إذا هبت عليه الريح لم تطير منه إلا لبائداً في كل جانب منه لم تمسه الأمشاط . (٤) الفلي تفلية الرأس من القمل . والعبس محرّكة ما تعلق بأذنان الإبل من أبوالها وأبوابها يحف عليها ، وعاف من الفسل لم يغسل والمحول الذي أتى عليه بالحول .

وخرق كظهر الترس قفر قطعته^١ بعاملتين ظهره^٢ ليس يعمل^٣
فالحقت^٤ أولاه بأخراه موفياً على قنة أقمي مراراً وأمثلة^٥
ترود الأراوي الضخم^٦ حولي كأنها عذارى عليهن الملاء المذبل^٧
ويؤكد بالآصال^٨ حولي كأنني من المعصم أد في ينتحي الكيع^٩ أعقل^{١٠}
وقل الطغراني يواسي معين الملك في نسكته :

فصبراً معين الملك إن عن حادث فماقبة^١ الصبر الجميل جميل^٢
لا تياسن^٣ من صنع ربك^٤ إنه ضنين^٥ بأن الله سوف يدل^٦
فإن الليالي إذ يزول نعيمها تبشر^٧ أن النسائبات تزول^٨
ألم تر^٩ أن الليل بعد ظلامه عليه لإسفار الصباح دليل^{١٠}
وأن هلال النضو^{١١} يقر بعد ما بدا وهو شخت الجانين صئيل^{١٢}
فقد يعطف الدهر العسير قياده فيشفي^{١٣} عليل أو يبيل^{١٤} غليل^{١٥}
ويرثش مقصوص^{١٦} الجناحين بعدما تساقط^{١٧} ريش واستطار نسيل^{١٨}
ولا غرو^{١٩} إن أخنت^{٢٠} علك فلانما يُصادم^{٢١} بالخطب الجليل^{٢٢} جليل^{٢٣}

(١) الخرق الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح وقفر خالية من النبات والسكان والعاملتان الرجلان وظهره ليس يعمل أي ليس يسلك .

(٢) أوفى عليه : أشرف ، والقنة بضم القاف قلة الجبل وأقعى في جلوسه تساند إلى ما وراءه ومثل قام منتصباً .

(٣) الرود الذهاب والمجيء والأراوي جمع روية بالضم والكسر وهي أنثى الوعل^١ والعذارى جمع عذراء وهي البكر ؛ والملاء بضم الميم نوع من الأردية المذبل طويل الذيل .

(٤) الركود السكون والثبات ، والآصال جمع أصيل وهو المشي والمعصم جمع أعصم وهو الوعل الذي في موضع المعصم منه ، والأدفي الذي يميل قرناه ناحيتي ظهره ويلتحي يتعمد : والكيع ناحية الجبل ، وأعقل ممتنع في الجبل .

ما أنت إلا السيف يسكن غمده
أما لك بالصديق يوسف أسوة
ليشقي به يوم النزال قتيل
فتحمل وطء الدهر وهو ثقل

وقال المرحوم محمود باشا سامي البارودي وهو في منفاه :

بحا البين ما أبقت عيون المها مني
عناء ويأس واشتياق وغربة
فإن أك فارق الديار فلي بها
بعثت به يوم النوى إثر لحظة
فهل من فتي في الدهر يجمع بيننا
ولما وقفنا للدواع وأسبكت
أهبت بصبري أن يعود فخاني
وما هي إلا خطرة ثم أقلمت
فكم شهجة من زفرة الوجد في لظى
وما كنت تجربت النوى قبل هذه
ولكنني راجعت حلمي وردني
ولولا بذنيات وشيب عواطل
فأشبت ولم أقض اللبانة من سني
ألا شد ما ألقاه في الدهر من غبن
فؤاد أضلته عيون المها عني
فأوقعه المقدار في شرك الحزن
فليس كلاًنا عن أخيه بمستغني
مدامعنا فوق الترائب كالزمن
وناديت حلمي أن يثوب فلم يغن
بنا عن شطوط الحي أجنحة السفن
وكم مقلّة من غزرة الدمع في دجن
فلما دهنتي كدت أقضي من الحزن
إلى الحزم رأي لا يحوم على أفن
لما قرعت نفسي على فانت سني

وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا
كنا قِلادة جريد الدهر وانقرطت
كانت منازلنا في العز شاحمة
وكان أقصى منى نهر الهجرة لو
والشهب لو أنها كانت مسخرة
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا
حقى غدونا ولا جاء ولا نشب
إلا بقيّة دمع في مآقينا
وفي بين العسلا كنا رياحيننا
لا تشرق الشمس إلا في مغايبنا
من مائه مزجت أقداح ساقينا
لرجم من كان يبدو من أعادينا
شزراً ونخدعنا الدنيا وتلهينا
ولا صديق ولا خيل يؤاسينا

وقال أيضاً في شكوى الزمان والحال :

سميتُ إلى أن كِدْتُ أَنتَعِلُ الدِّمَا وعدتُ وما أعقبتُ إلا التندُّما
سلامٌ على الدنيا سلامَ مودِّعٍ رأى في ظلام القبر أنساً ومفغماً
تَبَلَّغَ بالصبر الجميل وبالأسى زماناً وجادته المنى فتأدُّما
أضرتُ به الأولى فهام بأختها وإن ساءت الأخرى فويلاهُ منها
فهبي رياح الموت نكباءً واطفئي سراجَ حياتي قبل أن يتحطَّما
فما عصمتني من زمامي فضائي ولكن رأيتُ الموتَ للحرِّ أغصَّما
فيا قلبُ لا تجزع إذا عضك الأسى فإنك بعد اليوم لن تتألَّما
ويا عينُ قد آن الجودُ لمدِّمعي فلا سيلَ دمعٍ تسكبُين ولا دما
ويا يدُ ما كلفتك البسطَ مرَّةً لذي منة أولى الجميلِ وأنعمَا
فله ما أحلاك في أغلِّ البلي وإن كنتِ أحلى في الطروس وأكرما
ويا قدمي ما سرتِ بي لِمِذْلَةٍ ولم ترتقي إلا إلى العز سلسما
فلاتبطئي سيراً إلى الموت واعلمي بأنَّ كريمَ القوم من مات مكرما

وقال السيد أحمد الهاشمي يشكو ما أصاب الشرق :

قَضَيْتُ شِيبَتِي وبذلتُ جُهْدِي فلم تكن الحياةُ كما أُريدُ
إلى كم أَسْتَحِثُّ النفسَ عِزْماً وكُم أَسْعَى ، وغيري يَسْتَفِيدُ ؟
نَهَضْتُ ، ففيل : أيّ فتي ؟ فلما خَبَرْتُ الأمرَ أعجبني القُعودُ
ولني بعدَ مجهدةٍ وقومي كضاربةٍ وقد بردَ الحديدُ
وحيدٌ بينهم ولعلَّ يوماً عَصِيباً فيه يُفْتَقَدُ الوحيدُ
لنا في الشرقِ أوْطَانٌ ، ولكن تَضِيقُ بنا كما ضاقتُ الحُودُ
تنازعَ أهلها فلكلِّ حِزْبٍ حِمَى ، ولكلِّ مملكةٍ عِمْدُ
نقيمُ بها على ذُلٍّ وفقرٍ ونظماً لا يسوغُ لنا الورودُ
أكاذيبُ السياسةِ بَيِّنَاتُ تَكِيدُ بها الحكومةُ ما تَكِيدُ

وعود كلها كذبٌ وزور
إذا ما الملكُ شيدَ على خداعٍ
ومن لم يتخذْ مُلكاً صحيحاً
وقالوا دولةٌ نشأت حديثاً
كذبتُم ما لنا في الأمر شيءٌ
وقالوا : أمة نهضت تداعي
تفرّق أهلها ومضى بنوها ،
أرى الأملَ الذي نحيا عليه
خذوا بنفوسكم طرّق المعالي
وجرح الشرق يضمّده بنوه
نيام أغرقوا في النوم حتى
أرى الحرية اختضبت دماءً
وأقسمُ أن عاشقها زعيم
رخيص كلُّ ما بذلوه فيها
إذا جمعت لها الأرواح مَهراً
يسوم المجد طالبه بنغالٍ
إذا سهل النزول إلى حضيض

فكم وإلامَ تخذَعُنا الوُعود ؟
فلا يبقَى الخداعُ ولا المشيد
فلا تُفني الممالك والحدود
تؤيدها السياسة والعُهود
فقولوا : إننا شعب عبيد
بحق كاد طالبُهُ يبيد
وفي أرواحهم عزم عتيّد
أضاء من الصباح له عود
فدهركُم عِصامي عنيد
وهل يتلاءم الجرح القصيد ؟
أشيع بأنهم شعب بليد !
وقد خفقت لطالبها بنود
بخطبتها ولو قطع الوريد
ولا تغلو النفوس ولا النقود
فإن لمجدهما كتيب الخلود
ولا يطغى به الثمن الزهيد
يشق إذاً إلى القيم الصعود

وقال أحمد شوقي بك يشكو ما أصاب دمشق من ظلم فرنسا بعد الحرب

الكبرى :

قم ناجٍ وجليقٍ ، وانشدُ رسم من بانوا
هذا الأديم كتاب لا كفاء له
الدين والوحي والأخلاق طائفة
ما فيه إن قلبت يوماً جواهره
بنو أميّة للأنباء ما فتحوا

مشت على الرسم أحداثٌ وأزمانُ
رث الصحائف ، باقٍ منه عنوان
منه وسائرُه دنيا وبُهتان
إلا قرائع من رادٍ وأذهان
وللأحاديث ما سادوا وما دانوا

كانوا ملوكاً سرير الشرق تحتهم
عالين كالشمس في أطراف دولتهم
يا ويح قلبي منها انتاب أرواحهم
بالأمس قمت على الزهراء أندبهم
في الأرض منهم سماوات وألوية
معادن العز قد مال الرغام بهم
لولا دمشق لما كانت طليطلة
مررت بالمسجد المحزون أسأله
تغير المسجد المحزون واختلقت
فلا الأذان أذان في منارته
أمنت بالله واستنيت جنته
قال الرفاق وقد هبت تخائلها
جري وصفق يلقانا بها بردى
دخلتها وحواشيها زمرودة
والشمس فوق الجبين الماء عقيان^١

(١١) إحدى لغات كثيرة في بغداد . (٢) الفيحاء : من أسماء دمشق والمخائل جمع خيمة وهي الشجر الكثير الملتف (٣) يقول : إن مكان (بردى) من دمشق كمكان رضوان خازن الجنان من جنة الخلد ، فهو دليل ضيوفها إليها ، يؤنسهم بما على ضفافه من غياض تأوي إليها السعادة ، ومقاصف لا تبلغها الهموم وقوله : (جرى وصفق) من قولهم ، صفق فلان الشراب ، أي حوله من إناء إلى إناء ليصفيه وقد وصف حسان بن ثابت نهر بردى بذلك يوم نزل على أمراء غسان في البريص ، وهي غوطة دمشق ، فقال :

الله در عصابة نادمتهم يوماً يخلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قدر ابن مارية الكريم الفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
(٤) المعيان الذهب الخالص .

والحور في (دُشُر) أو حُول (هامتها) - حورٌ كواشفٌ عن ساقٍ وولدان^١
و (رَبْوَة) الوادي في جلباب راقصةٍ الساقُ كاسيةٌ والنَّحْرُ عُرْيَان^٢
والطيرُ يَصْدَحُ من خلفِ العيونِ بها وللعيونِ كما للطيرِ ألحان^٣
وأقبلتْ بالنَّباتِ الأرضِ مختلفاً أفواقه ، فهوَ أَصْبَاغٌ وألوان^٤
وقد صفى (بَرْدَى) للريحِ فابتَرَدَت لدى سُتُورِ حواشِينِ أَفنان^٥
شيدوا لها المملُكُ وابتنوا رُكنَ دولتها فالملكُ غرسٌ وتجديدٌ ، وبنیان
وقال الشاعر المطبوع السيد خير الدين أفندي الزركلي في سورية الشهيدة من
قصيدة :

(١) الحور في صدر البيت : شجر باسق معتدل القامات يملأ غياض دمشق ،
وقد شبهه بحور الجنان كاشفات عن سوقهن ، لأن اعالي هذه الأشجار مكسوة
اوراقها وسائرها عريان ، دمر ، و الهامة ، من متنزهات دمشق في وادي
بردى . (٢) يقول ان ربوة هذا الوادي على خلاف ما فيها من اشجار الحور ،
فاذا كانت الأشجار كاسية النحور عارية السوق فإن جبال الربوة كاسية الساق
بما فيها على سفحها من اشجار ومرج وازهار ، بينما نُحَرها عريان لتجرد اعالي تلك
الجبال من خضرة النبات واقواف الزهور و (الربوة) هي متنزه دمشق الغريب
وصفها الله تعالى في القرآن الحكيم بقوله (ربوة ذات قرار ومعين) قال ياقوت
في معجم البلدان ، هي موضع ليس في الدنيا انزه منه (٣) العيون عيون الماء
يسمع خريرها مع الحان البلبابل والمصافير في الجبال والأودية (٤) جمع فوف
نوع من الثياب والمراد هنا الزهر . (٥) بردى هو نهر دمشق ، وينبع من جبال
الزبداني على مسافة اربعين كيلومترا ونيف من دمشق في شمالها الغربي ، وينحدر
في وادي بردى حتى إذا بلغ ينبوع (الفيجة) انضم هذا إليه ، ثم ينفصل عنه
(نهر يزيد بن معاوية) نحو الشرق في لحف الجبل قاسيون وينفصل عنه بعد ذلك
نهر ثورا فيجري في جنوب نهر يزيد ، ثم ينفصل عن بردى نهر (بانياس) والقنوات
ويدخل بردى مدينة دمشق من مرجتها الشهيرة ، حتى إذا ارتوت منه بساتينها
وضواحيها الشرقية انصب في بحيرة المرج ، وكان السريان يسمون بردى (نهر أبانا)
وسماه اليونان (خريستو ورثه) أي يجري لذهب .

الأهل أهلي ، والديار دياري وشعار « وادي النيرين » شعاري
ما كان من ألم « يجلتق » نازل واري الزناد ، فزندة بي واري
إنّ الدّم المهرّاق في جنباتها لدمي ، وإن شِفَارَهَا لشفاري
دَمْعِي لما مُنِيَتْ به جاري هنا ودمي هناك على ثراها جاري
يا وَاِمَضَ البرق اطمئنّ وناجني إن كُنْتَ مُطْلِعاً على الأسرار
ماذا هناك فإنّ صَوْتاً راعني والصَّوْتُ فيه جَعْوَةُ الإذعار
النار محذقة « يجلتق » بعد ما تركت « حماة » على شفير هار
تنساب في الأحياء مُسرعة الخطى تأتي على الأطهار والأعمار
والقوم مُنْقَمِسُونَ في حِمَشَاتِهَا فتكأ بكل مُبْرٍ! صَبَّار
الطفل في يد أمه غرض الأذى يُرمى ، وليس بخائض لغيار
والشيخ مُتَكِنًا على عَكَازِهِ يُرمى ، وما للشيخ من أوزار

وقال أيضاً سعادة الشاعر الجليل فؤاد الخطيب :

يا ساهر الليل ، ما للبرق يأتلق والمُزَنِ ترعد والأنواء تَصْنُطُفِقُ
هل بالطبيعة ما بي ؟ أم أَلَمَ بها ما بالديار فثارت - كلها حنق
مُرَبَّدَةٌ لم يهيم في جوّها قرّ ولا تَنفَسَ في أطرافها فلتق
قدّت من الليل سربالاً يجللها وحفّ الذبول فلم يُسفر لها أفق
مرأى يمثل هولَ الحزنِ محتبطاً بين الجوانح سُدتْ دونه الطرِيقُ
أبصرت بالعين ما استشعرت من كمد في النفس لج به التبريح والأرق
ويح الهموم كم أرخت أعينتها شعثاً تدفق أرسالاً وتستبق
هوّجاء تسمع منها كلما اقتربت صوت السلاسل فوق الصخر تنزلق
تهوي إليّ وأهوي مُطْبِقِينَ معاً حتى نصرع مُلتفين نَمْنَمَتِيقُ
هاجّت وهيجت فكانت ثم ملحمة دارت وسال دمي يجري به العرقُ

الباب الرابع في وصف الشعر - آراء الحكماء والشعراء فيه

إنّ من الشعر الحكمة . قال أفضل الخلق على الإطلاق سيدنا محمد ﷺ :
(سمي الشاعر شاعراً لفطنته ، .) (الأخفش)

وَجِدَّ الشعر حُبّاً وَجِدَّ السحر شقيقين ليس يفترقان . (إلياس فياض)
إنّ المنشئ يولد مطبوعاً على الإنشاء ، كما يولد الشاعر مطبوعاً على النظم .
والشعراء لسان حال الأمة ، وتراجمة شعورها ، وعنوان إحساسها .
والشعر العصري أضاف إلى معارفنا معاني جديدة يرقى بها الخيال ، وتتسع
بها التصورات المبنية على الحقائق . (الهلال)

الشعراء زينة المجالس . (الأمين بن هارون الرشيد)
الشاعر العربي الذي يمكن أن يترجم أكثر شعره من غير أن تفقده الترجمة
جباله هو شاعر الحقائق . (الدكتور شبلي شميل)
الشعر عاطفة ذائبة ، أو فكرة متوقدة ، أو خاطرة عميقة سبكت في
قالب موزون الكلام والنغمة . (الأنسة مي)

ما الشعر إلا تصوير الخيال والشعر النفسي في شكل الأشعار التي تدنيه من
أفهام الناس ، فقدر الشعر ورقته وبلاغته يكون على قدر تنبّه إحساس الشاعر
ورقته عواطفه . (وسيلة محمد)
خلق الشاعر سمحاً طروباً ... (شوقي)

الشعر له قديم مات ودفن في المواطن الراقية ، فجعل شعور النفس
كفنّاً له ، كلما تحركت المواطن ولمس الكفن استيقظ ذلك الإله وملأ الدنيا
أنيناً مدهشاً . (توفيق مفرح)

ولولا خلال سنّها الشعر ما درى بغاة المعالي كيف تبني المكارم
أرى الشعر يحیی الجود والبأس بالذي تبقيّه أرواح له عطرات

وما ألجئدُ لولا الشعر إلا معاهدُ وما الناس إلا أعظمُ فخرات
(أبو تمام)

أجل الشعر ما في البيت منه غرابة نكتة أو نوع لطف
وبش الشعر بيت ليس فيه أماكن غير حيطان وسقف

للشعر في كل عصر مركب خشن لا يستقل عليه الراكب الوهن
(ناصيف اليازجي)

ليس شعراً إلا الذي كُلَّ بَيِّنَةٍ فيه معنى يدعو إلى الأسماع
(خليل اليازجي)

وخير الشعر ما أوحاه طبع فكان له بأفئدة ديب
معانيه قد اتسقت بلفظ بكاد لفرط رِقَّتِه يذوب

(عيسى المملوك)

الشعر كالرأفة يرسم فيه عقل الناظم
(إبراهيم الحوراني)

وما الشعر إلا الشهد والسحر والطلح يحلي المنى، يرق المعقول ويسكر
وما الشعر لا أدري وأدري لأنني تصوّره لكن لا يصور

(فائز السمعاني)

أنصت فكل لسان شاعر هزج حق الكواكب والأقمار والشهب
(المقتطف)

لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر وأي حسن لشعر غير مبتكر
وأجود الشعر ما يكسوه قائله بوشى ذا العصر لا الخالي من العصر

هو الشعر لا اعتاض عنه بغيره ولا عن قوافيه ولا عن فنونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه فما بعده للمرء غير جنونه

(معروف الرصافي)

إنظم الشعر ولازم مذهبي في اطراح الرغد لا تبغ النحل
فهو عنوان على الفضل وما أحسن الشعر إذا لم يتسدل
(ابن الوردي)

الشعر دُرٌّ والخيال بحور والفكر فلكٌ في العباب يمور
والشعر ما ابتكر الذكاء مولداً معنى له يروح منك شعور
فإذا أتى نظماً فتلك صناعةٌ أخرى جلاها الطبع والتحرير
(سليم عنجوري)

وقال دُعلُب بن علي الخزاعي يصف الشعر الخالد :

يقول إن ذاق الردي مات شعره وهيات عمر الشعر طالت طوائله
سأفضي ببيت يحمد الناس أمره ويكثر من أهل الرواية حاميه
يموت ردي الشعر من قبل أهله وجيده يبقى ، وإن مات قائله

العناية بلغة الشعر لعدي بن الرقاع :

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوّم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كهوب قناته حتى يقيم ثقافته منادها

سحر البيان لأبي تمام :

كشفت قناع الشعر عن حروجه وطيرته عن وكره وهو واقع
بغرير يراها من يراها بسمعه ويدنو إليها ذو الحجا وهو شاسع
يود وداداً أن أعضاء جسمه إذا أنشدت شوقاً إليها ماسم

وصف قصيدة لابن الرومي :

نظم الفكر درها غير مَثَقو ب إذا الدر شين بالتثقيب
لم يعبها سوى قواف تشاغل ن عن المدح فيك بالتشبيب
يطرب السامعين أيسر ما فيه ها وإن أنشدت بلا تطريب
سودت فيك كل بيضاء تسويد دأ تراه العيون كالتذهيب

لو يثاغي بيانها المعجم يوماً عَرَّبَ المعجم أيمًا تعريبِ
سير الشعر للمتنبي :

وما الدهرُ إلا من رُواة قصائدي إذا قلتُ شعراً أصبح الدهرُ مُنشدًا
فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغني مفردًا
أجزني إذا أنشدتُ شعراً فإنما بشعري أذاك المادحون مردداً
سهولة الشعر لبشار بن برد :

عميتُ جنيناً والذكاء من العمى فجئتُ عجيب الظن للعلم موئلاً
وغاضَ ضياء العين للعلم رافداً لقلب إذا ما ضيع الناس حصلاً
وشعر كزهر الروض لامت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلاً

شعر فيكتور هيجو للمرحوم حافظ بك إبراهيم :

ما تغورُ الزهر في أكامها ضاحكاتٍ من بكاء الشُّجْبِ
نظمَ الوسميَّ فيها 'لؤلؤاً' كَنَّى يا الفيد أو كالجبِ
عند مَنْ يَقْضي بأبهى منظر من معانيه التي تلعب بي
بَسَمَتْ للذَّهن فاستهوتُ نهي مغرم الفضل وَصَبَّ الأدبِ

وقال أيضاً المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف طيارة :

يجري بساجدة تَشُقُّ سَبيلها شَقُّ الإزارِ
وتكاد تقدحُ في الأذير فيستحيل إلى شرارِ
مثل الشَّهابِ انقضُّ في آثار عِفريت وطارِ
فإذا علَّتْ فكدعوة المُمْضِطَّرْ تخترق السَّتارِ
وإذا هَوَتْ فكما هوت أنثى العُقاب على الهزارِ
وتُسِفْ آوَنَةٌ وآوَنَةٌ يحيد بها ازورارِ
فيخالها الراؤون قد قرَّتْ وليس بها قرارِ
لعبَ الجواد أقلَّ لِبْشاً من قضاة أو زارِ

أو كالقلوب من الحما ثم فوق ملعبه استطار
وكأنها في الأفق ح ين يميل ميزان النهار
والشمس تُلقي فوقها حلل اصفرار واحمرار
ملك تمثله لما الس يا فيأخذنا انهاراً

وقال أيضاً المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف زلزال صقلية ١٩٠٩ م :

نبشاني إن كنتما تعلّمانِ ما دهمى الكون أيها الفرقدانِ
غضب الله أم تمردت الأر ض فألححت على بني الإنسانِ
ليس هذا سبحان ربي ولا ذا لك ولكن طبيعة الأكوانِ
غليانٌ في الأرض نفس عنه ثورانٌ في البحر والبركانِ
ربّ أين المفرّ والبحرُ والبر على الكيد للورى عاملانِ ؟
كنت أخشى البحار والموت فيها راصدٌ غفلة من الرُبانِ
سابعٌ تحتنا مُطلٌ علينا حائمٌ حولنا مناء مُداني ١
فإذا الأرض والبحار سواءٌ في خلاق كلامها غادرانِ ٢

وقال البحري يصف سيفاً :

يتناول الروح البعيد مناله عفواً ويفتح في القضاء المفضلِ
يفشى الوغى فالتئس ليس بجده من حده والدرع ليس بمقلِ
ماصرٍ وإن لم تمضيه يدُ فارس بطل ومصقولٌ ، وإن لم يُصقلِ
مُصنَعٌ إلى حكم الردى فإذا مضى لم يلتفت ، وإذا قضى لم يعدلِ
متوقدٌ يبري بأول ضربة ما أدركت ، ولو انها في يذبلِ
فإذا أصاب فكل شيء ممقتلٌ وإذا أُصيب فما له من مقتلِ
وقال فقيد الأدب السيد مصطفى لطفي المنفلوطي يصف القلم :

(١) مناء مدان : مقارب . (٢) الخلاق : الحظ أو الدين وإنما يكون

ذلك في الخير ولكن الشاعر توسع في استعمال الكلمة .

كم أثارَ اليراعُ خَطْباً كميناً وأمات اليراع خَطْباً مثناراً
قطراتٌ من بين شقيقه سالت فأسالت من الدِّمما أنهاراً
كان غصناً فصّار عوداً ولكن لم يزل بعدُ يحملُ الأثماراً
كان يستمطرُ السحابُ فعالاً أمر فاستمطر العقولَ الفِزاراً
وقال المرحوم أحمد شوقي يصف أبا الهول :

أبا الهول : طالَت عليكِ العُمرُ وبُلغْتَ في الأرض أقصى العُمرُ^١
فيا لدةَ الدهر لا الدهرُ شَبَّ ب ، ولا أنتَ جاوزت حدَّ الصغرِ^٢
إلامَ ركوبكِ متن الرِّمما ل لطِّي الأصيلِ وجوبِ السَّحَرِ^٣
تسافرُ مُتَنَقِّلاً في القُرو ن ، فأبَّانَ تُلقِي عُبارَ السفرِ؟
أبينك عهدٌ وبين الجبما ل ، تزولان في الموعد المنتظرِ؟^٤
أبا الهول ! ماذا وراءَ البقا ـ إذا ما تطاولَ غيرَ الضَّجَرِ؟^٥
عجبتُ للقمان في حرصِهِ على لبَدٍ والنسور الأخرِ^٦

- (١) العصر: الدهر فالعصر جمع عصر بسكون الصاد . ومعنى طول الدهر على أبي الهول أنه عمر أعماراً طوالاً : والعمر بضم العين والميم لفظة في العمر .
- (٢) (فيا لدة الدهر) فيا أخا الدهر وقرينه فكأنك والدهر توأمان ، خلقتا معا في اوان (ولا انت جاوزت حد الصغر) أي برغم انك بلغت في الأرض أقصى العمر (٣) (إلام ركوبك) إنه تصوير شعري بديع لتصوير أبي الهول راكباً متن الرمال يطوي الليل والنهار ويسافر متنقلاً في القرون والأدهار (وجوب) في معنى طي . (٤) (في الموعد المنتظر) يوم يزول كل شيء أي اليوم الآخر .
- (٥) (ماذا وراء البقاء) يقول ما وراء البقاء المتطاول غير السأم قال زهير بن أبي سلمى : سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولا ، لا أبا لك ، يسأم
- (٦) للقمان إهو لقمان بن عاديا ، وتزعم العرب أنه هو الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم ليستقي لها ، فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء عمر سبع بقرات سمر من اطييب عفر في جبل وعرا لا يمسا القطر ، او بقاء عمر سبعة انسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاستحقق الأبقار وآثر النسور فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له ياعم ما بقي من عمرك إلا عمر هذا فقال لقمان هذا لبَد ، ولبد بلسانهم الدهر . قالوا وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في جوبة في الجبل الذي هو في اصله فيعيش الفرخ =

وشكوى لبيد لطول الحياة ولو لم تَطُلْ لَنَشْكِي الْقِصَرَ ١
فإن الحياة تَقُلُّ الحديد إذا لَبَسْتَهُ ، وتُبْلِي الْحَجَرَ
ولو وَجِدْتَ فِيكَ يا ابن الصفا لحقت بصانِعِكَ الْمُقْتَدِرُ ٢
أبا الهول ، ما أنتَ في المعضِلِ تِ الْقِدْضِلَتِ السُّبُلَ فَبِكَ الْفِكْرُ ٣
تَحَيَّرْتُ الْبَدْوُ ماذا تَكُونُ ، وضلت بُوادي الظنون الحُضْرُ ٤
فكنتَ لهم صورةَ العُنْفُوانِ ، وكنتَ مِثَالَ الْحَجِي والبَصْرُ ٥

= خمسمائة سنة او اكثر فإذا مات اخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها إلا السابع
فأخذه فوضعه في ذلك الموضع وسماه لبداً وكان أطولها عمراً ، فضربت العرب
به المثل : فقالوا طال الأبد على لبدا فعاش لقمان ، كازعموا ، ثلاثة آلاف
 وخمسمائة سنة ، وقال النابغة :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبدا

هذا، ولقمان بن عاديا غيّر لقمان الحكيم وغير اليهودي الذي آتاه الله من الكنوز
ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، وكلاء الاثنين مذكور في القرآن الكريم .

(١) «وشكوى لبيد» اي وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة إلخ كان لبيد
من المعمرين روي انه مات وهو ابن مائة واربعين سنة . وقيل وهو ابن سبع وخمسين
ومائة اول خلافة معاوية - اما شكواه التي ألمع إليها فذلك حيث يقول :
ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟ !

يقول إذا لم يكن وراء البقاء المتطاوّل إلا الضجر فإني أعجب للقمان في حرصه
على ان تطول حياته وللبيد الذي وان مل الحياة وسئم من طولها فانه لا محالة كان
اكثرها شكاة إذا هي لم تطل لأن حب الحياة خجلة وغريزة مر كوزة في الطباع .
(٢) « وجدت ، أي الحياة » يا ابن الصفاة « الصفاة الحجر الصلد الذي لا ينبت
شيئاً وفي المثل فلان ما تندى صفاته : وفي الحديث لا تفرع لهم صفاة اي لا ينالهم
أحد بسوء وأبو الهول ابن الصفاة لأنه من الحجر « لحقت إلخ » أي لأدركك
الموت . (٣) ما انت في المعضلات ، خبرني أي معضلة انت في المعضلات . وأي
معنى مخفى (٤) تحيرت : يقول حار الناس قاطبة في أمك حاضرم والببادي .
(٥) صورة العنقوان لما ينطوي عليه جسمك الذي صور على صورة اسد من معاني
القوة ، مثال الحجى والبصر لما ينم عنه وجهك ورأسك المصوران على صورة وجه
الإنسان من معاني الفطنة والبصر بالأمور .

وسِرُّكَ في حُجْبِهِ، كَلِمَا أَطَلَّتْ عَلَيْهِ الظُّنُونُ اسْتَتَرَ^١
وما راعَهُمْ غَيْرُ رَأْسِ الرَّجَا لِي عَلَى هَيْكَلٍ مِنْ ذَوَاتِ الظَّفَرِ
ولو صَوَّرُوا مِنْ نَوَاحِي الْعُطْبَا عِثُّوا لَوْ عَلَيكَ سَبَاعُ الصُّوَرِ^٢
فِي رُبِّ وَجْهِ كَصَافِي النُّمَيْ رَ تَشَابَهَ حَامِلَتَهُ وَالنَّمِيرِ
أَبَا الْهَوْلِ ، وَيَحْكُ لَا يُسْتَقَ لِي مَعَ الدَّهْرِ شَيْءٌ وَلَا يَحْتَقِرُ^٣
تَهَزَّاتَ دَهْرًا بِدِيكَ الصَّبَا حَ فَتَقَرَّ عَيْنُكَ فِيمَا نَقَرُ^٤
أَسَالِ الْبِيَاضَ وَسَلَّ السَّوَا دَ وَأَوْعَلَ مِنْقَارَهُ فِي الْحُقْرِ
قَعَدْتَ كَأَنَّكَ ذُو الْحُبْسِ نَ قَطِيعَ الْقِيَامِ سَلِيبَ الْبَصْرِ
كَأَنَّ الرَّسَالَ عَلَى جَانِبَيْكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ ، ذُنُوبُ الْبَشْرِ
كَأَنَّكَ فِيهَا لَوَاهُ الْقَضَا عَلَى الْأَرْضِ أَوْ دَيْدَبَانَ الْقَدَرِ^٥
كَأَنَّكَ صَاحِبُ رَمْلٍ يَرَى خَبَايَا الْغُيُوبِ خِلَالَ السُّطْرِ^٦

(١) يقول ومع ذلك لا يزال سرّك مكتوماً ومخفياً في حجبهِ . والناس من امرّك في ظلام . (٢) ولو صوروا أي ما كان ينبغي أن يروّع الناس منك أن كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر لأن الناس لو صوروا من نواحي شيمهم وطبائعهم لتولوا عليك كأنهم وحوش ، فيارب وجه كصافي النمر الماء الناجع في الري أو النامي أو الكثير والنمر هو ذلك الحيوان المعروف بمكرهه وخبثه وشراسته . (٣) لا يستقل لا يعد قليلاً وهذا البيت كالتمهيد لما بعده . (٤) بديك الصباح يريد الزمن والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ، ومن حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبي الهول وتشويه خلقه حتى أسال بياض عينيهِ وسل سوادهما هو هزء أبي الهول به وسخره منه وعدم إكترائه له ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح ، هذا ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول إنه ورد في بعض الآثار لاتسبوا الديكة فأنها تدعو إلى الصلاة . (٥) « الحبسين » الحبس الموضع الذي يحبس فيه ، وكان يقال عن أبي العلاء المعري رهين الحبسين أي رهين عماه وبيته : فكأنه من عماه في الحبس وكذلك أبو الهول عده شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيهِ كأنه من عماه وسكوته في حبسين . (٦) « ديدبان » فارسية معربة أصلها ديد بان ومعنى ديد بان العين وبان أي ذو أي الرقيب والعين ومعناها الخاص الجندي المكلف بالحراسة . (٧) « السطر » السطر الصف من الكتاب والشجر ونحوهما ومعنى البيت ظاهر .

أبا الهول ، أنتَ نديمُ الزَّما نِ نَجِيٍّ الأوانِ سَمِيرُ العَصْرِ^١
 بَسَطْتَ ذراعَيْكَ من آدَم وولَّيْتَ وجهَكَ شَطْرَ الزَّمَرِ^٢
 تُطِيلُ عَلَى عَالِمٍ يَسْتَهْلُ لُ وتُوفِي على عَالِمٍ يُحْتَضِرُ^٣
 فَمِنْ إلى من بَدَا لا وِجُو دِ ، وأُخْرَى مُشْبِعَةٌ مَنْ عِبَرُ^٤
 فَحَدَّثَ فَتَقَدُّ يُهْتَدَى بِالْحَدِيدِ مِثْ ، وَخَبَّرَ فَقَدْ يُؤْتَسَى بِالْخَبْرِ
 أَلَمْ تَبْلُ فِرْعَوْنَ فِي عِزِّهِ إِلَى الشَّمْسِ مُعْتَزِيًّا وَالْقَمَرِ^٥
 ظَمِيلَ الحَضَارَةِ فِي الأَوَّلِ بَيْنَ ، رَفِيعِ البِنَاءِ ، جَلِيلِ الأَثَرِ^٦

(١) «نجي» الأوان ، النجى بوزن فعيل الذي تسارد وفي الحديث «اللهم بحمد بيلك وبموسى نجيك» هو المناجي المحدث للانسان . (٢) «من آدم» أي من قديم (الزمر) جمع زمرة الجماعة من الناس ، والمراد هنا الناس جميعاً . (٣) «يستهل» يعني يقدم على الدنيا من استهل الصبى بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة (يحضر) حضر فلان واحتضر إذا نزل به الموت . (٤) وأخرى مشبعة من عبر من مضى (٥) «لم تبل فرعون» بلاء يبلوه بلوا وابتلاه جربه واختبره وفرعون لقب يطلق على كل من ولي ملك مصر كالنجاشي للملك الحبشة وقيصر للملك الرومان وفراعون اصلها في الهيروغليفية مركبة من بي وهي أداة التعريف كأل ، ورع أي الشمس فتكون كلمة واحدة ورع أو راهوا معبود قوي حاكم جبار يقاتل احتفاظاً بالحياة ، وإبقاه على الكون ومن هنا كان العتو والجبروت وما في معناها من مدلولات كلمة فراعنة عند العرب، وإذن لا يقصد بفرعون فرعوناً معيناً ولكن جميع فراعنة مصر وقد ابتلاهم أبو الهول (إلى الشمس معتزياً) يقول الم تبل يا أبا الهول فرعون وهو في عزه حتى لكأنه من العزة والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر لأن من اعتزى إلى شيء قاربه وشاكله وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صور أوزيريس «الشمس» وإيزيس «القمر» لأنهم من اصنامهم فلعله يشير إلى هذا مع إرادة معنى العز والمنعة . (٦) «ظليل الحضارة» مكان ظليل ذو ظل دائم يستظل به يريد ان حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ويرتعون في ذراها وكنفها والحضارة بكسر الحاء وفتحها الإقامة في الحضر خلاف البدو البادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار .

يُؤسسُ في الأرض للغابري نَ وَيَفْرِسُ للآخرين الثمر^١
 وراعك ما راعَ من خيلٍ قنَ يَنَ ترمي سنابكها بالشرر^٢
 جوارفُ بالتَّارِ تَغزو البلا دَ ، وآونةً بالقنا المُشْتَجِرِ
 وأبصرت إسكندراً في المِلا قَشِيبَ المِلا في الشباب النضر^٣

(١) «لغابرين» الغابر من الأضداد فيكون بمعنى الباقي ويكون بمعنى الماضي ومن ثم يكون معنى البيت إما أن فرعون يخلد ذكر الماضين بإقامة الآثار لهم والتأثيل ويفرس للآتين ما يحنون ثمره من دور العلم والعرفان وما إليها، وإما أن فرعون يؤسس للآتين ويفرس لهم كل ما يحدي ويثمر . (٢) «قبيز» هو ابن قورش الأكبر الذي أسس دولة الفرس التي غزت مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين وذلك حين تولى الملك «إسمتيك الثالث» أحد ملوك هذه الأسرة فأعد الفرس لهذه الغزوة المعدات الكبيرة وجاء ملكهم «قبيز» بجيش جرار لفتح البلاد التي طالما شرهت نفس أبيه قورش العظيم إلى إخضاعها وكانت مصر إذ ذاك حصينة غاية في المنعة ، يقول مؤرخو الإغريق إن أحد الجنود اليونانية هو الذي حان مصر والمصريين ودل الفرس على أسهل الطرق التي يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد فهوجمت مدينة «بلوز» «الفرما» بجزراً وزحفت الجنود الفارسية على مصر براً وبعد مقاومة عنيفة جهتي بلوز ومنف سقطت البلاد وأخذ قبيز بإسمتيك أسيراً وكان ذلك سنة ٥٢٥ قبل الميلاد ، ثم سار قبيز أول أيامه سيرة حسنة وعامل المصريين معاملة طيبة يحترم ديانتهم وتقاليدهم ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر وحنق على البلاد ومن فيها فكرر على المعابد والهياكل فهدمها وقتل بيده العجل أبيس أنثاء أحد الاحتفالات الكبيرة وعند عودته إلى فارس مات في الطريق سنة ٥٢١ ق. م. ، ولما ولي ملك الفرس دار الأول زار مصر وأراد أن يصلح ما أفسده قبيز فأسدى احتراماً كبيراً لديانة المصريين ومعبوداتهم وشيد هيكلًا عظيمًا للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى وعضد التجارة وشيد كثيرًا من المدارس وفتح الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر ، ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الخسائر في واقعة «مرثون» في حربه مع الإغريق فخرجوا من طاعته وطردهوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة ٤٨٦ ق. م. ، ثم غزا الفرس مصر ثانية وما زالوا بها حتى طردهم المصريون سنة ٤٠٥ ق. م. (٣) «إسكندر» هو الإسكندر الأكبر المقدوني الفاتح العظيم قال المؤرخون =

تَبَشَّجَ فِي مِصْرَ إِكْلِيلُهُ فَلَمْ يَعُدْ فِي الْمَلِكِ عُمَرَ الزَّهْرُ
وَشَاهَدَتْ قَتَيْصَرَ كَيْفَ اسْتَبَدَّ وَكَيْفَ أَذَلَّ بِمِصْرِ الْقَصْرُ ؟
وَكَيْفَ تَجَبَّرَ اعْوَانُهُ ؟ وَسَاقُوا الْخَلَائِقَ سَوَاقَ الْحُمْرُ ؟
وَكَيْفَ ابْتَلَوْا بِقَلِيلِ الْمَدِيدِ مِنَ الْفَاتِحِينَ كَرِيمِ النَّفَرُ ؟
رَمَى تَاجَ قَيْصَرَ رَمَى الزَّجَا ج ، وَفَلَ الْجُمُوعَ وَثَلَّ السَّرَرُ
فَدَعُ كُلَّ طَاغِيَةٍ لِلزَّمَانِ فَإِنَّ الزَّمَانَ يَقِيمُ الصَّعْرُ
رَأَيْتَ الدِّيَانَاتِ فِي نَظْمِهَا وَحِينَ وَهِيَ سَلَكُهَا وَانْتَثَرُ ٣

= بعد أن هزم الإسكندر الفرس في واقعة أفسوس زحف على مدينة صور فأخذها
عنوة وبذلك تم استلاؤه على الشام ثم قدم إلى مصر وقصد كان الفرس استدعوا
حاميتها منها بسبب حروبهم مع الاسكندر فلما وصل الاسكندر إلى « بلوز »
« الفرما » سنة ٣٣٢ ق م رحب به المصريون لما سمعوه من عدالة حكمه ولما
لاقوه من الذل والهوان في حكم الفرس ففتحت أبوابها ودخلها دون عناء حتى إن
الوالي الفارسي لم يجرؤ على مقاومته وقابله في منف بترحاب، ومن ثم سار الإسكندر
إلى واحة آمون الكبرى ودخل معبد آمون ولقبه الكهنة بابن آمون ، فاحترم
ديانة المصريين وقدم القرابين لمعبوداتهم ولم يهمل مع ذلك التقاليد الاغريقية
فأدخل منها في مصر الموسيقى والألعاب النظامية ، ولما رأى الإسكندر أن قرية
« راقودة » وهي قرية صغيرة كانت بقرب الإسكندرية ذات موقع بحري موفق
أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هي الإسكندرية وبعد أن استوثق الأمر للإسكندر
في مصر خرج إلى فتوحاته الأخرى في المشرق وكانت وفاته سنة ٣٣٣ وكان عمره
إذ ذاك ٣٢ سنة ونيفا ولم يعم بمصر كما ترى إلا قليلا، فذلك حيث يقول في البيت
التالي « فلم يمد في الملك عمر الزهر » وخلف الإسكندر على مصر البطالسة وما زالوا
بها إلى أن استولى الرومان عليها . « إكليله » تاجه . (١) « رمى » يريد هذا النفر
القليل وهم أصحاب عمرو بن العاص وقل الجموع : هزمها وثلل الـ : ركسرها والسر جمع
سرير والمراد بها العروش التي يجلس عليها القياصرة . (٢) « الصعر » ميل في العنق
وانقلاب الوجه إلى أحد الشقين ، وقد صعر خده أماله من الكبر ، قال المثلث :
وكننا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من رده فتقوما
والزمان يقيم الصعر يعدل الطغاة يقال أقمت الشيء فقام أي استقام . (٣) في
نظمها وحين وهي سلكها ، في حالتي قوتها وضعفها .

تشادُ البيوتُ لها كالبرُوجِ إذا أخذ الطرفُ فيها المحسر^١
تَلَقَى أساساً وشُمَّ الجبا لَ كما تَتَلَقَى أصولُ الشجر^٢
وإيزيس خَلَفَ مقاصيرها تَخْطَى الملوكةُ إليها السُتر^٣
نُضِيءُ على صفحات السما وتشرقُ في الأرض منها الحُجَرُ
وآبَيسُ في نيره العالمو نَ، وبعضُ العقائدِ نيرُ عسر^٤
تَسَاسُ به مُعضلاتُ الأمو رَ ويُرجى النعيمُ وتخشى سَقَر
ولا يَشعرُ القومُ إلاّ به ولو أخذته المدى ما شعر
يظل أبو المسك عبداً له وإن صاغ أحمد فيه الدرر^٥
وآنستَ موسى وتابوته ونور العصا والوصايا الفرر^٦
وعيسى يلم رداءَ الحيا ةِ ومريمُ تجمعُ ذيلَ الحُفَر^٧

١١١ « انحسر » كل والبصر يحسر عند أقصى بلوغ النظر (٢) « تلاقى » تتلاقى
بجذف إحدى التائين أي أنها راسخة رسوخ الجبال . (٣) « إيزيس » هي من معبودات
قدماء المصريين وهي أخت أوزيريس وزوجته في الوقت نفسه وأم هوربوس
وهاربوقراط . (٤) « وآبيس » هو العجل آبيس . روي أن نيفون إله الشر
تغلب أخيراً على أوزيريس إله الخير وقتله فتقمصت روحه جسد عجل ، وكان
هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلقي وكانوا يعتقدون أن العجل
الذي تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت بواسطة شعاع من القمر وله علامات
ظاهرة في جسده فإنه يكون أسود اللون وفي جبهته سمة بيضاء مربعة مثلثة
وصورة نسر على ظهره وصورة خنفساء تحت لسانه . (٥) « أبو المسك » كافور
الإشيدى ، و « أحمد » أبو الطيب اتنبي . (٦) « تابوته ونور العصا والوصايا
الفرر » التابوت الذي وضع فيه موسى وقذف به في النيل وعصا موسى ما كان
منها من الآيات والوصايا العشر كل أولئك معروف فلا حاجة بنا إلى الإفاضة فيه .
(٧) « عيسى يلم رداء الحياء » يقول وشاهدت عيسى وهو المثل الأعلى للحياء
ومثله في ذلك العذراء .

وعمرؤ يسوقُ بمصر المصحابَ ^١ ويُزجي الكتابَ ويحدو السور^١
فكيف رأيتَ الهدى والضلالَ ^٢ ودنيا الملوكِ وأخرى عمر^٢
ونبذَ المقوقسَ عهدَ الفُجورِ ^٣ وأخذَ المقوقسَ عهدَ الفجرِ
وتبدّله ظلماتِ الضلالِ ^٤ لبصْبُحِ الهداية لما سفر
وتأليفه القبطِ والمسلمينَ ^٥ كما أُلِّفَتْ بالولاءِ الأسر^٥
أبا الهول ، لو لم تكن آية ^٦ لكانَ وفاؤكَ إحدى العبر^٦
أطلت على الهرمينِ الوقوفَ ^٧ فكتاكيلة لا تريم الحفر^٧
ترجّيتُ لبانيهما عودةً ^٨ وكيف يعودُ الرميمُ النسيخ^٨؟
تجوسُ بعينِ خيالِ الدنيا ^٩ وترمي بأخرى قضاءَ النسيخ^٩
ترومُ بمنفيسِ بيضِ الطبّا ^{١٠} وتُسمّرُ القنا والخميسَ الدثر^{١٠}
ومهد العلومِ الخطيرَ الجلالَ ^{١١} وعهدَ الفنونِ الجليلَ الخطر^{١١}
فلا تستبينَ سوى قريةٍ ^{١٢} أجدُ محاسنها ما اندثر^{١٢}

(١) وعمرؤ... يقول وقد رأيت عمرو بن العاص إذ يسوق المسلمين لفتح مصر
ويزجي كتاب الله وآياته. (٢) وتأليفه أي المقوقس الأسر) جمع الأسرة وأسرة
الرجل عشيرته ورهطه الأدنون. (٣) إحدى العبر إحدى الآيات. (٤) أطلت
إلخ بيان لوفاء أبي الهول كشاكلة: يقول إنك في إطالتك الوقوف على الهرمين وفاء
منك كشاكلة ولدها لا تبرح قبره ولا تزايله فالشاكلة هي التي فقدت ولدها ، ولا
تريم أي لا تبرح. (٥) « لبانيهما » أي لباني الهرمين : (٦) « تجوس » تطوف .
وتتخلل و « للنهر ، النهر واحد الأنهار يعني نهر النيل . (٧) « وتروم » تفقد
وتطلب « بمنفيس » منف ، وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة وهي عاصمة
ملك الفراعنة والذي بناها مينا مؤسس الأسرة المالكة الأولى وكانت كما قال
شاعرنا مهد العلوم الخطير الجلال وعهد الفنون الجليل الخطر. (٨) « أجد محاسنها
ما اندثر » يقول إن طلوها الدوارس ورسومها المنثرة البوالي أجدت محاسنها .

تكد لإغراقها في الجو د إذا الأرض دارت بها لم تدّر
فهل مَنْ يُبلغُ عنا الأصو ل بأن الفروع اقتدت بالسير؟
وأنا خطبنا حسان الملا وسقنا لها الغالي المدّخر؟
وأنا ركنا غمار الأمور وأنا نزلنا إلى المؤمر
بضكلٌ مُبين شديد اللدا د وكلّ أريب بعيد النظر
تطالبُ بالحقّ في أمة جرى دمها دونه وانتشر
ولم تفتخر بأساطيلها ولكن بدستورها تفتخر
فلم يبقَ غيرك من لم يخف ولم يبقَ غيرك مَنْ لم يطير
تحرّك أبا الهول ، هذا الزما ن تحرك ما فيه ، حق الحجر

وقال أيضاً المرحوم أحمد شوقي بك يصف حياة النحل وحالته ومملكته :

مملكةٌ مُدبّره بأمرأة مؤمّره
تحمل في العمال والصّناع عبء السيطره
فاعجب لعمال يولّثون عليهم قيصره
تحكمهم راهبةٌ ذكّارةٌ مُغيّره
عاقدهٌ زنّارها عن ساقها مُشمره
تلتصّت بالأرجوان وارثدته ميثره
وارتفعت كأنّسها شرارة مطيّره
ووقعت لم تحتلج كأنها مُسمره ؟
مخلوقة ضعيفة من خلق مُصوّره
ياما أقلّ مملكها وما أجلّ خطرّه

(١) التغير : ترديد الصوت بالقراءة .

(٢) الاختلاج : الاضطراب .

قِفْ سائلِ النحلَ بأيّ تَقْلٍ دَبْرَه ؟
 يُجِيبُكَ بالأحلاقِ وهي كالمَقُولِ جوهره
 تُغني قوَى الأخلاقِ ما تُغني القوَى المفكِّرة
 ويرفعُ اللهُ بها مَنْ شاءَ حتى الحشره

أليس في مملكة النحل لقوم تبصرة ؟
 ملك بنسأه أهلُه بهمةٍ ومجدرة^١
 لو التمتست فيه بطال اليدين لم ترة
 تُقتلُ أو تنفى الكسا لى فيه غير مُندرة
 تحكم فيه قيصره في قومها موقرة
 مِن الرجالِ وقبو دِ حكيمهم مُحَرَّره
 لا تورثُ القوم ولو كانوا البنين البررة
 الملكُ للإناث في الدت ستور لا للذكورة^٢
 نيرة تنزلُ عن هالتيها لنيرة
 فهل ترى تخشى الطما ع في الرجال والشره^٣
 فطالما تلاعَبوا بالمهَج المصيرة
 وعبروا غفلها إلى الظهور قنطرمه
 وفي الرجال كرمُ الضعف ولؤمُ القدره
 وفتنة الرأي وما وراءها من أثره
 أنثى ولكن في جنا حياها لباة مُخدره^٤

(١) يقال هذا الامر مجدرة ذاك اي جديرأ به .

(٢) الذكرة : الذكور .

(٣) الطماع : الطمع . (٤) اللباة : اللبوة وهي أنثى الأسد .

زائدة عن حوضها طاردة مَنْ كدّره
تقلّدت إبرتها واذرعت بالحبرة
كانها تركيبة قد رابطت بأنقرة
كانها (جاندارك) في كتيبة معسكرة
تلقي المغير بالجنو د الخشن المنمرة
للسابغين شكة^١ البالغين جسر^٢
قد نثرتهم جعبة ونقضتها ميثرة^٣
مَنْ يَبْنِ ملكاً أو يذُد فبالقنا المجرّره
لنّ الأمور ممة ليس الأمور قمره
ما الملك إلا في ذرا الأولوية المنشرة
عريته مذّ كان لا يحويه إلا قسورة^٤
ربّ النيوب الزرق والتمخالب المذكره
مالكة عاملة مصلحة معمرة
للمال في أتباعها لا تستبين أثره
لا يعرفون بينهم أصلاً له من ثمره
لو عرفوه عرفوا من البلاء اكثره
وانخذوا نقابة لأمرهم ميسره
سبحان مَنْ نزه عنه ملكهم وطهره
وساسه بحرقه عاملة مستغره
صاعدة في معمل من معمل منحدرة

(١) الشكة : السلاح .

(٢) الجسرة : الجسارة .

(٣) المثيرة : بيت الإبر .

(٤) القسورة : الاسد .

واردة دَسْكَرَة صادرة عن دَسْكَرِه^١
 باكرة تستنفضُ المصائبَ المبكرة^٢
 السامعينَ الطائعينَ المحسنينَ المهرَ
 من كل من خطُّ البناء أو أقامَ أسطره
 أو شدَّ أصل عقده أو سدَّه أو قوَّره^٣
 أو طاف بالماءِ على جُدرانِه المجدِّره^٤
 وتذهبُ النحلُ خفا فَاً وتجيءُ موقرة
 جوالِبَ الشمع من الخمائل المنوَّره
 حوالب الماذي^٥ من زهر الرِّياض الشيره^٦
 مشدودة جيوبها على الجنى مُزَرَّره
 وكلُّ خرطوم أداةُ العسل المقطَّره
 وكلُّ أنف قانيءٍ فيه من الشَّهْدِ بره^٧
 حتى إذا جاءتْ به جاست خلال الأدوره^٨
 وغيبته كالسلا في الدنان المحضره^٩
 فهل رأيت النحل عن أمانة مقصره ؟
 ما اقترضت من بقله أو استعارت زهره
 أدَّت إلى الناس به سكرة بسكرة

(١) الدسكرة : القرية . (٢) المصائب : جمع عصابة . (٣) قور الشيء قطعته من وسطه خرقاً مستديراً (٤) المجدرة أي المشيدة (٥) الماذي : العسل . (٦) الشيرة : الحسان . (٧) البرة : الحلقة في الأنف . (٨) الادورة : الديار يراد بها الخلايا هنا . (٩) السلاف : أفضل الخمر .

وقال أيضاً أحمد شوقي بك يصف مقبرة توت عنخ آمون وما حوته :
 قفي يا أخت (يوشع) خبرينا أحاديث القرون الغابرينا^١
 وقصّي من مصارعهم علينا ومن دولاتهم ما تعلّمينا^٢
 فمثلك من روى الأخبار طراً ومن نسب القبائل أجمعينا^٣
 نرى لك في السماء خضيب قرن ولا نحصى على الأرض الطمينا^٤
 مشيت على الشباب شواظ نار ودُرت على المشيب رحي طحونا^٥
 تعين الموالد والمنايا وتبين الحياة وتهديمينا^٦
 فمالك هرة أكلت بنينا وما ولدوا وتنتظر الجنينا^٧
 أم المالكين بني (أمون) ليهنك أنهم نزّعوا (أمونا)^٨

(١) الخطاب للشمس ، وقد أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فقد روي أن وشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت ولا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، وقد لمح ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله :

وما أنت لا أنس المليحة إذ بدت دجى فأضاء الأفق من كل موضع
 فحدثت نفسي أنها الشمس أشرق وأني قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرين الأجيال الماضية . (٢) قصي : حدثني ، ومنه : « نحن نقص عليك أحسن القصص » مصارعهم : مهالكهم دولاتهم ، جمع دولة بضم ففتح وهي الداهية يقال : « جاف الدهر بدولته » أي بدواهيه . ٣ طراً جميعاً دون أن تترك منها شيئاً ، نسب القبائل : ذكر أنسابهم . (٤) الخضاب : الملون بالخضاب ، القرن حاجب الشمس . الطمين المطمون . (٥) الشواظ بالضم والكسر : دخان النار . (٦) المنايا جمع منية وهي الموت . (٧) الهرة : القطة ، ويقال في المثل « أعق من الهرة » لأنها تأكل أولادها ، الجنين : الولد ما دام في الرحم . (٨) نزع أباه أشبهه ، وفيه إشارة إلى أم أمون ، واختلف المؤرخون هل كانت أمه زوجة شرعية لأبيه أو إحدى سراريه وكان عاداتهم أن لا يتولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خوأتون .

ولدت له (المأمين) الدواهي ولم تلدي له قط (الأمينا)^١
فكانوا الشهب حين الأرض ليل^٢ وحين الناس جد^٣ مضليننا
مشيت بمنارهم في الأرض (روما) ومن أنوارهم قبست (أثينا)^٤
ملوك^٥ الدهر بالوادي أقاموا على (وادي الملوك) محجبتنا^٦
فرب^٧ مصفد منهم وكانت تساق^٨ له الملوك مصفديننا^٩
تقيد في التراب بغير قيد وحل^{١٠} على جوانبه رهينا
تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا للحجارة منطقتنا^{١١}
عدوا^{١٢} يبنون ما يبقى وراحوا وراء الآبسات مخلصنا
إذا عمدوا للمأثرة أعدوا لها الإنتقان^{١٣} والخلق المتينا
وليس الخلد^{١٤} مرتبة تلقى وقؤخذ^{١٥} من شقام^{١٦} الجاهلينا
ولكن^{١٧} منتهى هم كبار إذا ذهبت^{١٨} مصادر^{١٩}ها بقينا
وسر^{٢٠} العبقرية حين يسري فيقتظم^{٢١} الصنائع^{٢٢} والفنوننا
وآثار^{٢٣} الرجال إذا تناهت^{٢٤} إلى التاريخ خير الحاكمينا

(١) أشار للخليفتين ، الأمين والمأمون ، وقد اختار المأمون لأنه كان أفضل بني العباس حزماً وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة ، أي ولدت له أبناء صاروا ملوكاً وكانت صفاتهم في الملك كالصفات التي عرفناها في المأمون . (٢) روما عاصمة إيطاليا ، قبست أخذت ، أثينا عاصمة اليونان ، وفيه إشارة إلى ما أخذه الأمم الفائرة عن المصريين من العلوم والحضارة . (٣) وادي الملوك هو الشاطئ الغربي للنيل بالأقصر على مسيرة نصف ساعة تقريباً وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشر وما بعدها وقد كانوا يبالغون في العناية بها وإبقائها إلى حد يفوق الوصف . (٤) مصفدين مقيدين : يصف فراعنة مصر في مقرهم الأخير ، وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة . (٥) منطقتين أليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة ويريد أنهم أنشأوا من الأبنية ما يدل على عظمة نشأتهم دلالة النطق على معناه وأشهر هذه الأبنية الهرمان القائماني بجانب الجيزة وهما من أعجب ما بنى البناة وفيهما دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم القاطنة بفن العمارة وهندستها وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما امرأتان وعصف الرياح وهطل السحاب .

وأخذك من فم الدنيا ثناء وتركك في مسامعها طنيناً^١
 فتغالى في بنيك الصيد غالى فقد حُبُّ العلوِّ إلى بنينا^٢
 فشيبُ قنعٍ لا خيرَ فيهم وبورك في الشباب الطامحين^٣
 فجاجيهم بعرضٍ كان صنواً لعرشك في شببته سفيناً^٤
 وكانت العز حليته وكانت قوائمه الكتائب والسفينات
 وتاجٌ من فرائده (ابن سبي) ومن خمرزاته (خوفو) و (ميناً)^٥
 علا خدّاً به صعرٌ وأنفاً ترفع في الحوادث أن يدينا^٦
 ولستُ بقاتل ظلموا وجاروا على الأجراء أو جلدوا القطينا^٧
 فإنما لم نذوق النقص حتى نطالب بالكمال الأولينا^٨
 وما (البستيل) إلا منت أمس وكم أكل الحديد بها سجيناً^٩

(١) الطنين صوت الذباب والطست والناقوس ونحو ذلك . (٢) الصيد جمع أصيد وهو الرجل يرفع رأسه كبيراً وعجباً ولا يلتفت من زهوه يميناً وشمالاً ، فقد حب بضم الحاء أي فقد حبب (٣) شيب: أي قانعون لا يطلبون شيئاً وراء ما بلغوا ، الطامحون: المتفانون في طلب المعالي. (٤) الصنو : الأخ الشقيق والابن، السنين بفتح السين من يكون في سنك. (٥) ابن سبي: هو رمسيس الثاني المعروف بسوسرتيس ويلقب بالأعظم لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لا يكاد يوجد بوادي النيل أثر من الآثار القديمة والمعاصر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه وولي الملك صغيراً في حياة والده ، وقد تربى على الشجاعة والحماسة وأراد أبوه ان يعلمه اقتحام الأهوال فأرسله في جيش إلى بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاهما حتى ادخلها تحت الطاعة وله حروب عظيمة ثم حارب في جملة فتوح وبخاصة في آسيا الشمالية وكان في أيامه (بنتاهور) الشاعر المصري وله فيه عدة مدائح يصف بها شجاعته وأقدامه . (٦) علا خدّاً أي ذلك التاج والصعر ان يميل الرجل نحوه عن النظر إلى الناس تهافتاً أو كبراً . (٧) القطين الخدم اي انه لا يجاري بعض المؤرخين الذين يزعمون ان الملوك الفرعون كانوا يظلمون الأجراء ويجلدون الخدم ليسخروهم في إنشاء تلك الأبنية. (٨) لم نذوق النقص اي لم نحفظ منه (٩) البستيل : سجن يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفي هذا =

ورُبّةً بيعةً عزّتْ وطالَتْ بناها الناسُ أُنْسُ مُسَخَّرِينَا^١
 مُشِيدَةً لِشَافِي العُمَي (عيسى) وَكَمْ سَمَلِ القُسُوسِ بِهَا عُيُونَا^٢
 خَلِيلِي أَهْبَطَا الوَادِي وَمِيلَا إِلَى غُرَفِ الشَّمُوسِ الغَارِيَيْنَا^٣
 وَسِيرَا فِي مَحَاجِرِهِمْ رُؤُودًا. وَطُوفَا بِالْمَضَاجِعِ خَاشِعِينَا^٤
 وَخُصَصَا بِالْعِمَارِ وَبِالتَّحَايَا رُفَاتِ المَجْدِ مِنْ (تَوَقُّنْخَمِينَا)^٥
 وَقَبْرَا كَادَ مِنْ حُسْنٍ وَطِيبٍ يُضِيءُ حِجَارَةً وَيَضُوعُ طِينَا^٦
 يُخَالُ لِرَوْعَةِ التَّارِيخِ قُدَّتْ جَنَادِلُهُ العُلَا مِنْ (طُور سِينَا)^٧
 وَكَانَ نَزِيلُهُ بِالمُلْكِ يُدْعَى فَصَارَ يُلَقَّبُ الكَنْزُ الثَّمِينَا^٨
 وَقَوْمَا هَاتِفَيْنِ بِهِ ، وَلَكِنْ كَمَا كَانَ الْأَوَائِلُ يَهْتَفُونَ^٩
 فَسَمَّ جَلَالَهُ قَرَّتْ وَرَامَتْ عَلَى مَرِّ القُرُونِ الْأَرْبَعِينَا^{١٠}
 جَلَالُ المُلْكِ أَيْامٌ وَتَمُضِي وَلَا يَمُضِي جَلَالُ الحَالِدِينَا^{١١}

= السبعن ذاق رجالات العلم والفضل في فرنسا اشد انواع العذاب ايام الاستبداد
 فكم هلك فيه فيلسوف عظيم وفني بين جدران المظلمة مصلح كبير، وكم من سياسي
 جني عليه لخير بلاده فدخله حيا وفارقه ميتا. وقد كره الفرنسيون (البستيل)
 واسم (البستيل) وعدوه مستقر الظلم ومعهد العسف والقسوة فلم يكادوا
 يشورون على حكومتهم حتى كان غرضهم (البستيل) فهدموا واقتلعوا اصوله
 واخذت فتات احجاره فجعلها النسوة عقودا يتحلون بها في امكنة اللآلئ اشارة
 إلى غلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين . (١) البيعة بكسر الباء معبد
 النصارى مسخرين : اي كلّفوا عملهم بلا اجرة (٢) سمل العين فقأها بمحديدة بحماة
 .وقلمها ٣ يريد بالشموس الغاريين ملوك الفراعنة، وغرفهم مدافنهم . (٤) المهاجر
 ما يحمية الملوك حول منازلهم ومنها مهاجر اقبال اليمن وهي احماؤهم اي ما كان
 يحمية كل منهم (٥) العمار التحية وهو ايضا الريحان يزين به مجلس الشراب .
 (٦) يضوع يتحرك وينتشر اي كادت حجارته تضيء حسنا وكادت تنتشر رائحته
 الطيبة الزكية (٧) لروعة المسعة من الجمال، الجنادل جمع جندل وهو الحجارة
 .وطور سيناء هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى (٨) النزيل الضيف (٩) هاتفين
 به اي الملك الذي هو نزيل القبر وليكن هتافكما كما كانوا يهتفون له ايام حياته .
 (١٠) فتم : فهناك الجلالة من عظم القدر ، ورامت اقامت . (١١) اي ان الجلال
 بالصحيح ما خلد به في التاريخ اما جلال الملك فلا بقاء له .

وَقُولَا لِلنَّزِيلِ « قُدُومَ سَعْدِي » وَحَيَّا اللَّهَ مَقْدَمَكَ الِيمِينَا ١
 سَلَامٌ يَوْمَ وَارْتَسَاكَ الْمَنَايَا بِوَادِيهَا وَيَوْمَ ظَهَرْتَ فِينَا ٢
 خَرَجْتَ مِنَ الْقُبُورِ خُرُوجَ عَيْسَى عَلَيْكَ جَلَالَةٌ فِي الْعَالَمِينَا ٣
 يَحُوبُ الْبَرْقُ بِاسْمِكَ كُلِّ سَهْلٍ وَيَخْتَرِقُ الْبُخَارُ بِهِ الْحَزُونََا ٤
 تَعَالِ الْيَوْمَ الْيَوْمَ خَبِّرْنَا أَكُنْتَ نَوَاكٍ سِنَاتِ نَوْمٍ أَمْ سَنِينَا؟ ٥
 وَمَاذَا جُبْتَ مِنْ ظُلُمَاتِ لَيْلٍ بَعَيْدِ الصَّبَاحِ يُنْضِي الْمَدْلَجِينَا ٦
 وَهَلْ تَبْقَى النُّفُوسُ إِذَا أَقَامَتْ هِيَ كُلُّهَا وَتَبْلَى إِنْ بَلَيْنَا؟ ٧
 وَمَا تِلْكَ الْقُبَابُ وَأَيْنَ كَانَتْ وَكَيْفَ أَضَلَّ حَافِرُهَا الْقُرُونَا؟ ٨
 مُرْدَّةَ الْبِنَاءِ تَحَالُ بُرْجًا بِبَطْنِ الْأَرْضِ مَحْطُوطًا دَفِينَا ٩
 تَغْطِي بِالْأَثَاثِ فَكَانَ قَصْرًا وَبِالصُّوَرِ الْعِتَاقُ فَكَانَ زُونا ١٠
 حَلَّتِ الْعَرْشَ فِيهِ فَهَلْ تُرْجِي وَتَأْمَلُ دَوْلَةً فِي الْغَابِرِينَا؟ ١١
 وَهَلْ تَلْقَى الْمُهِمِّنَ فَوْقَ عَرْشٍ وَيَلْقَاهُ أَلَمًا مُتَرْجَلِينَا؟ ١٢
 وَمَا بِالْطَّعَامِ يَكَادُ يَقْدِي كَمَا تَرَكْتَهُ أَيْدِي الصَّانِعِينَا ١٣

(١) اليمين المبارك وهو من اليمن . (٢) وارتك اخفتك (٣) خروج عيسى اي كما خرج عيسى من القبر على قول النصارى (٤) يحوب يقطع والبرق اسم منقول من معناه الأصلي (التلغراف) الحزون جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض (٥) تعال اليوم إلخ الخطاب لتوت عنخ آمون ، نواك قصدك (٦) ينضي يهزل ، المدجلون الذين يسرون من اول الليل (٧) وما تلك القباب جمع قبة وهي ما ظهر من ابنية المقبرة الفخمة (٨) مرددة البناء مملسته (٩) تغطي اي هذا البناء تغطي إلخ والأثاث متاع البيت ، والصور جمع صورة يريد بها الرسوم التي تحاكي صور الأشياء ، الزون الموضع تجمع فيه الأصنام (١٠) في الغابرين في الباقيين وفي القرآن الكريم « فَأُنْجِيْنَاهُ وَاهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ » ويكون ايضا بمعنى الماضين فهو من الكلمات التي تستعمل للأضداد (١١) المهيمن من أسماء الله تعالى ، المترجلون الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم . (١٢) ما بال الطعام ، ما حاله ، يقدي من قدى الطعام اي طاب طعمه ورائحته .

ولم تكُ أمس تصبرُ عنه يوماً فكيف صبرت أحقاباً مثيلاً؟^١
 لقد كان الذي حذر الأولي وخاف بنو زمانك أن يكوناً^٢
 يحبُّ المرءُ نبش أخيه حياً وينبشه ولو في الهالكين^٣
 سلَّلت من الحفائر قبل يومٍ يسلم من التراب الهامدين^٤
 فإن تكُ عند بعث فيه شكٌ فإن وراء البعث اليقين^٥
 ولو لم يعصموك لكان خيراً كفى بالموت متصماً حصيناً^٥
 يُضَرُّ أخو الحياة وليس شيءٌ بضائره إذا صحب المنونا
 وقال علي بن محمد القاضي التنوخي واصفاً مكتوباً :

وصحيفة الفاظها في النظم كالدرّ النثير
 جاءت إلي كأنها التوفيق في كل الأمور
 بآرق من شكوى وأحسن من حياة في سرور
 لو قابلت أعمى لأصبح وهو ذو طرف بصير
 وكأنها أملٌ تحقق بعد يأس في الصدور
 أو كالفقيد إذا أتت بقدمه بشرى البشير
 أو كالنيام لساير أو كالفني عند الفقير
 أو كالشفاء لمدنّغ أو كالآمان لمستجير
 وكأنما هي من وصا ل أو شتاب أو نشور

(١) الأحقاب جمع حقب بضم القاف وهو الدهر، المئين جمع مائة (٢) لقد كان أي لقد حصل الذي حذر الأولي، والأوالي نجح أول (٣) سلَّلت أخرجت منها برفق الحفائر جمع حفيرة وهي الحفرة، واليوم الذي يسلم الهامدين من التراب هو يوم القيامة (٤) فإن تكُ عند بعث إلخ أي فإن تكن الآن تشك في هذا البعث الذي خرجت به من قبرك فلا محاله سيأتي البعث الذي لا تشك فيه وهو بعث القيامة (٥) يعصموك يمنعوك من المكروه أي لو أنهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لما أصابك مكروه لأن الموت يمنع الأذى أن يصل وجلاء هذا المعنى في البيت الثاني .

لفظ كَأَسْرَ معاند أو مِثْل إطلاق الأسير
وكأنه إذْ لَاح من فوق المِهَارِق والسُّطُور
وردُّ الحُدُود إذا انتقلت به على راح الثغور
عُرِّرَ غَدَّتْ وكأنها من طَلْعَةِ الظَّيِّ الغَرِيرِ
من كل مَعْنَى كالسلا مة أو كَتْسِير العسير

وقال أيضاً واصفاً الخط والكتابة والبلاغة :

خَطَّ وقرطاس كأنهما السوالف والشعور
وبدائع تَدَعُ القلوب بَتَكَادُ من طَرَبٍ تَطِيرُ
في كل مَعْنَى كالغِنَى يحويه 'محتاج' فقير
أو كالفكاك يناله من بعد ما يأس أسير
وكانها الإقبال جا به الشفاء أو النشور
وكانها شَرَّخَ الشبا بوعيشه الخضل النضير

وقال البُحْتَرِي في الموضوع نفسه :

وإذا دَجَّتْ أَيْلَامُهُ ثم انتجت بَرَقَتْ مصابيح الدجى في كتبه
فاللفظ يَقْرُبُ فهمه في بُعْدِهِ مِنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلَهُ في قَرْبِهِ
فكانها والسمع معقود بها شَخْصُ الحبيب بدا لمن 'محبته'

وقال الوزير المهلبى في وصف كتاب :

وَرَدَ الْكِتَابُ مَبْشُرًا نَفْسِي بِأَنْوَاعِ الشُّرُورِ
وَفَضَضْتُهُ قَوَّجْدَتِهِ لَيْلًا عَلَى صَفْحَاتِ نَوْرِ
مثل السوالف والحُدُود د البيض زِينَتٌ بالشعور
أَنْزَلْتُهِ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْقُلُوبِ مِنَ الصُّدُورِ

وقال النجم بن إسرائيل يصف الموز :

أطعمته موزاً شهياً المنظر مستحکم الضج لذيذ الخبر
كأن تحت جلده المزعر لفات زبد ، عجنت بسكر
وقال البهاء زهير يصف الموز أيضاً :

في ريحه ، ولونه ، وطعمه كالسك ، أو كالتبرأو كالضرب
وافت به أطباقه منضداً كأنه مكاحل من ذهب

وقال آخر :

يحكي إذا قشرته أنياب أفيال صغار
ذو باطن مثل الأقا ح ، وظاهر مثل البهار^١

الكمثرى :

وكثراء بستان شهى الطعم والمنظر
له طعم إذا ذيق كاه الورد والسكر
كأنه في شكله ، ولونه وطعمه قوالب من سكر

التفاح - قال ابن المعتز :

كأنما التفاح لما بدا يرفل في أثوابه الحمر
شهد بماء الورد مستودع في أكر من جامد الحمر^٢
كأننا حين نحيا به نستنشق الند من الجمر^٣

الخوخ :

كأنما الخوخ على دوحه وقد بدا أحمره العندمي^٤
بنادق من ذهب أصفر قد خضبت أنصافها بالدم

(١) الأقاح الأفعوان وهو نبت طيب الريح وحواليه ورق أبيض ووسطه أصفر والبهار نبت أصفر طيب الريح (٢) الأكر : جمع كرة وهي لفة في الكرة . (٣) الندى طيب . (٤) العندم صبيغ أحمر .

وخوخةٍ بستان ذكي نسيما من المسك والكافور قد كسبت شرا^١
ملبسة ثوباً من التبر نصفه مصوغ^٢ ، وباقيه كياقوتة حمراً

المشمش :

ومشمش جاءنا من أعجب المعجب أشهى إليّ من اللذات والطرب
كأنه وهبوبُ الريح ينثره^٣ بنادق^٤ خرطت^٥ من خالص الذهب

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر :

حبذا مشمش على الدوح أضحى ذا شعاع يستوقف^٦ الأبصارا
شجر أخضر^٧ لنا جعل الله تعالى منه^٨ كما قال نارا^٩

الرمان :

رمانة صبغ الزمان أديمها فتبسمت في ناضر الأغصان
فكانما هي حُقّة من عسجد قد أودعت خرزاً من المرجان
غيره - كأنما حقة ، فإن فتحت فصرة من فصوص ياقوت
غيره - حقائق كأمثال العقيق تضمنت فصوص بلخش في غشاء حرير^{١٠}
غيره - إذا فض عنه قشره فكانه فصوص عقيق في حقائق من الدر
فدُر^{١١} ، ولكن لم يدنس^{١٢}ه عارض وماء ولكن في مخازن^{١٣} من جمر

النخيل ، والبلح :

كان النخيل الباسقات وقد بدت لناظرها حسناً قباب زبرجد^{١٤}
وقد علقت من حولها زينة لها قناديل ياقوت بأمراس عسجد

وقال السري الرفاء المتوفى سنة ٣٦٦ هـ :

(١) نشر : رائحة طيبة (٢) يشير إلى قوله تعالى : (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا . . (٣) البلخش : حجر معدنه بنواحي بلخشان المتاخمة للتركستان ، أحمره يشبه الياقوب . (٤) بسحق النخل : طال .

فالنخل من باسق فيه وباسقة
أضحت شماريخه في النجر مُطلعة
تريك في الظل عقيانا ، فإن نظرت
وقال آخر في البلح الأخضر :
أما ترى النخل قد نثرت بلحا
مكاحلا من زمرّد خرطت ،
وفي البلح الأحمر :
أنظر إلى البسر إذ تبدى
كأنما خوصه عليه
البطيخ :
رأيتها في كفّ جلاتها
كسلة خضراء مختومة
وقال أبو طالب المأموني :
ومبيضة فيها طرائق خضرة
كحقة عاج ضيّبت بزبرجد
وقال في بطيخة صفراء :
وبطيخة مسكبة عسكية
لها ثوب ديباج وعرف مُدام^٨

(١) الطلع ما يطلع من النخلة ثم يصير تمراً إن كانت أنثى ، فإن كانت ذكراً
لم يصير تمراً بل يؤكل طرياً ، أو يترك على النخل أياماً حتى يصير فيه شيء أبيض
مثل الدقيق فتلقح به الأنثى والقنوان جمع قنو وهو من التمر كالعنقود من العنب .
(٢) المعصم موضع السوار أو اليد وهو المراد هنا . (٣) العقيان : الذهب الخالص .
(٤) مقمعة ذات قمع وهو ما التزق بأعلى التمرة . (٥) البسر : البلح قبل أن يربط
فإذا انتهى نضجه فربط ، والشقيق نبت أحمر فيه بقع سوداء . (٦) الصيب المطر ،
والمزن السحاب أو أبيضه . (٧) الضبيب : شدة القبض على شيء لئلا ينفلت أي
كأنها نخاطة بخيوط الزبرجد تمسكها والعصب جمع عصب ، ما يعضب به أي
صرر من القطن (٨) العرف الريح .

إذا فُصِّلَت للأكل كانت أهْلِيَّةٌ وإن لم تُفصَّل فهي بدرٌ نِمامٌ
وقال سبط بن التعاويذي المتوفى سنة ٥٨٤ هـ :

رُبَّ صَفراءَ أَتَنَّا وهي في أحسن حُلَّةٍ
تَعْتَرِيها صُفْرَةٌ في لونها من غيرِ عِلَّةٍ
جُلُودُ الرِّيقِ حلال دَمَها في كلِّ مِلَّةٍ
نصفها بدرٌ، وإن قَسَمَها فهي أهْلِيَّةٌ

غيره: ألا فانظروا البطيخ وهو مُشَقَّقٌ وقد حاز في التشقيق كل أنيق
تَرَرُهُ كِبَلُورٌ بدا في زُمرَدٍ مُركبة فيه فصوص عقيق

العنب - قال ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ :

كَأَنَّ عناقيدَ الكروم وظلها كواكبٌ درّ، في سماء زبرجد
وقال السري الرفاء :

والكرمُ مُشْتَبِكُ الأفنان، توسّعنا أجناسه في تساوي شُرْبِها عَجَباً^١
فكرمةٌ قطرت أغصانها سبجاً وكرمه قطرت أغصانها ذهباً^٢
كأنما الورق المخضر دونهما غيران يكسوما من سندس حُجُباً
قصب السكر :

تحكيه سمر القنا ولكن تراه في جسمه طلاوة^٣
وكما زدتَه عذاباً زادك من ريقه حلاوة
النبق :

وسدرة كل يوم من حُسْنِها في فنون^٤
كأنما النبق فيها وقد بدا للعيون

(١) الأفنان الأغصان والشرب الماء (٢) السبج : خرز اسود. (٣) الطلاوة
مثلثة الطاء : الحسن . (٤) السدرة شجرة النبق .

جَلَّاجِلٌ من 'نضارٍ' قد عُنُقَتْ في الفصون
الجزر : قال ابن المعتز :

انظر إلى الجزر الذي يحكي لنا كَهَبَ الحريقِ

كَمْذِبَةٍ من سندس ولها نصابٌ من عقيق

وقال ابن رافع القيرواني

انظر إلى الجزر البديع كأنه في حُسْنِه قَضُبٌ من المرجان

أوراقه كزبرجد في لونها وقلوبه صيغت من العقيقان

اللوز الأخضر : قال ظافر الحداد :

كأنما قلوبه من تَوَامٍ ومُفَرِّدٍ

جواهرٌ لكننا الأصداغ من زَبَرْجَدٍ

التين : قال ابن المعتز :

أنعم بتين طاب طعمها ، واكتسى حُسْنًا ، وقاربَ منظرًا من نخير

في برد تلج ، في نقا تبر ، وفي ريح العبير ، وطيب طعم السكر^٢

يحكي إذا ما صفّ في أطباقه خيما ، ضربن من الحرير الأحمر

الفستق :

والقلب ما بين قشريه يلوح لنا كالسن الطير من بين المناقير

غيره : زَبَرْجَدَةٌ خضراء وسط حريرة بحقة عاج في غلاف أديم^٣

غيره : زَبَرْجَدَةٌ ملفوفة في حريرة مضمّنة درأ مُمَشَى بياقوت

النارنج : قال ابن المعتز :

وكأنما النارنج في أغصانه من خالص الذهب الذي لم يخلط^٤

(١) العقيقان : الذهب الخالص . (٢) العبير اخلاط من الطيب ، ونقا مقصور

نقاء (٣) الأديم الجلد أو احمره ، وهو المراد هنا . (٤) النارنج : نوعان أحدهما

سماض معروف والآخر حلو وهو « البرتقال » .

كرة رماها الصولجانُ إلى الهوا فتعلقت في جوّه لم تسقط
غيره : انظر إلى منظر تلهيك بهجته بمثله في البرايا يضرب المثل
نار تلوح على الأغصان في شجر لا النار تطفأ، ولا الأغصان تشتعل
وقال أبو الحسن الصقلي :
إذا ميّلتها الريح مالت كأكرة بدت ذهباً في صولجان زبرجد
الليمون : قال ابن المعتز :

يا حبّذا ليمونة تحدث للنفس الطرب
كأنها كافورة لها غشاء من ذهب

القلم - قال « ابن المعتز » : القلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ولا
يل استزادة ، يسكت واقفاً ، وينطق سائراً ، على أرض بياضها مظلم
وسوادها مضيء ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح نوّار^١ بستان .
وقال « علي بن عبيد » : القلم أصمٌ يسمع النجوى^٢ ، أعيا من باقل ، وأبلغ
من سحبان وائل ، يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ، ويعمل الكتب بين الإخوان
اللسن ناطقة ، وأعينا لاحظة ، وربما ضمتها من ودائع القلوب ما لا تبوح به
اللسن عند المشاهدة .

ومن كلام « أبي حفص بن برد الأندلسي » : ما أعجب شأن القلم ، يشرب
ظلمة ، ويلفظ نوراً ، قد يكون قلم الكاتب أمضى من شبة^٣ المحارب ، القلم
سهم ينقذ المقاتل ، وشفرة^٤ تطيح بها المفاصل .
وقال « محمود بن أحمد الأصبهاني » :
أخرس يُنبئك بإطراقه عن كل ما شئت من الأمر

(١) الزهر أو الأبيض منه . (٢) السر . (٣) الشبة حد كل شيء (٤) سكين .

(٥) أطرق أرخى عينيه ينظر إلى الأرض .

يُذري على قرطاسه دمعاً يُبدي بها السر وما يُدري^١
 كعاشق أخفى هواه وقد نمت عليه عبءة^٢ تجري
 تبصره في كلِّ أحواله عريان يكسو الناس أو يعري
 يرى أسيراً في دواة وقد أطلق أقواماً من الأسر
 أخرق^٣ لو لم تبره لم يكن يرشق أقواماً وما يبدي^٢
 كالبحر إذ يجري ، وكالليل إذ يغشى ، وكالصارم إذ يفري
 وقال « أحمد بن عبد ربه » المتوفى سنة ٢٢٨ هـ :

يُخاطب الغائبَ البعيدَ بما يُخاطب الشاهدَ الذي حضرا
 شخت^١ ضئيل^٢ لفعله خطر^٣ أعظم^٤ به في مُلْمة خطرا^٥
 تَجْج^٦ « كاه » ريقة صغرت^٧ وخطبها في القلوب قد كبرا
 يواقع النفسَ منه ما حذرت^٨ وربما جنبته^٩ به الحذرا
 مهفف^{١٠} تزدهي به صحف^{١١} كأننا حليت^{١٢} به دررا
 و « لابن المعتز » في قلم الوزير « القاسم بن عبيد الله » :

قلم^١ ما أراه^٢ ، أم فلك^٣ يجري بما شاء « قاسم » ويسير ؟
 خاشع^٤ في يديه يلثم قرطاساً كما قبّل البساط شكور^٥
 ولطيف المعنى ، جليل ، نحيف^٦ وكبير الأفعال وهو صغير^٧ !
 كم منايا ، وكم عطايا ، وكم حتف^٨ وعيش^٩ تضم تلك السطور
 نقشت بالدجى نهراً ، فما أدري أخط فيهن أم تصوير^{١٠} ؟

وقال « أبو تمام » في قلم « محمد بن عبد الملك الزيات » :

لك القلم الأعلى الذي بشباته تصاب^١ من الأمر الكلى والمفاصل

(١) يذري : يصب . (٢) أخرق : احرق ويبرى يقطع ، وكذا يفري .
 (٣) شخت ضامر دقيق وكذا مهفف .

لعاب' الأفاعي القاتلات' لعابه' وأر'ي' الجنى اشتارته' أيد عواسل' ١
له ريفة' طل' ، ولكن' وقمها' بآثاره في الشرق والغرب وابل' ٢
فصيح إذا ما استنطقته وهو راكب' وأعجم إن خاطبته وهو راجل' ٣
إذا ما امتطى الخس اللطاف وأفرغت' عليه شعاب' الفكر وهي حوافل' ٤
أطاعته' أطراف' القنا وتقوَّضت' لنجواه' تقويسَ الخيام الجحافل' ٥
إذا استغزر الذهن' الجلي' وأقبلت' أعاليه في القرطاس وهي أسافل' ٥
رأيت جليلا شأنه' (وهو مرهف' ضا' وسمينا خطبه (وهو ناحل' ٦

وقال ابن الرومي :

إن يخدم' القلم' السيف' الذي خضعت' له الرقاب' ، ودانت خوفه الأمم
فالموت' - والموت' لا شيء يغالبه - ما زال يتبع' ما يجري به القلم'
كذا قضى الله للأقلام منذ' برئت' أن السيوف لها منذ' أرهفت خدماً

وقال المتنبي :

نحيف الشوى يمدو على أم رأسه' ويحفى فيقوى عدوه حين يقطع' ٧
ينج' ظلماً في نهار لسانه' ويفهم' عن' قال ما ليس يسمع

وقال ابن نباتة السعدي ، المتوفى سنة ٤٥٥ هـ :

يرنو إلى الأفكار غير ملاحظ' ويحاطب القرطاس غير محابي
ويعلم الآداب أفهام الورى' وفؤاده' صفر' من الآداب

وقال مهيار الديلمي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ في وصف الدولة والأقلام :

(١) الأري : العسل . اشتاره اجتناه ، العوامل جمع عاملة تشتار العسل
تجمعه . (٢) الطل اخف المطر . والوايل المطر الشديد الضخم القطر : (٣) اعجم :
لا يبين كلامه ، راجل : واقف . (٤) الشعاب جمع شعبة ، وهي ما عظم من
حوافي الأودية والميل في الرمل ، وحوافل : ملأى . (٥) استغزر : طلب ما فيه
من مادة غزيرة (٦) مرهف دقيق مرفق ، ضني مرض مرضاً يلزمه الفراش حتى أشرف على
الموت . (٧) الشوى : الأطراف وجلدة الرأس .

وأم بنين استبطنتهم فصدرها غصيص بهم عند الحضان كظيم^١
يعقونها بالضبط ، وهي عليهم عطوف بدرات الرضاع رءوم^٢
يخال الأفاعي الرقش ماضم منهم حشاها ، وهم فيها أخ وحميم^٣
فن ذي لسان مفصح وهو أخرس ومن بائح بالسر وهو كتوم^٤

وقال أبو الفتوح البستي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ :

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسب الحمد والكرم
كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال أعرابي من بني الحرث بن كعب ، يصف الشمس :

نخبة ، أما إذا الليل جنبها فتخفى ، وأما بالنهار فتظهر^٥
إذا انشقت عنها ساطع الفجر وانجلي دجى الليل وانجاب الحجاب المستر^٦
والبس عرض الأرض لونا كأنه على الأفق الشرقي ثوب معصر
تحلت ، وفيها حين يبدو شعاعها ولم يحل للعين البصيرة منظر
بلون ، كدرع الزعفران يشوبه شعاع تلاً ، فهو أبيض أصفر
إلى أن علت وابتض منها اصفرارها وجات كما جال المهبج المسهر^٧
وجللت الآفاق ضوءاً ينيرها فخر لها صدر الضحى يتسعر
ترى الطل يطوي حين تملو وتارة تراه إذا مالت إلى الأرض ينشر
وتدنّف حتى ما يكاد شعاعها يبين إذا غابت لمن يتبصر^٨
كما بدأت ، إذ أشرق ، في مغيبيها تعود كما عاد الكبير المعمار
فأفنت قروناً ، وهي في ذلك لم تزل تموت وتحيا كل يوم وتفسر^٩

(١) الدر اللبن ، رءوم عطوف . (٢) الرقش جمع رقشاء وهي الحية المنقطة

بسواد وبياض والحميم القريب . (٣) جنبها : سترها . (٤) انجاب : انكشف .

(٥) المهبج المفرع . (٦) دنفت الشمس : دنّت للقرب واصفرت . (٧) تحيا .

وقال الطغرائي يصف طلوع الشمس وغروب البدر :
 وكأنما الشمس المنيرة إذ بدت والبدر يجنح للغروب وما غترَبَ
 متجاربان لذا جُنَّ صاغه من فضة ، ولذا جُنَّ من ذهب

وقال ابن خفاجة الأندلسي المتوفى سنة ٥٢٢ يصف غروبها في نهر :
 وقد ولت الشمس محتثة إلى الغرب ترنو بطرف كحيل^٢
 كان سناها على نهره بقايا نجيع بسيف صقيل^٢

وقال ابن طاهر الكرخي أيضاً :
 أما ترى الأفق كيف قد ضرب الغيث عليه من مزنه قُبيا ؟
 وحاجب الشمس من رفارقهها يضرم فيها بنوره لها^٣
 كأنه فضة مطرقة^٤ أطرافها قد تطوست^٥ ذهباً

وقال ابن مكي أيضاً :
 كأن الشمس إذا غربت غربت هوى في البحر أو وافى مفاضاً
 فأنبمها الهلال على غروب بزورقه ، يريد لها خلاصاً

وقال عبد العزيز القرطبي أيضاً :
 إني أرى شمس الأصيل علية ترقد من نحو المغارب مغرباً
 مالت لتحجب شخصها فكأنها مدت على الدنيا بساطاً مذهباً

وقال ابن الرومي أيضاً :
 وقد طفلت شمس الأصيل ونفقت على الجانب الغربي ورأساً مذعزعا^٦
 ولاحظت النوار وهي مريضة^٧ وقد وضعت خدأعلى الأرض أضرعاً^٨

(١) محتثة مسرعة : ترنو تديم النظر (٢) سناها ضوءها والنجيع دم يضرب
 إلى السواد . (٣) رفارقه أطرافها وجوانبها . (٤) مطرقة مضروبة بالمطرقة ،
 وتطوست : تزينت (٥) طفلت الشمس احمرت عند الغروب ونفقت نثرت .
 والورس نبات أصفر والبذذع المبدد والمفرق . (٦) أضرعاً : ذليلاً .

كما لحظت عَوَادَهٗ عَيْنُ مُدْنَفٍ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا^١
وقال ابن أفلح من قصيدة طويلة في الموضوع نفسه :

والشمس خافضة الجناح مُسِفَّةٌ^٢ في الغرب تنساب أنسياب الأرقط^٣
أو كالعروس بدت فأسدلَ دونها جَنَابَاتِ سِتْرِ كَالْجِسَادِ^٤ مُخَطَّطِ^٥
وأتى الظلامُ على الضياء كما أتى أَجَلُ^٦ على أَمَلٍ^٧ ، فلم يَتَأَبَّطِ^٨

وقال أيضاً شاعر العراق الكبير الأستاذ معروف الرصافي :

نزلت تجر إلى الغروب ذيولاً صفراء تشبه عاشقاً متبولاً^٩
تهتز بين يد المغيب كأنها صبُّ تملل في الفراش عليلاً^{١٠}
ضحكت مشارقها بوجهك بكرة وبكت مغاريها الدماء أصيلاً^{١١}
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة عطشت فأبدت صفرةً وذبولاً^{١٢}
غربت فأبقت كالشواظ عقيبها شفقاً يروع القلب شاحب لونه^{١٣}
رقت أعاليه وأسفله الذي في الأفق أشبع عُصفراً محلولا^{١٤}

وقال ابن المعتز يصف الهلال :

انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر^{١٥}
غيره : وكأن الهلال نصف سوار والثريّا كف تشير إليه^{١٦}
غيره : فخر بوسط السماء ملقى ينتظر الصيد للنجوم^{١٧}
غيره : انظر إلى حُسن هلال بدا يهتك من أنواره الحندس^{١٨}
كمنجل قد صيغ من فضة يحصد من دهر الدجى نرجسا^{١٩}

(١) الأوصاب الأمراض . (٢) مسفة من أسف الطائر إذا دنا من الأرض

في طيرانه وحية رقطاء من الرقطة وهي سواد يشوبه بياض أو عكسه .

(٣) الجساد الزعفران . (٤) ذاهب العقل .

(٥) العرار نبت طيب الريح . (٦) الشواظ اللهب لا دخان فيه .

(٧) يهتك يمزق و«من» في كلمة «من أنواره» بمعنى الباء، والهندس: الظلمة.

غيره : يتلو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لأكل عنقود^١
غيره : في ليلة أكل الحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج^٢
غيره : قلت لما هوت لمغربها الشمس ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق ضده الغرب ديننا رأ فأعطاه الرهن نصف سوار

وقال ابن طباطبا :
وكان الهلال لما تبدى شطر طوق المرأة ذي التذهيب
أو كقوس قد أحنيت أو كنؤي^٣ أو كنون^٤ في مهرق مكتوب^٥

وقال أبو عاصم البصري في الهلال والثريا والزهرة :
رأيت الهلال وقد حلقت نجوم الثريا لكي تلتحقه
فشبهته وهو في إثرها وبينهما الزهرة المشرقة
بقوس لرام : رمى طائراً فأرسل في إثره بندقه
وقال في اقتران الثريا بالحلال :

فإذا ما تقارنا قلت طوق من لجين قد علقت فيه دُرّه
وقال الطغرائي :

فكانه وكأنها في جنبه عنقودة في زورق من عسجد
وقال أبو الفضل الميكالي :

كأكرة من فصه مجلوة أوفى عليها صولجان من ذهب
غيره : وكان الهلال تحت الثريا ملك فوق رأسه إكليل^٤
غيره : كأنما النجم قرط صيغ من ورق معلق من هلال الأفق في أذن^٥

(١) فاغر : فافتح فاه .

(٢) الحاق ، مثلثة الميم : آخر الشهر والوقف سوار من عاج .

(٣) النؤي الحفير حول الخيمة يمنع السيل ، المهرق : الصحيفة (ممرب) .

(٤) التاج . (٥) الورق : بكسر الراء الفضة .

وقال شرف الدين الحسين :

كأن الهلال نزيل السماء وقد قارن الزهرة النيرة
سوار^١ لحسناء من عسجد^٢ على قفله وضعت جوهره
وقال البدر البشتكي في وصف الهلال والنجوم حوله :
ذبالة شمع عوّج الريح ضوءها فطار لها بالقرب بعض شرار^٣
وقال علي بن محمد الكاتب :

بدا مستدق^٤ الجانبين كأنه على الأفق الغربي يخلب طائر
ولاح لمصرى ليلتين كأنما تفرّق منه الغيم عن إثر حافر
غيره : وشترعه الغيم ذبلا كأنما تكشف منه عن جناح خلّيق^٥
وقال : البدر كالملك الأعلى وأنجمه جنوده ، ومباني قصره الفلك

ولابن المعتز :

وكان البدر لما لاح من تحت الثريا
ملك^٦ أقبل في التنا ج يُفدّى ويحيا

وله في البدر مع الشمس :

حق رأيت الشمس تة لمو البدر في أفق السما
فكانها وكأنه قدحان من خروما
غيره : والبدر في أفق السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء

ولللامبي :

والبدر في أفق السما كروضة فيها غدير

وللشريف العقيلي :

والبدر في كبد السماء كوردة بيضاء تضحك في رياض بفسح

(١) الذبالة : الفتيلة . (٢) خلّق الطائر : ارتفع في طيرانه .

غيره : وقد برز البدر المنيرُ ووجهه كبحامٍ لُجَيْن فيه آثار عنبر^١
وقال سهل بن المرزبان :

شبهتُ بندرَ سمائها لما دنتُ منه الثريا في قميصٍ سندسي
ملكاً مهيباً قاعداً في روضة حياتِ بعض الزائرين بنرجس

وقال الواواء الدمشقي يصف البدر طالماً من خلال السحاب :

والبدر أول ما بدا مُتَلْتَمِها يُبدي الضياء لنا بحدٍ مُسفر^٢
فكأنما هو خوذة من فضة قد رُكبت في هامة من عنبر^٣

وقال الشريف الرضي يصف السماء والأرض والليل والبرق :

سمائي مذهبة بالبروق وأرضي مُفضضة بالحجاب
وروضي مطارفه غضة تطرّز أطرافها بالذهاب
وليل ترى الفجر في عطفه كما شاب بعض جناح الغراب
يفار الظلام على شمسهِ إلى أن يُوارى بالحجاب
وتصقل أنجمه العاصفات إذا صدّئت من عمود السحاب

وقال البحتري يصف الغيث :

ذاتُ ارتجازٍ بحدّين الرعدِ بحرورة الذيل صدوق الوعدِ
مُسفوحة الدمع لغير وجدٍ لها نسيمٌ كنسيم الورودِ
ورنةٌ مثل زئير الأسدِ ولمعُ برق كسيوف الهندِ
جاءت بها ريح الصبّا من نجدٍ فانتثرت مثلُ انتشار العِقْدِ
فراحت الأرضُ بعيش رغدٍ من وشي أنوار الرّبي في بُردِ

(١) الجام إناء من فضة . (٢) مضيء : مشرق .

(٣) الخوذة المغفر ، زرد ينسج على قدر الرأس ، والهامة الرأس ..

(٤) من ارتجز الرعد إذا دمد .

كأنما غدُرَ أنها في الوهدِ يلعبن من حبايها بالنرد^١

ومن قصيدة لصفى الدين الحلبي يصف فيها الربيع :

نملع الربيعُ على غصون البان حُللا فواضلها على الكشبان
ونمت فروع الدّوح حق صافحت كفلَ الكثيب ذوائبُ الأغصان
وتنوّجتْ هام الغصون وضرجتْ خدّ الرّياض شقائق النعمان
وتنوّعتْ بسط الرّياض فزهرها متباين الأشكال والألوان
من أبيض يَفِيقُ وأصفر فاقع أو أزرق صافي وأحمر قان
والظلُّ يسرعُ في الخائل خطوه والغصنُ يخطر خِطرة النشوان
وكأنما الأغصانُ سوق رواقص قد قيّدت بسلاسل الرّيحان
والشمس تنظر من خلال فروعها نحو الحدائق نِظرة الغيران
والأرض تعجبُ كيف يضحكُ والحيا يبكي بدمع دائم الهملان
حق إذا افترّتْ مباسمُ زهرها وبكى السحاب بدمع هتان
طفح السرورُ عليّ حق أنه من عظم ما قد سرّني أبكاني
فاصرف همومك بالربيع وفصله إن الربيع هو الشبابُ الثاني

وله من قصيدة في وصف واد :

تعانقت الأغصان فيه فأسبلت على الرّوض أستاراً من الورق الخضر
إذا ما حبال الشمس منها تخلصتْ إلى روضه ألفت شراكاً من التّبر
ومن قول أبي الفتح كشاجم في وصف الجمر يعلوه الرماد :

كأنما الجمرُ والرمادُ وقد كاد يوارى من ثاره النشورا
وردّ جنبي القطاف أحمرُ قد ذرّتْ عليه الأكفُ كافورا

(١) النرد لعبة تعرف عبد العامة بلعبة (الطاولة) .

ومن قصيدة لأبي الفرج عبد الواحد الببغا في وصف جيش :

قاد الجيادَ إلى الجيادِ عوابساً شُعثاً ولولا بأسه لم تنقَدِ ١
في جحفلٍ كالسيل أو كالليل أو كالقطر صافحَ موجَ بحرٍ مُزبدٍ
ردَّ الظلامَ على الضحى فاسترجع الظلام من ليل العجاج الأربدِ
وكانما نقشتُ حوافرُ خيله للناظرين أهلةً في جُلمدِ
وكان طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الإثمدِ

وله من قصيدة في وصف روضة :

مداهنٌ يحملن طل السدى فهاتيك ثبرٌ وهذي عقيقٌ ٢
تُنظَّمُ أوراقتها دُرّها وتثر منها التي لا تطيقُ
يميلُ النسيم بأغصانها فبعضٌ نشاوى وبعضٌ مُفِيقُ
ويومٍ سترته غيمه وقد طرّزت رفرفيها السبروقُ
جعلنا البخور دخاناً له ومن شررِ الراح فيه حريقُ
تظلُّ به الشمسُ محجوبةً كأن اصطباحك فيه غبوقُ
على شجراتٍ رافعاتٍ الذيو لِماء الجدائل منها شهيْقُ

ومن قصيدة للحسن بن علي بن وكيع في وصف روض :

أسفر عن بهجته الرّوضُ الأغرُ وابتهسم الدّوحُ لنا عن الزهرُ
أبدي لنا فصلُ الربيع منظرأً بمثله تفتنُ ألبابُ البشرُ
وشياً ولكن حاكه صانعه لا لايتذال اللبس لكنّ للنظرُ
عاينه طرفُ السماء فانشئ عشقاً له يبكي بأجفان المطرُ
فالأرضُ في زيّ عروس فوقها من أدمع القطر نثارٌ من دُررُ

(١) الأشعث : الأسود .

(٢) الطل : المطر الضعيف .

وشيّ طواه في الثرى صوانه حق إذا ملّ من الطي^١ انتشر^٢

وله من قصيدة في وصف الربيع :

انظر إلى زهر الربيع وما جلّت فيه عليك طرائف الأنوار
أبدت لنا الأمطار فيه بدائعاً شهدت بحكمة منزل الأمطار
ما شئت للأزهار في صحرائه من درهم بهج ومن دينار
رجواهر^٣ لو لا تغير حسنهما جلست عن الاثمان والاختار^٤

وله أيضاً في وصف الربيع :

ألست ترى وشي الربيع المنمنا وما رصح الربيع^٥ فيه ونظماً^٦
فقد حكّت الأرض السماء بنورها فلم أدر في التشبيه أيها السما
فخضرتها كالجو في حُسن لونه وأنوارها تحكي لعينيك أنجما
فمن نرجس لما رأى حسن نقشه تداخله عجب به فتبسما
وأبدى على الورد الجني تطاولاً فأظهر غيظ الورد في خده دما
وزهر شقيق نازع الورد فضله فزاد عليه الورد فضلاً وقدّما
وظلّ لفرط الحزن يلطم خده فأظهر فيه اللطم جمرأ مضرما
ومن سوسن لما رأى الصبغ كله على كل أنوار الرياض تقسما
تجلبب من زرق اليواقيت حلة فأغرب في الملبوس منه وأحكما
وأنوار منشور تخالف شكلها فصار بها شكل الربيع متمما
جواهر لو قد طال فينا بقاءها رأيت بها كل الملوك مختما

وللقاضي محمد بن السمان في وصف الهلال :

انظر إلى حسن ذا الهلال وقد بدا لست مضين من عمره

(١) الصوان الوعاء الذي يسان فيه الشيء . (٢) جمع خطر ، وهو المثل

والعديل في العلو . (٣) الربيع نسبة إلى الربيع والمراد به هنا المطر في الربيع .

(٤) أغرب : أتى بشيء غريب .

وقد أطافت به كواكبه حُسناً فبينته لمعت به
 مثل زناد قد صيغ من ذهب يقدح ناراً وهنّ من شرره^١
 ثم تولى يريد مغربسه في شفق الشمس وهي في أثره^٢
 فخلته غائصاً ببحر دم يقذف بالرائعات من دُرره
 فلم أزل ألبلي أراجمه لحظي وأبكي للوقت من قصره
 حتى تبدى الصبح منتبهاً قبل انتباه الخمر من سكره

ومن قصيدة لسليمان بن حسان الصبي في وصف شمعة :

ومجدولة مثل صدر القناة تعزت وباطنها مكنتني
 لها مقلة هي رَوحٌ لها وتاجٌ على الرأس كالبرنس
 إذا رنقت لنعاس عرا وقطت من الرأس لم تنعس^٣
 إن غزلتها الصبا حركت لساناً من الذهب الأملس
 وتلتج في وقت تلقيحها ضياء بجلى دُجى الهندس
 فنحن من النور في أسعد وتلك من النار في أنحس
 توقدّها نزهة العيسون ورؤيتها منية الأنفس
 تكيد الظلام كما كادها فتغنى وتغنيه في مجلس
 فيا حامل العود حث الغنا ويا حامل الكاس لا تحبس
 ويا صالح ! انعم وعش سالماً على الدهر في عزك الأقمس^٤

ولأبي الحسن العقيلي في وصف الصبح والبرق :

الصبح ينشر فوق مُسك الليل كافور الضياء
 والبرق يذهب ما تقضضه الغيوم من السماء

(١) الزناد جمع زند ما تقدح به النار (٢) الشفق : الحرة في الافق من الغروب
 إلى قريب من العتمة . (٣) كدرت . (٤) اسم الممدوح . (٥) الثابت المنيع .

فأثرب على ديباج تَبَنَّتْ قد أحاط بشرب ماء^١
فالعيشُ في زمن الربيع رقيقٌ حاشية الرداء

وقال أيضاً في نارنجة :

وفارنجة بين الرياض نظرتُها على غصن رطبٍ كقامة أغيد^٢
إذا ميّلتها الريح مالت كأكسرة بدت ذهباً في صولجان زمرّد

لابن أبي عمرو الطراري في وصف نار :

نارٌ جرت في غابة ترمي العلى بالشهب
كأنها جيشٌ وغى فرسانه من ذهب

ولعلي بن لؤلؤ الكاتب في الصبح والليل :

رُبُّ صبحٍ كطلعة الوصل جلى حُنج ليل كطلعة الهجران
زار في حلة البزاة فوليّ الليلُ عنه في حلة الغريبات

ولأبي العباس الكندي في التندى على البحر :

كأن التندى في البحر بجران مائعٌ على مائعٍ هذا على ذاك مطبق
فهذا 'الجين' سابحٌ منترقِرقٌ وذاك 'الجين' في السماء معلق^٣
إذا أبصرته الشمس بعد احتجابها به ساعة أبصرته يتمزقُ

وللسري بن أحمد الكندي في وصف الفجر من قصيدة :

وركائبٍ يخرجن من غلس الدجى مثل السهام مرقّتن منه مروقاً
والفجرُ مصقولُ الرداء كأنه جلابُ خودٍ أشربته خلوقاً

(١) الشراب المورد (٢) النارنجة واحدة النارنج وهو شجرة ورقها أملس
ليس شديداً الخضرة يحمل حملاً مدوراً في جوفه حماض كحماض الأترج ووردها
بيضاء في نهاية من طيب الرائحة ٣ م. قرن ١٠ متلالي (٤) خرجن ونفذن من
الغائب الآخر (٥) الخود المرأة الحسناء الخلق الشابة، والخلق ضرب من الطيب مائع.

وله من أخرى في سحابة :

وبسكرة إذا جنببتها الجنوب^١ حسبت العشار تؤم العشار^٢
ترى البرق يبسم سرّاً بها إذا انتحب الرعد فيها جهارا
يُعارضها في الهواء النسيم فينثر في الأرض دُراً صفارا
فطوراً يشق جيوب الحيا وطوراً يسحّ الدموع الغزارا

وله من أخرى :

غيوم تمسك أفق السما وبرق يكتسبه بالذهب
وخضراء ينثر فيها الندى^٢ فريداً ندى^٣ ماله^٣ ثقب
فأوراقها مثل نظم الحلى وأنهارها مثل بيض القضب
حالت بها مع ندامى سلوا عن الجد واشتهروا باللعب
وأغنتهم عن بديع السما ع بدائع ما ضمنته الكتب
وأحسن شيء ربيع الحيا أضيف إليه ربيع الأدب

ولأبي بكر الخالدي في وصف الجو وإدبار الليل وإقبال الفجر :

والجو يسحب من عليل هوائه ثوباً يجود بظلمته المتفرق
حتى رأينا الليل قوس ظهره هرماً وأثر فيه شيب المفرق
وكان ضوء الفجر في باقي الدجى سيف حلاء من اللجين المحرق

ولسميد بن هاشم الخالدي في وصف المطر والصبح والليل والبرق :

أما ترى الطفل كيف يلمع في عيون نسور تدعو إلى الطرب
في كل عين للطل 'أولوة'^١ كدمعة في جفون منتحب
والصبح قد جردت صوارمه والليل قد هم منه بالهرب
والجو في حلة ممسكة قد كتبت البرق بالذهب

(١) البكر السحابة الغزيرة ، وجنبتها دفعتها والعشار النوق (٢) الندى
الكلأ (٣) الندى ما سقط في آخر الليل والفريد الجوهر النفيس والدر .

وللهملي الوزير في الربيع :

الوردُ بين مضمخٍ ومُضَرَّجٍ والزهرُ بين مُكَلَّلٍ ومُتَوَّجٍ .
والثلجُ يهبط كالنَّشَارِ فقم بنا نلتذ بأبنسة كرمة لم تمزج
طلع النهار ولاح نورُ شقائق وبدت سطورُ الورد تلو بنفسج
فكانَ يومك في غلالة فضة والنبت من ذهب على فيروزج^١

وللقاضي التنوخي أبي القاسم عليّ في طول الليل والفجر :

وليلة مُشتاق كان نجومها قد اغتصبت عين الكرى وهي نومُ
كان عيون الساهرين لطلوها إذا شخصت عين للأنجم الزهر أنجم
كان سواد الليل والفجر ضاحكٌ يلوح ويخفى اسودَّ يتبسم

وله أيضاً في وحشة الليل والنجوم والسماء :

رُبَّ ليل قطعته كصدودٍ وفراق ما كان فيه وداعُ
مُوحشٍ كالثقل تقذى به العينُ وتأبى حديثه الأسماعُ
وكان النجوم بين دُجَاهُ سننٍ لاح بينهنَّ ابتداعُ
وكان السماء خيمة وشيٍ وكان الجوزاء فيها شرعُ

وله أيضاً في وصف رياض :

رياض حاكت لهنَّ الثريا حللاً كان غزلها للرعود
نثر الفيث دُرّ دمعٍ عليها فتحلت بمثل دُرّ العقود
أفجّوان معانقٍ لشقيق كنفور تعضُّ ورد الخدود
وعيونٌ من نرجس تترأى كعيون موصولة التسميد
وكان الشقيق حين تبدى ظلمة الصدغ في خدود الغيد
وكان الندى عليها دموعٌ في جفون مفجوعة بفقيد

(١) ضمخه بالطيب لطنخه به حتى كاد يقطر . وضرجه صبغه بالحمرة .

(٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً . الفيروزج : حجر كريم .

وكتب محمد بن عبد الله السامي إلى صديق له يصف النارج :
 أنشط للصبوح أبا عليّ على حُكم المُنَى ورضا الصديق
 بنهر للرياح عليه درعٌ تذهب بالغروب وبالشرق
 إذا اصفرت عليه الشمس صبت على أمواجه ماء الخلق^١
 وجمر شب في الأغصان حتى أضاع الماء في وهج الحريق
 فدهنم الخيل في ميدان تبر يُصاغ لها كرات من عقيق
 وكتب إليه في وصف نهر حوله أشجار الجلنار^٢ :

ونهر تمرحُ الأمواج فيه مراح الخيل في رَهج الغبار^٣
 إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نير الماء يُمزجُ بالعقار^٤
 كان الماء أرض من لجين مغشاة صفائح من نضار
 وأشجار محملة ككؤوسا تضاحك في احمرار واخضرار
 وإذا أبصرن في نهر سماء وهن له نجوم الجلنار

وله من قصيدة في وصف الرياض والبرق :
 نسب الرياض إلى الغمام شريفٌ ومحلها عند النسيم لطيفُ
 فامرب وثقل وزن جامك إنه يومٌ على قلب الزمان خفيف^٥
 أو ماترى طُور البروق توسطت أفقا كأن المزن فيه شقوف^٦
 اليوم من خجل الشقيق مخرجٌ خجل ومن مرض النسيم ضعيف
 والأرض طرس والرياض سطوره والزهر شكل بينها وحروف
 ولأحمد صفي الدين بن صالح بن أبي الرجال يصف روضة صنعاء :
 روضة قد صبا لها السعد شوقاً وصفا ليلها وطاب المقييل

-
- (١) الخلق ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران .
 (٢) الجلنار : زهر الرمان (٣) الرهج : ما أثير من الغبار (٤) الخمر (٥) الجام
 إناء من فضة (٦) الطور : جمع طرة وهي علم الثوب ، والمزن : السحاب .

جَوُّهَا سَجَسَجٌ وفيها نسيم وكلُّ غُصْنٍ إلى لقاءه يميل
 صبح سكانها جميعاً من الداء وجسيم النسيم فيها عليل
 إيه: يا ماء نهرها العذب صلصِلْ حبّذا يا زلالُ منك الصليل
 إيه: يا ورقها المرنة غسّني فحياةُ النفوس منك الهديل
 رَوْضَ صنعاءٍ فقت طبعاً ووصفاً فكثيرُ الثناء فيك قليل
 نهرٌ دافقٌ وجوٌّ فتيقٌ زهرٌ فائقٌ وظلٌّ ظليل
 لست أنسى انتِعاشَ شُجُورِ غصن طرباً والقضيبُ منه يميل
 وعلى رأس دوحة خاطب الورق ودمعُ الفصوص طلائيل
 ولسانُ الرُّعود يهتفُ بالشَّحْبِ فكان الخفيف منها الثقيل
 وفمُ الشَّحْبِ باسمٍ عن بُروقٍ مُستطير شعاعُها مُستطيل

ولابن سكرة الهاشمي في وصف روضة

أما ترى الرّوضة قد نوّرت وظاهر الرّوضة قد أعشبا
 كأنما الأرضُ سماءٌ لنا نقطفَ منها كوكباً كوكباً

ومن وصف زهرية لابن الرّاجح الحلبي :

نثرت عقود سمائها الأنداء بيدِ النسيم فللثرى إثراء
 وبدت تبشير الربيع كأنما نشّرت مطارف وشيها صنعاء^١
 والأرض قد زُهِيت بجلّتي نباتها والجو حُلّةٌ سُحِبَ دُكْناء^٢
 والروض في نشوات سكرته وقد طافت عليه الدّيمة الوطفاء
 وثنى الحياء عطف الغدير فصفت أطرافه وتغنّت الورقاء
 فكان أعطف الغُصُونِ منابرٌ والورقُ في أوراقها خطباءُ

(١) صنعاء : عاصمة بلاد اليمن .

(٢) الدكناء : الضارب لونها إلى السواد .

ومن وصف زهرية لبدر الدين الذهبي :

ترنحَ عطف البانِ في الحُللِ الحُضرِ وغنى بالخان على عوده القُمُرى^١
وراقَتْ أزاهيرُ الحِدايقِ بالضحى نواظر أحداقِ بنو^٢ أرها النُضرى^٢
وأشرق خد الورْدِ يُبدي نضاره^٣ وأشرق جِيدُ الغصنِ في لؤلؤ القطرِ
وبات سقيطُ الطل في كل رَوْضة يُنبئه في أرجائها ناعس الزَّهرِ
وما ذهبتْ شمس الأصيلِ عشية إلى الغربِ حتى أذهبت فضة النهرِ
وغنَّت قيانُ الطير في كل أَيْكة وقد راقَ كحل الطل في مقل الغُدرِ
أقامت لها دوح الأراكِ أرائكا وأرخت لها أوراقا ستارها الحُضرِ
وأمسى أصيلُ اليوم مُلقى من الضنى على فرشِ الأزهار في آخر العمرِ
بكنه حماماتُ الأراكِ وشققت عليه الصَّبا أثواب روضاتها النُضرِ
فكم من نجيبٍ للحمامِ بالضحى عليه وللأنواء من دمعة تجري

ولعلي بن أحمد الجوهري من قصيدة في وصف الغيث :

زرَّ الصِّباحُ علينا شَملةَ السَّحبِ ومدَّت الرِّيحُ منها واهيَ الطُّنُبِ^٤
صكَّ النَّسيمُ فرائحَ الغيثِ فانزعجت ينفُضُنَ أجنحةً من عنبرِ الزَّغَبِ^٥

ولأبي معمر بن أبي سعيد الإسماعيلي من قصيدة في وصف الثلج :

فرحنا وقد بات السَّاءُ مع الثرى وغاب أديمُ الأرضِ عننا فما يرى
كان غُيومُ الجِو صُوغُ فِضة تواصوا بردُ الحليِ عمداً إلى الورى

ولأبي العلاء السروي في وصف روض :

مررنا على الرّوض الذي قد تَبَسَّـتْ ذراه وأوداجُ السَّحائبِ تُسْفِكُ^٦

- (١) القمري ضرب من الحمام ٢١ 'صله بكسر العين وتسكينها للضرورة .
(٢) زر : بمعنى نفث والشملة كساء يشتمل به ، وزر شملة السحب كناية عن
سقوط المطر (٤) الزغب صفار الشعر والريش ٥١ الأوداج جمع ودج وهو عرق
في العنق .

فلم نرَ شيئاً كان أحسنَ منظرًا من الرّوض يجري دَمعه وهو يَضْحَكُ

وله أيضاً في وصف روض من قصيدة :

أما ترى قَضْبَ الأشجار قد لَبِستُ أنوارها تَتَنَسَّى بين جُلّاسِ
منظومة كسوط الدرّ لابساً حُسناً يُبِيحُ دمَ العنقودِ للحاسي^١
وغرّدتْ خطباءُ الطيرِ ساجدة على منابر من وَرْدٍ ومن آس

وقال أبو الفتح كشاجم يصف مرتأة أهداها :

أُخِنتَ شمس الضحى في الحُسْنِ والإشراقِ غَيْرَ الإِعْشاءِ للأجفانِ
ذات طوقٍ مُشْرِفٍ من لُجَيْنٍ أُجْرِيتَ فِيهِ صُفْرَةُ العِيقَانِ
فهو كالهالة المحيطة بالبدنِ رَلِيسَتِ مَضْيَنَ بَعْدَ ثَمَانِ
وعلى ظَهرها فَوَارِسُ تَلْهُو بِبُرْأَةِ تَعْدُو عَلَى غِزْلَانِ
عدلت عكسها الشُعاعَ قَبَّدا هُ إِلَيْهَا وَرَجَعَهُ سَيَّانِ
وهي شمسٌ وإنْ مِثَالُكَ يَوْمًا لَاحَ فِيهَا فَإِنَّا شَمْسَانِ
أَنَا قَابِلَتُ مِثَالُكَ مِنْ أَرُضٍ فِيهَا تَمَابِلُ النِّتْرَانِ
فَأَلْقَى مِنْكَ بِالَّذِي مَا رَأَاهُ خَائِفٌ فَاثْنَتْنِي بِغَيْرِ أَمَانِ

ولأبي القاسم الدينوري في وصف جواد :

وَمُطَطِّمٌ^٢ طَرَفَ الْعِنَانِ^٣ مَعَوْدٌ خَوْضَ الْمِهَالِكِ كُلِّ يَوْمٍ بَرَازِ
وَإِذَا تَوَغَّيْلَ فِي ذُرَى مُتَمَنِّعٍ صَعِبَ بَعِيدَ الْمَهْدِ بِالْمُجْتَازِ
تَرَكْتَ سَنَابِكَ بِصُمِّ صُخُورِهِ أَثَرًا يَلُوحُ كَنَقْشِ صَدْرِ الْبَازِي

وله في وصف سفرجل وتفتح ورمان :

بَعَثْتُ إِلَيْكَ ضَحَى الْمَهْرَجَانِ بِمَعشوقَةِ الْعَرَفِ وَالْمَنْظَرِ

(١) من حسا الشراب إذا شربه شيئاً بعد شيء وفي مهلة .

(٢) شبه حسنه وأظهر بهاءه والموصوف محذوف أي الفرس .

(٣) طرف العنان بمعنى خفيف ، والمطهم البارح الجمال والتام من كل شيء .

مُعْطَرَةٌ صَانَا فِي الْحِجَا لَ مَطَارِفٌ مِّنْ سَنَدُسٍ أَخْضَرٍ
وَبِيضَاءَ رَائِقَةٍ غَضَّةٍ مُنْقَطَعَةِ الْوَجْهِ بِالْمُصْفَرِّ
وَحُقِّ عَقِيقٍ مَلَاهُ الْهَجِيهِ رُ مِنْ الْجَوْهَرِ الرَّائِقِ الْأَحْمَرِ
وَأَقْدَاحِ تَبِيرٍ حَشَتْ قَمَرَهَا يَدُ الشَّمْسِ بِالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ
فَكَنْ ذَا قُبُولٍ لَهَا إِنَّمَا هَدَاهَا مُقِيلٌ إِلَى مَكْثَرٍ
وله في صفة النارنج :

أَمَا تَرَى شَجَرَ النَّارِنْجِ طَالِعَةً نَجْمُهَا فِي غُصُونٍ لَدَنَةٍ مِّيلٍ^١
كَأَنَّهَا بَيْنَ أَوْرَاقٍ تَحْفُفُ بِهَا زُهُرُ الْمَصَابِيحِ فِي خُضْرِ الْقَنَادِيلِ
وَلَأَبِي الْفَضْلِ الْمِكَالِي فِي صِفَةِ الشَّقَائِقِ :

تَصَوَّغَ لَنَا كَفُّ الرِّبِيعِ حَدَائِقًا كَعَقْدِ عَقِيقٍ بَيْنَ سِمَطٍ لَّالِي
وَفِيهِنَّ أَنْوَارُ الشَّقَائِقِ قَدْ حَكَّتْ خُدُودَ عَذَارَى نَقَطَتْ بِقَوَالِي
وله في اقتران الزهرة والهلل :

أَمَا تَرَى الزَّهْرَةَ قَدْ لَاحَتْ لَنَا تَحْتَ هِلَالٍ لَوْنُهُ يَحْكِي اللَّهَبَ
كَكُرَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ مَجْلُوتَةٍ أَوْفَى عَلَيْهَا صَوْلَجٌ مِّنْ ذَهَبٍ^٢
وله في الفجر :

أَهْلَابُ فَجْرِ قَدْ نَضَا ثَوْبَ الدُّجَى كَالسَّيْفِ جُرْدٍ مِّنْ سَوَادٍ قِرَابٍ
وَقَالَ فِي صِفَةِ النَّدَى السَّاقِطِ عَلَى غُصُونِ الشَّجَرِ :
نَثَرَ السَّحَابُ عَلَى الْغُصُونِ ذُرَارَةً أَهْدَتْ لَهَا نَوْرًا يَرُوقُ وَنَوْرًا
شَابَتْ ذَوَائِبُهَا فَعُدْنَ كَأَنَّهَا أَجْنَفَانُ عَيْنٍ تَحْمِلُ الْكَافُورَا
وَقَالَ فِي الْجَلِيدِ :

رُبَّ جَنَيْنٍ مِّنْ جَنِيٍّ تَمِيرُ مَهْتَكُ الْإِسْتَارِ وَالضَّمِيرِ

سللته من رَحَم الغدير كأنه صَحَائِفُ البَلُورِ
لو 'أُكْرُ' تَجَسَّمَت من نور أو قِطْعٌ من خالص الكافور
لو بَقِيَتْ سَلَكًا على الدهور لعطلت قِلَائِدَ النُّجُورِ
وأخجلت جَوَاهِرَ البحور وُسْمِيَّتُ ضَرَائِرِ الثُّغُورِ^١
يا حُسْنَهُ في زمن الحدور إذ فيضه مثل حشا المهور
يَهْدِي إلى الأكبادِ والصُّدُورِ رُوحًا تَحَاكِي نَفْثَةَ المَصْدُورِ^٢

ولأبي طاهر بن الهاشمي في روضة :

ورَوْضَةُ زَارَهَا النَّدَى فغَدَّت لها من الزهر أنجُمٌ زهـر
تَنَشُرُ فيها أيدي الربيع لنا ثوبًا من الوَشْيِ حَاكِهِ القَطَرِ
كَأَنَّمَا شَقَّ من شَقَائِقِهَا على رباهَا مَطَارِفُ خضر
ثم تَبَدَّتْ كَأَنَّمَا حَدَقَ أجفانها من دِمَائِهَا حمر

ولأبي نصر سهل بن المرزبان في البدر :

كم لَيْلَةٌ أَحْيَيْتَهَا وَمُؤَانِسِي 'طَرَفَ الحَدِيثِ وَطَيْبَ حَثِ الأَكُوسِ
شَبَّهْتُ بِدَرٍّ سَمَائِهَا لَمَّا دَنَتْ مِنْهُ الثَّرْيَا في قَمِيصِ سُنْدُوسِ
مَلِيكَاً مَهِيْباً قَاعِيداً في رَوْضَةٍ حَيَّاهُ بَعْضُ الزَائِرِينَ بَنُوجِسِ

وللحسن بن أحمد البروجردي في حوض لبعض الرؤساء :

حَوْضٌ يَجُودُ بِجَوْهَرٍ مُتَسَلِّسٍ سَادَ الجَوَاهِرَ كَلَّتْهَا بِنَفَاسَتِهِ
لَا زَالَ عَذْبًا جَارِيًا بَبْقَاءِ مِنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي طَبْعِهِ وَسَلَاسَتِهِ

ولابن أنيس في حسام عمرو بن معديكرب :

أَخْضَرُ المِثْنِ بَيْنَ حَدِيثِهِ نُورٌ مِنْ فِرْنِيدٍ تَحَارُّ فِيهِ العِيُونُ

(١) جمع ضرة وهي إحدى زوجتي الرجل وأراد بضرائر الثغور الأسنان

(٢) النفثة ما ينفثه المصدور من فيه .

أوقدت فيه نلصواعيق نار^١ ثم ساطت به الرعايف المنون^٢
 فإذا ما سلسلته^٣ بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين
 فكان^٤ الغريندو الرئونق^٥ الجا ري في صفحتيه ماء^٦ معين^٧
 وكان المنون نيطت إليه فهو من كل جانبيه منون
 ما يبالي من انتضاء^٨ الحرب أشمال^٩ سطت به أم يمين

وقال ابن عبد ربه في الرمح والحسام :

بكل^{١٠} رديني^{١١} كان^{١٢} سنانته^{١٣} شهاب^{١٤} بدا في ظلمة الليل ساطع^{١٥}
 تقاصرت^{١٦} الأجال في طول^{١٧} متنه^{١٨} وعادت به الآمال^{١٩} وهي فجائع^{٢٠}
 وساءت^{٢١} ظنون الحرب في حسن^{٢٢} ظننه^{٢٣} فهن^{٢٤} لحبات^{٢٥} القلوب قوارع^{٢٦}
 وذو شطب^{٢٧} تقضي المنايا حكمه^{٢٨} وليس لما تقضي المنية^{٢٩} دافع^{٣٠}

وقال أيضاً في الحرب :

ومعترك^{٣١} تهز^{٣٢} به المنايا^{٣٣} ذكرور^{٣٤} الهند في أيدي^{٣٥} ذكرور^{٣٦}
 لوامع^{٣٧} يبصر^{٣٨} الأعمى سناها^{٣٩} ويعمى^{٤٠} دونها طرف^{٤١} البصير^{٤٢}
 يحوم^{٤٣} حولها عيقبان^{٤٤} موت^{٤٥} تخطفت^{٤٦} القلوب من الصدور^{٤٧}

ومن قوله في الحرب وأبطالها :

سيف^{٤٨} يقلل^{٤٩} الموت^{٥٠} تحت^{٥١} ظلماتها^{٥٢} لها في الكلى^{٥٣} وبين الكلى^{٥٤} شرب^{٥٥}
 إذا اضطفت^{٥٦} الرايات^{٥٧} حرامتونها^{٥٨} ذوائبها^{٥٩} تهفو^{٦٠} فيسفو^{٦١} لها القلب^{٦٢}
 ولم تنطبق^{٦٣} الأبطال^{٦٤} إلا بفعلها^{٦٥} فالسنها^{٦٦} عجم^{٦٧} وأفعالها^{٦٨} عرب^{٦٩}
 إذا ما التقوا في مآرق^{٧٠} وتماثقوا^{٧١} فلسفياهم^{٧٢} طعن^{٧٣} وتعنيفهم^{٧٤} ضرب^{٧٥}

(١) هطلت. (٢) جار (٣) جمع شطب وهي طريقة السيف أي الواحدة
 من الخطوط التي في نصله (٤) هفت الراية خفت. وهفا القلب ذهب في أثر الشيء.

ولأبي قلاص في وصف السحاب والبرق والغيث :

سرى وجبينُ الجو بالطلّ يرشحُ ووثوبُ الغواصي بالبروق موشحُ
وفي طيِّ أبراد الذّيم خميلةٌ بأعطافها نورُ المنى يتمتّحُ^١
يُضاحك في مثنى المعاطف عارض مدامعه في وجنة الروض تسفحُ
وتوري به كف الصّبَا زند بارق شرارته في فحمة الليل تقدحُ

ولأبي القاسم بن بابك في الصاحب يصف له إضرام النار في بعض غياض :

وليلةً بتُّ أشكو الهمَّ أولها وعُدت آخرها أستنجدُ الطربا
في غيضة من غياض الحزن دانية مدّ الظلامُ على أوراقها طنباً
حقّ إذا النارُ طاشت في ذوائبها عاد الزّمردُ من عيدانها ذهباً
مرقتُ منها وثغر الصُّبح مُبتسمُ إلى أغر يرى المذخور ما وهباً
يا أغزَرَ الناس أنواءً ومحتلباً وأشرف النار أعراقاً ومُنْتسباً
أصبت ذا ثقة بالوفر منك وإن قال العواذلُ ظنُّ ربما كذباً
فحُسن ظنّي بك استوفى مدى أملي وحُسن رأيك لي لم يُبقي لي أرباً

ومن قصيدة لأبي سعيد الرُّستمي يصف بها داراً بناها الصاحب بن عباد :

وسامية الأعلام تلحظ دونها سنا النجم في آفاقها متضائلاً
نسخت بها إيوان كِسرى بن هرمز فأصبح في أرض المدائن عاطلاً
تُناطحُ قرن الشمس من شرفاتها صفوف ظباء فوقهن مواثلاً
وأغنى الورى عن منزلٍ من بنت له معاليه فوق الشّعريين منازللاً
ولا غرّ وأن يستحدث الليث بالثرى عربناً وأن يستطرق البحر ساحلاً
ولم تعتمد داراً سوى حومة الوغى ولا خدماً إلا القنسا والقنابللاً

(١) الخيلة : الشجر الكثير الملتف والموضع الكثير الشجر .

والله ما أرضى لك الدهرَ خادماً ولا البدرَ مُنتاباً ولا البحرَ فائلاً
ولا الفلكَ الدوارَ داراً ولا الوري عبيداً ولا زُهر النجوم قبائلاً
فإن الذي يبنيه مملك خالداً وسائر ما يبني الأنامُ إلى بلى.

ولشاعر القطرين خليل مطران بك في وصف روض :

أيها الرّوض كنّ لقلبي سلاماً وملاذاً من الشقاء الملازم
زهرٌ ذابلٌ كأني أراهُ ثلاً من أنفاسه في الكبائن
وغديرٌ صافٍ أقام سياجاً حوله باسقٌ من الدوح قائم
تتناغى بيض من الطير فيه ساجاتٌ وتحتها النّجم عائم
كيفها سرن فالطريق عقودٌ نُظمت من محاجر ومباسم
حبذا البدرُ مؤنساً يتجلى كحبيب بعد التغيّب قادم
حبذا رسمه البرايا كأهـى ما ترى العين في صحيفة راسم
حبذا الماء والمصبيحُ فيه كبنان يزيناها بخواتم
جنةٌ بانّت المكاره عنها وهي بكر من الأذى والمحارم
إنما أهلها طيورٌ حسان إن دعاها الصباحُ قامت تُنادم
وضياء يموجُ في الماء حق لقراءُ كأنه مُتلاطم
ومروج مدبّجات كوشي أنقنت صنعه حسان المعاصم
وغصون تهزّها نسمات كمهودٍ تهزّهـن روائم

وقال البحاري واصفاً صناعة الكتابة والإنشاء :

تفننت في الكتابة حتى عطل الناس فنّ عبد الحميد
في نظام من البلاغة ما شكّ امرؤ أنه نظام فريد

(١) جمع الرائحة وهي الوالدة العاطفة على ولدها الملازمة له.

وبديع كأنه الزهر الضا حك في روتق الربيع الجديد
مُشرق في جوانب السمع ما يخلقهُ عنود على المستعبد
ما أعيرت منه بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد
حججٌ تخرس الألد بالفاظ فرادى كالجوهر المعداد
ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعراً جرولاً ولبيد
حُزنٌ مستعمل الكلام اختياراً وتجنّب ظلمة التعقيد
وركن اللفظ الغريب فأدر كن به غاية المراد البعيد
كالعدارى غدون في الحُلل البيض إذا رُحن في الخطوط السود

ووصف أعرابي تزوج امرأتين ما وقع له منها فقال :

تزوجت اثنتين لفرط جهلي بما يشقى به زوجٌ اثنتين
فقلت أصيرُ بينهما خروفاً أنعمُ بين أكرم نعتين
فصرت كسحجة تُضحى وتسي تداولُ بين أخبث ذبتين
رضا هذي يهيج سخط هذي فما أعري من إحدى السخطين
وألقى في المعيشة كل ضر كذاك الضر بين الضرتين
لهذي ليلة ولتلك أخرى عتاب دائم في الليلتين
فإن أحببت أن تبقى كريماً من الخيرات مملوء اليدين
فميش عزباً فإن لم تستطعه فضرباً في عراض الجحفلين

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في وصف الربيع :

يا صاحبيّ تقصّياً نظريكما تريا وجؤه الأرض كيف تُصَوّر
ترياً نهراً مشمساً قد زانه زهر الرُّبَا فكأنما هو مُقمرُ
دنيا معاش للورَى حتى إذا حل الربيع فأئما هي منظرُ

أضحت تصوغ بطونها لظهورها نورا تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقق بالندى فكأنها عين لديك تحذر

وقال أبو عبادة البحترى في قصر المعتز بالله :

لما كملت روية وعزيمة	أعملت رأيك في ابتناء الكامل
وغدوت من بين الملوك موقفا	منه لأين حلة ومنازل
دعر الحمام وقد ترنم فوقه	من منظر خطر المزلة هائل
رُفعت لخرق الرياح سموكه	وزهدت عجائب حسنه المتحائل
وكان حيطان الزجاج يحوه	لجج يمجن على جنوب ساحل
وكان تفويف الرخام إذا التقى	تأليفه بالمنظر المتقابل
حبك الغمام رصفن بين منمر	ومسير ومقارب ومشاكل
لبست بالذهب الصقيل سقوفه	نورا يضيء على الظلام الحافل
فترى العيون يحلن في ذي رونق	متلهب العالي انيق السافل
وكانما نشرت على بستانه	سيراء وشي اليمنة المتواصل
اغنته دجلة إذ تلاحق فيضها عن	صوب منسحب الرباب الهاطل
وتنفست فيه الصبا فتعطفت	اشجاره من حوّل وحوامل

وقال المتنبي في جواده :

ويوم كلون المدنفين كمنته	اراقب فيه الشمس ايان تغرب
وعيني إلى اذني اغر كأنه	من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضلة من جسمه في إهابه	تجويء على صدر رحيب وتذهب
شقت به الظلماء أدني عنانه	فيطنى وأرخيه مراراً فيلمب
واصرع أي الوحش قفيته به	وانزل عنه مثله حين اركب

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شبابه وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقال صفى الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ في الربيع :

ورَدَ الربيع فرحاً بوروده وبجن منظره وطيب نسيمه
فصل إذا افتخر الزمان فإنه يغني المزاج عن العلاج نسيمه
يا حبذا أزهاره وثماره والفصن قد كسي الغلائل بعدما
قال الصبا بعد المشيب وقد جرى الورد في أعلى الغصون كأنه
وانظر لترجسه الجني كأنه وانظر إلى المنثور في منظومه
وبنور بهجته ونور وروده وأنيق مبسمه ووشي بروده
إنسان مقلته وبيت قصيده باللفظ عند هوبه وروده
ونبات ناجمه وحب حصيده أخذت يدا (كانون) في تجريده
ماء الشببية في منابت عوده ملك تحف به سراة جنوده
طرف تنبه بعد طول هجوده متنوعاً بفصوله وعقوده

وقال أيضاً في حديقة :

وأطلق الطير فيها سجع منطقته والظل يسرق بين الدوح خطوته
وقد بدأ الورد مفترأ مباسمه والسحب تبكي وثمر البرق مبتسم
فالطير في طرب والسحب في حرب والماء في هرب والغصن في قلق
والطير تسجع من تيسه ومن أنق والطيء دبيب غير مسترق
والنرجس الغض فيها شاخص الحدق

وقال المرحوم أحمد شوقي بك في الطبيعة :

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري حق أريك بديع صنع الباري

فالأرضُ حولك والسماء اهتزتا لروائع الآيات والآثار
ولقد تفرّج على الغدير تخاله والنبت مرآة زهت بإطار
حلوا التسلسل موجه وخبره كأنامل مرت على أوتار
ينساب في مخضلة مبتلة منسوجة من سندس ونضار
وترى السماء ضحى وفي جنح الدجى منشقة عن أنهر وبحار
في كل ناحية سلكت مذهب جبلان من صخر وماء جاري

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف النيل :

نظرت للنيل فاهتزت جوانبه وفاض بالخير في سهل ووديان
يجري على قدر في كل منحدر لم يحف أرضاً ولم يعمد لطغيان
كأنه ورجال الرّي تجرسه مملّك سار في جند وأعوان
قد كان يشكو ضياءاً منذ جرى طلقاً حتى أقمت له خزان أسوان

وقال أيضاً عن لسان حال اللغة العربية واصفاً لها :

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاتي وناديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي
دموني بعمق في الشباب وليتني عقلتُ فلم أجزعُ لقول عداتي
ولدتُ ، ولما لم أجد لعرائسي رجلاً وأكفاء وأدتُ بناتي
وسمتُ كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آي به وعظاتي
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتلسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن فمل سألوا الغواص عن صدقاتي
فيا ويحك أبلى وتبلى محاسني ومنكم وإن عز الدواء أسائي
فلا تكلوني للزمان فإني أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة وكم عز أقوام بعز لفاتي

أَتَوْا أَهْلَهُم بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنَّنُوا
أَيُّطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبُ
لَوْ تَزَجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا
حَفِظَنَ وَدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفِظْتَهُ
وَفَاخَرْتَ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطَرِّقُ
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجُرَائِدِ مَزْلَقًا
وَأَسْمِعْ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرٍ ضَجَّةً
أَيُّهْجُرُنِي قَوْمِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
سَرَتْ لَوْثَةُ الْأَعْجَامِ فِيهَا كَمَا سَرَى
فَجَاءَتْ كَثُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً
إِلَى مَعْشَرِ الْكِتَابِ وَالْجَمْعِ حَافِلُ
فَإِمَّا حَيَاةٌ تَبْعَثُ أَلْمِيتَ فِي الْبَلَى
وَإِمَّا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ

فِيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
يُنَادِي بِوَادِي فِي رُبَيْعِ حَيَاتِي
بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثَرَةٍ وَشَنَاتِ
يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَايَ
لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمٍ الْحَسَرَاتِ
حَيَاءٌ بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النَّخِيرَاتِ
مَنْ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أُنَاةٍ
فَاعْلَمْ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَايَ
إِلَى الْغَيَةِ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَايَ
لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فِرَاتِ
مُشْكَلَةٌ الْأَلْوَانِ ، مُخْتَلِفَاتِ
بَسَطْتُ رُجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَايَ
وَتَنْبَيْتُ فِي تِلْكَ الرَّؤُوسِ رُفَاتِي
مَمَاتٌ لِعَمْرِي لَمْ يُقَسَّ بِمَمَاتِ

وقال شاعر العراق الكبير معروف الرصافي واصفاً قطار البخار :

وَقَاطِرَةٌ تَرْمِي الْفُضَا بِدُخَانِهَا
تَمَشَّتْ بِنَا لَيْلًا تَجُرُّ وَرَاءَهَا
فَطُورًا كَعَصْفِ الرِّيحِ تَجْرِي شَدِيدَةً
تَسَاوَى لَدَيْهَا السَّهْلُ وَالصَّعْبُ فِي الشَّرَى
تَدُّكَ مَتُونِ الْحَزَنِ دَكَا وَإِنَّمَا
يَرُّ بِهَا الْعَالِي فَتَعْلُو تَسْلَقًا
طَوَتْ بِالْمَسِيرِ الْأَرْضَ كَأَنَّهَا
هُوَ الْعِلْمُ يَعْلُو بِالْحَيَاةِ سَعَادَةً

وَقَمْلًا صَدَرَ الْأَرْضِ فِي سَيْرِهَا رُعبَا
قَطَارًا كَصَفِّ الدَّوْحِ تَسْحَبُهُ سَحْبَا
وَطُورًا رُخَاءً كَالنَّسِيمِ إِذَا هَبَّهَا
فَمَا اسْتَسَهَلَتْ سَهْلًا وَلَا اسْتَصْعَبَتْ صَعْبًا
لَتَنْهَبُ سَهْلَ الْأَرْضِ فِي سَيْرِهَا نَهْبًا
وَيَعْتَرِضُ الْوَادِي فَتَجْتَازُهُ وَثْبًا
تَسَابِقُ قُرْصِ الشَّمْسِ أَنْ تَدْرِكَ الْغَرْبَا
وَيَجْعَلُهَا كَالْعِلْمِ مَحْمُودَةً الْعُقْبَى

وقال المرحوم محمود باشا سامي البارودي يصف حرب سكان جزيرة كريد :

أَخَذَ الْكَرَى بِمَعْقَدِ الْأَجْفَانِ وَهَذَا السُّرَى بِأَعْنَتِ الْفَرَسَانِ
وَاللَّيْلُ مَنْشُورُ الذَّوَابِ ضَارِبٌ فَوْقَ الْمَتَالَعِ وَالرُّبَى يَجْرَانِ
لَا تَسْتَبِينُ الْعَيْنُ فِي ظُلُمَائِهِ إِلَّا اشْتِعَالُ أَسِنَّةِ الْمَرَانِ
تَسْرِي بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةِ فِتْنَةٍ تَسْمُو غَوَارِبَهَا عَلَى الطُّوفَانِ
فِي كُلِّ مَرْبَاطَةٍ وَكُلِّ ثَلَاثَةٍ تَهْتَدِرُ سَائِمَةً وَعَزْفُ قِيَّانِ
تَسْتَنُّ عَادِيَةً وَيَصْهَلُ أَجْرَدٌ وَتَصِيحُ أَجْرَاسٌ وَيَهْتَفُ عَانِ
قَرْمٌ أَبِي الشَّيْطَانِ إِلَّا خُسْرَمُ فَتَسْلُوْا عَنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ
مَلَأُوا الْفَضَاءَ فَمَا يَبِينُ لِنَظَرٍ غَيْرُ التَّبَاعِ الْبَيْضِ وَالْخُرْصَانِ
فَالْبَدْرُ أَكْدَرُ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ وَالْبَحْرُ أَشْكَلُ ، وَالرَّمَاحُ دَوَانِ
وَالْخَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى أَرْطَانِهَا لِطَرَادِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَرِيْهَانِ
وَضَعُوا السِّلَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ وَأَقْبَلُوا يَتَكَلَّمُونَ بِاللُّسَنِ النِّيْرَانِ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبَحُ أَسْفَرَ وَارْتَمَتْ عَيْنَايَ بَيْنَ رُبَى وَبَيْنَ سَجَانِ
فَإِنَّ الْجِبَالَ أَسِنَّةٌ ، وَإِذَا الْوَهَا دُ أَعِنَّةٌ ، وَالْمَاءُ أَحْمَرُ قَانِ
فَتَوَجَّسَتْ قَرَطُ الرِّكَابِ وَلَمْ تَكُنْ لِنَهَابٍ ، فَاْمَتَّعَتْ عَلَى الْأَرْضَانِ
فَزَعَتْ فَرَجَعَتْ الْحَنِينَ وَإِنَّمَا تَحْنَانُهَا شَجْنٌ مِنْ الْأَشْجَانِ
ذَكَرَتْ مَوَارِدَهَا بِمَصْرٍ وَأَيْنَ مِنْ مَاءٍ بِمَصْرٍ مَنَازِلُ الرُّومَانِ

وقال السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ يصف قطاراً بخاريّاً :

نَظَرْتُ الْحَكِيمُ صِفَاتِهِ فَتَحِيرًا شَكَلًا كَطُودِ الْبُخَارِ مُسِيرًا
دَوْمًا يَحْنُ إِلَى دِيَارِ أَصُولِهِ بِجَدِيدِ قَلْبٍ بِاللَّهْيَبِ تَسْعَرًا
وَيَظُلُّ يَبْكِي وَالدَّمُوعُ تَزِيدُهُ وَجَدًا فَيَجْرِي فِي الْفَضَاءِ تَسْتَرًا

تلقاه حال السير أفعى تَلْتَوِي أو فارس الهيجا أثارَ العِثِيرا
أو أكرة أرسلتها ترمي بها غرضاً فجلت أن ترى حال السرى
أو سبع غاب قد أحس بصائده في غابه فعمدا عليه وزجراً
فكأنه المديون جاء غريمه فأنسل منه وغاب عن تلك القرى
أو أنه شهب هوت من أفقها أو قبة المنطاد تنبذ بالمرأ
لا عجب للنيران إذ يمشي بها فمن اللظى تجري الورى كي تحشرا

وقال أحمد بك شوقي يصف الجسر الواصل بين ضفتي البسفور في الآستانة :

أمير المؤمنين رأيت جسراً أمرٌ على الصراط ولا عليه !
له خشب يحوج السوس فيه وقضي الفأر لا تأوي إليه
ولا يتكلف المنشار فيه سوى مرّ الفطيم بساعديه
ويبلى نعل من يمشي عليه وقبل النعل يدمي أخضيه
وكم قد جاهد الحيوان فيه وخلف في الهزيمة حافريه
وأسمج منه في عيني جُباة تراهم وسطه ويجاذبيه
إذا لاقيت واحدهم تصدّى كعفريت يُشيرُ براحتيه
ويمشي (الصدر) فيه كل يوم بموكبه السني وحارسيه
ولكن لا يمر عليه إلا كما مرّت يداه بعارضيه
ومن عجب هو الجسر المعلي على (البسفور) يجمع شاطئيه
يُفيد حكومة السلطان مالا ويعطيها الغنى من معدنيّه
يجود العالمون عليه ، هذا بعشرته ، وذاك بعشرته
وغاية أمره أنا سمعنا لسان الحال يُنشدنا لديه
(أليس من المعجائب أن مثلي يرى ما قلّ ممثعاً عليه)
(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه)

وقال المأمون المتوفى سنة ٣٨٣ هـ يصف المقرض :

وصاحبين اتفقا على الهوى واعتنقا
وأقسما بالود والإخلاص أن لا يفترقا
ضمهما أزهرا كالنجم به قد وثقا
لم يشك خضريهما مذ ضمناه قلقا
من تحته عينان منذ انفتحاما انطبعا
وفوقه نابان ما حلا فما مذكرا
يفرقان بين كل ما عليه اتفقا
فأي شيء لاقيا هـ ألقياه فرقا

وقال أبو بكر الأرجاني المتوفى سنة ٥٢٤ هـ يصف الشمعة :

تمت بأسرار ليل كان يخفيها وأطلعت قلبها للناس من فيها
غريقة في دموع وهي تحرقها أنفاسها بدوام من تلتطفيها
تنفسست نفس المهجور إذ ذكرت عهد الخليط فبات الوجد يذكيها
يخشي عليها الردى منها ألم بها نسيم ريح إذا وافى يحيتها
قد أثرت ورودة حمراء طالعة تجني على الكف إن أهويت تجنيها
وردت تشاكبه الأيدي إذا قطفت وما على غصنها شوك يوقتها
صفر غلاظتها ، حمر عمامتها ، سود ذوائبها ، بيض لباياها

وصف قصر المنصور :

قال ابن حنيس^٢ الصقلي في صفة قصر شيده المنصور بن أعلى الناس

(١) تجني الاولى بمعنى تمتدي والثانية بمعنى تقطف . (٢) هو عبد الجبار
ابن أبي بكر توفى سنة ٥٢٧ هـ وهو من ابرع الشعراء لم يكن ابرعهم في وصف
البرك والأنهار والقصور والتبائيل فلمد كان إذا وصف شيئا من ذلك جعله كالخسنة
وخياها في المرأة .

ببجاية^١ ، وجعل فيه بركة عليها أشجار من ذهب وفضة ، وعلى حافاتها أسود
تَقْدِرُ بالماء :

أعمر بقصر الملكِ نَاديكَ الذي أضْحَى بِمِجْدِكَ بَيْتَهُ مَعْمُوراً
قصرُ لو انكَ قد كحلتَ بنوره أَعْمَى لِعَادٍ مِنَ الضَّيَاءِ بِصِيرَا
واشتقَّ مِنْ مَعْنَى الْجَنَانِ نَسِيمُهُ فَيَكَادُ 'يُحْدِثُ' بِالْعِظَامِ 'نُشُورَا
أذكرُ تَنَا الْفَرْدُوسَ حِينَ أَرَبْتَنَا عُرفاً رَفَعْتَ بِنَاءَهَا وَقُصُورَا
فَلَكَ مِنْ الْأَفْلَاقِ ، إِلَّا أَنَّهُ حَقَرَ الْبِدُورَ فَأُطْلِعَ « الْمَنْصُورَا »
وَإِذَا الْوَلَائِدُ فَتَحَّتْ أَبْوَابَهُ جَعَلَتْ 'تُرْحَبُ' بِالْعُقَاةِ صَرِيرَا^٢
عَضَّتْ عَلَى حَلَقَاتِهَا ضَرَاغِمَ فَفَعَّرَتْ بِهَا أَفْوَاهَهَا تَكْبِيرَا^٣
فَكَأَنَّهَا كَبَدَتْ لِتَهْصِرَ عِنْدَهَا مِنْ لَمْ يَكُنْ بِدُخُولِهَا مَأْمُورَا^٤
وَمُصْفَحِ الْأَبْوَابِ تَبَرَّأَ نَظَرُورَا بِالنَّقْشِ فَوْقَ شَكْوَلِهِ تَنْظِيرَا^٥
خَلَعَتْ عَلَيْهِ غِلَائِلَ مَوْشِيَّةً شَمْسٌ تَرْدُ الطَّرْفَ عَنْهُ حَسِيرَا^٦
وَإِذَا نَظَرْتَ ، إِلَى غَرَائِبِ سَقْفِهِ أَبْصَرْتَ رَوْضاً فِي السَّمَاءِ نَضِيرَا
وَعَجِبْتَ مِنْ أَطْيَارِ عَسْجَدِهِ حَامَتِ لِتَبْنِي فِي 'ذِرَاهُ' وَكُورَا
وَضَعْتَ بِهِ صُنَاعَهَا أَقْلَامَهَا فَأَرَتَكَ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصْوِيرَا^٧
وَكَأَنَّهَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لَقَّةً مَشَقُّوا بِهَا التَّزْوِيقَ وَالتَّشْجِيرَا^٨

(١) بجاية كحكاية : بلد بالمغرب (٢) العفاة : جمع عاف وهو طالب الحاجة ،
والصرير صوت الباب . (٣) فغرفاه : فتحه (٤) لبدي كنصر : أقام والحصر :
الدفع (٥) نظرم ل ، والشكول : جمع شكل (٦) الغلائل : جمع غلالة وهي
شبه القميص يلبس على الجسد والمراد هنا الطلاء ، والموشية المنقوشة . (٧) الطريدة :
ما يطارده الصياد ويتبعه . (٨) اللقمة ما يكون في الدواة لاصقاً بصوفه أو نحوها والفعل
منها كباع ، ومشق الكتابة مدحرفها ، والتشجير : أن تشكل على هيئة الشجر .

وضراغم سكنت عرين رياسة تركت خريـر الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسمها وأذاب في أفواها البلورا
أسد كان سكونها متحرك في النفس لو وجدته هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما أقسمت على أدبارها لتثورا^١
وتخالها والشمس تجلو لونها نارا، وألستها اللواحس نورا
فكأنما سلمت سيوف جداول ذابت بلا نار فعمدن غديرا
وكانها نسج النسيم لما فيه درعا، فقدّر سردها تقديرا^٢
وبديعة الثمرات تعبده نحوها هيناى بحر عجائب مسحورا^٣
شجيرة، ذهبية، نزعته إلى سحر يؤثر في النهى تأثيرا^٤
قد سرّجت أغصانها فكأنما قبضت بهن من الفضاء طورا^٥
وكانما تأبى لوقع طيرها أن تستقل بنهضها وتطيرا^٦
من كل واقعة ترى منقارها ماء كسلسال اللجين نيرا^٧
خروص تعد من الفصاح فإن شدت جعلت تغرد بالمياه صفيرا^٨
وكانما في كل غصن فضة لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحكت محاسنه إليك كأنما جعلت لها زهر النجوم نفورا

- (١) أقمى الكلب والسبع : جلس على مؤخره ناصبا يديه . (٢) السرد : نسج الدرع وتقديره : أن تكون ثقوب الدرع مساميرها . (٣) المسحور : المملوء . (٤) نزع إليه أشبهه ، يقال : فلان ينزع إلى أبيه أو ينزع أباه أي يشبهه . (٥) سرجه : حسنه وزينه . (٦) الوقع كركع : جمع واقع . (٧) السلسلة : اتصال الشيء بالشيء ، ومن ذلك الماء السلسال أي السهل الجريان واللجين الفضة ، والنمير : الناجع من الماء . (٨) شدا : ترنم .

وصف زلزال صقلية

قال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف زلزال صقلية في سنة ١٩٠٩ م :
 نبشاني إن كنتما تعلمان مادامي الكون أيها الفرقدان^١
 غضيب الله أم تمردت الأر ض فأنحت على بني الإنسان^٢
 ليس هذا « سبحان ربّي » ولا ذا ك ولكن طبيعة الأكوان
 غليان في الأرض نفّس عنه ثوران في البحر والبركان^٣
 ربّ أين المفر والبحر والبر على الكيد للورى عاملان
 كنت أخشى البحار والموت فيها راصد غفلة من الربان^٤
 سابح تحتنا مظل علينا حائم حولنا مناء مداني^٥
 فإذا الأرض والبحار سواء في خلاق ، كلاما غادران^٦
 ما (لمسين) عوجلت في صباها ودعاها من الردى داعيان^٧
 ونحتت بلكم المحاسن منها حين تمت آياتها آيتان
 خُسِفَت ثم أغرقت ثم بادت قضي الأمر كله في ثواني
 وأتى أمرها فأضحت كأن لم تلك بالأمس زينة البلدان
 ليتها أمهلت فتقضي حقوقا من وداع اللدات والجيران^٨
 لحة يسعد الصديقان فيها باجتماع ويلتقي العاشقان

(١) الفرقدان نجمان في السماء لا يغربان وهذا هو السر في قول المعري :

فاسأل الفرقدين عن أحسا من قبيل وأنسا من بلاد

وفي أثره جرى شاعرنا . (٢) أنحى عليه ضربا : أقبل . (٣) نفس عنه : فرج .

(٤) الربان كرماني : رئيس الملاحين . (٥) مناء مدان مباعد مقارب .

(٦) الخلاق : الحظ او الدين وإنما يكون ذلك في الخير ولكن الشاعر توسع

في استعمال الكلمة (٧) مسين : مدينة من مدن صقلية خربها هذا الزلزال وتعرف

عند العرب بمسيني ومن شعر ابن قلاقس « يامن يمسيني على مسيني » وداعيا الردى :

الإغريق والإحراق . (٨) اللدات : جمع لدة وهو التراب أي النظيف في السن .

بفت الأرض والجبال عليها وطفى البحر أيما طغيان
 تلك تغلي حقدًا عليها فتنشقق انشقاقًا من كثرة الغليان
 فتجيب الجبال رجًا وقدفا بشواظ من مارج ودخان^١
 وتسوق البحار ردًا عليها جيش موج نائي الجناحين داني
 فهنا الموت أسود اللون جون وهنا الموت أحمر اللون قاني^٢
 جند الماء والثرى لهلاك السخلق ثم، استعان بالنيران
 ودعا الشحب عاتياً فأمدت به يجيش من الصواعق ثاني^٣
 فاستحال النجم واستحكم اليأس وخارت عزائم الشجعان
 وشفى الموت غلة من نفوس لا تباليه في مجال الطعام
 أين (رجيو) وأين ما كان فيها من مغان مأهولة وغواني^٤
 عوجلت مثل أختها ودهاها ما دهاها من ذلك الثوران
 رُبّ طفل قد ساخ في باطن الأر ض ينادي أمي أبي! أدركاني^٥
 وفتاة هيفاء تشوى على الجمر تعاني من حره ما تعاني
 وأبّ ذاهل إلى النار يمشي مستميتاً تمتد منه اليدان
 باحثاً عن بناته وبنيه مسرع الخطو مستطير الجنان^٦
 تأكل النار منه لا هو ناج من لظاها ولا اللظى عنه واني^٧
 غصت الأرض، أنخم البحر مما طواه من هذه الأبدان^٨
 وشكا الحوت للنسور شكا رددتها النسور للحيتان

(١) الشواظ : لهب لادخان فيه، والمارج : النار بلا دخان (٢) الجون الأسود
 فهو تأكيد والقانيء : بالهمزة : الشديدة الحرارة وقد يسهل (٣) العاني المجاوز للحد
 (٤) رجيئو : مدينة بإيطاليا أمام مسيني وتعرف عند العرب بربو ، والمغاني جمع
 مغنى وهو المقام (٥) ساخ في الأرض : دخل فيها وغاب. (٦) المستطير : المتفرق
 المشتت (٧) اللظى اللهب ، وونى تراخى . (٨) غص كفرح اعترض في حلقه
 شيء، والمراد هنا امتلأ وأنخمه الطام، أحدث له تخمة وأصل تائه واو من الوخامة .

أسرفا في الجسوم نقرأ ونهشاً ثم باثاً من كِظَة يشكوان^١
لا رعى الله ساكن القيمم الشم ولا حاط ساكن القيعان^٢
قد أغارا على أكف براها بارى الكائنات للاتقان
كيف لم يرحما أناملها الفُسر ولم يرفقا بملك البنات
كُف نفسي وألف لهف عليها من أكف كانت صناع الزمان^٣
مؤلمات بصيد كل جميل ناصبات حبال الألوام
حافرات في الصخر أو ناقشات شائدات روائع البُنَيان
منطقمات لسان كل جماد مُفجيات سواجع الأفنان^٤
ملهمات من دقة الصنع ما لا يلهم الشعر من دقيق المعاني
من تماثيل كالنجوم الداراري يُهدم الدهر وهي في عُنُفوان
عجب صنْعها وأعجب منه صمْنها ، تلك قدرة الرحمن
إيه (مسنين) آنسي اليوم بُنبا ي فقد أوحشت بذاك المكان
آيسي الدرة التي كانت الحلية في تاج دولة الرومان
غالها قبلك الزمان اغتيالاً وهي تلهو في غبطة وأمان
جاءها الأمر والسراة عكوف في الملاهي على غناء القيان^٥
بين صب مدله وطروب وخليع في اللهو مُرْخى العنان^٦
فانطووا كانطواء أهلك بالأمس وزالت بشاشة العمران
أنت (مسين) لم تزولي كما زلت ولكن أمسيت رهن الأوان

- (١) الكظة : ما يعتري الإنسان من امتلاء الطعام (٢) القيعان : جمع قاع وهو الأرض السهلة المطمئنة انفرجت عنها الجبال ومراد الشاعر بها البحر أو قراره .
(٣) يا لهفي على كذا : عبارة يتحسر بها على فائت وضمير عليها للأكف ومن أكف بيان للضمير وصناع : حاذقة ماهرة في العمل اليدوي . (٤) سواجع الافنان : الحمام يسجع على الفصون . (٥) السراة : الأشراف ، والقيان جمع قينة ، وهي الجارية المغنية
(٦) الخليع : المستهتر بالشراب واللعو .

إن إيطاليا بنوها بُناة^١ فاطمثنى ما دام في الحي^٢ باني
فسلام عليكِ يوم تولي^٣ت بما فيك من مغان حسان
وسلام عليكِ يوم تعودين كما كنتِ جنة الطليان
وقال أبو الطيب المتنبى يصف الأسد :

ورد^٤ إذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنسيلا^٥
متخضب^٦ بدم الفوارس لابس^٧ في غيبه من لبدتيه مغيلا^٨
ما قوبلت عيناه إلا ظننتا تحت الدجى نار الفريق حُلولا^٩
في وحدة الرهبان إلا أنه لا يعرف التحريم والتحليلا^{١٠}
يطأ الثرى مترقفاً من تيهه فكأنه آس يحس^{١١} عيلا^{١٢}
ويرد عفرته إلى يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلا^{١٣}
وتظنه مما يزجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا^{١٤}
قصرت مخافته الخطى فكأنما ركب الكمي جواده مشكولا^{١٥}

وصف شعب بوان^{١٦} :

قال أبو العباس المبرد : كنت مع الحسن بن رجاء بفارس ، فخرجت إلى
شعب بوان ، فنظرت إلى تربة كأنها الكافور ، ورياض كأنها الثوب الموشى
وماء يتحدّر كأنه سلاسل الفضة ، على حصباء كأنها حصى الدر ، فجعلت أطوف
في جنباتها ، فإذا في بعض جُدرانها مكتوب :

- (١) الورد : الجريء والبحيرة : يريد بها بحيرة طهرية .
- (٢) الغيل : الاجرة والشجر الكثير الملتف . ولبدتا الأسد ، مسا على كتفيه
- من الشعر . (٣) الفريق الجماعة ، وحلولا : حال من الفريق .
- (٤) الآسي : الطبيب . (٥) عفرة الأسد : الشعر المتجمع على قفاه .
- (٦) الكمي : الشجاع المستتر في سلاحه والمشكول : المقيد .
- (٧) هو جنان الدنيا الأربع عند أدباء العرب

إذا أشراف المكروب من رأس تلمة على شعب بوان أفاق من الكرب^١
وألهاء مرج^٢ كالحرير لطافة ومطرده يجري من البارد العذب
وطيب رياض في بلاد مريضة وأغصان أشجار جناها على قرب^٣

وفي شعب بوان يقول المتنبى :

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان^٤
طببت فرساننا والخيول حتى خشيت وإن كرم من الحران^٥
عدونا تنفض الأغصان فيها على أعراقها مثل الجمان
فسرت وقد حجب الشمس عني وجئت من الضياء بما كفاني
وألقي الشرق منها في ثيابي دفانيراً تفر من النبات^٦
وأمواء^٧ تصل بها حصاها صليل الحلي في أيدي الغواني
إذا غنى الحمام الورق فيها أجابته أغاني القيات
يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار إلى الطمان!

وقال حافظ بك إبراهيم يصف طيارة :

يجري بساجدة تشق سبيلها شق الإزار
وتكاد تقدح في الأثير فيستحيل إلى شرار^٨
مثل الشهاب انقض في آثار عقرت وطار

- (١) التلمة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها والمراد الأول
(٢) المريضة الخصبية، والميم أصلية يقال : مرعت الأرض وأمرعت (٣) المغاني
جمع مغني اسم مكان من غنى أي أقام . (٤) طباه وأطباء : استهواه واستماله .
(٥) يقول : إن اشتباك الأغصان يجعل ما يسقط من ضوء الشمس دوائر صغيرة
كالدنانير إلا أنها لا يمكن تناولها .
(٦) الشرار والشرر : ما يتطاير من النار واحدها شرارة وشررة .

فإذا علمت فكدهوة المضطرّ تحترق الستار
وإذا هوت فكا هوت أنثى العقاب على الهزار^١

وصف السيف للمرحوم البارودي :

أمضى به الهول مقداماً ويصحبني ماضي الغرار إذا ما استفحل الوهل^٢
يرئ بالهام مرّ البرق في عجل وقت الضراب ولم يعلق به بلل
ترى الرجال وقوفاً بعد فتكته بهم يظنون أحياء وقد قتلوا
كأنه شعلة في الكف قائمة تهفو بها الريح أحياناً وتعتدل
لولا الدماء التي يسقى بها نهلا لكاد من شدة اللاء يشتعل
يفل ما بقيت في الكف قبضته كل الحديد ولم يثار به فكل

وصف الأسطول للأيادي

وقال علي بن محمد الأيادي يصف أسطول الفاطمي المتوفى سنة ٤٣٣ هـ :

أعجب بأسطول الإمام محمد وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الأمواج أحسن منظر تبدو لعين الناظر المستعجب
من كل مشرفة على ما قابلت إشراف صدر الأجل المنتصب^٣
دهاء قد لبست ثياب تصنع تسي العقول على ثياب ترهب^٤
من كل أبيض في الهواء مئثر منها وأسجم في الخليج مغيّب
كملاء في البر يقطع سيرها في البحر أنفاح الرياح الشذب^٥

- (١) العقاب : طائر جارح وجمعه عقبان ، ولفظه مؤنث . والأنثى منه تسمى اللقوة والذكر يسمى القرن وهو ضعيف وإنما القوة للأنثى ، ومن هذا يتبين السر في قول شاعرنا أنثى العقاب . (٢) الغرار : حد السيف ونحوه ، الوهل الفزع (٣) الأجل : الصقر جمعه أجادل ، والمنتصب : المنتصب . (٤) يشير إلى لون السفن الذي هو السواد الشبيه بلباس الرهبان وإلى لون أشرعتها الذي هو البياض . (٥) الشذب : جمع شاذب وهو الذي يطرد ويبعد أي الرياح التي تقذف على وجه الأرض وهذا كناية عن الشدة .

محفوفة بمجاديف مصفوفة في الجانبين دُؤين صُلب صُلب^١
 كقوادم النسر المرفرف عريت من كاسيات رياشه المتهذب^٢
 وتحشها أيدي الرجال إذا وُنت^٣ بمصعد منه بعيد مصوب^٤
 خرقاء تذهب إن يد^٤ لم تهدها في كل أوب^٤ للرياح ومذهب^٤
 جوفاء تحمل كوكبا في جوفها يوم الرهان وتستقل بموكب^٤
 ولها جناح يستعار يطيرها طوع الرياح وراحة المتطرب^٤
 يعلو بها حذب العباب مطارة^٤ في كل لُج^٤ زاخر مغلوب^٤
 تسمو بأجرود في الهواء متوج عريان منسوج الذؤابة شوذب^٤
 يتركب الملاح منه ذبابة لورام يركبها القطا لم يركب^٤
 فكأنما رام استراقه مقعد للسمع إلا أنه لم يشهب^٤
 وكأنما جن ابن داود 'هم' ركبوا جوانبها بأعنف مركب^٤
 سجدوا جواحدها فثقا ذفوا منها بالسن مارج ملتهب^٤
 من كل مسجور الحريق إذا انبرى من سجنه انصلت انصلات الكوكب^٤
 عريان يقدمه الدخان كأنه صبح يكر على الظلام الغيب^٤
 ولواحق مثل الأهلة جنح^٤ لحق المطالب فائتات المهرب^٤
 يذهبن فيا بينهن لطافة ويحشن فعل الطائر المتغلب^٤

(١) الصلب كسكر مبالغة في الصلب (٢) الرياش : اللباس الفاخر والمراد
 هنا ريش الطائر ، والمتهدب . ذو الأهداب ونسر اهدب ، أي سابع الريش
 (٣) صعد الشيء : رفعه ، وصوبه : خفضه . (٤) الأوب الجهة والطريق والمتطرب
 الحادي الذي يتغنى في سوق الإبل والمراد هنا الرهان . (٥) حذب الماء تراكيه في
 جريه والمغلوب : الكثير ، يقال : اغلوب القوم إذا اكثرأوا (٦) الشوذب ،
 الطويل والبيت يصف فيه القرية كهدية وهي العود الطويل الذي يشبه القلع
 (٧) ذبابة السيف ، طرف حده والمراد طرف القرية (٨) سجر : ملأ ، الجاحم :
 الجمر الشديد الاشتعال . (٩) انصلت : مضى وسبق . (١٠) اللحق جمع لاحق ،
 كخادم ، جمع خادم .

كنضاض الحيات رُحْنَ لواعبا حق يقعن ببرك ماء الميزب
 شرجوا جوانبها مجادف أنعبت شادي الرياح لها ولمتا تتعب^١
 تنصاع من كئيب كما نفر القطا طوراً وتجتمع اجتماع الربرب^٢
 والبحر يجمع بينها فكأنه ليل يقرب عقرباً من عقرب
 وعلى جوانبها أسود خلافة تحتال في عُدده السلاح المهرب
 فكأنما البحر استعار بزيتهم ثوب الجمال من الربيع المذهب

وصف القطار الحديدي

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف القطار الحديدي من قصيدة :

صفحة البرق أو مضت في الغمام أم شهاب يشق جوف الظلام
 أم سليل البخار طار إلى القصد فأعيا سوابق الأوهام^٣
 مر كاللح لم تكد تقف العيمن على ظلي جرّمه المترامي^٤
 أو كشرخ الشباب لم بدر كاسيه تولى في يقظة أو منام^٥
 لا يبالي السرى إذا اعتكر الليل وخانت مواقع الأقدام^٦
 يقطع البعيد والفيافي وحيداً لم تضعه وحشة الإظلام^٧
 ليس يشنيه ما يذيب دماغ الضب يوم الهجير بين الموامي^٨
 لا ولا يمتريه ما يخرس النا بح في الزمهرير بين الحيام
 هائماً كالظلم أزعجه الصيد وراعه طائشات السهام^٩

- (١) شرج العيبة، أدخل بعض عراها في وبعض المراد هنا شبكوا في جوانبها المجاذيف والشادي: السائق (٢) انصاع القوم، ذهبوا سراعاً أو انفعلوا والربرب، القطيع من بقر الوحش (٣) السليل: الولد (٤) المترامي: المتتابع (٥) شرخ الشباب أوله (٦) السرى سير عامة الليل واعتكر الليل، اشتد سواده (٧) البعيد: جمع بيداء وهي الصحراء والفيافي جمع فيفاء وهي المفازة لأماء فيها (٨) الموامي جمع مومة وهي الفلاة، والضب حيوان من أخص صفاته احتمال الحر الشديد (٩) الظلم: ذكر النعام.

فهو يشتد في النجاء ويهوي حيث ترمى بجاذبيه المرامي^١
يا حديداً ينساب فوق حديد كأنسياب الرقطاء فوق الرغام^٢
قد مسحت البلاد شرقاً وغرباً بذراعي مُشمر مقدام

وقال حفني بك ناصف المتوفى عام ١٩١٩ يهنىء ويصف حريق عابدين:

وافي يُقبَل راحتك العامُ وحنّت إليك ره وسها الأيام
والدهر أقسم لا ينجيُ بغير ما ترضى وكم برّت له اقسام
فاقبل معاذير الزمان فطالما قبّلت معاذير المنيب كرام
واغفر جنايته على القصر الذي لم تحو مصرُ نظيرهُ والشام
شبّت به النيرانُ فارتاعت لها مشجج الأنام وها لها استعظام
لولا الدخان أحاط حول هليها ما شكّ فردٌ أنها أعلام
أمرٌ به نقد القضاء وليس في أحكامه نقضٌ ولا إبرام
بل حكمةٌ شاء الإله بيانها لمباده لينديع الاستسلام
حقى يروا أن الملوك وإن علوا قد رآ تسيرُ عليهم الأحكام
فإذا اقتدى بهم الرعية أحسنوا صبراً وخفّت عنهم الآلام
عينُ السماء لعابدين تطلعت حسد أعليك والعيون سهام
وتشوق القصرُ الكريم لأهله والشوق في قلب الحب ضرام
لم يستطع صبراً على طول النوى والصبر في شرع الغرام حرام
فتصعدت زفراته وتأججت جمراته والصب كيف يُلام
لولا الدموع من المطافيء ما انقضى منه الهيام ولم يُبلِ إوامُ
خرقت طباق الجو إلا إنها برد قصارى أمرها وسلام

وقال حافظ إبراهيم يصف خزان أسوان ويمدح الحضرة الخديوية :

أخزان مصر أنت أم هـرم مصر أجل وأسمى في المسكنة والقدر
أعدت لنا مجد القرون التي مضت وجددت من عهد الفراغة الغمر
وهيأت ما أهرام مصر وإن سميت بأرفع رأساً من حضيضك لوتدري
وليس سنان بن المشلل خالداً بأنه من (عبّاس) عصرك في الذكر
وما قطرات السحب كالدرتهمي بالطف وقعا من عقيقك إذ يجري
وما أنت خزان المياه وطميها وإبليزها بل خازن الدر والتبر
تدفقت بالخيرات من كل جانب وجمعت أقطار المنافع في قطر
فقل للغواذي والروائح تنجلي وفي غير مصر فلتسبح على قفر
إذا ما جرت أمواها دون حاجة وفاضت جرت منك المياه على قدر
ضربت على آثار مصر ولم يكن ليطمسها لولا جلالك من أثر
ألا فلتسند مصر على كل بقعة به وليطاول قطرها مسقط القطر
بناءً من الدهر استعمار بقاءه وأقسم ألا يسترد من الدهر

الباب الخامس

في الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات

قال النابتة الذبياني الشاعر الجاهلي المتوفى سنة ٩٠٤ م من قصيدة طويلة :
يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد
وقفت فيها أصيلاً لا أسائلها عيت جواباً وما بالربيع من أحد^١

(١) العلياء المكان العالي، والسند محرّكة ما قبلك من الجبل وعلامة السفع،
وأقوت الدار خلت من السكان، والأبد: الزمان الماضي (٣) أصل أصيلاً صيلانا
بالنون تصغير أصلان جمع أصيل وهو العشي أبدلت بالنون لاما، وعيت أي
حصرت وعجزت عن الجواب.

إلا الأواري^١ لأيا ما ابينها والنسوي كالحوض بالمظلومة الجلد^١
رذت عليه أقاصيه ولبدته^٢ ضرب الوليد بالمسحاة في الثأد^٢
خلت سبيل أتي^٣ كان يحده^٣ ورفعته إلى السجفين فالنضد^٣
أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد^٤
وقال أمية بن أبي الصلت الجاهلي يعتب على ابن له^٤ :
غذوتك مولوداً وعلمتك يافعاً^٥ 'تعل بما أدني إليك وتنهل'^٥
إذا ليله تابتك بالشكور لم أبيت^٦ لشكواك إلا ساهراً أتمل^٦
كأني أنا المطروق^٧ دونك بالذي طرقت به دوني ، وعيني تهمل^٧
تخاف الردي نفسي عليك ، وإنها لتعلم أن الموت حستهم مؤجل^٨
فلما بلغت السن والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أو مل^٨

(١) الأواري منصوب على أنه مستثنى منقطع وهو جمع أري بمعنى الآخية والآخرية كأنية الوتد الذي في رأسه حلقة يدق في الحائط أو يدفن في الأرض لتربط فيه الدواب ولأيا ما أرى بعد جهدي ، ما أنظرها ، والنسوي الحفير حول الحباء أو الخيمة يمنع السيل والمظلومة الأرض التي حفر فيها حوض وليست بموضع حفر الحوض فيها من أنها ليست بموضع ظلم لها ، والجلد الأرض الصلبة المستوية المتن .
(٢) ردت بالبناء المجحول ولبدته ألصق بعبه بعضه ببعض ، والمسحاة هي آلة يحرف بها الطين والثأد الطين (٣) الأتي الجدول الذي تؤتبه إلى أرضك والسيل الغريب ويحبسه الضمير فيه يعود إلى النسوي . والسجفين الستارتان اللتان تعلقان على الباب ، أو النافذة . (٤) احتملوا ذهبوا من دار إلى أخرى وأخنى عليها اهلكها يقال إن لقمان بن عاد عاش بمقدار عمر سبعة نصور كلما هلك نسر خلفه نسر آخر وكانت آخرها لبد على ورن صرد . (٥) هو عبدالله بن أبي ربيعة الثقفي نشأ بالطائف جاهلياً يلتمس المعارف الدينية متعبداً راجياً أن يكون نبي العرب ، حتى إذا كانت بعثة النبي ﷺ اكبرها عليه . وفاضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٥٩ هـ (٦) غذاه قام بمؤنته وعاله : كفله وقام به ، واليافع : من قارب العشرين ، تعل : من العمل وهو الشرب الثاني والنهل : الشرب الأول ، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه الكثير والقليل . (٧) أتمل : اتقلب على الملة وهي الجمر (٨) تهمل : أي يسيل منها الدمع .
١٩ ، الردي : الهلاك ، حتم : أي لا مفر منه ، مؤجل : أي له وقت .
(٢٤ جواهر الأدب - ٢)

جعلتَ جزائي منك جنبها وغلظة
فلينك إذ لم ترع حق أبوتي
وسميتني باسم المغنيد رأيته
تراه مُعِداً للخلاف كأنه
وقال المغيرة بن حبياء :

خذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه
فإنك لن تلقى أخاك مُهذَّباً
أخوك الذي لا ينقض النأي عهده
وليس الذي يلقاك في البشر والرضا
ولا تترك في كل الأمور تعاتبه
وأى امرئ ينجو من العيب صاحبه
ولا عند صرف الدهر يزور جانبه
وإن غبت عنه لسعتك عقابه

وقال سعيد بن حميد المتوفى سنة ٨٨٨ هـ :

أقليل عتابك فالبقاء قليل
لم أبك من زمن ذممت صروفه
ولكل نائبة ألت فرجة
والمنتمون إلى الصفاء جماعة
وأجل أسباب المنية والردى
فلئن سبقت لتفجعن بصاحب
ولعل أيام البقاء قليلة
فعلام يكثر عتبنا ويطول؟

وقال شاعر الحجاز الحضرمي معن بن أوس المزني المتوفى سنة ٢٩ هـ :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل
على أينما تعدو المنية أول

(١) الجبه : مقابلة الإنسان بما يكره . (٢) أي ليتك إذ أبيت ان تعاملني
معاملة الأب عاملةني كما يعامل الجار جاره . (٣) فنده نسبة إلى سوء العقل أي
وصمتني بسوء الرأي والغباء ولو عقلت لعلمت أن الفند حقيق بأن ينسب إليك
لا إلي . (٤) معداً : أي محضراً ومهيئاً، أي تهيبه الخلاف ، ويقابل به كل رأي
كأنه كلف ان يفند آراء اهل الصواب .

وإني أخوك الدائم العهد لم أخن
أحارب من حاربت من ذي عداوة
وإني على أشياء منك تربيتني
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
ويركب حد السيف من أن تضيمه
وكننت إذا ما صاحب رام ظنني
قلبت له ظهر الحزن فلم أدُم
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد
إليه بوجه آخر الدهر تقبل
على ذلك إلا ريثما أتحوّل
وإني أخوك الدائم العهد لم أخن
أحارب من حاربت من ذي عداوة
وإني على أشياء منك تربيتني
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
ويركب حد السيف من أن تضيمه
وكننت إذا ما صاحب رام ظنني
قلبت له ظهر الحزن فلم أدُم
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد

وقال بهاء الدين زهير المتوفى سنة ٦٥٦ معتذراً لتأخيره عن لقاء بعض أصحابه :

على الطائر الميمون يا خير قادم
قدّمت بحمد الله أكرم مَقدم
قدوماً به الدنيا أضاءت وأشرقت
فياُحسّن ركب جئت فيه مسلماً
أمولاي ساعني فإنك أهله
وإن لم تساعني فما أنت ظالمي
وأهلاً وسهلاً بالعُلا والمكارم
مدى الدهر يبقى ذكره في المواسم
ببشر وُجوه أو بضوء مباسم
ويا طيباً ما أهدت أيدي الرواسم

وقال محمد بن زريق البغدادي نادماً على الإفراط في طلب الدنيا وكان قصد الأندلس في طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه :

لا تعذليه فإن العذلَ يولعه
جاوَزت في لومه حدّاً أضرب به
فاستعلمي الرفق في تأنيبه بدلاً
قد كان مضلماً بالخطب يحمله
يكفيه من لوعة التفنيد أن له
من النوى كل يوم ما يروعه
من حيث قدرت إن اللوم ينفعه
من عنقه فهم مضنى القلب موجه
فضيقت بخطوب البسين أضلعه

ما آب مغترب إلا وأزعجه رأي إلى سفر بالعزم يجمعه
 كأنما هو من حل ومرتحل موكل بفضاء الأرض يذّره
 إذا الزمان أراه في الرحيل غنى ولو إلى السند أضحي وهو يزعمه
 تأبى المطامع إلا أن تجشّمه للرزق كدّاً ، وممّن يودّعه
 وما مجامدة الإنسان توصله رزقاً ، ولا دعة الإنسان تقطّعه
 والله قسم بين الخلق رزقهم لم يخلق الله مخلوقاً يضيعه
 لكنهم مثلوا حرصاً فلست ترى مسترزقاً ، وسوى الغايات يقنعه
 والسعي في الأرزاق والأرزاق قد قسمت

بغني ، ألا إن بغني المرء يصرّعه
 والدهر يعطي الفقى ما ليس يطلبه يوماً ، ويعنه من حيث يطعمه
 أستودع الله في بغداد لي قرأ بالكربخ من فلك الأرزاق مطلعته
 ودّعته ، وبودي لو يودّعني صفو الحياة وأني لا أودّعه
 وم تشفع أني لا أفارقه وللضرورات حال لا تشفعه
 وم تشبّث بي عند الرحيل ضحى وأدمعي مستهلات وأدمعه
 لا أكذب الله ثوب العذر منخرق عني بفرقة لكن أرقعه
 إني أوسّع عذري في جنائته بالبين عنه ، وقلبي لا يوسعه
 أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
 ومن غداً لا بسا ثوب النعم بلا شكر الإله ، فعنه الله ينزعه
 اعتضت عن وجه خلي بعد فرقة كأساً أجرع منها ما أجرعه
 كم قائل لي ذنب البين قلت له الذنب والله ذنبي لست أدفعه
 هلا أقمت فكان الرشد أجمعه لو أنني يوم بان الرشد أتبعه
 إني لأقطع أيامي وأنفدها بحسرة منه في قلبي تقطعه
 بن إذا هجع النوم بت له بلوعة منه ليلى لست أهجعه

لا يطمئن لجنبي مضجع ، وكذا
ما كنت أحسب أن الدهر يفجعني
حق جرى الدهر فيما بيننا بيد
الله يامنزل القصف الذي درّست
هل الزمان مُعيد فيك لذتنا ؟
في ذمة الله من أصبحت منزله
من عنده لي عهد لا يضيعه
ومن يصدع قلبي ذكره ، وإذا
لأصبرن لدمر لا يمتعني
علماً بأن اصطباري معقب فرجاً
علّ الليالي التي أضنت بفرقتنا
وإن تنل أحداً منا منيته

لا يطمئن له مُدُّ يئس مضجعه
به ، ولا أن بي الأيام تفجعه
عسراء تمنعني حظي وتمنعه
آثاره وعفت مُدُّ غبت أربعة
أم الليالي التي أمضته ترجعه
وجاد غيث على مفذك يرعه
كما له عهد صدق لا أضيعه
جرى على قلبه ذكرى يصدعه
به ، ولا بي في حال يمتعه
وأضيق الأبرار فكرت أوسعهم
جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه
فما الذي بقضاء الله يصنعه

وقال محمد حافظ بك إبراهيم (بين اليقظة والنام) في استعطاف الزمان :

أفترق فدتك مشارق الإصباح
بوركت يا يوم الخلاص ولا وئت
بالله كن يننا وكن بشرى لنا
أقبلت والأيام حولك مُثل
وخرجت من حجب الغيوب محجلاً
لو صح في هذا الوجود تناسخ
ولكنت يوم (اللابرننت) بعينه
يوم يربك جلالة ورواؤه
خلعت عليه الشمس حلة عسجد

وأميط لثامك عن نهار ضاح
عنك السعود بفسدوة ورواح
في ردّ مُترب وفك سراح
صفين تخطرُ خطرة المِتّاح
في كل لحظ منك ألف صباح
لرأيت فيك تناسخ الأرواح
في عزة ، وجلالة ، وسماح
في الحسن قدرة فالق الإصباح
وحباه (آذار) أرق وشاح

اللهُ أَثْبَتَهُ لَنَا فِي لَوْحِهِ أَبَدَ الْأَبِيدِ فَمَالَهُ مِنْ مَاحٍ
 حَبِيدٍ عَنَّا يَا أَزَاهِرُ وَاْمَلْتِي أَرْجَاءَهُ بِأَرْيَحِكَ الْفَيْحِ
 وَانْفَخَهُ عَنَّا يَا رَبِّيعَ بِكُلِّ مَا أَطْلَعْتَ مِنْ رَنْدٍ وَنَوْرٍ أَقْاحٍ
 لِلنَّيْلِ بِحَدِّ فِي الزَّمَانِ مُؤْتِلٍ مِنْ عَهْدِ آمُونِ وَعَهْدِ (فُتَّاحِ)
 فَسَلَّ الْعُصُورَ بِهِ وَسَلَّ آثَارَهُ فِي مِصْرَ كَمْ شَهِدْتَ مِنَ السَّيَّاحِ
 قَدْ قَالَ (عَمْرُو) فِي ثَرَاهَا آيَةٌ مَأْنُورَةٌ نَقَشَتْ عَلَى الْأَلْوَحِ
 بَيْنَنَا نِزَاهَ لَأَلْنَا وَكَأَنَّمَا نَثَرَتْ بِتَرْبَتِهِ عَقُودُ مِلَاحٍ
 وَإِذَا بِهِ لِلنَّاظِرِينَ زَمْرُهُ يَشْفِيكَ أَخْضَرُهُ مِنْ الْأَتْرَاحِ
 وَإِذَا بِهِ مِسْكٌ تَشْقُ سَوَادَهُ شَقَّ الْأَدِيمَ مَحَارِثُ الْفَلَاحِ
 قُمْ يَا ابْنَ مِصْرَ فَأَنْتَ حَرٌّ وَاسْتَعْدُ بِحَدِّ الْجُدُودِ وَلَا تَعْدُ لِمَزَاحِ
 شَمْرٍ وَكَانُفٍ فِي الْحَيَاةِ فَهَذِهِ دُنْيَاكَ دَارُ تَنَاحُرٍ وَكَفَاحِ
 وَانْهَلِ مَعَ النَّهَالِ مِنْ عَذَابِ الْحَيَاةِ فَإِذَا رَقَا فَاْمْتَحِ مَعَ الْمَتَّاحِ
 وَإِذَا أَلْجَ عَلَيْكَ خُطْبُ لَا تَهْنُ وَاضْرِبْ عَلَى الْإِلْهَاحِ بِالْإِلْهَاحِ
 وَخُضْ الْحَيَاةَ وَإِنْ تَلَاظَمَ مَوْجُهَا خَوْضُ الْبَحَارِ رِيَاضَةُ السَّبَاحِ
 وَاجْعَلْ عِيَانَكَ قَبْلَ خُطُوكِ رَائِدًا لَا تَحْسِبَنَّ الْعَمْرَ كَالضَّحَضَاحِ
 وَإِذَا احْتَوَتْكَ مَحَلَّةٌ وَتَنَكَّرَتْ لَكَ فَاغْدُهَا وَانْزَحْ مَعَ النَّزَاحِ
 فِي الْبَحْرِ لَا تَثْنِيكَ نَارُ بُوَارِجٍ فِي الْبَرِّ لَا يُلَوِيكَ غَابُ رِمَاحِ
 وَانْظُرْ إِلَى الْغَرْبِيِّ كَيْفَ سَمِتَ بِهِ بَيْنَ الشُّعُوبِ طَبِيعَةُ الْكَدَّاحِ
 وَاللَّهُ مَا بَلَغْتَ بَنُو الْغَرْبِ الْمُنَى إِلَّا بَنِيَاتُ هُنَاكَ صَحَّاحِ
 رَكِبُوا انْتِبَحَارَ وَقَدْ تَجَمَّدَ مَائُهَا وَالْجَوُّ بَيْنَ تَنَاسُوحِ الْأَرْوَاحِ
 وَالْبَرِّ مِصْصُورُ الْخَصَى مُتَأَجِّجًا يَرْمِي بِنَزَّاعِ الشَّوَى لَوَّاحِ
 يُلْقِي فِتْنَتَهُمُ الزَّمَانُ يَهْمَةً تَعْجَبُ ، وَوَجْهٌ فِي الْخَطُوبِ وَقَاحِ

ويشق أجواز القفار مغامراً وعُرُ الطريق لديه كالصحاح
 وابن الكنانة في الكنانة راكداً يرتنو بعين غير ذات طماح
 لا يستفلّ، كما علمت، ذكاه وذكاؤه كالحافظ للملاح
 أمسى كماء النهر ضاع فراقه في البحر بين أجاجه المنداح
 فانهض رددع شكوى الزمان ولا تنح في فساد البؤسى مع الأنواح
 واربع لمصر برأس مالك عزّة إن الذكاه حُبالة الأرباح
 وإذا رُزقت رئاسة فانسج لها بردين من حزم ومن إسجاح
 واشرب من الماء القراح منعماً فلكم وردت الماء غير قراح

الباب السادس

في التهاني والتهادي والإغراء

قال أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٤٥ هـ :
 المجد عوفي إذ عوفيت والكرمُ وزالَ عنك إلى أعدائك الألمُ
 صحت بصحتك الغارات وابتهجت بها المكارم وانهلت بها الديمُ
 وراجعَ الشمس نورُ كان فارقها كأنما فقدته في جسمها سقمُ
 ولاحَ برقك لي من عارضي ملك ما يسقط الفيث إلا حين يبتسمُ
 يسمى الحسام) وليست ذي مُشابهة وكيف يشبه الخدوم والخدمُ
 تفرد العرب في الدنيا بمحتده وشارك العرب في إحسانه المعجمُ
 وأخلص الله للإسلام نصرته وإن تقلب في آلائه الأممُ
 وما أخصك في بره بتهنئة إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال الوزير صاحب إسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ :

هذي المكارمُ والعلياء تفتخر بيوم مأثرة ساعاته غرر

يوم تبسمَ عنه الدهرُ واجتمعت له السعود وأغضت دونه الغيرُ
 حتى كأننا نرى في كل ملتفت رَوْضاً تفتحَ في أثنائه الزَّهرُ
 لما تجلَى عن الآمالِ مُشرقة قالَ العلي بك أَسْتَمَلي وأَقْتَدِرُ
 وافي على غير ميعاد يبشرنا بأن سَتبَعهُ أمثاله الآخرُ
 أهني المِسرَّاتِ ما جاءت مفاجأة وما تناجي بها الألفاظ والفكرُ
 لو أن بشرى تلقتها بموردها لأقبلت نحوها الأرواحُ تبتدِرُ
 وما تعنف من يسخو بمهجته فإن يومك هذا وحدهُ عمرُ
 فما غدوت وما للعين مُنقلبُ إلا إلى منظر يبهى ويحتبرُ
 ننت مهابتك الأبصارَ حاسرة حتى تبينَ في الحاظها خزرُ^١
 إذا تأملتهم غضوا ، وإن نظروا خلال ذلك فأدنى لفته نظروا
 في ملبس ما رأته عين مُعترض فشك في أنه أخلاقك الزهر
 ألبسته منك نوراً يستضاء به كما أضاء ضواحي مُزنة القمرُ^٢
 وقد تقلدت عضباً أنت مضر به وعنك يأخذ ما يأتي وما يذرُ
 ما زال يزداد من إشراق غرته زهراً ويشرق فيه التيه والأشمرُ^٣
 والشمس تحسد طرفاً أنت راكبه حتى تكاد من الأفلاك تنحدر
 حتى لقد خلت أن الشمس ازعجها شوقاً وقد ظلت على عطفيه تذشر

وقال أبو أذينة يغري الأسود بن المنذر بقتل آل غسان وكانوا قتلوا أخاه :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبها ولا يسوغه المقدار ما وهبا
 وأحزَمُ الناس من إن فرصة عرضت لم يجعل السببَ الموصول منقضباً
 وأنصف الناس في كل المواطن من سقى المعادين بالنكاس الذي شربا

(١) الخزر : ضيق العين وصغرها (٢) المزن : السحاب الأبيض ويقال للهِلال
 ابن مزنة وهي القطعة من المزن لخروجه منها (٣) الأشرب تفتح الشين المرح والاختيال .

وليس يَظلمهم من راح يَضربهم
والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة
قلتَ عمراً وتستبقي يزيدَ لقد
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزراً
إن تعف عنهم يقول الناس كلهم
هم أهيلة غسان ومجدهم
وعرضوا بفداء واصفين لنا
أجلبون دماً منّا ونخلبهم

بجد سيف به من قبلهم ضرباً
من قال غير الذي قد قلته كذباً
رأيت رأياً يحرق الويل والحرباً
إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنباً
وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطباً
لم يعف حاملاً ولكن عفوه رهبا
عال فإن حاولوا ملكتك فلا عجباً
خيلاً وإبلاً تفوق العجم والعرباً
رسلاً لقد شرفونا في الورى حلباً

وقال صفى الدين الحلي يحرض السلطان الصالح على الاحتراز من المغول :

لا يمتطي الجعد من لم يركب الخطرا
ومن أراد العلاء عفواً بلا تعب
لا بد للشهيد من نخل يمنعه
لا يبلغ السؤل إلا بعمد مؤلدة
وأحزم الناس من لو مات من ظمأ
وأغزر الناس عقلاً من إذا نظرت
فقد يقال عثار الرجل إن عثرت
من دبر العيش بالآراء دام له
يهون بالرأي ما يحري القضاء به
من فاتته العز بالأقلام أدركه
لا يحسن الحلم إلا في موطنه
ولا ينال العلاء إلا في شرفه

ولا ينال العلاء من قدم الحذرا
قضى ولم يقض من إدراكها وطرا
لا يجتني النفع من لم يحمل الضررا
ولا يتم المنى إلا لمن صبرا
لا يقرب الورود حتى يعرف الصدر
عيناه بالأمر غداً بالغير معتبرا
ولا يقال عثار الرأي إن عثرا
صفوا وجاء إليه الخطب معتبرا
من أخطأ الرأي لا يستندب القدر
بالببيض يقصد من أطرافها الشررا
ولا يليق الوفا إلا لمن شكرا
خلاله فأطاع الدهر ما أمرا

كالصالح الملك المرحوب سطوته فلو توعد قلب الدهر لانفطرا
 لما رأى الشر قد أبدى نواجذه والغدر عن ثابه للحرب قد كشرا
 رأى القسي إناثاً عن حقيقتها فعافها واستشار الصارم الذكرا
 فجرد العزم من قبل الصفاح لها ملك عن البيض يستغني بما شهرا
 يكاد يقرأ من عنوانات همته ما في صحائف ظهر الغيب قد سطرا
 كالبحر والدهر في يومي ندتي وردى
 والليث والغيث في يومي غي وغري
 ما جاد للناس إلا قبل ما سألوا
 ولا عفا قط إلا بتعد ما قدرا
 لا مود في بذله الأموال قلت لهم
 هل تقدر السحب ألا ترسل المطرا

وقال السيد احمد الهاشمي مؤلف هذا الكتاب مهنئاً المرحوم علي يوسف بك
 صاحب جريدة المؤيد سنة ١٣٢٠ هـ بأوبته من اوربا :

(عليه) القدر ذو الشرف المؤيد شديد العزم (يوسف) قد تفرّد
 وحيد الفضل والعلواء تشهد رفيع المجد في عز وسؤدد
 شريف النفس محمود السجايا عريق الأصل في المعروف أوحّد
 'همام' ما له أبداً مثيل بليغ النطق في الكتّاب مفرد
 'حبيب' العدل مشكور المساعي عليم بالسياسة ، بل (مؤيد)
 قوي البأس بسام الثنايا سعيد الجد ذو قدير 'مجدد'
 فمن يك راقياً شرف المعالي كمثلك في الورى لا شك 'محمد'
 وكيف وأنت أعظم من تصدى لتأييد الصحافة (بالمؤيد)
 وكيف وأنت أفوق كل راءٍ بيسهم للكتابة قد تجرّد

وليس الشمس تخفى عن عيون وإنَّ البدرَ بالأنوارِ زاهٍ
وسوى أن كان صاحبهنَّ أرمَدَ ويأبى الله إلا أنْ تؤيِّدَ
فسيبجان الذي أسرى (عليّاً) تهنيك المناصب كلَّ وقتٍ
وتخدمك السعادةُ ما تجددَ وحِصننا للعالي قد تشيّدَ
فدُم يا سيّدي بدرأ منيراً وهالك من المحبِّ قصيدشِعْرٍ
تفاخرُ مصر أهلَ الشرق فيها تقول الهاشميُّ شدا وأنشدَ

وقال محمد حافظ بك إبراهيم مهنئاً أبناء وطنه بالعام الهجري :

أهلاً بنا بغيرِ البلادِ ومرحباً جدّتمُ العهد الذي قد أُخلِّقا
لا تياسوا أن تستردّوا مجنّكم فلربّ مغلوب هوى ثم ارتقى
مدّت له الآمالُ في أفلاكها خيط الرّجاء إلى العلّا فتسلقا
فتعجّموا للمجد كلَّ عظمة إني رأيتُ المجد صعباً المرتقى
من رام وصل الشمس حاك خيوطها سبباً إلى آماله وتعلقا
عارُ على ابن النيل سباق الورى مهما تقلّبَ دهره أن يُسبقا
أو كما قالوا : تجمعُ شمله ، لعبِ الخلافِ يحدّنا فتفرقا
فتدفعوا حججاً وخوضوا نيلكم فلم أفاض عليكم وتدفقا
حملوا علينا بالزّمان وصرفه افتأنقوا في سلبنا وتأنقا
فتعلّموا فالعلم مفتاح الملّا لم يُبقِ باباً للسعادة مُغلّقا
ثم استمدّوا منه كلَّ قواكم إنّ القويّ بكلّ أرضٍ مُنتقى
وابنوا حوالى حوضكم من يقظة سوراً وخطوا من حذارٍ خندقا

وزنوا الكلام وسدّوه فأنهم خباؤا لكم في كل حرفٍ مزلقا
وامشوا على حذر فإن طريقكم وعروا أطاف به الهلاك وحلقا
نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا
للسالكين بكل فجٍّ موبقا
الموتُ في غشيانه وطروقه والموتُ كل الموت ألا يُطرقا
فتحيثوا، فرصُ الحياة كثيرةٌ وتعجلوها بالعزائم والرثى
أو فاخلقوها قادرين فلنما فرصُ الحياة خليقةٌ أن تخلقا

الباب السابع

في المراثي

قال المهلهل التغلبي يرثي أخاه كليباً وهو جاهلي توفي سنة ٥٣١ م :

أهاج قذاء عيني الأذى كار ؟ هُدوءاً فاللتموع لها انهارُ
وصار الليل مُشتميلاً علينا كأن الليل ليس له نهار
وبتُ أراقبُ الجوزاء حتى تقارب من أوائلها انحدار
أصرفُ مُقلتي في إثر قومٍ تباينت البلادُ بهم فغاروا
وأبكي والنجومُ مُطلّعاتُ كأن لم تحوها عني البحار
على من لو نُعبت وكان حياً لقاد الخيل يحجبها الغبار
دعوتك يا كليبُ فلم تجبني وكيف يجيبني البلدُ القفار ؟
أجبني يا كليب خلاك ذمٌ لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيثُ إنك كنت غيثاً وبُسرأ حين يلتبسُ اليسار
أبت عيناى بعدك ان تكفا كان غضا القتاد لها شِفار
ولأنك كنت تحلُسُ عن رجال وتعفو عنهم ولك اقتدار

وعنقُ أن يسهّمُ لسان مخافة من 'يجير ولا 'يجار
وكنّت أعدّ قرّبي منك رجحاً إذا ما عدّت الريح التّجار
فلا تبهّد فكلّ سوف يلقى شعوباً يستدير بها المدار
يعيش المرء عند بني أبيه ويوشك أن يصير بحيث صاروا
أرى طول الحياة وقد تولى كما قد يُسلبُ الشيء المعمار
كأنّني إذ نعى الناعي كليلاً تطاير بين جنسيّ الشرار
فدّرت وقد غشي بصري عليه كما دارتْ بِبشارها العُقار
سألتُ 'الحَيّ: أين دَفنتموه؟ فقالوا لي: بأقصى الحي دار
فسرت إليه من بلدي حيثما وطار النوم وامتنع الفرار
وحادت ناقتي عن ظل قبر كوى فيه المكارمُ والفَخار
أتعدو يا كليب معي إذا ما جَبّان القوم أنجاء الفرار؟
خذ العهد الأكيد عليّ عمري بتركي كل ما حوت الديار
ولست بخال دِرْعي وسيفي إلى أن يخلع الليلَ النهار

وقال صفى الدين الحلي المتوفى سنة ٥٠٠ هـ يرثي غريقاً:

أصفيحُ ماءٍ أم أديم سماء فيه تغور كواكب الجوزاء
ما كنت أعلم قبل موتك موقنا أن البدور 'غروبها في الماء
ولقد عجبت وقد هويت بلجةً فجري على رسلٍ بغير حياء
لولم يُشقْ لك العباب وطالما أشبهت موسى باليد البضاء
أنفَ العلاء عليك من لثرى وحُلُولُ باطن حُفرة ظماء
وأجلّ جسمك أن يغير لطفه عفن الثرى وتكاثف الأرجاء

فأحله جدثاً طهوراً مُشَبَّهاً أخلاقه في رقة وصفاء
 ما ذاك بيدُ عا أن يضمّ صفاءه نوراً يَضُنُّ به على الغبراء
 فالبجرُ أولى في القياس من الثرى
 يحوار تلك الدرّة الغبراء

وقال أيضاً يرثي الملك ناصر الدين عمر :

بكى عليك الحُسامُ والقلمُ وانفجع العلمُ فيك والمَلَمُ
 وضجت الأرضُ، فالعبادُ بها لاطِمةً والبلادُ تلتطمُ
 'نظهرُ' أحزانتها على مَلِكٍ جل ملوك الورى له خدم
 أبلجُ، غصّ الشبابُ مقتبل العُمرُ، ولكن مجده هُرم
 محكمٌ في الورى وآمله يحكم في الورى ويحكم
 يجتمعُ الجُددُ والثناء له وماله في الوفود يُقتسم
 قد سَيِّمَتْ جوده الأنامُ، ولا يلقاه من بذله الندى سَام
 ما عُرِفَتْ منه ولا ولا «نعم» بل دونهنّ الآلاءُ والنعَمُ
 الواهبُ الألف وهو مبتسمُ، والقاتل الألف وهو مقتحمُ
 مبتسمُ والكُماة عابسة وعابسُ والسيوفُ تبتسمُ
 لم يعلم العالَمون ما فقدوا منه، ولا الأقربون ما عَدَمُوا
 ما فقدُ فرد من الأيام كمن إن مات ماتت لفقده أُممُ
 ياطالبُ الجود قد قضي عُمرُ، فكل جود وجوده عدمُ
 فالناسُ كالعينِ إن نقدتهم تفاوتت عند نقدك القيمُ
 مضى الذي كان للأنام أبا فاليوم كل الأنام قد يَتِمُوا
 وحلّ داراً ضاقت بساكنها ودوت أدنى دياره إرم

وقال أبو الحسن التهامي يرثي صغيراً له ، ويفتخر بفضله ، ويشكو زمانه وحاسديه :

حُكْمُ المنية في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار
بينما يُرى الإنسان فيها مخبراً حتى يُرى خيراً من الأخبار
طُبعت على كدر وأنت تريدُها صفواً من الأقدار والأكدار
ومكلف الأيام ضدَّ طباعها متطلبٌ في الماء جذوة تار
وإذا رجوت المستحيل فإِنما تبني الرجاء على شفير هار
فالعيشُ نومٌ والمنية يقظة والمرء بينها خيالٌ سار
فاقضوا ما رُبكم عجالاً إِنما أعماركم سفرٌ من الأسفار
وتراكموا خيل الشباب وبادروا أن تستردَّ فإنهنَّ عوار
فالدهرُ يخدع بالمنى ويفص إن هنّا ويهدم ما بُني بيهوار
ليس الزمان وإن حرصت مسالماً خلق الزمان عداوةُ الأحرار
إني وترتُ بصارم ذي روثٍ أعدته لطلابة الأوتار
والنفس إن رضيت بذلك أو أبت مُنقادةً بأزمة المقدار
أثني عليه بإثره ولو أنه لم يقتبط أثنتُ بالآثار
يا كوكباً ، ما كان أقصر عمره وكذلك عمر كواكب الأسحار
وهلال أيامٍ مضى لم يُستدر بدرأ ولم يمهل لوقت سرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه فحاه قبل مظنة الإبدار
واستلَّ من أترابه ولداته كالمُقطعة استلت من الأسفار
فكان قلبي قبره وكأنه في طيته سرٌّ من الأسرار
إن يُعتَبَط صغيراً فربَّ مقمِّم يَبدو ضئيل الشخص للنشطار
إن الكواكب في علوِّ عملها لتُرى صِغاراً وهي غير صغار

ولدتُ المعزّي بعرضه فإذا مضى بعضُ الفقى فالكل في الآثار
أبكيه ثم أقولُ معتذراً له وفقت حين تركت الأمّ دار
جاورتُ أعدائي وجاور ربّه شتّان بين جواره وجواري
ثوبُ الرّياء يشف عما تحته وإذا التّحفّت به فإنك عار
قصرت جفوني أمّ تبعاء دينها أم صوّرت عيني بلا أشفار
جفت الكرى حتى كأن غيراره

عند اغتمّض العين وخز غرار
ولو استازرت رقدةً لطحاها
أحسبي الليالي التّسمّ وهي تميّتي
حق رأيت الصبح تهتك كفه
والصبح قد غمر النجوم كأنه
والهون في ظلّ الهويّنا كأمين
تسدى أسيرة وجهه ويمينه
ويعدّ نحو المكرّمات أناملا
يحوي المعالي كاسباً أو غالباً
قد لاح في ليل الشباب كواكب
وتلهّب الأحشاء شيب مفرقي
شاب القذال وكل غصن صائر
والشبهه منجذب فلم يبيض الدمى
وتودّ لو جعلت سواد قلوبها
وسواد أعينها خضاب عذار
لا تنفّر الطّيبات عنه فقد رأت

كيف اختلاف النبت في الأطوار
شيثان ينقشعان أول وهلة ظلّ الشباب ، وخلة الأشرار

لا حَبْنَدَا الشَّيْبُ الْوَفَى وَحَبْنَدَا ظِلُّ الشَّبَابِ الْخَائِنُ الْغَدَارُ
وطري من الدنيا الشَّبَابُ وروقه فإذا انقضى فقد انقضت أوطاري
قَصُرَتْ مسافته وما حسناته عندي ولا آلاؤه بقِصار
نزداد ممتًا كلما ازددنا غنى والفقر كلُّ الفقر في الإكثار
ما زاد فوق الزَّاد خُلِّف ضائعًا في حادث أو وارث أو عار
إني لأرحمُ حاسيدي لحسرت ما ضمنتُ صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فتَبَيُّوْهُمْ في جنة وقلوبهم في نار
لا ذنبَ لي قد رُمْتُ كتم فضائي فكأنما برقعت وجهَ نهار
وسترتها بتواضعي فتطلعت أعناقها تعلو على الأستار
ومن الرجالِ معالمٌ ومجاهيل ومن النجومِ غوامضٌ ودراري
والناس مُشْتَبِهُونَ في إيرادهم وتفاضلُ الأقوام في الإصدار
عمري لقد أوطأتهم طُرُقُ العُلا فعموا فلم يقفوا على آثارِي
لو أبصروا بقلوبهم لاستبصروا وعمى البصائر من عمى الأبصار
هلا سَعَوْا سَعَى الْكِرَامِ فَأَدْرَكُوا أو سَلَمُوا لِمَوَاقِعِ الْأَقْدَارِ
ولربما اعتضدَ الحليمُ بجاهل لا خير في يُمنى بغير يسار

وقال أبو البقاء صالح بن شريف الرندي ، المتوفى سنة ٧٩٨ هـ يرثي الأندلس :

لكلُّ شيءٍ إذا ما تم نقصانُ فلا يُغَرُّ بِطَيْبِ الْعِيشِ إِنْسَانُ
هي الأمورُ كما شاهدها دُؤْلُ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حالٍ لها شَانُ
يُمزَّقُ الدهرُ حتماً كلَّ سَابِغَةٍ إذا نبت مشرَفِيَّاتٌ وخُرُصَانُ
وينتضي كلُّ سيفٍ للفناء ولو كان ابنَ ذِي يَزَنٍ وَالْغَمْدَ غَمْدَانُ

أين الملوك ذَوُو التيجان من أين وأين منهم أكاليلٌ وتيجان ؟
 وأين ما شاده شدادٌ في إرمٍ وأين ما ساسه في الفرس ساسان ؟
 وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عادٌ وشَدَّادٌ وقَسَّحَطَان ؟
 أتى على الكلُّ أمرٌ لا مَرَدَ له حتى قَضَوْا فكأنَّ القوم ما كانوا
 وصار ما كان من مُلُكٍ ومن مَلِكٍ كما حكى عن خيال الطيفِ وسَنان
 دارَ الزَّمانِ على دَدارٍ وقَاتِلِهِ وأمَّ كِسرى فما آواه إيوان
 كأنما الصَّعْبُ لم يَسْهَلْ له سببٌ يوماً ولا ملكٌ الدُّنيا سليمان
 فجائعُ الدهرِ أنواعٌ مُنَوَّعةٌ وللحوادثِ سُلُوان يُسَهِّلُها
 دهمى الجزيرة أمرٌ لا عِزاءَ له وما لما حلَّ بالإسلام سُلُوان
 أصابها العين في الإسلام فارتأت حتى خَلَّتْ منه أقطارُ وبُلدان
 فاسأل (بَلَسَنَسِيَّةً) ما شأن (مُرْسِيَّةً)

وأين (شاطِبَةٌ) أم أين (جَيَّانُ)
 وأين (قُرْطُبَةٌ) دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شان ؟
 وأين (حِمْنٌ) وما تحويه من نَزَهٍ ونَهْرُها العَدْبُ فياضٌ ومَلَّان
 قواعدٌ كُنَّ أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تَبْقَ أركان
 تبكي الحنيفة البيضاء من أسفٍ كما بكى لفراق الإلفِ هيمان
 على ديار من الإسلام خالية قد أفقرتْ ولها بالكفر عمران
 حيث المساجد قد صارت كنائس ما فیهن إلا نواقيسٌ وصلبان
 حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المناير ترثي وهي عيدان
 يا غافلاً وله في الدهر موعظةٌ إن كنت في سِنَةِ فالدهرُ يَقْظان
 وماشيئاً مَرِحاً يُلْهِمُهُ موطنُهُ
 أبعدَ حِمْنٍ تَغُورُ المرءَ أوْطان ؟

تلك المصيبة أنست ما تقدمها وما لها من طوال الدهر نسيان
 يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان
 وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام النقع نيران
 وراتعين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عز وسلطان
 اعندكم نبأ من اهل اندلس فقد سرى بحديث القوم ركبان ؟
 كم يستقيث بنا المستضعفون وهم قتلى وأسرى فما يهتز إنسان ؟
 ماذا التقاطع في الإسلام بينكم وأنتم يا عباد الله إخوان ؟
 ألا نفوس أبثت لها همم أما على الخير أنصار وأعوان ؟
 يا من لذات قوم بعد عزهم أحال حالهم جور وطغيان
 بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
 لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

وقال أبو الطيب المتنبي يرثي أبا شجاع فاتكا :

الحزن يُقلق والتجمل يُردع والدمع بينهما عصي طبع
 يتنازعان دموع عين مُسهَد هذا يحى بها وهذا يرجع
 النوم بعد أبي شجاع نافر والليل مُعني والكواكب طلوع
 لاني لأجبن من فراق أحبي وتحس نفسي بالحمام فاشجع
 ويزيدني غضب الأعادي قسوة ويلم بي عتب الصديق فأجزع
 تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع
 ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب الحال فتطمع
 أين الذي الهرمان من بُنيانه ما قومته، ما يومته، ما المصرع ؟
 تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويُذكر كها الفناء فتنبع

وقال عبد المجيد بن عبدون الفهري المتوفى سنة ٥١٠هـ راثياً ملوك بني الألفطس
من قصيدة طويلة ممتعة في التاريخ والأدب ، ومطلعها :

الدهر يفجعُ بعد العين بالآثر فما البكاءُ على الأشباح والصور
أُنْهَكَ أُنْهَكَ لا أُنْهَكَ واحدة عن نومة بين قاب الليث والظفر
فالدهر حربٌ وإن أبدى مُسالمَةً

فالبيضُ والسمرُ مثلُ البيضِ والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا يفرنك من دُنْيَاكَ نومتها فما صناعة عينها سوى السهر
فبالليالي وقاك الله عثرتها من الليالي وغالتها يد الغير
في كل حين لها في كل جارحة مناجراح وإن زاغت عن البصر
نسر بالشيء لكن كي تغرّ به كالآيم ثار إلى الجاني من الزهر
كم دولة ولّيت بالنصر خدمتها لم تبق منها وسل دُنْيَاكَ عن خبر

وقال أبو ذؤيب يرثي أولاده :

أمن المنون وريبها تتوجعُ والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة ما لجلسك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفعُ
ولقد حرصتُ بأن أدافع عنهم وإذا المنية أقبلت لا تدفعُ
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل قيمة لا تنفعُ
فالعين بعمهم كأن جفونها كحلت بشوك فهي عورٌ تدمعُ
وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضععُ
حقى كأي للحوادث مروءة نصف المشقر كل يوم تقرعُ
لا بد من تلف مقم فانتظر أبارض قومك أم بأخرى المضجعُ
ولقد أرى أن البكاء سفاهة ولسوف يولع بالبكا من يفجعُ

ولياتين عليك يوماً مَرّةً يبكي عليك معنفاً لا تسمع
فلئن بهم فَجَّعَ الزمان وريبه إني بأهلِ مودّتي لمفجع
والنفس راغبة إذا رغبتُها وإذا تُردُّ إلى قليل تقنع

وقال أبو الحسن الأنباري ، المتوفى سنة ٢٣٨ هـ يرثي أبا طاهر بن بقية
وزير عز الدولة لما قُتل وصلب^١ ، وهي من أعظم المراثي ولم يسمع بمثلها في مصلوب.
حتى أن عضد الدولة الذي صلبه تمنى أن لو كان هو المصلوب ، وقيل فيه :

علوهُ في الحياة وفي المماتِ لحقُ تلك إحدى المعجزاتِ
كان الناس حولك حين قاموا وفودُ نذاك أيام الصلاتِ
كأنك قائمٌ فيهم خطيباً وكلهم قيامٌ للصلاةِ
مددتَ يديك نحوهم احتفاءً كدّها إليهم بالهباتِ
ولما ضاق بطنُ الأرض عن أن يضمَّ علاك من بعدِ الوفاةِ
أصاروا الجوقبرك واستعاضوا عن الأكفان ثوب السافياتِ
لعظيمك في النفوس تبیتُ رعى بجرّاس وحفّاظ ثبقاتِ
وتوقدُ حولك النيرانُ ليلاً كذلك كنتَ أيامَ الحياةِ
ركبتَ مطيةً من قبلُ زيدٍ علاهما في السنين الماضياتِ
وتلك قضيةٌ فيها تأسٌ تباعدُ عنك تعبيرَ العُدافِ
ولم أرَ قبلَ جِذعك قط جِذعاً تمكّنَ من عناق المكرُماتِ
أسأتَ إلى النوائبِ فاستثارتِ فأنتَ قتيلُ نارِ النَّائباتِ

(١) وذلك لما استمرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عز الدولة أبي طاهر محمد بن بقية فطرحه للفيلة فقتلته ثم صلبه عند داره بباب الطارق وعمره نيف وخمسون سنة ، ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد ابن عمران يعقوب الأنباري أحد العدول ببغداد بهذه القصيدة المذكورة .

وكنْتَ تجيرُنا من صرف دهر
وصيرَ دهرُك الإحسانَ فيه
وكنْتَ لمعشَرَ سعداً فلمّا
عليلٌ باطنٌ لك في فؤادي
ولو أنّي قدَرْتُ على قيام
ملأتُ الأرضَ من نظم القوافي
ولكنني أصبرُ عنكَ نفسي
ومالكُ نربةٌ فأقولُ تسقى
عليك تحيةَ الرحمن تَتَرى
فعمادُ مُطالباً لك بالثرات
إلينا من عظيم السيئات
مضيت تفرّقوا بالمحسنات
يُخفّف بالدموع الجاريات
بفرضك والحقوق الواجبات
ونُحِت بها خِلاف النائحات
مخافة أن أُعَدَّ من الجناة
لأنك نُصبَ هطل الهاطلات
برحمت غواير رائحات

وقال بهاء الدين زهير المتوفى سنة ٦٥٦ هـ :

أراك هجرتني هجراً طويلاً
عهدتك لا تطيق الصبر عني
فكيف تغيرتُ تلك السجايا
فلا والله ما حاولتَ غدراً
فيا مَنْ غاب عني وهو رُوحِي
وما فارقتنِي طوعاً ولكن
يَمرُّ عليّ حين أدير عيني
ختمتُ على ودادك في ضميري
فوا أسفي لجسمك كيف يَبلى
فيا قبر الحبيب ودِدْتُ أني
ولا زال السلام عليك مني
وما عودتني من قبلُ ذاك
وتعصي في ودادي من نهاك
ومن هذا الذي عني ثناكا
فكلُّ الناس يغدُر ما خلاكا
وكيف أطيق من رُوحِي انفكاكا
دهاك من المنية ما دهاكا
أفتشُ في مكانيك لا أراكا
وليس يزال محتوماً هناكا
ويذهبُ بعدَ بهجته سناكا
تحملت ولو على عيني ثراكا
يُزَف على النسيم إلى ذراكا

وقالت السيدة 'تماضر' الخنساء الشاعرة المخضرمة المتوفاة في خلافة معاوية قبل سنة ٤٦ هـ - رائية أخاها صخرأ :

قَدَّيْ بِمَيْنِكَ أُمَ بِالْعَيْنِ عُوَّارُ أُمَ أَقْفَرْتُ إِذْ خَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لَذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ فَيُضْئِلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ مِدْرَارُ
تَبْكِي خُنَّاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقٌّ لَهَا إِذْ رَأَى الدَّهْرُ أَنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارُ
لَا بَدَّ مِنْ مَيْتَةٍ فِي صَرْفِهَا عِبْرُ وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ
يَا صَخْرُ وَرَّادَ مَا قَدْ تَوَارَدَ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ
وَإِنَّ صَخْرًا لِحَامِينَا وَسِيدَنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتَوُ لِنَحَارُ
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ
لَمْ تَلْفِهِ جَارَةٌ يَمْشِي بِطَاحَتِهَا لَرَبِّةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ
مِثْلَ الرِّدْنِيِّ لَمْ تَسْفُدْ شَبِيهَتَهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ الْبَرْدِ أُسْوَارُ
طَلَّقَ الْيَدَيْنِ بِفَعْلِ الْخَيْرِ مَعْتَمِدُ ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ بِالْخَيْرَاتِ أُمَّارُ
حِمَالُ أَلْوِيَةٍ ، هَبَّاطُ أَوْدِيَةٍ شَهَادُ أُنْدِيَةٍ ، لِلْخَيْشِ جِرَّارُ

وقالت أعرابية ترثي ابنها :

أَيَا وَلَدِي قَدْ زَادَ قَلْبِي تَلْهِبًا وَقَدْ حَرَقْتَ مِنِّي الشُّؤُونََ الْمَدَامُ
وَقَدْ أَضْرَمْتَ نَارُ الْمَصِيبَةِ شَمْعًا وَقَدْ حَمَيْتَ مِنِّي الْحِشَا وَالْأَضَالِعُ
وَأَسْأَلُ عَنْكَ الرِّكْبَ هَلْ يَخْبِرُونَنِي بِحَالِكَ كَيْفَا تَسْتَكْنُ الْمَضَاجِعُ
فَلَا بَكَ فِيهِمْ يَخْبِرُ عَنْكَ صَادِقُ وَلَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ إِنَّكَ رَاجِعُ
فَيَا وَلَدِي مُذْغِبَتْ كَدَّرْتُ عَيْشَتِي فَقَلْبِي مَصْدُوعٌ وَطَرْفِي دَامِعُ
وَفِكْرِي مَقْصُومٌ وَعَقْلِي ذَاهِبُ وَدَمْعِي مَسْفُوحٌ وَدَارِي بِلَاقِعُ

وقالت ليلي الأخيلية المتوفاة سنة ٨٠ هـ :

لعمرك ما بالموت عارٌ على الفقى إذا لم تُصبه في الحياة المعابر
وما أحدٌ حيٌّ وإن عاش سالماً بأخلدَ من غيبته المقابر
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً فلا بد يوماً أن يُرى وهو صابر
وليس لذي عيش عن الموت مقصر وليس على الأيام والدهر غابر
ولا الحيّ مما يحدث الدهر مُعتبٌ ولا الميت إن لم يصبر الحيّ فاشر
وكل شبابٍ أو جديد إلى بلى وكل امرئ يوماً إلى الله صائر

وقالت عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ترثي ابنتها :

إن سالَ من غرب العيونُ بحورُ فالدهر باغٍ والزمان غدورُ
فلكل عين حقٌ مدار الدما ولكل قلبٍ لوعةٌ وثبور
سُتر السنا وتحجبت شمسُ الضحى وتغيبت بعد الشروق بدور
ومضى الذي أهوى وجرت غني الأسى وغدت بقلبي جذوةٌ وسَميرُ
يا ليتَه لَمَّا نوى عهد النوى وافى العيون من الظلام نذيرُ
ناهيك ما فعلت بماء حشاشتي نارٌ لها بين الضلوع زفيرُ
لو بُثَّ حزني في الورى لم يُلْتَفِت لمصاب قيس والمصاب كبيرُ
طاقت بشهر الصوم كاسات الردى سَحَرًا وأكوابُ الدموع تدور
فتناولتُ منها ابنتي فتغيرت وجناتُ خدي شأنها التغير
فدوت أزاهيرُ الحياة بروضها وانقَدَّ منها مايسُ ونضير
لبست ثيابَ السقم في صغرو قد ذاقَت شراب الموت وهو مرير
جاء الطبيب ضحىً وبشر بالشفاء إن الطبيب بطبه مغرور
وصف التجرع وهو يزعم أنه بالبرء من كل السقام بشير

فتنفست للحزن قائلة له عجل ببرئي حيث أنت خير
وارحم شبابي إن والدتي غدت ثكلى يشير لها الجوى وتشير
وارأف بعين حرمت طيب الكرى

تشكو السهاد وفي الجفون فتور
لما رأته يأس الطبيب وعجزه قالت ودمع المفلتين غزير
أماء قد كل الطبيب وفاتني مما أؤمل في الحياة نصير
أماء قد عز اللقاء وفي غد سترين نسعي كالعروس يسير
وسينتهي المسعى إلى اللحد الذي هو منزلي وله الجموع تصير
قولي لرب اللحد رفقا بابنتي جاءت عروسا ساقها التقدير
وتجلدي بإزاء لحدي برهة فتراك روح راعها المقدور
أماء قد سلفت لنا أمنية يا حسنهما لو ساقها التيسير
كانت كأحلام مضت وتخلفت منذ بان يوم البين وهو عسير
عودي إلى ربيع خلا وما أثر قد خلقت عني لها تأشير
صوني جهاز العرس تذكرا فلي قد كان منه إلى الزفاف سرور
جرت مصائب فرقتي لك بعدذا لبس السواد ونفذ المسطور
والقبر صار لفصن قدي روضة ربحانها عند المزار زهور
أماء لا تنسي بحق بنوتي قبري لئلا يحزن المقبور
فأجبتها والدمع يحبس منطقي والدهر من بعد الجوار يحور
بناته يا كبدي ولوعة شهجي قد زال صفو شأنه التكدير
لا توص ثكلى قد أذاب فؤادها حزن عليك وحسرة وزفير
أبكيك حتى نلتقي في جنة برياض خلد زينتها الحور
إن قيل «عائشة» أقول لقد فنى

عيشي وصبري - والإله خير

ولهي على « توحيدة » الحسن التي قد غاب بدرُ جمالها المستور
قلبي وجفني واللسان وخالقي راض وبالكِ شاكِرٌ وغفور
مُتعتِ بالرضوان في خلد الرضا ما ازبنتُ لك غرفة وقصور

وقالت المرحومة ملك حفني ناصف ترثي المرحومة عائشة هانم تيمور :

ألا يا موتُ ويحك لم تراع حقوقاً للطروس ولا اليراع
تركتَ الكتبَ باكية بكاءً يشيب الطفل في عهد الرضاع
ولم تهَبِ الفضائلَ والمعالي وطولَ السعي في خير المساعي
ولم ينعك مما رُمتَ نثرٌ ولا شِعْرٌ ولا حُسْنُ ابتداع
تراك تجودُ بالأرزاءِ حتى عددنا البخل من كرم الطباع
فدُبِّ يا قلبُ لانتك في جمود وزدْ يا دمع لا تك في امتناع
ولا تبخل عليّ وكن جوماً فكنز العلم أمسى في ضياع
سنبقى بعد (عائشة) حيارى كسربٍ في الفلاة بغير راع
لقد فُقدتْ ولم تَفقدْ علّاهما وهل شمسٌ تغيبُ بلا شعاع
هي الدُّر المصون ببطنٍ أرض وقد كانت كذلك في قناع
هي البحرُ الحُضْم وما سمعنا بأن البحر يُدفن في التلاع
وكانت للمكارم خيرَ عون وللخيرات كانت خير داع
لها القَدْحُ المعلى في العوالي وفي نشر المعارف طول باع
فيا شمسَ المحامد غِبتِ عنّا وخلفتِ البكاءَ لكل ناع
ويا خير النساء بلا خلاف وقدوتنا بلا أدنى نزاع
لقد أحييتِ ذكر نساء مصر وجددتِ العُلا بعد انقطاع
وشدّتِ صُروح طُهر باذخاتٍ

مُحصّنةٌ كتحصين القلاع

وقال المرحوم حفني بك راثياً لمرحوم عبدالله باشا فكري :

ليدّع المدّعون العلم والأدبا فقد تغيّب (عبدالله) واحتجباً
وليُنسب أدياء الفضل كيف قضت آراءهم إذ قضي من يحفظ النسباً
وليفخر اليوم قومٌ بالبراع ، ولا خوف عليهم فمن يخشونه ذهباً
وليرقّ من شاء أعواد المنابر إذ مات الذي يتقيه كلُّ من خطباً
لو عاش لم يطرّق الأسماع ذكرهم في طلعة الشمس من ذا يصرع الشهباً
فليس من شاء بالإنشاء لا عجب مضى الذي كان من آياته عجباً
طود من الفضل من بعد الرسوخ هوى

وكوكب بعد أن أبدى الهدى غرباً
أجل فقد مات (عبدالله) وأسفاً

وأوحشت مصر من (فكري) فواحرّبا
فكل نفس لعلياه شكت وبكت

وكل فكر (بفكري) ماج واضطربا
قضى الحياة ونصر الحق دينده لا ينثني رهبا عنه ولا رغباً
سارت جنازته والعلم في جزع والفضل يندبّه في ضمن من ندباً

وقال أحمد بك شوقي يرثي المرحوم مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٣٦هـ :

المشرقان عليك يلتجبان قاصيهما في مآتم والداني
يا خادم الإسلام أجر مجاهد في الله ، من خلد ومن رضوان
الله يشهد أن موتك بالحجبا والجد ، والإقدام ، والعرفان
إن كان للأخلاق ركن قائم في هذه الدنيا ، فأنت الباني
بالله فتش عن فؤادك في الثرى هل فيه آمال وفيه أماني ؟
وجدانك الحيّ المقيم على المدى ولربّ حي ميت الوجدان
الناس : جاري في الحياة لغاية ومضلل يجري بغير عينان

والخلد في الدنيا وليس بهين عليا المراتب لم تتح لجان
فلوان رُسل الله قد جبنوا لما ماتوا على دين ولا إيمان
المجد والشرف الرفيع صحيفة جعلت لها الأخلاق كالعنوان
وأحب من طول الحياة بذلة قصر يريك تقاصر الأقران
دقات قلب المرء قائمة له : إن الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك بعدموتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثاني
للمرء في الدنيا وجم شؤونها ما شاء من ربح ومن خسران
فهي القضاء لراغب متطلع وهي المضيئ لمؤثر السلوان
الناس غاد في الشقاء ورائح يشقى له الرحاء ، وهو الهاني
ومُنعم لم يلق إلا لذّة في طيها شجن من الأشجان
فاصبر على نعم الحياة وبؤسها نعيم الحياة وبؤسها سيان
يا طاهر الغدوات والروحات والخطرات والإسرار والإعلان
هل قام قبلك في المدائن فاتحا غازي بغير مُهندٍ وسنان
يدعو إلى العلم الشريف وعنده أن العلوم دعائم العمران
لفوك في علم البلاد مُنكسا جزع الهلال على فتي الفتیان
ما احمر من خجل ولا من رقة لكننا يبكي بدمع قاني
يزجون نعشك في السناء وفي السنا

فكأننا في نعشك القمران
وكأنه نعش الحسين) بكر بلا يختال بين بكى وبين حنان
في ذمة الله الكريم وبرّه ماض من عرف ومن إحسان
ومشى جلال الموت وهو حقيقة وجلالك المصدق يلتقيان
شقت لمظرك الجيوب عقائل وبكتك بالدمع المتون غواني
والخلق حولك خاشعون كمهدم

إذ ينصتون لخطبة وبيان

يتساءلون : بأيّ قلب تُرتقى بعدُ المنابر ، أم بأيّ لسان
فلو أن أوطانا تصوّر ميكلّا دفنوك بين جوانح الأوطان
أو كان يُحمل في الجوارح ميّت حملوك في الأسماع والأجفان
أو صيغ من غرّ الفضائل والعُلى كفنٌ كلبست أحاسن الأكفان
أو كان للذكر الحكيم بقيّة لم تأت بعدُ رثيت في القرآن
يا صب مصرَ ويا شهيد غرامها هذا ثرى مصر ، فنسم بأمان
اخلع على مصر شباك عالياً والبس شباب الحور والولدان
فلعلّ مصر آمن شباك ترتدي مجدّاً تتيه به على البلدان
فلو أن بالهرمين من عزماته بعض المضاء تحرك الهرمان
علّمت شبان المدائن والقُرى كيف الحياة تكون في الشبان
مصرُ الأسيفه ريفها وصعيدها قبرٌ أبرّ على عظامك حاني
أقسمت أنك في التراب طهارة ملكٌ يهاب سؤاله الملكان

وقال ابن هانئ الأندلسي يراثي إبراهيم بن جعفر بن عليّ :

وهب الدهر نفيساً فاستردّ ربّما جاد بخيلٍ فحسد
خاب من يرجو زماناً دائماً تعرف البأساء منه والنكد
فلقد أذكر من كان سها ولقد نبه من كان رقد
قل لمن شاء يقل ما شاء إن خصمي في حياتي لألد
منتضى نصلاً إذا شاء مضى رائشٌ سهماً إذا شاء قصد
مات من لو عاش في سرباله غلب النور عليه فاتقد
إنما كان شهاباً ثاقباً صعق الليل له ثم خمد
لا رجاء في خلود كلنا وارد الماء الذي كان ورد

وقال شاعر النيل أحمد بك شوقي راثياً :

خُلِقْنَا للحياة والمِيتِ	ومن هذين كُلِّ الحادثاتِ
ومن يولد يعيش ويمت كأن لم	يمرَّ خياله بالكائناتِ
ومَهْدُ المرء في أيدي الرّواقي	كنعش المرء بين النائحاتِ
وما سلم الوليد من اشتاء	فهل يخلو المُعَمَّرُ من أذاةِ
هي الدنيا قتالٌ نحن فيه	مقاصد للحسام وللنفاةِ
وكل الناس مدفوع إليه	كما دُفع الجبان إلى الشباتِ
'نرّوع ما نرّوع' ثم نرمي	بسهم من يد المقدور آت

وقال المرحوم محمد بك حافظ إبراهيم راثياً الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده :

سَلامٌ على الإسلام بعد محمد	سَلامٌ على أيامِهِ النضيراتِ
على الدّين والدنيا على العلم والحجى	على البر والتقوى على الحسناتِ
لقد كنتُ أخشى عادي الموت قبله	فأصبحت أخشى أن تطول حياتي
فواهفي والقبر بيني وبينه	على نظرةٍ من تِلْكَ النظراتِ
وقفتُ عليه حاسير الرّأس خاشعاً	كأنني حيال القبر في عرفاتِ
أبنتُ لنا التنزيل حِكْماً وحِكْمةً	وفرقت بين النور والظلماتِ
ووفقت بين الدين والعلم والدجى	فأطلمت نوراً من ثلاث جهاتِ
وقفتُ (لهانوتو، ورينان) وقفة	أمّ ذلك فيها الرّوح بالنفحاتِ
وخفت مقام الله في كل موقف	فخافك أهل الشك والنزعاتِ
وأرصدت للباغي على دين أحمد	شاة يراع ساحر النفثاتِ
مشى نغمه يختال عجباً بربه	ويخطرُ بين اللّمس والقبيلاتِ
بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة	وضاقت عيون الكون بالعبراتِ

بكى عالمُ الإسلامِ عاصره سراج الدِّياجي هادمَ الشبهاتِ
فيا وَيْنَحَ (الشورى) إذا جَدَّ جِدُّها وطاشت بها الآراءُ مشجراتِ
ويا وَيْنَحَ (الفتن) إذا قِيلَ مَنْ لها ويا وَيْنَحَ للخيراتِ والصدقاتِ
بكيننا على فِردٍ ، وإن بكاءنا على أنفُسِ اللهِ مُنقطعاتِ
تَعَهَّدَها فضل الإمامِ وحاطها بإحسانه والدمر غير مؤاتي

وقال جمال الدين بن نباتة ، المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ، معزياً عن ملك ،
ومهنئاً بملك :

هَناهُمَّ حَمَّا ذَاكَ الْعَزَاءِ الْمَقْدَمَا فما عَبَسَ المحزون حتى تَبَسَها
لُغُورُ ابْتِسَامٍ فِي ثُغُورِ مَدَامِعِ شبيهان لا يَمَازُ ذُو السَّبْقِ مِنْهَا
تَدِيرُ مَجَارِي الدَّمْعِ وَالْبُشْرِ وَاضِحِ كوابِلُ غَيْثٍ فِي ضَحَى الشَّمْسِ قَدَمِي
سَقَى الْغَيْثُ عَنَا تُرْبَةَ الْمَلِكِ الَّذِي عَهْدَنَا سَجَايَاهُ أَعَزَّ وَأَكْرَمَا
وَدَامَتْ يَدُ النِّعَمِ عَلَى الْمَلِكِ الَّذِي تَدَانَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَعَزَّ بِهِ الْحَمِي
مَلِيكَانَ : هَذَا قَدْ هَوَى لَضَرْجِهِ بَرغمي ، وَهَذَا لِلْأَسْرِ قَدْ سَمَا
وَدَوْحَةٍ فَضْلُ شَاذَوِي تَكَافَأَتْ فَعُصْنُ ذَوِي مِنْهَا وَآخِرُ قَدْ نَمَا
كَأَنَّ دِيَارَ الْمَلِكِ غَابَ إِذَا انْقَضَى بِهِ ضَيِّغَمُ أَنْشَاءِ الدَّهْرِ ضَيِّغَمَا
فَإِنْ تَكَ أَوْقَاتُ الْمُؤِيدِ قَدْ خَلَتْ فَقَدْ جَدَدَتْ عَلَيْكَ وَقْتَنَا وَمَوْسَمَا
هُوَ الْغَيْثُ وَلَسَى بِالثَّنَاءِ مُشْتَمًا وَأَبْقَاكَ بِحَرًّا بِأَوَاهِبِ مُفْتَمَا
إِذَا الْغَيْثُ صَلَّسَى خَلْفَ جَدُوكَ رَاكِمًا

ثَنَتْ عَزَمَهُ للاعتراف فسَلَمَا
يَرَاكَ يَوْمَ السَّلْمِ يَنْهَلُ دِيمَةً وَسَيْفُكَ يَوْمَ الْحَرْبِ يَنْهَلُ فِي الدِّمَامَا
فَعِشْ لَوَرَى واسلم سَعِيدًا مُهِنًا فَحِظْ لَوَرَى فِي أَنْ تَعِيشَ وَتَسَلَمَا
أَعَدْتُ زَمَانَ الْبَشِيرِ وَالْجُودِ وَالشَّنَا إِلَى أَنْ مَلَأْتَ الْعَيْنَ وَالْكَفَّ وَالْفَمَا

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يرثي الدكتور يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف المتوفى سنة ١٩٢٧ م^١ :

أبكي وعين الشرق تبكي معي	على الأريب الكاتب الألمي
جرى عصي الدمع من أجله	فزاد في الجود على الطيع
نقص من الشرق ومن زهوه	فقد اليراع المميز المبدع
ليس لمصر في رجالها	حظ، ولا للشام في أروع
مصاب (صروف) مصاب النهى	فليبه كل فؤاد يعي
(صروف) لا تبعد فلسا الذي	يطويه طاوي ذلك المضجع
أسكتك الموت ولكن	لم يسكت الآثار في الجمع
ذكرائك لا تنفك موصولة	في معهد العلم وفي المصنع



الباب الثامن في الحكم والنصائح

قال عبيد بن الأبرص الأسدي أحد فحول شعراء الجاهلية :

كفى زاجراً للمرء أيام دهره	تروح له بالواعظات وتغتدي
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم	فصفت ولا تطلب يجهد فتتكدي
عسى سائل ذو حاجة إن منعه	من اليوم سؤلاً أن يسرك في غد
ولا تقعدن عن سمي ما قد ورثته	وما اسطمت من خير لنفسك فازدد
إذا ما رأيت الشر يبعث أهله	وقام جناة الشر بالشر فاقعد
وبالعدل فانطق إن نطق ولا تجر	وذا النم فاذمه وذا الحمد فاحمد
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه	فكل قرين بالمقارن يقتدي

(١) هو الدكتور يعقوب صروف بن نقولا . ولد في بلدة الحدث بقرب بيروت وتعلم بها ونسب في العلوم والمعارف فنال الإجازات العالية سنة ١٨٧٠ م . ثم نزع إلى القاهرة وأسس مع زميله الدكتور فارس نمر باشا مجلة المقتطف وجريدة المقطم ومات سنة ١٩٢٧ م .

ولا تأملن ودّ امرئ قلّ خيره ولا تكُ عن وصل الصديق بأحيد
إذا أنت حملت الخؤون أمانة فإنك قد أسندتها شرّ مسند
ولا تظهرن ودّ امرئ قبل خبره وبعد بلاء المرء فاذهمن أو احمد
وقال أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١ هـ :
يا ظبية أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا^١
إمّا تري رأسي حاكى لونه طرّة صبح تحت أذيال الدّجى^٢
واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضى^٣
فكان كالليل البهيم حلّ في أرجائه ضوء صبح فانجلي^٤
وغاض ماء شيرتي دهر رمي خواطر القلب بتبريح الجوى^٥
وأض روض اللو ييساً ذاوياً من بعد ما قد كان يحتاج الثرى^٦
وضرم النأي المشت جذوة ما تأتلي تسفع أثناء الحشى^٧
واتخذ التسهيد عيني مألفاً لما جفا أجفانها طيف الكرى^٨

(١) الظبية: الأنثى من الغزلان والمها جمع مهاء، وهي الأنثى من البقر الوحشي.
الخزامى نبت معروف طيب الرائحة، النقا اسم موضع. (٢) إمّا أصلها إن ما فإن
شرطية وما زائدة، وتري أصلها ترين وتري فعل الشرط وجوابه فيما بعد، فكل
إلخ. حاكى أشبه طرّة صبح يعني وجه صبح وطرّة كل شيء حافته وجانبه (٣) اشتعل:
فشا وانتشر، جزل ما غلظ من الحطب، الغضى جمع غضة وهي نوع من الشجر يبقى
جمره طويلاً (٤) فكان كالليل البهيم كناية عن المظلم جداً، والبهيم هو الأسود الذي لا
خوء فيه، حل نزل، أرجائه: جمع رجا بالقصر الطرف فانجلي فأنكشف وظهر.
(٥) غاض نقص أو ذهب، الشرة الحدة والنشاط استعيرت هنا للشباب والتبريح
البلوغ في المشقة إلى غايتها. (٦) أض رجع، ييساً يابساً، ذاوياً ذابلاً، يحتاج من
قولهم مج الغصن الماء إذا ألقاه، الثرى بالقصر التراب الندي. (٧) ضرم أشعل
وأوقد، النأي البعد. المشت المفرق، جذوة هي الحجرة العظيمة ما تأتلي ما تقصر،
تسفع تحرك وتهلك، أثناء الحشى يعني مارق من البطن وأراد به القلب والجوف.
(٨) التسهيد والسهاد: السهر وهو عدم النوم، مألفاً صاحباً. وأألوف هو الموضع
الذي تقع فيه الألفة أي الاجتماع والصحبة، جفا هجر، والأجفان أغطية السيون =
(٢٦ - جواهر الأدب ٢)

فكل ما لا قيتُه مُغتَفَرُ^١ في جنب ما أسأره شحط النوى^٢
لو لابس الصخر الأصم بعض ما يلقاه قلبي ففض أصلاذ الصفا^٣
إذا ذوى الغصن الرطيب فاعلمن شجيت لا بل أجرضتني غصة^٤
إن يحم عن عيني البكا تجلدي عنودها أقتل لي من الشجي^٥
لو كانت الأحلام ناجتني بما فالقلب موقوف على سبل البكا^٦
منزلة ما خلتها يرضى بها لنفسه ذو أدب ولا حيجا^٧
ما خلتي أن الدهر يثني على ضراء لا يرضى بها صب الكدي^٨
شم سحاب خلب بارقه وموقف بين ارتجاء ومنى^٩
أرملق العيش على برض فإن رمت ارتشاف رمت صعب المنتسى^{١٠}
أراجع لي الدهر حولا كاملا إلى الذي عود أن لا يرتجي^{١١}
يا دهر إن لم تك عتبي فائتد فإن إروادك والعتبي سوى^{١٢}

= واحدا جفن ، الطيف ما يراه الإنسان من خيال المحبوب ، الكرى النوم
(١) مغتفر : متجاوز عنه ، سأره إبقاه شحط أبعده ، النوى البعاد (٢) لابس
خالط ، الأصم الصلب فض كسر ، وأصل الانفضاخ التفرق وأصلاذ جمع صلد
وهي الحجارة الصلبة الشديدة (٣) ذوى جف وذبل ، الرطيب الناعم الرطب
قصاره آخر أمره وغايته ، نفاد فناء وذهاب ، وتوى بالتاء الهلاك (٤) شجيت :
حزنت أو غصصت ، والغص الاختناق باللحمة يقال شجيت بالعظم أي اختنقت به
وأجرضتني خنقتني وغصة الموت والجرض هو الاختناق بالريق وعنودها معارضها .
(٥) إن حرف شرط يحم فعل الشرط بمعنى يمنع وتجلدي تصبري فالقلب الشرط
وسبل الطرق واحدا سبيل . (٦) الأحلام : جمع حلم وهو ما يراه الإنسان في
منامه وناجتني أخبرتني ، لأصماني لقتلني مكاني بلا تأخير ، الردى الهلاك .
(٧) المنزلة : الدرجة ، ما خلتها : ما حسبتها ، الحجا : المعقل (٨) يثني يمعظني :
ضراء الصخرة الصماء ، الكدي بالضم جمع كدية وهو ما ارتفع من الصخور .
(٩) أرملق العيش أعطاني منه بقدر ما يسد رمقي ، برض العطاء القليل .
(١٠) العتبي : الرضى ، فائتد : أرفق ، والإرواد الرفق .

رفه عليّ طالما أنصبتني واستبق بعض ماء غصن ملتحي^١
 لا تحسبن يا دهر أني ضارع^٢ لنكبة تمرقني عرق المدى^٣
 مارست من لو هوت الأفلاك من جوانب الجو عليه ما شكا^٤
 لكنها نفثة مصدور إذا جاش لغام من نواحيها غما^٥
 رضيت قسراً وعلى القسر رضى من كان ذا سُخط على صرف القضاء^٦
 إن الجديدين إذا ما استوليا على جديد أدنياء للبلى^٧
 ما كنت أدري والزمان مولع^٨ بشت ملوم وتنكيث قوى^٩
 أن القضاء قاذفي في هوة لا تتبل نفس من فيها هوى^{١٠}
 فإن عثرت بعدها إن وألت نفسي من هاة فقولا لالما^{١١}
 وإن تكن مدتها موصولة بالحتف سلطت الأسي على الأسا^{١٢}
 إن امرء القيس جرى إلى مدى فاعتاقه حمامه دون المدى^{١٣}

(١) رفه : وسع أنصبتني اتعبتني، استبق ابق، ملتحي الذهاب لحاء اي قشره
 الظاهر (٢) ضارع ذليل خاشع ، لنكبة : المصيبة والشدة ، تمرقني تزيل لحمي عن
 عظمي ، المدى بالضم جمع مدية وهي السكين (٣) مارست بتاء الخطاب عاجلت ،
 هوت سقطت ، الأفلاك جمع فللك وهي التي تجري فيها الشمس والقمر والنجوم ،
 جوانب الأطراف ، والجو الفضاء الذي بين السماء والأرض (٤) لكنها الضمير فيها
 كناية عن هذه القصيدة التي قالها ، النفثة ما يلقيه الرجل من فيه إذا بصق ، المصدر
 الذي يشتكي صدره ، جاش علاوار رفع اللغام الزبد (٥) القسر القهر ، السخط الغضب .
 (٦) الجديدين الليل والنهار ، استوليا غلبا وملكاً وأدنياء قرباه ، للبلى للاخلاق
 (٧) ما كنت أعلم وجاء بالعمول في البيت الذي بعده (٨) قاذفي رام بي والهوة
 الحفرة التي يتسع أسفلها ويضيق أعلاها ، لا تستبل ، اي لا تبرأ ولا تفيق ، هوى سقط
 (٩) عثرت زللت ، وقوله لالما اي نجا وهو دعاء للعائر بعدم السلامة (١٠) ضمير
 مدتها عائد على النكبة ، الحتف الموت ، الأسي بضم الهمزة جمع اسوة وهي التعزية
 (١١) امرؤ القيس معلوم انه كان ملكاً عليهم فبعد عنه تونجه الى قيصر ملك الروم
 ان بني اسد قتل اباه وكان ملكاً عليهم فبعد عنه تونجه الى قيصر ملك الروم
 واستنجد به على قتل اباه فوعده وكان قد تعشق ابنة قيصر فحضر احداً عنه من =

وخامرتُ نفس أبي الجبرِ الجوى حتى حواه الحُتف فيمن قدحوى^١
وانُ الأشج القيل ساقته نفسه إلى الردى حذارَ إثماتِ العبدى^٢
واخترم الوضاح من دون التي أمَلها سيفُ الحِمامِ المنتضى^٣
فقد سما قبلي يزيدُ طالباً شأوالعُلا فما وهى ولاونى^٤
فاعترضتُ دون الذي رام وقد جد به الجِدُّ اللّهمَّ الأربى^٥
هل أنا بدعٌ من عرّانين علا جارَ عليهم صرفُ دهرٍ واعتدى^٦
فإن أنالثنى المقادير الذي أكيدُهُ لم آلُ في رأبِ الشئى^٧
وقد سما عمرو إلى أوتارِهِ فاحتطّ منها كلُّ عالي المستمى^٨

= بني اسد وأخبر قيصر بعشقه لها فكره ذلك وكره ان يقتله او يخذله بعد ما وعدد فأرسل معه عسكرياً أردفه بحلة ملوكية مسمومة فلبسها فمات، المدى الغاية، فاعتاقه وعاقه بمعنى عوقه، وحامه بكسر الحاء موته . (١) خامرت خالجت، ابو الجبر من ملوك كندة خلاصة قصته انه تألب قومه عليه فاستعان بكسرى فأعطاه جيشاً من اساورته فرأوا بلاد العرب فاستوحشوها فسموه فرفض وعندها طلبوا الاذن بالرجوع فأذن لهم ثم بعد مدة مات على طريق اليمن بالمرض الذي نشأ من السم . (٢) ابن الأشج هو عبد الرحمن بن الأشعث ، خلاصة قصته انه قد ولاه الحجاج سجستان فخرج ثم هرب الى «ريتقل» ملك الترك فبذل الحجاج الى ريتقل مالاً فسلمه الى اعوان الحجاج وكان في الطريق مقيداً معه رجل من بني تميم على سطح برج فرمى بنفسه من اعلى البرج فمات هو والتميمي وحمل رأسه الى الحجاج (٣) اخترم اي اهلك واقتطع (٤) سما علا. ويزيد هو ابن المهلب وخلاصة قصته انه خرج على بني أمية وخطب له بالبصرة وسلم عليه بالخلافة فهدست بنو أمية رجلاً من بني كلب فقتله واستتب الأمر لهم ، الشأوالغاية، العلا الشرف، قم وهى ضعف ولاونى ولا فتر (٥) فاعترضت عارضت رام طلب، جد بالفتح أسرع الجد بالكسر العزم : اللهم بالتصغير والأربى اسمان من اسماء الداهية وهما فاعل اعترضت (٦) بدع الذي يكون اول مخترع من كل امر ؛ عرّانين الأشراف واحدهما عربين وهو الانف (٧) أنالثنى اعطيتي، والمقادير جمع مقدار وهو القدر، اكيدهُ اطلبه واحتمل عليه، لم آل لم أقصر، رأب أصلح ، الثأى الفاسد (٨) سماعلا وأوتار جمع وتر وهو طلب الدم، فاحتط فأنزل والمستمى المكان العالي المرتفع .

فاستنزل الزباء قسراً وهي من عقاب لوح الجوّ أعلى مُنْتَمَى^١
وسيفٌ استعلتْ به ممتنه حتى رمى أبعد شأو المرتقى^٢
فجرّع الأحبوش سماً ناقعاً واحتل من غمدان عثراب الدُمى
ثم ابن هندٍ باشرت نيرانه يوم أوراتِ تميمًا بالصلا^٣
ما اعتنّ لي بأس يُنْجاني همي إلا تحداه رجاء فاكتمى :
أليه بالعمُلات يرتقي بها النجاء بين أجواز الفلا^٤
خصوصٌ كأشباح الحنايا ضميرٌ يرعفن بالأمشاج من جذب البرى^٥

(١) الزباء: اسم امرأة، عقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان ولوح الهواء الذي بين السماء والأرض. منتمى، موضع مرتفع إليه وخلاصة قصة الزباء وعمران الزباء لما قتلت جذية الأبرش قعد عمرو ابن أخته. مكانه وكان قصير وزيره كما كان لحاله وكان وقت قتل خاله نجا على فرس تسمى العصي فطلب قصير ان يجده له عمرو انفه واذنيه دهاء منه لأخذ ثأر خاله فرحل قصير الى الزباء على هذه الحالة فاستأمنت له ثم بعد مدة وعناء أتى بالرجال مدججة بالسلاح في جوالق على ظهور الجمال فهربت الزباء الى نفق لها لتهرب منه فرأت عمرأ على باب النفق فصت خاتماً مسموماً كان بيدها وقالت : « بيدي لا بيد عمرو » وماتت مكانها فاستولى على ملكها . (٢) سيف يعني به سيف بن ذي يزن ملك اليمن، استعلت علت والشأو الغاية، المرتقى موضع المرمى وهو الذي يقال له الغرض والهدف والقرطاس، فجرّع فسقى، الجرّع القليل من الماء، والأحبوش ملك الحبش، وناقعاً بالغا، واحتل نزل بالمكان، غمدان موضع بصنعاء اليمن وبحراب ههنا بصنعاء. (٣) ابن هند هو عمرو عم النعمان بن المنذر وكان له اخ مسترصب من بني تميم فقتل لهم ناقة فقتله صاحبها فنذر عمرو المذكور ان يقتل من بني تميم مائة فأجج ناراً وألقى فيها واحداً منهم إلى تسعة وتسعين فبينما هم كذلك يرجون تمام المائة إذ جاء رجل من البراجم يظن هناك وليمة لقتار اللحم فألقى في النار تمام المائة، وبشرت خالطت يوم أورات يوم معروف من أيام العرب أورات اسم موضع، تيميا قبيلة، الصلا بالفتح وهج النار، ما اعتن ما اعتبر تحداه اعتمده وقصده فاكتمى استتر وتغطى (٥) ألية قسماً باليعملات جمع يعمله هي الناقة الصلبة الشديدة، النجاء السرعة، أجوار جمع جواز وجوز كل شيء وسطه والفلا جمع فلاة وهي الصحراء (٦) خصوص الإبل الفائرة العيون من الهزال : والأشباح الأشخاص جمع شبح، والحنايا جمع حنية والحنية القوس وضمير جمع ضامر =

يرسبن في بحر الدجى وبالضحى يطفون في الآل إذا الآل طفا^١
 أخفافهن من حقاً ومن وجى^٢ مرثومة تخضب مبيض الحصا^٣
 يحلن كل شاحب محقوق^٤ من طول اتدآب الغدو والسرى^٥
 بار برى طول الطوى جثانته فهو كقيدح النبع محني القرا^٦
 بنوي التي فضلها رب العلى لما دحا تربتها على البنى^٧
 حتى إذا قابلها استعبر لا يملك دمع العين من حيث جرى^٨
 ثمت طاف وانثنى مستلماً ثمت جاء المروتين فسعى^٩
 وأوجب الحج وثنى 'عمرة' من بعد ما عج ولبي ودعا^{١٠}
 ثمت راح في الملبين إلى حيث تحجى المازمان ومنى^{١١}

= وهو المهزول ، ويرعفن يسلن مأخوذ من الرعاب وهو سيلان الدم من الأنف
 والأمشاج الأخلط جمع مشج وهو ما يسيل من الأنوف ، ومن جذب من سوق
 والبرى جمع برة وهي الحلقة التي تكون في انف البعير . (١) يرسبن يغبن والرسوب
 الخوض في الماء والمغيب فيه ، والدجى جمع دجية وهي الظلمة ويطفون يعلون ،
 والآل سحاب كلما يرى عندما ترتفع الشمس . (٢) أخفافهن جمع خف للابل
 بمنزلة الحوافر للخيول وحفا مقصور : وهو رقة أخفاف الإبل من كثرة المشي ؛
 ووجى في الرجل يصيبها من الحفا ومرثومة مشقوقة من الحجارة ؛ وتخضب تصبغ
 (٣) شاحب متغير اللون من السفر وغيره ، ومحقوق معوج وتدآب مداومة
 والسرى سير الليل (٤) بار مطيع والجمع أبرار . تعبير للشاحب وبرى من برى
 القلم وهو إضعافه وترقيقه والطوى الجوع وجثانته جسمه وقدح عود صلب تعمل
 منه السهام والنبع شجر يعمل منه القسي واحدها نبعة ومحني معوج ، والقرا الظهر
 (٦) ينوي يقصد والتي فضلها رب العلى يعني مكة ، ودحا بسط والبنى جمع بنية
 وهو الشيء المبني (٦) استعبر بكى وهو مأخوذ من العبارة وهي الدمعة . ٧ ثمت
 هي ثم ريدت عليها ثاء التانيث وانثنى انعطف ، ومستلماً لمس الحجر الأسود بيده
 أو بقمه والمروتين المراد بهما الصفا والمروة فسعى فمشى . (٨) أوجب الحج ألزمه
 نفسه وثنى عمرة ألزم نفسه مع الحج عمرة ، عج رفع صوته بالدعاء والتلبية
 (٩) راح خرج بالروح وهو الخروج بالعشي ، والملبين جمع ملب وهو الجيب
 بالتلبية تحجى أقام .

ثم أتى التعريف يقرؤ مخبئاً مواقفاً بين ألال فالنقا^١
 واستأنف السبع وسبعاً بعدها والسعي ما بين العقاب والصوى^٢
 وراح للتوديع فيمن راح قد أحرز أجراً وقل هجر اللغا^٣
 بذاك أم بالخليل تعدو المرطى ناشزة أكتادها قب الكلى^٤
 شعناً تعادى كسراحين الغضا ميل الحماليق يبارين الشبا^٥
 يحملن كل شمري باسل شهم الجنان خائض غمر الوغى^٦
 يغشى صلا الحرب مجديه إذا كان لظى الحرب كريبه المصطفى^٧
 لو مثل الحتف له قرناً لما صدته عنه هيبة ولا انثنى^٨
 ولو حى المقدار عنه مهجة لرامها أو يستبيح ما حى^٩
 تغدو المنايا طائعات أمره ترضى الذي يرضى وتأبى ما أبى^{١٠}

(١) التعريف وعرفات واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج ويقرؤ: يتتبع المواضع مخبئاً متواضعاً لله تعالى، ألال موضع بعرفات، النقا الرمل. (٢) استأنف ابتداء السبع رمي الجمار السبع وسبعاً أراد الثانية التي تلي الأولى، والسعي المشي والعقاب جمع عقبة. (٣) وراح للتوديع: لتوديع البيت الحرام كما يفعل الحاج بأن يطوف به سبعاً ويسعى بين الصفا والمروة، أحرز أجراً ملكه وأصابه، وقل أبيض، وهجر بضم الهاء القبيح من الكلام، واللغا الباطل من الكلام. (٤) أقسم بذاك أم بالخليل، تعدو تجري: المرطى ضرب من العدو وهو السهل منه، ناشزة مرتفعة ومنه قولهم فعدت على نشز من الأرض أي مرتفع، وأكتادها جمع كتد وهو العظم الذي يكون في رأس الكتف وقب ضامرة. (٥) شعناً مغبرين يعني مقربين من الله تعالى، تعادى أصله تتعادى تسابق، سراحين ذئاب الواحد سرحان الغضا شجر غليظ يدوم جمره، ميل الحماليق مائلة العيون يبارين، يعارضن، الشبا جمع شبة: وشبة كل شيء حده. (٦) يحملن أي الخيل شمري مأخوذ من التسمير، باسل شجاع، شهم الجنان حديد القلب، خائض داخل غمر الماء الكثير، الوغى الحرب (٧) يغشى يدخل، صلا حر النار كلظى. (٨) مثل صور، الحتف الهلاك، وقرنك الذي يقارنك في بطش أو قتال أو علم (٩) حى منع، المقدار المقدار، المهجة النفس، لرامها لطلبها وأو بمعنى حتى، ويستبيح: يدرك ذلك الشيء نافذاً أمره فيه وهو منصوب بأن مضمره بعد أو. (١٠) تغدو تأتي بالغدوة وورد تعدو أي تسرع.

بل قسماً بالشّم من يعرب هل لقسم من بعد هذا منتهى^١
 هم الألى أجرّوا ينابيع الندى هامية لمن عرا أو اعتقى^٢
 هم الذين دوّخوا من انتخى وقوّموا من صعر ومن صفا^٣
 هم الذين جرّعوا فما حلوا أفأوق الضيم بمراة الحسا^٤
 أزال حشوّ نثرة موضونة حتى أوارى بين أثناء الحشى^٥
 وصاحبي: صارم في منته مثل مدب النمل يعلو في الربى^٦
 أبيض كالملح إذا انتضيت لم يلق شيئاً حده إلا فرى^٧
 كان بين عيره وغربه مفتاداً تأكلت فيه الجذى^٨
 يري المنون حين تقفو إثره في ظلم الأكباد سبلاً لا ترى^٩
 ومشرف الأقطار خاطئ نحضه حابي القصيرى جرّش عرد النسى^{١٠}

(١) قسماً يميناً، بالشّم الطوال أو أشرف الناس، يعرب قبيلة من العرب تنسب إلى يعرب بن يشجب بن قحطان، لمقسم لحالف منتهى الغاية. (٢) ينابيع جمع ينبوع الندى الجود والكرم وهامية سائلة، عرا قصد وتعرض للطلب، أو اعتقى أو طلب من غير تعرض (٣) دوخوا أذلوا، انتخى تكبر، صعر تكبر أيضاً وأصل الصعر الميل وهو أن يميل الإنسان خده من التكبر والصفا الميل (٤) جرّعوا سقوا ما حلوا خاصموا، أفأوق هو شرب مقطع بنفس بعد نفس: الضيم الذل بمراة مدراة الحسا جمع حسوة وهو أخذك الشيء بفمك متجرعاً له قليلاً (٥) أزال جواب القسم محذوف منه لا. حشو ما أدخل في جوفه فكأنه صار حشواً إذا لبسها، نثرة درع واسعة موضونة بحكمة الذئج، أوارى أغطي وأثناء جمع ثنا وهو ما تشنى منها أي تراكب على بعض، الحشى جمع حشوة وهو الثوب المجتمع. (٦) صاحبي يعني سيفه وفرسه، مدب النمل ودبيبه مشيه. (٧) أنضيته جردته من غمده، وفرى قطع. (٨) العير هنا الموضع الناتئ في وسط السيف، الغرب الحد يعني حد السيف، مفتاً موضع النار أكل بعضها بعضاً والجذى جمع جذوة وهي الجمرة العظيمة (٩) المنون المنية وثقفو تتبع، سبلاً طرقاً (١٠) مشرف مرتفع عال، والأقطار النواحي، خاط غليظ؛ والنحض اللحم، مرتفع، القصير ضلع في الجنب وهي الضلع السفلى جرّش غليظ الأضلاع أو الضخم الصدر وهو محمود في الخيل وعرد الشديد من كل شيء، النسى عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعروق حتى ينتهي إلى الرسغ.

قريبُ ما بين القطاةِ والمطا بعيدُ ما بين القذال والصَّلا^١
 سامي التليل في دَسِيعٍ مفعَمٍ رحب اللبان في أمينات العُجى^٢
 رُكْبَنَ في حواشبٍ مَكْتَنَّةٍ إلى نسور مثل ملفوظ النوى^٣
 يرضخ بالبيد الحصى فإن رقى إلى الربى أَوْرى بها ثارَ الحبأ^٤
 يُديرُ إغليطين في ملمومة إلى لموحين بألحاظ اللأى^٥
 'مداخلُ' الحلقِ رحيبٌ شجره' تخلتولقُ الصهوة ممسودٌ وأي^٦
 يجري فتكبو الريحُ في غاياته حسرى تلوذ بجراثيم السحأ^٧
 لو اعتسفت الأرض فوق متنه يحويشها ما خفت أن يشكو الوجى^٨
 تظنه وهو يُرى محتجباً عن العيون إن دأى أو إن ردى^٩
 إذا اجتهدتَ نظراً في أثره قلت سنأ أو مض أو برقُ خفا^{١٠}

(١) القطاة مكان الردف والمطا الظهر كله: سمي بذلك لأنه يغطى أي يركب والقذال من رأس الفرس معقد عذاره أي حيث ينمقد عذاره وهو ما بين الأذنين والعدار هو اللجام، الصلا العجز وهو آخر الوركين. (٢) سامي هو العالي المرتفع والتليل هو العنق ودسيع مغرز العنق ودسيع في الظهر ومفعم ممتلىء والرحب: الواسع، اللبان الصدر وأمينات القويات الصحاح السالمات الصلاب والعجى جمع عجاية، وهي عصب مركب به شيء كفص الخاتم. (٣) ركبن يعني العجى، حواشب جمع حوشب، وهو عظم في باطن الحافر. مكتنة مستورة أو مكتنزة. (٤) ضخ يكسر، البيد جمع بيداء وهي القفار، رقى: ارتفع الرى جمع ربوة وأورى أوقدها الحبأ دابة تضيء بالليل اسمها الجباحب فرخم لضرورة الشعر. (٥) الإغليط وعاء ثمر المرخ شبه أذني الفرس بذلك وهو شبيه بقشور الباقلا الرطب تشبه آذان الخيل، وملمومة هي الهامة المجمعة. (٦) مداخل الحلق، بمجموعه، شجر هو مجتمع اللحيين (٧) فتكبو فتعثر، غاية هي منتهى جريه، حسرى منكشفة، تلوذ تلجأ، جراثيم جمع جرثومة وهو التراب الذي يجتمع في أصول الشجر، والسحأ ضرب من الشجر. (٨) اعتسفت الأرض قطعنها باعتساف منك أي على غير هدى، متنه ظهره، يحويشها يقطعها ويحرقها الوجى أن يبلغ الوجع إلى باطن الرسغ. (٩) دأى جرى وكذا ردى يقال دأى يدأى دأيا وردى يردى ردياً إذا جرى جرياً سريعاً (١٠) سنا الضوء وأومض أضاء أي لمع.

كأنما الجوزاء في أرساغ^١ والنجم في جبهته إذا بدا^١
 مما عتدي الكافيان فقد من أعددته فليئنا عني من نأى^٢
 فإن سمعت برحى منصوبة للحرب فاعلم أنني قطب الرحى^٣
 وإن رأيت نار حرب تلتظي فاعلم بأني مسعر ذاك اللظى^٤
 خير النفوس السائلات جهرة على طبات المرفقات والقنا^٥
 إن العراق لم أفارق أهله عن شأن صدني ولا قلى^٦
 ولا أطبسى عيني مذ فارقتهم شيء يروق العين من هذا الورى^٧
 هم الشناخيب المنيفات الذرا والناس أدحال سوام وهوى^٨
 هم البحور زاخر أذيتها والناس ضحضاح ثعاب وأضى^٩
 إن كنت أبصرت لهم من بعدهم مثلاً فأغضيت على وخز السفا^{١٠}
 حاشا الأميرين اللذين أوفدا علي ظلا من نعم قد ضفا^{١١}
 هما اللذان أثبتا لي أملا قد وقف اليأس به على شفا^{١٢}

(١) الجوزاء نجم معروف وهو التوأمان، وأرساغ جمع رسع وهو مفصل بين الحافر والوظيف من كل دابة، والنجم هو الثريا يصف غرة الفرس وتحجيلة، وبدا ظهر . (٢) المعتاد ما يتخذ عدة للدهر، فليئنا فليبعد من نأى إذا بعد (٣) برحى منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة أهلها إذا تماركوا، قطب : الحديد أو الخشبة التي تدور عليها . (٤) تلتظى تشتعل ومسعر موقد اللظى اللهب . (٥) جهرة عياناً، وطفية جمع طفية كنية : حد السيد والمرهفات السيوف الرقاق (٦) العراق قطر معروف على شاطئ دجلة والفرات وشأن بغض وصدني منعني وصرفني والقلى البغض . (٧) أطبى استمال، ويروق يعجب . (٨) الشناخيب أطراف الجبال واحدها شناخوب والمنفيات المرتفعات الطوال وهي الشواهد والذرا جمع ذروة وهي أعالي الجبال، وأدحال جمع دحل وهي الحفير الغامض من الأرض يتسع أسفله ويضيق أعلاه وهوى جمع هوة بمعنى الدحل (٩) زاخر الماء الكثير الفائض والآذي الموج وضحضاح الماء القليل . (١٠) أغضيت صبرت على المكروه وخز طعن غير نافذ وقيل الوخز الطعن بسرعة . (١١) أوفدا : أرسلوا، وضفا كثر، من قولهم : ضفا ذيل الفرس إذا كثر وطال (١٢) شفا الشيء، طرفه وحرقه .

تلافيا العيش الذي رنقه صرف الزمان فاستساغ^١ وصفا^٢
وأجريا ماء الحيا لي رعداً فاهتز غصني بعد ما كان ذوى^٣
هما اللذان سموا بناظري من بعد إغضائي على لذع القذى^٤
هما اللذان عمرا لي جانباً من الرجاء كان قدماً قد عفا^٥
وقلداني منة لو قرنت بشكر أهل الأرض عني ما وفى^٦
بالعشر من معشارها وكان كالبحسوة في آذي^٧ بحر قد طمى^٨
إن ابن ميكال الأمير انتائني من يند ما قد كنت كالشيء اللقا^٩
ومد ضبعي أبو العباس من بعد انقباض الذرع والباع الوزى^{١٠}
ذاك الذي ما زال يسمو للعلا بفعله حتى علا فوق العلا^{١١}
لو كان يرقى احد يحوده ويجده إلى السماء لارتقى^{١٢}
ما إن أتى بحر نداه معتف على أوارى علم إلا ارتوى^{١٣}
نفسى الفداء لأميري ومن تحت السماء لأميري الفدا
لا زال شكري لهما مواصلا لفظي أو يعتاقني صرف المنى^{١٤}

(١) تلافيا تداركا، رنقه كدره والمرنق الماء الكدر، صرف الزمان قفله من حال إلى حال واستساغ سلس في الحلق وطاب (٢) الحيا مقصور الغيث والخصب. ورعدا السعة في العيش فاهتز غصني وطال وأصل الهز التحريك، ذوى ذبل. (٣) سموا بناظري رفعا ناظري والباء للتعدية إغضائي تغافلي. لذع حرق، القذى ما يقع في العين (٤) قدماً قديماً عفا درس (٥) وقلداني منة: أي جعلها في عنقي وهو موضع القلادة، منة. نعمة وجمعها منن وقرنت قيسرت. ما وفى ما تمام ولا عدل شكرهم (٦) الحسوة الجرعة مما يشرب. الآذي الموج وطمى امتلأ وارتفع (٧) ابن ميكال هو عبدالله بن محمد بن ميكال وهو فارسي من أمراء فارس وانتائني نعشني واللقا الشيء المطروح. (٨) صنمى عضدي: وأبو العباس هو اسماعيل بن عبدالله المتقدم فمدح الأب والابن والذراع واحد والباع قدر مد اليدين ويطلق على الشرف والكرم. والوزى القصير. (٩) يسمو يرتفع (١٠) يرقى يرتفع. (١١) الندى الكرم معتف طالب للرغد أو أرى حرارة الشمس والنار. وعلم جبل صغير، ارتوى اكتفى من الماء وغيره (١٢) أو يعتاقني: أو يصرفني. أو بمعنى حتى والصرف للتقلب.

إن الألى فارقت من غير قلى ما زاغ قلى عنهم^١ وما هفا^٢
 لكن لي عزماً إذا امتطيته لمبهم الخطب فآه^٣ فأنفأى^٤
 ولو أشاء ضم قطريه الصبا عليّ في ظل نعم وغنى^٥
 ولا عبتني غادة^٦ وهنانة^٧ تضني وفي ترشافها برء الضنى^٨
 تفري بسيف لحظها إن نظرت^٩ نظرة غضي منك أثناء الحشا^{١٠}
 في خنداها روض^{١١} من الورد على النسرين بالألحاظ منها يحنى^{١٢}
 لو ناجت الأعصم لأنحط لها طوع القياد في شماريخ الذرا^{١٣}
 أو صابت القانت في مخلوق مستصعب المسلك وعر المرتقى^{١٤}
 ألهاه عن تسبيحه ودينه تأيسها حتى تراه قد صبا^{١٥}
 كأنما الصباء مقطوب بها ماء جنى ورد إذا الليل عسا^{١٦}
 يتاحه راشف^{١٧} برد ريقها بين بياض الظلم منها واللى^{١٨}
 سقى العقيق فالخزير فالملأ إلى النحيت فلقريّات الدنا^{١٩}

(١) من غير قلى من غير بغض، ما زاغ ما مال، ولا هفا ولا زال (٢) عزماً
 عقد أعلى فعل أمر، المبهم من الأمور المغلق، وآه شقه (٣) ضم قطريه جمع ناحيته
 نعم ما امتد عليه منه والنعم ضد البؤس وهو طيب العيش وسعته (٤) لأعبتني من
 اللعب ومعناه ما زحتني غادة الفتاة الناعمة وهنانة ثقيلة القيام والقعود وقيل الطيبة
 الحديث وتضني تسقم والصنى الهزال من المرض والترشاش المص في الثغر أو فوقه،
 برء الضنى ذهاب السقم أي هي تضني وفي تقبيلها البرء من السقم (٥) تفري تقطع،
 اللحظ النظر، غضبي مغاضبة. أثناء الحشى ما انثنى منها أي ما انعطف والحشا
 الكبد وما اتصل بها ٦. النسرين التور الأبيض والألحاظ النظرات جمع لحظة،
 يحنى يقتطف (٧) ناجت كلمت، الأعصم الوعل الذي في إحدى يديه بياض وربما
 كان البياض فيها وسائر يديه أسود أو أحمر، لأنحط لنزل، القياد التذلل (٨) صابت
 صادفت والقانت القائم بالمباداة ومخلوق الجبل الألس ومستصعب صعب والوعر
 الصعب والمرتقى المصعد (٩) ألهاه شغله، تأيسها أنسها وحديثها؛ صبا مال ولها
 (١٠) الصباء الحمرة ومقطب ممزوج، ماء جنى ورد أو ما أخذ من الورد طرياً،
 عسا الليل أظلم (١١) يتاحه يستقيه، راشف امتناول الشراب بشفتيه اللى سمرة.
 الشفتين (١٢) العقيق والخزير والملا والنحيت مواضع بالبصرة ونواحيها.

فالمَرِيدُ الأعلى الذي تَلْتَقَى به مصارعَ الأسدِ بالحَظِّ المَسْأُ ١
عَلَّ كُلُّ مُقَرَّمٍ سَمِتَ بِهِ مَأْثَرُ الْآبَاءِ فِي فَرَعِ الْعُلَا ٢
من الألى جَوْهَرُهُمْ إِذَا اعْتَزَوْا من جَوْهَرٍ مِنْهُ النَّسَبُ الْمُصْطَفَى ٣
صلى عليه الله ما جَنَّ الدُّجَى وما جرت في فَلَكَ شمسُ الضُّحَى ٤
حَوْنٌ أَغَارَتْهُ الْجَنُوبُ جَانِباً منها وَوَأَصَتْ صَوْبَهُ يَدُ الصَّبَا ٥
نَأَى يَمَانِيًّا فَلَمَّا انْتَشَرَتْ أَحْضَانُهُ وَامْتَدَّ كَسْرَاهُ غَطَا ٦
فَجَلَلُ الْآفَقِ فَكُلْ جَانِبِ منها كَانَ مِنْ قَطْرِهِ الْمِزْنُ حَبَا ٧
وَطَبَقَ الْأَرْضَ فَكُلْ بُقْعَةً منها تقول الغَيْثُ فِي هَاتَا ثَوَى ٨
إِذَا خَبَّتْ بُرُوقُهُ عَنَّتْ لَهَا رِيحُ الصَّبَا تُشِيبُ مِنْهَا مَا خَسَا ٩
وَأَنْ وَنَتَتْ رُعودُهُ حِداً بها راعي الجنوبِ فَحَدَّثَتْ كَمَا حَدَا ١٠

(١) المرید موضع بالبصرة بفتح الميم وكسر الباء . مصارع الأسد مواضع سقوطها عند الموت وأراد بالأسد الرجال وأراد أنهم صرعوا بالحظ المأسأ قتلهم لحاظ النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهي البقر الوحشي الواحدة مهاة وألحظ نظرات (٢) مقرم السيد الكريم وأصله فحل الإبل ومأثره جمع مأثرة الصنيعة الحسنة وفرع كل شيء أعلاه (٣) من الألى من الذين وجوههم أصلهم وإذا اعتزوا إذا انتسبوا والمصطفى المختار محمد ﷺ (٤) جن الدجى أظلم وستر . والدجى الظلمة (٥) جون فاعل سقى المقدمة وهي هنا السحاب الأسود وتأتي للأبيض ضده وأغارت أنزلت والجنوب الريح القبليّة تحيى بالمطر وواصت راصلت والصوب نزول المطر والصبا الريح الشرقية (٦) نأى يمانياً أي طلع من ناحية اليمن وأصل الحضن ما دون الإبط إلى الكشح وكسراه تثنية كسر وهو طنب الخبا وإنما كني بالكسرين عن أذيال السحاب ويريد أن السحاب جرت على الأرض أذيالها . وغطا ارتفع أو انبسط (٧) فججل ففطى والآفق الناحية وجمعها آفاق ومن قطره بضم القاف من ناحيته وجمعه أقطار والمزن السحاب والواحدة مزنة وحبا امتلأ ودنا يريد السحاب (٨) طبق الأرض، فكل بقعة فكل مكان وفي هاتا أي هنا وثوى أقام (٩) خبت بروقه أي خمدت وسكنت وعنت عرضت وتشب توقد (١٠) وإن وونت ضعفت وفترت، وحدا بها ساقها بالحاء وهو صوت السائق الذي يسوق الإبل بالغناء .

كَانَ فِي أَحْضَانِهِ وَبَرَكَهِ بَرٌّ كَاتِدَاعِي بَيْنَ سَجَرٍ وَوَحْيٍ^١
 لَمْ يَرَ كَالْمَزْنِ سَوَامًا يُهْلَا تَحْسَبُهَا مَرْعِيَّةٌ وَهِيَ سُدَى^٢
 تَقُولُ لِلْأَجْرَزِ لَمَّا اسْتَوْسَقَتْ بِسَوْقِهِ ثِقِي بَرِيٌّ وَحْيًا^٣
 فَأَوْسَعَ الْأَحْدَابِ سِنْبًا عُسْبًا وَطَبَّقَ الْبَطْنَانَ بِالْمَاءِ وَالرَّوْيِ^٤
 كَأَنَّمَا الْبَيْدَاءُ غِيبَ صَوْبِهِ بِحَرٍّ طَلَمًا تَيَّارُهُ ثُمَّ سَجَا^٥
 ذَاكَ الْجَدَا لَا زَالَ تَخْضُوصًا بِهِ قَوْمٌ هُمْ لِلْأَرْضِ غَيْثٌ وَجِيدَا^٦
 لَسْتُ إِذَا مَا يَهْطَلْتَنِي غَمْرَةً مِمَّنْ يَقُولُ (بَلِّغَ السَّيْلَ الزُّبَى)^٧
 وَإِنْ ثَوَّتْ تَحْتَ ضُلُوعِي زَفْرَةً تَمَلُّ مَا بَيْنَ الرَّجَا إِلَى الرَّجَا^٨
 نَهْنَهَتْهَا مَكْظُومَةٌ حَقَّ يُرَى تَخْضُوصُ ضِعْمًا مِنْهَا الَّذِي كَانَ طَعَا^٩
 وَلَا أَقُولُ إِنَّ عَرَّتْنِي نَكْبَةً قَوْلَ الْقَنُوطِ . انْقَدَّ فِي الْبَطْنِ السَّلَا^{١٠}

(١) كَانَ فِي أَحْضَانِهِ فِي نَوَاحِي هَذَا الْإِفْقِ فَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْإِفْقِ أَوْ عَلَى السَّحَابِ وَهُوَ أَحْسَنُ ، وَالْبَرَكُ الْأَوَّلُ الصَّدْرُ وَالثَّانِي الْإِبِلُ (٢) الْمَزْنُ السَّحَابُ وَسَوَامَا بِلَا رَاعِيَةٍ وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَحْلُبْ فَتَرَكْتَ ضَرْعَهَا مَلَأَى مِنْ أَلْبَانِهَا لِفَصَائِلِهَا . وَسُدَى الْمَهْمَلَةُ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا (٣) الْأَجْرَازُ جَمْعُ جَرَزٍ وَهِيَ الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ الَّتِي لَمْ يَصْبِهَا الْمَطَرُ وَاسْتَوْسَقَتْ حَمَلَتْ مَا يَكْفِيهَا مِنَ الْمَاءِ وَثِقِي بَرِيٌّ أَيُّ بِشْبَعٍ مِنَ الْمَاءِ وَحْيًا خَصْبٌ (٤) الْأَحْدَابُ جَمْعُ حُدُبٍ وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَغُلْظٌ وَسِيْبَا غَطَاءٌ ، مُحْسَبًا كَافِيًا وَطَبَّقَ غَطَى وَالْبَطْنَانُ جَمْعُ بَطْنٍ وَهُوَ الْقَامِضُ مِنَ الْأَرْضِ وَالرَّوْيُ الْمَاءُ الْكَثِيرُ (٥) الْبَيْدَاءُ الْفَقْرُ وَغِيبَ صَوْبَهُ عَقِبَ مَطَرِهِ وَانْتَصَبَ غِيبٌ عَلَى الظَّرْفِ وَالصُّوبُ نَزُولُ الْمَطَرِ (٦) الْجَدَا الْأَوَّلُ النَّائِلُ وَالْعَطَاءُ وَالَّذِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ الْجَدَاءَ بِالْمَدِّ وَهُوَ الْعَنَاءُ ثُمَّ قَصَرَهُ لِفُضْرَةِ الشَّعْرِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ (٧) يَهْطَلْتَنِي شَقَتْ عَلَيَّ وَغَمْرَةٌ هِيَ الْكُرْبَةُ وَالشَّدَّةُ وَاحِدَةُ الْغَمَرَاتِ وَالزُّبَى جَمْعُ زُبْيَةٍ وَهِيَ حَفْرَةٌ تَحْفَرُ لِلْأَسَدِ فِي الْمَكَانِ الْعَالِيِ مِنَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ يَبْلُغُهَا إِلَّا سَيْلٌ عَظِيمٌ وَهُوَ مِثْلُ تَضْرِبِهِ الْعَرَبُ إِذَا اشْتَدَّ بِأَحْدَمِ الْأَمْرِ (٨) ثَوَّتْ أَقَامَتْ زَفْرَةً هِيَ تَرْجِيْعُ الصَّوْتِ بِالْبُكَاءِ وَالرَّجَاءِ الْجَانِبِ (٩) نَهْنَهَتْهَا كَفَفَتْهَا وَزَجَرَتْهَا مَكْظُومَةٌ مُتَجَرِّعَةٌ وَتَخْضُوصُ مَتَذَلِّلًا وَطَعَا كَثْرًا وَتَكْبَرُ (١٠) عَرَّتْنِي أَصَابْتَنِي ، نَكْبَةٌ مُصِيبَةٌ الْقَنُوطُ الْيَأْسُ انْقَدَّ انْقَطَعَ وَالسَّلَا يَفْتَحُ السَّيْنُ الْمَشْتَبِعَةُ الَّتِي تَتَمَلَّقُ بِالْوَلَدِ وَتَسْقُطُ مَعَهُ .

قد مارست مني الخطوبُ مارساً يساورُ الهولَ إذا الهولُ علا^١
 ليَ التواءُ إن مُعاديَ التوى وليَ استواءُ إن مُواليَ استوى^٢
 طعمي شريٌّ للعدوِّ قارة والراح والاريُّ لمن ودِّي ابتغى^٣
 لدنٌ إذا لوينتُ سهلٌ معطفي ألوي إذا خُوشلتُ مرهوب الشدا^٤
 وصونٌ عريض المرء أن يبذل ما ضنَّ به مما حواه وانتضى^٥
 والحمدُ خيرٌ ما اتخذتُ عُدَّةً وأنفسُ الأذخار من بعد التقى^٦
 وكلُّ قرنٍ ناجمٍ في زمن فهو شبيه زمن فيه بدا^٧
 والناس كالنبت فمنهم رائقٌ غضٌ نضيرٌ عوده مرُّ الجنى^٨
 ومنه ما تقتحمُ العين فإت ذقت جناه أنساغَ عذبا في اللها^٩
 يُقومُ الشارخ من زيفانه فيستوي ما انعاجَ منه وانحنى^{١٠}
 والشيخ إن قوّمته من زيفه لم يُقم التثقيف منه ما التوى^{١١}
 كذلك الغصنُ يسيرٌ عطفه لدنا شديدٌ غمزه إذا عسا^{١٢}
 من ظلم النابى تحاموا ظلمه وعزَّ عنهم جانباه واحتفى^{١٣}

(١) مارست عاركت وضاربت ، الخطوب الامور ، مارساً شديداً ، يساور الهول ويطاوله والحول الشدة : علا ارتفع (٢) التواء انعواج ، معادي العدو ، الموالي الصديق الذي يوالي ، استوى اعتدل (٣) شري حنظل والأري العسل الابيض ابتغى طلب (٤) لدن لين ، لوينت أخذت باللين (٥) انتضى اختار (٦) عدة عمدة والاذخار جمع ذخير وهو المحبوه (٧) وكل قرن أي وكل أمة وناجم مرتفع (٨) رائع معجب والغض الطري الاخضر الناعم وكذلك النضير (٩) تقتحم العين تتركه كرهاً له وتعدوه إلى غيره وجناه ما اجتني منه وأنساغ سهل بلعه وعذبا حلواً واللها جمع لهاة وهي اللجمة المعلقة بأصل الحنك (١٠) الشارخ الشاب والحدث المستقبل للشباب وشرخ الشباب أوله (١١) من زيفه من ميله . لم يقم أي يقوم ، التثقيف التقويم ، ما التوى ما انعوج (١٢) لدنا ليناً والغمز التقويم عسا صلب . (١٣) تحاموا ظلمه تباعدوا عنه ، وعز عنهم امتنع والعزة الشدة احتفى امتنع .

عبيدُ ذي المال وإن لم يَطمعوا من غمره في جُرعة تشفي الصدى^١
وهم لمن أُملى أعداءُ وإن^٢ شاركهم فيما أفساد وحوى^٣
عاجتُ أيامي وما الغيرُ كمن تآزر الدهر عليه واعتدى^٤
لا يرفع اللبُّ بلا جدٍ ولا يحطُّك الجهلُ إذا الجد علا^٥
من لم يعظه الدهرُ لم ينفعه ما راح به الواعظ يوماً أو غدا^٦
من لم تُفدهُ غيراً أيامُـه كان العمى أولى به من الهدى^٧
من قاس ما لم يره بما يرى أراه ما يدنو إليه ما نأى^٨
من ملك الحرص القياد لم يزل يكرعُ من ماءِ الذل صرى^٩
من عارض الاطماع باليأس رنت^{١٠} إليه عين العز من حيث رنا^{١١}
من عطف النفس على مكروها كان الفنى قرينه حيث انتوى^{١٢}
من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخطا^{١٣}
من ضيع الحزم جبي لنفسه ندامة الذع من سفع الذكا^{١٤}
من ناط بالمعجب عرى أخلاقه نيطت عرى المقت إلى هاتيك العرى^{١٥}
من طال فوق منتهى بسطته أعجزه نيل الدنى بله القضا^{١٦}

(١) الغمر الماء الكثير الجرعة القليل من الماء تشفى تبرأ ، والصدى العطش
(٢) أُملى افتقر (٣) عاجمت أيامي أي امتحنتها واختبرتها الفر الذي لم يجرب
الامور وتآزر من الإزار (٤) لا يرفع اللب من الرفعة اي لا تعملو منزلته واللب
العقل وجمعه ألباب . والجد بالفتح الحظ والبخت (٥) راح أتى بالعشي . غدا
أتى بالغدو (٦) من لم تفده أي تكسبه عبراً جمع عبرة وهي التذكرة (٧) من
قاس من مثل ، وأراه ما يدنو أي ما يقرب . ما نأى ما بعد (٨) القياد الطاعة
يكرع أي يشرب بفيه بدون آلة ، وصرى الماء الدائم الذي قد طال مكثه
جمع صراة (٩) الاطماع جمع طمع ، واليأس انقطاع الرجاء ورننت نظرت .
(١٠) عطف أمال ورد، وقرينه صاحبه، وحيث انتوى أي حيث نوى من النية
بمعنى القصد. وقيل من النوى وهو البعد (١١) تقاصرت قصرت ، وفسيحاح
واسعات والخطا جمع خطوة (١٢) الحزم الاحتراس بالافعال، ندامة حسرة؛ الذع
أشد حرقة، سفع إحراق، الذكا التهاب النار (١٣) ناط علق وألصق، نيطت علقت
والمقت أشد الغضب (١٤) من طال من ارتفع، البسطة الفضيلة، أعجزه أضعفه .

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عني^١
وللفتي من ماله ما قدّمت يده قبل موته لا ما اقتنى^٢
وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى^٣
إني حلّبت الدهر شطريه فقد أمر لي حيناً وأحياناً حلاً^٤
وفرّ عن تجربة نابي فقل في بازلٍ راض الخطوب وامتطى^٥
واللوم للحُرّ مقيم رادع والعبد لا يردعه إلا العصا^٦
وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجسا^٧
كم من أخٍ مسخوطة أخلاقه أصفية الودّ لخلق مِرْقضى^٨
إذا بلوت السيف محموداً فلا تذمّه يوماً أن تراه قد نسا^٩
والطيرف يجتاز المدى وربما عن لمعداه عثار فكبا^{١٠}
من لك بالمهذب النذب الذي لا يجد العيب إليه محتطى^{١١}
إذا تصفحت أمور الناس لم تلف أمراً حاز الكمال فاكتفى^{١٢}
عول على الصبر الجميل فإنه أمتع ما لا ذ به أولوا الحجبا^{١٣}
وعطف النفس على سبل الأسى إذا استقر القلب تبريح الجوى^{١٤}

- (١) عني : قصد أو لزم . (٢) اقتنى اكتسب . (٣) لمن وعى لمن حفظ .
(٤) حلّبت الدهر جربته وشطريه نصفيه وأراد بشطريه أول زمانه وآخره
اونعيمه وبؤسه (٥) وفرّ عن تجربة نابي أي كشف عن أمره وهذا مأخوذ من قولهم
فر عن الدابة إذا فتح فاها ليعرف سنها وينظر صغرها من كبرها، البازل من الأبل
الذي أتت عليه تسعة أعوام وراض الخطوب : أذلها (٦) اللوم بالفتح من الملامة
وهي العتاب مقيم مصلح ، رادع كاف ، آفة العقل مضرته ومفسدته والهوى
الشهوة (٨) مسخوطة من السخط وهو ضد الرضا ، أخلاقه طبائعه أصفية الود
أخلصت له الود (٩) بلوت اختبرت ، نبا ارتفع عن المضرب ولم يقطع فيه شيئاً .
(١٠) الطرف بالكسر الكريم من الخيل يجتاز يحوز ، لمعداه لجريه وعثار مصدر
عثر يعثر عثاراً (١١) المهذب العاقل الظريف والتذب الرجل الخفيف في الحاجة .
(١٢) تصفحت نظرت واستيقظت . لم تلف : لم تجد ، اكتفى أجتزأ به .
(١٣) عول على الصبر أي ارجع اليه واعتمد عليه (١٤) الأسى : التصبرة .
(٢٧ جواهر الأدب - ٢)

والدهر يَكْبُو بالفق وتارة^١ لا تمجِبُ من هالك كيف هوى
 إن نجومَ المجدِ أُمِسَتْ أَفْلا^٢ وظله القالصُ أضْحَى قد أزى^٣
 إلا بقايا من أناس بهم^٤ إلى سبيل المكر مات يُقْتَدَى^٥
 إذا الأحاديث انتضت أنباءهم^٦ كانت كنش الروض غاداه السدى^٧
 لا يسمع السامع في مجلسهم^٨ هُجْراً إذا جالسهم ولا خنا^٩
 ما أنعم العيشة لو أن الفق^{١٠} يقبلُ منه الموت أسناء الرشا^{١١}
 أو لو تحلى بالشباب عمره^{١٢} لم يستلبه الشيب هاتيك الحلى^{١٣}
 والليل ملق بالموامي بركه^{١٤} والعيس يُنبئن أفاحيص القطا^{١٥}
 بحيث لا تُهدي لسمع نبأ^{١٦} إلا نشيم اليوم أو صوت الصدى^{١٧}
 شايعهم على السرى حتى إذا^{١٨} مالت أداة الرحل بالجلس الدوى^{١٩}
 قلت لهم : ان الهوينا غيبها^{٢٠} وهن فجد واتحمدوا غيب السرى^{٢١}
 وموَحش الأقطار طامِ مأوه^{٢٢} مدعثر الأعضاء مهزوم الجبا^{٢٣}

(١) يكبو يعثر (٢) أفلا غائبات، القالص المرتفع وفرس قالس طويل القوائم
 أزي قصر ونقص (٣) يقتدى يتبع فعلهم (٤) انتضت أظهرت من رضا الشيء إذا
 ظهر : الأنباء الأخبار ، النشر الرائحة الطيبة (٥) هجرا بضم الهاء القبيح من
 القول وكذا الخنا أيضاً . (٦) العيشة الحياة ، أسناء الرشا أرفعها وأعلاها .
 (٧) تحلى بالشباب لبسه وتزيينه لم يستلبه لم يجرده الحلى جمع حلية (٨) الموامي جمع مومة
 وهي القفر البرك الصدر ، العيس الأبيض من الأبل ينبئن يخرجن : أفاحيص القطا
 أو كارهها واحدها فحوص (٩) نبأ الصوت الخفي ونشيم اليوم صوته واليوم الهام ،
 الصدى ذكر الهام (١٠) شايعتم تابعتم على رأيهم في سير الليل ، أداة الرحل حوائج
 الرجل ، الجبس الرجل الثقيل الجبان ، الدوى الأحق (١١) وهن ضعف فجدوا
 فاجتهدوا (١٢) موَحش الأقطار يعني به بشراً أو حوضاً الموَحش ضد المونس
 والأقطار النواحي وطام مرتفع ، مدعثر مهذوم الأعضاء ما حواليه من صفائح
 الحجارة التي تعضده ، والجبا بفتح الجيم ما حول البشر أو الحوض .

كأنما الريشُ على أرجائه زرقُ نصال أرهفت لتُمتهى^١
 وردته والذئبُ يعوي حوله مُستكٌ سم السمع من طول الطوى^٢
 ومنتجج أم أبيه أمه لم يتخون جسمه مس الضوى^٣
 أفرشته بنت أخيه فأنثت عن ولد يُورى به ويشوى^٤
 ومرقبٌ مخلوق أرجاؤه مستصعب الملك وعرا المرتقى^٥
 والشخصُ في الآل يُرى لناظر ترمقه حيناً وحيناً لا يُرى^٦
 أوفيتُ والشمسُ تمجُّ ريقها والظل من تحت الحذاء محتذى^٧
 وطارق يُؤنسه الذئب إذا تضور الذئب عشاءً وانضوى^٨
 أوى الى ناري وهي مألَفٌ يدعو العفاة ضوءها الى القرى^٩
 لله ما طيفُ خيالٍ زائر تزفُّه للقلب أحلامُ الرؤى^{١٠}
 يحوب أجواز الفلا محتقراً هو لدجى الليل إذا الليل انبرى^{١١}

- (١) أرجاؤه نواحيه زرق نصال بيض نصال، أرهفت رقت، تمتهى تسقي الماء.
 (٢) وردته يعني وردت هذا الماء والهاء عائدة على الماء في قوله طام ماؤه .
 (٣) ومنتجج يريد رب وغصن منتجج أي مولود، أم أبيه أمه، يريد غصناً قطع
 من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للغصن بمنزلة الأب على
 الاستعارة والشجرة أم الفرع وأم الغصن لأنها منها فصارت أماً لأبيه وأماً له .
 (٤) أفرشته بنت أخيه حككت به غصناً آخر (٥) مرقب الموضع العالي الذي
 ينظر منه الى بعد ومخلوق أملس (٦) الشخص سواد الانسان وغيره تراه من
 بعد، والآل السراب . (٧) أوفيت أتيت ووصلت أي اليه وتمج تلقى ، وريقها
 لعابها، ولعاب الشمس إنما يكون في وقت الظهيرة (٨) وطارق الذي يجي بالليل
 وتضور صاح من الجوع . (٩) أوى الى ناري أي انضم الى ناري ومألَف الموضع
 الذي يجتمع فيه الأحباب والعفاة طلاب المعروف . (١٠) لله ما طيف ، اللام في
 هذا بمعنى التهجيب وما زائدة ، والطيف ما يراه النائم في صورة محبوبة ، خيال
 الشخص الذي يتخيل لك، وتزفه تحمله (١١) يحوب يقطع أجواز أوساط والفلا
 جمع فلاة وهي القفر من الأرض ، والدجى : الظلمة وانبرى اعترض .

سائله إن أفصح عن أنبائه أنى تسدّى الليل أم أنى اهتدى؟
 أو كان يدري قبلها ما فارس^١ وما مواميسها القفار^٢ والقرى^٣
 وسائلي بمزعجي في وطني ما ضاق بي جنبائه ولا نبا^٤
 قلت: القضاء ماللك^٥ أمر الفقى من حيث لا يدري ومن حيث درى
 لا تسألني واسأل المقدار هل يعصم منه وزر^٦ ومزدرى
 لا غرو إن لح زمان^٧ جائر فاعترق^٨ العظم المخ^٩ وانتقى^{١٠}
 فقد ترى الناحل مخضرا^{١١} وقد تلقى أخا الإقتار يوما قد غما^{١٢}
 يا هؤلئيا هل تشدتن لنسا ناقة البرقع عن عيني طلا^{١٣}
 ما أنصفت أم الصبيين التي أصبت^{١٤} أخا العلم ولما يصطبي^{١٥}
 استحي بيضا بين أفوادك أن يقتادك البيض اقتياد المهتدى^{١٦}
 هيهات ما أسفع^{١٧} هاتا زلة^{١٨} أطربا بعد المشيب والجللا^{١٩}
 يا رب ليل جمعت قطريه لي بنت^{٢٠} ثمانين عروسا تجتلي^{٢١}

(١) سائله يعني الخيال. وعن أنبائه يعني عن أخباره وإن أفصح أي وإن أبان
 وأنى كيف تسدّى قطع الليل بالسير، وأم أنى أي من أين (٢) أو كان يدري قبلها
 يريد قبل هذه الذروة، وما فارس يريد بلاد فارس، والمواميس واحدها مومة وهي
 الأرض المقفرة (٣) بمزعجي بمزيلي ومخرجي والياء بمعنى عن فكأنه قال وسائلي
 عن مزعجي الجناح بفتح الجيم الناحية (٤) لا غرو لا عجب، لح عرض فاعترق
 العظم أي أزال عنه اللحم، المخ الذي فيه المخ، انتقى استخرج منه النق وهو المخ
 (٥) القاحل اليابس، أخا الاقتار المقل من المال فما زاد واستغنى (٦) يا هؤلئيا
 هؤلاء ونشدتن طلبتن ناقة البرقع أي المتقنع به (٧) ما أنصفت أم الصبيين هذا
 تقول العرب تمدح به المرأة الكاملة العقل والصبيان ما يتخايل في بؤبؤ العين،
 أصبت أخا العلم أي رددته إلى الصبا (٨) استحي فعل أمر من الاستحياء بمعنى
 الحياء وبيضا شيبا وبين أفوادك جمع فود والفودان جانباً الرأس أي ناحيته من
 يمين وشمال، والبيض الثانية النساء المهتدى الأسير (٩) هيهات كلمة تبعيد وهما
 إشارة للمؤنث، وزلة خطيئة وسقطة، الجلا بفتح الجيم انحسار الشعر عن مقدم
 الرأس (١٠) جمعت قطريه أي جانبيه أول الليل وآخرة بنت ثمانين هنا الخمر
 وإنما سماها بنت ثمانين لأنه من شربها أوجبت عليه ثمانين جلدة وتجتلي من جلوت
 العروس وهو إظهارها.

لم يملك الماء عليها أمرها ولم يدنسها الضرام المحتضى^١
حينما هي الداء ، وأحياناً بها من دائماً إذا هيج^٢ يُشتفى
قد صانها الخمار لما اختارها ضنا بها على سواها واحتبى^٣
فهي ترى من طول عهد إن بدت في كأسها لأعين الناس كلا عى^٤
كأن قرن الشمس في ذرورها بفعلها في الصحن والكاس اقتدى^٥
نازعتها أرواح لا تسطو على نديمه شربه^٦ إذا انتشى^٧
كأن نور الروض نظم^٨ لفظه مُرتجلاً أو منشداً أو إن شدا^٩
من كل ما نال الفتى قد نلته والمرء^{١٠} يبقى بعده حسن الثنا^{١١}
فإن أعش صاحبته دهرى عالما بما انطوى من صرفه وما انتشى^{١٢}
وإن أمت^{١٣} فقد تناهت لذتي وكل شيء بلغ الحد انتهى^{١٤}

وقال المثقب العبدى الحكيم الجاهلي من قصيدة :

لا تقولن إذا ما لم ترد^١ أن تتم الوعد في شيء « نعم »
حسن قول^٢ « نعم » من بعد « لا » وقبيح قول « لا » بعد « نعم »
إن « لا » بعد « نعم » فاحشة^٣ فبلا فابدأ إذا خفت الندم
وإذا قلت « نعم » فاصبر لها بنجاز الوعد إن الخلف ذم^٤

(١) لم يملك الماء عليها أمرها يريد لم تمزج بالماء فتكسر حداثتها وسورتها ولم يغيرها والضرام الخطب الدقيق يوقد به الخطب الغليظ والمحتضى العود تحرك به النار. (٢) صانها حفظها، ضنا بخلها، احتبى ستر (٣) كلا عى يعني أنه يعنى من نظر إليها فكيف من شربها (٤) قرن الشمس شعاعها ، ذرورها طلوعها يقال ذرت الشمس إذا طلعت والصحن القدح الكبير الواسع ، والكاس القدح إذا كان فيه خمر، اقتدى اتبع أثره (٥) نازعتها ناولتها، أرواح الحسن المنظر الجميل لا تسطو لا تعدو النديم الصاحب، الشرة الحدة، انتشى سكر (٦) نور الروض زهر الروض مرتجلاً الذي يأتي بما يخطر على باله على البدئية بغير استعداد، وشدا غنى ومنه الشادي (٧) الثنا هنا الثناء وهو في الأصل علم للخير والشر (٨) تناهت لذتي بلغت النهاية.

أكرم الجار وراعِ حقه إن عِرفانَ الفقى الحق كرم
لا تراني راتعاً من مجلس فى لحوم الناس كالسبع الضرم
إن شرَّ الناس من يمدحني حين يلقاني وإن غبتُ شتم
وكلامٍ سيئٍ قد وقرت عنه أذناي وما بي من صمم
ولبعض الصفح والإعراض عن ذي الحنا أبقى وإن كان ظلم

وقال الأفوه الأزديّ أحد فحول شعراء الجاهلية وحكائها :

البيت لا يبنى إلا على عميدٍ ولا عمّاد إذا لم تُرس أوتادُ
فإن تجمّع أوتادُ وأعمدة يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كادوا
لا يصلحُ الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّأ لهم سادوا
تهدى الأمور بأهل الرأي ماصلحت فإن تولت فبالأشرار تنقاد
إذا تولى سراة الناس أمرهم فما على ذاك أمرُ القوم فازدادوا

وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ :

أما والله إن الظلم شؤمٌ ولا زال المسيءُ هو الظلومُ
إلى الديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ
ستنقطع اللذاذة عن أناس غداً عند المليك - من الملوم؟
لأمر ما تصرمت الليالي من الدنيا وتنقطعُ الهموم
سل الأيتام عن أمم تقضتْ ستنبيك المعالم والرسومُ
ترومُ الخلد في دار الدنايا فكم قد رام غيرك ما ترومُ
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للعنيفة يا نؤوم
لهوت عن الفناء وأنت تغنى فما شيءٌ من الدنيا يدوم
نموت غداً وأنت قرير عين من الشهوات في بلجِ تعوم

وقال :

عليك ببر الوالدين كليهما
ولا تصحب إلا تقياً مهنذباً
وقارن إذا قارنت حراً مؤدباً
وكف الأذى واحفظ لسانك واتق
ونافس ببذل المال في طلب العلى
وكن واثقاً بالله في كل حادث
وبالله فاستعصم ، ولا ترج غيرَه
وعض عن المكروه طرفك واجتنب
ولا تب في الدنيا بناء مؤمل

وبر ذوى القربى وبر الأباعد
عقياً ذكياً منجزاً للمواعد
فتى من بني الأحرار زين المشاهد
فديتك في ود الخليل المساعد
بهمة محمود الخلائق ماجد
يصنع مدى الأيام من شر حاسد
ولاتك في النعماء عنه يجاهد
أذى الجار واستمسك بمجمل الحماد
خلوداً فما حي عليها بخالد

وقال ايضاً :

قدم لنفسك في الحياة تزوداً
واهتم للسفر القريب فإنه
واجعل تزودك الخافة والتقى
واقنع بقوتك فالقناع هو الفنى
واحذر مصاحبة اللئام فإنهم
أهل المودة ما أنلتهم الرضا
لاتفش سرأما استطعت إلى امرى
فكما تراه بسر غيرك صانعا
لا تبدأن بمنطق في مجلس
فالصمت يحسن كل ظن بالفتى
ودع المزاح فرب لفظة مازح
وحفاظ جار لا تضعه فإنه

فلقد تفارقها وأنت مودع
أنأى من السفر البعيد وأشنع
فلعل حثفك في مسائك أسرع
والفقر مقرون بمن لا يقنع
منعوك صفو وداهم وتصنعوا
وإذا منعت قسمهم لك منقع
يفشي إليك سرائر استودع
فكذا يسرك لا محالة يصنع
قبل السؤال فإن ذلك يشنع
ولعله خرق سقيه أرقع
جلبت إليك بلائلا لا تدفع
لا يبلغ الشرف الجسم مضيع

وإذا استقالك ذو الإساءة عثرة فأقلته ، إن ثواب ذلك أوسع
وإذا ائتمنت على السرائر فاخفها واستر عيوب أخيك حين تطلع
وأطع أباك بكل ما أوصى به إن المطيع أباه لا يتضعض

وقال :

صن النفس واحملها على ما يزينها تعش سالماً والقول فيك جميل
ولا تُرينَ الناس إلا تجملاً نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غني النفس إن قل ماله ويفنى غني المال وهو ذليل
ولا خير في ود امرئ مُتلون إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغنيت عن أخذماله وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

وقال عبدالله بن جعفر الطالبي المتوفى سنة ٥٨٠ هـ :

إذا كنت في حاجة مرسلاً فأرسل حكماً ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى فشاور ليبياً ولا تعصه
وإن فاصح منك يوماً دنا فلا تتأ عنه ولا تقصه
وذا الحق لا تنتقص حقه فإن القطيعة في نقصه
ولا تذكر الدهر في مجلس حديثاً إذا أنت لم تحسه
ونص الحديث إلى أهلٍ فإن الأمانة في نصه
وكم من فتي عازب لبه وقد تعجب العين من شخصه
وإن سر تحسه أنوكا ويأتبك بالأمر من فسه

وقال أبو الأسود الدؤلي التابعي المتوفى سنة ٦٥ هـ :

حسدوا الفتي إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

وترى اللبيب 'محسداً لم يحترم
وكذاك من عظمت عليه نعمة'
فاترك 'مجاراة السفية فإنها
فإذا جريت مع السفية كما جرى
وإذا عتبت على السفية و'لمته'
يا أيها الرجل المعلم غيره
تصف الدواء الذي السقام وذو الضنى

كما 'يصح' به وأنت سقيم
وأراك 'تصلح' بالرشاد عقولنا
لا تَنهَ عن خُلُق وتأتي مثله
أبدأ بنفسك فأنها عن غيرها
فإنك يُقبل ما وعظت ويُقتدى
بالعلم منك ، وينفع التعليم

وقال العباس بن مرداس المتوفى سنة ١٦ هـ ، وأمه الحنساء الشاعرة :

ترى الرجلَ النحيف فتزُدريه
ويعجبك الطيرُ فتبتليه
فما عَظَمَ الرجالَ لهم بفخر
بغاثُ الطير أكثرها قراخاً
ضعافُ الطير أطولها جُسوماً
لقد عظم البعيرُ بغير 'لب'
يُصرِّفه الصبي بكل وجه
فإن أك في شرارك قليلاً
وفي أثوابه أسدٌ مزيرُ
فيخلف ظنك الرجل الطيرُ
ولكن فخرهم كرمٌ وخير
وأُمُ الصقرِ مِقلادةٌ تزورُ
ولم تطل البُرْاة ولا الصقور
فلم يستغن بالعظم البعير
ويحبسه على الحُسف الجرير
فإني في خياركم كثير

وقال الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ رضي الله تبارك وتعالى عنه :

دع الأيام تفعل ما تشاء	وطب نفساً إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثه الليالي	فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جلداً	وشيمتك السحابة والسخاء
يُغطي بالسحابة كل عيب	وكم عيب يغطيه السخاء
ولا حزن يدوم ولا سرور	ولا عُسر عليك ولا رخاء
ولا تُري الأعادي قط ذلاً	فإن شماتة الأعداء بلاء
ولا ترج السحابة من بخيل	فما في النار للظمان ماء
ورزقك ليس ينقصه الثاني	وليس يزيد في الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع	فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا	فلا أرض تقيسه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن	إذا نزل القضاء ضاق الفضاء

وقال عبدة بن الطيب المتوفى سنة ٣٩ هـ يوصي أبناءه :

ابني، إني قد كبرت ورأيت	بصري، وفي لمنظر مُستمتع
أوصيكم بتقى الإله فإنه	يمطي الرغائب من يشاء ويمنع
وببر والدكم وطاعة أمره	إن الأبر من البنين الأطوع
إن الكبير إذا عصاه أهله	ضاقته يداه بأمره، ما يصنع
ودعوا الضغائن، لا تكن من شأنكم	

إن الضغائن للقرابة توضع	يزجي عقاربته لبيعته بينكم
حرباً كما بعث المروق الأخدع	إن الذين تزوّنهم إخوانكم
يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا	وإذا مضيت إلى سبيلي فابعثوا
رجلاً له قلب حديد أصم	

إن الحوادث تخرمن وإغما عمر الفتي في أهله مُستَوْدَعُ
يسمى ويجمعُ جاهداً مستهتراً جداً ، وليس بأكَل ما يجمع

وقال قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١١ م من قصيدة :

وما بعضُ الإقامة في ديار يهانُ بها الفتي إلا بلاء
وبعضُ خلائق الأقسام داء كداء البطن ليس له دواء
يريد المرء أن يعطى مناهُ ويأبى الله إلا ما يشاء
وكل شديدة نزلت بقوم سيأتي بعد شدتها رخاء
ولا يعطى الحريصُ غنى لحرص وقد ينمى على الجود الثراء
غني النفس ما عمرت غني وفقر النفس ما عمرت شقاء
وليس بنافع ذا البخل مال ولا مزُر بصاحبه السخاء
وبعضُ الداء ملتصق شفاء وداء النوك ليس له شفاء

وقال صالح بن عبد القدوس المتوفى سنة ٨٥٥ هـ :

المرء يجمعُ والزمانُ يفرقُ ويظل يرقعُ والخطوب تمزقُ
ولأن بعادي عاقلاً خير له من أن يكونَ له صديق أحق
فاربأ بنفسك أن تصادقَ أحقاً إن الصديق على "صديق مُصدق
وزن الكلام إذا نطقت فإغما يبيدي عقول ذوي القول انطق
ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم من يستشارُ إذا استشير فيطرقُ
حق يحلُ بكل واد قلبه فيرى ويعرفُ ما يقول فينطق
ما الناس إلا عاملان فعاملٌ قد مات من عطش وآخرُ يفرق
والناس في طلب المعاش وإغما

بالجد يرزق منهم من يرزق

لو يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسْبَ عَقُولِهِمْ أَلَيْسَتْ أَكْثَرُ مِنْ ثَرَى يَتَصَدَّقُ
لَكِنَّهُ فَضَّلَ الْمَلِيكَ عَلَيْهِمْ هَذَا عَلَيْهِ مُوسِعٌ وَمُضِيقٌ

وقال أيضاً :

صَرَمْتُ حِبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْلِبُ
وَالدَّهْرُ فِيهِ تَصَرَّمٌ وَتَقَلَّبُ
وَكَذَلِكَ وَصْلُ الْغَانِيَاتِ فَإِنَّهُ
فَدَعَ الصَّبَا فَلَقْدَ عَدَاكَ زَمَانُهُ
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
دَعَاكَ عَنكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَإِخْشَ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
وَاللَّيْلِ ، فَاعْلَمْ ، وَالنَّهَارِ كَلَامُهَا
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكُ حِينَ كَسَيْتَهُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدَبْعَةٌ أَوْدَعْتَهَا
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعْتَهُ
تَبَاً لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
لَا تَأْمَنُ الدَّهْرُ الْخَوَّونَ لِأَنَّهُ
وَكَذَلِكَ الْأَيَّامُ فِي غَصَاتِهَا
وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْحَقِيرِ مَكَاةً
وَيُسَرُّ بِالترْحِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
لَا تَحْزَنُ فَالْحَرَصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ
كَمْ عَاجِزٌ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالزَّمْهَا تَفُزْ

وَالدَّهْرُ فِيهِ تَصَرَّمٌ وَتَقَلَّبُ
وَأَلْ بِبَلَقَعَةٍ وَبَرَقٌ خُلْتُبُ
وَاجْتِهَدْ ، فَعُمُرُكَ مَرْمَنُ الْأَطْيَبِ
وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ
وَإِذْ كُرُّ ذُنُوبِكَ وَإِبْكَهَا يَا مُذْنِبُ
لَا بُدَّ بِحِصِّي مَا حَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
أَنْفَاسَنَا فِيهِ تُعَدُّ وَتَحْسَبُ
بَلْ أَثْبَتَاهُ ، وَأَنْتَ لَا تَلْعَبُ
سَتَرْدُهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلِّبُ
دَارُ حَقِيقَتِهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ
وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ
مَا زَالَ قَيْدُهَا لِلرَّجَالِ يُهْذَبُ
مَضَضٌ يَذِلُّ لَهُ الْأَعَزُّ الْأَنْجَبُ
فَقَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
فِي الرِّزْقِ بَلْ يَشْقَى الْحَرِيسُ وَيَتَعَبُ
رَغَدًا وَيُحْزَمُ كَيْسٌ وَيُخِيبُ
إِنْ التَّقْيُ هُوَ الْبَهِي الْأَهْيَبُ

واعمل بطاعته تنل منه الرضا
أدّ الأمانة، والحيانة فاجتنب
واعلم بأن دعاءه لا يحجب
وإذا أصابك في زمانك شدة
فادع لربك إنه أدنى لمن
واحدّر مؤاخاة الدني لأنّه
واخترصديقك واصطفيه تفاخراً
ودع الكذوب ولا يكن لك صاحباً

إن الكذوب لبئس خيلاً يصحب
وذو الحسود وإن تقادم عهده
واحفظ لسانك واحترز من لفظه
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن
والسرّ فاكتمه ولا تنطق به
واحرص على حفظ القلوب من الأذى

فرجوعها بعد التنافر يصعب
إن القلوب إذا تنافر ودها
واحذر عدوك إذ تراه باسمياً
لا خير في ودّ امرئ مستملق
يعطيك من طرف اللسان حلاوة
يلقاك يحلف أنه بك واثق
وإذا توارى عنك فهو العقرّب
وإذا رأيت الرزق ضاق ببلدة
فأرحل فأرض الله واسعة الفضا
طولاً وعرضاً شرّهما والمغرب

وقال أبو الفتح البُسقي المتوفى ببخارى سنة ٤٠٠ هـ :

زيادة المرء في دُنْيَاهُ نقصانٌ ورِبحه غير محضٍ الخير خسرانٌ
أحسنُ إلى الناسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانٌ
يا خادِمَ الجسمِ كم تَسْمَى لخدمَتِهِ أطلب الربحَ مما فيه خسرانٌ ؟
أقبلْ على النفسِ واستكمل فضائلها فأنت بالنفسِ لا بالجسمِ إنسانٌ
وكن على الدهرِ مِعْوَانًا لذي أَمَلٍ يرجو ندادك فإن الحرَّ مِعْوَانٌ
واشدد يديك بجبلِ الله معتصما فإنه الركنُ إن خانتك أركانٌ
من يَتَّقِ اللهَ يُحمد في عواقبِهِ ويكفهِ شرَّ من عَزُّوا ومن هَانُوا
من استعانَ بغيرِ الله في طلبِ فإن ناصره عَجْزٌ وخذلانٌ
من كان للخيرِ مَناعًا فليسَ له على الحقيقةِ خلانٌ وأخذانٌ
من جادَ بالمالِ جادَ الناسِ قاطبةً إليه ، والمالُ للإنسانِ فِتْنَانٌ
مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسْأَلْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وعاشَ وهو قَرِيرُ الْعَيْنِ حَذْلَانٌ
مَنْ يَزْرَعُ الشَّرَّ يَحْصِدُ فِي عَوَاقِبِهِ ندامَةً ، ولْحَصْدِ الزَّرْعِ إِبْتَانٌ
من استنَامَ إلى الأَثَرِ نَامَ وَفِي رَدَائِهِ مِنْهُمْ صُلٌّ وَثَعْبَانٌ
كُن رِيَّتَ الْبَشَرِ إِنْ الْحَرَّ هَمَّتْ صحيفَةً وَعَلَيْهَا الْبَشَرُ عَنَوَانٌ
ورافقِ الرِّفْقَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ يَنْدَمْ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذُمَّمَ إِنْسَانٌ
وَلَا يَفِرَّكَ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقَ فَالْخُرْقُ هَدْمٌ وَرَفْقُ الْمَرْءِ بَنِيَانٌ
أَحْسَنُ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدَرَةٌ فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانٌ
فَالرَّوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَاغْمِهِ وَالْحَرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانُ يَزْدَانُ
صَنْ حُرُوجُكَ لَا تَهْتِكْ غَلَالَتَهُ فَكُلْ حَرًّا لِحَرِّ الْوَجْهِ صَوَّانٌ
دَع التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا فَلَيْسَ يَسْعُدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسْلَانٌ

لا ظلّ للمرء يعمرى من نهى وتقى
والناس أعوان من والته دولته
«سحبان» من غير مال باقل حصر
لا تودع السر وشاء به مذلاً
لا تستثمر غير نذب حازم يقبض
فللتدابير فرسان إذا ركضوا
وللأمور مواقيت مقدرة
فلا تكن عجلاً في الأمر تطلبه
كفى من العيش ما قد سد من عوز
وذو القناعة راض من معيشته
حسب الفقى عقله خلاً يعاشره
إذا نبأ بكرم موطن قل
يا ظالماً فريحاً بالعز ساعده
يا أيها العالم المرضى سيرته
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج
لا تحسبن سروراً دائماً أبداً
وكل كسر فإن الدين يجبره

وإن أظلتنه أوراق وأفنان
وهم عليه إذا عادته أعوان
و«باقل» في ثبراء المال سحبان
فيما رعى غنماً في الدو سرحان
قد استوى فيه إسرار وإعلان
فيها أبروا كما للحرب فرسان
وكل أمر له حد وميزان
فليس يحمّد قبل النضج بحران
ففيه للحُر قنيان وغنيان
وصاحب الحرص إن أثرى ففضبان
إذا تحاماه إخوان وخلائان
وراءه في بسيط الأرض أوطان
إن كنت في سنة فالدهر يقطان
أبشّر فأنت بغير الماء ريان
فأنت ما بينها لا شك ظمآن
من سرّه زمن ساءته أزمان
وما لكسر قنّاة الدين جبران

وقال ابن أبي بكر المقرئ سنة ٧٨٥ هـ :

زيادة القول تحكي النقص في العمل
إن اللسان صغير جرّمه وله
عقل الفقى ليس يغني عن مشاورة

ومنطق المرء قد يهديه للزلل
جرّم كبير كما قد قيل في المثل
كحيدة السيف لا تنفي عن البطل

إن المشاور إما صائب غرضاً أو مخطيء غير منسوب إلى الخطأ
لا تحقر الرأي يأتيك الحقير به فالنحل وهو ذباب طائر العسل
ولا يغرسك ود من أخي أمل حتى تجربه في غيبة الأمل
لا تجزعن لخطب ما به حيل تغني وإلا فلا تمجز عن الحيل
وقدر شكر الفتي لله نعمته كقدر صبر الفتي للحادث الجميل
وإن أخوف نهج ما خشيت به ذهاب حرية أو مرتضى عمل
لا تفرحن بسقطات الرجال ولا تهزأ بغيرك واحذر صولة الدول
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه فاطلب لنفسك ما تعلم به وصل
وكل علم جناه ممكن أبداً إلا إذا اعتصم الإنسان بالكسل
والمال صنه وورثه العدو ولا تحتج حياتك للاخوان في الأكل
فخير مال الفتي مال يصون به عرضاً وينفقه في أشرف السبل
وأفضل البر ما لا من يتبعه ولا تقدمه شيء من المطل

وقال الإمام علي الرضا المتوفى سنة ٧٧ هـ :

واعجباً للمرء في لذته يحرق ذيل التيه في خطرته
يزجره الوعظ فلا ينتهي كأنه الميت في سكرته
يبارز الله بعصيانه جهراً ولا يخشاه في خلوته
وإن يقع في شدة يبتهل فإن نجا عاد إلى عادته
إرغب لمولاك وكن راشداً واعلم بأن العز في خدمته
واتل كتاب الله تهد به واتبع الشرع على سنته
لا تحرصن فالحرص يزري بالفتى ويذهب الرّونق من بهجته
والحظ لا تجلبه حيلة كيف يخاف المرء من فوتته؟

ما فاتك اليوم سيأتي غداً ما في الذي قدّر من حيلته
والرزق مضمون على واحد مفاتيح الأشياء في قبضته
قد يُررق العاجز مع عجزه ويحرم الكيس مع فطنته
لا تنهر المسكين يوماً أتى فقد نهاك الله عن نهرته
إن عضك الدهر فكن صابراً
على الذي نالك من عضته
أو مسك الضر فلا تشكي إلا لمن تطمع في رحمته
لسانك احفظه وصن نطقه واحذر على نفسك من عثرته
فالصمت زين ووقار وقد يؤتى على الإنسان من لفظته
من أطلق القول بلا مهلة لا شك أن يعثر في عجلته
من لزم الصمت نجا سالماً لا يندم المرء على سكتته
من أظهر الناس على سره يستوجب البكي على مقلته
من مازح الناس استخفوا به وكان مذموماً على مزحته
من جعل الخمر شفاءً له فلا شفاء الله من علمته
من نازع الأقيال في أمرهم بات بعيد الرأس عن جنته
من لاعب الشعبان في كفه هيهات أن يسلم من لسعته
من عاشر الأحق في حاله كان هو الأحق في عشرته
لا تصحب النذل فتزدى به لا خير في النذل ولا صُحبته
من اعتراك الشك في جنسه وحاله فانظر إلى شيمته
من غرس الحنظل لا يرتجى
أن يجتني السكر من غرسته
من جعل الحق له ناصراً أيده الله على نصرته

وقال أبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ هـ :

أَنَلْهُو وَأَيَامُنَا تَذْهَبُ ؟ وَبَلْعَبُ وَالْمَوْتُ لَا يَلْعَبُ
عَجِبْتُ لَذِي لَعِبَ قَدْ لَهَا عَجِبْتُ وَمَالِي لَا أَعْجِبُ
أَيْلَهُو وَيَلْعَبُ مَنْ نَفْسَهُ تَمُوتُ وَمَنْزِلُهُ يَخْرِبُ
نَرَى كُلَّ مَا سَاءَنَا دَائِمًا عَلَى كُلِّ مَا مَرَّنا يَغْلِبُ
نَرَى اللَّيْلَ يَطْلُبُنَا وَالنَّهَارَ وَلَمْ نَنْدُرْ أَيُّهُمَا أَطْلُبُ
أَحَاطَ الْجَدِيدَانِ جَمِيعًا بِنَا فَلَيْسَ لَنَا عَنْهُمَا مَهْرَبُ
وَكُلُّهُ لَهْ مَدَّةٌ تَنْقُضِي وَكُلُّهُ لَهْ أَثَرٌ يُكْتَبُ

وقال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ :

الْجِدُّ فِي الْجَدِّ وَالْحَرَمَانُ فِي الْكَسْلِ فَانْصَبْ تُصَبُّ عَنْ قَرِيبِ غَايَةِ الْأَمَلِ
وَاصْبِرْ عَلَى كُلِّ مَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ صَبِرَ الْحُسَامُ بِكَفِّ الدَّارِعِ الْبَطْلِ
وَجَانِبِ الْحِرْصِ وَالْأَطْمَاعِ تَحْظُ بِمَا تَرْجُو مِنْ الْعِزِّ وَالتَّائِيدِ فِي عَجَلِ
وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى مَا فَاتَ ذَا حَزَنٍ وَلَا تَظَلْ بِمَا أُوتِيتَ ذَا جَنْدَلِ
وَاسْتَشْعِرِ الْحِلْمَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلَا تَسْرِعْ بِبَادِرَةِ يَوْمًا إِلَى رَجُلِ
وَلَا تَبْلُغْ بِشَخْصٍ لَا خَلَقَ لَهُ فَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ يَقُلْ
وَلَا تَمَارِ سَفِيهًا فِي مُحَاوَرَةٍ وَلَا حَلِيمًا لَكَي تَقْصِيَ عَنِ الزَّلَلِ
وَلَا يَغْفِرْكَ مَنْ يُبْذِي بِشَاشَتِهِ إِلَيْكَ خُدْعًا فَإِنَّ السَّمَّ فِي الْعَسَلِ
وَلَا أَرَدْتَ نَجَاحًا فِي كُلِّ آوْنَةٍ فَالْكُتْمُ أُمُورُكَ عَنْ حَافٍ وَمُسْتَعْمَلِ
إِنَّ الْفَقْرَ مِنْ بِمَاضِي الْحَزْمِ مُتَصِفٌ

وَمَا تَعُودُ نَقْصُ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

وَلَا يُقِيمُ بِأَرْضٍ طَابَ مَسْكَنُهَا حَتَّى يَقْدُرَ أَدِيمُ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
وَلَا يَضِيعُ سَاعَاتُ الزَّمَانِ فَلَنْ يَعُودَ مَا فَاتَ مِنْ أَيَّامِهِ الْأَوَّلِ

ولا يُراقب إلا من يُراقبه ولا يُصاحب إلا كل ذي نَبَل
ولا يعد عيوباً للورى أبداً بل يعتني بالذي فيه من الخلل
ولا يظن بهم سوءاً ولا حسناً بل التجارب تهديه على مهل
ولا يصد عن التقوى بصيرته لأنها للمعالي أوضح السبل
فمن تكن حلة التقوى ملابسه لم يخش في دهره يوماً من العطل
مَن لم تفده صروف الدهر تجربةً فيما يُحاول فليسكن مع الهمل
من سالتنه الليالي فليشق عجلاً منها بحرب عدو جاء بالحيل
من ضيع الحزم لم يظفر بحاجته ومن رمى بسهام العُجب لم ينل
من جاد ساد وأحيا العالمون له بديع حمدٍ بمدح الفعل مُتَّصِل

وقال حسام الدين الواعظي المتوفى سنة ٩٩٠ هـ :

من ضيَّع الحزم في أفعاله ندِمَا وظل مُكتئباً والقلب قد سَمِما
ما المرء إلا الذي طابت فضائله والدين زينٌ زينُ العاقل الفهما
والعلم أنفسُ شيءٍ أنت ذاخره فلا تكن جاهلاً تستورث الندما
تعلم العلم واجلس في مجالسه ما خاب قط لبيبٌ جالس العلما
والوالدين فأكرم تنج من ضرر ولا تكن نكيداً تستوجب النقما
ولازم الصمت لا تنطق بفاحشة وأكرم الجار لا تهتك له حرماً
واحذر من المزح كفي المزح من خطر كم من صديقين بعد المزح فاختصما
وصبر النفس وأرشد لها إذا جهلت وإن حضرت طعاماً لا تكن نهما

وقال عمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ مخاطباً ولده :

إعترِلْ ذِكْرَ الأغاني والغزلِ وقلِ الفصلَ وجانبِ من هزلِ
ودعِ الذكرَ لأيامِ الصبا فلأيامِ الصبا نجمٌ أَفْلِ

واترك الغادة لا تحفل بها تمس في عزٍ رفيع وتجل
وافتكروا في منتهى حُسن الذي أنت تهواه تجد أمراً جلل
واهجر الحرة إن كنت فتى

كيف يسعى في جنونٍ من عقل ؟
واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلباً امرئ، إلا وصل
ليس من يقطع طرفاً بطلا إنما من يتقي الله البطل
كنب الموت على الخلق فكم فل من جيش وأفنى من دول
أين غرود وكنعان ومن ملك الأرض وولسى وعزل ؟
أين من سادوا وشادوا وبنوا هلك الكل ولم تنف القل ؟
أين أرباب الحجى أهل النهى أين أهل العلم والقوم الأول ؟
سيعيد الله كلا منهم
أطلب العلم ولا تكسل فما أبعث الخير على أهل الكسل
واحتمل للفق في الدين ولا تشتغل عنه بمالٍ وخول
واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه
في ازدياد العلم إرغام العدا وجمال العلم إصلاح العمل
جمل المنطق بالنحو فمن يحرم الإعراب بالنطق اختبل
إنظم الشعر ولازم مذهبي في اطراح الرقد لا تبغ النح
فهو عنوان على الفضل وما

أحسن الشعر إذا لم يبتذل
أنا لا أختار تقييل يدي قطعها أجل من تلك القبل
مئلك كيسرى عنه تغني كيسة
وعن البحر اجتزاء بالوشل

إطرح الدنيا فمن عاداتها تحفض العالى وتعلي من سفل
عيشة الرأغب في تحصيلها عيشة الجاهل فيها أو أقل
كم جهول بات فيها أكثر وأعلم بات منها في علل
كم شجاع لم ينل فيها المنى وجبان نال غايات الأمل
فاترك الحيلة فيها واتكل إنما الحيلة في ترك الحيل
لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفسى ما قد حصل
قد يسود المرء من دون أب

وبحـن السبك قد ينفى الدغل
إنما الورد من الشوك وما ينبت العرجس إلا من بصل
قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه أم أقل
بين قنديل وبخل رتبة وكل هذين ان زاد قتل
ليس يخلو المرء من صيد ولو حاول العزلة في رأس الجبل
دار جار السوء بالصبر وان لم تجد صبراً فما أحلى الشغل
جانب السلطان واحذر بطشه

لا تمانيد من إذا قال فعل
ان نوصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل
قصر الآمال في الدنيا تفز دليل العقل تقصير الأمل
غب وررغباً تزد حباً فمن أكثر الترداد أقصاء الملل
لا يضر الفضل إقلال كما لا يضر الشمس أطباق الطفل
خذ بنصل السيف واترك غمده

واعتبر فضّل الفقى دون الخلل
حبك الأوطان عجز ظاهر فاغترب تلقى عن الأهل بدل
فبمكث الماء يبقى آسناً وسرى البدر به البدر ا كتمل

وقال العميد ابو إسماعيل الطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ^١ :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل^٢
 مجدي أخير أو مجدي أولاً شرع والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل^٣
 فيم الإقامة بالزوراء؟ لا سكنى بها ولا ناقتي فيها ولا جملي^٤
 ناء عن الأهل صفر الكف منفرد كالسيف عرّي متناه عن الحلل^٥
 فلا صديق اليه مشتكي حزني ولا أنيس اليه منتهى جذلي^٦
 طال اغترابي حتى حن راحلتي ورحلها وقرأ العسالة الذبل^٧
 وصح من لغب نضوي وعج لسا ألقى ركابي ولجّ الركب في عدلي^٨

(١) هو العميد ابو إسماعيل الحسين بن علي الملقب بمؤيد الدين المشهور بالطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ (٢) صانتني حفظتني والخطل الخطأ (٣) مجد وشرف وشرع سواء ورأد الوقت الذي بعد العصر وقبل الغروب [المعنى] شرفي وقت تجردي من الإمارة وشرفي وقت تسربلي بها سواء. إن حالي كالشمس في كون ضوءها وقت الضحى مخالفاً لضوءها وقت الطفل ولكنه لم ينقص من ذاتها الواحدة شيئاً، يفتخر بدوام شرفه على اختلاف الأزمان (٤) الزوراء : اسم لبغداد وناء بعيد . وصفر خال وعري جرد والحلل كسوة غمد السيف (٥) الجذل السرور [المعنى] اعتزلني الناس ببغداد فلم يأو إلي بها حبيب أبث إليه كدري من جور الزمان فيفرجه عني ويساعدني على صرفه ولا سمير أوصل اليه فرحي فيزيد سروري ويدفع وحشتي (٦) حن مال . والراحلة ما يرحل عليه من الأبل مذكراً كان أو مؤنثاً . والرحل العدة التي يركب عليها وقرأ ظهره والعسالة الاهتزاز والذبل الحافة (٧) ضج صوت . واللغب التعب ونضوي اي مضوي بمعنى مهزول وعج صوت وبرج تبادى . والعذل اللوم [المعنى] امتد بعدي حتى صوت من أجل تعب ركبتي وصوت لمثل ما صادف من تعب السفر إلى أصحابي الذين معي فيه وتماذوا في لومي على هذا السفر الذي امتد ولم ينته إلا لكي أطلب بامتداد بعدي عن وطني ثروة أتساعد بسببها على أداء عادة ثابتة ثبوت مروءة جهتي .

أريدُ بَسْطَةَ كَفِّ أَسْتَمِينُ بِهَا على قضاء حَقُّوقٍ لِلْعُسْلَى قَبْلِي
والدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي وَيُقْنِعُنِي من الْغَنِيمَةِ بعد السَّكْدِ بِالْقِفْلِ^١
وذي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمَحِ مُعْتَقِل بِمَثَلِهِ غَيْرَ هَيْئَابٍ وَلَا وَكَلِ^٢
حُلُوُ الْفَكَاهَةِ مَرُّ الْجَدِّ قَدْ مُزِجَتْ بِشِدَّةِ الْبَأْسِ مِنْهُ رَقَّةُ الْغَزَلِ^٣
طَرَدْتُ سَرْجَ الْكُرَى عَنْ وَرْدِ مَقْلَتِهِ وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالْمَقْلِ^٤
وَالرَّكْبُ مَيْلٌ عَلَى الْأَكْوَارِ مِنْ طَرْبِ صَاحٍ وَآخَرَ مِنْ خَمْرِ الْكُرَى ثَمَلِ^٥
فَقُلْتُ : أَدْعُوكَ لِلْجُلْسَى لَتَنْصُرَنِي وَأَنْتَ تَخْذُلُنِي فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ^٦
تَنَامُ عَنِّي وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ وَتَسْتَحِيلُ وَصَبَغُ اللَّيْلِ لَمْ يَحِلْ^٧
فَهَلْ تَعِينُ عَلَى غِيٍّ هَمَّتْ بِهِ وَالْغِيُّ يَزْجُرُ أحيانًا عَنِ الْقَشْلِ^٨
إِنِّي أريدُ طُرُوقَ الْحَيِّ مِنْ لُضْمٍ وَقَدْ حَمَاهُ رُمَاةٌ مِنْ بَنِي ثَعْلِ^٩

(١) يعكس يرد ويقنعني يرضيني والكد التعب والقفل الرجوع «المعنى» والزمن يرد على ما أرجوه ويحعلني بعد التعب في السفر والتفريب راضياً بالرجوع بدل الغنيمة التي هي مطمح نظري في تكبد المصاعب (٢) شطاط اعتدال القامة ومعتقل قابض وهيب خواف ووكل عاجز «المعنى» ورب صاحب اعتدل قامة كاعتدال صدر الرمح معتقل برمح مثله لا يخاف المخاوف ولا يعجز عن شيء من شؤنه ، التفتت الى وصف صاحب له بهذه الأوصاف وغيرها وهو اقتضاب على عادة البلغاء من الالتفات من فن الى آخر تنشيطاً للسامع (٣) مزجت خلطت والبأس الشجاعة ، ورقة الغزل لطف الكلام (٤) طردت أبعدت وصرح الكرى وثباته والورد الوصول والمقلة شحمة العين الجامعة للسوداء والبيضاء وأغرى أولع ، وسوام ثبات (٥) ميل منحني وطرب نشط وثل سكران «المعنى» وأصحابي منحنون على رحالهم ، فريق منهم نشط يقظ لم يتغلب عليه النوم وفريق آخر خمل متشاغل من تغلبه عليه (٦) الجلى الأمر العظيم ، وتخذلني تتركني والحادث الجلل العظيم (٧) تستحيل تتحول وصبغ ظلام ويحل شأني ينتقل (٨) غي ضلال ، ويزجر يمنع «المعنى» قد غفرت ما حصل من تقصيرك في بنومك فهل تساعدني على ضلال أردته ولا تخش عقابه بالذم على فعله . (٩) الطرروق المجيء ليلاً والحى القبيلة ، وإضم اسم جبل وحماه منعه ، ورماة كسعاة خفراء ، وثل قبيلة من طييء .

يَحْمُونَ بِالْبَيْضِ وَالسَّمْرِ اللَّدَانِ بِهِ
فَيَسِرُ بِنَا فِي ذِمَامِ اللَّيْلِ مُعْتَسِفًا
فَالْحُبُّ حَيْثُ الْعِيدَاوُ الْأَسْدُ رَابِضَةٌ
نَوْمٌ نَاشِئَةٌ بِالْجُزْعِ قَدْ سُقِيتْ
قَدْ زَادَ طَيْبُ أَحَادِيثِ الْكَرَامِ بِهَا
تَبَيَّتْ نَارُ الْهَوَى مِنْهُمْ فِي كَبِدِ
يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُبٍّ لَا حَيْرَ كَ بِهِمْ
يُشْفَى لَدَيْهِ الْعَوَالِي فِي بِيوتِهِمْ
لَعْلُ لِي إِمَامَةٌ بِالْجُزْعِ ثَانِيَةٌ
لَا أَكْرَهُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ قَدْ شَفَعَتْ
سُودَ الْغَدَائِرِ حَرَّ الْحُلَى وَالْحُلَلِ^١
فَوْنَفْحَةُ الطَّيِّبِ تَهْدِينَا إِلَى الْحِلَلِ^٢
حَوْلَ الْكِينَاسِ لَهَا غَابَ مِنَ الْأَسَلِ^٣
نِصَالُهَا بِمِيَاهِ الْغَنَجِ وَالْكَحَلِ^٤
مَا بِالْكَرَائِمِ مِنْ جَبْنٍ وَمِنْ بَخَلِ
حَرَّ شَى وَفَارَ الْقَرَى مِنْهُمْ عَلَى الْقَلَلِ^٥
وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الْحَيْلِ وَالْإِبِلِ^٦
بِنْهَلَةٍ مِنْ غَدِيرِ الْحَرِّ وَالْعَسَلِ^٧
يَدِبُ مِنْهَا نَسِيمُ الْبُرْءِ فِي عَلِي^٨
بِرَشْفَةٍ مِنْ نِبَالِ الْأَعِينِ النَّجَلِ^٩

(١) البيض : السيوف والسمر الرماح واللدان اللينة ، الغدائر الضفائر من الشعر ، والحلى ما تتحلى به المرأة ، والحلل الثياب المزركشة (٢) ذمام كفالة ، ومعترساً متكلفاً طريقاً غير مألوف ، والحلل بيوت القوم التي يحلون بها (٣) الحب : المحبوب ورابضة واقفة ، والكيناس بيت الظبي والغاب شجر يسمى بالأسل ملتف على بعضه ويكون مأوى الأسود « المعنى » المحبوب في مكان به الرقباء ورجال الحي مقيمة حول مكانه مستعدة برماح تصول بها على من يقرب منه (٤) نؤم نقصد والجزع منعطف الوادي ، والنصال السيوف والغنج حسن شكل العيون والكحل سواد يعلو جفون العين خلقة « المعنى » نقصد بسيرنا قبيلة تربض في منعطف الوادي قد أعطيت عيونها حسن الشكل والكحل (٥) مقرى : إكرام الضيف ، والقلل : جمع قلة وهي أعلى الجبل . (٦) إن نساء هذه القبيلة يقتلن ببراعة جماهن عشاقهن حتى أعدم حركتهم عشقهم لهن ، ورجالها لفرط كرمهم يذبجون جياد الأفراس والجمال لضيفهم . (٧) أي يبرأ من قتل في حبهن بأول شربة من ريق ثغرهن (٨) إمامة نزولاً ويدب يسري (٩) أكره أبغض ، والطعنة النجلاء الجرح المتسع برمح ، وشفعت قرنت ورشفة ونبال السهام المراد بها هنا اللحاظ والنجل الواسعات « المعنى » لا أبغض الوحزة الواحدة من رماح رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من لحاظ الأسين الواسعات لنسائها .

ولا أهابُ الصَّفاحَ البيضَ تسعدني بالملح من خلل الأستار والكتل^١
ولا أخلُ بغزْ لَانٍ تُغْزِلني ولو دَهْتَنِي أسودُ الغيلِ بالغيل^٢
حُبُّ السلامة يثني عزمَ صاحبه عن المعالي ويقري المرءَ بالكسل^٣
فإن جَنَحْتَ اليه فاتخذَ نَفَقاً في الأرض أو سُلماً في الجوفاعتزل^٤
ودَعَ غمارَ العلَى للمقدمين على ركوبها واقتنِيعَ منهم بالبلل^٥
يرضى الذليلُ بخفض العيشِ مَسْكَنَةً والعزُّ عند رَسيم الأنيقِ الدلّل^٦
فادرأ بها في نخور البيد جافلةً معارضاتٍ مثاني اللجُم بالجدل^٧
إن العلَى حدثتني وهي صادقةٌ فيما تحدثت أن العزَّ في النقل^٨
لو أن في شرف المأوى بلوغَ مَنى لم تبحر الشمس يوماً دارةً الحمل
أهبتُ بالخط لو ناديت مستمعاً والخط عني بالجهال في شغل
لعلَّ إن بدا فضلي ونقصهم لعينه فام عنهم أو تنفّسه لي
أعللُ النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحةُ الأمل
لم أرَ تَض العيشَ والأيام مُقبلةً فكيف أرضى وقد ولت على عجل
غالى بنفسي عرْفاني بقيمتها فصنتها عن رخيص القدر مُبتذل
وعادة السيف أن يزهي بجوهره وليس يعملُ إلا في يدَي بطل

(١) الصفاح : السيوف، وخلل الثقب الخفيف النافذ في الشيء والكل ستر يحاط به شبه الناموسية « المعنى » ولا أخاف ضرب السيوف من رجال هذه القبيلة مسعدة لي بخفيف نظري لها من ثقوب أستار بيوتهن وحجراتهن (٢) أي لا أترك النظر من خلل الأستار إلى نساء هذه القبيلة التي تحادثنني ولو أصابتنني شجعانها بالهلاك فجأة (٣) أي الرغبة في النجاة من المشاق قصر عزم ملازمها عن مكاسب الشرف وتولعه بالتشاغل والفطور عنها (٤) النفق كجبل سرب في الأرض له منفذ من مكان آخر (٥) غمار كثير والبلل القليل (٦) رسم سرعة، والأنيق الدلّل أي الإبل المروضة التي ليست يجموحة (٧) أدفع بهذه الأنيق في أوائل الصحاري، مسرعة مقابلات بأزمتها أعنة الخيل التي تصحبها في السير أي غير متأخرة عنها فيه (٨) النقل التحول والانتقال .

ما كنت أوثق أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والسفيل
تقدمتني أناسٌ كان شوطهم وراء خطوي لو أمشي على مهل
هذا جزاءُ امرئٍ أقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الأجل
فإن علاني من دوني فلا عجب لي أسوةً بأنحطاط الشمس عن زحل
فاصبرْ لها غير مُتَمَلِّ ولا ضَجِرْ في حادث الدهر ما يُغني عن الحيل
أعدى عدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دحل
فإنما رَجُل الدنيا وواحدُها من لا يعول في الدنيا على رَجُل
وحسن ظنك بالأيام معجزةٌ فَظَنُّ شراً وكن منها على وجَل
غاض الوفاءُ وفاض الغدرُ وانفرت

مسافةُ الخلفِ بين القول والعمل وشان صدقك عند الناس كذبهم
إن كان ينبجس شيءٌ في ثباتهم وهل يطابق مَعْوَجٌ بمُعْتَدِل
يا واداً سؤر عيشٍ كله كدرٌ على العمود فسبق السيف للعدل
فيمَ اقتحامك لبحر البحر تركبه ؟ أنفقت صفوك في أيامك الأول
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا وأنت تكفيك منه مصةُ الوشل
ترجو البقاء بدار لا ثبات بها يحتاج فيه إلى الأنصار والحوّل
ويا خبيراً على الأسرار مُطلعا فهل سمعتَ بطل غير مُستقل ؟

أصمت ففي الصمت مَنجاةٌ من الزلل قد رشحك لأمر إن فطنت له
فأربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وقال المرحوم عبدالله باشا فكري يخاطب نجله المرحوم أمين باشا :

إذا نام غرٌّ في دُجى الخطب فاسهر وقم للمعالي والعوالي وشمس
وخلْ أحاديثَ الأمانى فإنها 'عللة' نفس العاجز المتحير
وسارعْ إلى مارُمت مادمت قادراً عليه فإن لم تبصرِ النجى فاصبر

ولا تأتِ أمراً لا ترجي تمامه
وأكثر من الشورى فإنك إن تصيب
ولا تستشر في الأمر غير مجرب
ولا تبغ رأياً من خؤون خادع
فمن يتبع في الخطب خدعة خائن
ومن يتبع في أمره رأي جاهل
ولا تصغ في رد الصديق لكاذب
ولا تغتر تندم ولا تك طامعاً
وعود مقال الصديق نفسك وارضه
ودع عنك إسراف العطاء ولا يكن
ولا تقف زلات العباد تعدها
ولا تتعرض لاعتراض عليهم

ولا موردأ ما لم تجد حسن مصدر
تجد مادحاً أو تخطئ الرأي تعذر
لأمثاله أو حازم متبصر
ولا جاهل غر قليل التدبر
يعض بنات النادم المتحسر
يقنعه إلى أمر من الغي منكر
توم وإن يعرض لك الشك فاخبر
تذل ولا تحقر سواك تحقّر
تصدق ولا تركن إلى قول مفتر
لكفيك في الإنفاق إمساك مقتر
فلست على هذا الورى بمسيطر
دع الخلق للخلق تسلم وتوجسّر



وقال عبد القيس بن خفاف البرجمي المتوفى سنة ٥١ هـ :

أبني إن أباك كارب يومه
أوصيك إيصاء امرئ لك ناصح
الله فاتقيه وأوف بنذره
والضيف أكرمه فإن مبيتته
واعلم بأن الضيف خبر هله
وصل الموصل ما صفا لك وده
واحذر محل سوء لا تحلل به
واستأن تظفر في أمورك كلها

فإذا دُعيت إلى المكارم فاعجل
طبن برّيب الدهر غير مُغفل
وإذا حلفت مमारياً فتحلل
حق ولا تك لعنة للنزل
ببيت ليلته وإن لم يسأل
واجذذ حبال الخائن المتبدل
وإذا نبا بك منزل فتحول
وإذا عزمت على الهدى فتوكل

واستغنِ ما أغناكَ ربك بالغنى وإذا تصيبك خصاصة ، فتحتمل
وإذا امتقرت فلا تكن متجشماً ترجو الفواضل عند غير المفضل
وإذا تشاجرَ في فؤادك مرة أمان فاعمدْ للأعف الأجل
وإذا هممت بأمر سوء فاثمد وإذا هممت بأمر خير فاعجل

وقال فقيه اللغة ناصيف بن عبد الله اليازجي اللباني المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ :

دع يومَ أمس وخذ في شأن يوم غد واعدد لنفسك فيه أفضل العُدَدِ
واقنع بما قسم الله الكريم ولا تبسط يدك لتسبل لرزق من أحد
والبس لكل زمان بُردة حضرت حتى تحاك لك الأخرى من الرد
ودر مع الدهر وانظر في عواقبه حذار أن تبتي عيناك بالرمد
مى ترى الكلب في أيام دولته فاجعل لرجليك أطواقاً من الزرد
واعلم بأن عليك العارَ تلبسه من عضه الكلب لا من عضه الأسد
لا تأمل الخير من ذي نعمة حدثت فهو الحريص على أثوابه الجسد

وقال مؤلف هذا الكتاب السيد أحمد الهاشمي معارضاً لامية الطغرائي :

عليك بالصبر والإخلاص في العمل ولازم الخير في حيل ومبر تحيل
وجانب الشر واعلم أن صاحبه لا بد يحزاه في سهل وفي جبل
وانبت ثبات الرواسي الشاخات ولا تركز إلى فشل في ساعة الوهل
وكن كرضوى لما يعرف من نوب ولا تكن جازعاً في الحادث الجلل
واصبر على مضض الأيام محتملاً ففيه قرع لباب النجح والأمل
تأن متشداً فيما تروم ولا تعجل وإن خلق الإنسان من عجل
لا تطلب العز في دار ولدت بها فالعز عند رسيم الأيتنق الذلل
شتر وجد لا أمر أنت طالبه إذا لا تنال المعالي قط بالكسل

واحذر مساويء أخلاق تشان بها وأسوأ السوء سوء الخلق والبخل
واخفض جناحك للمولى وجد ونل ما أقبح الكبر والإمساك بالرجل
لا تسأل النذل واقصد ماجداً حدياً

في طلعة الشمس ما يُغنيك عن زحل
ولا تجادل جهولا ليس يفهم ما تقول فالشر كل الشر في الجدل
ولا تكن لنزول الخطب مضطرباً في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
الجلود أحسن ما أوليت من خلق والعفو أنقى لداء الضغن والدخل
والحلم ملجأ فساد الأمر يصلحه والبذل خير فيعال الماخذ البطل
لا تقتمحم غمرات البحر مرتكباً وأنت يكفيك منه مصّة الوشل
ولا تعاشر سوى حزم أخا ثقة وارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل
لا تنخدع لصديق يدعي ملقاً

بل حاذر الناس واصحبهم على دخل
لا تأمن أحداً واحذر مكائدهم وظن شرّاً وكن منهم على وجل
ولا تغرّنك الدنيا بزهرتها فهل سمعت بظل غير منتقل
إن الغني غني النفس في كرم بالطبع لا باقتناء الشاء والابل
إن الصنيعة للأندال تُفسدهم كما تضر رياحُ الورد بالجُعل
مرارة النصيح تحولي مضاضتها ورُبما صَحَّت الأجسام بالعلل
دع التكلف لا يجديك منفعة ليس التكهّل في العيين كالكل
أرى الرعاء رعاء الشاء في ترفٍ في أرفع العيش بين الخيل والحوّل
وسادة العضر قد ألقوا مقاليدهم الى الطغام شِرار الناس والسفل
تحكوا في قضايا الناس واحتكوا وحكوا كل ذي جمل أخى خبل
من كل غرّ جهول لا يرى رشداً كباقل مثلاً في العي والخل
تغنساً لشرّ زمان ظل طوع يد اللثام يسقيهم غلا على نهل

القبضُ والبَسْطُ في أيدي ذوي شطط

من كلِّ سكران من خمر الهوى ثمل

تَسْطُو الكلابُ على أسدِ الشرى سَفْهاً

والباز الأشهب يخشى صَوْلَةَ الحِجَلِ

والقرد يضحك من نمر على هُزُو

نالَ المرامَ عُلُوجٌ لا خلاقَ لهم

أَمْلى لهم دَهْرُهُمْ فاستمهلوا أبدأ

شرُّ العصور زمانٌ يستمد به

لا يعلم الرُّشدَ من غَيِّ وليس له

يشكو الطوى كل ذي فضل وذو أرب

وسوقَةُ الناس في رغد وفي جذل

مالي وللبلدة الحقاء أسكنها

وليس لي ناقةٌ فيها ولا جمل

لا يستقيم وفاقٌ لي بمثلهم

قد ذقتهم وبلوت الحال عندهم

لا يفعلون إذا قالوا فقد بعدت

أضحت مواعيد عُرُقوب لهم مثلاً

أشكو الزمان وأهليه وأمقتهم

سأت سريرتهم، حالت طريقتهم

علم بلا عمل، حُكم بلا حكم

الإفك والزور والبهتان عندهم

الكذب مستحسن والصدق عندهم

أهنى الطعام لحوم الناس عندهم

والنمُّ فيما لديهم شربة العسل

نكثُ العهود سجاياهم ودأبهم
يا دهرُ مالك والأحرار تقهرهم
حتى متى يا زمان السوء تفعل ما
تؤخر الفاعل المرفوع تحفظه
وساقة الجيش قد أضحت مقدمة
فلست أحفظ في ذي الدهر من أسف
واهاً لقلبي يوم البين إذ ظعنوا
فالعين في لجج والقلب في شعل
كيف التصبر من ناري نوّى وجوّى ؟

وفي الحشا نلّكُ جُرح غير مندمل
فقد فقدتُ الألى كانت بيهجتهم
نور النواظر في الأحداق والمقل
لم أكتحل بقرار بعد ما ارتحلوا
ولا ابتغيت لهم في الناس من بدل
لم يبق لي الدهر بعد البين من جلد
ما أستطيع به توديع مرتحل
ولا من الدمع ما أبكي على طلل
والروح في وصب واللب في ذهل
منادماً ، وسير غير منفصل
قلبي على لهب والجسم في نصب
أنت على عجل كالقابس العجل
حسي الغرام حليف والجوى أبداً
خزما محبرة غيداء غانية
من خاطب لبنات النظم في عطل
جاءت من الهاشمي لا تبغني مهراً



وقال محمد اليمني الملقب بنجم الدين المتوفى سنة ٥٦٩ هـ :

ولا تحقّرني كيد الضعيف فربما
وقد هدّ قدام عرش بلقيس هدّ هُدّ
توتُ الأفاعي من سموم العقارب
وخربّ حفر الفأر سد مأرب
عليه من الانفاق في غير واجب
يكر علينا جيشه بالهجائب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك
إذا كان رأس المال عمرّك قاحترز

وما راعني غدرُ الشبابِ لأنني أنستُ بهذا الخلق من كل صاحب
وغدَرُ الفتى في عهدي ووفائيهِ وغدر المواضي في نبؤ المضاربِ

وقال الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ :

سامح أخاك إذا خلطَ منه الإصابة بالغلَسَطُ
وتجافَ عن تعنيفِهِ إن زاغَ يوماً أو سَقَطُ
واحفظ صنيعةَكَ عنده شَكَرَ الصنيعة أو غَمَطُ
وأطِعه إن عاصى، وهُنْ إن عزَّ، وادن إذا شَحَطُ
واقن الوفاءَ ولو أخَلَّ بما اشترطت وما اشترط
واعلم بأنك إن طلبتَ مُهذَّباً رُمْتَ الشطط
مَن ذا الذي ماساءَ قطْ ومَن له الحسنَى فقط ؟

وقال أيضاً :

اسمع أخَيَّ وصيَّةً من ناصح لا تَعَجِلْ بِقَضِيَّةٍ مَبْتَوَّةٍ
وقِفِ الْقَضِيَّةَ فِيهِ حَتَّى تَجْتَلِيَ فَمَاكَ إِنْ تَرَ مَا يُشِينُ فِتْوَاهُ
واعلم بأن التبرُّقَ في عِرْقِ الثرى وفضيلة الدينارِ يظهرُ سرها
ومن الغباوة أن تُعْظَمَ جاهلاً أو أن تهينَ مُهذَّباً في نفسه
ماشاب محض النصيح منه بغشيه
ففي مَدْحٍ من لم تملهُ أو خدشيه
وصفيته في حالي رضاه وبطشه
كرماً وإن ترَ ما يزينُ فأفشيه
خافِ إلى أن يُسْتَشَارَ ببغشيه
من حكمه لا من ملاحه نقشه
ليصقال ملبسه ورَوِّقْ رَقْشيه
لدُروس بزته ورثته فرشه

الباب التاسع في العلم

قال مؤيد الدين الأصهباني المعروف بالطبرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ :

من قاس بالعلم الثراء فإنه في حُكْمِ أعمى البصيرة كاذبُ
العلم تحنُّدِه بنفسك دائماً والمال يَحْتَدُمُ عنك فيه نائِبُ
والمال يُسَلِّبُ أو يبيدُ لحادثٍ والعلم لا يُخْشَى عليه السالِبُ
والعلم نقشٌ في قِوَادِكِ راسخٌ والمال ظِلٌّ عن فَنَائِكِ ذاهِبُ
هذا على الإنفاقِ يَغْزُرُ فَيَنْضِهُ أبدأً وذلك حينَ مُتَنَفِّقٍ ناضِبُ

العلم أشرَفُ شيءٍ قاله رَجُلٌ من لم يكن فيه علم لم يكن رَجُلًا
تعلم العلمَ واعمل يا أَخِي بِهِ فالعلم زينٌ لمن بالعلم قد سَمِعِلَا

العلم مُبْتَلِغُ قومٍ ذُرْوَةَ الشَّرَفِ وصاحب العلم محفوظٌ من التلفِ
يا صاحبَ العلم مهلاً لا تُدَنِّسْهُ بالموبقاتِ ، فما للعلم من خلفِ
العلم يرفع بيتاً لا عِمَادَ له والجهل يهْدِمُ بيتَ العِزِّ والشرفِ

لو كان نور العلم يُدْرِكُ بالمنى ما كان يبقى في البرية جاهل
اجهد ولا تكسل ولا تَكُ غافلاً فندامة العقبى لمن يتكاسل

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسادهم دونَ القُبُورِ قُبُورُ
وإنْ امرأ لم يُخَيِّرْ بالعلم قلبه فليس له حَتَّى النشورُ نُشُورُ

لكلُّ بُحْدَةٍ في الوَرَى نفعٌ فاضِلٌ وليس يُفِيدُ العلم من دونِ عامِلِ
يُسَابِقُ بعضُ الناس بعضاً يخدمُ وما كلُّ كَرٍّ بالهَوَى كَرٌّ بِاسِلِ
إذا لم يَكُنْ نفعُ الذي العلم والحجَا فما هو بين الناس إلا كجَاهِلِ

كذلك إذا لم ينفع المرء غيره يُعَدُّ كَشَوَكٍ بَيْنَ زَهْرٍ الْخَائِلِ

يا ساعياً وطلابُ المالِ همته
عليك بالعلم لا تطلب له بدلاً
والعلم يُجْنِدِي وَيَبْقَى لِلْفَقْرِ أَبَداً
هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لَصَاحِبِيهِ
إِنِّي أُرَاكَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَالدِّينِ
واعلم بأنك فيه غيرُ مَغْبُونٍ
وَالْمَالُ يَفْنَى وَإِنْ أَجْدَى إِلَى حِينٍ
مَا زَالَ بِالْبَعْدِ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ

العلم زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لَصَاحِبِهِ
كَمْ سَيِّدٍ بَطَلَّ آبَاؤُهُ نُجُبٌ
وَمُقَرَّرٌ خَامِلٌ الْآبَاءُ ذِي أَدَبٍ
العلم كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ شَخْصاً ثُمَّ يَحْرِمُهُ
وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَداً
يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نَعَمْ الذَّخْرُ تَجْمَعُهُ
فَاطْلُبْ هُدَيْتَ فَنُونَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
كَانُوا الرُّؤُوسَ فَأُمْسَى بَعْدَهُمْ ذَنَبًا
قَالَ الْمَعَالِي بِالْأَدَابِ وَالرُّتَبَا
نَعَمْ الْقَرِينِ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحْبًا
عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذَّلَّ وَالْحَرْبَا
وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ الْفُوتُ وَالسَّلْبَا
وَلَا تَعْدِلُنَّ بِهِ دُرّاً وَلَا ذَهَبَا

بالعلم والعقل لا بالمال والذهب
فالعلم طَوْقُ النِّهْيِ يَزْهَوُ بِهِ شَرْفَا
كَمْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ أَشْخَاصاً إِلَى رُتَبِ
العلم كَنْزٌ فَلَا تَفْنَى ذَخَائِرُهُ
فَالْعِلْمُ فَاطْلُبْ لِكِي يُجْنِدِكَ جَوْهَرُهُ
يَزْدَادُ رَفْعُ الْفَقْرِ قَدْرُ آبِلَا طَلَبِ
وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يَبْلِيهِ بِاللَّعِبِ
وَيُخَفِّضُ الْجَهْلُ أَشْرَافَا بِلَا أَدَبِ
وَالْمَرْءُ مَا زَادَ عِلْمَا زَادَ بِالرَّتَبِ
كَالْقُوتِ لِلْجِسْمِ لَا تَطْلُبْ غِنَى الذَّهَبِ

العلمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبَا
ارْكُنْ إِلَيْهِ وَثِقْ بِاللَّهِ وَأَغْنِ بِهِ
وَكُنْ فَقِي سَالِكَا مُحْضِ التَّقَى وَرِعَا
وَكُنْ لَهُ طَالِبَا مَا عِشْتَ مُقْتَسِبَا
وَكُنْ حَلِيماً رَزِينُ الْعَقْلِ مُحْتَرِسَا
لِلدِّينِ مُغْتَنِمَا فِي الْعِلْمِ مُنْتَفِعَسَا

فمن تخلّق بالأدب ظلّ بها رئيس قوم، إذا ما فارق الرؤسا

الناس من جهة التّشتمال أكفاء
فإن يكن لهم في أصلهم شرف
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
وإن أتيت بجود في ذوي نسب
ففرز بعلم تعيش حيّا به أبداً
أبوهم آدم والأم حواء
يُفاخرون به فالطين والماء
على الهدى لمن استهدى أدلاء
والجاهلون لأهل العلم أعداء
فإن نسبتنا جوداً وعلياء
الناس موتى وأهل العلم أحياء

العلم يفرس كل فضل فاجتهد
واعلم بأن العلم ليس يناله
إلا أخو العلم الذي يزهو به
فاجعل لنفسك منه حظاً وافراً
فلعل يوماً أن حضرت بمجلس
ألا يفوتك فضل ذلك المفرس
من همه في مطعم أو ملبس
في حالته عارياً أو مكنتي
واهجر له طيب الرقاد وعبس
كنت الرئيس وفخر ذلك المجلس

وقال المرحوم أحمد شوقي بك في العلم والمعلم والتعليم :

قم للمعلم وفه التبجيلا
علمت أشرف أو أجل من الذي
سبحانك اللهم، خير معلم
أخرجت هذا العقل من ظلماته
وطبعته بيد المعلم ، تارة
أرسلت بالتوراة موسى مرشداً
وفجرت ينبوع البيان محمداً
كاد المعلم أن يكون رسولا
يبني وينشئ أنفساً وعقولا؟
علمت بالقلم القرون الأولى
وهديته النور المبين سبيلا
صدأ الحديد ، وقارة مصقولا
وابن البتول فعلم الإنجيلا
فسقى الحديث وناول التنزيلا

علمت يوناناً ومصرَ فزالتا
واليوم أصبحتا بحالٍ طفولةٍ
من مشرق الأرض الشمس تظاهرت
يا أرضُ منذُ فقد العلمُ نفسه
ذهب الذين حرموا حقيقة علمهم
في عالم صحب الحياة مُقيّداً
صرّ عته دنيا المستبد كما هوت
سقراط أعطى الكأس وهي منية
عرضوا الحياة عليه وهي غباوة
إن الشجاعة في القلوب كثيرة
أُمعلمي الوادي وساسة نشته
والحاملين إذا دُعوا ليُعلموا
ونيتُ خطا التعليم بعد محمد
حق رأينا مصرَ تخطو إصبعها
تلك الكفورُ وحشوها أُمية
نجدُ الذين (بنى) المسلة جدم
ويُدلون إذا أريدَ قيادهم
يتلو الرجال عليهم شهواتهم
الجهل لا تحيا عليه جماعة
ربّثوا على الانصاف فتیان الحمى
فهو الذي يبني الطباع قويمه
وتقيمُ منطق كل أعوج منطق

عن كل شمس ما تريدُ أقولا
في العلم تلتسمانه تطفيلاً
ما بال مغربها عليه أديلاً
بين الشمس وبين شرقك حيلاً
واستعذبوا فيها العذاب وبيلاً
بالفرد ، مخزوماً به ، مغلولاً
من ضربة الشمس الرءوس ذهولاً
شفقي محب يشتهي التقبيلاً
فأبى وأثر أن يموت نبيلاً
ووجدتُ شجمان العقول قليلاً
والطابعين شبابه المأمولاً
عبء الأمانة ، فادحاً مسئولاً
ومشى الهوينى بعد إسماعيلاً
في العلم ، إن مَسَّتِ الممالك ميلاً
من عهد (خُو) لم تر القنديلاً
لا يُحسنون لإبرة تشكيلاً
كالبنهم تأنسُ إذ ترى التدليلاً
فالناجِحون ألذمُ ترتيلاً
كيف الحياة على يدي عزريلاً ؟
تجدوهم كهف الحقوق كهولاً
وهو الذي يبني النفوس عُدولاً
ويُريدُ رأياً في الأمور أصيلاً

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى روح العدالة في الشباب ضيلاً
وإذا المعلم ساء لحظاً بصيرة جاءت على يده البصائر حوًلاً
وإذا أتى الارشاد من سبب الهوى ومن الغرور فسمته التضيلاً
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً
إني لأعذرُكم وأحسبُ عيبكم من بين أعباء الرجال ثقيلاً
وجد المساعد غيركم وحرمتكم في مصرّ عون الأمهات جليلاً
وإذا النساء نشأت في أُميّة رضع الرجال جهالة وخولاً
ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة ، وخلفاه ذليلاً
فأصاب بالدنيا الحكيمة منها وبحسن تربية الزمان بديلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له أمّا تخلّت أو أباً مشغولاً

الباب العاشر في العقل

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الانسان
ولربما طعن الفقي أقرانه بالرأي قبل تطاعن الأقران
ألم تر أن العقل زين لأهله ولكن غام العقل طول التجارب
يقول لك العقل الذي زين الفقي إذا لم تكن تقدر عدوك داره
ولاقيه بالترحيب والبشرى والقرى وبارك له ما دمت تحت اقتداره
وقبل يد الجاني التي لست قادراً على قطعها وارقب سقوط جداره
العقل حلة فخر من تسربلها كانت له نسباً تغني عن النسب
والعقل أفضل ما في الناس كلهم بالعقل ينجو الفقي من حومة الطلب

وأفضل قسمٍ الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيءٌ يُقارِبُه
يعيش الفقى بالعقل في الناس إنسه على العقل يجري علمه وتجاريه
يشين الفقى في الناس قلةُ عقله وإن كرُمت أعراقه ومناسبه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

ما وهبَ الله لأمريءٍ هيبه أشرف من عقله ومن أدبيه
هما حياةُ الفتى فإن عُدما فإن فقد الحياة أجمل به

يُعدُّ رفيع القوم من كان عاقلاً وإن لم يكن في قومه بحسب
وإن حلَّ أرضاً عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب

ومن كان ذا مال ولم يكُ عاقلاً فذاك حمارٌ حملوه من التبر
أرى العقل مِرآة الطبيعة إذ به نرى صور الأشياء في عالم الفكر

ذو العقل في معتزك الأقدار مُقتدر لكن ذا الجمل مغلوبٌ ومغلول
وعقل ذي الحزم مرآة الأمور بها يرى الحقائق ، والمجهولُ مجهول

وعُقُولُ الأنام لو تستوي لم يكُ فرقٌ بين النبيِّ والنسيب
بحور الأرض لو غدا مُستقيماً لتساوى النهار والليل فيه

الباب الحادي عشر في الأدب

قال أبو تمام في مكارم الأخلاق :

إذا جاريته في خُلُقٍ دينياً فأنت ومنٌ 'تجاريه سواء'
رأيت الحُرَّ يَحْتَنِبُ الخازي ويحميه عن الغدر الوفاء'

وما من شدة إلا سيأتي لها من بعد شدتها رخاء
لقد جرّبت هذا الدهر حتى أفادتني التجارب والعناء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء
إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء

وقال أيضاً في الحرية :

سأصرف وجهي عن بلاد غدا بها لساني معقولا وقلبي مقفلا
وإن صريح الحزم والرأي لأمري إذا بلغته الشمس أن يتحوّلا

وقال أبو فراس الحمداني في نتيجة الاختبار والتجارب :

لا أشتري بعد التجارب صاحباً إلا وددت بأنني لم أشره
وتركت حلو العيش لم أحفل به لما رأيت أعزه في مره
والمرء ليس بفانم في أرضه كالصقر ليس بصائد في وكره

قال أبو العلاء الممرّي في الشيوخ المتظاهرة بالصلاح :

لئن قدرت فلا تفعل سوى حسن بين الأنام وجانب كل ما قبحا
فكم شيوخ غدواً بيضاً مفارقهم يسبحون وباتوا في الخنا سبحا
وليس عندهم دين ولا نسك فلا تفرك أيد تحمل السبحا
لو تمقل الأرض ودت أنها صفت منهم فلم يرفيها فاطر شبحا

وقال الطغرائي في المقارنة بين العدو والحسود :

جامل عدوك ما استطعت فإنه بالرفق يطمع في صلاح الفاسد
واحذر حسودك ما استطعت فإنه إن نمت عنه فليس عنك براقد
إن الحسود وإن أراك توددأ منه أضر من العدو الحاقد
ولربما رضي العدو إذا رأى منك الجميل فصار غير معاند

ورضا الحسود زوالُ نعمتك التي أوتيتها من طارف أو تالد
فاصبر على غيظ الحسود فناره ترمي حشاه بالعذاب الخالد
أو ما رأيت النار تأكلُ نفسها حتى تعود إلى الرماد الهامد
تضفو على الحسود نعمة ربه ويذوب من كمدٍ فؤادُ الحاسد

وقال ابن الرومي في عدم الإكثار من الأصحاب :

عدوك من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداءَ أكثرُ ما تراه يكون من الطعام أو الشراب
إذا انقلب الصديق غدا عدواً مُبيناً والأمور إلى انقلاب
ولو كان الكثير يطيب كانت مُصاحبة الكثير من الصواب

وقال في الانفراد والوحدة :

ذقتُ الطعومَ فما التذذت براحة من صحبة الأخيار والأشرار
أما الصديق فلا أحبُّ لقاءه حذرَ القلى وكراهة الإعوار
وأرى العدو قذى فأكره قرنه فهجرت هذا الخلق عن أعذار
من جور إخوان الزمان سرورهم بتفاضل الأحوال والأخطار
لو أن إن الصفاء تناصفوا لم يفرحوا بتفاضل الأعمار
أُحب قوماً لم يحبوا ربهـم إلا لفردوس لديه ونار

وقال المتنبي يلفت نظر العقلاء إلى طلب المعالي :

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
قطعة الموت في أمر حقيق كطعم الموت في أمر عظيم
يرى الجبناء أن العجز عقل وتلك خديعة الطبع الظنيم
وكل شجاعة في المرء تنفني ولا مثل الشجاعة في الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وقال بشار بن برد في وصف الأخ الحقيقي :

خيرُ إخوانك المشاركُ في المرِّ وأين الشريك في المرِّ أيننا ؟
الذي إن شهدت سرَّك في الحسي وإن غبت كان أذنًا وعينا
مثل سِرِّ الباقوت إن مسه لنا رَجَلَه البلاء فازداد زَيْنَا
أنت في معشر إذا غبت عنهم بدّلوا كل ما يزيناك شَيْنَا
وإذا ما رأوك قالوا جميعاً أنت من أكرم البرايا علينا
ما أرى للأنام ودّاً صحيحاً عاد كلُّ الورى زوراً ومينا

وقال أبو العتاهية في صنع الجميل مع الناس :

خيرُ أيام الفقى يومٌ نَفَعُ واصطناع الخير أبقى ما صنعُ
ما يُنَالُ الخيرُ بالشر ولا يحصدُ الزَّارع إلا ما زرع
خذ من الدنيا الذي درت به واسلُ عما بان منها وانقطع
إنما الدنيا متاعٌ زائلٌ فاقتصد فيه وخذ منه ودعُ
وارضَ للناس بما ترضى به واتبع الحق فَنِعَمَ المتبع
كن ابن من شئت واكتسب أدبا

يُغْنِيكَ محمودُه عن النسب
إنَّ الفقى مَنْ يقول هأنذا ليس الفقى مَنْ يقول كان أبي
لكلِّ شيء زينة في الورى وزينة المرء تمامُ الأدبِ
قد يشرُّف المرءُ بآدابه فينا وإن كان وضيع النسب

وأنشده أبو عبد الله نبطويه لنفسه في كون التعلم في الصغر كالنقش في الحجر :

أراني أنسى ما تعلمت في الكبير ولست بناس ما تعلمت في الصغر
ولو فلق القلب المعلم في الصبا لألفي فيه العلم كالنقش في الحجر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف إذا كَلَّ قلب المرء والسمع والبصر

وما المرء إلا اثنان: عقل ومنطق^١ فمن فاته هذا وهذا فقد دمر^٢
وما يندش خلف الأحمر^٣ في كون ميراث العلم أبقي من ميراث المال :

خير ما ورث الرجال بنهم أدب^٤ صالح وحسن^٥ ثناء
هو خير من الدنانير والأوراق^٦ في يوم شدة ورخاء
تلك تقنى^٧، والدين والأدب الصالح لا يفنيان حق اللقاء^٨
إن تأدبت يا بُني صغيراً كنت يوماً^٩ تعد في الكبراء
وإذا ما أضعت نفسك ألفت^{١٠} كبيراً^{١١} في زمرة الغوغاء
ليس عطفني للعود إن كان رطباً وإذا كان يابساً بسواء
ومن شعر المنصور الفقيه في كون العلم بلا عمل كشجر بلا ثمر :

أيها الطالب الحريص تعلم^{١٢} إن للحق مذنباً قد ضللت^{١٣}
ليس يجدي عليك علمك إن لم^{١٤} تك مستعملاً لما قد علمت^{١٥}
قد لعمري اغتربت في طلب العلم وحاولت جمعه فجمعت^{١٦}
ولقيت الرجال فيه وزاحمت عليه الجميع حتى سمعته
ثم ضيعت أو نسيت^{١٧}، وما ينفع^{١٨} علم نسيته أو أضعته
وسواء^{١٩} عليك علمك إن لم^{٢٠} يجتهد^{٢١} نفماً عليه أم ما جهلته^{٢٢}
كم إلى كم تخادع النفس جهلاً^{٢٣} ثم تجري خلاف ما قد عرفت^{٢٤}
نصف الحق والطريق إليه فإذا ما عملت خالفت سبته^{٢٥}

وقال محمود سامي باشا البارودي في انتهاز الفرصة :

بادر الفرصة واحذر فواتها قبلوغ العز في نيل الفرص
واغتتم^{٢٦} عمرك إبان الصبا فهو إن زاد مع الشيب نقص

(١) اي هلك (٢) كان راوية للشعر والأدب وشيخاً من شيوخ النحويين
البصريين توفي سنة ٥١٨٠ هـ (٣) جمع ورق مثلثة وهي الدراهم المضروبة من الفضة .
(٤) يوم اللقاء أي لقاء الله وهو يوم القيامة (٥) اي وجدت (٦) نصب على الحال .

وابتدر سمعك واعلم أن من بادر الصيد مع الفجر قنص
واجتنب كل غبي مائق فهو كالعير إذا جد قص
إنما الجاهل في العين قدّي حيثما كان، وفي الصدر غصص
واختبر من شئت تعرفه، فما يعرف الأخلاق إلا من فحص
إن ذا الحاجة إن لم يغترب عن حياء مثل طير في قفص

وقال أبو إسحاق إبراهيم الغزي في كون الحركة بركة :
بمسيره نقص الهلال ، وزادا فاجعل كراك إذا اعتزمت سهادا
لولا انصلات البيض من أغمادها^٦ مشحودة لم تفضل الأغادا
وفضيلة الحيوان في حركاته لولا منافعه لكان جمادا
ما العمر إلا راحل ، وأظنه اتخذ الشبيبة للمسافة زاد
لا تخلعن عن اللسان لجامه وتوق فرط جماحه المعتادا
فأله خص الاستماع بآلة مثنى ، وجارحة الكلام قرادى

وقال أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي^٨ في طلب العلا :
حاول جسيات الأمور، ولا تقل إن المحامد والعلا أرزاق
وارغب بنفسك أن تكون مقصرا عن غاية فيها الطلاب سباق
لا تشفقن فإن يومك إن أتى ميقاته لم ينفع الإشفاق
وإذا عجزت عن العدو فداره وامزح له إن المزاح وفاق

(١) الحمار (٢) هو إبراهيم بن يحيى بن عثمان الكلبي شاعر مجيد صاحب مطولات ولد بغزة سنة ٤٤١ هـ وتصرفت به الاحوال فذهب إلى المشرق ومات بين مرو وبلغ سنة ٥٢٤ هـ (٣) الكرى النوم (٤) السهاد السهر ه تجرد (٦) السيوف (٧) جمع غمد وهو قراب السيف (٨) هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر المشهور بابن نباتة . وينسب إلى سعد تميم وعد في شعراء سيف الدولة الحمداني ، وله ديوان حافل توفي سنة ٤٠٥ ببغداد . وهو القائل :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد

فالنارُ بالماء الذي هو ضيدها 'تعطي النضاج'، وطبعها الإحراقُ

وقال المعتمد بن عباد في وجوب التضحية لفدية الوطن :

إن يسلب القوم العدى وطني وتسليمي الجوع
فالقلبُ بينَ ضلوعيه لم تسلم القلبَ الضلوع
قد رُمت يوم نزالهم ألا تحصّنتني الدروع
وبرزتُ ليس سوى القميص على الحشا شيءٌ دَفُوع
أجلي تأخّر لم يكن بهَوَاي ذلّي والخضوع
ما سرتُ قط إلى الفتا ل و كان من أملي الرجوع
شمُ الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع

وقال موسى بن عبدالله في وجوب عدم الثقة بالغير :

تولّت بهجة الدنيا فكلّ جديدٍها خلقُ
وخان الناسُ كلهمُ فما أدري بمن أثقُ
رأيتُ معالم الخير ات سُدّت دونها الطرقُ
فلا أدبٌ ولا كرمٌ ولا فضلٌ ولا خلقُ
فلستُ مُصدّقُ الأقوا م في شيء وإن صدّقوا

وقال الأبيوردي الأموي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ بخراسان في قلب الزمان

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنتُ
فلما انتهت أيامنا علقت بنا
وصيرنا نلاقي النائبات بأوجه
إذا ما همنا أن نسبح بما جنتُ
لنا رغبةٌ أو رهبةٌ عظمًاؤها
شدائدُ أيامٍ قليل رخاؤها
رفاق الحواشي كادية قطرهاؤها
علينا الليالي لم يدعنا حياؤها

وقال القاضي عبد الوهاب في دوام الخير بين الناس ما داموا درجات فإذا
تساووا هلكوا :

مَتَى تَصِلُ العِطَاشُ إِلَى ارْتَوَاءٍ إِذَا اسْتَقْتِ البَحَارُ مِنَ الرِّكَايَا
وَمَنْ يَثْنِي الأصَاغِرَ عَنْ مَرَادٍ وَقَدْ جَلَسَ الأكَابِرُ فِي الزَّوَايَا
وَإِنْ تَرَفَّعَ الوَضْعَاءُ يَوْمًا عَلَى الرُّفْعَاءِ مِنْ إِحْدَى البَلَايَا
إِذَا اسْتَوَتْ الأسَافلُ والأَعَالِي فَقَدْ طَابَتْ مُنَادِمَةُ المُنَايَا

وقال سعيد بن محمد في كون عمل الإنسان يدل على أصله :
مَلِكُنَا فَكُن العَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالَ بِالدِّمِّ أَبْطَحُ
وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الأسَارَى وَطَالَمَا غَدَوْنَا عَلَى الأسْرَى تَمَنُّ وَنَصْفَحُ
فَحَسِبْكُمْ هَذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالدِّي فِيهِ يَنْضَحُ

وقال معن بن أوفى في لزوم التحفظ بآثار الآباء والجدود :
وَرَثْنَا المَجْدَ عَنْ آبَاءٍ صِدْقٍ أَسَانَا فِي جَوَارِمِ الصَّنِيعَا
إِذَا المَجْدُ الرِّفِيعُ قَوَارِثُهُ بُنَاةُ السُّوءِ أَوْشَكُ أَنْ يَضِيعَا

وقال الإمام الشافعي في المن والأذى وتعداد صنائع الإحسان :
لَا تَحْمِلَنَّ لِمَنْ يَتَمَنَّى مِنْهُ مَرَّ الأَثَامِ عَلَيْكَ مِنْهُ
وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ حَظَّهَا وَاصْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ جَنَّةُ
مَنْ الرِّجَالِ عَلَى القُلُوبِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الأَسِنَّةِ

وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني في وصف النفوس الأبية :
وَقَالُوا تَوَصَّلْ بِالْخُضُوعِ إِلَى الغِنَى وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الخُضُوعَ هُوَ الفَقْرُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ المَالِ شَيْئَانِ حَرَامَا عَلَيَّ الغِنَى : نَفْسِي الأَبِيَّةُ وَالدَّهْرُ
إِذَا قِيلَ هَذَا الِيسَرُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ مَوَاقِفَ خَيْرٍ مِنْ وَقُوفِي بِهَا العُسْرُ

وقال الشريف الرضي في كون المال خادماً للإنسان :
اشْتَرِ العِزَّ بِمَا يَبِيعُ فَمَا العِزُّ بِقَالٍ

ليسَ بالمغبونِ عقلاً مُشترِ عِزّاً بِمالٍ
إنما يُدْخِرُ المالُ لِحاجاتِ الرجالِ
والفقى مَنْ جَمَلَ الأموالَ أثْمانَ المعالي

وقال أبو تمام في كون العز والمجد لا ينالان إلا بالتعب والجد :
قد عَلِمْنَا أنْ ليسَ إلّا بِشَقِّ النفسِ صارَ الكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيماً
طلبَ المجدَ يورثُ المرءَ خِبالاً ومُموماً تَقْضِي قِصَصُ الحِزْوما
فتراه وهوَ الحَلِيّ شَجِيحاً وتراه وهوَ الصَّحِيحُ سَقِيماً
تَيَمَّنَتْهُ العَلَى فليسَ يَعدُّه البَؤْسُ بُؤْساً ولا النَعِيمُ نَعِيماً
وقال نخيس بن أرطاة في لزوم تجنب الإنسان كل ما يُعاب :

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مَنِي لِيَحْيَى فَقَالَ غَشَّشْتَنِي وَالنَّصِيحُ مُرٌّ
وما بي أن اكونَ أعيبَ يَحْيَى وَيَحْيَى طَاهِرُ الأخلاقِ بَرٌّ
ولكن قد أَتَانِي أن يَحْيَى يُقالُ عليه بقاءَ مُرٍّ
فقلتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ لِمَنِ الحَرُّ حُرٌّ

وقال ابن هانئ (متلبي الغرب) في : أن ليس للإنسان إلا ما سعى :
ولم أَجِدِ الإنسانَ إلّا ابنَ سَمِيهِ فَمَنْ كانَ أَسْعَى كانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرًا
وبالهُمَةِ العَلِيَاءِ تَرَفَّى إلى العَلَى فَمَنْ كانَ أَعْلَى هِمَّةً كانَ أَظْهَرًا
ولم يَتَأَخَّرْ مَنْ أَرَادَ تَقَدَّمَ وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ أَرَادَ تَأَخَّرَ

وقال بعضهم في كون التقليد في الخير فضيلة :

إذا أَعْجَبَتْكَ خِلالَ امرئٍ فَكُنْهُ تَكُنْ مُثْلَ مَنْ يَعْجَبُكَ
وليسَ على المجدِ والمَكْرَماتِ إذا جِئْتَهَا حَاجِبٌ يَحْجُبُكَ

وقال أبو روح ظفر بن عبد الله في الهمة والعزيمة الماضية :

السيفُ يَعْلَمُ أن لي في حَدِّهِ مِرّاً نَهاهَ الدَهرُ عن إِفْشائِهِ
والدَهرُ يَعْلَمُ أن لي في صَدْرِهِ ناراً مَضْرُمةً على أَحْشائِهِ

ولو أن أطراف السيوف وفين لي لأخذتُ حقَّ الدهر من أبنائه
هممٌ مؤرقة جفوف كلما أرختي الظلام عني ذيل خبيائه
هممُ النفوس مَنوطة ببعنائها والمرءُ يخندعه لسانُ رجائه

وقال عمارة اليمني المتوفى سنة ٦٦٩ في الشجاعة والإقدام :

العلمُ مذ كان محتاجٌ إلى العلمِ وشفرة السيوف تستغني عن القلمِ
وخيرُ خيلك إن غامرت في شرف عزمٌ يفرقُ بين الساق والقدمِ
لا يندركُ المجد إلا كلُّ مقتحمٍ في موج ملتطمٍ أو فوج مضطرمِ
ورُبَّ أمرٍ يهاب الناس غايته والأمر أهونُ فيه من يدٍ لِفمِ
تَنمى قوى الشيء بالتدريج إن رزقت

’لطفاً ويقوى شرارُ النار بالصرمِ

وقال أبو الحسن التهامي المتوفى سنة ٤١٦ هـ في الأدب العام :

لا تحمد الدهر في بأساء يكشفها فلو أردت دوام البؤس لم يندمِ
فالدهر كالطيف بؤساء وأنعمه عن غير قصدٍ فلا تحمد ولا تلثمِ
لا تحسبن حسب الآباء مكرمة لمن يقصر عن غايات مجدهمِ
حسنُ الرجال بحسنهم وفخزهم بطولهم في المعالي لا بطولهم
ما اغتابني حاسدٌ إلا شرفتُ به فحاسدي منعمٌ في زي مننهمِ
فالله يكبل حُسادي فأنعمهم عندي وإن وقعت عن غير قصدٍ هم

وقال أبو تمام في كون المرء يجمع والزمان يفرق :

ولكنني لم أحور دفراً مجتمعا ففُزتُ به إلا بشغلٍ مُبَدِّدٍ
ولم تُعطيني الأيامُ نوماً مُسَكِّناً الذُّبْ به إلا بنومٍ مُسَرِّدٍ
وطولُ مقام المرء في الحي ’مُخلِّقٌ لِدِيابَجَتَيْهِ فَاغْتَرِبَ تَسْجِدٌ
فإني رأيتُ الشمسَ زبدت بحبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرٌ مُدِ
وليس يُجَلِّسي الكربَ رُمحٌ مُسَدِّدٌ إذا هو لم يؤنسْ برأي مُسَدِّدٍ

وقال أبو تمام في كون الحركة بركة :

من أَبْنَى البُيُوتِ أَصْبَحَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْعَيْشِ لَيْسَ بِالْفَضْفَاضِ
وَالْفَقْرُ مِنْ تَعَرُّفْتِهِ اللَّيَالِي فِي الْفِيَا فِي كَلْحِيَةِ النُّضْنَضِ
صَلْتَانُ أَعْدَاؤِهِ حَيْثُ كَانُوا فِي حَدِيثٍ مِنْ عَزْمِهِ مُسْتَفَاضِ
كُلَّ يَوْمٍ لَهُ بِصَرَفِ اللَّيَالِي فَتْكَةٌ مِثْلَ فَتْكَةِ الْبَرَاضِ

وقال بعضهم في ان الأمور تسهل بالصبر والاطمئنان لا بالذل والهوان :

إِذَا ضَيَّقْتَ أَمْرًا ضَاقَ جَدًّا وَإِنْ هَوَّنتَ مَا قَدْ عَزَّ هَانَا
فَلَا تَهْلِكْ لشيءٍ فَاتَ بِأَسَا فَكَمْ أَمْرٌ تَصْعَبُ ثُمَّ لَانَا
سَاصِبُ مِنْ رَفِيقِي إِنْ جَفَانِي عَلَى كُلِّ الْأَذَى إِلَّا الْهَوَانَا

وقال الحسين بن مطير في مكارم الأخلاق :

أَحِبُّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ جُهْدِي وَأَكْرَهُ أَنْ أُعِيبَ وَأَنْ أُعَابَا
وَأَصْفَحُ عَنْ سَابِغِ النَّاسِ حِلْمًا وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السَّبَابَا
وَمَنْ هَابَ الرَّجَالَ تَهَيَّبُوهُ وَمَنْ حَقَّرَ الرَّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا

وقال القطامي في التآني السلامة وفي العجلة الندامة :

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرَ أَقَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي، وَلَامَ الْخَطِيءُ الْهَلْبَلُ
قَدِيدُ رِيكِ الْتَّائِي بَعْضُ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجِلِ الزَّلْزَلُ
وَرُبَّمَا فَاتَ قَوْمًا بَعْضُ أَمْرِهِ مِنَ التَّائِي وَكَانَ الْحَرَمُ لَوْ عَجَلُوا
وَالْعَيْشَ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ

وقال رجل من بني أسد في انه لا خير في ود يحيى تكلفاً :

وَمَا أَنَا بِالنَّكْسِ الدَّائِي وَلَا الَّذِي إِذَا صَدَّ عَنِي ذُو الْمُوَدَّةِ أَحْرَبُ
وَلَكِنِّي إِنْ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي فَلِي عَنْهُ مَذْهَبٌ

(١) ابن : لازم وأقام، والفضفاض بفتح الفاء الشيء الواسع والصلتان الراجل الجاد في أموره .

ألا إن خيرَ الودِّ وُدُّ تطوَّعتْ له النفس لا وُدُّ أتى وهو متعبٌ

وقال القاضي الجرجاني في كون النفس الأبية لا تقبل الدنايا وتستقبل المنايا :

يقولون لي : فيك انقباضٌ وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجماً
إذا قيل هذا منهلٌ قلت قد رأى ولكن نفس الحرِّ تحتملُ الظما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لا قيمتُ لكن لأخدمنا
أأشقى به غرساً ؟ وأجنيه ذلةً إذن فاتباعُ الجهل قد كان أحزماً

وقال البعيث بن حريث في كون كرامة الإنسان متوقفة على حفظ الأوطان :

وإن مسيري في البلادِ ومنزلي لبالمَنْزل الأقصى إذا لم أقربِ
ولستُ وإن قربت يوماً ببائعٍ بلادي ولا ديني ابتغاءَ التحجبِ
ويمتدده قومٌ كثيرٌ تجارةً ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

وقال عمرو بن الأطنابة في اقتحام الأخطار لنيل الفخار :

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيع
وإقحامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيع
وقَتُولي كلما جشأتُ وجاشت رويدك تحمدي أو تستريحني
لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعدُ عن غيرِ ضُصحيح

وقال أبو تمام لا يستحق الشكر والحمد إلا من تعب وجد :

الحمدُ شهد لا ترى مشتارهً يجنيه إلا من نقيع الحنظل
غلٌ لحامسه ويحسبه الذي لم يوه عاتقه خفيفُ الحمل

وقال بعضهم في الفقير الصابر المتجمل بالمعاف والكفاف :

كم فاقسة مستورة بمروءة وضرورة قد غطيت بتجمل
ومن ابتسام تحته قلبٌ شج قد خامرته كَوُعة ما تنجلي

وقال أبو تمام في صدق اليقين :

قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيش من الصبر لا يحصى له عدد
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا من اليقين دُروعاً ما لها زرد

وقال هدية العذري في وجوب وضع الشيء في موضعه :

ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب
ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب

وقال بعضهم في وجوب الثبات على المبدأ :

قد عشت في الدهر أطواراً على طرق شتى وقاسيت فيها اللين والفظعاً
كلاً بلوت فلا النعماء تبطرني ولا تخشعت من لأوائها جزعاً
لا يلاً الهول صدري قبل موقعه ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعاً

عود بنيك على الآداب في الصغر كما تقرأ بهم عيناك في الكبر
فإنما مثل الآداب تجمعها في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها ولا يخاف عليها حادث الغير
إن الأديب إذا زلت به قدم يهوى على فرش الديباج والسرر
الناس صنفان : ذو علم ومستمع واع وسائرهم كاللقو والفكر

من لم يكن عقله مؤدبه لم يغنه واعظ من النسب
كم من وضيع الأصول في أمم قد سودوه بالعقل والأدب
لا تأسن إذا ما كنت ذا أدب على خيولك أن ترقى إلى الفلك
فبينما الذهب الإبريز يختلط بالتراب إذ صار إكليلاً على الملك

السبع سبع ولو كلت مغالبه والكلب كلب ولو بين السباع ربي
وهكذا الذهب الإبريز خالطه صفر النحاس وكان الفضل للذهب
لا يعجبك أثواب على رجل دع عنك أثوابه وانظر إلى الأدب

فالعود لو لم تَفُحْ منه روائحه
وليس يسودُ المرءُ إلا بنفسه
إذا العودُ لم يُشْمَرْ ولو كان شعبةً
قد ينفعُ الأدبُ الأحداث من صغر
إن الفصون إذا قومتها اعتدلت
لم يفرق الناسُ بين العود والخطب
وإن عدَّ آباءَ كراماً ذوي حسب
من المئمراتِ اعتمدتْ الناس من خطب
وليس ينفعُ بعد الشيبة الأدب
ولن يلين إذا قومته الخشب

وقال حاتم الطائي في الكرم :

أماويُّ إنَّ المالَ غادرٌ ورائحُ
أماويُّ إني لا أقولُ لسائلٍ
أماويُّ إِمَّا مانعٌ قُبَّيْنُ
أماويُّ إن يصبح صدائي بقفرةٍ
تري أن ما أنفقت لم يك ضررني
ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ
إذا جاء يوماً حلَّ في مالنا النذرُ
وإمَّا عطاءُ لا ينهنيهُ الزجرُ
من الأرض لا ماءٌ لدي ولا تخمرُ
وأن يدي مِمَّا بَحِلَّتْ به صفرُ

وقال حاتم الطائي أيضاً في الإيثار :

وما أنا بالساعي بفضل زمامها
وما أنا بالطاوي حقيبة رحلها
إذا كنت ربّاً للقلوص فلا تدعُ
أنحسها فأردفنه فإن حملتكما
لتشرب ماء الخوض قبل الركائبِ
لأبعثها خفّاً وأترك صاحبي
رفيقك يمشي خلفها غيرَ راكبٍ
فذاك وإن كان العقابُ فعاقيب

وقال بعض الشعراء المتقدمين في ذم الغيرة :

ما أحسن الغيرة في حينها
من لم يزلْ منسهما عرسه
أوشك أن يُفترها بالذي
حَسْبُكَ من تحصينها وضعها
لا تطلع منك على ريبةٍ
وأقبح الغيرة في كلِّ حينٍ
مناصباً فيها لربِّ الظنونِ
يخاف أن يبرزها للعيونِ
منك إلى عرض صحيح ودينِ
فيتبعُ المقرون حبل القرنِ

وقال بعض الشعراء المتقدمين في كرم الضيافة :

أضاحكٌ ضيفي قبل إنزال رحله ويخضبُ عندي والمحلُّ جديبُ
وما الخصبُ للضيافِ أن يكثر القيرى ولكننا وجَّه الكريم خصيبُ

وقالت ليلي الأخيلية في العفة :

وذي حاجةٍ قلنا له : لا تبُحْ فليسَ إليها ما حبيتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ و خليلُ

وقال ابن الرومي في القناعة :

مرحباً بالكفافِ يأتي هنيئاً وعلى المتعباتِ ذيلُ العفاهِ
ضيلةٌ لأمريءٍ يشمرُ في الجمعِ لعيشٍ مُشمرٍ للفناءِ
دائماً يكنزُ القناطيرَ للوا رث والعمر دائباً في انقضاءِ
يحسبُ الحظَّ كله في يديه وهو منه على مدى الجوزاءِ
ليس في أجل النعيمِ له حظٌ وما ذاقَ عاجل النعماءِ
ذلك الخائبُ الشقيُّ وإنْ كانَ يرى أنه مِن السُّعداءِ
حَسْبُ ذي إربةٍ ورأيٍ جليٍّ نظرت عينه بيلا غلواءِ
صِحَّة الدين والجوارح والعيرُ ض وإحراز مُسكة الحوباءِ
تِلْكَ خيرُ لعارفٍ المجدِّمِما يجرع الناس من فضول الثراءِ

وقال بعض الشعراء المتقدمين في القناعة :

أحبُّ الفتى ينفي الفواحشَ سمعه كأن به عن كلِّ فاحشةٍ وقشرا
سليم دواعي الصدر لا بأسطاً أذى ولا مانعاً خيراً ولا قاتلاً هُجْراً
إذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلاته عُذراً
غنى النفس ما يكفيك من سدِّ خلة فإن زاد شيئاً عاد ذلك الغنى فقراً

وقال بعض الشعراء المتقدمين في حب البنين :

لولا أُميمة لم أجزع من العدم ولم أجُبْ في الليالي حُندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي أن اليتيمة يحفوها ذَوو الرحم
أحاذرُ الفقرَ يوماً أن يلم بها فيهلك الستر عن لحم وعن وضم
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً والموت أكرم نزال على الحرم

وقال مسكين في كتان السر :

وفتيان صِدْق لست مُطْلِعَ بعضهم على سر بعض غير أني جماعها
لكل امرئٍ شِعب من القلب فارغ وموضع نَجْدوى لا يُرام اطلاعها
يظنون شتى في البلاد وسرهم إلى صخرة أعين الرجال انصداعها

وقال أبو العتاهية في المغفرة :

إني شكرت لظالمي ظلمي وغفرتُ ذاكَ له على علمي
ورأيتُهُ أسدى إليَّ يداً لما أبان يجهله حِلْمي
رَجَعَتِ إِسَاءَتُهُ عَلَيهِ وَإِحْسَانِي فَعَادَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ
وغدوتُ ذا أَجْرٍ ومحمدة وغدا بكسب الظلم والإثم
فكأنما الإحسان كان له وأنا المُسيء اليه في الحُكم
ما زال يظلمني وأرحمه حتى بَكَيْتُ له من الظلم

وقال ابن مطير في إكرام النفس :

وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا يُعْجِبُ النَّفْسَ لَمْ يَزَلْ مُطِيعاً لها في فعل شيءٍ يُضِيرُهَا
فَنَفْسُكَ أَكْرَمُ مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَمَا لَكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا

وقال بشار في السعادة :

وما خابَ بين الله والناسَ عَامِلٌ له في التقى وفي الحماد سوقُ
ولا ضاقَ فضلُ الله عن مُتَعَفِّفٍ ولكن أخلاقَ الرجال تضيقُ

وقال أبو تمام في الصداقة الكاذبة :

إن شئت أن يسود ظنك كله فأجله في هذا السواد الأعظم
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً متبسماً عن باطن متجهم

وقال بعض الشعراء المحدثين في الثقة :

في انقباض وحشة فإذا صادفت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتهما وقلت ما قلت غير محتشم

وقال أبو تمام في القناعة :

من زاحف الأيام ثم عبا لها غير القناعة لم يزل مفلولا
من كان مرمى عزمه ومومه روض الأماني لم يزل مهزولا
لو جاز سلطان القنوع وحكمه في الأرض ما كان القليل قليلا
وقال أبو العلاء المعري في الخمر :

أيأتي نبي يحمل الخمر طليقة فتحمل شيئاً من همومي وأحزاني
وهيات لو حلت لما كنت شارباً مخففة في الحلم كفة ميزاني
وله أيضاً في أن الملك أجير الرعية :

مثل المقام فك أعاشير أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فسعدوا مصالحها وهم أجراؤها
وقال أيضاً في رياء الوعاظ :

رؤيدك قد غدرت وأنت حرٌ بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصباء صباحاً ويشربها على عمد مساء
يقول لكم : غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء
إذا فعل الفق ما عنة ينهى نحن جهتين ، لاجبة ، آساء

وله أيضاً :

إذا كان علمُ الناس ليس بنافع ولا دافع ، فالخُسْرُ للعلماء
قضى الله فينا بالذي هو كائن فتَمَّ وضاعت حكمة الحكماء

وله أيضاً في سلطان العقل :

يرتجي الناس أن يقومَ إمامٌ ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا إمامَ سوى العقل مُشيراً في صُبحه والمساء
إنما هذه المذاهبُ أسبا بٌ لجلب الدنيا إلى الرؤساء

وله أيضاً في رياء العباد :

لعلَّ أناساً في المحاريبِ خوُّفوا بآي، كناسٍ في المشاربِ أطربوا
إذا رامَ كيداً بالصلاة مُقيمها فتاركها عمداً إلى الله أقربُ

وله أيضاً :

أيا جَسَدَ المرءِ ماذا دها ك وقد كُنْتَ من عنصري طيب
تصيرُ ظهوراً إذا ما رَجَعْتَ إلى الأصلِ كالطر الصيب

وقال أيضاً في قسمة الأرزاق :

لقد جاءَنا هذا الشتاء وتحتَه فقيرٌ مُعَرَّى أو أميرٌ مُدَرَّجٌ
وقد يُرزق المجدود أقوات أمةٍ ويحرم قوتاً واحداً وهو أحوَجُ

وقال أيضاً في ذم البطالة :

ويُعجبني دأبُ الذين تَرَهَّبوا سوى أكلهم كدَّ النفوس الشحائح
فما حَبَسَ النفسَ المسيحَ تعَبُّداً ولكن مَشَى في الأرض مشية سائح

وقال أيضاً في الرِّفق بالحيوان :

قد رابَّني مَغْدَى الفقير يَحْمِلُه على العَيْرِ ضرباً ساءَ ما يَتَقَلَّدُ
يَحْمِلُه ما لا يطيق فإن ونى أحوال على ذي فِترَةٍ يَتَجَلَّدُ

وله أيضاً في أين الحقيقة :

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة
لم يعطنا العلم أخبارٌ يحيي بها
وابيض ما خضر من نبت الزمان بنا
وقال أيضاً في حقيقة الايمان :

ما الخير صومٌ يذوب الصائمون له
وإنما هو ترك الشر مطرَحاً
ونفَضُكَ الصَّدْرَ من غِلٍّ ومن حَسَدٍ
وقال أيضاً في خرافات النساء :

سألت منجّهما عن الطفل الذي
فأجابها مائة ، ليأخذ درهماً
في المهد كم عائش من دهره ؟
وأنتي الحماة وليدها في شهره !
وقال أيضاً في راحة الموت :

قدِمَ الفق ومضى بغير تثنية
لقد استراح من الحياة مُعَجِّلٌ
كهلّال أوّل ليلة من شهره
لو عاش كابداً شدةً في دهره
وقال أيضاً في العفة :

أحسن جواراً للفتاة وعُدّها
كتجاور العينين لن تتلاقيا
أخت السماء على دُنُو الدار
وحجاز بينهما قصير جدار
وقال أيضاً في بقاء الملك :

مضى الأنام فلولا علم حالهم
في الملك لم يخرجوا عنه ولا انتقلوا
لقلت قول زُمَيْرِ آية سلَكُوا
منه فكيف اعتقادي أنهم هلكوا
وقال أيضاً في الصبر والأذى :

إذا قال فيك الناس ما لا تحبّه
وقد نظقوا مِيناً على الله وافترّوا
فصبراً يفيء ود المدر إليك
فما لهم لا يفترون عليك

الدين المعاملة ، للمعري أيضاً :

سَبَّحْ وصلْ وطُفْ بمكة زائراً سبعين لا سبعاً فلستَ بناسكٍ
جهيلَ الديانةِ مَنْ إذا عَرَضَتْ لَهُ أطعمه لم يُلَفْ بالمناسكِ

قتل الأفراد ، وقتل الأمم ، للمرحوم أديب بك إسحاق :

قَتَلَ امرئٍ في غابةٍ جريئة لا تُفْتَقَرُ
وقَتَلَ شَعْبَ آمِنٍ مسألةً فيها نظَرُ
والحقُّ للقوةِ لا يُعطاهَا إلا مَنْ ظَفِرُ
ذي حالة الدنيا فكُنْ من ثَرَّهَا على حَذَرُ

الوطن ، لابن الرومي :

وطنٌ به صَحِبْتُ الشَّيْبَةَ والصَّبَا ولبستُ ثوبَ العيشِ وهو جديدُ
فإذا تَمَثَّلَ في الضميرِ رأيتُهُ وعليه أغصانُ الشبابِ تيمدُ

البنات ، لمعن بن أوس :

رَأَيْتُ رجالاً يَكْرَهُونَ بناتهم وفيهِنَّ لا نغلو نساءً صالِحُ
وفيهِنَّ والأيامُ يعثرُنَّ بالفقَى عوائد لا يَمْلِكُنَّها ونوائحُ

الكرم ، للبستي :

فسامح ، ولا تَسْتَوْفِ حَقَّكَ كله وأبقِ فلم يستقصِ قط كريمُ
ولا تغلُ في شيءٍ من الأمورِ اقتصِدِ كلا طرفي قصدِ الأمورِ ذمُّ
الشهيدِ حيٍّ ، والميت هو خائنُ الوطن ، للأمير الجليل شكيب أرسلان :

بالله لا تَتَدَبَّوْا قَتْلِي ، ولا تَهْنُوا

بعدي ، ولا تفرقوا في النُوحِ والحزنِ
إنَّ الشهيدَ لَحَيٌّ عند خالقه وإنما الميتُ حقاً خائنُ الوطنِ

الدواة ، للمرحوم إسماعيل صبري باشا :

يادواةُ اجعلي مِدَادَكَ وِرْدًا لوفود الأقلامِ حيناً غنيها

ولیکن کالزمان حالاً وحالاً تارة آسینا وأخرى مَعینا
أکرمی العلم وامنحی خادمیه ماءک الغالی النقیس الثمینا
وابذنی الصافی المطهر منه لهُداة السرائر المرشدينَا
وإذا الظلم والظلام استعانا يوم نحس بأجهل الجاهلینَا
واستمدت من الشرور مِداداً فاجعلیه من قِسمة الظالمینَا
واقذفی النقطة التي بات فیها غضبُ القاهر المذل کمینَا
لیراع امری إذا خَط سطرأ نبذ الحق وارضى المین دینَا
وإذا کان فیک نقطة سوءٍ 'کونت' من خبائثِ تَکوینَا
فاجعلیها قِسط الذين استباحوا فی السياسات حرمة الأضعفینَا
وإذا خِفت أن یكون من الصخر جلامید 'ترجم' السامعینَا
فاجعلی بالمِداد بخلًا وإن 'أعطیت فیہ المین' ثم المینَا
فإذا أعوز المِدادُ طیباً یصف الداءَ دائباً مستعینَا
فامنحیه المراد منا وعرفاً واستطیی معونة المحسنینَا
وإذا مہجة الحائم أسدتْ نقطة سرّھا الذکی المصونَا
فاجعلیها علی المودات وقفاً وهبِیها رسائل الشیقینَا
فإذا لم تكن بقلبك الا ما أعدت الاخلاص للمخلصینَا
فاجعلیه حظی لأکتب منه شرح حالی (لسید المرسلینَا)

القهار ، للشیخ نجیب الحداد المتوفى سنة ١٨٩٩ م من قصیده طویلة :

لکل نقیصة فی النار عار وشرُّ مصائب المرء القهارُ
هو الداء الذی لا برء منه ولیس لذنب صاحبه اغتفار
تساد له المنازل شاهقات وفی تشید ساحتیها الدمار
تصیب النازلین بها سهادٌ وافلاسٌ فیأس فانتحار

الوطنية للشاعر المرحوم مصطفى أفندي صادق الرافعي المتوفى سنة ١٩٣٧ م:
 بلادي هواها في لساني وفي دمي 'يمجدها قلبي ويدعو لها في
 ولا خيرَ فيمن لا يُحب بلادَه ولا في حليف الحبّ إن لم يُقيم
 الرجوع الى الحق خير من التماذي في الباطل : للمرحوم مصطفى لطفي
 المنفلوطي المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ :

إذا ما سَفِهه نالني منه نائلٌ من الدم لم يُخرجْ بوقفه صدري
 أعودُ الى نفسي فإن كان صادقاً عتبت على نفسي وأصلحتُ من أُمري
 والا فما ذنبي الى الناس ان طغى هواها فما ترضى بخير ولا شرّ
 النفس الابية للشاعر الكبير أحمد أفندي نسيم :

ولم أذرع بالذلل شيمة حازم عن العز والعلواء لا يتنكب
 كذا أنا يا نفسي فكوني أبية ومالك الامذهب الفضل مذهب
 الجمال : لشاعر السجف بالعراق الشيخ محمد رضا الشبيبي :

لقد عصفت بالمكرُمات زعازعٌ وعقّت رسومَ الاكرمين رياحُ
 اذا أظلمت أخلاقنا وتجهّمت قهل نافع أن الوجوه ملاح

الادب : للمرحوم محمد أفندي امام المتوفى سنة ١٩١٧ م :
 لم يثبت الخير مال ولا نسب إنما الخير كل الخير في الادب
 مزية تملأ الدنيا محاسنها سلم لكمال الفضل والحسب

الحكام : للمرحوم السيد توفيق البكري المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ :
 حُكُم الألى يحكون الناس يُضحكني وسوءُ فعلهم في الناس يُبكي
 ما الذنب قد عاث بين الضأن أفتك من هذي الولاة بهاتيك المساكين

نشر العلم : لشاعر العراق الفيلسوف المرحوم جميل الزهاوي المتوفى
 سنة ١٩٣٦ م :
 اذا كان نشر العلم ذنباً مُعاقباً عليه فإني أشهدُ الله مذنب

الثبات على المبدأ . لشاعر الشام أسعد أفندي رستم :

لا بدّ للمرء بما ليس يُرضيه إذا تداخل فيما ليس يعنيه
فابدأ بتحسين مبدأ أنت صاحبه فالمرء يُعرف أصلاً من مبادئه

طلب الحال : للشاعر الجليل أحمد أفندي محرم :

صرفت رجائي عن مطالبَ حجةٍ وليس الذي يَرجو الحالَ بكَيْسٍ
أقول لنفسي والاسى لثيرها مكانك ان النفسَ بالنفس تأتسي

وقال محمد بن بشير في الصبر الجميل :

ان الامور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتق منها كل ما ارتججا
لا تياسن وان طالَت مطالبه اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومُدمِنِ القرع للأبواب أن يلجا
قدّر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقا عن غرّة زلجا
ولا يغرّك صفو أنت شاربه فرُبما كان بالتكدير مُتمزجا

وقال الأضيظ بن قريع في الادب العام :

ليكلّ ضيق من الأمر سعة والصَّبْحُ والمساء لا فلاح معه
قد يجمع الهال غير آكله ويأكل الهال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غير من قطعه
فاقبل من الدهر ما أألك به من قرّ عينا بعيشه نفعه
وصل حبال البعيد ان وصل الحبل وأقص القريب ان قطعه
لا تعادِ الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي أحد فحول شعراء الجاهلية في الصبر

صبر النفس عند كلّ ملّم ان في الصبر حيلة المحتال
لا تضيقن بالأمور فقد تكشف غماؤها بغير احتيال
ربما تذكره النفوس من الأمر فرجة كحل العقل

الباب الثاني عشر في الصبر والتأني

تصبر ففي اللاواء قد يحمّد الصبر وإن الذي أبلى هو العمون فانتدب وثيق بالذي أعطى ولا تك جازعاً فلا نعم تبقى ولا نعم ولا تقلب هذا الأمر ليس بدائم اصبر على مضض الادلاج في السحر إني رأيت وفي الأيام تجربة وقل من جد في أمر يؤمله ولولا صروف الدهر لم يعرف الحر جميل الرضا يبقى لك الذكر والأجر فليس يحزم أن يروك الضر يدوم كلا الحالين عسر ولا يسر لديه مع الأيام حلو ولا مر وفي الرواح إلى الطاعات في البكر للصبر عاقبة محمودة الأثر واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

عليك بإظهار التجلّد للعبدى أما تنظر الرّيحان يشمّ ناضراً ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا ويُطرح في البيدا إذا ما تغيرا

صبراً على نوب الزمان وإن أبى القلب الجريح فلكل شيء آخر إما جميل أو قبيح

الدهر أدبني والصبر رباني وحكتني من الأيام تجربة والقتوت أقنعتني والياس أغناني حتى نهيت الذي قد كان ينهاني

إني رأيت الصبر خير موعول ورأيت أسباب القناعة أكتدت فإذا نبأ بي منزل جاوزته وإذا غلا شيء علي تركته في النّائبات لمن أراد معولا بعزى الغنى فجعلتها لي معقلاً وجعلت من غيره لي منزلاً فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

إذا ما أذاك الدهر يوماً بنكبة فإن تصارييف الزمان عجيبة فأفرغ لها صبراً وأوسع لها صدرا فيوما ترى يسراً ويوما ترى عسراً

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ويُحمدُ منه الصبرِ مما يُصيبه
فمن قلّ فيما يتّقيه اضطباره لقد قلّ فيما يرتجيه يُصيبه
اصبر قليلاً فبعد العسر تيسيرٌ وكلّ وقتٍ له أمرٌ وتدبيرٌ
واللهيمن في حالاتنا نظر وفوق تدبيرنا الله تدبيرٌ

اصبرُ ففي الصبرِ خيرٌ لو علمت به لكنك باركت شكرًا صاحب النعم
واعلم بأنك ان لم تصطبر كرمًا صبرتَ قهرًا على ما خطّ بالقلم
كن حليمًا اذا بُليتَ بغيظٍ وصبورًا إذا أتتك مُصيبه
فالليالي من الزمان جبال مُثقلاتٌ يلدن كلَّ عجيبة

تصبرُ أيها العبدُ اللبيبُ لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكلّ الحادثات وان تناهت يكون وراءها فرجٌ قريب
أي صاحبي ان رمت أن تكسب العلا وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كلّ حالة فما صابر فيما يرومُ بنادم

بنى الله للأخيار بيتًا سماؤه همومٌ وأحزانٌ وحيطانه الصبر
وأدخلهم فيه وأغلق بابَه وقال لهم مِفْتَاحُ بابكمُ الصبر
اصبرُ قليلاً وكن بالله مُعتمدا لا تعجلن فإن العجز بالعجل
الصبر مثل اسمه في كل نائبة لكن عواقبه أحلى من العسل

إذا جرحت مساوهم فؤادي صبرتُ على الاساءة وانطويتُ
وجئتُ اليهم طلق المُحِبُّ كَأني لا سمعتُ ولا رأيتُ
تأنّ ولا تَضيقُ للأمر ذرعاً فكم بالنجح يظفر مَنْ تأنى
تأنّ فعينها المرءُ تأنى ينل نجحاً ويُدركُ ما تمنى

تأنّ ولا تعجل يَلومُك صاحباً لعلّ له عذراً وأنتَ تلومُ

الباب الثالث عشر في الصدق

الصدق عز فلا تعدل عن الصدق واحذر من الكذب المذموم في الخلق
عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد
عليك بالصدق في كل الأمور ولا تكذب فأقبح ما يزي بك الكذب

الباب الرابع عشر في الكذب

لي حيلة فيمن ينسب وليس للكذاب حيلة
من كان يحدق ما يقو ل فحيلتي فيه قليله
نعم نعم انما التام ذو ضرر لكننا الكاذب الجاني أشد ضرر
أخو النميمة إن يسمع ينم ومن يكذب يقل ما يشاء قولا بغير أثر
لذلك لي حيلة في من ينم وما لي حيلة في كذوب ملء فيه شرر
لي حيلة في من ينم فإني أطوي حديثي دونه وخطابي
لكننا الكذاب يخلق قوله ما حيلتي في المفترى الكذاب
لا يكذب المرء الا من مهنته أو فعله السوء ، أو من قلة الأدب
لبعض جيفة كلب خير رائحة من كذبة المرء في جد وفي لعب
اياك من كذب الكذوب وافكه فلربما مزج اليقين بشكه
ولربما كذب امرؤ بكلامه وبصمته وبكائه وبضحكه
اذا عرف الانسان بالكذب لم يزل لدى الناس كذابا ولو كان صادقا
فان قال لم تصنع له جلساؤه ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقا

الباب الخامس عشر في التواضع

ان شئت أن تبني بناء شائخا يلزم لذا البنيان أس راسخ
ان البناء هو الكمال وأسسه الصخري فهو الاتضاع الباذخ

تواضع لرب العرش علك ترفع فما خاب عبد للمهمين يخضع
تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه الى طبقات الجو وهو وضيع
اذا شئت أن تزداد قدراً ورفعة فلن وتواضع واترك الكبر والمعجبا
تواضع اذا ما نلت في الناس رفعة فان رفيع القوم من يتواضع

الباب السادس عشر في الكرم والكرماء

ونكرم ضيفنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا
فق كملت خيرا فه غير أنه جواد فما يبغي من المال باقيا
ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا من كان يالفهم في المنزل الحشن
أبى الجود في الدنيا سواك لأنه تفرع من جود وأنت أبو الجود
ان الكريم الذي لا مال في يده مثل الشجاع الذي في كفه شل
والمال مثل الحصى ما دام في يدنا فليس ينفع الا حين ينتقل
لو أشبهتك بحار الأرض في كرم لأصبح الدر مطروحا على الطرق
أو أشبه العيث جود أمنك منهملا لم ينج في الأرض مخلوق من الفرق
من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكين
أنت اذا جدت ضاحك أبدأ وهو اذا جاد داعم العين
ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير وقت سخاء
فنوال الأمير بدرة مال ونوال الغمام قطرة ماء

الباب السابع عشر في البخل والبخلاء

يفنى البخل يجمع المال مدته وللحوادث والايام ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهدمها وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

إن هذا الفتي يصون رغيفاً ما إليه من ناظر من سبيل
 في جبراب في جوف تابوت موسى والمفاتيح عند ميكائيل
 شرابك نختوم وخبزك لا يرى ولحمك بين الفرقدين معلق
 نديمك عطشان وضيفك جائع وكلبك نباح وبابك مغلق
 نوالك دونه شوك القتاد وخبزك كالثرثرا في البعاد
 ولو أبصرت ضيفاً في منام حرمت الرقاد على العباد
 قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشب إن الحريص على الدنيا لفي تعب
 وذو حرص تراه يلثم وفرأ لوارثه ويدفع عن حماء
 ككلب الصيد يمسك وهو هاور فريسته ليأكلها سواء
 حسبي بعلمي إن نفع ما الذل إلا في الطمع
 من راقب الله نزع عن سوء ما كان صنع
 ما طار طير وارفع إلا كما طار وقع
 أصبحت أجوع خلق الله كلهم وأفزع الناس من خبز إذا وُضعا
 خبز البخل لمكتوب عليه ألا لا بارك الله في ضيف إذا شبعوا
 إياك والحرص إن الحرص متعبة فإن فعلت فراع القصد في الطلب
 قد يرزق المرء لم تتعب رواحله ويحرم المرء ذو الأسفار والتعب
 إذا كسر الرغيف بكى عليه بكاء الخنساء إذ فجعت بصخر
 ودون رغيفه قلع الثنايا وضرب مثل وقعة يوم بدر
 تغير إذ دخلت عليه حق فطننت فقلت في عرض المقال
 علي اليوم نذر من صيام فأشرق وجهه مثل الهلال
 رغيف في الحجاب عليه قفل وحرّاس وأبواب منيعه
 رأى في بيته ضيف رغيفا فقال لضيفه هذا وديعه
 (٣١ جواهر الأدب - ٢)

رأى «الصيف» مكتوباً على باب داره فصحفه «ضيفاً» فقام إلى السيف
فقلنا له «خيراً» فظنّ بأننا نقول له «خُبْزاً» فمات من الخوف
وقال أبو محمد إسحاق الموصلي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ في ذمّ البُخل :

وأميرة بالبُخل قلتُ لها اقصري فليس إلى ما تأمرين سبيلُ
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى بخيلاً له في العالمين خليلُ
وإني رأيت البخل يُزري بأهله فأكرمتُ نفسي أن يقال بخيلُ
ومن خير حالات الفتي لو علمته إذا قال شيئاً أن يكون يذيلُ
عطائي عطاءُ الكثيرين تجملاً ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وكيف أخاف الفقر وأحرم الغنى ورأيُ أمير المؤمنين جميلُ

الباب الثامن عشر في وصف الدنيا

أيا من عاش في الدنيا طويلاً وأفنى العمرَ في قيل وقال
وأتعب نفسه في ما سيفنى وجمع من حرامٍ أو حلالٍ
هب الدنيا تقادُ إليك عقواً أليس مصيرُ ذاك إلى انتقالٍ
إن لله عباداً فطنوا طلقوا الدنيا وعافوا الفتننا
فكروا فيها فلما علموا أنها ليست لحيٍّ وطننا
جعلوها لجةً واتخذوا صالح الأعمال فيها سفناً
عجبتُ للمرء في دنياه تطمعه في العيش والأجل المحتوم يقطعه
يسى ويصبح في عشواء يخبطها أعمى البصيرة والآمال تُخدعه
يفتر بالدهر مسروراً بصحبته وقد تيقن أن الدهر يُصرعه
ويجمع المال حرصاً لا يفارقه وما دَرى أنه للغير يجمعه
تراه يُشفق من تضييع درّهمه وليس يُشفق من دين يضيعه

وأسوأ الناس تدبيراً لعاقبة من أنفق العمر في ما ليس ينفعه
 ألا إنما الدنيا كأحلام نائم وما خير عيش لا يكون بدائم
 تأمل إذا نلت بالأمر لذة فأفنيته هل أنت إلا كحالم؟
 ومن يذق الدنيا فإني طعمتها وسيق إلينا عذبها وعذابها
 فلم أرها إلا غروراً وباطلاً كلاح في ظهر الفلاة سرايبها
 وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همن اجتذابها
 فإن تجتنبها كنت ساءلاً لأهلها وإن تجتنبها نازعتك كلابها
 فدع عنك فضلات الأمور فإنها حرام على نفس التقى ارتكابها
 ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمرى عن قليل يلومها
 إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً مومها
 هي الدنيا تقول بلاء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
 فلا يفرركموا مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي
 يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأقدار
 دار متى ما أضحككت في يومها أبككت غداً، تباً لها من دار

الباب التاسع عشر في الأسرار

ولست بمبدي للرجال سريري ولا أنا عن أسرارهم بسؤل
 لا يكتم السر إلا كل ذي ثقة والسر عند خيار الناس مكتوم
 فالسر عندي في بيت له غلق ضاعت مفاتيحه والباب مختوم
 صن السر عن مستخبر وحاذر فما الرأي إلا الحذر
 أسيرك سرّك إن صنته وأنت أسير له إن ظهر
 كل علم ليس في القِرطاس ضاع كل سر جاوز الإثنين شاع

إذا لم يكن في الورى صاحب وفيه ثلاث خصال حميده
وفساء وسر ، وحفظ الولا فصحبته قط ليست مفيدة

الباب العشرون في اللسان

لا يُعجبنيك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلا
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
يُصاب الفقى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل
احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنيك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاء الشجعان
الصمت زين والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
فإذا ندمت على سكوتك مرة فلنندم من على الكلام مرارا
إن القليل من الكلام بأهله حسن وإن كثيره بمقوت
ما زل ذو صمت وما من مكث إلا يزل وما يعاب صموت
إن كان ينطق ناطق من فضة فالصمت در زانه الياقوت
احفظ لسانك واستعد من شره إن اللسان هو العدو الكاشح
وزن الكلام إذا نطقت بمجلس فإذا استوى فهناك حملك راجح
عود لسانك قول الخير تنسج به من زلة اللفظ أو من زلة القدم
واحذر لسانك من خيل تناديه إن النديم لمشتق من الندم

الباب الحادي والعشرون في المعاشرة

إذا المرء لا يراك إلا تكلفا فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه ولا كل من صافيته لك قد صفا

إذا لم يكن صفوُ الوداد طبيعة فلا خير في ودِّ يحيى تكلفا
ولا خير في خيلٍ يخونُ خليله ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكرُ عيشاً قد تقادمَ عهده ويظهر سرّاً كان بالأمس قد خفا
سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها صديق صدوق صادق الوعد منصفا
صافِ الكرامَ فخيرَ مَنْ صافيته مَنْ كان ذا أدبٍ وكان ظريفا
واحذرْ مؤاخاةَ اللئيم فإنه يُبدي القبيح ويُنكر المعروفا
إن الكريمَ وإن تضعض حاله فالخلقُ منه لا يزال شريفا
والناس مثل دراهمٍ قلبُ شهابها فأصبت منها فضة وزيوفا
ولن يصحبَ الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد
وما الفی إلا أن تصاحب غاوباً وما الرشد إلا أن تصاحب ذا رَشَد
أخو الفسق لا يغررُك منه توددٌ فكل حبال الفاسقين مَهينٌ
وصاحب إذا ما كنت يوماً مصاحباً أخا ثقة بالغيب منك أمين
اجعل قرينك مَنْ رضيت فعاله واحذر مقارنة اللئيم الشائن
كم من قرين شائنٍ لقرينه ومُهجنٍ منه لكل محاسن
وعينك إن أبدت اليك مساوياً من الناس قل يا عينُ للناس أعينُ
وعائزٌ بمعروف وكن متودداً ولا تَلقَ إلا بالتي هي أحسنُ

الباب الثاني والعشرون في القناعة

وأكل كُسيرة في جَنب بِيقي أحبُّ إليّ من أكل الرَغيف
ولبسُ عباءة وتقرُّ عيني أحبُّ إليّ من لبس الشفوف
هي القناعة فالزمها تعيشَ مليكاً لو لم يكن منك إلا راحة البدن
وانظر لمن مَلِك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

قَنَعْتُ بِالْقَوْتِ مِنْ زَمَانِي وَصُنْتُ نَفْسِي عَنِ الْهَوَانِ
خَوْفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا فَضْلُ فُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ
مَنْ كُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِيًّا فَلَا أُبَالِي إِذَا جَفَانِي
وَمَنْ رَأَانِي بِمَعِينٍ نَقَصَ رَأْيُهُ بَالِقِي رَأَانِي
وَمَنْ رَأَانِي بِمَعِينٍ تَمَّ رَأْيُهُ كَامِلَ الْمَعَانِي

إِذَا الْمَرْءُ عُوْفِيَ فِي جَسْمِهِ وَمَلَكَهُ اللَّهُ قَلْبًا قَنَعَا
وَأَلْقَى الْمَطَامِعَ عَنْ نَفْسِهِ فَذَاكَ الْغَنِيُّ وَلَوْ مَاتَ جَوْعًا

النَّفْسُ تَجْزَعُ أَنْ تَكُونَ مَقِيرَةً وَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنَى يُطْفِئُهَا
وَعِنَى النَّفْسِ هُوَ الْكَفَافُ فَإِنْ أَبَتْ فَجَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يَكْفِيهَا

إِنَّ الْقَنُوعَ نَفِيسُ النَّفْسِ رَاشِدُهَا وَهُوَ الْغَنِيُّ الَّذِي يَحْيَا بِمَا نَسَبَ
وَذَرِ الْمَطَامِعَ مَغْرُورٌ وَمَفْتَقِرٌ وَلَوْ حَوَى مُلْكُ سُلْطَانٍ وَعِلْمُ نَبِيٍّ

أَفَادَتْنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عَزٍّ وَهَلْ عَزُّ أَعْزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ
وَلَقَدْ طَلَبْتُ رِضَا الْبَرِيَّةِ جَاهِدًا فَإِذَا رِضَاهُمْ غَايَةٌ لَا تُدْرَكُ

وَأَرَى الْقَنَاعَةَ لِلْفَقْرِ كَنْزًا لَهُ وَالْبِرُّ أَفْضَلُ مَا بِهِ يَتَمَسَّكُ

الباب الثالث والعشرون في الحسد

تَخْلُقُ النَّاسُ بِالْأَدْنَسِ وَاعْتَمَدُوا مِنَ الصِّفَاتِ الدُّهْمَ وَالْمَكْرَ وَالْحَسَدَ
كَرِهْتُ مَنْظَرَهُمْ مِنْ سُوءِ نَجْوِهِمْ وَقَدْ تَعَامَيْتُ حَتَّى لَا أَرَى أَحَدًا

أَصْبِيرُ عَلَى كَيْدِ الْحَسَوِ دَ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُ

دَعِ الْحَسَدَ وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ يَكْفِيكَ مِنْهُ لَهَيْبُ النَّارِ فِي كِبِيدِهِ
إِنْ لَمْ تَدَعْ إِذَا حَسَدَ نَفْسُكَ كَرِبَتَهُ وَإِنْ سَكَتَ فَقَدْ عَذَّبَتْهُ بِيَدِهِ

أيا حاسداً لي على نيمتي أتدري على من أسأت الأدب
 أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب
 فأخزأك ربي بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب
 ان شئت قتل الحاسدين تعمداً من غير مديات عليك ولا قود
 وبغير مم قاتل وصوارم وعقاب رب ليس يغفل عن أحد
 عظم تجاه عيونهم تحسودهم فتراهم واموتى النفوس مع الجسد

الباب الرابع والعشرون في الحلم

ألا ان حلم المرء أكرم نسبة تسامى بها عند الفخار حلم
 فيا رب هب لي منك حِلماً فإنني أرى الحلم لم يندم عليه كريم
 ولا خير في حلم اذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
 ولا خير في جهل اذا لم يكن له حلم اذا ما أورد الأمر أصدر
 اذا كنت محتاجاً الى الحلم لاني الى الجهل في بعض الأحيان أحوج
 ولي فرس للحلم بالحلم ملجئ ولي فرس للجهل بالجهل مسرّج
 فمن شاء تقوي فإني مقوّم ومن شاء تعويجي فإني معوّج
 وما كنت أرضى الجهل خيدناً وصاحباً
 ولكنني أرضى به حين أحرّج

إذا كنت بين الحلم والجهل ناشئاً وخيرت أنسى شئت فالحلم أفضل
 ولكن اذا أنصفت من ليس منصفاً ولم يرز منك الحلم فالجهل أمثل
 وعين الرضا عن كل عيب كيلة كما أن عين السخط تبدي المساويا
 ولست بهتّاب لمن لا يهابني ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا
 فإن تدن مني تدن منك مودتي وإن تنأ عني تلتفتني عنك نائما
 كلانا غني عن أخيه حياته ونحن اذا مِتْنَا أشد تغانيا

الباب الخامس والعشرون : في الحماقة

لكل داء دواء يُسْتَنْطَبُ به الا الحماقة أعيت من يداويها
 لا تَيْأسَنَّ من اللبيب وان جفا واقطع حبالك من حبال الأحمق
 فعداوة من عاقل مُتَجَمِّلٍ أولى وأسلم من صداقة أخرق

الباب السادس والعشرون في الوطن

قال ابن الرومي :
 ولي وطنٌ آليتُ ألا أبيعهُ وألا أرى غيري له الدهر مالكا
 عمرتُ به شَرَّخَ الشباب مُنْعَمًا بصُحْبَةِ قوم أصبحوا في ظلالها
 وحبَّبتُ أوطانَ الرجال اليهم مآرب قضأها الشباب مُنَالكا
 اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهد الصبا فيها فحنوا لئذالكا
 وقد ألفتَهُ النفس حتى كأنه لها جسدٌ إن بان غودر هالكا

الباب السابع والعشرون : في المال

إن الدرام كالمرأ م تجبر العظم الكسيرا
 لو نالهنَّ ثعلب في صُبْحِهِ أضحى أميرا
 إن قسَلَّ مالي فلا خيلٌ يُصاحبُنِي وان زاد مالي فكل الناس خلاني
 فكم عدوٌّ لأجل المال صاحبني وكم صديقٍ لفقد المال عاداني
 لتعمرك ان المال يجعلُ الفقى سريًا وان الفقر للمرء قد يُزري
 وما رفع النفس الدنية كالفنى ولا وضع النفس النفيسة كالفقر
 وإذا رأيت صُعوبة في مطلب فاحملْ صعوبته على الدينار
 وابعثه فيما تشتهيهِ فإنه حجر يُلْتَمَسُ قسوةَ الأحجار
 الناسُ أتباعٌ مَنْ دامتْ له نِعم والويل للمرء إن زالتْ به القدم

المال زَيْنٌ ، ومن قَسَلَتْ دَراهمه حيُّ كُنْ مات الا أَنَّهُ صَنَمٌ
لما رأيت أَخْلَائي وخَالِصِي والكلُّ مُسْتَقَرٌّ عني ومَحْتَشَمٌ
أَبْدُوا جَفَاءً وإِعْرَاضاً فَقُلْتُ لَهُمْ : أَذْنِيتْ ذَنْباً ؟ قالوا ذَنْبُكَ الْعَدَمُ

فَصَاحَةُ حَسَّانٍ وَخَطُّ ابْنِ مُقَلَّةٍ وَحِكْمَةُ لُقْمَانَ وَزُهْدُ ابْنِ أَدَمِ
إِذَا اجْتَمَعَتْ فِي الْمَرْءِ وَالْمَرْءِ مُفْلِسٌ وَنُصُودِي عَلَيْهِ لَا يُبَاعُ بِدَرَمِ

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا وَأَنْتَ بِهَا كَلِيفٌ مُفْرَمٌ
فَارْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِ بِهِ وَذَاكَ الْحَكِيمُ هُوَ الدَّرَمُ

أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ زُهْدًا وَعَلَى الدِّينَارِ دَارُوا
وَلَهُ صَامُوا وَصَلُوا وَلَهُ حَجَّجُوا وَزَارُوا
لَوْ يُرَى فَوْقَ الثَّرِيَّا وَلَهُمْ رِيشٌ لَطَارُوا

الْمَالُ يَفْرُقُ بَيْنَ الْأُمِّ وَالْوَلَدِ فَذَاكَ أَدْنَى نَسِيبٍ عِنْدَ كُلِّ يَدٍ
عَهْدِي بِهِ خَادِمًا كَالْعَبْدِ تَمْلِكُهُ قَمَا لِعَيْنِي تَرَاهُ سَيِّدَ الْبَلَدِ ؟

مَالٌ يَمِيلُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ صِغَرٍ وَكُلَّمَا شَبَّ شَبَّ الْحُبُّ فِي الْكَبْدِ
لَوْ يَجْمَعُ اللَّهُ مَا فِي الْأَرْضِ قَاطِبَةً عِنْدَ امْرِئٍ لَمْ يَقُلْ حَسْبِي فَلَا تَزِدْ
كُلُّ يَرْوَحُ مِنَ الدُّنْيَا الْفَرُورُ كَمَا أَتَى بِلَا عُدَدٍ مِنْهَا وَلَا عُدَدَ
لَوْ كَانَ يَأْخُذُ شَيْئًا قَبْلَئِنَّا أَحَدٌ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَنَا مِنْ سَالِفِ الْأَمَدِ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْتَقِ مِنَ الْمَالِ نَفْسَهُ تَمْلِكُهُ الْمَالُ الَّذِي هُوَ مَالِكُهُ
أَلَا إِنَّمَا مَالِي الَّذِي أَنَا مُنْتَفِقٌ وَلَيْسَ لِي الْمَالُ الَّذِي أَنَا تَارِكُهُ

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دَرَاهِمِينَ تَعَلَّمَتْ شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَا
لَوْ لَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزْهَوُ بِهَا لَوْجَدْتُهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنْ الْفَنَى إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ بِحَالَا

أما الفقير اذا تكلم صادقاً قالوا كذبت وأبطلوا ما قالوا
ان الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

الباب الثامن والعشرون في السياحة والغربة

وإذا البلاد تغيرت عن حالها فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فترضاً واجباً في بلدة تدع العزيز ذليلاً
تنقل فلذات الهوى في التنقل ورِدْ كل صافٍ ولا تقف عند منهل
ففي الأرض أحبابٌ وفيها مناهل فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافرْ ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج همّ ، واكتساب معيشة ، وعلم ، وآداب ، وصحبة ماجد
وإن قيل في الأسفار ذلٌ ومحنة وقطع الفيافي واكتساب الشدائد
فموت الفقى خير له من حياته بدارِ هوانٍ بين واشٍ وحاسد
ارْحَلْ بنفسك من أرض تضامُ بها ولا تكن لفراق الأهل في حرق
من ذلٍّ بين أهاليه ببلدته فالاغتراب له من أحسن الخلق
الكحل نوع من الأحجار منطرحا في أرضه كالثرى يُرى على الطرق
لما تغرب نال العز أجمعه وصار يحمل بين الجفن والحدق
ما في المقام لذي عقل وذو أدب من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضاً عن تصاحبه وانصبْ فإن لذيد العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يُفسدهُ إن سالَ طابَ وإن لم يحرق لم يطب
والأسد لولا فراق الغاب ما قنِصت والسهم لولا فراق القوس لم يُصيب
والشمس لو وقفت في الفلك دائماً لملأها الناس من عجنهم ومن عرب
والبدر لولا أقول منه ما نظرت اليه في كل حين عينٌ مُرتقب
والتبر كالترب ملقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب

فإن تغرّب هذا عز مطلبه وإن أقام فلا يعلو على رتب
إذا ما ضاق صدرك من بلاد ترحل طالباً أرضاً سواها
عجبت لمن يقيم بأرض ذل وأرض الله واسعة فضاها
فذاك من الرجال قليل عقل بليد ليس يعلم ما طحاها
فنفسك فز بها إن خفت ضيا وخل الدار تنمي من بناها
فإنك واجد أرضاً بأرض ونفسك لم تجد نفساً سواها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

وقال الحريري في الحث على السفر من آخر مقامة له :

لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينيك هل أرض معطلة من النبات كأرض حفا الشجر
وجانبن ما يشير الأغبياء به فأى فضل لعود ماله ثمر
وارحل ركابك عز ربّع ظمئت به الى الجنب الذي يهوى به المطر
واستزل الري من درّ السحاب فإن بليت يداك به فليهنك الظفر

بلاد الله واسعة فضاء ورزق الله في الدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوان اذا ضاقت بكم أرض فسيحوا
واذا رأيت الرزق ضاق ببلدة وخشيت فيها أن يضيق المكسب
فارحل فأرض الله واسعة الفضا طولاً وعرضاً ، شرقها والمغرب
اذا ما كنت في قوم غريباً فعاملمهم بفعل يستطاب
ولا تحزن اذا فاهوا بفحش غريب الدار تنبجه الكلاب
وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألق دلوك في الدلاء
يحيى بماؤها طوراً وطوراً يحيى بحمأة وقليل ماء
ولا تقعد على كسل التمني تحيل على المقدّر والقضاء

فإن مقادر الرحمن تجري بأرزاق الرجال من السماء
مقدرة بقبض أو ببسط وعجز المرء أسباب البلاء

الباب التاسع والعشرون في الغدر

لا أشتكي زمني هذا فأظلمه وإنما أشتكي من أهل ذا الزمن
هم الذئاب التي تحت الثياب فلا تكن إلى أحد منهم بمؤمن
وزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختياري صاحباً بعد صاحب
فلم ترني الأيام خلا تسرني مبادئه إلا ساءني في العواقب
لني بلوت الناس أطلب منهم أخائقة عند اعتراض الشدائد
فلم أرَ فيما ساءني غير شامت ولم أرَ فيما سرني غير حاسد
وقال علي بن الجهم وهو مسجون :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبسي وأي مهندي لا يغمد
فالشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والبدري يدركه السرار فتنجلي أيامه وكأنه مُتَجَدِّدٌ

الباب الثلاثون في الدعاء والختام

أراني الله وجهك كل يوم صباحاً للتسليم والسرور
وأمتع مُقلتي بصفحتيه لأقترأ الحسن من تلك السطور
بقيت مدى الدنيا وملكك راسخ وطودك ممدود وبابك عامر
يود سناك البدر والبدر زاهر ويقفونداك البحر والبحر غامر
وهنشت أياماً تَوالت سعودها كما تتوالى في العقود الجواهر

يقول مؤلفه فرغت من تأليفه وترتيبه في ربيع الأول سنة ألف وثلثمائة
وخمسة عشر هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

فهرس الجزء الأول

من كتاب جواهر الأدب

صفحة	صفحة
٣	فاتحة الكتاب
٩	إليك معشر الكتاب
١٤	تمهيد في مبادئ علم الأدب
١٥	مقدمة في علم الانشاء
١٦	الباب الأول في اصول الانشاء - مواد الإنشاء ، خواص الإنشاء ، عيوب الانشاء ، طبقات الإنشاء ، محاسن الانشاء
٢٢	كيفية الشروع في عمل مواضيع الانشاء - أركان الكتابة ، كيفية نظم الكلام ، الطريق إلى تعلم الكتابة كيفية تهذيب الكلام ، محاسن الانشاء ومعانيه ، فصاحة الألفاظ ومطابقتها للمعاني ، حقيقة الفصاحة ، الانسجام حل الشعر ، التخلص والاقتضاب
٣٨	كيفية افتتاح مواضيع الانشاء
٤٠	تقسيم الانشاء إلى فنى النظم والنثر
٤٢	كيفية عمل الشعر
٤٤	فنون الانشاء سبعة
٤٤	الفن الأول في المكاتبات
٤٥	ابواب الرسائل
٤٥	الرسائل لاهلية
٤٦	الفصل الأول في رسائل الشوق - رسائل أبي منصور الثعالبي ، رسالة البسطامي ، رسالة عبد الرحمن محمد ابن طاهر ، رسالة ابي الفضل
٥٨	الفصل الثاني في التعارف قبل اللقاء - رسالة الثعالبي ، رسالة المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، رسالة المرحوم حفي بك ناصف ، أحمد أفندي سمير ، أحمد مفتاح ، الشيخ طه محمود ، محمود بك أبو النصر ، السيد محمد البيلوي ، رسالة المرحوم عبد الكريم سلمان ، رسالة مؤلف هذا الكتاب
٦٨	الفصل الثالث في رسائل الهدايا - رسالة سعيد بن حميد رسالة حفي بك ناصف ، رسالة محمود بك أبو النصر ، رسالة عبد الله بك الأنصاري ، رسالة المرحوم الشيخ أحمد مفتاح ، رسالة مؤلف هذا

صفحة	صفحة
رسالة عبد الخالق ثروت باشا ، » المرحوم أحمد بك رأفت » عبد العزيز محمد باشا » حسن أفندي توفيق العدل	الكتاب الى أستاذه المرحوم الشيخ محمد عبده ، رسالة مؤلف هذا الكتاب الى المغفور له سعد باشا زغلول .
١٠٤ استمناح رجل لعبد الملك بن مروان - استمناح العتاي لأحد أصدقائه ، استمناح أعرابية لابن أبي بكرة ، استمناح حكيم فارس للمهلب ، تلطف رجل في استمناح المنصور . استمناح ابن زرارة للمعاوية ، استمناح للمرحوم مصطفى لطف المنفلوطي ، استمناح الصابي ، لبعض الرؤساء ، استمناح عباد الى جعفر وزير المعتز .	٨٦ الفصل الرابع في رسائل الاستعطاف رسالة الثعالبي ، رسالة عبد الله بن معاوية رسالة ابن حبيب الحلبي ، رسالة الجاحظ ، رسالة ابن مكرم رسالة الخوارزمي ، رسالة بعضهم الى رئيسه ، رسالة ابراهيم اليازجي رسالة زبيدة زوجة الرشيد ، رسالة المأمون ، رسالة بعضهم ، رسالة الجاحظ ، استعطاف أم جعفر بن يحيى الرشيد ، رسالة ابراهيم بن المهدي للمأمون ، رسالة اسحاق ابن العباس للمأمون ، رسالة الفضل ابن الربيع للمأمون ، رسالة تميم ابن جميل للمعتصم ، رسالة الجاحظ الى ابن الزيات ، رسالة رجل من أهل الشام للمنصور ، رسالة روح ابن زنباع لمعاوية ، رسالة ابن الرومي للقاسم ، رسالة الخوارزمي .
١١١ الفصل الثالث في رسائل الشكر - رسالة الثعالبي ، رسالة الحسن ، وهب ، رسالة الأمير أبي الفضل الميكالي . رسالة الشيخ محمد عبده ١١٥ الفصل الرابع في النصيح والمشورة - رسالة الهمداني ، رسالة الاسكندر المقدوني ، رسالة أرسطو الى الاسكندر ، رسالة الإمام علي ، رسالة السيد عبد الله النديم ، رسالة الشيخ محمد عبده .	٩٧ اعتذار لسعيد بن حميد - اعتذار لأبي علي البصير ، اعتذار للبديع . ٩٩ الفصل الثاني في رسائل حسن التقاضي والطلب - رسالة أبي العيناء
١٢٤ الفصل الخامس في رسائل العتاب - كتاب الهمداني ، كتاب الجاحظ	

صفحة	صفحة
رسالة لمحمد بن عبد الله باشا فكري ،	كتاب الخوارزمي ، كتاب عبد الله
رسالة حفني بك ناصف ، رسالة	ابن معاوية كتاب الشيخ عبد
الشيخ علي الليثي .	العزیز جاویش ، كتاب معاوية
١٧١ الفصل الحادي عشر في الوصايا -	الى ابنه يزيد ، كتاب أعرابي
من كلامه عليه الصلاة والسلام	الى ابنه ، كتاب حفني بك
لعمرو . من وصاياه عليه الصلاة	ناصر ، كتاب القاضي الفاضل
والسلام . عهد الإمام علي للأشتر	١٣٧ الفصل السادس في الشكوى ؛
النخعي ، كتاب أبي بكر الصديق	كتاب الأمير الميكالي ، كتاب عبد
كتاب عمر بن الخطاب . وصية	الحمد بن يحيى ، كتاب الشيخ
ابن سعيد المغربي ، وصية هرون	محمد عبده ، كتاب حافظ بك
الرشيد وصية بعض نساء العرب	ابراهيم .
لابنها .	١٤٧ الفصل السابع في رسائل العيادة
١٨٥ نصيحة رجل لهشام ، نصيحة	كتاب ابن الرومي ، كتاب
أعرابي لابن عبد الملك ، نصيحة	الخوارزمي .
فتاة لأبيها نصيحة الهمداني لوارث	١٦٠ الفصل الثامن في رسائل التهاني ،
مال ، وصية الرياحي لقومه ، وصية	كتاب الشعالي ، كتاب بديع
ذی الأصبع لابنه ، وصية ابن	الزمان الهمداني ، كتاب الشعالي
شداد لابنه .	تهنئة بقسوم ، كتاب الشعالي
١٩١ الفصل الثاني عشر في التنصل -	تهنئة برمضان ، رسالة أبي الفرج
كتاب ابن الرومي ، كتاب ابن	البغيا
زيدون .	كتاب المرحوم الشيخ حمزة ،
٢٠٧ مكاتبات متفرقة - كتاب الدولة	» » محمد بك أبو النصر ،
العلية . كتاب ابن العميد .	» » عبد الله باشا فكري
كتاب السيد توفيف البكري ،	١٦٣ الفصل التاسع في التعازي والتأبين ،
» السيدة وردة اليازجية ،	كتاب الشعالي ، كتاب الهمداني
» السيدة عائشة تيمور	» اليازجي ، تأبين الأحنف
» السيد عبد الله النديم	ابن قيس ، تأبين الاسكندر .
	١٦٨ الفصل العاشر في رسائل الاجوبة ،

صفحة	صفحة
المهدي مناظرة العباس بن محمد	كتاب ابراهيم المويلحي بك
مناظرة هارون للمهدي، مناظرة	» ابن هارون .
صالح للمهدي ، مناظرة محمد بن	٢٢٠ الكلام على الرسائل العلمية .
الليث ، مناظرة معاوية بن	٢٢١ الفن الثاني في المناظرات ،
عبدالله .	مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى
٢٥٠ وفود بكارة الهلالية على معاوية	» أكرم بن صيفي
٢٥١ مناظرة السيف والقلم لابن الوردي .	» حاجب بن زرارة
٢٥٥ مناظرة للآمدي صاحب أبي تمام	» الحارث البكري
مناظرة صاحب البحري مناظرة	» عمرو بن الشريد
الليل والنهار مناظرة الارض	» علقمة بن علاثة
والسما مناظرة بين فصول العام	» خالد بن جعفر الكلبي
مناظرة الربيع مناظرة الصيف ،	» قيس بن مسعود الشيباني
مناظرة الخريف ، مناظرة الشتاء ،	» عامر بن الطفيل العامري
مناظرة البر والبحر ، مناظرة	» عمرو بن معدي كرب
الهواء والماء ، مناظرة الجمل	» الحارث بن ظالم المري
والحصان .	» راوية الكلبي عند كسرى
٢٨٤ الفن الثالث في الأمثال .	» الأشعث بن قيس
٢٨٥ أمثال القرآن الظاهرة ، أمثال	» بسطام بن قيس
القرآن الكامنة .	» حاجب بن زرارة
٢٨٧ في الصدق ، في الصبر والثبات ، في	» قيس بن عاصم
العلم والاسترشاد ، في الاتحاد	٢٣٤ مناظرات ومشاورات المهدي
والوئام ، في العفو ، في الوفاء ،	لأهل بيته في حرب خراسان .
في الاقتصاد في الأمر بالمعروف	٢٣٥ مناظرة سلام وجواب المهدي عليه
في بر الوالدين والاقارب ، في	» الربيع ، مناظرة الفضل
النصيحة ، في الشكر ، في الإغضاء	ابن العباس ، مناظرة علي بن
والتغافل ، في المدح ، في التبرئة	المهدي ، مناظرة موسى بن

صفحة

والتنزيه ، في حسن الخلق ، في
الكذب والزور ، في الخيانة
ونقض العهد ، في القتل والانتحار
في الزنا ، في الخمر والميسر ، في
البخل وحب المال ، في الربا ، في
العجب والكبرياء في الاستبداد
والاثرة ، في التفرق والاختلاف
في الجبن والفرار ، في الامر بما
لا يفعل ، في الغفلة ، في إنكار
الجميل ، الذم والإهانة والتحقير
في الضالين والمضللين ، في قرناء
السوء ، في المنافقين والمرائين ،
في تمثيل أعمال المرائين والمنافقين
في الإنذار والوعيد ، في الحياة
الزوجية ، في آداب النساء ، في
الصلح والسلم ، في الناس بخير
ما تعاونوا ، في الحث على الصدقة
في التحية والاستئذان ، في
آداب المشي ، في التلطف ، في
الدعوة ، في الشورى ، في
الشفاعة ، في الاخطاء
والاصرار ، في المسؤولية عن
العمل ، الجهاد ، في الايمان ،
في الكلام والاستماع في الجدل
والمناظرة وبضدها تتميز
الاشياء ، في الحث على العمل ، في
الجزاء على العمل ، في الجزاء من

صفحة

جنس العمل ، في شبيه الشيء
منجذب إليه ، في الإفساد
والبغي ، في المفسدين والمكابرين
في غرور الظلمة ، في سوء
عاقبة الظالمين . الإعراض عن
الدعوى ، في التدخل فيما لا يعني
في الكرم والضيافة ، في التعزية
وتهوين الخطب ، في الكيل
والميزان ، في الرشوة ، في مال
اليتيم ومتاعه ، في صك الدين
وانذار المعسر ، في الاحكام
والحكام ، في اتهام الابرياء
والمكابرة في الحق والباطل ،
في أداء الشهادة ، في الخبر اليقين
في الاستنكار والتعجب ، في
المحاماة والدفاع ، في التحدي
وعدم المبالاة ، في الظن والشك ،
في النجوى والمؤامرة ، في التبرؤ
والتنصل ، في موقف المجرمين
أمام العدالة عند ظهور الحق ،
في الإفحام والالزام ، في اليأس
والتئيس ، في امضاء الامر ، في
حال المجرمين ، في الشيب
والكبر ، في صفات الانسان ،
في الخوف ، في التضجير
والتحسر ، في النسيان ، في
النفس الأمارة بالسوء ، في الرؤيا
والاحلام في زوال المكروه

صفحة

صفحة

في النعيم والسرور ، في الجبال
والبحار ، في البساتين والرياحين
في التفكير والنظر ، في العظة
والعبرة ، في نعم الله وفضله ،
في ما استؤثر بعلمه ، في العمل
لوجه الله ، في التحذير من النفس
في الاعتماد على الله ، في الترغيب ،
في التقوى ، في التوبة ، في
القرآن الكريم ، في الإنباء
والاستنباء والكتب والكتابة ،
في الاغتراب ، في الضعف والعجز
في البلاء وما يصاب الناس به ،
في الاغترار بالظهور ، في البشرى
والتهنئة ، في الامتنان ، في التحدث
بالنعمة ، في التأمين والطمانينة .
٣١٦ أمثال العرب .

٣٢٣ الفن الرابع في الأوصاف .

٣٢٤ وصف البلدان - وصف القلاع

وصف الدور ، وصف الديار
الخالية ، وصف أيام الربيع ،
وصف الرياض ، وصف طول
الليل والسر ، وصف انتصاف
الليل وتناهيه ، وصف طلوع
الشمس وغروبها ، وصف الرعد
والبرق ، وصف مقدمات المطر
وصف الثلج والبرد وأيام الشتاء
وصف المطر والماء والسحاب ،
وصف القيظ وشدة الحر ، وصف

الشتب ، وصف آلات الكتابة
وصف الخطباء ، وصف العلماء
وصف البلغاء ، وصف الشعر
والمنشئين ، وصف الأمراء
والأشراف ، وصف القلم ،
وصف الخط ، وصف الكتاب
وصف عاصفة ، وصف المعلم ،
وصف رجل لخصمه ، وصف
أبي دلف لرجل أعرابي ، وصف
الإمام العادل ، وصف عمرو
ابن العاص لمصر ، وصف المطر
وصف حديقة ، وصف البيان ،
وصف المكالم ، وصف
القرآن الكريم ، وصف
البلاغة ، وصف عمر بن الخطاب
وصف علي بن أبي طالب ،
وصف كلاب العرب ، وصف
حرب ، وصف الكتاب ،
وصف التاريخ ، وصف الرجل
الكامل ، وصف قناة السويس
وصف فرس ، وصف العصا ،
وصف كرة القدم ، وصف
جيوش ، وصف الحسد ،
وصف أفضل الكلام ، وصف
الشعراء والمحدثين ، وصف
أبي تمام والبحثري والمنتبي ،
وصف بعض أحياء العرب ،
وصف نهج البلاغة ، وصف

صفحة	صفحة
	حفلة - ومتحف - وصف
	الفونغراف . وصف نظارة .
	وصف سان استيفانو . وصف
	الشمس وصف القمر .
٢ الفن السابع في التاريخ	٣٨٣ الفن الخامس في المقامات - المقامة
تاريخ أدب اللغة العربية	الاسكندرانية . المقامة البشرية .
المقدمة الأولى في التاريخ .	٣٩٣ الفن السادس في الروايات -
» الثانية في توضيح الأولى .	رواية ليلي الأخيلىة . روايات بنات
» الثالثة في جزيرة العرب .	الشاعر المقتول . والمرأة المتكلمة
» الرابعة في اللغة العربية .	بالقرآن ، مروان ابن الحكم ،
» الخامسة في تاريخ العربية .	عميد بن الأبرص ، أبو تراب
» السادسة في حياة العرب .	والشريف العباسي ، المأمون
» السابعة في أخلاقهم .	والمتظلمة ، عمر بن الخطاب
» الثامنة في دينهم .	والهرمزان ، إبراهيم بن المهدي
» التاسعة في ثقافتهم .	الأحنف بن قيس ، معن بن زائدة
» العاشرة في عصور اللغة .	وجاره ، معن بن زائدة والأسود
١٣ العصر الأول عصر الجاهلية -	معاوية والأعرابية . الأحنف بين
حالة اللغة في ذلك العصر .	يدي معاوية الأحنف بين يدي عمر
١٤ سوق عكاظ - كلام العرب .	ابن الخطاب ، أسيد بن عنقاء ،
١٥ أغراض اللغة في الجاهلية - معاني	الفضل وجعفر البرمكي ، براعة
اللغة في الجاهلية ، عبارة اللغة في	الرشيد في الأدب ، الواثق وأبي
الجاهلية .	دؤاد ، المنصور والربيع بن
١٦ تقسيم كلام العرب إلى نثر ونظم	يونس ، الأعرابي ، السائل معاوية
النثر والخطابة ، المحادلة ، خطباء	والأحنف بن قيس الحجاج
العرب ، قس بن ساعدة الإيادي	ورسول المهلب ، حديث معاوية ،
أكثم بن صيفي ، الكتابة .	وليلي الأخيلىة ، سودة بنت
٢١ علوم العرب وفنونها ، علم النجوم	عمارة ومعاوية ، أم سنان بنت
الطب - والبيطرة ، الاخبار -	جشمة ومعاوية .

الجزء الثاني

صفحة	صفحة
١٠٢ القرآن الكريم .	والقصص ، التاريخ - والجغرافيا
١٠٣ إعجاز القرآن الشريف .	الفراسة - والقيافة ، الكهانة
١٠٤ جمع القرآن وكنابته .	والعرافة والزجر .
١٠٤ صاحب الشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .	٢٣ النظم والشعر - والشعراء .
١٠٦ الحديث النبوي .	٢٥ أغراضه وفنونه .
١٠٧ النثر لغة التخاطب والخطابة .	٢٦ الفخر والمدح والهجاء - والراء
١٠٨ الخطابة في هذا العصر والخطباء .	الاعتذار - الوصف ، والحكمة
١٠٩ النبي ﷺ وخطبه .	والمثل ، معانيه وأخيلته ، ألفاظه
١١١ عمر بن الخطاب وخطبه - خطبته	وأساليبه ، أوزانه وقوافيه .
١١٧ عثمان بن عفان وخطبه .	٢٩ الشعراء وطبقاتهم - والشعراء
١١٨ علي بن أبي طالب وخطبه .	الجاهليون .
١٢٠ سحبان بن وائل وخطبه .	٢٩ امرؤ القيس ومعلقته
١٢١ زياد بن أبيه وخطبه .	٢٩ النابغة الذبياني
١٢٣ الحجاج الثقفي وخطبه .	٤٥ زهير بن أبي سلمى
١٢٥ طارق بن زياد وخطبه .	٥٢ عنترة العبسي
١٢٦ الكتابة الخطية .	٦٠ عمرو بن كلثوم
١٢٧ الانشائية .	٦٨ طرفة بن العبد
١٢٨ مميزات الكتابة الانشائية .	٧٨ أغشى قيس
١٢٨ الكتاب في هذا العصر .	٨٢ الحارث بن حلزة
١٢٩ عبد الحميد الكاتب .	٨٦ لبيد بن ربيعة
١٣٠ التدوين والتصنيف .	٩٥ علقمة الفحل
١٣١ الشعر والشعراء .	٩٨ أمية بن الصلت وقصيدته
١٣٢ أغراض الشعر وفنونه .	١٠٠ خلفاء بني أمية .
١٣٣ معانيه وأخيلته وألفاظه .	١٠٠ العصر الثاني عصر صدر الاسلام
والشعراء في هذا العصر .	حالة اللغة في ذلك العصر

صفحة	صفحة
١٣٤	كعب بن زهير وقصيدته بانث
	سماد
١٣٨	عمرو بن معدنيكرب الزبيدي
١٣٩	الخنساء
١٤١	الخطيئة
١٤٣	حسان بن ثابت
١٤٤	النبأغة الجعدي
١٤٥	عمرو بن أبي ربيعة
١٤٧	الأخطل
١٤٩	الفرزدق
١٥٠	جرير
١٥٢	الكثير
١٥٤	الرواية والرواة
١٥٥	العصر الثالث عصر الدولة العباسية
	أحوال اللغة العربية وآدابها في
	هذا العصر
١٥٥	خلفاء بني العباس
١٥٦	أغراض اللغة المعاني والأفكار،
	الألفاظ والأساليب ، النثر -
	المحادثة أو لغة التخاطب ،
	الخطابة والخطباء
١٥٩	داود بن علي
١٦٠	شبيب بن شيبه
١٦١	الكتابة الخطية والانشائية
١٦٢	ابن مقلة
١٦٣	الكتابة الانشائية في الرسائل
١٦٣	الكتابة في هذا العصر
١٦٤	ابن المقفع
١٦٥	إبراهيم الصولي
١٦٦	ابن العميد
١٦٧	بقية خلفاء العباسيين
١٦٨	الصاحب بن عباد
١٦٩	بديع الزمان الهمداني
١٧٠	ابن زيدون
١٧٠	القاضي العادل
١٧١	التدوين والتصنيف
١٧٢	كتابة التصنيف والتدوين
١٧٣	العلوم اللسانية ونشأتها
١٧٣	الجاحظ
١٧٣	أحمد بن عبد ربه
١٧٤	الحريري
١٧٥	فن التأريخ
١٧٦	المروض والقافية ، والنحو ،
	علم اللغة علوم البلاغة
١٧٧	الخليل بن أحمد
١٧٨	سيدويه - الكسائي
١٧٩	العلوم الشرعية - كتب الحديث
١٨٠	الامام البخاري - علم الفقه
١٨١	الامام أبو حنيفة
١٨١	الامام مالك
١٨٢	الامام الشافعي

صفحة	صفحة
٢٠٤ القاضي محيي الدين	١٧٢ الامام أحمد بن حنبل
٢٠٥ شهاب الدين العمري	١٨٢ علم الكلام
٢٠٥ لسان الدين بن الخطيب	١٨٣ أبو الحسن الأشعري
٢٠٦ التدوين والتصنيف - الأدب	١٨٤ الغزالي
٢٠٧ بقية العلوم الاسلامية	١٨٤ نشأة العلوم الكونية
٢٠٧ كتابة التدوين والتصنيف	١٨٦ الشعر والشعراء
٢٠٨ ابن خلكان ابن خلدون ،	١٨٧ بشار بن برد
جلال الدين السيوطي	١٨٨ أبو نواس
٢٠٩ الشعر والشعراء في هذا العصر	١٨٩ مسلم بن الوليد
البوصيري صفى الدين الحلي ،	١٩٠ أبو العتاهية
ابن نباتة المصري ابن معنوق	١٩١ أبو تمام
الموسوي	١٩٣ البحتري
٢١١ العصر الخامس : النهضة	١٩٤ ابن الرومي
الأخيرة محمد علي باشا	١٩٥ ابن المعتز
٢١٢ مدرسة الطب	١٩٥ أبو الطيب المتنبي
٢١٢ إيقاظ محمد علي للشرق	١٩٧ ابن هانئ، الأندلسي
٢١٣ الخديوي إسماعيل	١٩٨ أبو العلاء المعري
٢١٣ مظاهر النهضة الحديثة في العلوم	٢٠٠ ابن خفاجة الأندلسي
٢١٤ الترجمة والتأليف	٢٠١ الطغراني
٢١٥ حالة اللغة العربية وآدابها في	٢٠١ البهاء زهير
هذا العصر	٢٠٢ الرواية والرواة
٢١٦ النثر - المحادثة - الخطابة	٢٠٢ العصر الرابع عصر الدولة
٢١٧ الكتابة الخطية ، كتابة	التركية حالة اللغة وآدابها في
التدوين .	ذلك العصر النثر ، لغة
٢١٨ زعماء النهضة العلمية الحديثة .	التخاطب ، الخطابة الكتابة
رفاعة بك الطميطاوي ، عبد الله	الخطية ، الكتابة الانشائية
فكري باشا ، علي مبارك باشا	الكتاب في هذا العصر
الشيخ محمد عبده ، الشيخ حمزة	

صفحة	صفحة
وصف الموز والكثرى والتفاح	فتح الله، المرحومة ملك حفني
» الخوخ والشمش والرمان	نأصف، الشعر وزعماء النهضة
» النخيل والبلح	الحديثة، محمود صفوت
» البطيخ، الكرم والعنب	الساعاتي، الشيخ علي الليثي،
» الهلال والثريا والزهرة	الشيخ شهاب الدين، حفني نأصف
» السماء والأرض والليل	بك، مصطفى كامل باشا، محمد
» الغيث والربيع، وصف واد	فريد، سعد زغلول باشا،
» جريعه ورماد، وصف بدر	مصطفى النحاس باشا الغازي
» هلال، وصف روض وربيع	مصطفى كمال، محمود سامي
» الهلال، الصبح والليل	البارودي باشا، أحمد شوقي بك
» الندى على البحر	محمد حافظ إبراهيم بك، إسماعيل
» الجو وإدبار الليل، المطر	صبري باشا، خليل بك مطران
» الصبح والليل	٢٥٢ أبواب الشعر العربي
» وحشة الليل والنجوم،	٢٥٢ الباب الأول في المديح
» النارنج، الشمس والبدر	٢٥٩ » الثاني في الفخر والحاسة
» القلم، والسيف، والليمون	٢٥٩ » الثالث في شكوى الزمان
» النارنج والفتق، والتين	٢٥٩ » الرابع في الوصف -
» واللوز	وصف الشعراء، آراء الحكماء
» الجزر النبق، قصب السكر	والشعراء فيه، شعر فكتور
» نهر حوله أشجار الجبلنار	هوجو، وصف طيارة لحافظ
» الرياض والبرق	إبراهيم، وصف زلزال صقلية
» روضة صنعاء، وزهرية	لحافظ إبراهيم، وصف سيف
» الغيث، والثلج، ومراة	للبحثري وصف القلم له. فلوطي
» جواد	وصف أبي الهول لشوقي،
» سفرجل ورمان وتفاح،	وصف النحل ومملكته لشوقي
» الشقائق	وصف مقبرة آمون لشوقي،
» اقتران الزهرة والهلال	وصف مكتوب، وصف الخط
» الجليد والثلج وصف الرمح	الكتابة والبلاغة.
» والسيف والحرب وأبطالها	

